



* (فهرسة مقدمة العلامة ابن خلدون) *

صحيحة	صحيحة
٤	المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للتو رخين من الغلط والاهام وذكر شئ من أسبابها
٢٢	الكتاب الاول في طبعة العمران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب
٧٣	والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العا ل والاسباب (وفيه ست فصول كبار)
٢٦	الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات
٢٦	المقدمة الاولى في أن الاجتماع الانساني ضروري
٢٧	المقدمة الثانية في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم
٣٠	تكملة لهذه المقدمة الثانية في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراناً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك
٣٢	تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا
٣٣	الاقليم الاول
٣٥	الاقليم الثاني ٣٦ الاقليم الثالث
٤٠	الاقليم الرابع ٤٤ الاقليم الخامس
٤٧	الاقليم السادس ٤٩ الاقليم السابع
٥٠	المقدمة الثالثة في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من أحوالهم
٥٢	المقدمة الرابعة في أثر الهواء في أخلاق البشر
٥٣	المقدمة الخامسة في اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم
٥٦	المقدمة السادسة في أصناف المدركين للغيب من البشر بالفطرة او بالرياسة ويتقدمه الكلام في الوحي والرؤيا
٥٧	حققة النبوة والكهانة والرؤيا وشأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب
٧٣	الفصل الثاني من الكتاب الاول في العمران البدوي والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتعهيدات
٧٣	فصل في أن أجيال البدو والحضر طبعية
٧٣	فصل في أن جيل العرب في الخلقة طبعي
٧٤	فصل في أن البدو أقدم من الحضر وسابق عليه وان البادية أصل العمران والامصار مدتها
٧٤	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الخير من أهل الحضر
٧٥	فصل في أن أهل البدو أقرب الى الشجاعة من أهل الحضر
٧٦	فصل في أن معاناة أهل الحضر للاحكام مفسدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنعة منهم
٧٧	فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل أهل العصبية
٧٧	فصل في أن العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه
٧٨	فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم
٧٩	فصل في اختلاط الانساب كيف يقع
٧٩	فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها الخصوص من أهل العصبية
٧٩	فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم
٨٠	فصل في أن البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه
٨١	فصل في أن البيت والشرف للوالى وأهل الاصطناع انما هو بآلهم لا بنسبهم
٨٢	فصل في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء
٨٣	فصل في ان الام الوحشية اقدر على التغلب

صفحة		صفحة	
٩٢	فصل في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغنى عن العصبية	٨٤	من سواها فصل في ان الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك
٩٣	فصل في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية	٨٤	فصل في ان من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم
٩٤	فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من نبوة او دعوة حق	٨٥	فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانتقياد الى سواهم
٩٤	فصل في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عدد	٨٥	فصل في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس
٩٥	فصل في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لاتتم	٨٧	فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع
٩٦	فصل في ان كل دولة لها حصص من الممالك والاطوان لا تزيد عليها	٨٧	فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده الى شعب آخر منها مادامت لهم العصبية
٩٧	فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القوة والكثرة	٨٨	فصل في ان المغلوب مولى ابدى بالاقتران بالغالب في شعاعه وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده
٩٨	فصل في ان الاطوان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة	٨٨	فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها القضاء
٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالجد	٨٩	فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البساط
٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الترف	٨٩	فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب
٩٩	فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون	٩٠	فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة
١٠٠	فصل في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالجد وحصول الترف والدعة اقيمت الدولة على الهرم	٩١	فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك
١٠١	فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص	٩١	فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار
١٠٢	فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة	٩٢	الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبة السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وقبحه قواعد ومتممات
١٠٤	فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها	٩٢	فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية
١٠٤	فصل في احوال الدول واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار		
١٠٥	فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها		

صحيحة	صحيحة
١٠٩ فصل في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبه بدينه بالموالي والمصطنعين	١٦٢ فصل ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتا كده في قتال الكرك والقرصار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الافرنج في جندهم الخ
١١٠ فصل فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه	١٦٣ فصل وبلغنا ان ام الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم
١١١ فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك	١٦٣ فصل وكان من مذاهب الاول في شروهم حفر الخنادق على معسكرهم الخ
١١١ فصل في حقيقة الملك واصنافه	١٦٥ فصل في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
١١٢ فصل في ان ارهاق الخدمة ضربا بالملك ومفسد له في الاكثر	١٦٦ فصل في ضرب المكوس اواخر الدولة
١١٣ فصل في معنى الخلافة والامامة	١٦٧ فصل في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا مفسدة للجباية
١١٣ فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه	١٦٨ فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
١١٦ فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة	١٦٩ فصل ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخاص من رتبة السلطان الخ
١٢٠ فصل في انقلاب الخلافة الى الملك	١٧٠ فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية
١٢٤ فصل في معنى البيعة	١٧٠ فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران
١٢٤ فصل في ولاية العهد	١٧٢ فصل ومن اشد الظلمات واعظمها في فساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
١٣٠ فصل في الخطط الدينية للخلافة	١٧٢ فصل واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسايط على اموال الناس بشراء ما بين ايديهم بالجبن الامنان
١٣٤ فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء	١٧٢ فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند المهرم
١٣٧ فصل في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود	١٧٣ فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين
١٣٩ فصل في مراتب الملك والسلطان والقبائل ديوان الاعمال والجبليات	١٧٤ فصل في ان المهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع
١٤٤ ديوان الرسائل والسككيات	١٧٥ فصل في كيفية طروق الخلل للدولة
١٤٩ قيادة الاساطيل (وهي سفائن الحرب)	١٧٧ فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع
١٥٢ فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول	١٧٧ فصل في ان الدولة المستعدة انما تستولى على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة
١٥٣ فصل في شارات الملك والسلطان الخاصة به	١٧٩ فصل في وفور العمران اواخر الدولة وما يقع
١٥٤ السريرو المنبر والتخت والكرسي	
١٥٤ السكة ١٥٦ الخاتم ١٥٨ الطراز	
١٥٨ القساطيط والسياج	
١٥٩ المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة	
١٦٠ فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها	
١٦٢ فصل ومن مذاهب اهل الكرك والفرق الحروب ضرب المصاف وراء عسكرهم الخ	

صحيحة	صحيحة
٢١٧ فصل في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران	فيها من كثرة الموتان والمجاعات
٢١٧ فصل في أن الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير مثل الامصار	١٨٠ فصل في أن العمران البشري لا يبدله من سياسة ينظم بها امره
٢١٨ فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها	١٨٥ فصل في أمر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك
٢١٩ فصل في حاجات المتولين من أهل الامصار الى الجهات والمدافعة	١٩٦ فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن معنى الجفر
٢١٩ فصل في أن الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة وورسوخها	٢٠٤ الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق وتواحق
٢٢١ فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية اعمره وانها مؤذنة بفساده	٢٠٤ فصل في أن الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثانية عن الملك
٢٢٣ فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملوك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها	٢٠٥ فصل في أن الملك يدعو الى نزول الامصار فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير
٢٢٤ فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض	٢٠٦ فصل في أن الهيكل العظيمة جدا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة
٢٢٤ فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض	٢٠٦ فصل فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراعاة
٢٢٥ فصل في لغات أهل الامصار	٢٠٨ فصل وما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الامم الج
٢٢٦ الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع	٢٠٨ فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مسائل	٢١٢ فصل في أن المدن والامصار بافريقية والغرب قليلة
٢٢٦ فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية	٢١٣ فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول
٢٢٧ فصل في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه	٢١٣ فصل في أن المباني التي كانت تحتطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل
٢٢٨ فصل في أن الخدمة ليست من المعاش الطبيعي	٢١٣ فصل في مبادئ الخراب في الامصار
٢٢٩ فصل في أن ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي	٢١٣ فصل في أن تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها ونفاق الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة
٢٣١ فصل في أن الجاهل مقيد للمال	٢١٦ فصل في أسعار المدن
٢٣٤ فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتلق وان هذا الخلق من أسباب السعادة	
٢٣٤ فصل في أن القائم بامور الدين من القضاء والقبول والتدريس والامامة والخطابة	

صفحة	صفيحة
فصل في صناعة الوراقة ٢٥٠	والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب
فصل في صناعة الغناء ٢٥١	٢٣٤ فصل في أن الفلاحة من معاش
فصل في أن الصنائع تكسب صاحبها عقلا ٢٥٤	المستضعفين وأهل العافية من البدو
وخصوصا الكتابة والحساب	٢٣٤ فصل في معنى التجارة ومذاخيرها وأصنافها
الفصل السادس من السكك الأول في ٢٥٥	٢٣٥ فصل في أي أصناف الناس يحترفون
العلوم وأصنافها والتعلم وطرقه وسائر ٢٥٥	بالتجارة وأيهم ينبغي له اجتناب حرفها
وجوهره وما يعرض في ذلك كله من ٢٥٥	٢٣٥ فصل في أن خلق التجار نازلة من خلق
الأحوال وفيه مقدمة ولواحق	الأشراف والملوك
فصل في أن العلم والتعلم طيب حتى في ٢٥٥	٢٣٥ فصل في نقل التاجر للسلاح
العمران البشري	٢٣٦ فصل في الاحتكار
فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع ٢٥٥	٢٣٦ فصل في أن رخص الأسعار مضر بالمحترفين
فصل في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر ٢٥٧	بالرخص
العمران وتعظم الحضارة	٢٣٧ فصل في أن خلق التجارة نازلة من خلص
فصل في أصناف العلوم الواقعة في ٢٥٨	الرؤساء وبعده من المرواة
العمران لهذا العهد	٢٣٧ فصل في أن الصنائع لا بد لها من المعلم
علوم القرآن من التفسير والقراآت ٢٥٩	٢٣٨ فصل في أن الصنائع إنما تكمل بكمال
علوم الفقه وما يتبعه من الفرائض ٢٦٤	٢٣٨ فصل في أن ربح الصنائع في الأمصار إنما
علم الفرائض ٢٦٨	هو بربح الحضارة وطول أمدها
أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل ٢٦٨	٢٣٩ فصل في أن الصنائع إنما تستجد وتكثر
والخلافيات	إذا كثر طالها
علم الكلام ٢٧٨ علم التصوف ٢٧٨	٢٤٠ فصل في أن الأمصار إذا قاربت الخراب
علم تعبير الرؤيا ٢٨٤ العلوم العقلية وأصنافها ٢٨٧	انقضت منها الصنائع
العلوم العددية ٢٨٧	٢٤٠ فصل في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع
ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ٢٨٧	٢٤١ فصل في أن من حصلت له ملكة في صناعة
ومن فروع الجبر والمقابلة ٢٨٨	فقل أن يجيد بهدها ملكة أخرى
ومن فروع أيضا المعاملات ٢٨٨	٢٤١ فصل في الإشارة إلى أمهات الصنائع
ومن فروع أيضا الفرائض ٢٨٨	٢٤١ فصل في صناعة الفلاحة
العلوم الهندسية ٢٨٩	٢٤١ فصل في صناعة البناء
ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة ٢٩٠	٢٤٣ فصل في صناعة التجارة
بالاشكال الكريمة والخروطات ٢٩٠	٢٤٤ فصل في صناعة الحياكة والخياطة
المنظائر من فروع الهندسة ٢٩٠	٢٤٥ فصل في صناعة التوليد
ومن فروع الهندسة المساحة ٢٩٠ علم الهيئة ٢٩١	٢٤٦ فصل في صناعة الطب وأنها محتاج إليها في
ومن فروع علم الأزياج ٢٩١ علم المنطق ٢٩٣	المواضع والأمصار دون البادية
الطبيعات ٢٩٤ علم الطب ٢٩٤	٢٤٨ فصل في أن الخط والسكك من ممداد
فصل في البادية من أهل العمران طب ٢٩٤	الصنائع الانسانية
يؤمنونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على	

بعض الأشخاص الخ ٢٩٤ الفلاحة	٢٩٥
علم الالهيات ٢٩٦ علم السحر والطلسمات	٢٩٥
فصل ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية	٣٠٠
الاصابة بالعين ٣٠٠ علم اسرار الحروف	٣٠٣
ومن فروع علم السحراء عندهم استخراج	٣٠٥
الاجوبة من الاسئلة	٣٠٥
الكلام في استخراج نسبة الاوزان	٣٠٥
وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة	٣٠٥
الدرجة المقيمة بالنسبة الى موضع المعلق	٣٠٥
من امتزاج طبائع وعلم طب اوصناعة	٣٠٥
الكيمياء ٣٠٥ الطب الروحاني	٣٠٥
مطابخ الشعاعات في موايد الملوك وبنينهم	٣٠٦
الانفعال الروحاني والانقياد الرباني	٣٠٦
اتصال انوار الكواكب	٣٠٦
مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة	٣٠٦
والطاعة والعبادة وحب وتعش في وفناء	٣٠٦
الغناء وتوجهه وراقبة وخلة دائمة	٣٠٧
فصل في المقامات والنهاية	٣٠٧
الوصية والتختم والايان والاسلام والتحريم	٣٠٧
والاجابة	٣٠٨
كيفية العمل في استخراج اجوبة المسائل	٣٠٨
من زيار حجة العالم بحول الله منقولاً عن	٣١٠
لقيناه من القائلين عليها	٣١٠
فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من	٣١٧
جهة الارتباطات الخفية	٣١٧
فصل في الاستدلال على ما في الضمائر	٣٢٥
الخفية بالقوانين الخفية ٣١٩ علم الكيمياء	٣٢٥
فصل في ابطال الفلسفة وفساد منحلها	٣٢٩
فصل في ابطال صناعة النجوم وضعف	٣٢٩
مداركها وفساد غايتها	٣٢٩
فصل في انكار سر الكيمياء واسرارها	٣٣٨
وجودها وما ينشأ من المفاسد عن انتحالها	٣٣٨
فصل في أن كثرة التاكيد في العلوم	٣٣٩
عائقة عن التحصيل	٣٣٩
فصل في أن كثرة الاختصارات المؤلفة في	٣٣٩
العلوم مخلة بالتعليم	٣٣٩
فصل في وجه انصواب في تعليم العلوم	٣٤٢
وطريق افادته ٣٤١ واهل ايها المتعلم الخ	٣٤٢
فصل في ان العلوم الالهية لا توسع فيها	٣٤٢
الانظار ولا تفرع المسائل	٣٤٣
فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب	٣٤٥
الامصار الاسلامية في طريقه	٣٤٦
فصل في أن الشدة على المتعلمين مضر بهم	٣٤٦
فصل في أن الرحلة في طلب العلوم ولسان	٣٤٦
المشيخة من يد كمال في التعلم	٣٤٦
فصل في ان العلماء من بين البشر اربعة من	٣٤٧
السياسة ومذاهبها	٣٤٧
فصل في أن حجة العلم في الاسلام أكثرهم	٣٤٩
الحجج ٣٤٩ فصل في علم اللسان العربي	٣٤٩
علم النحو ٣٥١ علم اللغة ٣٥٣ علم البيان	٣٥٥
علم الادب ٣٥٦ فصل في ان اللغة ملكة صناعية	٣٥٧
فصل في أن لغة العرب لهذا العهد لغة	٣٥٩
مستقلة مغايرة للغة مضر وجير	٣٦٠
فصل في أن لغة الحضرة الامصار قائمة	٣٦٠
بنفسها بخلاف لغة مضر	٣٦٠
فصل في تعليم اللسان المضرى	٣٦٠
فصل في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة	٣٦٢
العربية ومستغنية عنها في التعليم	٣٦٢
فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل	٣٦٤
البيان وتحقيق معناه وبيان أنه لا يحصل	٣٦٤
غالب المستعرب بين من الحجج	٣٦٤
فصل في ان اهل الامصار على الاملاق	٣٦٤
قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية	٣٦٤
التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم اربعة من	٣٦٤
اللسان العربي كان حصوله اصعب واعسر	٣٦٤
فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر	٣٦٧
فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم	٣٦٧
والمنثور مع الاقل	٣٦٧
فصل في صناعة الشعر ووجه تعلمه	٣٦٧
فصل في أن صناعة النظم والنثر انما هي في	٣٦٧
الالفاظ لا في المعاني	٣٦٧
فصل في أن حصول هذه الملكة بكثرة المحفظ	٣٦٧
وجودها بجودة المحفوظ	٣٦٧
فصل في ترفع اهل المراتب عن انتحال الشعر	٣٦٧
فصل في اشعار العرب واهل الامصار لهذا	٣٦٧
العهد (وفيه اشعار الهلالية والزناية)	٣٦٧
الموشحات والازجال للاندلس	٣٦٧

(فهرست سراج الملوك المطرزة به مامش مقدمة العلامة ابن خلدون)

صحيحة	صحيحة
الباب الاول في مواضع الملوك	١٠
الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين	٥٥
عند الامراء والسلاطين	
الباب الثالث فيما جاء في الولاة والقضاة	٧٨
وما في ذلك من الغرر والخطر	
الباب الرابع في بيان معرفة ملك سليمان بن	٨٦
داود عليهم السلام ووجه طلبه الملك وسؤاله	
أن لا يؤتى لاحد من بعده	
الباب الخامس في فضل الولاة والقضاة اذا	٨٨
عدلوا	
الباب السادس في أن السلطان مع رعيته	٩٤
مغبون غير غائب وخاسر غير راجع	
الباب السابع في بيان الحكمة في كون	٩٧
السلطان في الارض	
الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره	٩٩
الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من	١٠٠
الرعية	
الباب العاشر في بيان معرفة خصال ورد	١٠٢
الشرع بها في نظام الملك والدول	
الباب الحادي عشر في بيان معرفة الخصال	١٠٥
التي هي قواعد السلطان ولا ثبات له دونها	
الباب الثاني عشر في التنصيص على الخصال	١١٢
التي زعم الملوك انها ازلت دولتهم وهدمت	
سلطانهم	
الباب الثالث عشر في الصفات الراتبة	١١٥
التي زعم الحكماء انه لا تدام معها ملكة	
الباب الرابع عشر في الخصال المحمودة في	١١٨
السلطان	
الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان	١٢٠
الباب السادس عشر في ملاك أمور السلطان	١٢٢
الباب السابع عشر في خبير السلطان وشر	١٢٣
السلطان	
الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من	٢٢٥
القرآن	
الباب التاسع عشر في خصال جامعة لأم	٢٢٥
السلطان	
١٢٨ الباب الموقفي عشرين في الخصال التي هي	
أركان السلطان	
١٢٩ الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة	
السلطان إلى العلم	
١٣٣ الباب الثاني والعشرون في وصية أمير	
المؤمنين على بن أبي طالب	
١٣٤ الباب الثالث والعشرون في العقل والدهاء	
والخبيث	
١٤٣ الباب الرابع والعشرون في الوزراء	
وصفاتهم والجلساء وآدابهم	
١٤٩ الباب الخامس والعشرون في المجلساء	
وآدابهم	
١٥٣ الباب السادس والعشرون في بيان معرفة	
الخصال التي هي جال السلطان	
١٦١ الباب السابع والعشرون في المشاورة	
والنصيحة ١٦٥ فصل في النصيحة	
١٦٨ الباب الثامن والعشرون في الحلم	
١٨٠ الباب التاسع والعشرون فيما يسكن الغضب	
١٨٣ الباب الثلاثون في الجود والسخاء الخ	
١٩٨ الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح	
والبخل وما يتعلق بهما	
٢٠٠ الباب الثاني والثلاثون في الصبر	
٢٠٣ فصل في أقسام الصبر	
٢١٤ الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر	
٢١٨ الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة	
التي هي رهن بسائر الخصال وزعيم بالماز يد	
من النعماء والالاء من ذي الجلال	
٢٢٠ فصل في شكر اللسان	
٢٢١ فصل في الشكر على الجوارح	
٢٢٣ فصل في الكلام على الزيادة	
٢٣٠ الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة	
التي يصلح عليها الأمير والمأمور ويستريح اليها	
الرئيس والمرؤوس مستخرجة من القرآن	
العظيم	
٢٣٤ الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة	
التي فيها غاية كمال السلطان وشقاء الصدور	

صحيحة	صحيحة
٢٨٧ الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاية	وراحة القلوب وطيبة النفوس
٢٩١ الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والعهود التي تؤخذ على العمال	٢٣٦ الباب السابع والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها لم يأملوا عند الشدائد ومعقل السلامين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال
٢٩٦ الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشا على الشفاعات	٢٣٧ الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان
٢٩٨ الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق	٢٣٨ الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والحاثر
٣٠٧ فصل في الفرق بين المداينة والمدايرة	٢٣٩ الباب العاشر في اربعين فيما يجب على الرعية اذا حار السلطان
٣٠٨ الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوء عاقبته	٢٤٢ الباب الحادي والاربعون في كتابك ونوايولي عليكم
٣١٦ الباب السابع والخمسون في تحذير السعاة والتمسمة وقبحهما وما يؤل اليه أمرهما من الافعال الرديئة والعواقب الذميمة	٢٤٣ الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تضيق بها الرعية
٣٢٢ الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته	٢٤٦ الباب الثالث والاربعون فيما يملك السلطان من الرعية
٣٢٧ الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدّة	٢٤٧ الباب الرابع والاربعون في التحذير من ضجة السلطان
٣٤٢ الباب الستون في بيان الخصلة التي هي أم الخصال وينبوع الفضائل ومن فقد هالم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس	٢٥٠ الباب الخامس والاربعون في صحبة السلطان
٣٤٥ الباب الحادي والستون في ذكر الحروب وتدبيرها وحيلها وأحكامها	٢٥٤ الباب السادس والاربعون في سيرة السلطان مع الجند
٣٥٦ الباب الثاني والستون في القضاء والقدر والتوكل والطلب	٢٥٦ الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجلاء الخراج
٣٦٢ الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم الخ	٢٥٨ الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال
٣٦٩ فصل من نوادر برزجهر الخ	٢٦٣ فصل يتضمن مبلغ ما كان يستخرج لفرسان يوسف من أموال مصر
٣٧٠ فصل ومن حكم شايان السندى الخ	٢٧٠ الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الاتفاق من بيت المال وسيرة العمال
٣٧٣ فصل قال غيره لا ينبغي للملأ ان يكون له ايام معلومة يظهر فيها الخ	٢٧٧ الباب العاشر في سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال
٣٧٣ فصل من نوادر كلام العرب من حكم أكثرهم صيني الخ	٢٨٢ الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة
٣٧٦ الباب الرابع والستون مشتمل على حكم منشورة	٢٨٥ فصل في نقض الذمة العهد ٢٨٥ فصل في تقدير الجزية

(المقدمة)
(للامامة ابن خلدون)

(الجزء الاول)
من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في
ايام العرب والجم والبربر ومن حاضرهم
من ذوى السلاطان الاكبر وهو
تاريخ وحيد عصره العلامة
عبد الرحمن بن خلدون
المعربى رحمه الله
آمين

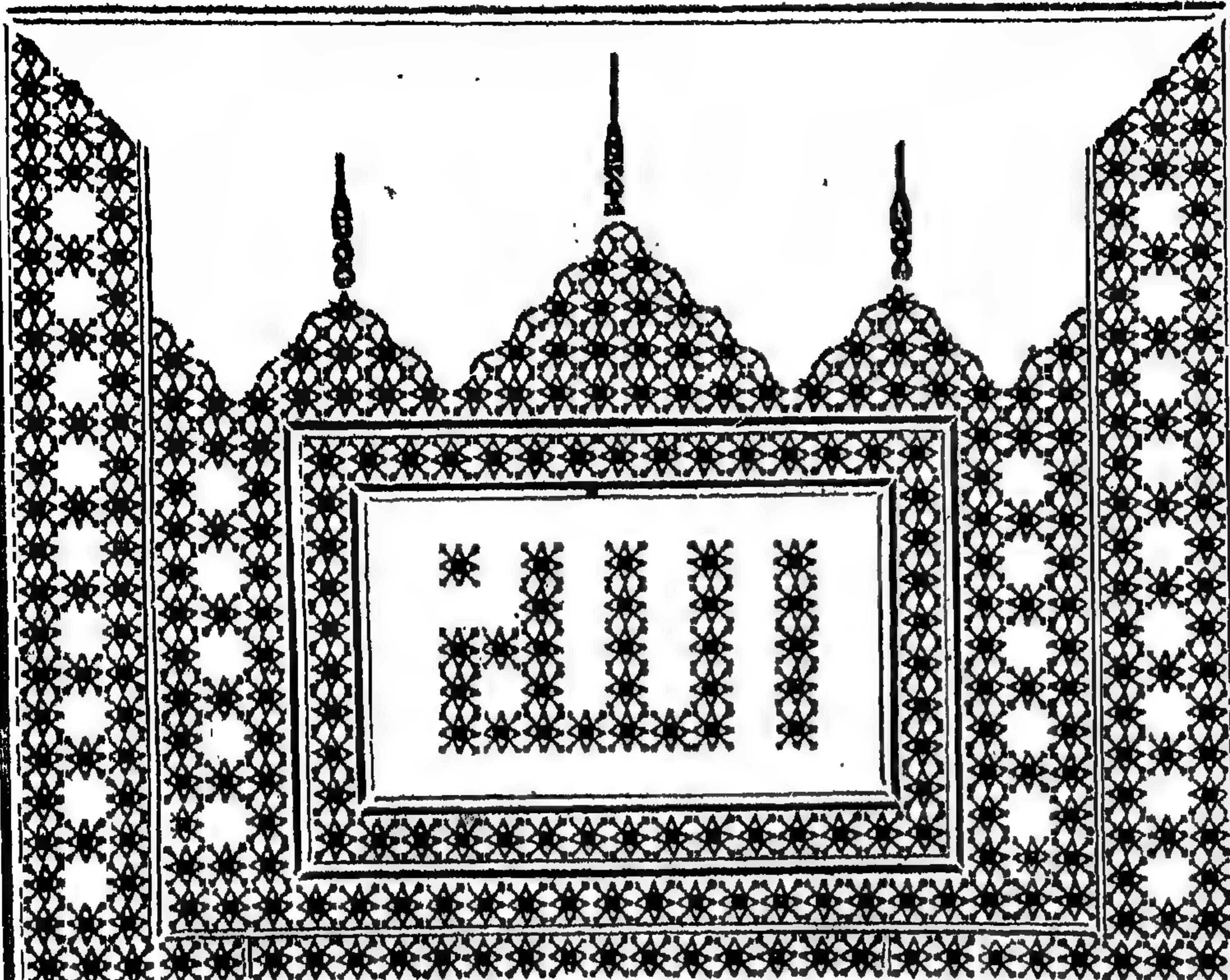
*(ونها مشه سراج الملوك للامامة ابى بكر
محمد بن محمد بن الوليد القهري الطرطوشي
المناكبي رحمه الله تعالى وثقة عنا به آمين)*

(محل مبيعه بالمطبعة الازهرية)
(ادارة الراحي من الله الغفران)
(خضرة السيد محمد رمضان)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣١١ هجرية)

الحمد لله الذي لم يزل ولا يزال وهو الكبير المتعال خالق الايمان والا^٣ نار ومكورا النهار على الليل
والليل على النهار العالم بالحقائق (٢) وما تنطوي عليه الارضون والسموات سواء عنده الجهر والاسرار ومن هو مستخف بالليل وسار

بالنهار الا يعلم من خالق
وهو اللطيف الخبير خالق
الخلق بقدرته واحكامهم
بعلمه وخصصهم بمشيئته
ودبرهم بحكمته لم يكن له
في خلقهم معين ولا في
تدبيرهم مشير وظهر
وكيف يستعين من لم يزل
يمن لم يكن اورس تظهر من
تقدس عن الذل بمن دخل
تحت ذل التكوين ثم
كافهم معرفته وجعل
علم العالمين بعجزه عن
ادراكه ادراكا لهم ومعرفة
العارفين بتقصيرهم عن
شكره شكرهم كما جعل
اقرار المقرين بوقوف
عقولهم عن الاحاطة
بحقيقته ايمانا لهم لا يلزمه
لم ولا يجاوزه ابن ولا
يلاصقه حيث ولا يحده ما
ولا يعبده كم ولا يحصره متى
ولا يحيط به كيف ولا يناله
اي ولا يظله فوق ولا يقله
تحت ولا يقابله حسد ولا
يزاحجه عند ولا يأخذه
خاف ولا يحده امام ولم
يظهره قبل ولم يعنه بعد
ولم يجمعه كل ولم يوجد له
كان ولم يفقده ليس وصفه
لاصفه له وكونه لا مدله
ولا تخالطه الاشكال
والصور ولا تغيره الايام
والغير ولا تحوز عليه
الماسة والمقاربة وتستحيل



|| (بسم الله الرحمن الرحيم) ||

(يقول العبد الفقير الى رحمة ربه الغني باطاعة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفيه الله تعالى) الحمد لله الذي له العزة والجبروت وبيده الملك والملكوت وله الاسماء الحسنى والنعوت * العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى او يخفيه السكوت * القادر فلا يعجزه شيء في السموات والارض ولا يفوت * انشأنا من الارض نساء * واستعمرنا فيها اجيالا واما * وبسرنا من الارزاق وقسمنا * تسكننا الارحام والبيوت * ويكفلنا الرزق والقوت * وتبلينا الايام والوقوت * وتعتورنا الاجال اتي خط علينا كتابها الموقوت * وله البقاء والنبوت * وهو الحمى الذي لا يموت * والصلاة والسلام على سيدنا وولانا محمد النبي الامي العربي المسكوب في التوراة والانجيل والمنعوت * الذي تمحض لفصالة الكون قبل ان تتعاقب الاحاد والسيوت * ويتبين زحل واليهوت (١) وشهد بصدقه الحجام والعنكبوت * وعلى آله واصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الاثر البعيد والصيت * والشمل الجميع في مظهرته ولعدوهم الشمل الشيت * صلى الله عليه وعليهم ما اتصل بالاسلام جده المنجوت * وانهطع بالسكك فرجبه المبتوت * وسلم كثيرا (اما بعد) * فان فن التاريخ من القنون التي يتداولها الامم والاجيال * وتشدا اليه الركائب والرحال * قوله اليهوت هو النون اي الحوت الذي على ظهره الارض السابعة ويسمى ايضا لوتيا كما في المظهر وروح البيان والالهجة ومعلوم ان بينه وبين زحل الذي هو في الفلك السابع بونا بعد اقال الشهاب الحجاجي في حاشيته على البيضاوي في اول سورة نون اليهوت * فتح المنة التحيه وسكون الله وما اشهر من انه بالبلاء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحشني اه * ومثله في روح البيان قاله نصر الموديني

عليه الهاذاة والمقابلة ان قلت لم كان فقد سبق العال ذاته ومن كان معلولا كان له غيره علة يساوقه في الوجود وتسموا
وهو قبل جميع الايمان بالاعلة فقدره الله في الاشياء بالاعراج وصنعه فيها بالاعلاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة اصنعه فان قلت ابن هو فقد

سبق المكان وجوده من اين الاين لم يفتقر وجوده الى اين فهو بعد خلق المكان غني بنفسه كما كان قبل خلق المكان وكيف يمكن
فيما منه بدالو يعود اليه ما هو انشاوان قلت ما هو فلا مائية لو جوده وما موضوعه (٣) للسؤال عن الجنس والقديم تعالى

لاجنس له لان الجنس
مخصوص بمعنى داخل تحت
المائية وان قلت كم هو
فهو واحد في ذاته منفرد
بصفاته وان قلت متى كان
فقد سبق الوقت كونه
وان قلت كيف هو فمن
كيف السبب لا يقال له
كيف ومن جازت عليه
الكيفية جاز عليه النعت
وان قلت هو فالحق
والواو خلقه بل الزم الكل
الحديث كما قال بعض
الاشياخ لان القدم له فالذي
بالجسم ظهوره فالعرض
يلزمه والذي بالاداة
اجتماعه فقواها تمسكه
والذي يؤلفه وقت يفرقه
وقت والذي يقيمه غيره
فالضرورة تمسكه والذي
الوهم يطرده فالتصوير
يرتقي اليه ومن آواه محل
ادركه اين ومن كان له
جنس طلبه كيف وجوده
اثباته ومعرفة توحيده
وتوحيده تميزه من خلقه
ما تصور في الاوهام فهو
بخلافه لا تخالفيه الاميون
ولا تخالطه الظنون ولا
تصوره الاوهام ولا تحيط
به الافهام ولا يقدر قدره
الانام ولا يحويه مكان
ولا يقاربه زمان ولا يحصره
امد ولا يسهو ولا يلهو ولا يحجب

وتسمو الى معرفته السوقة والاعمال وتتنافس فيه الملوك والاقبال ويتساوى في فهمه العلماء
والجهال اذهو في ظاهره لا يز يد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاول تنفي فيها
الاقوال وتضرب فيها الامثال وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتفال وتؤدي اليها انشاوان الخلية
كيف تقلبت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والجمال وعمر والارض حتى نادى بهم الارتحال
وجان منهم الزوال وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبداها دقيق وعلم بكيفيات
الوقائع واسبابها عميق فلهذا اصيل في الحكمة عريق وجدير بان يعتد في علومها وخالق في وان
خول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر
واودعوها في خطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها وزخارف من الروايات
المضعة لغة وهاو وضعوها واقتنى تلك الاثار الكثر من بعدهم واتبعوها وادومها اليها كما
سمعوها ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراهم وهاو ولا رفضوا اثرها في الاحاديث ولا دفعوها
فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل والنقل يد
عريق في الاكديمين وسليح والتطفل على القنون عرض وطويل وعري الجهل بين الانام ونعيم
وبيل والحق لا يقاوم ساطانه والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه والناقل انما هو على وينقل
والبصيرة تتقد الصبح اذا تمقل والعلم يحلها صفحات الصواب ويصقل (هذا) وقد دون الناس في
الاخبار واكثرها وجمعوا تواريج الامم والدول في العالم وسطروا والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامانة
المعتبرة واستقر غواو اوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل
ولا حركات العوامل مثل ابن اسحق والطبري وابن السكيت ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر
الاسدي والمسدودي وغيرهم من المشاهير المميزين عن الجاهل وان كان في كتب المسعودي
والواقدي من المطعن والمنعز ما هو معروف عند الاثبات ومشهور بين الحفظة الثقات الا ان الكافة
اختصتهم بقبول اخبارهم وواقعة اسندهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في
ترتيبهم فيما ينقلون او اعتبارهم فلا يمر ان طبائع في احواله ترجع اليها الاخبار وتعمل عليها
الروايات والا تثار ثمن ان اكثر التواريخ مؤلفة من العامة المناهج والمسالك لعموم الدولتين صدر الاسلام
في الاتفاق والممالك وتناولها البعيد من الغايات في المسالك والممالك ومن هؤلاء من استوعب ما
قبل الملة من الدول والامم والامم كالمسدودي ومن نخامتها وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق
الى التقييد ووقف في العموم والاحاطة عن الشا والبعيد فقيد شوارد عصره واستوعب اخبار افقه
وقطره واقصر على احاديث دولته ومصره كما فعل ابو حيان في تاريخ الاندلس والدولة الاموية بها وابن
الرفيق في تاريخ افرقيية والدول التي كانت بالغير وان ثم لم يأت من بعده هؤلاء المقلدون وبليد الطبع
والعقل او متبلدين يذهب على ذلك المنوال ويحتذى منه بالمثل ويذهل عما حاله الايام من الاحوال
واسئبت دلت به من عوائد الامم والاحيال فيجلبون الاخبار عن الدول وحركاتها في الوقائع في العصور
الاول صور راقدة تجردت عن موادها وصفا حادثة ضمت من انماها ومعارف تستنكر للجهل بطاقتها
وتلادها انما هي حوادث لم تعلم اصولها وانواع لم تعبر اجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في
موضوعاتهم الاخبار المتداولة باعيانها اتبعها ان من المتقدمين بشانها وينقلون امر الاجيال
الناشئة في ديوانها بما عوز عليهم من ترجيحها فتستجهم صحفهم عن بيانها ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة

عند قربه كرامته وبعده اهانتة علومه من غير توقل وبجته من غير تنقل هو الاول والاخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذي
ليس كمثل شئ وهو المصير واشهد له بالربوبية والوحدة دانية وبجته انفسه من الاسماء الحسنى والصفات العلى والنبوت

الآل في آله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين واومن بالله وما لا نكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله ونحن له مسلمون
واشهد ان محمدا عبده المصطفى وامينه (٤) المرتضى ارسله الى كافة الوري بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وشرا جاعلا من اهل الله

عليه وعلى اهل بيته
الظاهرين والباطنين
المتقين والزواجر
الظاهرات امهات المؤمنين
(اعا بعد) فاني نظرت في
سير الامم الماضية والامم
الخالفة وما وضعوه من
السياسات في تدبير الدول
والترنوم من القوانين في
حفظ النحل فوجدت ذلك
نوعين احكاما وسياسات
فاما الاحكام المشتملة على
ما اوصى الله من الحلال
والحرام والبيع والاحكام
والانكحة والطلاق
والاخبارات ونحوها والرسوم
الموضوعة لها والمحدود
القائمة على من خالف شيئا
منها فامر اصطلحوا عليه
بمعقولهم ليس على شيء منه
برهان ولا انزل الله به من
سلطان ولا اخذوه عن
تدبر ولا اتبعوا فيه رسولا
واتماهى صادرة من خبرة
النيران وسدنة بيوت
الاصنام وعبدلة الانداد
والاوثان وليس يعجز احد
من خلق الله ان يصنع
من تلقا نفسه امثالا
واشباها واما السياسات
التي وضعوها في التزام
تلك الاحكام والذب عنها
والحماية لها وتعظيم من
عظمها واهانة من استهان

نسخوا اخبارها تسقا محافطين على نفعها او هاما لوصد قاي لا يتعرضون لبدايتها ولا يذرون السبب
الذي رفع من رايها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد الى افتقار
احوال مبادئ الدول ومراتبها ومقتضاهن اسباب تراجهن او تعاقبها باختلاف مقتضى تباينها او تناسبها
حسب ما يند كبر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء آخرون بافراط الاختصار وذهبوا الى الاكتفاء باسماء
الملوك والاختصار بمقطوعة عن الانساب والاخبار وموضوعة عليها اعدادا ياهم بحروف الغبار كما
فعله ابن رشيقي في ميزان العمل ومن اقتفى هذا الاثر من الملوك وليس يعتبره ولا مقال ولا يعمله
ثبوت ولا انتقال لما اذهبوا من القوائد واخلاوا بالمذاهب المعروفة للتواريخ والعوائد (ولما طاعت)
كتب القوم وسبرت غورا لمن واليوم نبت عين القرية من سنة الفسفة والنوم وسعت
التصنيف من نغني وانا المفسر احسن السوم فانشأت في التاريخ كتابا رفعت به عن احوال الناشئة
من الاجيال بحساب وفصلته في الاخبار والاعتبار بابا بابا وابدت فيه لاولية الدول والعمران عللا
واسبابا وبنيته على اخبار الامم الذين عمر والمغرب في هذه الاعصار وما وا ا كناف النواحي منه
والامصار وما كان لهم من الدول الطوال او القصار ومن سلف من الملوك والانتصار وهم العرب
والبربر اذ هما الجيلان اللذان عرف بالمغرب ما واهما وطال فيه على الاحقاب مشواهما حتى لا يكاد
يتصور فيه ما عداهما ولا يعرف اهله من اجيال الا دميمين سواهما فهذه مناحيه تهذيبا وقربة
لافهام العلماء والخاصة تقريبا وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غريبا واخترعته من بين المناحي
مذهبا عجبا وطريقة مبتدعة واسلويا وشرحت فيه من احوال العمران والتقدم وما يعرض في
الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتدك بعلى الكواثر واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل
الدول من ابوابها حتى تنزع من التقليد يدك وتقف على احوال من قبلك من الايام والاجيال وما
بعده (ورتيته) على مقدمة وثلاثة كتب

(المقدمة) في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامساع بمغالط المؤرخين

(الكتاب الاول) في العمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والسكسب
والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العال والاسباب

(الكتاب الثاني) في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى هذا العهد وفيه الامساع ببعض
من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والبربر والفرس وبنى اسرائيل والقيط ويونان
والروم والترك والافرنجة

(الكتاب الثالث) في اخبار البربر ومن اليهم من زناة وذراوليتهم واجيالهم وما كان لهم بديارا والمغرب
خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجتلاب انوارهم وقضاء الفرض والسنة في مطافه
ومزارهم والوقوف على آثاره في ذواوينه واسفاره فافتت ما نقص من اخبار ملوك العرب بتلك الديار
ودول الترك فيما ملكوه من الاقطار واتبعتهما اما كتبه في تلك الاسفار وادرجتها في ذكر
المعاصر من تلك الاجيال من امم النواحي وملوك الامصار والنواحي سالكا سبيل الاختصار
والتلخيص مقتديا بالمرام السهل من العويص داخلا من باب الاسباب على الامم الى الاخبار على
الخصوص فاستوعب اخبار الخليقة استيعابا وذلك من الحكم النافذة صوابا واعطى لحوادث الدول
عللا واسبابا واصبح للحكمة صونا وللناريج جرابا (ولما كان) مشتملا على اخبار العرب والبربر

بها ونخاله فاقدر وافي ذلك بسيرة العدل وحسن السياسة وجمع القلوب عليها

من
والترام النصفة فيما بينهم على ما توجه تلك الاحكام وكذلك في تدبير الحروب وامن السيل وحفظ الاموال وصون الاعراض والحرم

كل ذلك فقد ساروا فيه بسيرة جليلية لا ينافي العقول شيء منه لو كانت الاصول صحيحة والقواعد واجبة فكانوا في حسن سيرتهم يحفظ
تلك الاصول الفاسدة كمن زخرف كنيها او بنى على ميت قصرا (٥) منيها ولوليس الجار شارب خمر

لقال الناس يا لك من حمار
فجعت محاسن ما انطوى
عليه سيرهم خاصة من
ملوك الطوائف وحكام
الدول فوجدت ذلك في
ست من الامم وهم العرب
والفرس والروم والهند
والسند والسند هند قاما
ملوك الصين وحكامهم
فلم يصل الى ارض العرب
من سياساتهم شيء كثير
لبعد الشقة وطول المسافة
واما من عدا هؤلاء من الامم
فلم يكونوا اهل حكم بارعة
وقرائح نافذة واذهان
ثاقبة وانما صدر عنهم
الشيء اليسير من الخدمة
فنظمت ما القيت في كتبهم
من الحكمة البالغة والسير
المستحسنة والكلمة اللطيفة
والظريفة المألوفة والتوقيع
الجميل والاثرائيل الى
مارويته وجعته من سير
الانبياء عليهم السلام وآثار
الاولياء وبراعة العلماء
وحكمة الحكماء ونوادر
الخلفاء وما انطوى عليه
القرآن العزيز الذي هو
بحر العلوم وينبع الحكيم
ومعدن السياسات ومغاص
الجواهر المكنونات ان
اختصر فليحذر دالة واشارة
خفية وان اطال فالفاظ
بارعة وآيات معجزة هو

من اهل المذنب والوبر والامام من جواهرهم من الدول الكبير واوضح بالذكري والغير في مبتدأ
الاحوال وما بعد ما من الخبر (سميته) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ولم اترك شيئا في اولية الاجيال والدول وتعاصر الامم الا اول
واسباب التصرف والحول في القرون الخالية والمال وما يعرض في العمران من دولة وملة ومدينة
ووحدة وعزة وذلة وكثرة وقلة وعلم وصناعة وكسب واصناعة واحوال متقلبة مشاعة ويبدو
وحضر وواقع ومنتظر الا واستوعبت جملة واوضحت برأيه وعالمة في هذا الكتاب فذا بضمته
من العلوم الغريبة والحكم المحبوبة القرينة وانما من بعدهم ما وقن بالقصور بين اهل العصور
مما ترف بالحزن عن المضاعف في مثل هذا القضاء راغب من اهل البدل البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء
النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء والتعمد لما يثرون عليه بالاصلاح والاعضاء فالبضاعة بين اهل
العلم نرجاة والاعتراف من اللوم منجاة والحسن من الاخوان مرتجاة والله اسأل ان يجعل اعمالنا
خالصة لوجه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل (وبعد) ان استوفيت علاجه وانرت مشكاته
للمستبصرين واذا كيت سراجهم واوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجه واوسعت في قضاء المعارف
نطاقه وادرت سياجه اتحقت بهذه النسخة منه (١) خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح
المجاهد المتحلي من ذخل التمام ولوث العمامة بحلى القانت الزاهد المتوشح من ذكاء المناقب
والحماد وكرم الشماثل والشواهد باجل من القلائد في نخور الولايد المتناول بالعزيز القوي الساعد
والجهد المواتي المساعد والجهد الطارف والتالد ذواب ملهم الراسي القواعد الكريم المعالي
والمصاعد جامع اشئات العلوم والقوانين وناظم شمل المعارف الشوارد ومظهر الايات الربانية

(١) قوله اتحقت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله اتحقت
وبعد قوله وادرت سياجه ونصها التمس له الكف الذي يلعب بين الاستبصار فنونه ويلاحظ مداركه
الشريفة معياره الصحيح وقانونه ويميز رتبته في المعارف عمادونه فسرحت فكري في قضاء الوجود
واجلت نظري ابل التمام والمجود بين التمام والنجود في العلماء الركن السجود والخلفاء اهل
الكرم والجود حتى وقف الاختيار بساحة الكمال وطافت الافكار بوقوف الآمال وظفرت ابدى
المساعي والاعمال بمقتضى المعارف مشرقة فيه غرر الجمال وحدثت في العلوم الواردة الظلال عن العيون
والشمس فانفتحت مطي الافكار في عرصاتها وجلون محاسن الانظار على منصاتها واتحقت بديوانها
مقاصير ايوانها واطاعتها كوكبا وقاداف في افق خزانها وصورها ليكون آية للعالمية تدون بمنازه
ويعرفون فضل المدارك الانسانية في آثاره وهي خزنة مولانا السلطان الامام المجاهد الفاتح المساهد
الى آخر النعوت المذكورة هنا ثم قال الخليفة امير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد بن
مولانا الامير الطاهر المقدس ابي عبد الله محمد بن مولانا الخليفة المقدس امير المؤمنين ابي يحيى الى
بكر ابن الخلفاء الراشدين من ائمة الموحدين الذين جددوا الدين ونهجو السبل للمعتدين ونحووا آثار
البغاة المفسدين من الجمعية والمعتدين سلاله الى حفص والقاروق والنبعة النامية على تلك المدارس
الزاكية والعروق والنور المتلاشي من تلك الاشعة والبروق فاوردته من مودعه العلي بحيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى الى آخر ما ذكر هنا لانه لم يقيد الامامة بالقارسة لكن النسخة المذكورة
مختصرة عن هذه النسخة المنقولة من خزنة الكتب الفاسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

المسادي من الضلالة والماوى لحاسن الدنيا وقضائل الآخرة (ورتبته) ترتيبا متيقا وترجته تراجم بارعة حاوية لمقامه
بحكمها ومضمونها يلج الاذن من غير اذن ويتوج التمام من غير استئذان والفاظها قلوب المعاني ليس القامها الى التمام بغير

فغنائم الى القلب فانتظم الكتاب بحمد الله وعونه واخسانه غاية في بابه غريب في فنونه واسب بابه خفيف الحمل كثير الفائدة لم يسبق
الى مثله اقلام العلماء ولا جالت (٦) في نظمه افكار الفضلاء ولا حوته خزان الملوك والرؤساء فلا يسمع به ملك

في فضل المدارك الانسانية بذكره الثاقب الناقد ورأيه الصحيح المعقد النير المذهب والعقائد نور
الله الواضح المرشد ونعمته العذبة المواردة واطفه السكامن بالمرصاد لاشدائد ورجته الكريمة المقالدة
التي وسعت صلاح الزمان القاسد واستقامة المسائد من الاحوال والعوائد وذهبت بالخطوب الاوابد
وخلفت على الزمان رونق الشباب العائد وحقته التي لا يبطها انكار الجاحد ولا شهوات المعاند
(امير المؤمنين) ابو فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان الكبير المجاهد المقدس امير المؤمنين * ابي
الحسن ابن السادة الاعلام من بني مرين * الذين جددوا الدين * ونهضوا السبيل للمهتدين * ومحووا آثار
البيعة المفسدين * افاء الله على الامة ظلاله * وبلغه في نصر دعوة الاسلام آماله * وبهتته الى خزائنه
الموقدة لطلبة العلم بجامع القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم * وكرسى سلطانهم * حيث مقر الهدى
ورياض المعارف خضلة الندى وقضاء الاسرار الربانية فسيح المدي * والامامة الكريمة الفارسية (١)
العزيزة ان شاء الله بنظرها الشر يف وفضلها الغني عن التعريف * تبسط له من العناية مهاد * وتفتح
له في جانب القبول آما دافق فصحها الدلة على رسوخه واشهادها في سوقها تنفق بضائع الكتاب * وعلى
حضرته تتركف ركائب العلوم والآداب * ومن مدد بصائرهم المنيرة تنال القرايح والالباب * والله
يوزعنا شكر نعمتها ويوفر لنا حظوظ المواهب من رجتها * ويعيننا على حقوق خدمتها * ويجعلنا من
السابقين في ميدانها المحلين في حومتها * ويضفي على اهل اياتها وما يرى من الاسلام الى حرم عمالتها *
لبوس جسايتها وحرمتها * وهو سبحانه المسؤول ان يجعل اعمالنا خالصة في وجهتها * بريئة من شوائب
العفلة وشبهتها وهو حسبنا ونعم الوكيل

(١) المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والامام اعلم ما يعرض
للمؤرخين من المغالط والاهام وذكري من اسبابها)

(اعلم) ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جرم الفوائد شريف الغاية اذهب يوقنا على احوال الماضين
من الامم في اخلاقهم * والانبياء في سيرهم * والملوك في دولهم وسياساتهم * حتى تتم فائدة الاقتداء
في ذلك لمن يروم في احوال الدين والديانة ومحتاج الى ما تخدمه متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر
وتثبت يقضيان بصاحبها الى الحق وينسكان به عن المزال والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد
النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا في
الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فمن علم يؤمن فيها من العنور وزلة القدم والمجيد عن جادة
الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على
مجرد النقل غنا أو سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بعيار الحكمة والوقوف
على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوها عن الحق وقاها في بقاء الوهم والمغالط
سعيها في احصاء الاعداد من الاموال والعسا كرا اذا عرضت في الحكايات اذهي مظنة الكذب ومطية
الهدى ولا بد من ردها الى اصول وعرضها على القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في
جيوش بني اسرائيل وان موسى عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطبق سجل السلاح خاصة
من ابن عشر بن فافوقها فكانوا ثمانية الف او يزيدون ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام
واتساعها مثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصنة من الحامية تتسع لها وتقوم

(١) قوله الفارسية أي المنسوبة الى الامير ابي فارس المتقدم ذكره اه

الاستدراك ولا وزير
الاستدراك ولا رئيس الا
استحسنه واستوسده
عصمة لمن عمل به من الملوك
وأهل الرياسة وخبنة لمن
تخصن به من اولى الامر
والسياسة وجمال لمن تحلى
به من أهل الآداب
والخاضرة وعنوان لمن
فاوض به من أهل المجالسة
والذاكرة (وسميته سراج
الملوك) يستغنى به الحكيم
بدراسة من مباحثه
الحكماء والملوك عن
مشاورة الوزراء (واعلموا)
وفقهكم الله ان احق من
أهديت اليه الحكم
وأوصلت اليه النصائح
وجعلت اليه العلوم من آثامه
الله سلطانا فنفذ في الخلق
حكمه وجاز عليهم قوله
(ولما رأيت) الاجل
المأمون تاج الخلافة عز
الاسلام نحر الانام نظام
الدين خالصة امير
المؤمنين ابا عبد الله محمد
الاموي ادام الله لا عزاز
الدين نصره وأئمة في
العالمين بالحق أمره واوزع
كافة الخلق شكره وكفاهم
فيه محذوره ووضعه فقد
تفضل الله تعالى به على
المسلمين فبسط طيفهم يده
ونشر في مصالح احوالهم
كلمته وعرف الخاص والعام بمنه وبركته وتقدرا مورا الرعية وسار فيهم على أحسن قضية
متعبر بالصواب راغب في الثواب طاب السبيل العدل ومنهج الانصاف والفضل رغبته ان اخصه بهذا الكتاب فجله لطف الله تعالى يوم

يُجَدُّ كُلُّ نَفْسٍ مَنَافِعَ مَنْ خَيْرَ مَحْضَرٍ أَوْ مَنَافِعَ مَنْ سَوَّيْتُمْ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُمَا بَيْعٌ أَوْ لَمْ يَكُنْ فَضَائِلُهُ وَمَحَاسِنُهُ مَبْقَى الدَّهْرِ كَمَا قِيلَ
النَّاسُ يَهْدُونَ عَلَى قَدَرِهِمْ * لَكِنِّي أَهْدِي عَلَى قَدَرِي يَهْدُونَ مَا يَفْنَى وَأَهْدِي الَّذِي (٧) * يَبْقَى عَلَى الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ

فَانِ الْعِلْمَ عَصِيَّةَ الْمُلُوكِ
وَالْأَمْرَاءَ وَمَعْقِلَ السَّلَاطِينِ
وَالْوُزَرَ لِأَنَّهُ يَمْنَعُهُمْ مِنَ
الظُّلْمِ وَيُرْزِقُهُمُ إِلَى الْحُكْمِ
وَيَصُدُّهُمْ عَنِ الْإِثْمِ
وَيُعْطِيهِمْ عَلَى الرِّعْيَةِ ذُرَّ
حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
وَيَكْرَهُوا جَلَّتَهُ وَيَسْتَبْطِنُوا
أَهْلَهُ (وَهَذِهِ) أَبْوَابُ هَذَا
الْكِتَابِ وَعَدَّتْهَا أَرْبَعَةٌ
وَسِتُونَ بَابًا الْبَابُ الْأَوَّلُ
فِي مَوَاقِفِ الْمُلُوكِ الْبَابُ
الثَّانِي فِي مَقَامَاتِ الْعُلَمَاءِ
وَالصَّالِحِينَ عِنْدَ الْأَمْرَاءِ
وَالسَّلَاطِينِ الْبَابُ الثَّلَاثُ
فِي مَا جَاءَ فِي الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ
وَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَرَرِ
وَالْخَطَرِ الْبَابُ الرَّابِعُ فِي
مَعْرِفَةِ مَلِكِ سُلَيْمَانَ بْنِ
دَاوُدَ وَوَجْهَ طَلَبِهِ لِلْمَلِكِ
وَسُؤَالِهِ أَنْ لَا يُؤْتَاهُ أَحَدٌ مِنْ
بَعْدِهِ الْبَابُ الْخَامِسُ فِي
فَضْلِ الْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ إِذَا
عَدِلُوا الْبَابُ السَّادِسُ فِي
أَنْ السَّلَاطَانَ مَعَ رِعْيَتِهِ
مَغْبُورٌ غَيْرُ غَائِبٍ وَخَاسِرٌ
غَيْرُ رَاجِعٍ الْبَابُ السَّابِعُ فِي
بَيَانِ الْحِكْمَةِ فِي كَوْنِ
السَّلَاطَانِ فِي الْأَرْضِ الْبَابُ
الثَّامِنُ فِي مَنَافِعِ السَّلَاطَانِ
وَمَضَاهِ الْبَابُ الثَّاسِعُ فِي
مَعْرِفَةِ مَنَزَلَةِ السَّلَاطَانِ مِنَ
الرِّعْيَةِ الْبَابُ الْعَاشِرُ فِي
مَعْرِفَةِ نَحْوِ خَصَالِ وَرَدِ

بِوَظَائِفِهَا وَتَضَيُّقِ عَمَلِهَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَأْلُوفَةُ ثُمَّ أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الْجَيُوشِ
الْبَالِغَةُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَحْفٌ أَوْ قِتَالٌ لَضَيْقِ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبَعْدَهَا إِذَا اصْطَلَقَتْ
عَنْ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَأَزِيدَ فَكَيْفَ يَقْتُلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ أَوْ تَكُونُ غَلْبَةُ أَحَدِ الصَّغِيرَيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ
جَوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْآخَرِ وَالْحَاضِرُ يَشْهَدُ بِذَلِكَ قَالِمَا ضَى أَشْبَهَ بِالْآتِي مِنَ الْمَسَاءِ بِالْمَسَاءِ (وَلَقَدْ كَانَ)
مَلِكُ الْفَرَسِ وَدَوْلَتُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلْبِ بَخْتَصَرِ لَهُمْ وَالتَّهَامَةِ
بِلَادِهِمْ وَاسْتِيلَاةِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَحْرِيبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَاعِدَةُ مَنَتَهُمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ مِنْ بَعْضِ عَمَالِ عِلْمِ كَلِمَةِ
فَارِسٍ يَقَالُ أَنَّهُ كَانَ مَرْزَبَانُ الْمَغْرِبِ مِنْ تَحْوِمِهَا وَكَانَتْ عَمَالِكُهُمْ بِالْعِرَاقِينَ وَخِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابِ
أَوْسَعُ مِنْ عَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جَيُوشُ الْفَرَسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ
وَأَكْثَرُ مَا كَانَتْ جُوعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةً وَعِشْرُونَ أَلْفًا كُلَّهُمْ مَتَّبِعُونَ عَلَى مَا نَقَلَهُ عَنْ سِيفٍ قَالَ وَكَانُوا فِي
اتِّبَاعِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ (وَعَنْ عَائِشَةَ وَالرَّهْرِي) أَنْ جُوعَ رَسْتَمِ الَّتِي زَحَفَ بِهَا السَّعْدُ بِالْقَادِسِيَّةِ إِذَا
كَانُوا سِتِينَ أَلْفًا كُلَّهُمْ مَتَّبِعُونَ وَأَيْضًا قُلُوبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَا تَسْعُ نَطاقَ مَلِكِهِمْ وَاتَّسَعَتْ
مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَانِ الْعَمَالَاتُ وَالْمَالُ فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَمَامَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قِلَّتِهَا وَكَثْرَتِهَا
حَسَبَ مَنَانِينَ فِي فَصْلِ الْمَالِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمُ لَمْ تَسْمَعْ عَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأَرْدَنِ وَفِلَسْطِينَ مِنَ
الشَّامِ وَبِلَادِ ثَرْبٍ وَخَيْرٍ مِنَ الْجَزَائِرِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى وَاسْرَائِيلَ أَعْلَاهُ وَأَرْبَعَةٌ
آيَاتُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَانِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ قَاهِثَ بَقْعَةِ الْمَسَاءِ وَكُسْرُهَا بِنُ لَا وَى بِكُسْرٍ
الْوَاوِ وَفَتْحُهَا بِنُ يَعْقُوبَ وَهُوَ اسْرَائِيلُ اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ الْمَسْمُوعُ وَدَى قَالَ
دَخَلَ اسْرَائِيلُ مِصْرَ مَعَ وَلَدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادُهُمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ إِلَى أَنْ
خَرَجَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْيَمِينِ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً تَتَدَاوَلُهُمْ مِلُوكُ الْقَبِيضَةِ مِنَ الْفِرْعَانَةِ وَيَبْعُدُ أَنْ
يَتَشَعَّبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَأَنْ زَعَمُوا أَنَّ مَدَدَ تِلْكَ الْجَيُوشِ إِذَا كَانَ فِي زَمَنِ
سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا أَذَلِيسَ بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَاسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدَ عَشَرَ أَبَاقَانَهُ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ
ابْنِ إِسْهَابَ بْنِ عَوْفِيَّةَ وَيُقَالُ بِنُ عَوْفِ بْنِ بَاغَزٍ وَيُقَالُ بُوَعَزُ بْنُ سَهْلٍ بُونُ بْنُ نَحْشُونَ بْنِ عِمِّي وَتُؤَدَّبُ وَيُقَالُ
جَمِينًا ذَابَ بِنُ رَمَ بِنُ حَصْرُونَ وَيُقَالُ حَصْرُونَ بِنُ يَارِسَ وَيُقَالُ يَارِسَ بِنُ يَهُوذَا بِنُ يَعْقُوبَ وَلَا يَتَشَعَّبُ
النَّسْلُ فِي أَحَدٍ عَشَرَ مِنَ الْوَلَدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُ إِلَى الْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفِ فَرِمَا يَكُونُ وَأَمَّا
أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُ مَا مِنْ عَقْدٍ أَوْ أَعْدَادٍ فَبَعِيدٌ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ
فَيَجِدُ زَعْمَهُمْ بِاطْلَاؤِ نَقْلِهِمْ كَاذِبًا (وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْأَسْرَائِيلِيَّاتِ) أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنًا عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً
وَأَنْ مَقَرَّ بَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا أَرْبَعَةً مِائَةً فَرَسَ مَرْتَبَةً عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الْحَكِيمُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى
خَرَافَاتِ الْعَامَةِ مِنْهُمْ (وَفِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا كُنْ) كَانَ عِنْدَهُ دَوْلَتُهُمْ وَاتَّسَعَ مَلِكُهُمْ هَذَا وَقَدْ نَجَّدَ
السَّكَاةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكَرِ الدُّوَلِ الَّتِي أَعْدَدَهُمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَقَاوَضُوا
فِي الْأَخْبَارِ عَنْ جَيُوشِ الْمَسْلُومِينَ وَالنَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي أَحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاتِ وَخَرَاجِ السَّلَاطَانِ
وَنَفَقَاتِ الْمُتَرَفِينَ وَبَضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمَوْسَرِينَ تَوَعَّلَوْا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ الْعَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسُوا
الْأَغْرَابَ (١) فَازَا السَّكَاةُ كَفَتْ أَصْحَابُ الدُّوَلِ عَنْ عَسَاكَرِهِمْ وَاسْتَنْبَطَتْ أَحْوَالُ أَهْلِ الثَّرْوَةِ فِي
بَضَائِعِهِمْ وَفَوَائِدِهِمْ وَاسْتَجْلَيْتْ عَوَائِدُ الْمُتَرَفِينَ فِي نَفَقَاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مَعِشَارَ مَا يَعْدُونَهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَوْلُوعِ النَّفْسِ

(١) قَوْلُهُ الْأَغْرَابُ بِكُسْرِ الهمزة اه

الشرع بها فيها نظام الملك والدول الباب الحادي عشر في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها الباب الثاني عشر
في معرفة الخصال التي فيها نظام الملك والدول الباب الثاني عشر في معرفة الخصال التي هي قواعد السلطان ولا يثبت له دونها الباب الثاني عشر

انها لاتدوم معها ملكة الباب الرابع عشر في الخصال الموجودة في السلطان وقد اتفقت الحكما والعلماء على ان الباب الخامس عشر في معرفة الخصال التي يعز بها (٨) السلطان الباب السادس عشر في معرفة الخصال التي هي ملك امور السلطان

بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمتباعد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يبالها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزوا ويشترى له والمحدث ليضل من سبيل الله وحسبك بها صفقة خاسرة (ومن الاخبار الواهية للوردين) ما يتقلونه كافة في اخبار التبابعة ملوك اليمن وخزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب وان افريقية بن قيس بن قيس بن صيفي من اعظم ملوكهم الاول وكان له مديونية عليه السلام اوقبله بقليل غزا افريقية وانغن في البربر وانه الذي سمعاهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البربر فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وانه لما انصرف من المغرب بجز هنالك قبائل من حمير فاقاموا بها واختلطوا باباها ومنهم صنهاجة وكتامة ومن هذا ذهب الطبري والبحر جاني والمسعودي وابن السكبي والبيهي الى ان صنهاجة وكتامة من حمير وتاباه نسابه البربر وهو الصحيح (وذكر المسعودي ايضا) ان ذالاذعار من ملوكهم قبل افريقية وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودونخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وانه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلحا كالكثر الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبسج الاخر وهو اسعد ابوكرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل واذر بيجان ولقي الترك فهزمهم وانغن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وانه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بنيهم بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد امم الترك وراه النهر والى بلاد الروم فلما كان في سمرقند وقطع المقازة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي نزل الى سمرقند قد سبقه اليها فانحنى في بلاد الصين ورجع عاجيا بالغنائم وتركوها بلاد الصين قبائل من حمير فمهم بها الى هذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدوسها ودوخ بلاد الروم ورجع (وهذه الاخبار) كلها بعيدة عن الصحة عريضة في الزعم والغلط واشبه باحاديث القصص الموضوعة وذلك ان ملك التبابعة انما كان بخزيرة العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليمن وخزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس المساطب منه الى البصرة من المشرق وبحر السويس المساطب منه الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد السالكون من اليمن الى المغرب طريقا من غير السويس والمسالك هنالك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قد مررتين فيا دونهما وبيعدان يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عسا كرم وفورة من غير ان تصير من اعماله هذا الممتنع في العادة وقد كان بتلك الاعمال العمالة وكنعان بالشام والقيط بمصر ثم ملك العمالة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التبابعة حاربوا احدا من هؤلاء الامم ولا ملكا ولا شيئا من تلك الاعمال وايضا فالشقة من البحر الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعسا كرم كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم اجتاحوا الى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيمسيرون عليه ولا يكتفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من اعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله فلا بد وان يمر في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العسا كرم بؤلا الامم من غير ان تيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالة فذلك بعد واشد امتناعا فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة (واما) وادي الرمل الذي يجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة السالكين ومن يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله واما غزوه بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسالك السويس الا ان الشقة هنا بعد واما فارس والروم معترضون

الباب السابع عشر في معرفة خير السلطان وشرف السلطان الباب الثامن عشر في معرفة منزلة السلطان من القرآن الباب التاسع عشر في معرفة خصال جامعة لامر السلطان الباب العشرون في معرفة الخصال التي هي اركان السلطان الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم الباب الثاني والعشرون في وصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه لاكميل ابن زياد في العلم الباب الثالث والعشرون في معرفة العقل والديهام والمسكر الباب الرابع والعشرون في الوزراء وادصارهم الباب الخامس والعشرون في المجلساء وادابهم الباب السادس والعشرون في معرفة الخصال التي هي جمال السلطان الباب السابع والعشرون في المشاورة والنصيحة الباب الثامن والعشرون في الحلم ومحاسنه محمود عواقبه الباب التاسع والعشرون في ما يسكن به الغضب الباب الثلاثون في الجود والسخاء الباب الحادي والثلاثون في

معرفة الشجع والبخل وما يتعلق بهما الباب الثاني والثلاثون في معرفة الصبر وجعل عواقبه الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر ومحاسنه الباب الرابع والثلاثون في بيان الخصلة التي هي رهن لسائر الخصال فيها

وزعيم بالمر يذمن الالاه والنعماء من ذي الجلال وهي الشكر الباب الخامس والثلاثون في بيان السيرة التي يصلح عليها الامير والمأمور
وتسهل صحة الخلائق اجمعين الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية (٩) كمال السلطان وشفاء الصدور وراحة

القلوب وطبقة النفوس
الباب السابع والثلاثون
في معرفة الخصلة التي هي
ملك الملوك عند الشدائد
ومعقل السلاطين عند
اضطراب الممالك الباب
الثامن والثلاثون في بيان
الخلصة الموجبة لدم الرعية
للسلطان الباب التاسع
والثلاثون في مثل السلطان
العاقل والجار البساب
الاربعون فيما يجب على
الرعية اذا جارا سلطان
الباب الحادي والاربعون
في كتاب كونوا يولى عليكم
الباب الثاني والاربعون
في بيان الخصلة التي بها
تصلح الرعية الباب الثالث
والاربعون فيما يملك
السلطان من الرعية الباب
الرابع والاربعون في
التحذير من صحة السلطان
الباب الخامس والاربعون
في صحة السلطان الباب
السادس والاربعون في
سيرة السلطان مع الجند
الباب السابع والاربعون
في سيرة السلطان في استجابه
الخارج الباب الثامن
والاربعون في سيرة السلطان
في الاتفاق من بيت المال
الباب التاسع والاربعون
في سيرة السلطان في بيت
المال الباب العاشر في

فيما دون الترك ولم ينقل قط أن التباينة مذكورة ولا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس
على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والبحيرة والبحيرة بين دجلة والفرات وما بينهم ما في الاعمال
وقد وقع ذلك بين ذي الانصار منهم وكياوس من ملوك الكيانية وبين تبع الاصغر أبو كرب ويستأسف
منهم أيضا ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجاورة ارض فارس بالغزو الى بلاد
الترك والتب وهو بمنع عادة من أجل الأمم المترصنة منهم والحاجة الى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة
كما رفا لا خيار بذلك واهبة مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم
تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحق في خبر يثرب والاوز والخزرج ان تبعه الاخر سار الى المشرق
محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتب فلا يصح غزوهم اليها بوجه ما تقر رفا لا تنقل
بما يلقى اليك من ذلك وتأمل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تحجبها بأحسن وجه والله
المسادي الى الصواب

(فصل) وأبعد من ذلك وأمرق في الوهم ما يثناقله المفسرون في تفسير صورة والفجر في قوله تعالى
الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجب ان يكون لفظة ارم اسماً للمدينة وصفت بأنها ذات عماد أي
أساطين وينقلون أنه كان عماد بن عوض بن ارم ابنان هما شديداً وشداد مملكان بعده وهما شديداً
نخاس الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن ميثاق فبني مدينة ارم في صحارى عدن
في مدة ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب وأساطينها من
الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الشجر والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها أهل مملكته حتى اذا كان
منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صحيفة من السماء فهاكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والتهالبي
والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل له
فوقع عليه او جعل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره وقص عليه فبحث عن كعب الاحبار
وسأله عن ذلك فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أجراً شقراً قصيراً على حاجبه
خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التقت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه
المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في
وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقباً والادلاء تنقص طرقة من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها
أحد من الاخباريين ولا من الأمم ولو قالوا انها درست فيمادرس من الآسار لكان أشبهه إلا أن ظاهر
كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم
الى انها غائبة وإنما يعثر عليها أهل الرياضة والمعرفة من كمال الشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين على
ذلك ما اقتضته صناعة الاعراب في لفظة ذات العماد أنها صفة ارم وجعلوا العماد على الاساطين فتعين ان
يكون بناء ورثع لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على تلك الحكايات
التي هي أشبه بالاقاصيص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المنقولة في عداد المضحكات والافالعماد
هي عماد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا بدع في وصفهم بانهم أهل بناء واساطين على
العموم بما لا يشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في مدينة معينة او غيرها وان اضيق كما في قراءة ابن الزبير
فعل على اضافة الفصيحة الى القبيلة كما تقول قريش كنانة والياس مضر وربيعة نزار واني ضرورة الى هذا المثل
البعيد الذي تجلت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها ابداً عن الصحة

(٣ - ابن خلدون) سيرة السلطان في تدوين الدواوين وفرض الارزاق وسيرة العمال الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل
الذمة الباب الثاني والخمسون في بيان الصفات المعتبرة في الولاة الباب الثالث والخمسون في بيان الشروط والاهل والذات التي تؤخذ على العمال

الباب الرابع والخمسون في هدايا العمال والرشاع على الشفاعات الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق الباب السادس والخمسون في الظلم وشؤمه وسوءه (١٠) عاقبته الباب السابع والخمسون في السعاية والنميمة وقبحهما وما يؤل إليه أمرهما من

الافعال الرديئة والعواقب الذميمة الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته الباب التاسع والخمسون في الفرج بعد الشدة الباب الستون في الشجاعة وثمراتها الباب الحادي والستون في الحروب وتدابيرها الباب الثاني والستون في القضاء والقدر وأحكامهما الباب الثالث والستون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم الباب الرابع والستون يشتمل على حكم مشهورة وهوا نثر الكتاب وكما لا الأبواب

باب الاول في مواضع الملوك * لقد خاب من كان حظه من الله الدنيا علم ايها الرجل وكلنا ذلك الرجل ان يقول الملوك وان كانت كبارا الا انها مشغوفة بكثرة الاشغال فستدعي من الموعظة ما يتوجع على تلك الافكار ويتغلغل في مكان تلك الاسرار فيرفع تلك الاستار ويفتك تلك الكنيسة والاقفال ويصقل ذلك الصدا والران قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف الله تعالى جميع

(ومن الحكايات) المدخولة للأورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد لبرامكة من قصة العباسية اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكافه بمكانه ما من معاقبته اياهما الخراج اذن لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصا على اجتماعهما في مجلسه وان العباسية تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفه من حبها حتى واقعها زعوا في حالة سكر فحماها وشي بذلك للرشيد فاستغضب وبعثت ذلك من منصب العباسية في دينها وابو يها ووجلا لها وانها ابنت عبد الله بن عباس ليس بينهما وبينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة من بعده والعباسية بنت محمد المهدي ابن عبد الله أبي جعفر المنصور ابن محمد المجاهد ابن علي ابني الخلفاء ابن عبد الله ترجان القرآن ابن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ابنة خليفة انت خليفة محقة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته وامامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريية عهد يداد العروية وسداحة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراعات القواش فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب عنها اواين توجد الطهارة والذكاء اذا فسد بيتها وكيف تلجم نسيب الجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالى العجم بأكبر جده من الفرس او بولاه جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش وغايتها ان جذبت دولتهم بضربه وضبح ابيه واستخاضتهم ورتبهم الى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالى الا عجم على بعد همته وعظم آثائه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المصنف وقاس العباسية بأكبر ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف له عن مثله مع مولى من موالى دولتها وفي سلطان قومها واستنكف كره في تكذيبه واثبت قدر العباسية والرشيد من الناس وانما نكيب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتياجهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب التيسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمورهم بأكبر فعظمت آثارهم وبعده صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم يقال انه كان يدار الرشيد من ولدي يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاجوا فيها أهل الدولة بالملكا كب ودفعوهم عنها بالراح لا كان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على امره وكان يدعوه يا ابت فتوجه الاثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانسبط الجماعة عندهم وانصرفت فجوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الامال وتخطت اليهم من اقصى النجوم هدايا الملوك وتحف الامراء وسيرت الى خزانهم في سبيل الترف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوه من المنى وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا المعاني ومدحوا بما لم يدح به خليفتهم واسنوا لعقائهم الجواهر والصلاة واستولوا على اقمري والضباب من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفوا البيطانية واحقدوا الخاصة واغصوا أهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد وفتت الى مهاهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو تحطبة اخوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعفهم ما وقر في نفوسهم من الحسد واطف الرحم ولا وزعتهم اواصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة والاستنكاف من الحرج والانفة وكان من الحقود التي بعثت منهم صغائر الدالة وانتهى بها الاصرار على شأنهم الى كبر اثر الخالفة كقصتهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخى محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الخارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزل الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل لهم

الدنيا بامتناع قليل وانت تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان تمتعت به ولم تعص الله فيه فهو له وفيه واعب قال الله تعالى انما الحياة الدنيا لهو ولعب ثم قال وان الدار الاخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تتبع ايماء القليل اعياقهم لا

يقني بحياة الابد حياة لا يقني وشباب لا يقني كما قال الفضيل رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يقني وكانت الآخرة خرفا يقني لوجب ان تختار خرفا يقني على ذهب يقني فكيف وقد اخترنا خرفا يقني على ذهب يقني تأمل بعقلك (١١) هل آتاك الله من الدنيا ما آتى سليمان بن

داود عليهم السلام حيث آتاه ملك جميع الدنيا والانس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ثم زاده الله ما هو أعظم منها فقال تعالى هـ ذاعطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عـ دها زعمة كما عدتوها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتوها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليباركني في أمي أكفروا هذا فضل الخطاب لمن تدبر أن يقول له ربه في معرض المنة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ثم خاف سليمان عليه السلام ان يكون استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولست اهل الدنيا فوزبك لنسألكم اجعين عما كانوا يعملون وقال وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين تأمل بعقلك ما روي عن النبي عليه السلام انه قال لو كانت الدنيا ترز عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وألق سمك الى ما نزل به جبريل عليه السلام من عند الله تعالى على محمد عليه السلام فقال يا محمد ان الله

فيه ألف ألف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحسبه مدة ثم جعله الدالة على تخلية سبيله والاستبداد بحل عقاله حرما لدماء اهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه * وسأله الرشيد عنه لما وشي به اليه فظن وقال أطلقته فأبدي له وجه الاستحسان وأسرها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نزل عرشهم والقيت عليهم سمأ وأهم وخسفت الارض بهم وبادرهم وذهبت سلفا ومثالا لا تخرب ايامهم ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر عند الاسباب (وانظر) ما نقله ابن عبدربه في مقاضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن كتبهم وما ذكره في باب الشعر من كتاب العقد في محاوراة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم تتقهم انه انما قتلهم الغيرة والمنافقة في الاستبداد من الخليفة فن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيمادسوه للغنين من الشعر احتيالا على اسماعه لا خلفه وتحريك حفاظهم وهو قوله

ليت هذا انجز تمام تعد * وشفت أنفسنا ما نجد

واستبدت مرة واحدة * انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجز حتى بعثوا بامثال هذه كامن غيرته ووساطوا عليهم بأش انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال (وأما) مآله به الحـ كاية من معاقرة الرشيد الخمر واقترا ن سكره بسكر الندمان فحاش لله ما علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لئلا يصب الخلافه من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض وابن السكيت والعمرى ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والحفاظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها (حكى) الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن أبي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلوة لما سمعه يقرأ ومالي لأعبد الذي فطرني وقال والله ما أدري لم فاعمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت اليه مغضبا وقال يا ابن أبي مريم في الصلوة أيضا اياك والقرآن والدين ولك ماشئت بعدهما وايضا فقد كان من العلم والسذاجة كان لقرب عهد من سلفه المنتحايين لذلك ولم يكن بينه وبين جده ابي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاما وقد كان ابوجه جعفر بمكان من العلم والدين قبل الخلافه وبعدهما وهو القائل لما لك حين اشار عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك وانى قد شغلتنى الخلافه فضع أنت للناس كتابا يستقون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشـ داند ابن عمر ووطئه للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد أدركه انه المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوم ما هو بمجلسه يباشر الخياطين في ارقاع الخلقان من ثياب عباله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا أمير المؤمنين على كسوة العيال عامنا هذا من عطائي فقال له لك ذلك ولم يصدده عنه ولا سمح بالاتفاق من أموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأبوتيه وما ربي عليه من امثال هذه السير في أهل بيته والتخاق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد وآبؤه كانوا على نهج من اجتناب المذمومات في دينهم ودنياهم والتخاق بالحماد وادواف الكمال ونزعات العرب (وانظر) ما نقله الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطبيب حين أحضره السمك في مائدة فخما عنه ثم امر صاحب المائدة

يقول لك عشم ماشئت فانك ميت وأخبيب من شئت فانك مفارقة وعمل ماشئت فانك مجزى به فانظر ما اشتمت عليه هذه الكمات من تضرع العمر وفراق الاحبة والجزاع على الاعمال فالولم ينزل من السماء غير ما كانت كافية انظر بفهمك الى ما رواه الحسين ان

الشي عليه السلام من منزل قوم قد ارتحلوا عنه واذا طلاء مطروح فقال أنزون هذا ان على اهلنا فقالوا من هو انه عليهم القوم قال قوالذي
نفسى بيده لالدينا همون على الله من هذا (١٢) على اهلنا فجعل الدنيا همون على الله من الجيعة المطروحة وقال ابو هريرة قال لي النبي

بجمله الى منزله وفطن الرشيد وارتاب به ودس خادمه حتى عاينه يتناولها فاعدا بن بجته يشوع للاعتذار
ثلاث قطع من السمك في ثلاثة اقداح خلطها بالبحر بالثوبل والبقول والبر والحولى وصب
على الثانية ماء ملحا وعلى الثالثة خمر صر فاو قال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان خلط السمك
بغيره اولم يخطئه وقال في الثالث هذا طعام ابن بجته يشوع ودفعها الى صاحب المائدة حتى اذا انتبه الرشيد
واحضره للتوبيخ احضر الثلاثة الاقداح فوجد صاحب الخمر قد اختلط واماع وتفتت ووجد الاخرين
قد فسدوا تغيرت رائحتهم ما فكانت له في ذلك معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت
معروفة عند بطائنه واهل مائده ولقد ثبت عنه انه عهد بحبس ابى نواس لما بلغه من انهما كه في المعاقرة
حتى تاب واقبل وانما كان الرشيد يشرب نبيذ القرم على مذهب اهل العراق وقتاويهم فيها معروفة واما
الخمر الصر فلا سبيل الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن الرجل بحيث يواقع محرما من
اكبر الكائنات عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملاسهم
وزينتهم وسائر متناولاتهم كانوا عليه من خشونة البدوة وسذاجة الدين التي لم يمارقوها بعد فاطنك
بما يخرج عن الاباحة الى المحظور وعن المحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم
على ان جميع من سلف من خلفاء بني امية وبني العباس انما كانوا يربكون بالحلية الخفيفة من الفضة في
المناطق والسيوف واللجم والسروج وأن اول خليفة احدث الر كوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل
ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضا في ملاسهم فاطنك بمشاربهم ويتبين ذلك باتهم من هذا
اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البدوة والغضاضة كما نشرخ في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله
والله الهادي الى الصواب (ويناسب) هذا او قريب منه ما يتقوله كافة عن يحيى بن اكرم قاضي المأمون
وصاحبه وانه كان يعاقب المأمون الخمر وانه سكر ليله مع شر به فدفن في الریحان حتى افاق وينشدون على
لسانه

ياسيدي وأمير الناس كلهم * قد جاري حكمه من كان يسقيني
اني غفلت عن الساق قصيرني * كما تراني سليب العقل والدين

وحال ابن اكرم والمأمون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان النديذولم يكن محظورا عندهم واما
السكر فليس من شأنهم وصحابة للمأمون انما كانت خلة في الدين ولقد ثبت انه كان يتام معه في البيت
ونقل من فضائل المأمون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة عطشان فقام يتحسس ويلتمس الاناء مخافة ان
يوقظ يحيى بن اكرم وثبت انهما كان يصليان الصبح جميعا فبين هذا من المعاقرة وايضا فان يحيى بن اكرم
كان من عليا اهل الحديث وقد اثني عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه
الجامع وذكر المزي الحافظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع قال قدح فيه قدح في جميعهم وكذلك ما ينزه
الحجج بالميل الى العلم انهم اتانا على الله وقرية على العلماء ويستندون في ذلك الى اخبار القصاص الواهية
التي اعلمها من افتراء أعدائه فانه كان محسودا في كماله وخلته للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزها
عن مثل ذلك ولقد ذكر لابن حنبل ما يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر
ذلك انكارا شديدا واثني عليه اسمعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله
بتكذب باغ وحاسد وقال ايضا يحيى بن اكرم ابرأ الى الله من أن يكون فيه شيء مما كان يرمى به من أمر
العلماء ولقد كنت اقف على سريره فأجده شديدا الخوف من الله لكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق
فرمى بخارجي به وذكروا ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكي عنه لان اكثرها لا يصح عنه (ومن

عليه السلام الارياك
الدنيا جعلا بها فيها قلت
بلى قال فاتخذ بيدي واتي بي
الى وادم من اودية المدينة
فاذا فريلة في هاروس الناس
وعذرات وخرق بالية
وعظام البهائم ثم قال يا ابا
هريرة هذه الرؤس كانت
تعرض على الدنيا كخرصكم
وتأمل آمالكم ثم هي اليوم
تساقط خالدا بلا عظم ثم
هي صائرة وما دار مدا
وهذه العذرات الوان
اطعمتهم اكتبوها
من حيث اكتبوها ثم
قد فوها في بطونهم فاصبحت
والناس يتخامونها وهذه
الحرق البالية قرياشهم
واباسهم ثم اصبحت
والرياح تصفها وهذه
العظام عظام ذوابهم التي
كانوا يتبعون عابا اطراف
البلاذ فمن كان با كيا على
الدنيا فليبهك قال فما
برحنا حتى اشتد بكائنا
(وقال ابن عمر) اخذ
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيض جسدي فقال
يا عبد الله كن في الدنيا
كانك غريب او كعابر
سبيل واحد نفسك في
الموتى يا ايها الرجل ان
كنت لا تدري متى يفجؤك
الاجل فلا تغتر بطول الامل

فانه يقي القلب ويفسد العمل وقد عير الله اقواما مد لهم في الاجل فقسمت منهم القلوب وطال منهم الامل
فقال تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامل

فقت قلوبهم وكثير منهم فاسقون احسنت ظنك بالايام اخسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر وسألتك الليالي فاعترت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر يا ايها الرجل التي الى سمك وارتع ليك (١٣) فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن *

بانك لا تبقى الى آخر الدهر
ابن آدم ابن آدم ابو
الاولين والاخرين ابن
نوح شيخ المرسلين ابن
ادريس رفيع العالمين
ابن ابراهيم خليل الرحمن
ابن موسى الحكيم من
بين النبيين والمرسلين ابن
عيسى روح الله وكنهه رأس
الزاهدين وامام الساتحين
ابن محمد خاتم النبيين
وحبيب رب العالمين وسيد
الاولين والاخرين ابن
اصحابه الابرار المنتجبون
ابن الامم الماضية ابن
الملوك السالفة ابن القرون
الخالية ابن الذين نصبت
على مفارقهم التجان ابن
الذين اغتروا بالاجناد
والسلطان ابن اصحاب
السطوة والولايات ابن
الذين خفقت على رؤسهم
الاولية والرايات ابن
الذين قادوا الجيوش
والعساكر ابن الذين
عمرو القصور والديار
ابن الذين أعطوا النصر
في مواطن الحرب
والمواقف ابن الذين دانت
لهم المشارق والمغرب ابن
الذين تمتعوا في الاذات
والمسا رب ابن الذين
اسرفوا على الخلائق كبرا
وعتيا ابن الذين راحوا في

امثال هذه الحكايات) مائة له ابن عبدربه صاحب العقد من حديث الزبير في سبب اصهار المأمون
الى الحسن بن سهل في بتمبوران وانه عثر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زبير مدلى من
بعض السطوح بمغالي وجدل مغارة القتل من الحرير فاعتقده وتناول المغالي فاهترت وذهب به صعد الى
مجلس شأنه كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد ابنته وجمال رؤيته ما يستوقف الطرف ويملك النفس
وان امرأة برزت له من خلل الستور في ذلك المجلس رائقة الجمال فتانة الحسن فحبته ودعته الى المنادمة
فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حبا بعثه على
الاصهار الى ايها وابن هذا كله من حال المأمون المعروفة في دينه وعلمه واقتفائه من الخلفاء الراشدين
من آباءه وأخذه بسير الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته للعلماء وحفظه لحدود الله تعالى في صلواته
وأحكامه فكيف تصح عنه احوال القساق (١) المستهترين في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان
السمير سبيل عشاق الاعراب وابن ذلك من منصب ابنة الحسن بن سهل وشرفها وما كان يدارأيهم امن
الصون والعفاف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها
والحديث بها الانهمالك في اللذات المحرمة وهتك قناع الخدوات ويتعلمون بالناسي بالقوم فيما يأتونه من
طاعة لذاتهم فلذلك تراهم كثير امارا يلجئون باشباه هذه الاخبار ويتقرون عنها عند تصفحهم لا وراق
الدواوين ولوائسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللاتفة بهم المشهورة عنهم لكان خيرا لهم
لو كانوا يعلمون ولقد عدت يوما بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء ولوعه بالآوتار وقلت
له ليس هذا من شأنك ولا يليق بمنصبك فقال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه
الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلا تأسيت بابيه واخيه او ما رأيت كيف قعد
ذلك يا ابراهيم عن مناصبهم فصم عن عزلي وأعرض والله يهدي من يشاء (ومن الاخبار الواهية)
ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العميد بين خلفاء الشيعة بالتبديل وان القاهرة من نفهم
عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسمعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك
على احاديث افقت للضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا اليهم بالقبح فحين ناصبهم وتفتنا في السمات
بعدوهم حسب ما نذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويغفلون عن النقطة لشواهد الواقعة وادلة
الاحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعوائهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدا
دولة الشيعة ان ابا عبد الله المحتسب لما دعي بكامة للرضي من آل محمد واشهر خبره وعلم تحويه على عبيد الله
المهدي وابنه الى القاسم خشياعلى انفسهم ما قهر بان من المشرق محل الخلافة واجتازا مصر وانما خرجا من
الاسكندرية في ذي التجار ونفى خبرهما الى عيسى النوشري عامل مصر والاسكندرية فصرح في طلبهما
الخيلة حتى اذا أدركا في حالهما على تابعهما بما بالسوا به من الشارة والزي فافلتوا الى المغرب وأن
المعتضدا وعزالي الاغالبه امراء افرقية بالقيروان وبني مدرار امراء بجلماسة باخذ الافاق عليهم ما واذ كاه
العيون في طلبهما فكثر السبع صاحب بجلماسة من آل مدرار على خفي مكانهما ببلاده واعتقلهما مرضاة
للخليفة مذا قبل أن تظهر الشيعة على الاغالبه بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب
وافر يقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في عمالك الاسلام ثم
الابله وكادوا يلجئون عليهم مواطنهم ويأيلون من أمرهم ولقد اظهر دعوتهم ببغداد وعراقها الامير

(١) قوله المستهتر باشي بالفصح المولع به لا يبالي بما فعل به وشتم له والذي كثر ابا طيله اه قاموس

الجمال بكرة وعشما ابن الذين استلوا الملابس اثنا ثور يا ابن الذين ملكوا ما بين الخافقين فخر او عز ابن الذين فرشوا القصور وخرابوا
ابن الذين تضعفت لهم الارض هبة وهز ابن الذين استذلوا العباد قهرا ولزاهل تحس منهم من احدا وتسبح لهم ركن افانهم والله مقبي

الامم وابادهم مبيد الرعم واخرجهم من سعة القصور واسكنهم في ضنك القبور تحت الجنادل والاضحور فاصبحوا لا ترى الامسا كنهم
فعاث الدود في اجسادهم واتخذهم قايلا في ابدانهم (١٤) فسالت العيون على الحدود وامتلأت تلك الاقواء بالدود وتساقطت

الاعضاء وتمزقت الجلود
وتناثرت اللحوم وتقطعت
البطون فلم يبق لهم ما جعوا
ولا اغنى عنهم ما كسبوا
اسلمت الاحبة والاولياء
وهجرتك الاخوان
والاصفياء ونسيتك القرباء
والبعدهاء فامسيت ولو
نطق لا نشدت قولنا في
سكان الثرى ورمائن
الترب والابلى

البساسيري من موالى الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في مغاضبة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب
لهم على منابرها حولا كاملا وما زال بنو العباس يعصون بكانهم ودولتهم ومملوك بني أمية قوراء البحر
ينادون بالويل والخرب منهم وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في انتحال الامر واعتبر برحال
القرمطي اذ كان دعيا في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتباعه وظهر شره يعا على خبثهم ومكرهم
فساءت عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيديين كذلك لعرف ولو بعد مهلة
ومهم ما سكن عند امرئ من خليفة * وان خالها تخفى على الناس تعلم
فقد اتصت دولتهم نحو من مائتين وسبعين سنة ومسلكو امام ابراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن
الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجج ومهبط الملائكة ثم انقرض امرهم وشيعتهم في ذلك
كله على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والمحبة فيهم واعتقادهم بنسب الامام اسمعيل بن جعفر الصادق
ولقد خرجوا من اربع دهاب الدولة ودروس اثرها داعين الى بدعتهم هاتقين باسماء صديان من اعقابهم
يرفعون استحقاقهم للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية عن سلف قبلهم من الائمة ولوارثا يوافقونهم
ما ركبوا العناق الانحطاط في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امر ولا يشبه في بدعة ولا يكذب
نفسه فيما يتبعه (والعجب) من القاضي ابى بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين يجتنب الى هذه المقالة
المرجوحة ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك كما كانوا عليه من الالحاد في الدين والتعمق في
الرافضة فليس ذلك بدافع في صدور دعوتهم وايس اثبات منتسبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئا في كفرهم
فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك
به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظمها فاطمة اعلم فان اغنى عنك من الله شيئا ومتى عرف امر
قضية واستيقن امر اوجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال
الظنون الدول بهم وتحت رقبة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في القاصية بدعتهم وتكرار خروجهم
مرة بعد اخرى فلاذت رجالا تهم بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما سمي مادرت * وابن مكاني ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمي محمد بن اسمعيل الامام جده عبيد الله المهدي بالمكنوم سمته بذلك شيعتهم لما اتفقوا عليه من
اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم فتوصل شيعته بني العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم
وازدلفوا بهذا الراي القائل للاستضعفين من خلفائهم وأعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لمخروهم
مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلاطنتهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام
ومصر والحجاز من البربر الكناامين شيعته العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاء ببغداد بغيرهم
عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريفة الرضي واخوه المرتضى
وابن البطحاوي ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقنوري والصميري وابن الاكفاني والابو وردى وابو
عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربع مائة
في ايام القادر وكانت شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني
العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسب ما وعوه والحق من ورائه وفي
كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن بدرار بسجلماسة اصدق شاهد وأوضح
دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اعد بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق للعالم تجلب

مقيم بالحجون رهين رمس
واهل رائجون بكل واد
كافي لم اكن لهم حبيبا
ولا كانوا الاحبة في السواد
فموجوا الاسلام فان ابيتم
قاوموا بالسلام على بعد
فان طال المدى وصفا خليل
سوا نافاذ كرواصف والوداد
وذلك اقل مالك من حبيب
واخره الى يوم التناد

فلو انما وقفكم وقفنا
سقينا الترب من مهج القواد
(وقال) مكرم بن يوسف
العايد اوحى الله الى نبي
من انبياء بني اسرائيل ان
قف على المداخن والحصون
وابلغهم عن حرفين لا
تأكلوا الا طيبا ولا تشكروا
الا بالحق ولما دخل يزيدي
الرقاشي على عمر بن عبد
العزير قال عفاي يا يزيدي
قال يا امير المؤمنين اعلم

انك اول خليفة تموت فيكي عمرو قال يزيدي فقال يا امير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الاب
حيث فيكي وقال يزيدي فقال يا امير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل فسقط مغشيا يا ايها الرجل لا تغفلن عن تذكرة ما تيقنه من

خوف الفناء وتقتضي المسار بذهاب الذات وانقضاء الشهوات وبقاء التبعات وانقلابها حشرات وان الدنيا دار من لاداره وفال من لا مال له ولم يجمع من لا عقل له وعليه ايعادى من لا علم له وعليه يحسد من لا فقه له (١٥) من صح فيها سقم ومن سلم فيها هرم

ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها

حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من

ساعاها فاقته ومن قعد عنها آتته ومن نظر اليها أعمته

ومن بصر بها بصرته لا خبرها يدوم ولا شرها

يبقى ولا فيها مخلوق بقاء يا أيها الرجل لا تخدعن

كما خدع من قبلك فان الذي أصبحت فيه من النعم

انما صار اليك بروت من كان قبلك وهو خارج من

يديك بمثل ما صار اليك فلو بقيت الدنيا للعالم

لم تصر للجاهل ولو بقيت للأول لم تنتقل الى الآخر

يا أيها الرجل لو كانت الدنيا كلها ذهابا وفضة ثم سلمت

عليك بالخلافة وألقت اليك مقاليدها وأفلاذ

كبدها ثم كنت طريفة للموت ما كان ينبغي لك

أن تنهأ بعيش لا تعرف ما يزول ولا غناء فمنا لا يبقى

وهل الدنيا الا كما قال الاول قدوتغنى وكيف يلا

وكما قال الشاعر ولقد سألت الدار عن

أخبارهم فتبسمت عجباً ولم تبدى حتى مررت على الكنيف

فقال لي

اليه بضائع العلوم والصنائع وتلتمس فيه ضوال الحكم وتحدى اليه ركائب الروايات والاخبار وما نطق فيها نفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر (١) عن قصد السبيل نفق في سوقها الا بريز الخالص واللجين المصفي وان ذهبت مع الاغراض والمخفود وما جت به مسارة البغي والباطل نفق البهرج والزائف والتساقط البصير قسطاس نظره وميزان بحشه وملتمسه (ومثل هذا) وأبعد منه كثير اما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضوان الله عليهم أجمعين الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصي ويعرضون تعريض الحد بالتظن في التحمل المخلف عن ادريس الا كبرانه لراشه دمولا هم قبحهم الله وابعدهم ما جهلهم اما يعلمون ان ادريس الا كبر كان أصهاره في البربر وانه منذ دخل المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال البادية في مثل ذلك غير خافية اذ لا مكان لهم يتأوى فيها الرب واحوال حرمهم اجمعين بما رأى من جاراتهم ومسمع من جيرانهن لتلاصق الجدران وتطامن البنيان وعدم الفواصل بين المساكن وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشاهدة من اوليائهم وشبهتهم ومراقبة من كافتهم وقد اتفق برابرة المغرب الاقصي عامة على بيعة ادريس الا صغر من بعد ابيه وآتوه طاعتهم عن رضا ووافقوا بآيهم وعلموا على الموت الاجر وخاضوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه البيعة او قرعت أسماعهم ولو من عدو كان محج او منافق غرتاب لتخاف عن ذلك ولو بعضهم كلاً والله انما صددت هذه الكلمات من بني العباس اقتالهم ومن بني الاغلب عمالهم كانوا بافريقية ولا تمم وذلك انه لما فراد ادريس الا كبر الى المغرب من وقعة مج او عزاه لصادى الى الاغلبة انية عدو له بالمرصاد ويزيد كوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة التشيع للعلوية واذها به في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ودرس الشماع من موالى المهدي ابيه للتحيل على قتل ادريس فظهر الحاق به والبراءة من بني العباس مواله فاشتمل عليه ادريس وخطاه بنفسه ونأوله الشماع في بعض خلواته سمع استهزاء به ووقع خبره له من بني العباس احسن المواقع لمسار جوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع جرثومتها ولم تأدى اليهم خبر التحيل المخلف لادريس فلم يكن لهم الا كلاً ولا واذ بالدعوة قد عادت والشبيعة بالمغرب قد ظهرت ودواتهم بادريس بن ادريس قد تجددت فكان ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والمهزم قد نزل بدولة المغرب عن أن يسعوا الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الا كبر بمكانه من قاصية المغرب واشتمال البربر عليه الا التحيل في اهلا كه بالسوم فعند ذلك فرموا الى اوليائهم من الاغلبة بافريقية في سد تلك القرحة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشج منهم بخاطبهم بذلك المؤمن ومن بعده من خلفائهم فكان الاغلبة عن برابرة المغرب الاقصي اعجز وليلها من الذبون على ملوكهم احوج لما طرق الخلافة من انتراء ملك العجم على سديتها وامتنانهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طرع اغراضهم في رجالها وجبايتها واهل خطتها وواساثر نقضها وابرامها كما قال شاعرهم خالقة في قفص بين وصف وبغا يقول ما قاله كما تقول البيغا فخشى هؤلاء الامراء الاغلبة بوادر السعيات وتلوا بالاعاذير فطورا باحتقار المغرب وأهله وطورا بالارهاب

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جارى لم يقل اه

اموالهم ونوالهم عندي ولقد أصاب ابن السماك لما قال له الرشيد يا ابن السماك عظمي ويده شربة من ماء فقال يا أمير المؤمنين ارايت لو حبست غنيتك هذه الشربة اكننت ثمة ديارهم قال يكاف قال يا أمير المؤمنين فلو حبست غنيتك خروجه اكننت تقديده على كفاف

قال نعم قال فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة لئلا يتغير بشبابك فان أكثر من يموت الشباب والدليل عليه ان اقل الناس
الشيوخ يا أيها الشاب كم من جل (١٦) في التنوير وأبو يعرى وكمن طغل في التراب وجدته يحيى وقال علي بن أبي طالب

بشأن ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابهم يخاطبونهم بتجاوز حدود الخوم من عمله وبنه ذون
سكته في تحفهم وهداياهم ومرتفع جباياتهم تعريضا لاستفحالته وتحويلا لباشداشوكته وتعظيما لما دفعوا
اليه من مطالبته ومراسه وتهديدا بقلب الدعوة ان ألجؤا اليه وطورا يطعنون في نسب ادريس بمثل ذلك
الطعن الكاذب تحقضا لثأته لا يبالون بصدقه من كذبه لبعده المسافة وافن يقول من خلف من صديقه بنى
العباس وعما ليكم العجم في القبول من كل قائل والسبع لكل ناعق ولم يزل هـذا دأبهم حتى انقضى امر
الاعابة فقرعت هذه الكلمة الشنعاء اسماع النواغ وصر عليها بعض الطاعنين اذنه واعتدها ذريعة
الى النيل من خلفهم عند المناقسة وما لهم قبحهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين
المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد لا فراش على أن تنزيه اهل البيت عن مثل هذا
من عقائد اهل الايمان فانه سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فافراش ادريس طاهر من
الدينس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتقه دخلا هـذا فاقدها بآئمه وولوج الكفر عن بابه وانما
أطنت في هذا الرد سد الابواب الرب ودفع في صدر الحاسد لما سمعته اذناى من قائله المعتدى عليهم
به القادح في نسبهم بقريته وينقله برعمه عن بعض مؤرخي المغرب عن انحراف عن اهل البيت وارتاب في
الايمان بساقهم والافالحل منزعه عن ذلك معصوم منه ونفى العيب حيث يستحيل العيب عيب لكني
جاءت عنهم في الحياة الدنيا وارحوا نيجادوا عني يوم القيامة (ولتعلم) ان أكثر الطاعنين في نسبهم انما
هم الحسد لا عقاب ادريس هذا من منتم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هـذا النسب الكريم
دعوى شرف مريض على الامم والاجمال من اهل الاقفاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بنى
ادريس هؤلاء عجموا منهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق ولا
يطمع احد في دركه اذ هو نقل الامم والجيل من الخلف عن الامم والجيل من السلف وبيت جدهم
ادريس مختط فاس ومؤسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلاتهم ودرهم وسيفه منتضى برأس الماذنة
العظمى من قرار بلادهم وغير ذلك من آثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر حرات وكادت تلحق
بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هـذا النسب الى ما آتاهم الله من امثالها وما عضد شرفهم النبوى من
جلال الملك الذي كان اسلفهم بالمغرب واستيقن انه معزل عن ذلك وانه لا يبلغ مدادهم ولا نصيفه وان
غاية امر المنتمين الى البيت الكريم عن لم يحصل له امثال هـذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس
مصدقون في انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم ذلك من نفسه غص بريقه وود
كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعا حسدا من عند انفسهم فيرجعون الى العناد
وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن القائل والقول المكذوب تعال بالساواة في الظنة والمشاورة
في طرق الاختمال ومهمات لهم ذلك فليس في المغرب فيما تعلمه من اهل هـذا البيت الكريم من يبلغ في
صراحة نسب به ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبرائهم لهذا العهد بنو عمران بقاس
من ولد يحيى الحوطلى ابن محمد بن يحيى العوام ابن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقيب اهل البيت هناك
والساكنون ببيت جدهم ادريس ولهم السيادة على اهل المغرب كافة حسب ما نذكرهم عند ذكر الادارسة
ان شاء الله تعالى (ويلحق) بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب القاذبة ما يتناوله ضعة الراى من فقهاء
المغرب من القديح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشريعة والتبليس فيما اتاه من
القيام بالتوحيد الحق والنبي على اهل البغي قبله وتكذيبهم بجميع مدعياته في ذلك حتى فيما يزعم

رضوان الله عليه لاسقف
قد اسلم عظمى قال يا امير
المؤمنين ان كان الله عليك
فمن تزجو قال احسنت
فزدني قال ان الله معك
فمن تخاف قال احسنت
فزدني قال احسب ان الله
قد غفر ذنب المذنبين
اليس قد غفرتهم ثواب
المحسنين قال حسبي حسبي
وبكى اربعين صباحا وقال
الحسن قد صعد صخرة يعني
عم الفرزدق على النبي
صلى الله عليه وسلم فسمعه
يقرا فن يعمل من قال ذرة
خير ابره ومن يعمل
من قال ذرة شر ابره فقال
حسبي حسبي لا ابالي ان
لا اسمع آية غير ما قال
سليمان بن عبد الملك
محمدا الطويل عظمى فقال
ان كنت اذاعصيت الله
ظننت انه يراك فلو قد
اجترأت على رب عظيم
وان كنت تظن انه لا يراك
فلقد كفرت برب عظيم
وكتب على بن الحسين
رضي الله عنه الى سلمان
اعلم ان الدنيا كمثل
الحية لمسه هالين ويقتل
سمها فاعرض عنها واما
يعجبك منها القلة ما يعجبك
منها ودع عنك همومها
ما تيقنت من فراقها
وكن اسرها تكون فيها
مكروه وقال ابو العتاهية

وكن اسرها تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان فيها الى سرور اشخص منها الى الموحدون
مكروه وقال ابو العتاهية هي الدار دار الاذى والقذا ودار الفناء ودار الغير ولولا انها بخذا فيزها لمات ولم تقض منها وطير

أيا من يؤمل طول الحياة * وطول الحياة عليه ضرر

وإيا من يراد من الدنيا أفضل مما سمت إليه نفسه ورقت إليه همته وفضها ونبذها (١٧) وقال هذا سرور لولا أنه غرور

ونعيم لولا أنه عديم وملك
لولا أنه هلاك وعناء لولا أنه
فناء وجسيم لولا أنه ذميم
ومحود لولا أنه مفعود وغني
لولا أنه منى وارتفاع لولا أنه
اتضاع وعلاء لولا أنه بلاء
وحسن لولا أنه حزن وهو
يوم لو وثق له بغدا أيها
الرجل لا تكن كالتمخل
يرسل أطيب ما فيه ويسلك
الحالة واعلم أن من قسا
قلبه لا يقبل الحق وإن
كثرت رذائله قال الله تعالى
فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيى الله الموتى
ويرىكم آياته لعلكم
تعقلون ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة وذلك أن كثرة
الذنوب مانعة من قبول
الحق القلوب وولوج
المواعظ فيها قال الله تعالى
كلابل ران على قلوبهم ما
كانوا يكسبون أي غطاها
وغشىها فلا تقبل خير أو لا
تصبح لموعظة جاء في التفسير
إذا أذنب العبد نكثت في
قلبه نكته سوداء ثم إذا أذنب
نكثت نكته سوداء حتى
يسود القلب وقال حذيفة
القلب كالسكف فإذا
أذنب العبد انقبض
وقبض أصبعه ثم إذا أذنب
انقبض وقبض أصبعه أخرى

الموحدون أتباعه من أتباعه في أهل البيت وإنما جعل الفقهاء على تكذيبه ما كن في نفوسهم من حسده
على شأنه فأنهم لما رأوا من أنفسهم مناهضة في العلم والفتيا وفي الدين برعهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع
الرأي مسوع القول وطأ العقب نفوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمذاهبه
وأياضا فكانوا يؤسسون من ملوك لتونه أعدائه تحلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من
الساذجة وانتحال الديانة فكان الحجة العلم يدولهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى كل في بلده وعلى
قدره في قومه فاصبحوا بذلك شيعة لهم وخر بالعدوهم ونقموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتزييب
عليهم والمناسبة لهم تشييعا للتونة وتعصبا لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحاله على غير معتقداتهم وما
ظننت برجل نقيم على أهل الدولة ما نقيم من أحوالهم وخالف اجتهدا فقهاءهم فسادى في قومه ودعا إلى
جهادهم بنفسه فاقطع الدولة من أصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة وأشد شوكة وأعز أنصارا
وحامية وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها إلا خالقها قديا به وهو على الموت وقوه بانفسهم من
الهلكة وتقربوا إلى الله تعالى باتلاف معصيتهم في إظهار تلك الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى عانت على
الكلمة ودالت بالعدوتين من الدول وهو بحالة من التقشف والحصر والصبر على المكاره والنقل من
الدنيا حتى قبضه الله وليس على شيء من الحظ والمناغ في دنياه حتى الولد الذي ربما تجنح إليه النفوس
وتجادع عن غيبه فليت شعري ما الذي قصد بذلك أن لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا في
عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم أمره وانقضت دعوته سنة الله التي قد خلت في عباده
(وأما) إنكارهم نسبه في أهل البيت فلا تعصده حجة لهم مع أنه ان ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه فلا دليل
يقوم على بطلانه لأن الناس مصدقون في أنسابهم وإن قالوا إن الرئاسة لا تكون على قوم في غير أهل
جدهم كما هو الصحيح حسبما يأتي في الفصل الأول من هذا الكتاب والرجل قد راس سائر المصامدة ودانوا
بأتباعه والانقياد إليه وإلى عصابته من هرغة حتى تم أمر الله في دعوته فاعلم أن هذا النسب القاطم لم يكن
أمر الله الذي يتوقف عليه ولا اتبعه الناس بسببه وإنما كان أتباعهم له بعصبة المرغبة والمصمودية
ومكانه منها ورشو شجرته فيها وكان ذلك النسب القاطم خفا قد درس عند الناس وبقي عنده وعند
عشيرته يتناقلونه بينهم فيكون النسب الأول كانه انسلخ منه وليس جلدة هؤلاء وظهور فيها فلا يضره
الانتساب الأول في عصبيته أذهو ومجھول عند أهل العصبة ومثل هذا واقع كثيرا إذ كان النسب الأول
خفيا (وانظر) قصة عرجة وجرير في رياسة بحيلة وكيف كان عرجة من الأزدي وليس جلدة بحيلة حتى
تنازع مع جرير رياستهم عند عمر رضي الله عنه كما هو مذكور بتفهم منه وجه الحق والله المهادى للصواب
(وقد) كدنا أن نخرج عن عرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت أقدام كثير من الأثبات
والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلق بافكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفة
النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوفاتهم حتى
صار فن التاريخ وأما غنطاطوا نظره مرتبكا وعدم من مناحي العامة فاذا احتاج صاحب هذا الفن إلى العلم
بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والخلق والعوائد
والتمحل والمذاهب وسائر الأحوال والاحاطة بما حاض من ذلك ومما ناله ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو
بون ما بينهم من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والمال ومبادئ ظهورها
 وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث

(٣ - ابن خلدون) ثم كذلك في الثالث والرابع حتى يتقبض الكف كما ثم يطبع الله عليه فذلك هو الران وقال بكر بن عبد الله
إذا أذنب العبد صار في قلبه كوخا لا يبره ثم كلما أذنب صار فيه كوخا لا يبره حتى يعود القلب كالتمخل

وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن شبرمة اذا كان البدن سقيما لم تنفعه الطعام واذا كان القلب مغرما لم تنفعه الدنيا لم تنفعه الموعظة وفيه قيل اذا قسا القلب لم تنفعه موعظة

(١٨)

واقفا على اصول كل خبر وحيث ذكر عرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والاصول فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه وما استكبر القديما علم التاريخ الا لذلك حتى اتخذه الطبري والبخاري وابن اسحق من قبلهما وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السرفية حتى صار اتخاله بجهالة واستغف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعة وجهه والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعي بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور (ومن الغلط) الخفي في التاريخ الذمول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدل الاعصار ومرور الايام وهو داء دوى شديد الخفاء اذا يقع الا بعد اخقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له الا الا حاد من اهل الخليفة (وذلك) ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع في الاقفاق والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عباده وقد كانت في العالم امم الفرس الاولى والسريانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع ابناء جنسهم واحوال اعمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاءهم بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها ويشابهها والى ما يباينها ويباعد عنها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانتقلت تلك الاحوال اجمع انقلابا اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذ الخلف عن السلف ثم درست دولة العرب وايامهم وذهبت الاسلاف الذين شيّدوا عزمهم ومهدوا ممالكهم وصار الامر في ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت بذهباهم اعم وانقلبت احوال وعوائدهم نسي شأنها واغفل أمرها (والسبب) الشائع في تبدل الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكمية الناس على دين المملك وأهل المملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد وان يفرعوا الى عوائد من قبلهم ويأخذوا الكثير منها ولا يغفلوا عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم وخرجت من عوائدهم وعوائد ما خالفت ايضا بعض الشيء وكانت الاولى اشد مخالفة ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباشرة بالجملة فسادت الامم والاجيال تتعاقب في المملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير ما مونة تخرجه مع الذمول والغفلة عن قصده وتوجيه عن مرامه فربما يسمع السامع كثيرا من اخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجربها الاول وهامة على ما عرف ويقسمها على شاهد وقد يكون الفرق بينهما كثيرا فيقع في مهواة من الغلط (فن هذا الباب) ما يتقله المؤرخون من احوال الحجاج وان اياه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العسبة والمعلم مستضعف مسكين متقطع الحزم (١) فيتشوف الكثير من المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل ويعدون بها من الممككات لهم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع جيلها من ايديهم فسقطوا في مهواة المملكة والتلف ولا يعلمون استحسانها في حقهم وانهم اهل حرف وصنائع المعاش وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة

(١) قوله الجحزم الاصل اه قاموس

كالا ارض ان تسبخت لم ينفع المطر ويروي ان ابا العتاهية مر بدار كان الوراق واذا كتاب فيه بيت من الشعر لن ترجع الانفس من غيرها ما لم يكن منها لها زاجر فقال لمن هذا فقيل لابي ثواس قال وددت اني بنصف شعري قال الاصمعي ان النعمان الذي هو امرؤ القيس الا كبر الذي بنى الخبز ورتق اشرف على الخوزنق يوما فاعجبه ما اوتي من الملك والسعة ونفوذ الامر واقبال الوجوه فخوه فقال لاصحابه هل اوتي احد مثل ما اوتيت فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي اوتيت شي لم يزل ولا يزال ام شي كان لمن كان قبلك زال عنه وصار اليك قال بل شي كان لمن قبلي زال عنه وصار الى وسيزول غني قال فسررت بشي تذهب عنك لذته وتبقى تبعته قال فابن المهرب قال اما ان تقيم وتعمل بطاعة الله وتلدس امساحا وتلحق بجبل وتعيدد بك فيه وتفر من الناس حتى يأتبك اجلب قال فاذا كان ذلك فالي قال حياة لا موت فيها

وشباب لا هرم فيه وصحة لا سقم فيها وملك جديد لا يلى قال فاي خير فيما يغني والله لا طين عيش الا نزل ابدا وملك جديد لا تخلع من ملكه وليس الامساح وسار في الارض وتبعه الحكيم وجعل لا بعد ان الله حتى ما توافيه يقول عدي بن زيد

وتبين رب الخو رنق اذ فكري يوم اوله ذي تذكير سره ماله وكثرة ما به اليه والجرمة قرصا والسدير فارعوى قلبه وقد قال
ما فيه بطة حتى الى المات بصير ابن كسرى كسرى الملوك انوشير وان ام ابن قبله سابور (١٩) وبنوا الاصغر الكرام ملوك الر

روم لم يبق منهم مذكور
لم يبقه ريب المون قبادا
ملك عنه قبا به مجور
وفيه يقول الاسود بن يعفر
ولقد علمت سوي الذي
انما انتي
ان السديل سيد لذي
الاعواد
ماذا اول بعد آل محرق
تركوا منازلهم وبعدا ياد
ارض الخو رنق والسدير
وبارق
والقصر ذي الشرفات من
سنداد

نزلوا بانقرة تسيل عليهم
ماء القرات يحيى من أطواد
ارض يحبوها الطيب مقبلها
كعب بن مالك وابن أم ثواد
جرت الرياح على محل ديارهم
فكانهم كانوا على ميعاد
فأرى النعيم وكل ما يلهي به
يوما يصير الى بلا ونقاد
(وقال) وهب بن منبه
أصيب على غمدان وهو
قصر سيف بن ذي يزن
بارض صنعاء اليمن وكان
من الملوك الاجلة مكتوبا
بالقلم المسند فترجم بالعربية
واذا هي آيات جليلة
وموعظة عظيمة
باتوا على قاتل الاجبال
تجرتهم
غلب الرجال فلم تقعهم
القلل

انما كان نقلا لما سمع من الشارع وتعلما لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب
والعصبة الذين قاموا بالامامة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ
الخبري لاعلى وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم وبه هداياتهم والاسلام دينهم فأتوا
عليه وقتلوا واختصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه لامة لا تصددهم عنه
لائمة الكبر ولا يزعجهم عاذل الانفة ويشهد لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب
يعلمونهم حدود الاسلام وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر
الاسلام ووشجت عروق الملة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرورا لايام احوالها
وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج ذلك لقانون يحفظه من
الخطا وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم
والتعليم واشتغل اهل العصبة بالقيام بالمالك والسلطان فدفع العلم من قام به من سواه - م واصبح حرفة
للعاش وشجعت انوف المترفين واهل السلطان من التصدي للتعليم واختص انتحاله بالمستضعفين وصار
منتحله محقرة عند اهل العصبة والمالك والحاج بن يوسف كان ابوهم من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم
من عصبة العرب ومنها هضة قریش في الشرف ما علمت ولم يكن تعلمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا
العهد من انه حرفة للعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام (ومن هذا الباب) ايضا
ما يتوهمه المتصفحون لكتيب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرياسة في الحروب
وقودا لعا كرفترامى بهم وساسوهم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن في خطة القضاء لهذا
العهد على ما كان عليه من قبل ويطنون بآين ابي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك
الطوائف باشيالية اذا سمعوا ان آباءهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتقنون لما وقع في
رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نينه في فصل القضاء من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا من
قبائل العرب القسائين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيابهم
لما نالوه من الرياسة والمالك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامم القديمة لاهل
(١) العصبة من قبل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لهذا العهد بالمغرب وانظر خروجهم بالعسا كرفي الطوائف
وتقليدهم عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصبة فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال
على غير ما هي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضغناء البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبة في
مواطنهم منذ اعصار بعيدة لقضاء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن ملكة اهل العصبيات من البربر بقيت
(١) العصبة بفقتين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشمر عن ساق الجدي نصره منسوبة
الى العصبة محرمة وهم اقارب الرجل من قبل آبيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا
المعنى مدوحة واما العصبة المذمومة في حديث الجامع الصغير ليس منان دعالي عصبة وليس منان
قاتل على عصبة وليس منان مات على عصبة فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال قبيلة اخرى لغير
ديانة كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصبة بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير
اقاربه ظالم كان او مظلوما وفي الفتاوى الخيرية من موانع قبول الشهادة بالعصبة وهي ان يغضب الرجل
الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ان كتاب الحرم في الحديث ليس منا
من دعالي عصبة وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

واستزوا بعد عز من معاقلم * فاسكنوا حفرا يا بنس ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما ذقوا * ابن الاسرة والتجان والجمال
ابن الوجوه التي كانت محجة * من دوما تضرب الاسار والكمال فافضح القبر عنهم حين ساء لهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتل

قد طال ما كانوا يؤمنوا ما شربوا * فأصبحوا بعد ذلك الاكل قد اكوا قال شيخنا قري على القاضي ابني الوليد الباجي وانا سمع
لبعض الشعراء ويحك يا اسماء ما شاني * (٢٠) اضللتني والله ما شاني الموت حق فاعلمني نازل * قرب لي لحيدي واكفاني

انسابهم العرب بنية تحفة والذريعة الى العزم العصبية والتناصر مفعولة بل صاروا من جملة الرعايا
المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورغوا للمدلة يحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها
الغلب والتحكم فتجد اهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في نيله فاما من باشر احوال
القبائل والعصبية ودولتهم بالعزيمة العربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فليما يغلطون
في ذلك ويخطئون في اعتباره (ومن هذا الباب) ايضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها
فيذكرون اسمهم ونسبهم واباء وامه ونسبهم ولقبهم وخاتمهم وقاضيهم وحاجبهم ووزيرهم كل ذلك تقليد مأثور في
الدولتين من غير تقطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يصنعون توار يختمهم لاهل الدولة
وابناءهم ما تشوقون الى سير اسلافهم ومعرفه احوالهم ليتقنوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في
اصطلاح الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والراتب لانباء صنائعهم وذويهم والقضاة ايضا كانوا
من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرنا لك فيحتاجون الى ذلك كاهلهم وامامهم تباهت
الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها
من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يتألف منها من الامم او يتصرف عنها في الفائدة للصنف في هذا العهد في
ذكر الانبياء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها
اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما جعلهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الاقدمين
والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت آثارهم وعفت على
الملوك اخبارهم كالحجاج وبنو المهدي والبرامكة وبنو سهل بن نو بخت وكافور الاخشيدي وابن ابي
عامر وامثالهم فغير تكبير الاسماع بانهم والاشارة الى احوالهم لانتظامهم في عداد الملوك (ولندكر) هنا
فائدة تختتم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل (فاما)
ذكر الاحوال العامة للازفاق والاجيال والاعصار فهو اس للورخ تبنى عليه اكثر مقاصد المؤرخين به
اخباره وقد كان الناس يقرءونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم
والازفاق لعهد في عصر الثلاثين والثمانين غريبا وشرقا وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجمال
والبحار والممالك والدول وشرح شعوب العرب والعجم فصارا مالم يؤرخين يرجعون اليه واصلا يعولون
في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء المبكرى من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة
دون غيرها من الاحوال لان الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما هذا العهد وهو
آخر المائة الثامنة فقد انقلب احوال المغرب الذي نحن شاهده وتبدلت بالجملة واعتاض من اجيال
البربر اهل على القدم من طرافيه من لدن المائة الخامسة من اجيال العرب بما كسر وهم وغلبوه هم
واتبرعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان ملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقا وغربا في
منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذي تحيف الامم وذهب باهل الجبل وماوى كثير من
محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من
حدها واوهن من سلطتها وتداغت الى الثلاثين والاضمحلال احوالها وانتقص عمران الارض بانتقص
البشر فخر بت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلصت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل
وتبدل السالكين وكافى بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانهم وكان غمنا نأدى
لسان الدكون في العالم بالبحول والانتقاص فبما ذرنا بالاجابة والله وارث الارض ومن عاينها واذا تبدلت

قد كنت ذامال فلا والذي
اعطاني العيش واغناني
ما قررت العين به ساعة
الاتذكرت فاشجاني
على بانى صائر للبللى
وفاقدا هلى وجيراني
وتارك مالى على حاله
نهب الشيطان بن شيطان
لامرأة ابني اول زوج ابنتي
يا لك من غي وخسران
يسعدنى مالى واشقى به
قوم ذوو غل وشنا تن
ان احسنوا كان لهم اجره
وخف من ذلك التميزاني
ومن استبصر من انباء الملوك
قراى عيب الدنيا وفناءها
وتقصها وزوالها ابراهيم
ابن ادهم بن منصور من انباء
الملوك ملوك خراسان من
كورة بلخ ولسانهم في
الدنيا زهد عن ثمانين
سمر بر قال ابراهيم بن بشار
سألت ابراهيم بن ادهم
كيف كان بدء امرك حتى
صرت الى هذا قال غير هذا
اولى بك قلت بركة الله
لعل الله ينفعني به يوم اتم
سألته ثانية فقال ويحك
اشغل بالله تعالى ثم سألته
ثالثة فقالت ان رايت
يرجك الله ان تخبرني لعل
الله ان ينفعني فقال كان
ابني من ملوك خراسان
وكان من المياسير وكان

قد حبيب الى الصديقين انارا كتب فرسا وكاني معي واثر اربنا او ثعلبا فخرت قريتي فسمعت
نداء من وزاني يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا لهذا امرت فوقف انتظر غنمة ويسرة فلم ار احدا فقلت في نفسي لعن الله الشيطان ثم حركت

فرسي فسمعت نداء اقوي من الاول يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوفقت مقشعرا انظر عنته وسيرة قلم ارسيا فقلت لعن الله
ابليس ثم حركت فرسي فسمعت من قريوس سرجي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت (٢١) ولا بهذا امرت فوفقت وقلت هيرات

جاءني النذير من رب
العالمين والله لا عصيت
ربي فاعصمني بعد يومى هذا
فتوجهت الى اهلى وخلقت
فرسي وجئت الى بعض
رعاه ابي فاخذت جنته
وكساه واقبت اليه ثيابي
فلم ازل ارض تفتني وارض
تضعني حتى صرت الى العراق
فعملت بها اياما فلم يصف
لى شي من الخلال فسالت
بعض المشايخ عن الخلال
فقال علمت بالاشام قال
فانصرفت الى مدينة يقال
لها المنصورية وهي المصيبة
فعملت بها اياما فلم يصف
لى شي من الخلال فسالت
بعض المشايخ فقال ان
اردت الخلال فعلمت
بطرسوس فان المباحات
بها والعمل كثير قال فيينا
انا قاعد على باب الجراد
جاءني رجل فاكتراني
انظر له بستانا فتوجهت معه
فكنت في البستان اياما
كثيرة فاذا انا بخادم قد اطل
ومعه اصحاب له ولو علمت ان
البستان بخادم ما نظرنه
فقدت في مجلسه ثم قال
يا ناظر فاجبتة قال فاذهب
فاتنا يا كبير رمان تقدر عليه
واطيبه فأتته برمان فآخذ
الخادم رمانة فكسرها
فوجدت ما حاضة فقال

الاحوال جلة قكما تبادل الخلق من أصله وتحول العالم بأسره وكان خلقا جديدا ونشأة مستأنفة وعالم
محدث فاحتاج لهذا العهد من يدون أحوال الخلق والافاق وأجيالها والعوائد والتحل التي تبدلت
لاهلها ويقفوا مسالك المسعودى لعصره ليكون أصلا يقتدى به من يأتي من المؤرخين من بعده (واناذا كر
في كتابي) هذا ما مكنتني منه في هذا القطر المغربي اما صريحنا او مندرجاني اخباره وتلو مجالا اختصاص
قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال احياله واعمه وذكريا لك ودوله دون ما سواه من الاقطار لعدم
اطلاعي على احوال المشرق واعمه وان الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما ريد منه والمسعودى انما استوفى
ذلك لبعده رحلته وتغلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل
ذي علم عالم ومردا لم كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجيب ومن كان الله في عونك تسرت
عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب (ونحن) آخذون بعون الله فيما رمانه من أغراض التأليف
والله المسدد والمعين وعليه التكلان (وقد) بقي علينا ان نقدم مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست
من لغات العرب اذا عرضت في كتابنا هذا (اعلم) ان الحروف في النطق كما يأتي شرحه بعد هي كيفية
الاصوات الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللغات وأطراف اللسان مع الحركات
والحاق والاضراس او بقرع الشفتين ايضا فتتغير كيفية الاصوات بتغير ذلك القرع وتجيء الحروف
متميزة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضمائر وليست الا هم كلها متساوية في النطق
بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخرى والحروف التي نطقت بها العرب هي
ثمانية وعشرون حرفا كما عرفت ونجد للاعبرانيين حروفا ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضا حروف ليست في
لغتهم وكذلك الاقربج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلموا في
الدلالة على حروفهم المشهورة باوضاع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجم وراء
وطاء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملا عن الدلالة
الكتابية مغفلا عن البيان وربما ترسم بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليه من لغتنا قبله او بعده
وليس ذلك بكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من أصله (ولما) كان كتابنا مشتملا على اخبار البربر
وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح
اوضاعنا اضطررنا الى بيانه ولم نكتف برسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه من غير واف بالدلالة عليه
فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين يكتبانه ليتوسط
القارئ بالنطق به بين مخارجي ذلك الحرفين فتحصل تأديته وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف
حروف الاشمام كالحراط في قراءة خلف فان النطق يصاد فيه اجمع متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا
الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودل ذلك عندهم على المتوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل
حرف متوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسط عند البربر بين الكاف البصريحة عندنا والجميم
او القاف مثل اسم بالسين فاضعها كافا وانقطعا بنية اجم واحدة من اسفل او بنية القاف واحدة من
فوق او اثنين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجميم او القاف وهذا الحرف اكثر ما يجرى في لغة
البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط بين حرفين من لغتنا بالحرفين مع العلم القارئ
انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد دللنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانيه لم يكن قد
صرفناه من مخارج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب

يا ناظر وما هذا انت منذ كذا وكذا في بستاننا تأكل من فاكهتنا ورماتنا لا تعرف الخلو من الخماض قلت والله ما كنت من فاكهتنا شيئا وما
أعرف الخلو من الخماض قال فغمر الخادم اصحابه وقال لا تهيجون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن آدم ما زاد على هذا خلا كان من

الغد حدث الناس في المسجد بالصقة فناء الناس عنقالى النستان فلما رأيت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان
ابراهيم بن ادهم يأكل من عمل يده (٢٢) مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين وكان يوما يحفظ كراما فرب به جندى فقال
اعطنا من هذا العنب فقال

بمنه وفضله

*) (الكاب الاول في طبيعة العمران في الخليفة وما يرض فيها من البدو والحضر والتغلب
والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب) *

(اعلم) انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض
لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم
على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومرتباتها وما ينتجها البشر باعمالهم ومساعيمهم من الكسب
والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال (ولما كان) الكذب
متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه فمما نشيأت للاواع والمذاهب فان النفس اذا كانت على
حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التمييز والنظر حتى تبين صدقه من كذبه واذا خاضها
تشيع لرأى او تخالفت قيات ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين
بصيرتها عن الاتقادات والتعصب فتقع في قبول الكذب ونقله (ومن الاسباب) المقتضية للكذب في
الاخبار ايضا الثقة بالناس الذين وتخص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح (ومنها) الذهول عن المقاصد
فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين او يسمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب
(ومنها) توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الاكثر من جهة الثقة بالناس الذين (ومنها) الجهل بتطبيقات
الاحوال على الوقائع لاجل ما يداخلها من التلبس والتصنع فينقلها الخبر كما راها وهي بالتصنع على غير
الحق في نفسه (ومنها) تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمرتبات بالثناء والمدح وتحسين الاحوال
واشاعة ذلك بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس
متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر برغبة في الفضائل ولا متنافسين في
أهلها (ومن الاسباب) المقتضية له ايضا وهي سابقة على جميع ما تقدم اليه الجهل بطبائع الاحوال في العمران
فان كل حادث من الحوادث ذاتا كان او فعلا لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله
فاذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تمييز الخبر على
تمييز الصدق من الكذب وهذا ابلغ في التمييز من كل وجه يعرض وكثيرا ما يعرض للسامع قبول
الاخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عندهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء
الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى كتب
صور تلك الدواب الشبيهة بالتي راها وعمل تماثيلها من احسان معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك
الدواب حين خرجت وعاليتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستحيلة من قبل الخواصة
التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأما وجه مجرمه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسهم الى مثل هذا
الغرر ومن اعتمد منهم فقد عرض نفسه للهلاكه وانتقاص العقدة واجتماع الناس الى غيره وفي ذلك
اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طريقة عين ومن قبل ان الخن لا يعرف لها صور ولا
تماثيل تختص بها انما هي قادرة على التشكل وما يدكر من كثرة الرؤس لها فانما المراد به الشاعرة
والتهويل لانه حقيقة (وهذه) كلها قاذحة في تلك الحكاية والقادح المحيل لها من طريق الوجود ادين
من هذا كما هو ان المنع في الماء لو كان في الصندوق يصتبق عليه الهواء للتنفس الطبيعي ونسجن
روحه بسرعة تغلبه فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي ويهلك مكانه وهذا هو

ما أمر به صاحبه فأخذ
يضربه بالسوط قطا رأسه
وقال أضرب رأسا طامسا
عصى الله فأنحجز الرجل
ومضى وقال سهل بن
ابراهيم صحبت ابراهيم بن
أدهم فرضت فاتفق على
تفقته فاشتهت شهوة فباع
سجاره واتفق ثمنه على فلما
تم ثلث قلت يا ابراهيم
ابن الحمار فقال بعناه فقلت
فعلام أركب قال يا اخي
على عنق قال ففهمني ثلاث
منازل رحمه الله وأنشدوا
شعرا

أيها المرءان دنياك بحر
طافح موجه فلا تأمنها
وسبيل النجاة فيها مبين
وهو أخذ الكفاف والقوت
منها
وبلغني ان بالهند يوما يخرج
الناس فيه الى البرية فلا
يبقى في البلد بشر من طين
لا شيخ كبير ولا مولود
صغير وهذا اليوم يكون
بعد انقراض مائة سنة من
يوم مثله فاذا اجتمع الخلق في
صعيد واحد نادى منادى
الملك لا يصعدن هذا البحر
بحر هناك منصوب الا
من حضر في الجمع الاول
الذي قد خلا من مائة سنة
فربما جاء الشيخ الهرم الذي

قد ذهبت قوته وعي بصره وفي شبابه وتجنى البحر وترحلف لم يبق منها الا رسمها وقد اخنى الدهر عليها فبصعد ان على البحر السبت
الذي هناك ويقول الشيخ حضرت الجمع الاول منذ مائة سنة وأنا طفل صغير وكان الملك فلانا ويصف الجيوش بالاضحية والامم الخالية

وكيف طعنهم البلى وصاروا تحت طباق الثرى ويقوم خطيئهم فيعظ الناس وينذركم صرعة الموت وحسرة الفوت فيسكن القوم ويثوبون
من المظالم ويكثرون الصدقات ويخزجون عن التبعات ويصلحون على ذلك مدة (٢٣) وقال وهب بن منبه صاحب رجل بعض

الربان سبعة أيام ليستفيد
منه شيئا فوجد مشغولا
عنه يذكر الله تعالى والفكر
لا يفتر ثم التفت اليه في
اليوم السابع فقال يا هذا
قد علمت ماتر يدحى
الدينار رأس كل خطيئة
والزهد في الدينار رأس كل
خير والتوفيق نتاج كل خير
فاحذر رأس كل خطيئة
وارغب في رأس كل خير
وتضرع الى ربك ان يهب
لك نتاج كل خير قال فكيف
اعرف ذلك قال كان جدى
رجلا من الحكماء قد شبه
الدينار بسبعة أشياء فشمها
بالماء المساج يغرو ولا يروى
ويضرو ولا ينفع وبسحاب
الصيف يغرو ولا ينفع وبظل
الغمام يغرو ويخذل وبزهر
الزعفران ينضرم ثم يصغر فتراه
هشما وباحلام النائم يرى
السرو في منامه فاذا استيقظ
لم يكن في يده الا الحسرة
وبالعسل المشوب بالسم
الذخاف يغرو ويقتل
قد برت هـ لاه الحرف
السبعة سبعين سنة ثم زدت
حرفا واحدا فسميتها بالغول
التي تهاك من اجابها وترك
من اعرض عنها فرايت
جدي في المنام وقال يا بنى
اشهد انك منى وانامتك
هى والله الغول التي تهاك
من اجابها وترك من

السبب في هلاك اهل الحمايات اذا طبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدين في الابار والمظامير العجيبة
المهوى اذا سخن هواؤها بالعبقورية ولم تداخلها الرياح فتخلها فان المتدلى في ايهالك تحينه وجم هذا السبب
يكون موت الخوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه في تعديل رتبه اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله
بارد والهواء الذي خرج اليه حار فيستولى الحار على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين
وامثال ذلك (ومن الاخبار) المستحيلة مانقوله المسعودى ايضا في ثمال الزرور الذي برومة تجتمع اليه
الزراير في يوم معلوم من السنة طامة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعده ذلك عن المجرى
الطبيعى في اتخاذ الزيت (ومنها) ما نقله البكري في بناء المدينة المسماة ذات الابواب تحيط باكثر من
ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة آلاف باب والمدن انما اتخذت للتحصن والاعتصام كما يأتى وهذه خرجت
عن أن يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا معتصم وكما نقله المسعودى ايضا في حديث مدينة الخراسان وانما
مدينة كل بنائها الخراسان بصحراء مجلجلا مسطرة ظفر بها موسى بن نصير في غزوه الى المغرب وانما مملكة
الابواب وان الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صق ورمى بنفسه فلا يرجع آخر الدهر في
حديث مستحيل عادة من خرافات القصاص وصحراء مجلجلا مسطرة ظفر بها موسى بن نصير في غزوه الى المغرب وانما مملكة
المدينة على خبر ثم ان هـ هذه الاحوال التي ذكرناها كاهامس تحيل عادة منافع الامور الطبيعية في بناء
المدن واختطاطها وان المعادن غاية الوجود منها ان يصرف في الانية (١) والخزنى واما تشييد مدينة منها
فكما تراه من الاستحالة والبعده وامثال ذلك كثير وتخصه انما هو معرفة طبائع العـمران وهو احسن
الوجوه واوثقها في تحييص الاخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التخصيص بتعديل الرواة ولا
يرجع الى تعديل الرواة حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او مستحيل واما اذا كان مستحيلا فلا فائدة
للتعدي في التعديل والتجريح ولقد عد اهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله ان
يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الاخبار الشرعية لان معظمها
تسكليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة
بالعدالة والضبط (واما الاخبار) عن الوقائع فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فالدالك وجب
ان ينظر في امكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدما عليه اذ فائدة الانشاء مستمدة منه فقط
وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالتانون في تمييز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان
والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وغير ما يلحقه من الاحوال لذاته وبعقضى
طبيعته وما يكون عارضا لا يعتمد به وما لا يمكن أن يعرض له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق
من الباطل في الاخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فاذا منعنا عن شيء من
الاحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بترقيقه وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتجرب به
المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول من تأليفنا وكان
هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو مسائل وهي بيان
ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعها كان او عقليا
(واعلم) ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب التزعة عزيز الفائدة اعثر عليه البحث
وادى اليه الغوص وليس من علم الخطابة الذي هو احدث العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو

(١) قوله الخزنى بالضم اثاث البيت اه قاموس

اعرض عنها ذات فيما شئ يكون الزهد في الدنيا قال باليقين واليقين بالصبر والصبر بالعين والعين بالفكر ثم وقف الرامب وقال خذها منا
فلا ازال خطي الامتير دا بقل دون قول فكان ذلك آخر الهدية (قلت) وقد وصف الله تعالى الدنيا وأهلها بصفة اعلم من هذه الصفة فقال

سبحانه اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه
مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة (٢٤) عذاب شديد والكفار ههنا الزراع كما أن الزرع يكون في أول نباته أخضر ناعما ثم يهيج فتراه

الأرض به بعد يدها
بجاءت في العيون كالمح
ما يكون ثم يهيج فتراه
مصفرا أي يكبر ويستوى
فيحفر ويحترق ويتكسر
اعلاه ويستقل يستبلاه
ثم يداس فيكون حطاما
أي تنامت تكسرا متقطعا
وهذا مثل ضرب به الله لبي
آدم اذ كانوا أطفالا أول
الولادة وفي حال الطفولة
كاحسن من رأي يحبون
الآباء ويقتنون ذوى
الاحلام والنهى ثم يكبرون
فيصرون شيوخا منكسة
رؤسهم مقوسة ظهورهم
قد ذهب حسنهم ونعمتهم
وفي شبابهم وجمالهم
وذوت غضارتهم ونضارتهم
واستولى عليهم الهرم
والشيب ثم يموتون
فيصرون حطاما في القبور
كالتبن في البحر يق هذا
بعد ما وصفتها بخمس
صفات مذمومة لعب ولهو
وزينة وتفاخر وتكاثر
وكان الصدر الأول يسمى
الدنيا خنزيرة ولو وجدوا
اسما ابيع منه لسموها به
وكانوا يسمونها ام ذفر
والذفر النتن وقال مالك بن
أنس بلغني ان ملكا من
ملوك بني اسرائيل ركب
يوما في زى عظيم فنشرت

الاقوال المقتنة النافعة في استعماله الجهور الى رأى اوصدهم عنه ولا هو ايضا من علم السياسة المدنية اذ
السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدينة بما يجب بقنضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجهور على منهاج
يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه فقد خالف موضوعه موضوع هذه الفنون الذين ربما يشبهانه وكأنه علم
مستنبط التشاؤم يرى لم اقف على الكلام في منحه لاحد من الخليفة ما أدري لغفلتهم عن ذلك وليس
الظن بهم اولاهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليه النافعة علوم كثيرة والحكمة في أمم النوع
الانسانى متعددون ومالم يصل اليه من العلوم أكثر مما وصل قايين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه
بمحوها عند الفتح وابن علوم الكلدانيين والسرانيين وأهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونائجها وابن
علوم القبط ومن قبلهم وانما وصل اليه علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكاف المأمون باخراجها من
لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها ولم تقف على شيء من علوم غيرهم واذا كانت
كل حقيقة متعقبة بطبيعة يصلح أن يبحث عما يعرض لها من العوارض لذاتها واجب أن يكون باعتبار
كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يخصه لكن الحكماء اعلمهم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا
انما ثمرته في الاخبار فقط كما رأيت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحیح
الاخبار وهي ضيقة فلهذا هجره والله أعلم وما أوتيت من العلم الا قليلا (وهذا الفن) الذي لاح لنا النظر
فيه نجده من مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس مسائله بالموضوع
والطالب مثل ما يذكره الحكماء والعلماء في اثبات النبوة من ان البشر متعاونون في وجودهم فيحتاجون
فيه الى الحياكم والوازع ومثل ما يذكر في أصول الفقه في باب اثبات اللغات ان الناس يحتاجون الى العبارة
من المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع وتبيان العبارات أخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام
الشرعية بالمقاصد في ان الزنا مخلط للانساب مفسد للنوع وان القتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن
بخراب العمران المقضي لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الاحكام فانها كلها مبنية
على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو ظاهر من كلامنا في هذه المسائل
المثلية (وكذلك) ايضا يقع اليها القليل من مسائله في كلمات منفرقة لحكماء الخليفة لكنهم لم يستوفوه
(فن كلام) الموبدان بهرام بن بهرام في حكاية اليوم التي نقلها المسعودي أيها الملك ان الملك لا يتم عزه
الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت أمره ونهييه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا
بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل
الميزان المنصوب بين الخليفة ونصبه الرب وجعل له قيسا وهو الملك (ومن كلام أنوشروان) في هذا المعنى
بعينه الملك بالجند والجنود بالمال والمال بالخراج والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل بالصلاح
العمال والصلاح العمال بابستقامة الوزراء ورأس الكل بافتقاد الملك حال رعيته بنفسه واقتراده على
تأديبها حتى يملكها ولا تملكه (وفي الكتاب) المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء
صالح منه الا انه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره وقد أشار في ذلك الكتاب الى هذه
الكلمات التي نقلناها عن الموبدان وأنوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي أعظم القول فيها وهو
قوله العالم بستان سياحه الدولة الدولة سلطان تحيا به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام
بعضه الجند الجند اعوان يكفلهم المال المال رزق تجمعه الرعية الرعية ينفذها العدل العدل
مألوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام فهذه هي تلك الحكمة السياسية ارتباط

له الناس ينظرون اليه أفواجا حتى يرى رجل يعمل شيئا مكرها عليه لم يلتفت اليه ولا رفع رأسه اليه فوقف الملك
عليه وقال كل الناس ينظرون الى الا أنف فقال الرجل اني رأيت ملكا مثلك وكان على هذه القرية فبات هو ومساكين فدفن الى جنبه

في يوم واحد وكنانعرفهمافي الدنيا باجسادهم ما ثم كنانعرفهم باقبريهم ما ثم نسفت الريح قبريهم ما وكشفت عنهم ما فاختلطت عظامهم ما فلم أعرف الملك من المسكين فلذلك أقبلت على علي وتركت النظر اليك وروى ان داود (٢٥) عليه السلام بيناهو يسبح في الجبال

اذواقى على غار فاذا فيه رجل عظيم الخلق من بني آدم واذا عند رأسه حجر مكتوب بكتاب محفور فيه أنا رستم الملك ملكة ألف عام وفتحت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وافترعت ألف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى قصار التراب فراشى والحجارة وسادى فن رآنى فلا تعرفه الدنيا كما عرفتنى وقال وهب بن منبه خرج عيسى بن مريم عليه السلام ذات يوم مع جماعة من أصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قدام كن من الفرق فقالوا يا نبي الله انا جياع فأوحى الله اليه ان ائذن لهم في اقواتهم فاذن لهم ففترقوا في الزرع يفركون ويأكلون فيبناهم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول زرعى وأرضى ورثته من آبائى باذن من تأكلون يا هؤلاء قال قد عايتنى ربى فبعث الله تعالى جميع من ملأ تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل سبلة او ماشاء الله رجل أو امرأة كلهم ينادون زرعى وأرضى ورثته من آبائى ففرع الرجل منهم وكان قد بلغه أمر عيسى

بعضها به بعض وارتدت اعجازها على صدورها واتصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعنوده عليها وعظم من فوائدها وأنت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملب واعطيتهم حقه من التصفع والتفهم عثرت في اثناثة على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجسامها مستوفى بيننا وبوعب بيان واوضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادته وبنان وكذلك تجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسالته من ذكر السياسات والكثير في مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما بزهناه انما يحلج في الذكر على منحنى الخطابة في اسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوم القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على أبواب تقرب من أبواب كتابنا هذا ومسائلة لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا أصاب الشاكاة ولا استوفى المسائل ولا اوضح الأدلة انما يبوب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والاثر ونية نقل كلمات متفرقة لمحكاهم الفرس مثل بزرجهر والمو بنان وحكما الهذد والمأثور عن دانيال وهو رمس وغيرهم من اكابر الخبايعة ولا يكشف عن التحقيق قناعا ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حجابا انما هو نقل وترغيب شبيه بالمواعظ وكأنه حوم على الغرض ولم يصادف فيه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن الهمننا الله الى ذلك الهما ما واعرنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينة خبره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع اظاهرة واتحاه فتوفيق من الله وهداية وان فانتى شئ في احصائه واشتهت بغيره مسائله فلما نظر الحق اصد لاهولى الفضل لا فى نهجت له السيد ل وأوضحته له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء (ونحن) الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع بوجوه برهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة وتدفع بها الاوهام وترفع الشكوك (ونقول) لما كان الانسان متميزا عن سائر الحيوانات بخواص اختصاص بها فمنها العلوم والصنائع التى هي نتيجة الفكر الذى تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان القاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد وهذه وان كان لها مثل ذلك فبطريق الهامى لا يفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقائه وهو داه الى التماسه وطالبه قال تعالى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التماكن والتنازل في مصر او حلة للانسان بالعشير واقتضاء الحاجات لما فى طباعهم من التعاون على المعاش كما سنبينه ومن هذا العمران ما يكون بدويا وهو الذى يكون فى الضواحي وفى الجبال وفى الحلال المنتجة فى القفار وأطراف الرمال ومنه ما يكون حضريا وهو الذى بالامصار والقري والمدن والمداثر للاعتصام بها والتحسن بمجدراتها وله فى كل هذه الاحوال أمور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتياله فلا جرم انحصر الكلام فى هذا الكتاب فى ستة فصول (الاول) فى العمران البشرى على الجملة وأصنافه وقسطه من الارض (والثانى) فى العمران البدوى وذكر القبائل والامم الوحشية (والثالث) فى الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية (والرابع) فى العمران الحضرى والبلدان والامصار (والخامس) فى الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه (والسادس) فى العلوم واكتسابها وتعلمها (وقد) قدمت العمران البدوى لانه سابق على جميعها كما تبين لك بعد وكذا تقدم الملك على البلدان والامصار وما تقدم المعاش فلان المعاش ضرورى طبيعى وتعلم العلم كمالى او حاجى والطبيعى أقدم من الكمالى وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما تبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

(٤ - ابن خلدون) عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك يا رسول الله انى لم أعرفك زرعى ومالى لك حلال فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلهم قدوروا هذه الارض وعجروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها وبهم لاحق ليس لك ارض ولا مال

وقال ابو العتاهية وعظمت اجدات صمت * ونعمتك ازمته خفت وتكلمت عن اوجهه * تبلى وعن صورته وارتك قبرك في القبر * روائت حتى لم تمت (٢٦) يا شامتا بعيني * ان المنيه لم تمت ولربما انقلب السما *ت فخل بالقوم الشمت

(الفصل الاول من الكتاب الاول في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات)

(الاولى) في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكما عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حياؤها بقاءها الا بالغذاء وهذا الى التماسه بطريقه وبمسار كعب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفيه له بمساده حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من المنطقه مثلا فلا يحصل الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين وآلات لاتتم الا بصناعات متعدده من حداد ونجار وفاخوري وبها ياكه حياها من غير علاج فهو ايضا يحتاج في تحصيله ايضا حياها الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبيل ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعدده وصناعات كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان توفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر والكثيرة من ابناء جنسه ليحصل القوت له ولهم فيحسن بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لا اكثر منهم باضعا ف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضا في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لمسار كعب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدره الفرس مثلا اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والنور و قدرة الاسد والقيط اضعا ف من قدرته ولما كان العدوان طبيعيا في الحيوان جعل لكل واحد منها عضوا يختص بدفاعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل الانسان عوضا من ذلك كله الفكر واليد فاليد مهيئة للصنائع بخدمة الفكر والصنائع تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النابتة عن الخنايا والمخارحة والتراس النابتة عن البشرات الجاسية الى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضا باسعمال الآلات المعدة للدفاعه لسكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بابناء جنسه وهو ما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا تتم حياته لمسار كعبه الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضا دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويأجله الهلاك من مدى حياته ويبطل نوع البشر واذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء والسلاح للدفاعه وتمت حكمه الله في بقاءه وحفظ نوعه فاذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والالم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلاقه اياهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعا لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في نفسه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجبا على صاحب الفن لما تقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس ايضا من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بقضائه ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قرناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافي في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لتجنيهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور

وروي ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما رأى فاطمة رضي الله عنها مسجاة بشوبها بكى حتى رثى له ثم قال لكل اجتماع من خيلين فرقة وان الذي دون الممات قليل أرى عمل الدنيا على كثيرة وصاحبها حتى الممات قليل وان افتقادي واحد بعد واحد دليل على أن لا يدوم خيل (وقال) * الا ايه الموت الذي ليس تاركى أرخني فقد افنت كل خيل اراك يصير بالذين أحبهم كانت تخو يخوهم بدليل ولما تقض يديه من ترابها تمثل بقول بعض بني أمية اقول وقد فاضت دموعي حسرة ارى الارض تبقى والاخلاء تذهب اخلاى لو غير الحسام أصابكم عتبت ولكن ماء على الموت معتب (وقال العناني) * قلت للفرقدين والليل ملق سودا كفافه على الافاق ابقيا ما بقيتما فسيرى بين شخصيتكما بسهم الفراق غر من ظن أن يقوت المنايا وعراها قلائدا لعناق كم صفيين متعابا اجتماع ثم صار الغربة واقتراق لا يدوم البقاء للخلافى لكن دوام البقاء للخلاق وان شئت في بعض الادباء اسعداني يا فتحي حلوان وارثيالى من ريب هذا الزمان ولعمري لو ذقتما حرق الفرقه ابكا كما الذي ابكاني

جميع
كم صفيين متعابا اجتماع ثم صار الغربة واقتراق لا يدوم البقاء للخلافى لكن دوام البقاء للخلاق وان شئت في بعض الادباء اسعداني يا فتحي حلوان وارثيالى من ريب هذا الزمان ولعمري لو ذقتما حرق الفرقه ابكا كما الذي ابكاني

واعلم ان بقية ما ان نحسا * سوف ياتيكم فتنه فان ولما سافر الرشيد الى طوس وعك في طريقه من حراسه فقال له الطبيب لا يريك الاجار النخل وكان تزوله قريبا من هاتين النخلتين فامر بقطع جارا حدى النخلتين (٢٧) فلما مثل بين يديه انشده بعض

الجماساء هذه الابيات لبعض الشعراء في هاتين النخلتين فقال الرشيد لسمعتهما ما أمرت بقطعهما وما مات الاسد كندر قال ارسل طائلا ليس ايهما الملك لقد حرر كتابا سكونك وقال بعض الحكماء من اصحابه كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم او عظم منه امس فنظمه ابو العتاهية فقال

كفى حزنا بدفنتك ثم انى
نقضت تراب قبرك من يديا
وكانت من حياتك لي
عظات

فانت اليوم او عظم منك حيا
ووجهك مكتوبا على قبر
قهرنا من قهرنا فصرنا
للمناظرين عبرة (وقال
عبد الله بن المعتز)

سير الى الاجال في كل ساعة
وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ارمثل الموت حقا كانه
اذا ما تخبطه الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن
الصبا

فكيف به والشيب في
الراس شاعل
ترحل من الدنيا براد من
التقى

فعمرك ايام تعد قلائل
ولما دخل ابو الدرداء الشام
قال يا اهل الشام اسمعوا

قول اخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالي اراكم تبون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا واملاوا
بعيدا وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجعهم يورا ومساكنهم قبورا وروى الجاهل قال وجد مكتوبا في حجر ابن آدم لو رأيت يسير

جميع الحيوانات عن مداركهم والمساكنات فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان والبدا القاهرة حتى لا يصل احد الى غير بعدوان ومذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا انه خاصة للانسان طبيعية ولا بد لهم منها وقد وجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كافي النخل والجراد لما استقرى فيها من الحكم والانتقاد والاتباع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجمسه انه الا ان ذلك موجودا في الانسان بمقتضى الفطرة والمداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النبوة بالدليل العقلي وانها خاصة بطبيعة الانسان فيقرررون هذا البرهان الى غاية وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر وانه لا بد ان يكون متميزا عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقبول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزييف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه اذا الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يقرضه الحكماكم لنفسه او بالعصبة التي يقتدر بها على قهرهم ووجاههم على جادته فاهل البكاي والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى الجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والاراضى والحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنجرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يتمتع وبهذا يتبين لك غاياتهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلي وانما مدركه الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والمداية

(المقدمة الثانية)

(في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم)

(اعلم) انه قد تبين في كتب الحكماء المناظرين في احوال العالم ان شكل الارض كروي وانها محفوفة بعنصر الماء كانها غنية بطلاقة عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها لما اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلق لاقعة على سايرها وقد يتوههم من ذلك ان الماء تحت الارض وليس بصحيح وانما تحت الطبيعي قلب الارض ووسط كرتها الذي هو مركزها والنخل يطالبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك من جوانبها واما الماء المحيط بها فهو فوق الارض وان قيل في شئ منها انه تحت الارض فبالاضافة الى جهة اخرى منه واما الذي انحسر عنه الماء من الارض فهو النصف من سطح كرتها في شكل دائرة احاط العنصر المائي بها من جميع جهاتها بحرا يسمى البحر المحيط ويسمى ايضا بالبحر العظيم واللام الثانية ويسمى اوقيانوس اسماء الخفية ويقال له البحر الاخضر والاسود ثم ان هذا المنكشف من الارض للعمران فيه القفار والخلاء اكثر من عمرانها والخالى من جهة الجنوب منه اكثر من جهة الشمال وانما المعمور منه قطعة اميل الى الجانب الشمالي على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب الى خط الاستواء ومن جهة الشمال الى خط كروي ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينهما سد ياجوج وماجوج وهذه الجبال مائلة الى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب الى عنصر الماء ايضا بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المنكشف من الارض قالوا هو مقدار النصف من الكرة او اقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالاقاليم السبعة وخط الاستواء يقسم الارض بنصفين من المغرب الى المشرق وهو طول الارض وكبر خط في كرتها كما ان منطقة فلان البروج ودائرة معدل النهارا كبر خط في الفلك ومنطقة البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الارض خمسة وعشرون

قول اخ لكم ناصح فاجتمعوا عليه فقال مالي اراكم تبون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ان الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا واملاوا
بعيدا وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا وجعهم يورا ومساكنهم قبورا وروى الجاهل قال وجد مكتوبا في حجر ابن آدم لو رأيت يسير

فما بقي من أجليك لزمه دت في طول ما ترجوه من أمالك ولرغبتي في الزيادة من عملك ولتقصرت عن حرصك وحيلك وإنما يالك غدا ندمك
لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك (٢٨) وحشك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت في عملك زائد ولا إلى أهالك

فرسخا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون
أصبعاً والأصبع ست حبات شعير مصفوفة ملصقة بعضها إلى بعض ظهر البطن وبين دائرة معدل النهار
التي تقسم القللك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين كل واحد من القطبين تسعون درجة
لكن العمارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع وستون درجة والباقي منها خلا لعمارة فيه
لشدة البرد والجود كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلها لشدة الحر كما تبين ذلك كله إن شاء الله تعالى ثم إن
الخبرين عن هذا المعمور وحدوده وما فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال
مثل بطليموس في كتاب الجغرافيا وأحب كتاب زجاري من بعده قسماً وهذا المعمور بسبعة أقسام يسمونها
الأقاليم السبعة بحدود وهمية بين المشرق والمغرب متساوية في العرض مختلفة في الطول فالأقاليم الأولى
أطول عما بعده وكذا الثاني إلى آخرها فيكون السابع أقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة من انحناء الماء
عن كرة الأرض وكل واحد من هذه الأقاليم عندهم منقسم بعشرة أجزاء من المغرب إلى المشرق على التوالي
وفي كل جزء الخبر عن أحواله وأحوال عمارته (وذكرنا) أن هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في
الأقاليم الرابع البحر الرومي المعروف ببدائي خليج متضائق في عرض اثني عشر ميلاً أو نحوها ما بين طنجة
وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينقسم إلى عرض ستمائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من
الأقاليم الرابع على ألف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة
الجنوب سواحل المغرب أولها طنجة عند الخايج ثم إفريقية ثم برقة إلى الإسكندرية ومن جهة الشمال
سواحل القسطنطينية عند الخايج ثم البنادقة ثم رومة ثم الأفرنجية ثم الأندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة
طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل أقريطش وقبرص وصقلية وميورقة
وسردانية ودانية (قالوا) ويخرج منه في جهة الشمال بحران آخران من خليج بين أحدهما مسامت
للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضائفاً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بحار فيمتصل بالقسطنطينية
ثم ينقسم في عرض أربعة أميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة
عرضها ستة أميال فيمجد بحريطش وهو بحر ينحرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر بارض
هريقية وينتهي إلى بلاد الحزرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من الجانبين أهم من الروم
والترك وبرجان والروس والبحر الثاني من خليج هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على
سمت الشمال فإذا انتهى إلى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد انكلية
على ألف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغديرهم أهم ويسمى خليج البنادقة
(قالوا) وينساح من هذا البحر المحيط أيضاً من الشرق على ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء
بحر عظيم متسع يمر إلى الجنوب قليلاً حتى ينتهي إلى الأقاليم الأولى ثم يمر فيه مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء
الخامس منه إلى بلاد الحبشة والزيج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ وخمسة مائة فرسخ من
مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزنج وبلاد بربر التي ذكرها
أمرؤ القيس في شعره وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلاد مقدشو ثم بلاد سفالة وأرض الواق واق
وأهم أنزلهم الألقار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبدئه ثم الهند ثم السند ثم
سواحل اليمن من الأحقاف وزبيد وغيرهما ثم بلاد الزنج عند نهايته وبعدهم الحبشة (قالوا) ويخرج من
هذا البحر الحبشي بحران آخران (أحدهما) يخرج من نهايته عند باب المندب فيمتد متضائفاً ثم يمر

عائد وقال مالك بن أنس
بلغني أن امرأتين أتتا عيسى
عليه السلام فقالتا يا روح
الله ادع الله لنا أن يخرج
لنا أبانا فإنه هالك ونحن
غائبتان عنه قال تعرفان
قبره فقالتا نعم فذهب
معهما فأتتا قبراً فقالتا هذا
هو فدعا الله فأخرج لهما
فاذا هو ليس به قد عاقد
ثم دلتهما على قبر آخر فدعا
أن يخرج فخرج فاذا هو
فلزمتاه وسلمتا عليه ثم قالتا
يا نبي الله يا معلم الخير ادع
الله أن يبقيه معنا فقال
وكيف أدعوه ولم يبق له
رزق يعيش به ثم رده
وانصرف واتشدني بعض
الآباء

والسفي من فراق قوم
هم المصابيح والمحزون
والمزن والمدن والرواسي
والخير والامن والسكون
لم تغير بنا الليالي
حتى توفتهم المنون
فكل جبر لنا قلوب
وكل ماء لنا عيون
(وزوي) أن النعمان بن
المنذر خرج متصيداً ومعه
هدي بن زيد فروا بشجرة
فقال عدي بن زيد أيها
الملك أتدري ما تقول هذه
الشجرة قال لا قال أنها
تقول

من رأنا فحدث نفسه * أنه موف على قرب سؤال وصروف الدهر لا يبقى لها * ولما تأتي به صم الجبال مستجرا
وبركب قد انما حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال عمرو الدهر بعيش حسن * آمني دهرهم غير عيال

عصف الدهر بهم فانقرضوا * وكذلك الدهر حال بعد حال قال ثم جاوزوا الشجرة فورا بمقبرة فقال له عدى أيم الملك أتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا قال انها تقول أيا الركب المخبرنا * على الأرض المجدونا (٢٩) كما أنتم كذا كنا * كما نحن تكونونا

فقال النعمان قد علمت ان الشجرة والمقبرة لا يتكلمان وقد علمت انك انما أردت تعطيني فجزاك الله خيرا في السبيل الذي تدرك به النجاة قال تدع عبادة الاوثان وتعبدا لله وحده قال في هذه النجاة قال نعم فترك عبادة الاوثان وتنصر يوما واخذ في العبادة والاجتهاد (وقال) مبد الله بن المع لم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالروينة نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة ليس له منظر وهيئة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القرية فاخذها فانطلق فلم يلبس الا سيرا حتى أقبل وقد امتلأت اثوابه طينا فوضعها كالسرور الاضاحك ثم قال لكم غير هذا قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله تعالى وشكره ثم اعتزل وقعد فاكله اكل جائع فادر كتي عليه الرافة فقامت اليه بطعام طيب كثير فقلت له قد علمت انه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فما ابالي باي شيء ردتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى اعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فقد عافاه له اثر ولا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت له هل لك ان تعادني فان معي

مستبحرا الى ناحية الشمال ومغربا قليلا الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على ألف واربع مائة ميل من مبدته وسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين قسطنطينية مصر من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجمدة ثم مدين وإيلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيذاب وسواكن وزيلج ثم بلاد الحبشة عند مبدته وهو آخره عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينهما نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله يرومون خرق ما بينهما ولم يتم ذلك (والبحر الثاني) من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الانحصر يخرج ما بين بلاد الهند والاحقاف من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغربا قليلا الى ان ينتهي الى الابله من سواحل البصرة في الجزء السادس من الاقليم الثاني على اربعمائة فرسخ واربعين فرسخا من مبدته وسمى بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل الهند ومكران وكرمان وفارس والابله عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل البحرين واليه مائة وعثمان والشحر والاحقاف عند مبدته وفيه ما بين بحر فارس والقلزم خيرة العرب كأنها دخلة من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق في ما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمائة ميل بينهما وهناك الكوفة والقادسية وبغداد واربوان كسرى والحيرة ووراء ذلك امم الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليمامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن في جهة الجنوب منها وسواحلها على البحر الحبشي (قالوا) وفي هذا المعمر بحر آخر منقطع من سائر البحار في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول ألف ميل في عرض ستمائة ميل في غربيه اذربيجان والديلم وفي شرقيه ارض الترك وخوارزم وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه ارض الخزر واللان (هذه) جملة البحار المشهورة التي ذكرها اهل الجغرافيا (قالوا) وفي هذا الجزء المعمر انهار كثيرة أعظمها أربعة أنهار وهي النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون (فاما النيل) فبدؤه من جبل عظيم وراء خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول وسمى جبل القمر ولا يعلم في الأرض جبل اعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة هناك وبعضها في أخرى ثم تخرج أنهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب أحدهما الى ناحية الشمال على سمتة ويمر ببلاد النوبة ثم بلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجا وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية وسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقيه والواحات من غربيه ويذهب الى البحر منطلقا الى المغرب ثم يمر على سمتة الى أن يصب في البحر المحيط ونهر السودان وأهمهم كلهم على ضفتيه (وأما الفرات) فبدؤه من بلاد أرمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس ويمر جنوبا في أرض الروم ومطبية الى منبع ثم يمر بصيفين ثم بالرقة ثم بالكوفة الى ان ينتهي الى البطحاء التي بين البصرة وواسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتجلب اليه في طريقه أنهار كثيرة ويخرج منه أنهار أخرى تصب في دجلة (وأما دجلة) فبدؤها من بلاد خلات من أرمينية أيضا وتمر على سمت الجنوب بالموصل واذر بيجان وبغداد الى واسط فتفرق الى خلتان كلها تصب في بحيرة البصرة وتفضي الى بحر فارس وهو في الشرق على بين الفرات وينجلب اليه أنهار كثيرة عظيمة من كل جانب وفيما بين الفرات ودجلة من أوله خيرة الموصل قبالة الشام من عدوتى الفرات وقبالة اذربيجان من عدوة دجلة (وأما نهر جيحون) فبدؤه

ردتها فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبى اعرفه قلت لا قال انه من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها فقد عافاه له اثر ولا وقف له على خبر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وانسته وقلت له هل لك ان تعادني فان معي

فضلا من راحتي فجزاني خير اوقال لو اردت هـ ذالك كان لي معدا ثم انس الى فيجعل يحدني فقال انارجـ ل من ولدا العباس كنت اسكن
البصرة وكنت ذا كبرشديد وبذخ (٣٠) واني امرت خادما لي ان تحشوف راشالي من حرير ومخدة بورذ نثر ففعلت واني لثام اذا بقمع

وردة قد اغفلت الخادم
فقلت اليها فاجعتها ضربا
ثم عدت الى مضجعي بعد
اخراج القمع من المخدة
فأتاني آت في منامي في
صورة قطيعة فهرني وقال
افق من غشيتك ابصر من
خبرتك ثم انشأ يقول
ياخذ انك ان توسد لي ناي
وسدت بعد الموت صم
الحنبل

فامهـ دلنفسك صاعدا
تسعدني
فلتند من غدا اذ لم تفعل
فانتهت فرما فخرجت
من ساعتي هاربا الى ربي
(وقال) عبد الواحد بن
زيد ذكر لي ان في جوانب
الابلة جارية مجنونة تنطق
بالحكمة فلم ازل اطلبها
حتى وجدت في خرابة جالسة
على حجر وعليها جبة صوف
وهي مخلوقة الرأس فلما
نظرت الي قالت من غير
ان اكلمها مر جيا بك يا عبد
الواحد فقلت لها ردت
الله بك وعجبت من معرفتها
لي ولم تر في قبل ذلك فقالت
ما الذي جاء بك ههنا فقلت
جئت لتعطيني فقالت
واعجباه لو اعطى بوعظ ثم
قالت يا عبد الواحد اعلم
ان العبد اذا كان في كفاية
ثم مال الى الدنيا سلبه الله

من بلغ في الجزء الثامن من الاقليم الثالث من عيون هناك كـ يرة وتنجاب اليه انهار عظام ويذهب
من الجنوب الى الشمال فيمري به بلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم
الخامس فيصب في بحيرة البحر جانية التي باسم قل مدينتها وهي مسيرة شهر في مشله واليه ينصب نهر
فرغانة والشاش الا تقي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى شرقيه بلاد
بخارى وترمز وهرقند ومن هنالك الى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخزمية واعم الاعاجم وقد ذكر
ذلك كله بطليموس في كتابه والشريف في كتاب زجارد وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال
والبحار والودية واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به اطوله ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي
هو وطن البربر والاطنان التي لا عرب من المشرق والله الموفق

(تكملة لهذه المقدمة الثانية)

(في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمران من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك)

ونحن نرى بالمشاهدة والاختبار المتواترة ان الاول والثاني من الاقليم المعمورة اقل عمران من الباقيين وهما وما
وجد من عمرانهم فيمتلئ به الخلا والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منهما واعم هذين الاقليمين
واناسيهم ليست لهم كثرة البانعة وامصارهم ومدنهم كذلك والثالث والرابع وما بعدهما بخلاف ذلك
فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك اومع ودومة واعما واناسيها تجوزا لخدم من الكثرة وامصارها ومدنها
تجاوزا لخدم عدد اهلها عمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب بخلاف ذلك كله وقد ذكر كثير
من الحكماء ان ذلك لافراط الحروق لمدى الشمس فيها عن سمت الرأس فلو وضع ذلك ليرماه
ويبين منه سبب كثرة العمارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسابع
(فنقول) ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين
هي اعظم الدوائر المسارة من المشرق الى المغرب وتسمى دائرة معدل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة
ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية يحرك بها ساثر الاقلاك التي في جوفه قهرا
وهذه الحركة محسوسة وكذلك تبين ان للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب
الى المشرق ويختلف مؤداها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب
في افلاكها توازيها كاهل دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه بنصفين وهي دائرة فلك البروج متقسمة
بأثنى عشر برجا وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج
هما اول الحمل وأول الميزان فتقسمها دائرة معدل النهار بنصفين نصف مائل عن معدل النهار الى الشمال
وهو من اول الحمل الى آخر السنبلة ونصف مائل عنه الى الجنوب وهو من اول الميزان الى آخر الحوت
واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة
معدل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدا
الاقليم الاول من الاقليم السبعة والعمران كله في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن
آفاق هذا المعمور بالتدريج الى ان ينتهي ارتفاعه الى أربع وستين درجة وهنالك ينقطع العمران
وهو آخر الاقليم السابع * واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين القطب ودائرة معدل النهار
صار القطب على سمت الرأس وصارت دائرة معدل النهار على الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق
وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية والعمارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين متمتعة

جلالة الزهد في ظل حيران والمنافان كان له نصيب عند الله عاتبه وجبا في سره فقال عبيدي اردت ان ارفع
قدرك عند ملائكتي وخلة عرشي واجعلك دليلا لاوليائي واهل طاعتي في ارضي فالت الى عرض من اعراض الدنيا وتركتني فورثت
لان

بذلك الوحشة بعد الانس والذل بعد العز والقفر بعد الغنى عبيدي ارجع الى ما كنت عليه ارجع الي ما كنت تعرفه من نفسك ثم تركني ووات عني وانصرفت عنها وبقلي حيرة منها وانشدوا انك في دارهم امددة (٣١) يقبل فيهم العمل العامل اما ترى الموت محيطة بها

يقطع فيها امل الا امل
تعمل الذنوب بما تشتهي
وتأمل التوبة من قابل
والموت يأتي بعد ذا غفلة
ماذا يفعل المحازم العاقل
ولما نزل سعد بن أبي وقاص
الحيرة قيل له ههنا عجوز
من بنات الملوك يقال لها
الحريقة بنت النعمان بن
المنذر وكانت من اجل
قبائل العرب وكانت اذا
خرجت الى بيتها نشرت
عليها الف قطعة حرير
وديباج ومعه الف وصيف
ووصيفة فارسل اليها سعد
فجاءت كالشن البالي فقالت
يا سعد كنا ملوك هذا
المصر قبلك يحمل البنا
خراجه ويطيئنا اهل امددة
من المسد حتى صباح بنا
صالح الدهر فشتت شملنا
والدهر ذنوايب وصورف
فلورايتنا في ايامنا الارعدت
فرائصك فزعنا من اقبال
لها سعد ما نعلم ما تنعمتم
به قالت سعة الدنيا اعلنا
وكثرة الاصوات اذا دعونا
ثم انشأت تقول
وبينا ناسوس الناس والامر
امرنا
اذ نحن فيهم سوقة ليس
ننصف
فتبالدنيا لا يدوم نعيمها
تقلب تارات بنا وتصرف

لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان بمترجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل التكوّن في فاذا الشمس تسامت
الرؤس على خط الاستواء في رأس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامنة الى رأس السرطان ورأس الجدي
ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربع وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي عن الافق
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب الجنوبي كذلك بمقدار متساو
في الثلاثة وهو المسمى عند أهل المواقيت عرض البلد واذا مالت دائرة معدل النهار عن سمت الرأس
عالت عليها البروج الشمالية مندرجة في مقدار علوها الى رأس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية
من الافق كذلك الى رأس الجدي لانحرافها الى الجانبين في أفق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق
الشمالي يرتفع حتى يصير أبعد الشمالية وهو رأس السرطان في سمت الرأس وذلك حيث يكون عرض
البلاد اربع وعشرين في الجباز وما يليه وهذا الميل الذي اذا مال رأس السرطان عن معدل النهار في
أفق الاستواء ارتفع بارتفاع القطب الشمالي حتى صار مسامتا فاذا ارتفع القطب أكثر من أربع وعشرين
نزالت الشمس عن المسامنة ولا تزال في انخفاض الى أن يكون ارتفاع القطب اربع وعشرين ويكون
انخفاض الشمس عن المسامنة كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوّن
لا فراط البرد والجهد وطول زمانه غير ممترج بالحر ثم ان الشمس عند المسامنة وما يقاربها تبعث الاشعة
على الارض على زوايا قائمة وفيما دون المسامنة على زوايا منفرجة واحدة واذا كانت زوايا الاشعة قائمة
عظم الضوء وانتشر بخلافه في المنفرجة والحادة فلهاذا يكون الحر عند المسامنة وما يقرب منها أكثر منه
فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين ثم ان المسامنة في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند
نقطتي الحمل والميزان واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي
الا وقد صعدت الى المسامنة فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلح على ذلك الافق ويطول مكثها او يدوم
فيشتعل الهواء حراة و يقرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت مرتين فيما بعد خط الاستواء الى
عرض اربعة وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في ذلك بقرب من الحادها في خط الاستواء وافرط
الحر يفعل في الهواء تجفيفا ويسايع من التكوّن لانه اذا قرط الحر جفت المياه والرطوبة وفسد
التكوّن في المعدن والحيوان والنبات اذا التكوّن لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن
سمت الرأس في عرض خمسة وعشرين فما بعده نزالت الشمس عن المسامنة فيصير الحر الى الاعتدال أو
يميل عنه ميلا قليلا فيكون التكوّن يتزايد على التدريج الى أن يقرط البرد في شدته لقلّة الضوء وكون
الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوّن ويفسد الا ان فساد التكوّن من جهة شدة الحر أعظم منه من
جهة شدة البرد لان الحر أسرع تأثيرا في التجفيف من تأثير البرد في الجمد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول
والثاني قليلا وفي الثالث والرابع والخامس متوسط الاعتدال الحر بقصان الضوء وفي السادس والسابع
كثير النقصان الحر وان كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوّن كما يفعل الحر اذا التجفيف فيها
الا عند الافراط بما يمرض لها حينئذ من اليبس كما بعد السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي
أكثر وأوفر والله أعلم ومن هنا اخذ الحكماء خلاصة خط الاستواء وما وراءه وأورد عليهم ما به مهور
بالمشاهدة والاختبار المتواترة فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران فيه
بالكلية انما اداهم البرهان الى أن فساد التكوّن فيه قوي بافراط الحر والعمران فيه اما يمنع أو يمكن
أقل وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل فهو قليل جدا (وقد زعم ابن

ثم قالت يا سعد انه لم يكن أهل بيت خير الا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتي امر الله على الفريقين فاكرمها سعد وأمر بردها فلما أرادت
القيام قالت يا سعد لا زال الله نعمة ولا جعل لك الى شيء حاجة ولا أزال عن كريم نعمة ولا أزال عن عبد صالح نعمة لا جعل لك الله

سبيل إلى ردها عليه ول بعضهم
 من كان يعلم ان الموت يدركه * والقبر مسكنه والبعث مخربه * وأنه بين جنات سبيل
 يوم القيامة او نار مستضيحه (٣٢) فكل شيء سوى التقوى به سمج * وما أقام عليه منه اسمج تری الذي اتخذ الدنيا له ومنا

رشد أن خط الاستواء معتدل وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا
 والذي قاله غير ممنوع من جهة فساد السكون وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة أن
 العنصر المائي غمر وجه الأرض هنالك إلى الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلاً للتسكين
 ولما امتنع المعتدل لغلبة الماء تبعه ما سواه لأن العمران متدرج ويأخذ في التدرج من جهة الوجود
 لا من جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فيرده النقل المتواتر والله أعلم * وترسم بعده هذا
 الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتهم تأخذ في تفصيل الكلام عليه الخ

(تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا)

اعلم ان الحكماء قسموا هذه المعمورة كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب يسمون كل
 قسم منها اقليماً فانقسم المعمور من الأرض كلها على هذه السبعة الاقاليم كل واحد منها آخذ من الغرب
 إلى الشرق على طوله * فالاول منها ما من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب
 وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحبت فهي كالأعمدة ويليه من جهة شمالية
 الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخرها من جهة
 الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار إلى ان ينتهي إلى البحر المحيط كالمحيط في ما وراء الاقليم
 الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب * ثم ان
 أزمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب
 الشمالي عن آفاقها فتتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الاقاليم الاول
 وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي ليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما ما إلى ثلاث عشرة
 ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس
 السرطان وهو منقلبها الصيفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها الشتوي
 برأس الجدي ويبقى للأقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ساعة ونصف من جملة أربع وعشرين
 الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الاقليم الثالث مما يلي
 الشمال أيضاً ينتهيان إلى أربع عشرة ساعة وفي آخر الرابع إلى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر
 الخامس إلى خمس عشرة ساعة وفي آخر السادس إلى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع إلى ست
 عشرة ساعة وهنالك يقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الأطول من أيامها ونهارها بنصف
 ساعة لكل اقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على أجزاء هذا البعد
 * وأما عرض البلدان في هذه الاقاليم فهو عبارة عن بعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة معدل النهار الذي
 هو سمت رأس خط الاستواء ويمثله سواء ينخفض القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب
 الشمالي عنه وهو ثلاثة أبعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل * والمتكلمون على هذه
 الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب إلى المشرق بعشرة أجزاء متساوية
 ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والأمصار والجبال والأنهار والمسافات بينها في المسالك
 ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهد البلاد والأنهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك
 ما وقع في كتاب نزهة المشتاق الذي ألفه العلوي الأديبي الحمودي الملك صلياً من الأفرنج وهو زجارتهم
 زجارتهم ما كان نازلاً عليه بصقلية بعد خروجه صقلية من إمارة مائة وكان تأليفه للكتاب في منتصف

لم يدروا أن الدنيا سوف ترجع
 (وروي) أن عيسى عليه
 السلام كان مع صاحب له
 يسبحان فاصابها الجوع
 وقد انتهى إلى قرية فقال
 عيسى لصاحبه انطلق
 فاطلب لنا طعاماً من هذه
 القرية وقام عيسى يصلي
 فجاء الرجل بثلاثة أرغفة
 فأطأ عليه انصراف عيسى
 فاكل رغيفاً فانصرف عيسى
 فقال أين الرغيف الثالث
 فقال ما كانا إلا رغيفين قال
 فخرا على وجوهها حتى
 مرابطاً ترى قد عاين عيسى
 عليه السلام ظلياً منها
 قد كاه فأكل منه ثم قال
 عيسى عليه السلام لا ظلي
 قمي باذن الله فإذا هو يشتد
 فقال الرجل سبحان الله
 فقال عيسى بالذي أراك
 هذه الآية من صاحب
 الرغيف قال ما كانا إلا
 اثنين قال فضياء على
 وجوهها فزأبهر رجاء
 عظيم فآخذ عيسى عليه
 السلام بيده فثنى به على
 الماء حتى جاوز الماء فقال
 الرجل سبحان الله فقال
 عيسى عليه السلام بالذي
 أراك هذه الآية من صاحب
 الرغيف قال ما كانا إلا اثنين
 فزأبهر رجاء حتى أتا قرية
 عظيمة خربة وإذا قريب

منها ابن ثلاث من ذهب فقال الرجل هذا مال واحد لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف المائة
 فقال أنا صاحب الرغيف فقال عليه السلام هي لك كلها ففارقها فأقام عليها ليس معها ما يحملكها عليه فربها ثلاثة نفر فقطعوا له وأخذوا

الابن فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال احدا الباقيين تعال نقتل هذا اذا جاء وتقسيم هذا بيننا قال الاخر
نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام اجعل في الطعام سمفا فقتله ماؤا خذ الابن ففعل (٣٣) فلما جاء قتلاه وأكل من الطعام الذي

جاءه فأتا قبرهم عيسى
عليه السلام وهم حولها
منصرمين فقال هكذا
تفعل الدنيا ياها لها (وقال
عبد الملك) بن عمير رأيت
في هذا القصر عجبا رأيت
رأس الحسين على ثوبين
مصبوغين بين يدي ابن
زياد ثم رأيت رأس ابن
زياد بين يدي المختار ثم
رأيت رأس المختار بين
يدي المصعب بن الزبير ثم
رأيت رأس المصعب بن
الزبير بين يدي عبد الملك بن
عروان (وقال الأصمعي)
لما زحف الرشيد بحالسه
وتحرم فيها وزوقها وصنع
فيها طعاما كثيرا أرسل الى
ابن العتاهية وقال صف لنا
ما نحن فيه من نعيم هذه
الدنيا فقال
عش ما بدا لك سالما
في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما شته
تلدى الروح وفي البكور
واذا النفوس تقهقعت
في ضيق حشرة الصدور
فهناك تعلم موقنا
ما كنت الا في غرور
فبكى هرون فقال الفضل
ابن يحيى بعث اليك أمير
المؤمنين لتسره فاحزته
فقال هرون دع فانه رأنا
في ضلالة وعي فكره ان
يزيدنا عي (ويروي) ان

المائة السادسة وجمع له كتابا جمة للسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والقديري وابن اسحق المنجم
و بطليموس وغيرهم ونبدأ منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصمنا عنه وفضله
(الاقليم الاول) وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها يد أبطليموس يأخذ أطوال البلاد
ولست في بسط الاقليم وانما هي في البحر المحيط جزر متكررة أكبرها وأشهرها ثلاثة ويقال انها مغمورة
وقد بلغنا ان سفن من الأفرنج مرت بها في أواسط هذه المائة وقتلواهم فغصوا منهم وسبوا وبيعوا بعض
أسارهم بسواحل المغرب الأقصى وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال
جزائريهم وانهم يحرقون الأرض للزراعة بالقرون وان الحديدي مقود بيارضهم وعيشهم من الشعير
وما شيتهم المعز وقتلهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طاعت ولا يعرفون ديننا
ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالعنور لا بالقصد اليها لان سفن في البحر انما
هو بالرياح ومعرفة جهات مهاجها والى أين يوصل اذا مرت على الاستقامة من البلاد التي في ممر ذلك
المهبط واذا اختلف المهبط وعلم حيث يوصل على الاستقامة حوذي به القلاع محاذة يحمل السفينة بها على
قوانين في ذلك محصلة عند النواتية والملاحين الذي هم رؤساء السفن في البحر والبلاد التي في حقا في البحر
الرومي وفي مدونه مكتوبة كلها في صحيفة على شكل ماهي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر
على ترتيبها ومهاب الرياح وعمراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص وعليها
يعتمدون في أسفارهم وهذا كله مقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن لانها ان غابت عن رأي
السواحل قبل ان تهتدي الى الرجوع اليها مع ما ينفق في جوه هذا البحر وعلى سطح مائه من الانخرة
المانعة للسفن في مسيرها وهي لبعدها لا تدرى ان ضوء الشمس المنعكسة من سطح الأرض فتجلبها فلذلك
عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على خبرها وأما الجزر الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الا في
من مبدئه عند جبل القمركاذا كرنافه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند
جزيرة اوليك وعلى هذا النيل مدينة سلاوت بكرور وغانة وكاهله هذا العهد في مملكة ملك مالي من أمم
السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الأقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد توتنة وسائر طوائف
الملثمين ومقاويز يجولون فيها وفي جنوبها هذا النيل قوم من السودان يقال لهم الموم وهم كفار ويكتوون في
وجوههم وأصداعهم وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيجلبونهم الى
المغرب وكاهلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في الجنوب عمران يعتبر الاناسي أقرب الى الحيوان العجم من
الناطق يسكنون القيا في والكهوف وياكلون العشب والحبوب غير مهياة ورميايا كل بعضهم بعضا
وليسوا في عداد البشر وفوا كد بلاد السودان كلها من قصور وصحراء المغرب مثل قوت وتكدراوين
ووركلان فكان في غانة قوما يقال ملكا ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح وقال صاحب
كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت
هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة السلطان مالي وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم
بلد كوكو على نهر ينبع من بعض الجبال هنالك ويمر مغربا فيغوص في رمال الجزء الثاني وكان ملك
كوكو قائما بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته وخربت له هذا العهد من أجل فتنة
وقعت هنالك نذرها عند ذلك دولة مالي في محالها من تاريخ البربر وفي جنوب بلاد كوكو بلاد كاتم من
أهم السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماله وفي شرقي بلاد ونغارة وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة

(هـ - ابن خلدون) سليمان بن عبد الملك ليس أنفريابيه ومن أطيب طيبه ونظري في رأته فأعجبته نفسه وقال أنا الملك الشاب
وتخرج الى الجمعة وقال لجارية كيف تدين فقالت أنت نعم المتابع لو كنت تبقي غير ان لا يبقا للناس ليس فيم ابد النامتك عيب

عابه الناس غير انك فاني
من حوله فصلي ورجع بين
قالت ما رأيتك ولا قلت
شيئا واني لي بالخروج الى
صحن الدار فقال ان الله وانا
اليه راجعون نعت الى
نفسى ثم عهد هذه واوصى
وصيته فلم تدركه الجمعة
الاخرى الا وهو في قبره
(ووجد) مكتوبا على قصر
سيف بن ذي بزن
من كان لا يطأ التراب برجله
وطئ التراب بناغم الخد
من كان بينك في التراب
وبينه
شبران كان بغاية البعد
لو بعثت للناس أطباق
الثرى
لم يعرف المولى من العبد
(وقال الميثم بن عدي)
وجدوا غار في جبل لبنان
زمان الوليد بن عبد الملك
وفيه رجل مسجى على
شريح من ذهب وعند رأسه
لوح من ذهب مكتوب فيه
بالرومية أناسا بن نواس
ابن سبأ خدمت عيصوب
اسحق بن ابراهيم خليل
الرب الديان الملك الأكبر
وعشت بعده عرا طويلا
ورأت عجبا كثيرا ولم أر
فما رأيت أعجب من
غافل عن الموت وهو يرى
مصارع آبائه ويقف على
قبر احبائه ويعلم انه صائر
اليهم ثم لا يتوب وقد علمت

فاعرض بوجهه ثم خرج فصعد المنبر وصوته يسمع آخر المسجد فركبته الحمى فلم يزل صوته يتقص حتى ما سمع
اثنين يسحب رجليه فلما صار على فراشه قال للجارية ما الذي قلت لي في صحن الدار (٣٤)

المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر نيل مصر ذاهبا من مبدئه عند خط الاستواء
الى البحر الرومي في الشمال ويخرج هذا النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة
واختلفوا في ضبط هذه اللفظة فضبطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قر السماء لشدة بياضه وكثرة
ضوئه وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من أهل الهند وكذا ضبطه ابن
سعيد فيخرج من هذا الجبل عشرين مجرى كل خمسة منها في بحيرة وبينها ستة أميال ويخرج من كل
واحدة من البحريتين ثلاثة أنهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة في أسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية
الشمال ويتقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي منه الى بلاد السودان مغربا حتى يصب في البحر المحيط
ويخرج الشرقي منه ذاهبا الى الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيها بينهما ويتقسم في أعلى أرض مصر
فيصوب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودومياط ويصب واحد في بحيرة ملحمة
قبل أن يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة وبعض بلاد
الواحات الى أسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربي هذا النيل وبعدها ملوة وبالق
وبعدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال وهو جبل عال من جهة مصر ومنخفض من جهة
النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في مهورى بعيد صبابه ولا فليمكن ان تسلكه المراكب بل يحول الوسيق
من مراكب السودان فيحمل على الظهر الى بلاد أسوان قاعدة الصعيد وكذا وسيق مراكب الصعيد الى
فوق الجنادل وبين الجنادل وأسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربيها عدة النيل وهي الاثن
خراب وبها آثار العمارة القديمة وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس من بلاد الحبشة على وادي يأتي من
وراء خط الاستواء ذاهبا الى أرض النوبة فيصوب هناك في النيل الهابط الى مصر وقد وهم فيه كثير من
الناس وزعموا انه من نيل القمر ويطعموس ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل والى
وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويغمر عامة هذا الاقليم
الى هذا الجزء الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي
الى ألف جزيرة او فيما على سواحلها الجنوبية وهي آخر المعروفة في الجنوب او فيما على سواحلها من جهة
الشمال وليس منها في هذا الاقليم الاول الا طرف من بلاد الصين في جهة الشرق وفي بلاد اليمن وفي
الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وهما
بحر قلزم وبحر فارس وفيما بينهما جزيرة العرب وتشمل على بلاد اليمن وبلاد الشحر في شريقها على ساحل
هذا البحر الهندي وعلى بلاد الحجاز واليمامة وما اليهما كما نذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على
ساحل هذا البحر من غربيه فبلاد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البجة (١) في شمال الحبشة ما بين
جبل العلاقي في أعلى الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي وتحت بلاد زالع من جهة الشمال
في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هناك بمزاجة جبل المندب المسائل في وسط البحر
الهندي عند امع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك
الى أن يصير في عرض ثلاثة أميال او نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل
السويس قريبا من مصر وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهالك وقيالنه من غربيه مجالات البجة من
أم السودان كما ذكرناه ومن شريقه في هذا الجزء تهامة اليمن ومنها على ساحلها بلد على بن يعقوب وفي جهة

(١) قوله البجة بضم الباء وفتح الجيم ويقال ايضا البجاة وأما زالع فهي زيلع اه

ان الاجلاف الجفافة سينزلوني عن سريري ويقولونه وذلك حين يتغير الزمان وتأمرا الصبيان ويكثر الحدثان فمن الجنوب
أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا (ويروى) ان الاسكندر مر بمدينة قدماء الملوك سبعة وبادوا فقال هل بقي من نسل

الاملاك الذين ما كوا هذه المدينة اُخذوا لرجل يكون في المقابر فدعا به وقال له مادعاك الى لزوم المقابر قال اردت ان اعزل عظام الملوكة
من عظام عبيدهم فوجدت ذلك سواء قال فهل لك ان تبغني فأحيي بك شرف آبائك (٣٥) ان كانت لك مهمة قال ان همتي

العظمة ان كانت تبغني
عندك قال وما تبغيتك قال
حياة لا موت فيها وشباب
لا هرم فيه وغنى لا يثبته
فقروا سرورا ولا يعتريه مكروه
قال ما أقدر على هذا قال
فانفذ لشأنك ونحاني أطلب
تبغيتي عن هي عنده فقال
الاسكندر هذا أحكم من
رايت (وروى) في
الاسرائيليات ان عيسى بن
مريم عليه السلام بينما
هو في بعض سياحته اذ مر
بجمجمة فخره فأمره ان
تسكك فقامت باروح الله
أنا ابوام بن حنظل ملك
اليمن عشت ألف سنة وولد
لي ألف ذكر وافتضضت
ألف بكر وهزمت ألف
عسكر وقتلت ألف جبار
واقطعت ألف مدينة فن
رأى في فلا يغتر بالدنيا كما
غررتي فما كانت الا تحلم
نأثم فبكى عيسى عليه السلام
(ووجد) مكتوبا على قصر
بعض الملوكة وقد باداه الله
وأفقرت ساحته

هذي منازل أقوام عهدتهم
يوفون بالعهد مذ كانوا
وبالذم
تبكى عليهم ديار كان
يطربها
ترنم المجدين الحلم والكرم
(وقال) عبد الله بن أبي

الجنوب من بلاد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قري بر يتلو بعضها بعضا وينعطف مع جنوبيه
الى آخر الجزء السادس وياهم هذا الملك من جهة شرقها بلاد الزنج ثم بلاد سقالة على ساحل الجنوب
في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرق بلاد سقالة من ساحل الجنوب بلاد الواق واق متصلة
الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر من البحر المحيط وأما جزائر هذا البحر فكثيرة
من أعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلى منه وهي
قبالة سقالة ثم جزيرة القمر وهي جزيرة مستطيلة تبعد عن قبالة أرض سقالة وتذهب الى الشرق منحرفة
بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل أعالي الصين ويختلف بها في هذا البحر من جنوبها جزائر
الواق واق ومن شرقها جزائر السيلان الى جزائر أخرى في هذا البحر كثيرة المدد وفيها أنواع الطيب
والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة أهلها على دين المجوسية وفيهم ملوك متعددون وهذه
الجزائر من احوال العرب ان عجائب ذكرها أهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء
السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها من جهة بحر القلزم بلديها والمهجم وتامة اليمن وبعدها بلاد
صعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيها بعد ذلك مدينة عدن
وفي شمالها صنعاء وبعدها الى الشرق أرض الاحقاف وظفار وبعدها أرض حضرموت ثم بلاد الشحر
ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من أجزاء
هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع وأكثر منه من العاشر في أعالي بلاد الصين
ومن مدنها الشهيرة خانكوك وقبالتهم من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا آخر الكلام في
الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بفضله

(الاقليم الثاني) وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من
الجزائر الخالدات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منها أرض قنورية وبعدها
في جهة الشرق أعالي أرض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها ما صحرا فيسير
متصلة من الغرب الى الشرق ذات مقاو ورسالك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات
المثمين من صنهجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزولة ولاتونة ومسرارة ولطمة ووركة وعلى سميت هذه المقاو
شرقا أرض فزان ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى أعالي الجزء الثالث على سميت في الشرق
وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من أم السودان ثم قطعة من أرض الباجوين وفي أسافل هذا الجزء
الثالث وهي جهة الشمال منه بقية أرض ودان وعلى سميت شرقا أرض سترية وتسمى الواحات الداخلة
وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية أرض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حقا في النيل
الذاهب من مبدئه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الباجوين وهما جبل
الواحات من غربيه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلاد اسنا وأرمنت ويتصل كذلك حقاقيه الى
أسبوط وقوص ثم الى صول ويقترق النيل هناك على شعبين يتنهي الايمن منهما في هذا الجزء عند
اللاهون والاسر عند دلاص وفيما بينهما ما أعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عذاب
ذاهبة في الجزء الخامس الى أن تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندى في
الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء أرض الحجاز من جبل يلم الى بلاد يثرب وفي
وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد صيداب في العدو الغربية من هذا البحر

فوح نزل حى من العرب شعبان من شعاب اليمن فتشاحنوا فيه واختلوا واستعدوا للقتال فاذا صاح يصيح ياهؤلاء على رسلكم علام القتال
في فوالله لقد ملكني سبعون أعور كلهم اسمه عمر و (فصل) في أهل الرجل اعتبر من مضي من الملوكة والاقبال وخلا من الامم والاحياء

وكيف بسطت لهم الدنيا وانسب لهم الا جال وانفسح لهم في المني والامال واما دواب الارض والسمك والعدد والاموال كيف طعمهم بكل كماله
المتون واختدعهم بزخرفه (٣٦) الدهر الخثون واسكنوا بعدسة التصور بين الجنادل والصخور وعاد العالين اثرا والامال

وفي الجزء السادس من غربيه بلاد نجد اعداءها في الجنوب وتباله وحش الى عكاظ من الشمال وتحت
نجد من هذا الجزء بقية ارض الحجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها ارض العمارة وعلى
سمت نجران في الشرق ارض سبا ومارب ثم ارض الشحر ويتنهي الى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط
من البحر الهندي الى الشمال كما رو يذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه
قطعة من مثله عليهم امن اعداءه مدينة قاهات وهي ساحل الشحر ثم تحتها على ساحله بلاد عمان ثم بلاد
البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غربيه قطعة من بحر فارس تتصل
بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبيه الاعلى كله وعليه هنالك بلاد الهند الى بلاد مكران
ويقابلها بلاد الطوبران وهي من الهند ايضا فتصل الهند كلها في الجانب الغربي من هذا الجزء وتتحول
المفاوز بينه وبين ارض الهند ويمر فيه نهره الا في من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب
وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقا بلاد بلخا وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم
ثم الى اسفل من الهند ثم الى اعلى بلاد سنجستان وفي الجزء الثامن من غربيه بقية بلاد بلخا من الهند
وعلى سمتها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد منبهار وفي الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب
الاسفل ارض كابل وبعد ما شرقا الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشير الداخلة وقشير الخارجة عند آخر
الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل
من اعداءه الى العاشر وتبقى في اسفل ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيم امدية شينغون ثم تتصل بلاد
الصين في الجزء العاشر كله الى البحر المحيط والله ورسوله اعلم وبه سبحانه التوفيق وهو ولي الفضل والكرم
(الاقليم الثالث) هو متصل بالثاني من جهة الشمال في الجزء الاول منه وعلى نحو الثلث من اعداءه
جبل درن معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ويسكن هذا الجبل من البربر اعم
لا يخصهم الاخالقهم حسب ما ياتي ذكره وفي القطعة التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط
منها رباط ماسة ويتصل به شرقا بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقا بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة
من صحراء نيسر المفازة التي ذكرناها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء وهو
قابل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياها ومسالكها الى
ان ينتهي وفي هذه الناحية منه اعم المصامدة ثم هنتانة ثم ينملك ثم كدمبوه ثم مشكوزة وهم آخر المصامدة
فيه ثم قبائل صنهاكة وهم صنهاكة وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناتة ويتصل به هنالك من جوفيه
جبل اوراس وهو جبل كامة وبعد ذلك اعم اخرى من البربر تذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من
جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية من بلاد ادرا كش
وانغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد ادرا كش بلاد فارس
ومكاسة وتازاو قصر كامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلها وعلى ساحل البحر المحيط منها
بلادان اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلسان وفي سواحلها على
البحر الرومي بلاد هين ووهراوان والجزائر لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في
الناحية الغربية من الاقليم الرابع ويذهب مشرقا فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضائق
غير بعيد انفسح جنوبا وشمالا فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلهذا كان على ساحله من هذا الاقليم
الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل به بلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في

خبر اقاما اليوم فقد ذهب
صفوا الزمان وبقي كدره
فالموت اليوم تحفة لكل
مسلم كان الخير اصبغ خاملا
والشبر اصبغ ناظرا وكان
الغبي اصبغ ضاحكا
والرشد يا كوا كان العدل
اصبغ غائرا واصبح الجور
عاليا وكان العقل اصبغ
مدفونا والجهل منشورا
وكان اللوم اصبغ باسقا
والكرم خاويا وكان الود
اصبغ مقطوعا والبغضاء
موصولة وكان الكرامة قد
سلبت من الصالحين
وتوحي بها الاشرار وكان
الحب اصبغ مستيقظا
والوفاء نائما وكان الكذب
اصبغ مثمرا والصدق ماحلا
وكان الاشرار اصبغوا
يسامون السماء واصبح
الاخيار بدون بطون
الارض اما ترى الدنيا تقبل
اقبال الطالب وتدبر اديار
المسارب وتصل وصال
المولك وتفارق فراق
الحول فخبرها بسر وعيشها
قصير واقبالها خديعة
وادبارها فجيعة ولذاتها
قانية وتبعاتها باقية فاغتم
عقوة الزمان واتهنزن فرصة
الامكان وخدمت نفسك
لنفسك وتزود من يومك
لعدك ولا تنافس اهل

الدنيا في خفض عندهم ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة طعنهم وسوء عقولهم قال الشاعر
رب مغرورس يعاش به * خدمته عين مغترسه وكذلك الدهر مائة * اقرب الاشياء من عرسه
وقد قال التهامي الشرق

ننافس في الدنيا غروا واثما * قصارى غناها ان نؤول الى الفقر وانال في الدنيا كركب سفينة * تظن وقوفها الزمان بها يجرى
وابعض الشغراء تروح لك الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور (٣٨) وتجري الالباب باجتماع وفرقة *
وتطلع فيها الفجور وتغور
في ظن ان الدهر باق
سوره

فذلك محال لا يدوم سرور
عفا الله عن صير الهم واحدا
وايقن ان الدائرات تدور
(وقال وهب بن منبه)
قرأت في كتب بعض
الانبياء عليهم السلام ان
المسيح اجتاز بجمعة هائلة
عظيمة فخره فقال له اصحابه
يا روح الله لو سالت الله
تعالى ان يستنطق هذه
الجمعة فعمى تخبرنا بما
رأته من العجائب ففعل
فأنطقها الله تعالى فقالت
يا روح الله اني عشت ألف
سنة واستولدت ألف ذكر
وافتحت ألف مدينة
وهزمت ألف جيش
وقتل ألف جبار وصحبت
الدهر واختبرته وامتحنيت
تقاليه وانقلابه فلم أر شيئا
أشد من طالح بلي أمر صالح
ولم أجدهم ذا الدهر شيئا
أنفع من الصبر ومسالمة
أهله ولم أر هلاك أهله الا في
الحرص والطمع ووجدت
العز في الرضا بالقسم (وقال
محمد بن أبي العتاهية آخر
شعره قاله أبي في مرضه الذي
توفي فيه رحمه الله

الهي لا تعذبني فاني
مقرب بالذي قد كان مني

اذا فكرت في قدمي عليها
كان قد دعت له كافي

الشرق منها وفي آخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد مرقعة الى جنوب المغرب
الاولى بلاد اشير ثم بلاد المسيلة ثم الزاب وقاعدتها بسكرة تحت جبل أوراس المتصل بديرن كما مر وذلك عند
آخر هذا الجزء من جهة الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو
الثالث من جنوبه ذاهبا فيه من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله
فالقطعة الجنوبية من جبل درن غربا كلها مفاوز وفي الشرق منها بلاد غدامس وفي سمتها شرقا أرض
ودان التي يقيتها في الاقليم الثاني كما مر والقطعة الجوفية عن جبل درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب
منها جبل اوراس وتبسة والاوريس وعلى ساحل البحر بلاد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقا بلاد افر بقة
فعل ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهدي وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد الجريد توزر
وقفصة ونقراوة وفيما بينهما وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطة وعلى سمت هذه
البلاد كلها شرقا بلاد طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل دمر وتقرة من قبائل هوارمة متصلة
بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطعة الجنوبية وآخر هذا الجزء في الشرق سويقة
ابن مشكورة على البحر وفي جنوبها بحالات العرب في أرض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم يمر
ايضا فيه جبل درن الا أنه ينطف عند آخره الى الشمال ويذهب على سمتة الى أن يدخل في البحر الرومي
ويسمى هنالك طرف أو ثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى أن يضايق ما بينه وبين جبل درن
فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان وبحالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم
رمال وقفار الى آخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلاد سرت على البحر ثم خلاه وقفار
تجول فيها العرب ثم اجداية ثم برقة عند منطف الجبل ثم طلوسة على البحر هنالك ثم في شرق المنطف من
الجبل بحالات هيب ورواحة الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى
برقيق وأسفل منها بلاد هيب ورواحة ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة منه الى الجنوب
حتى يراحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين آخر الجزء قفار تجول فيها العرب وعلى سمتها شرقا بلاد القيوم وهي
على مصب أحد الشعابين من النيل الذي يمر على الالهون من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم
الثاني ويصب في بحيرة قيوم وعلى سمتها شرقا أرض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يمر
بداص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني ويفترق هذا الشعب اقترافا ثانية من تحت مصر الى
شعبين آخرين من شطونف وزقي وينقسم الايمن منهما من قرمط بشعبين آخرين ويصب جميعها في البحر
الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلاد رشيد وعلى مصب
الشرقي بلاد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية اسافل الديار المصرية كلها محشوة
عمرانا وفلجا وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد الشام واكثرها على ما اصف وذلك لان بحر القلزم
يتنهي من الجنوب وفي الغرب منه عند السويس لانه في عمره مبدئ من البحر الهندي الى الشمال
ينطف آخر هذا الى جهة الغرب فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي في الطرف الغربي
منه الى السويس وعلى هذه القطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم ايلة مدين ثم الحو راعى آخرها
ومن هنالك ينطف بساحله الى الجنوب في أرض الحجاز كما في الاقليم الثاني في الجزء الخامس منه وفي
الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثير من غربيه عليه القرماء والعريش
وقارب طرفها بلاد القلزم فيضايق ما بينهما من هنالك ويبقى شبه الباب مقصيا الى أرض الشام وفي غربى

في حيلة الارجائي * وعفوك ان عفت وحسن ظني * وكم من زلة لي في البرايا * وأنت على ذو فضل ومن
حضنت أنا ملي وقرعت سني * أجن بزهره الدنيا جنونا * واقطع طول عمري بالتمني * وبين يدي ميعات عظيم * كافي قد دعت له كافي

فانت عليه عشرة حتى مات (وانشدني) القاضي ابو العباس الجرجاني رحمه الله بالبصرة هذه الايات بالله وبك كم قصر مررت به
قد كان يعمر بالذات والطرب (٤٠) طارت عقاب المنايا في جوانبه * فصاح من بعده بالتويل والحرب وانشدني ايضا

شمالا عن بلاد التبت بلاد الخزر لجزيرة من بلاد الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا ويتصل بها من غربها
ارض فرغانة ايضا الى آخر الجزء شرقا ومن شرقها ارض التتار من الترك الى آخر الجزء شرقا وشمالا
وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعا بقية الصين واساقطه وفي الشمال بقية بلاد التتار من شرقها
بلاد خزر من الترك ايضا الى آخر الجزء شرقا وفي الشمال من ارض خزر بلاد كتمان من الترك
وقبالها في البحر المحيط بخزيرة الباقوت في وسط جبل مستدير لامة ذمته اليها ولا مسالك والصعود الى
اعلاه من خارج صعب في الغاية وفي الجزيرة حبات قتالة وحصي من الباقوت كثيرة فيحتال اهل تلك
الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه واهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيما وراء خراسان
والجبال كلها مجالات للترك اعم لا تحصى وهم طوائف اهل ابل وشاه وبقروخيل للنتاج والر كوب
والا كل وطوائفهم كثيرة لا يحصون الاخالقهم وفيهم مسلمون عمالي بلاد النهر نهر جيحون و يغزون
الكفار منهم الدائنين بالبحر الهندي وفيهم من يلهمهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق
(الاقليم الرابع) يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الاول منه في غربيه قطعة من البحر المحيط
مستطيلة من اوله جنوبا الى آخره شمالا وعليها في الجنوب مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من
البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضيق يسمى دارا شي عشر ميلا ما بين طريق الجزيرة الخضراء
شمالا وقصر الحجاز وسبعة جنوبا ويذهب مشرقا الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم
وينفتح في ذهابه بتدريج الى ان يغمر الاربعة اجزاء اكثر الخامس ويغمر عن جانيه طرفان من الاقليم
الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي ايضا وفيه جزائر كثيرة اعظمها في جهة الغرب
يابسة ثم ما يرقه ثم منقوعة ثم سردانية ثم صقلية وهي اعظمها ثم بلونس ثم اقر بطش ثم قبرص كما نذكرها
كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من
الاقليم الخامس خليج البنادقة يذهب الى ناحية الشمال ثم ينحرف عند وسط الجزء من جوفيه ويمر مغربا
الى ان ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضا في آخر الجزء الرابع شرقا من الاقليم الخامس
خليج القسطنطينية يمر في الشمال متضيقا في عرض دمية السهم الى آخر الاقليم ثم يقضي الى الجزء الرابع
من الاقليم السادس وينحرف الى بحر بطش ذاهبا الى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف السادس من
الاقليم السادس كما نذكر ذلك في اما كنهه وعند ما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة
وينفتح الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجة على
مجمع البحرين وبعدها مدينة سبتة على البحر الرومي ثم قطاون ثم بادريس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا
الجزء شرقا ويخرج الى الثالث واكثر العمارات في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد
الاندلس الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق منها
على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنكب ثم المريجة وتحت هذه من لدن البحر المحيط
غربا وعلى مغربه منه شريش ثم لبله وقبالها في جزيرة قادس وفي الشرق عن شريش وبلبله اشبيلية ثم
اسبجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وبيان وابنة ثم وادياش وبسطة وتحت هذه شتمرية وشلب على
البحر المحيط غربا وفي الشرق منها بطليوس وماردة ويايرة ثم غافق وبرزالة ثم قلعة رياح وتحت هذه
اشبونة على البحر المحيط غربا وعلى نهر باجة وفي الشرق عنها شتمرية وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة
السيف ويسامت اشبونة من جهة الشرق جبل الشارات يمد من المغرب هنالك ويذهب مشرقا مع آخر

ايها الرافع البناء ويبدأ
ان تذود المنون عنك المباني
ان هذا البناء يبقى ويبقى
كل شيء ابقى من الانسان
(وقال الحكم بن عمرو)
قال ابو جعفر المنصور عند
موته اللهم ان كنت تعلم
اني ارتكبت الامور العظام
جراة مني عليك فانك
تعلم اني قد اطعتك في احب
الاشياء اليك شهادة ان
لا اله الا الله منامك لا منا
عليك * وكان سبب احرامه
من الخضراء انه كان يوما
نائما فأتاه آت في منامه
فقال
كافي بهذا القصر قد بادأه
واوحش منه أهله ومنازل
وصار عبيد القصر من بعد
بهجة
الى تربة تسقى عليه جناده
فاسبقوا مرعوبا ثم نام فانشد
ابا جعفر حانت وفاتك
وانقضت
سنوك وامر الله لا بد واقع
فهل كاهن أعدته ومنجم
ابا جعفر عنك المنية دافع
فقال يا ربيع اتني
بطه وري فقام واغتسل
ولبى وتجهز للرجع ثم قال
يا ربيع القتي في حرم الله
تعالى (وانشدني) القاضي ابو
العباس الجرجاني بالبصرة

ان كنت تسفل الى الدنيا وزينتها * فانظر الى ملك الاملاك قارون * زم الامور فاعطته مقادتها * الجزء
ونصر الناس بالتشديد واللين * حتى اذا ظن ان لا شيء قاله * ومكنت قدماه اي تمكين * راحت عليه المنايا ورحته تركت *

الملك والعز تحت الماء والطين وأنشدني أبو محمد التميمي ببغداد
إذا ما صار أخواني رفاتا * وصرت لقدمهم فردا وحيدا * أعان معشرهم شكول * (٤١) وأشكالي قد اعتنقوا اللحدوا

(ومن زهد في الدنيا) وأبصر
عبوبها من أبناء الملوك
أبو عقاب علوان بن الحسن
من بني الأغلب وهم ملوك
المغرب وكان ذائعة ومالك
وله فتوة ظاهرة قناب إلى
ربه ورجع عن ذلك رجوعا
فارق نظاره فرفض المال
والأهل وهجر البناء والوطن
وبلغ من العبادة مبلغا أرى
فيه على المختدين وعرف
باجابة الدعوة وكان عالما أدبيا
قد صحب عدة من أصحاب
سجنون وسمع منهم ثم انقطع
إلى بعض السواحل فصحب
رجلا يكنى أبا هرون
الاندلسي منقطعا مثبلا
إلى الله تعالى فلم يرممه
كبير اجتهد في العمل فبينا
أبو عقاب يتجدي بعض
الليل إلى أبو هرون ناثم
اذغالبه النوم فقال لنفسه
يا نفس هذا عابد جليل
القدر ينال الليل كله وأنا
أسهر الليل كله فلما أرحمت
نفسى فوضع جنبه فرأى
في منامه شخصا قتيلا عليه
أم حسب الذين اجتروا
السبب أن نجهلهم كالذين
آمنوا وعملوا الصالحات
إلى آخره فاستيقظ
فزاو علم أنه المراد فأيقظ
أبا هرون وقال له سألتك
بالله هل أتيت كبيرة قط
قال لا يا ابن أخي ولا صغيرة

الجزء من شماله فينتهي إلى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلبة برة في الشرق من
فوره ثم طلبة له ثم وادي الحجرة ثم مدينة سالم وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين أشبونة بلد قلريه
هذه غربي الاندلس * وأما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد المربة قرطاجنة ثم لفته
ثم دانية ثم بلنسية إلى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها مالابورقة وشقة وشرة تتأخران بسطة
وقاعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقا ثم شاطبة تحت بلنسية شمالا ثم شقرة ثم طرطوشة ثم
طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالا أرض منجالة وريدة متاخمان لشقة وطلبة من الغرب ثم
أفراغة شرقا تحت طرطوشة وشمالا عنها ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة أيوب ثم سرقسة
ثم لازدة آخر الجزء شرقا وشمالا والجزء الثاني من هذا الأقليم غمر الماء جميعه الاقطعة من غربيه
في الشمال فيها بقية جبل البرنات ومعناه جبل الثنايا والسالك يخرج إليه من آخر الجزء الأول من
الأقليم الخامس يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوبا وشرقا ويمر في
الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في هذا الأقليم الرابع منحرفا عن الجزء الأول منه إلى هذا الجزء الثاني
فيقع فيه قطعة منه تفضي ثناياها إلى البر المتصل وتسمى أرض غش كونيية وفيه مدينة خريدة وقرقشونة
وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسة لونه ثم أربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر
كبيرة والكثير منها غير مسكون أصغرها في غربيه جزيرة دانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة
القطار يقال إن دورها سبع مائة ميل وبها مدن كثيرة من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطارياغة
ومازرومسيني وهذه الجزيرة تقابل أرض إفريقية وفيما بينهما جزيرة أهدوش ومالطة والجزء الثالث
من هذا الأقليم مغمورا أيضا بالبحر الثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها أرض قلوريه والوسطى
من أرض أبكرده والشرقية من بلاد البنادقة والجزء الرابع من هذا الأقليم مغمورا أيضا بالبحر كمار
وجزائره كثيرة وأكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغموور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية
وجزيرة قريطش مسقطيلة من وسط الجزء إلى ما بين الجنوب والشرق منه والجزء الخامس من هذا
الأقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها إلى آخر الجزء في الشمال
وينتهي الضلع الجنوبي منها إلى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو
الثلث يمر الشمال منها إلى الغرب من منطقة البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام ويمر في
وسطها جبل اللكام إلى أن ينتهي إلى آخر الشام في الشمال فينهطف من هنالك ذاهبا إلى القطر الشرقي
الشمالى ويسمى بعد دانية فمجل السلسله له ومن هنالك يخرج إلى الأقليم الخامس ويجوز من عند
منطقة قطعة من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق ويقوم من عند منطقة من جهة المغرب جبال متصلة
بعضها ببعض إلى أن ينتهي إلى طرف خارج من البحر الرومي متأخرا إلى آخر الجزء من الشمال وبين هذه
الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضي إلى بلاد الأرمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين
جبل السلسله فأمما الجهة الجنوبية التي قدمنا أن فيها أسافل الشام وأن جبل اللكام معترض فيها بين
البحر الرومي وآخر الجزء من الجنوب إلى الشمال فعلى ساحل البحر منه بلاد أنطوطوس في أول الجزء من
الجنوب متاخمة لغزة وطارابلس على ساحله من الأقليم الثالث وفي شمال أنطوطوس جبل له ثم اللاذقية
ثم أسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالا بلاد الروم وأما جبل اللكام المعترض بين البحر وآخر الجزء
بحقافيه فيصاقيه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوبا من غربيه حصن الحواني وهو للحشيشة

(٦ - ابن خلدون) عن تميم والحمد لله فقال أبو عقاب لهذا تمام أنت ولا يصلح لي إلا الكد والاجتهاد ثم دخل إلى مكة وأبصر
الله الحرام فخرج حرا وأرى على عبادا مشرق وكان يعمل بالقربة على طهارة وقوته ومات بمكة وهو شاحد في صلاة الفريضة بالجمعة

الحرام سنة ست وتسعين ومائتين وقال له رجل كان يصعبه يومالي اليك حاجة فقال له بعد الجهد به حاجتك مقضية قال ان كان لك شهوة
أخبرني بها قال نعم أشتري أن آكل (٤٢) رأسا قال فاشتريت له رأسين ولفقتهم في رفاق وجئت بهما ثم سأله بعد أيام هل طاب لك

الرأسان قال لا ما هو إلا أن
فتحتهم فاذا هم محشوان
دودا ليس فيهم ما البتة
لحم إلا الدود فأتيت الرأس
فاخبرته فأطرق متجها ثم
قال ما ظننت أن في زماننا
احدا يحمي عن الحرام
هذه الحماية تلك الرأس
كانت من غنم اتهم بها بعض
العمال ثم أعطاني رأسين
من غير تلك الغنم فأتيت
بهما الباعة قال فأكلهما
فاخبرته عما قال الرأس
فبكي ثم قال يارب ما كان
يستحق عبدك أبوه قال
مثل هذه الحماية بولكنه
يارب فضلك وكرامتك فلك
على يارب أن لا آكل طعاما
بشهوة أشتيها حتى ألقاها
إن شاء الله تعالى وكانت
له أخت متعبدة فلما ماتت
لمحت قبره بمكة وبكت
عليه وكتبت عليه هذه
الآيات
ليت شعري ما الذي عاينته
بعد دوم الصوم مع نفي
الوسن
مع عزوف النفس عن
أوطارها
والتخلي عن حبيب وسكن
يا شقي في ليس في وجدى به
هالة تمنعني عن أن أجن
وكما تبلى وجوه في الثرى
فكذا يبلى عليهم الحزن

(و روى) أن رجلا تنازع في أرض فأنطق الله لبيته من جدار تلك الأرض فتألت أني كنت ملكا من الملوك
ملكك الدنيا ألف سنة ثم صرت رميما ألف سنة فأنذني جزار واتخذني خرفا ثم أخذني وضربني لبنا وأنا في هذا الجدار كذا وكذا

سنة فلم تمتازان في هذه الارض (ومن اعجب) ما روي في الاسرائيليات ان ابنة من بنات الملوك تزهدت في الدنيا وتابت وخرجت من ملكها فمقت فلم يسمع لها خبر ولا علم لها اثر وكان هذا كدير للتعبدين فلقى بهم شاب (٤٣) يتعبدا فابصر وامنه من الاجتهاد والجد

في العمل وملازمة الاوراد ومواصلة الاعمال مافاق به جميع من في الدير واقام على ذلك ماشاء الله تعالى الى ان انقضت ايامه ووافاه حسامه فقضى الفتى نحيبه فحزن له اهل الدير من الزهاد والعباد والمنقطعين واذروا عليه الدموع ثم اخذوا في غسله واذا هو امرأة فقصوا عن امره واذا هي بنت الملك فزادهم ذلك اعجابا به وتعظيما له وتشاوروا في امره ماذا يحذون له من الكرامة ثم اجعوا امرهم ان لا يدفنوها تحت الثرى وان يحملوها فوق ا كفهم فغسلوها وكفنوها وجرزوها واصلوا عليها ثم اقبلوا يحملونها على الاكف والسواعد كما ضجر واحد دجا واحد يحمل مع من يحمل وكل من انقطع في الدير لعبادة ربه جعل يحمل معهم الى ان يليت وتقطعت اوصالهم مع طول الزمان فدفنت حينئذ رجة الله عليها (وكان) في بلاد الروم مائلي ارض الاندلس رجل نصراني قد بلغ في التخلي من الدنيا مبلغا عظيما واعتزل الخلق والتزم قال الجبال والساحة في الارض

والقرات قبل مجعهم ما يبعدها من بلاد الجزيرة ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقا ثم ينعطف جنوبا ويختلط بدجلة قبل خروجه الى الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلاد دجلولا وفي شرقها عند الجبل بلاد حلوان وصيرة وأما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبدأ من جبل الاعاجم مشرقا الى آخر الجزء ويسمى جبل شهروز ويقتسمها بقطعتين وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلاد خوجان في الغرب والشمال من اصبهان وتسمى هذه القطعة بلاد الملوس وفي وسطها بلادها وند وفي شمالها بلاد شهروز وغربا عند ما تقي الجبلين والدين وشرقها عند آخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساكن للكراد والزاب الكبير والصغير الذي على دجلة من ورائه وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذربيجان ومنها تبريز والبيلقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نبطش وهو بحر الخزر وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الملوس وفيها هزان وقزوين وبقية في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيط بها من الجنوب جبل يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع ويتصل بجبل العراق في شرقيه الذي مر ذكره هنالك وأنه يحيط ببلاد الملوس في القطعة الشرقية ويحيط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الملوس من شرقها وتحت هذه هنالك قاشان ثم قم وينعطف في قرب النصف من طريقه مغربا بعض الشيء ثم يرجع مستديرا فيذهب مشرقا ومنحرفا الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منعطفه واسطدائه على بلد الري في شرقيه ويبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غربا الى آخر الجزء ومن جنوبه من هنالك قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهبا الى الشرق والشمال الى وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على سمته مشرقا ويانحرف قليلا الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل الري وهذا الجبل من عند مبدئها بلاد جرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية المفازة التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي قاشان وفي آخرها عند هذا الجبل بلاد استراباد وحققا في هذا الجبل من شرقيه الى آخر الجزء بلاد نيسابور ومن خراسان في جنوب الجبل وشرق المفازة بلاد نيسابور ثم مرو والشاهجان آخر الجزء وفي شماله وشرقي جرجان بلد هرجان وخازرون وطوس آخر الجزء مشرقا وكل هذه تحت الجبل وفي الشمال عنها بلاد نسا ويحيط بها عند زاوية الجزأين الشمال والشرق معا ومنعطفة وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه من هرجان جيحون ذاهبا من الجنوب الى الشمال ففي عدوته الغربية روم وآمل من بلاد خراسان والظاهرية والجرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالزاوية الغربية الجنوبية منه جبل استراباد المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه الزاوية وفيها بقية بلاد هراة ويمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى يتصل بجبل البتم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب منه بلاد بخاري ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشنة ومنها خجندة آخر الجزء شرقا وفي الشمال عن سمرقند واسروشنة

الى الغاية القصوى فورد على المستعين بن هوذا في بعض الاماكن ما بين هوذا ثم اخذ بيده وجعل يعرض عليه ذخائر ملكه وخرائن امواله وما حوته من البضائع والجرار واجار الباقوت والجواهر واماها ونقائس الالعاق والجواري والحشم والاجناد والكرام والسلاح

فأقاموا في ذلك أياما فلما انتصت قال له كيف رايت ما لي قال قد رايت ما كوا لكنه يعوزك فيه خصلة ان أنت قدرت عليها فقيرا نظام ملكك وان لم تقدر عليها فهذا الملك (٤٤) لا شيء قال وما تلك الخصلة قال تعمد فتصنع عظاما عظيما حصينا قويا وتكون مساحتها

أرض يلاق ثم في الشمال عن يلاق أرض الشاش (١) إلى آخر الجزء شرقا وأخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية أرض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضا في الجزء الثامن إلى أن ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله إلى الأقليم الخامس ويختلط منه في أرض يلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الأقليم الثالث من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سميت نهر الشاش جبل جيراغون يبدأ من الأقليم الخامس وينعطف شرقا ونحرفا إلى الجنوب حتى يخرج إلى الجزء التاسع مع محيط بأرض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هناك إلى جنوبه فبدخل في الأقليم الثالث وبين نهر الشاش ومارف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد قاراب وبينه وبين أرض بخاري وخوارزم مقار ومغطة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق أرض خجندة وفيها بلاد السنجاب وطراز وفي الجزء التاسع من هذا الأقليم في غربيه بعد أرض فرغانة والشاش أرض الخزلجية في الجنوب وأرض الخالجية في الشمال وفي شرق الجزء كله أرض الكيماكية ويتصل في الجزء العاشر كله إلى جبل قوقيا آخر الجزء شرقا وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل يأجوج وماجوج وهذه الأمم كلها من شعوب الترك انتهى (* الأقليم الخامس) * الجزء الأول منه أكثره معمور بالماء الأقليم من جنوبه وشرقه لأن البحر المحيط بهذه الجهة الغربية بدخل في الأقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالأقليم فأما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنهما ضلعان محيطان بزاوية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سعيور وعلى البحر عند دواول الجزء من الجنوب والغرب وسلمة كة شرقا منها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلمة كة ايلة آخر الجنوب وأرض قسالة شرقا منها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها أرض لبون وبرغشت ثم وراءها في الشمال أرض جالقية إلى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلاد شقونية ومعناها يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلية عند آخر الجزء في الجنوب وشرقها عن قسالة وفي شمالها وشرقها وشقة وينبلونة على سمت شرقا وشمالا وفي غرب ينبلونة قسالة ثم باخرة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر والاضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند ينبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الأقليم الرابع ويصير حجرا إلى بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لها تفضي إلى بلاد غشكونية من اعم القربج ففيها من الأقليم الرابع برشلونة واربونة على ساحل البحر الرومي وخريدة وقرقشونة وراءها في الشمال ومنها من الأقليم الخامس طلوشة شمالا عن خريدة وأما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مسيطر زاوية الحادة وراء البرنات شرقا وفيها على البحر المحيط على رأس القطعة التي يتصل بها جبل البرنات بلديونية وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء أرض بنطون من القربج إلى آخر الجزء وفي الجزء الثاني في الناحية الغربية منه أرض غشكونية وفي شمالها أرض بنطون وبرغشت وقد ذكرناهما في شرق بلاد غشكونية في شمالها قطعة أرض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة إلى الشرق قليلا وصارت بلاد غشكونية في غربها داخل في جيون من البحر وعلى رأس هذه القطعة شمالا بلاد جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جيون وفي شماله وعلى سمتها أرض برغونة

قدر البلد ثم تكبه على البلد حتى لا يجرد ملك الموت مدخلا اليك فقال المستعين سبحان الله أو يقدر البشر على هذا فقال العلي يا هذا أنت خير بامر تتركه غدا ومثال من يقتخر بما يقوى كمن يقتخر بما يراه في النوم (ويروى) ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظر وامن عاب منه شيئا فاصلى ووه وأعطوه درهمين فأتاه رجل فقال ان في هذا القصر عيبين قال وما هما قال يموت الملك ويحرب القصر قال صدقت ثم أقبل على نفسه وترك الدنيا (ومن عجائب) أخبار الخضر عليه السلام قالوا سئل الخضر عاينه السلام عن أعجب شيء رايت في الدنيا في طول سياحتك وكثرة خلواتك وقطعتك القفار والقلوات قال أعجب ما رايت اني مررت على مدينة لم أر على وجه الأرض أحسن منها فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة قالوا سبحان الله ما يذكر آباؤنا ولا أجدادنا متى بنيت هذه المدينة وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها النجوم من خمسة آلاف عام وعبرت عليها بعد ذلك

وإذ لمي خاوية على عروشها ولم أر أحد السأله وأذا رعاة غنم قد نوت منهم فقلت أين المدينة التي كانت ههنا قالوا معان الله ما يدرك آباؤنا ولا أجدادنا أنه قط كانت ههنا مدينة فغبت عنها النجوم من خمسة آلاف عام ثم انتهيت إليها فإذا موضع تلك

المدينة بحر واذا غواصون يخرجون منه شبه الحلة فقلت لبعض الغواصين منذ كم كان هذا البحر ههنا فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا أحدنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان ثم غبت عنها نحو امان خمسمائة عام (٤٥) ثم انتهيت اليها واذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غبضة

وفي الشرق عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف آخر خارج منه يبق بينهما جوف داخل من البر في البحر في غربيه بيش وفي شرقيه مدينة رومة العظمى كرسى ملك الافرنجية ومسكن البابا بتر كهم الاظم وفيها من المباني الضخمة والمباني كل المهولة والكنائس العديدة ما هو معروف والاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مقروش قاعه بطلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الخواريين وهم امدفونان بها وفي الشمال من بلاد رومة بلاد افرنجية الى آخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنوبه رومة بلاد تابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلاد قلورية من بلاد القرم وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغربا ومحاذيا للشمال من هذا الجزء وانتهى الى نحو الثالث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلانية في الاقليم السادس وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في غربيه بلاد قلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيط به من شرقيه يوصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جوف بين طرفين خارجين من البحر على سمت الشمال الى هذا الجزء وفي شرقى بلاد قلورية بلاد انكلانية في جوف بين خليج البنادقة والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجوف في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي وذهب الى سمت الشمال ثم ينطف الى الغرب محاذيا لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يوازيه ويذهب معه في الشمال ثم يعرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة خليج في شماليه في بلاد انكلانية من ام اللانيين كند كرو على هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ما اذا هب من الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهب الى المغرب فيمنه ما بلاد حروا يا ثم بلاد الالمانيين عند طرف الخليج وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي خرجت اليه من الاقليم الرابع مخرسة كلها يقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين كل ضربين منها طرف من البحر في الجوف بينهما وفي آخر الجزء شرقا قطع من البحر ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينطف من هنالك عن قرب مشرقا الى بحر نيطنش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من الاقليم السادس كند كرو وبلاد القسطنطينية في شرقى هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسى القياصرة وبها من آثار البناء والضيامة ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقى هذا الخليج الى آخر الجزء قطعة من ارض باطوس وأظن هذا العهد بحالات للتركمان وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها برصة وكانت من قبلهم للروم وغلبهم عليها الام الى ان صارت للتركمان وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غربيه وجنوبه ارض باطوس وفي الشمال عنها الى آخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقى عمورية قربا قب الذي يد القرات يخرج من جبل هنالك ويذهب في الجنوب حتى يخالط القرات قبل وصوله من هذا الجزء الى بحر في الاقليم الرابع وهنالك في غربيه آخر الجزء في ميدان هرسيحان ثم نهري جيجان غربيه الازاهيين على سمتهم وقد مر ذكرهما وفي شرقه هنالك ميدان هر الدجلة الازاهب على سمتهم وفي موازيتهم حتى يخالطهم عند بغداد وفي الزاوية التي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء وراء الجبل الذي يبدأ منه نهري دجلة بلاد ميفارقين ونهر قبا قب الذي ذكرناه يقسم هذا الجزء بقطعتين احدهما مغربية جنوبية وفيها ارض

ماتة بالقصب والبردى والسباع واذا صايدون يصيدون السمك في زوارق صغار فقلت لبعضهم أين البحر الذي كان ههنا فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا أحدنا انه كان ههنا قط بحر فغبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم انتهيت الى ذلك المكان فاذا هو مدينة على حاله الاولى والخصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم أين القبضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحانه الله ما يدرك أحدنا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان فغبت عنها نحو امان خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليا سافها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر احدا أسأله ثم رأيت راعي غنم أتته من المدينة التي كانت ههنا ومتى حدث هذا الدخان فقال سبحانه الله ما يدرك آباؤنا ولا أحدنا الا ان هذا الموضع كان هكذا منذ كان فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد ومقني البلاد ووارث

الارض ومن عليها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قال الشاعر) قف بالديار فهذه آثارهم * تسكني الاحبة حمرة وشوقا
كم قد وقفت بها أسائل مخبرا * عن أهلها الوطاعا أو مشقعا فاجابني داعي الهوى في رثما * فارقت من تهوى فعر الملتقى

(ومن الشعر) المستحسن في هذه الأبيات قول القائل رب ورفاء متوف بالضحى ذات منجود صحت في فنن ذكرت القادود هر اصالحا
فبكت حزنا فهاجت حزني فبكائي ربما رقتها (٤٦) وبكاهار بما رقتي فاذا تسعدني أسعدها واذا أسعدتني أسعدني ولقد تشكروا أفهمها

باطوس كما قلناه وأسافلها إلى آخر الجزء شمالا وراء الجبل الذي يبدأ منه نهر قباقيب أرض عمورية كما
قلناه والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبدأ الدجلة والفرات وفي الشمال بلاد
البيقان متصلة بأرض عمورية من وراء جبل قباقيب وهي عريضة وفي آخرها عند مبدأ الفرات بلاد
خرشنة وفي الزاوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطش الذي يمدده خليج القسطنطينية وفي الجزء
السادس من هذا الاقليم في جنوبه وغربه بلاد ارمينية متصلة إلى ان يتجاوز وسط الجزء إلى جانب الشرق
وفيها بلاد أردن في الجنوب والغرب وفي شمالها تقيس ودييل وفي شرق أردن مدينة خلاط ثم بردة وفي
جنوبها انحراف إلى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك يخرج بلاد ارمينية إلى الاقليم الرابع وفيها هنالك
بلاد المراغة في شرق جبل الاكراد المسمى ياربي وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتأخم بلاد ارمينية في
هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان وآخرها في هذا الجزء شرقا بلاد
أردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان
وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الخزر وهم التركمان ويبدأ من عند آخر هذه القطعة البحرية
في الشمال جبال يتصل بعضها ببعض على سمت الغرب إلى الجزء الخامس فتعريفه منقطعة ومحطة
ببلاد ميافارقين ويخرج إلى الاقليم الرابع عند آمد ويتصل بجبل السلسلة في أسافل الشام ومن
هنالك يتصل بجبل الاسكام كما مر بين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانيا كالأبواب تقضي من
الجانبين ففي جنوبها بلاد الأبواب متصلة في الشرق إلى بحر طبرستان وعليه من هذه البلاد مدينة
باب الأبواب وتتصل بلاد الأبواب في الغرب من ناحية جنوبها بلاد ارمينية وبينها في الشرق
وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة إلى بحر طبرستان وفي شمال هذه الجبال قطعة من
هذا الجزء في غربها مملكة السري في الزاوية الغربية الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة أيضا
من بحر نيطش الذي يمدده خليج القسطنطينية وقد مر ذكره ويحفر بها هذه القطعة من نيطش بلاد
السريير وعليها منها بلاد أطرابر يدة وتتصل بلاد السريير بين جبل الأبواب والجهة الشمالية من الجزء إلى
ان ينتهي شرقا إلى جبل حاجر بينهما وبين أرض الخزر وعند آخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاجر
قطعة من أرض الخزر وتنتهي إلى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان وآخر الجزء
شمالا هو الجزء السابع من هذا الاقليم غربيه كله مغموور بحر طبرستان ويخرج من جنوبه في الاقليم
الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك ان عليها بلاد طبرستان وجبال الديلم إلى قزوين وفي غرب تلك القطعة
متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء
السادس من شرقه أيضا وينكشف من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهر اثل
في هذا البحر ويبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر هي محاللات للغز من أم الترك
يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب إلى هادون وسطه فينعطف
إلى الشمال إلى ان يلاقى بحر طبرستان فيختلف به ذاهبا معه إلى بغيته في الاقليم السادس ثم ينعطف مع
طرفه ويقارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغربا إلى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع
جنوبا إلى الجزء السادس من الاقليم الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض
السريير وأرض الخزر واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع حقاً في هذا الجبل المسمى جبل
شياه كما سيأتي والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله محاللات للغز من أم الترك وفي الجهة الجنوبية

ولقد أشكر وفاسا تهمني
غير اني بالجوى أعرفها
وهي أيضا بالجوى تعرفني
(ونظر) رجل من العباد
إلى باب ملك من الملوك
وقد شاهده وأتقنه وزوجه
فقال باب حديد وموت
عقيد ونزع شديد وسفر
بعيد (ولما ثقل) عبد
الملك بن مروان رأى غسالا
يلوى يده ثوبا فقال
وددت اني كنت غسالا
لأعيش الأعمار كسبه
يوما فيوما فبلغ ذلك أبا
حازم فقال الحمد لله الذي
جعلهم يتنون عند الموت
ما نحن فيه ولا ننتهي عنده
ما هم فيه (وقال) رسول
الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني أعوذ بك من علم
لا تنفع ونفس لا تشبع
وقلب لا يمشع وفين
لا تدفع هل يتوقع أحدكم
من الدنيا الاغنى مطلقا
او فقرا منسيا او مرضا مفسدا
او هراما مقندا او الدجال
والدجال شرفايب ينظر
او الساعة والساعة أدهى
وأمر (وقال) عيسى عليه
السلام أوحى الله إلى الدنيا
من خدمني فخدمته
ومن خدمت فاستخدمته
يا دناءة ترى على أوليائي
ولا تحلولى لهم فتقتلهم

(وقال) مؤرق الجمل يا ابن آدم في كل يوم يؤتى برزقك وتحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن تطلب ما يطعمك
وعندك ما يكفيك لا تقبل تقنع ولا يكثير تشبع (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) في خطبته أيها الناس ان الأيام تطوى والأعمار

تقتى والأبدان في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يثرا كضأن ترا كض البريد يقر بان كل بعيد ويخافان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى
من الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات (وقال) بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح (٤٧) كلما ازداد صاحبه شر با ازداد عطشا

وكالكاس من العسل في
اسفله السم للذائق منه
حلاوة عاجلة وله في اسفله
الموت الذعاف وكالاحلام
للناثم التي تفرحه في منامه
فاذا استيقظ انقطع الفرح
وكالبرق الذي يضيء قليلا
ويذهب وشيكوا يبقى
رائيه في الظلام مقعنا
وكدودة الابر يسم التي
لايزداد الابر يسم على
نفسها الا ازدادت من
الخروج بعدا (وفيه قال
القائل)

كدود كدود القز ينسج
دائما

ويهلك غم واسط ما هو
ناسجه

ومثال من يستعمل زهرة
الدنيا ويعرض عن الدار
الاخرة مثال رجلين لقطا
من الارض جنتى غنم
فأما أحدهما فجعل يحص
الحبة التذاذ بها ثم يلعها
وأما الآخر فزرع الحبة فلما
كان بعد زمان التقيا

فأما الذي زرع الحبة وجدها
قد صارت له كرما وكثرت
ثمرته وفي كرا لا خفي صنعه
في الحبة فوجدها قد صارت
عذرة وليس عنده منها شيء
الا الحسرة على تفریطه
والغبطة لصاحبه (وقال)
وهب بن منبه أوحى الله

الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلثمائة ميل ويصب فيها نهار كثيرة من
أرض هذه المجالات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة عرعون دورها أربع مائة ميل وماؤها حلوة في
الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغاروم معناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل بالآخر الجزء
وفي الجنوب من بحيرة عرعون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيأ يسمى عرعون وبه سميت البحيرة وينحلب
منه ومن جبل مرغاروم إلى البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فصب فيها من الجانبين وفي الجزء التاسع من
هذا الاقليم بلاد أركس من أم الترك في غرب بلاد الغزو وشرق بلاد السكيا كية ويحفر به من جهة
الشرق آخر الجزء جبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج يعترض هنالك من الجنوب إلى الشمال حتى
ينعطف أول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه من آخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قبله
احتف هنالك بالبحر المحيط إلى آخر الجزء في الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع
إلى مادون نصفه وأحاط من أوله إلى منابله بلاد السكيا كية ثم خرج إلى الجزء العاشر من الاقليم الخامس
فذهب فيه مغربا إلى آخره وبقيت في جنوبه من هذا الجزء قطعة مستطيلة إلى الغرب قبل آخر بلاد
السكيا كية ثم خرج إلى الجزء التاسع في شرقيه وفي الأعلى منه وانعطف قريبا إلى الشمال وذهب على
سمته إلى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما نذكره وبقيت منه القطعة التي أحاط بها
جبل قوقيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء مستطيلة إلى الجنوب وهي من بلاد بياجوج
وماجوج وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم أرض بياجوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت
طرفا في شرقيه من جنوبه إلى شماله والا القطعة التي يفصلها إلى جهة الجنوب والغرب جبل قوقيا حين مر
فيه وما سوى ذلك فأرض بياجوج وماجوج والله سبحانه وتعالى أعلم

(الاقليم السادس) فالجزء الأول منه نهر البحر أكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية الشمالية ثم
ذهب مع الناحية الشرقية إلى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية فاندكشت قطعة من هذه
الأرض في هذا الجزء داخله بين طرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر المحيط كالبحر فيه وينقسخ
طولا وعرضا وهي كلها أرض برطانية وفي بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء
بلاد صاقس متصلة ببلاد بنطو التي مر ذكرها في الجزء الأول والثاني من الاقليم الخامس والجزء الثاني
من هذا الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فن غربه قطعة مستطيلة أكبر من نصفه إلى من
شرق أرض برطانية في الجزء الأول واتصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه
وانقسمت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من جزيرة كاتطرة وهي جزيرة عظيمة
متسعة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم وبقيتها في الاقليم السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها
في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد رمندية وبلاد افلا دس متصليين بها ثم بلاد فرنسية جنوبا وغربا
من هذا الجزء وبلاد برغونية شرقا عنها وكلاهما الام افريقية وبلاد اللاتين في النصف الشرقي من الجزء
في جنوبه بلاد انكلانية ثم بلاد برغونية شمالا ثم أرض لويكة وشطونية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية
الشمالية الشرقية أرض افريقية وكلاهما اللاتين * وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم في الناحية
الغربية بلاد رمانية في الجنوب وبلاد شطونية في الشمال وفي الناحية الشرقية بلاد انكوبية في الجنوب
وبلا دبلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخل من الجزء الرابع ويمر مغربا بالبحر راف إلى
الشمال إلى أن ينفق في بلاد شطونية آخر النصف الغربي وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب أرض

تعالى إلى نبي من انبياء بني اسرائيل ان أردت ان تسكن معي في حضرة القدس فكن في الدنيا وحيدا فريدًا مهموما وحشنا بمنزلة الطير
الوحيد الذي يظل في الأرض القلاء ويأكل من رؤس الشجر ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأومع الطير

استأسار به (وابعضهم) **حكم الحوادث من صروف عجائب** * وثوابت فوضولة بنوايب ولقد تقطع من شبائك وانقضى *
 (٤٨) تبخى من الدنيا الكثير وانما * يكفك منها مثل زاد الراكب (وقال مالك بن أنس)

جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية ويصل بينهما جبل بلوفا من اول الجزء غربا الى أن يقف في
 النصف الشرقي وفي شرق ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الزاوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية
 ومدينتها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفنه في بحر نيطنش فيقع قطعة من بحر نيطنش
 في أعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمد هذا الخليج وبينه ما في الزاوية بلاد مسينا * وفي الجزء
 الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطنش يتصل من الخليج في آخر الجزء
 الرابع ويخرج على ستمه مشرقا في هذا الجزء كله وفي بعض السادس على طول ألف وثلاثمائة ميل
 من مبدئه في عرض ستمائة ميل ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها الى
 شرقها بر مستطيل في غربها هرقلية على ساحل بحر نيطنش متصلة بارض البلقان من الاقليم الخامس وفي
 شرقه بلاد لانية وقاعدتها سوتلي على بحر نيطنش وفي شمال بحر نيطنش في هذا الجزء غربا ارض ترخان
 وشرقها بلاد الروسية وكلاهما على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطة ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء
 من شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم * وفي الجزء
 السادس في غربيه بقية بحر نيطنش ويتعرف قليلا الى الشمال ويبقى بينه هناك وبين آخر الجزء شمالا
 بلاد قانية وفي جنوبه ومنتهى الى الشمال عما انحرف هو كذلك بقية بلاد لانية التي كانت آخرا جنوبه
 في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض برطاس وفي
 الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلجر يحوزها هناك قطعة
 من جبل سياه كوه المنعطف مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مقارقه مغربا فيحوز
 في هذه القطعة ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيتصل هناك بجبل الابواب وعليه من
 هناك ناحية بلاد الخزر * وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما حاذره جبل
 سياه بعد مقارقه بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى آخر الجزء غربا وفي شرقها القطعة
 من بحر طبرستان التي يحوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها وراء جبل سياه في الناحية الغربية
 الشمالية ارض برطاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض سحر وبو تخناك وهم أم الترك
 * وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض البووخ من الترك في الناحية الشمالية غربا
 والارض المنتنة وشرق الارض التي يقال ان يأجوج وماجوج خرجوا قبل بناء السد وفي هذه الارض
 المنتنة مبدأ نهر الاثل من اعظم أنهار العالم وعمره في بلاد الترك ومصبه في بحر طبرستان في الاقليم
 الخامس في الجزء السابع منه وهو كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاث ينابيع
 تجتمع في نهر واحد ويمر على سمت الغرب الى آخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالا الى الجزء
 السابع من الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع
 ويذهب مغربا غير بعيد ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من الاقليم السادس
 ويخرج منه جدول يذهب مغربا ويصب في بحر نيطنش في ذلك الجزء ويمر هو في قطعة بين الشمال
 والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ
 في جبل سياه ويمر في بلاد الخزر ويخرج الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هناك في
 بحر طبرستان في القطعة التي انكشف من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية وفي الجزء التاسع من
 هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خف شاخ من الترك وهم قفقاق وبلاد التركس منهم أيضا وفي

بلغني ان عيسى عليه السلام
 انتهى الى قرية قد خربت
 حصونها وجفت أنهارها
 وتشعث شجرها فنادى
 يا خراب أين أهلك فلم يجبه
 أحد ثم نادى يا خراب أين
 أدراك فلم يجبه أحد فنودي
 عيسى بن مريم يا ذوا
 وتضمنتهم الارض وعادت
 أعمالهم فلا تدفن أعناقهم
 الى يوم القيامة فبكى عيسى
 عليه السلام (قال مالك)
 سألت امرأة من بقية قوم
 عادية لها هرمة أي
 هذاب الله رأيت أشد قالت
 كل عذاب الله شديد وسلام
 الله ورحمته على ليله لا ربح
 فيه اولقد رأيت العبر تحملها
 الريح بين السماء والارض
 (وقال) مجاهد كان طهام
 يحيى بن زكريا العشب
 وإن كان ليبيكي من خشية
 الله تعالى ما لو كان القار
 على عينيه لا حرقه ولقد
 كانت الدموع اتخذت
 مجرى في وجهه (ومر)
 بعض الملوك بسقراط
 الحكيم وهو نائم فركضه
 برجله وقال قم فقام غير
 مرتاع منه ولا ملتفت اليه
 فقال له الملك ما تعرفني قال
 لا ولكن ارى فيك طبع
 الدواب فهي تركض
 بأرجلها فغضب وقال أقول

لي هذا وانت عبيدي فقال له سقراط بل انت عبيدي قال وكيف ذلك قال لان شهوتك قد ملكتك وأنا ملكك
 الشهوات فقال أنا الملك ابن الاملاك السادة امالك من البلاد كذا ومن الاموال والرجال كذا قال ارايت تفخر على ما ليس من نفسك وانما

سلك ان تخرج على نفسك وليكن تعال نخاع ثيابنا وليس جيعا ثوبا من ماء في هذا النهر و تسكلم اذ يتبين القاضل من الفضول
فانصرف الملك خجلا وها انا احكي لك امرا صابني طيش عقي و يبل حرمي (٤٩) وقطع نياط قلبي فلا يزال مرة الى حتى

يواريني التراب وذلك اني
كنت يوما بالهراق وانا
اشرب ماء فقال لي صاحب
لي وكان له عقل يا فلان
لعل هذا السكور الذي
تشرب فيه الماء قد كان
انسانا يوما من الدهر فبات
فصار ترابا فاتفق للفخاري
ان اخذ تراب القبر وضربه
خرقا وشواه بالنار فانتظم
كوزا كما ترى وصار آنية
يعتن ويستخدم بعد ان
كان بشرا سويا يا كل
ويشرب وينعم ويلذ
ويطرب فاذا الذي قاله من
المجائز فان الانسان اذا
مات عاد ترابا كما كان في
النشأة الاولى ثم قد يتفق
ان يحفر لحده ويحن بالماء
ترابه فيتخذ منه آنية فتمتن
في البيوت اولينة فتبنى في
الجدار او طين به سطح
البيت او يقرش في البلاد
فيوطأ بالاقدام او يجعل
طينا على الجدار وقد يجوز
ان يغرس عند قبره شجرة
فيستحيل تراب الانسان
شجرة وورقا ثمرة فترعى
البهايم اوراقها ويا كل
الانسان ثمها فينبت منها
محبه وينثر منها عظمه او
تاكل تلك الثمرة الحشرات
والبهايم فينبعا كان يقنات
صار قوتا وينا كان يا كل
صارما كولا ثم يعود في

الشرق منه بلاد يا جوج يقصل بينهما جبل قوقيا المحيط وقد مر ذكره يسد امان البحر المحيط في شرق الاقليم
الرابع ويذهب معه الى آخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغربا وانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء
التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبه
الى شماله بانحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم
السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يلقى البحر المحيط في شماله ثم ينطفئ معه من
ههنا الى مغربا الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فينصل ههنا الى بقعة من البحر المحيط في غربيه وفي
وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكره عبد
الله بن خرداذبه في كتابه في الجغرافيا ان الواثق رأى في منامه كأن السد انفتح فانتبه فرعاه وبعث سلاما
الترجان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة است من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من
هذا الاقليم بلاد ما جوج متصلة فيه الى آخره على قطعة من ههنا الى البحر المحيط اطالت به من شرقه
وشماله مستطيلة في الشمال وعرضه بعض الشيء في الشرق

(الاقليم السابع) والبحر المحيط قد غمر عامته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل
قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج فالجزء الاول والثاني معموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انبكاطرة
التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقية ما جوج قطعته من البحر
مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذ كورة هناك والمجاز منها الى البر في هذه القطعة
سبعة اثني عشر ميلا وراه هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى
الشرق والجزء الثالث من هذا الاقليم معمورا كثيرا بالبحر الاقطعة مستطيلة في جنوبه وتوسع في شرقها
وفيها ههناك متصل ارض فلونية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة
من البحر التي تغمر هذا الجزء ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتتصل بالبر من باب في جنوبها
يقضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة بوقاعة مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق والجزء
الرابع من هذا الاقليم شماله كله معمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي
غربه ارض قمازك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض رسلانده الى آخر الجزء شرقا وهي دائرة
الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء
الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر
المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية الشرقية منه متصل ارض القمانيه التي على
قطعة بحر نيطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمي من هذا الجزء وهي
عذبة تنساب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء
ارض التتارية من التركمان الى آخره وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية منه متصل بلاد
القمانيه وفي وسط الناحية بحيرة عمور عذبة تنساب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة
دائما لشدة البرد الا في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانيه بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الاقليم
السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا
الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدؤها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء
السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهر اثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي

(٧ - ابن خلدون) بطن الانسان رجبها فيعذف في بيت الرحاضة او يعرايذب بالعراف ويجوز اذا حفر قبره ان تس في الرياح ترابه
فتتفرق اجزاءه في بطون الاودية والتلول والوهاد ليس في هذا ما اذهل العقول وطيش الحلو ومنع اللذات وهان عنده مغارقة الاهل

والمال والحق يقال الجبل والانس بالوحوش حتى يأتي أمر الله أليس في هذا ما صغر الدنيا وما فيها أليس في هذا ما خسر المالك عند من عظمه والمال عند من جمعه (٥٠) أليس في هذا ما زهد في اللذات وسلي عن الشهوات (وقال) كم من مستقبل يوم لا

آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض يخنالك من أم الترك وكان مبدؤا من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سحر ثم بقية ارض المنتنة الى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصل من غربه الى شرقه وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل ارض المنتنة وفي شرقها ارض المحفورة وهي من الجباب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فسبح الاقطار تمتع الوصول الى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتختفي وربما روى فيها نهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصل من الشرق الى الغرب وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفساخ وهو م قفجق يجوزها جبل قوقيا حين ينقطع من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سديا جوج وما جوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض يا جوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله والجزء العاشر غمر البحر جميعه هذا آخر الكلام على الجغرافيا واقاليها السبعة وفي خاتمة السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات للعالمين

(المقدمة الثالثة)

(في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير من احوالهم)

(قد بينا) ان المعمور من هذا المنع كشف من الارض انما هو وسطه لا قراط الحرف في الجنوب منه والبردي الشمال ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد وجب ان تتدرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلا فالاقليم الرابع اعدل العمران والذي حقا فيه من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع ابعد بكثير فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والاقوات والقوا كبل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من البشر اعدل اجساما والوانا واخلاقا واديانا حتى النبوات فانما توجد في الاكثر فيها ولم تنقف على خبر بعثة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكل النوع في خلقهم واخلقهم قال تعالى كنتم خيرا ما اخرجت للناس وذلك لنتيم القبول لما ياتيهم به الانبياء من عند الله واهل هذه الاقاليم اكل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استجادة الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالنقد والعزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والحلاقة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء او قريب منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وسط من جميع الجهات واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس

يستكملها ومنه نظر فدا
وليس من اجله انكم لو
ابصرتم الاجل ومسيره
لا بغضتم الامل وغروره
(ولما) بنى المأمون بن ذى
النون وكان من ملوك
الاندلس قصره واتفق فيه
بيوت الاموال جاء على
اكل بنيان في الارض
وكان من عجائبه ان صنع
فيه بركة ماء كانت باجرة
وبني في وسطها قبة وساق
الماء من تحت الارض حتى
علا على رأس القبة على
تدبير قد احكمه المهندسون
وكان الماء ينزل من اعلى
القبة نحو اليها محيطا بها
متصلا ببعضه ببعض
فكانت القبة في غلالة
من ماء سكب لا يفتقر والمأمون
قاع فيها قروى عنه انه
يبتغى هو نائم اذ سمع من شدا
ينشد هذين البيتين
أتبنى بناء الخالدين وانما
بتأولك فيها الوعقت قليل
لقد كان في ظل الآراء
كفاية
ان كل يوم يقتضيه رحيل
فلم يلبث بعدها الا يسيرا
حتى قضى نحبه (ووجد)
مكتوبا على قصر قباد اهل
وأفقرت منازل
هذه منازل اقوام عهدتهم
في خفض عيش نفيس ماله
خطر

صاحت بهم نائبات الدهر فانهلوا * الى القبور فلا عين ولا اثر ولو قيل للدنيا صفي نفسك لمساعدت هذا البيت والسابع
ومن يامن الدنيا يكن مثل قابض * على المساء خاتمه فزوج الاصابع (وزوي) ان الحاج قال في خطبته أي الناس ان يابقي من

الدنيا شبه عمامة من الماء بالأسفل والوعظيت ماضى من الدنيا بعمامتي هذه ما قبلته فكيف آتني على ما بقي منها (وروي) ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لابن آدم عند الموت كمثل رجل له ثلاثة اخلاء فلما (٥١) حضره الموت قال لاحدهم قد كنت لي خليلا

مكرما مؤثرا وقد حضرني

من امر الله تعالى ماترى فاذا

عندك فيقول هذا امر الله

غلبني عليك لا يستطيع

ان انفس كرك بك وليكن

ها انابني يدك فخذني

زادني فقلت ثم يقول للثاني

قد كنت عندي اثر الثلاثة

وقد نزل بي من امر الله تعالى

ماترى فاعندك قال هذا

امر الله غلبني عليك ولا

استطيع ان انفس كرك بك

وليكن سا قوم عليك في

مرضك فاذا مات اتقنت

فسالك وجودك كسوتك

وسترت جسدك وعورتك

وقال للثالث قد نزل بي من

امر الله ماترى وكنت أهون

الثلاثة على فاذا عندك

قال اني قرينك وحليفك

في الدنيا والاخرة ادخل

معك قبرك حين تدخله

واخرج معك حين تخرج

منه ولا افارقك ابدا فقال

النبي صلى الله عليه وسلم

الاول بماله والثاني اهله

والثالث عمله (ولما) لقي

ميمون بن مهران الحسن

البصري قال له قد كنت

احب اقاتك فعطني فقرا

الحسن افسر ايت ان

متعناهم سنين ثم جاءهم

ما كانوا يعدون ما اتقى

والسابع فاهلها بعد من الاعتدال في جميع احوالهم فبنواهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب
وملابسهم من اوراق الشجر يخصفونها عليهم او الجلودوا كثرهم عرايا من اللباس وقوا كه بلادهم
وادمها غريبة التكوين مائلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير الحجرين الشريرين من نحاس او حديد او
جلود يدقرونها للمعاملات واخلاقهم مع ذلك قريية من خلق الحيوانات الجعم حتى يتقل عن الكثير من
السودان اهل الاقليم الاول انهم يسكنون الكهوف والغياض ويا كاون العشب وانهم متوحشون غير
مستأنسين يا كل بعضهم بعضا وكذا السبع والصيد في ذلك انهم لم يعد من الاعتدال يقرب
عرض انزجتهم واخلاقهم من عرض الحيوانات الجعم ويعدون من الانسانية عمة دار ذلك وكذلك
احوالهم في الديانة ايضا فلا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو
في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين لليمن الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد
ومثل اهل مالي وكو كواوالتكر والمجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دائنوا به
في المسألة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من اعم الصقالبة والافرنجة والترك من الشمال ومن سوى
هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المنحرفة جنوبا وشمالا فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم وجميع
احوالهم بعيدة من احوال الاناس قريية من احوال البهايم ويخلق ما لا تعلمون ولا يعترض على هذا القول
بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليمامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني
فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لربطها اثر في رطوبة هوائها
فنقص ذلك من البس والانحراف الذي يقتضيه الحوضا فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر
وقد توهم بعض النسابين عن لاهل لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اختصوا بابلون
السواد لدموية كانت عليه من ابيه فظهر اثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك
حكاية من خرافات القصص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وانما دعا
عليه بان يكون ولده عبدا لولده اخوته لا غيره وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد
واثرهما في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون يعمل اهل الاقليم الاول والثاني
من مزاج هو اثم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت رؤسهم مرتين في كل سنة قريية احداهما
من الاخرى فتطول المسامة عامة القصول فيكثر الضوء لاجلها ويلج القيط الشديد عليهم وتسود جلودهم
لا فراط الحر وتظلمهم الذين الاقليمين مما يقابلهم من الشمال الاقليم السابع والسادس يعمل سكانهما
ايضا البياض من مزاج هو اثم للبرد المقرط بالشمال اذ الشمس لاتزال بافقههم في دائرة مرتى العين او ما قرب
منها ولا ترتفع الى المسامة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيم اويشتد البرد عامة القصول فتبيض الوان اهلها
وتنتهي الى الزعزعة وينبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المقرط من زرقة العيون وبرش الجلود ووصوبة
الشعور وتوسطت بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج
المتوسط حظ وافر والرابع ابلغها في الاعتدال غاية النهاية في التوسط كما قدمناه فكان لاهلها من
الاعتدال في خلقهم وخلقتهم ما اقتضاه مزاج اهو يتهم وتبعه عن جانبه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية
التوسط لميل هذا اقليم الى الجنوب الحار وهذا اقليم الى الشمال البارد الا انهما لم يتهيا الى الانحراف
وكانت الاقاليم الاربعة متحرفة واهلها كذلك في خلقهم وخلقتهم فالاول والثاني للحر والسواد والسابع

عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ابا عبد الله وعظمت احسن موعظة واعجبا كل الحب للكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى
الاولى واعجبا كل العجب للشاك في قدرة الله تعالى وهو يرى خلقه واعجبا كل العجب للكذب بالنشور وهو يموت في كل يوم وليلة ويحيا
واعجبا كل العجب للصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور واعجبا كل الحب للبهتان الفخور وانما خلق من تطفئ ثم يعود حية

وهو بين ذلك لا يذرى ما يعمل به (وروى) ان الله تعالى اوحى الى آدم عليه السلام جماع الخير كما في أربع واحدة الى وواحدة اليك وواحدة
 بيني وبينك وواحدة بينك (٥٢) وبين الناس فاما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا واما التي لك فاعمل ما شئت فاني اخبرك به واما التي

بينى وبينك فعملك الدعاء
 وعلى الاجابة واما التي
 بينك وبين الناس فكن
 لهم كما تحب ان يكونوا لك
 (وقال) سليمان بن داود
 عليهم السلام اوتينا ما اوتي
 الناس وما لم يؤتوا علمنا
 ما علم الناس وما لم يعلموا فلم
 نجد شيئا افضل من خشية
 الله تعالى في الغيب
 والشهادة وكلمة الحق في
 الرضا والغضب والقصد في
 الغنى والفقر (وكتب)
 معاوية الى عائشة رضي
 الله عنها ان اكتبى لى كتابا
 توصينى فيه ولا تكثري
 على فكتبت اليه سلام عليك
 اما بعد فاني سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول
 من التمس رضا الناس بسخط
 الله وكله الله الى الناس
 والسلام (ولما) ضرب
 ابن ملجم عيارضى الله عنه
 دخل منزله فاعتريه غشية
 ثم افاق ودعا الحسن
 والحسين رضي الله عنهما
 (فقال) اوصيكما بتقوى
 الله والرغبة في الآخرة
 والزهد في الدنيا ولا تأسفا
 على شيء فانكما منها عملا
 الخير وكونا لظالم خصما
 ولظالم عونا ثم دعا حمدا
 وقال له اما سمعت ما
 اوصيت به اخوك قال
 بلى قال فاني اوصيتك به
 وعليك ببر اخوك وتوقيره
 ما وفضلها ما ولا تقطع امرادونهما ثم اقبل عليه ما فقال اوصيكما به
 خيرا فانه اخوك كما وابن ابيكما وانما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاحياه ثم قال يا بني اوصيكما بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق

والسادس لبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقلية من الاول والثاني باسم الحبشة والزنج
 والسودان اسماء مترادفة على الامم المتغيرة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصا منهم بن تجمه مكة واليمن
 والزنج بن تجمه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل انتسابهم الى آدمى اسود لاحام ولا غيره وقد
 نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الرابع المعتدل او السابع المنحرف الى البياض فتدبض ألوان
 اعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فيمن يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب تسود ألوان
 اعقابهم وفي ذلك دليل على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب
 بالزنج حر غمر الاجساد * حتى كساد لودها سوادا
 والصقبا كتسبت البياضا * حتى غدت جلودها بياضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار ألوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن
 فيه غرابة فتحمل على اعتباره في التسمية موافقة واعتياده وجدنا سكانه من الترك والصقالبة والطغرغر
 والحزر واللان والكثير من الافرنجة ويا جوج وما جوج اسماء متفرقة واجيال متعددة من اسماء
 متنوعة واما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال في خلقهم وخلقة هم وسيرهم وكافة الاحوال
 الطبيعية للاعتبار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرياسات والممالك فكانت فيهم
 النبوات والممالك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفاتحة وسائر
 الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبنى اسرائيل
 واليونان واهل الهند والصين وما راى النسابون اختلاف هذه الامم بسماتها وشعارها حسبوا
 ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في ألوانهم فتكافؤا تلك
 الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم اوا كثرهم من ولديا فتواكثر الامم المعتدلة واهل الوسط
 المنتحلين للعلوم والصنائع والملا والشرائع والسياسة والملا من ولد سام وهذا الزعم وان صادف الحق في
 انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد انما هو اخبار عن الواقع لان تسمية اهل الجنوب بالسودان
 والحبشان من اجل انتسابهم الى حام الاسود وما اداهم الى هذا الغلط الا اعتقادهم ان التمييز بين الامم انما
 يقع بالانساب فقط وليس كذلك فان التمييز للجليل والامة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبنى اسرائيل
 والفرس ويكون بالجهة والسمة كالزنج والحبشة والصقالبة والسودان ويكون بالاعواد والشعار والنسب كما
 للعرب ويكون بغير ذلك من احوال الامم وخواصهم ومميزاتهم فتعميم القول في اهل جهة معينة من جنوب
 او شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شاعهم من نخلة أولون أو سمة وجدت لذلك الاب انما هو من الغالب
 التي اوقع فيها الغفلة عن طبائع الكوان والجهات وان هذه كلها تبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها
 سنة الله في عبادته وان تجد لسنة الله تبديلا والله ورسوله اعلم بغيبه واحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

(المقدمة الرابعة في اثر الهواء في اخلاق البشر)

(قد رأينا) من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرت الطرب فتجددهم مولعين بالرقص على
 كل توقيع موصوفين بالحق في كل قطر والمسبب الصحيح في ذلك انه تقر في موضع من الحكمة ان
 طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتتشبه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه
 وتقرر ان الحرارة مفسدة للهواء والبخار الخفة زائدة في كونه ولهذا يجد المنشئ من الفرح والسرور
 عمالا يعبر عنه وذلك بما يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في

الروح
 وعليك ببر اخوك وتوقيره ما وفضلها ما ولا تقطع امرادونهما ثم اقبل عليه ما فقال اوصيكما به
 خيرا فانه اخوك كما وابن ابيكما وانما تعلمان ان اباكما كان يحبه فاحياه ثم قال يا بني اوصيكما بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق

في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله في الشدة والرخاء
يا بني ما شر بعدة الجنة بشرا ولا خير بعدة النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل (٥٣) بلا دون النار عافية يا بني من أبصر عيب

نفسه شغل عن عيب غيره
ومن رضي بقسم الله لم يحزن
على ما فاتته ومن سل سيف
البغي قتل به ومن حفر
لاخيه بئر اوقع فيها ومن
هتك حجاب اخيه انكشف
عورات بيته ومن نسي
خطيئته استقام خطيئته
غيره ومن أعجب برأيه
ضل ومن استغنى
بعقله ذل ومن تكبر على
الناس ذل ومن خالط
الانذال احتقر ومن جالس
العلماء وقرو من يحجب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يحجب صاحب الصالح لا يغم
ومن دخل مدخل السوء
اتهم ومن لا يملك نفسه ندم
ومن خرج استخف به ومن
أكثر من شيء عرف به ومن
كثر كلامه كثر خطؤه ومن
كثر خطؤه قل حياؤه ومن
قل حياؤه قل ورعه ومن
قل ورعه مات قلبه ومن
مات قلبه دخل النار
يا بني الأدب خير ميراث
وحسن الخلق خير قرين
يا بني العافية عشرة أجزاء
تسعة منها في الصمت إلا من
ذكر الله تعالى والواحدة
في ترك مجالسة السفهاء
يا بني لا شرف إلا على من
الاسلام ولا كرم إلا على من
التقوى ولا عقل إلا من
الورع ولا شفيق إلا من

الروح من خواجه فينفش الروح وتجيئ طبيعة الفرح وكذلك نجد المتنعمين بالحجاسات اذا تنفسوا في
هوائها واتصلت حرارة الهوا في ارواحهم فتمتخنت لذلك حدث لهم فرح وورع انبعث الكثير منهم
بالغناء الناشئ عن السرور ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على اخرجتهم وفي
أصل تكونهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس
الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حرافة كون أكثر نقشا فتكون أسرع فرحا وسرورا وأكثر انبساطا
ويجيئ الطيش على أثره وهذا كذلك يلحق بهم قليلا لاهل البلاد الباردة لاهل البحر يلهو ما كان هواؤه متضاعف
الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء البحر وأشعة كانت حصصهم من تواضع الحرارة في الفرح
والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد سيرا من ذلك في اهل البلاد الجزيرية
من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها الانها عريضة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر
ذلك أيضا باهل مصر فانه في مثل عرض البلاد الجزيرية أو قريبا منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة
والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما كاهم من أسواقهم ولما
كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرقين اطراق
المحزن وكيف أفرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم لا يدخر قوت سنتين من حيوب الخطة ويباكر
الاسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يرزأ شيئا من مدخره وتتبع ذلك في الاقليم والبلدان تجد في الاخلاق
اثر من كفيات الهوا والله الخلاق العليم وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان
وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعديله فلم يأت بشيء أكثر من أنه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحق
الكندي ان ذلك لضعف أدمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا محصل له ولا برهان فيه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

(المقدمة الخامسة)

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم
(اعلم) ان هذه الاقاليم المعتدلة ليس كلها يوجد فيها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها
ما يوجد لاهله خصب العيش من المحبوب والادب والخطة والقوا كذلك كاهل المنابت واعتدال الطبيعة
ووفور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرع ولا عشب بابا جملة فسكانها في شطف من العيش مثل
اهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المثلثين من صنهاجة السالكين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيمابين
البربر والسودان فان هؤلاء يفتقدون المحبوب والادم جملة وانما اغذيتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل
العرب أيضا المجائلين في القفار فانهم وان كانوا يأخذون المحبوب والادم من التلول الا أن ذلك في الاحياء
وتحت ربة من حاميته وعلى الاقلال لقلته ويخدهم فلا يتوصلون منه الى سد الخلة أو دونها فضلا عن الرغد
والخصب وتجددهم يقتضون في غالب احوالهم على الالبان وتعوضهم من الخطة أحسن معاض وتجيد
مع ذلك هؤلاء الفاقدين للمحبوب والادم من اهل القفار أحسن حالا في جسومهم واخلاقهم من اهل
التلول المنعمين في العيش فالوانهم اصقوا ابدانهم انقى واشكاهم اتم واحسن واخلاقهم ابعدهم
الانحراف وادهانهم أثقب في المعارف والادراكات هذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم فكثير ما بين
العرب والبربر فيما وصفناه وبين المثلثين وأهل التلول يعرف ذلك من خبره والسبب في ذلك والله أعلم ان
كثرة الاغذية ورطوبتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد اقطار في غير نسبة وكثرة الاخلاط

التوبة ولا لباس اجل من العافية الحرص مفتاح التعب ومطبة النصب التدبير قبل العمل يؤمنك من الندم ينس الزاد للمعاد العدو وان
على العباد فطوري ان اخلاص لله عمله وحببه وبغضه واخذته وتركه وكلامه وصمته وقوله وفعله (وروي) عن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه انه لما طعن دعا بلين فشر به فخرج من طعنته فقال الله اكبر فخرج من جلساؤه ينون عليه فقال وددت ان اخرج منها كفافا كما دخلت فيها الوان لي اليوم ما طعنت عليه (٥٤) الشمس وغربت لا قديت به من هول المطلاع (قال) ابن عمر وما حضرت الوفاة عمر

القاسدة العفة ويتبع ذلك انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه وتغلى الرطوبات على الازدهان والافكار بما يصعد الى الدماغ من اجزائها الرديئة فتجىء بالبلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام والمهشي والزرافة والحمر الوحشية والبقر مع امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي الخصبية كيف تجدد بينها بونا بعيدا في صفاء اديمها وحسن روتها واشكالها وتناسب اعضائها وحده مداركها فالغزال اخو الممزر والزرافة اخو البعير والحمار والبقر اخو الحمار والبقر والبون بينهما ما رايت وما زالك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من الفضلات الرديئة والاخلال بالقاسدة ما ظهر عليها اثره والجوع لحيوان القفر حسن في خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الانسان ايضا فانما يجد اهل الاقاليم الخصبية العيش الكثير الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف اهلها غالبا بالبلادة في اذهانهم والخشونة في اجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والخنطة مع المتعشقين في عيشهم المقتصرين على الشهية او الذرة مثل المصامدة منهم واهل غمارة والسوس فتجد هؤلاء احسن حالا في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسون في الادم والبرم اهل الاندلس المفقود بارضهم السمينة وجبالهم وغالب عيشهم الذرة فتجد لاهل الاندلس من ذكاء العقول وخفة الاجسام وقبول التعاليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل الضواحي من المغرب بالجملة مع اهل الحضر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا اكثر من مثلهم من الادم ومختصين في العيش الا ان استعمالهم اياهما بعد العالج بالطبخ والتلطيف بما يخالطون معها فيذهب لذلك غاؤها ويرقى قوامها وعامة ما كاهم محوم الضأن والدجاج ولا يغبطون السمينة من بين الادم لتفاهته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخف ما تؤديه الى اجسامهم من الفضلات الرديئة فذلك تجد جسوم اهل الامصار اللطيف من جسوم البادية الخشنة نين في العيش وكذلك تجد المغودين بالجوع من اهل البادية لافضلات في جسومهم غليظة ولا طيفة بهواء لم ان اثره هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فتجد المتعشقين من اهل البادية او الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن دينيا واقبالا على العبادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قايمين في المدن والامصار وما ينجمان القساوة والغفلة المتصلة بالاكثار من اللحم والادم وبسبب البر ويختص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتعشقين في غذائهم من اهل البوادي وكذلك تجد حال اهل المدينة الواحدة في ذلك مختلفا باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك تجد هؤلاء المختصين في العيش المنغمسين في طبيعته من اهل البادية واهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السنون واخذتهم المجاعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من غيرهم مثل برابرة المغرب واهل مدينة قاس ومصر فيما يبلغنالا مثل العرب اهل القفر والحجر ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم القمح ولا مثل اهل افرقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء وان اخذتهم السنون والمجاعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندروا السبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين للادم والسمينة خصوصاً كتسبب من ذلك امعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الاصلية المزاجية حتى تجاوز حد ما فاذا خواف بها العادة بقلة الاقوات وفقدان الادم واستعمال الخشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المعنى اليأس والانكماش وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل فلهذا يكون في

غشي عليه فاخذت راسه فوضعتها في حجرى فقال ضع راسي بالارض لعل الله يرحنى فمخ خديه بالتراب وقال ويل لعمري ويل لامة ان لم يغفر له فقلت وهى تخذى والارض الاسواء يا ابتاه فقال ضع راسي بالارض لا ام لك كما امرك فاذا قضيت فاسرعوا لى في حفرتى وانما هو خير تقدموني اليه او شر تضعونه عن رقابكم ثم بكى فقبل له ما يبكيك قال خبر السماء لا ادري الى جنة ينطلق لى او الى نار (وما) حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم انك امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت وانعمت علي فافضت فان عفوت فقد مننت وان عاقبت فساظمت الا اني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله ثم قضى رحمه الله (وما) حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهل بيته يكون حوله فقال جادكم هشام بالدين اوجدتم له باليكما وترك لكم ما جمع وتركتم عليه فاجل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له (ودخل) على الاممون في مرضه الذي مات فيه فاذا هو قد امر ان

يقرب له جل الدابة وييسر عليه الرماد وهو واقده عليه يتضرع ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه (وروي) ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه مر على طائر واقع على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تطير فتقع على الشجر وتاكل من الثمر

وليس عليك حساب ولا عقاب يا ليتني كنت مثلك والله لو ددت اني شجرة الى جنب طريق فر على بعير فاخذني فلا كني ثم اذردني ثم
أخرجني بعرا ولم ألك بشرا (وقال) عاصم بن عبد الله اخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٥) تبتة من الارض فقال يا ليتني كنت مثل

هذه التبتة يا ليتني لم تلدني
أبي يا ليتني كنت نسياما نسيا
(وقال) ابن مسعود وددت
اني طائر في منكب ريش
(وسمع) رجلا يقول يا ليتني
كنت من أصحاب الجين
فقال ابن مسعود يا ليتني
اذامت لم أبعث (وقال)
عمران بن حسين لو ددت
اني رماذ فتسقى الرياح
في يوم عاصف (وقال) ابو
الدرداء يا ليتني كنت شجرة
تعضد وتؤكل ثم ترقى ولم
أك بشرا (وروى) ان علي
ابن أبي طالب رضي الله
منه لما رجع من صفين
فدخل اوائل السكوفة فاذا
هو بقبر فقال قبر من هذا
فقالوا قبر خباب بن الارت
فوقف عليه وقال رحم الله
خبابا اسلم راغباه جرحا ثعا
وعاش مجاهدا وابتلى في
جسمه آخر الاول ان يضع
الله اجر من احسن عملا ثم
مضى فاذا قبور فجاها حتى
وقف عليها فقال السلام
عليكم اهل الديار الموحشة
والحال المفقرة انتم اناسك
ونحن لاكم تبع وبكم عيا
قليل لاحقون اللهم اغفر
لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم
طوي ان ذكر المعاد وعمل
لحساب وقنع بالكفاف
ورضى عن الله تعالى ثم

المجمعات انما قتلهم الشبع المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق واما المعتودون لقلة الادم والسم
فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في
معاسهم تبدل الاغذية يابس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب
وكثرة الادم في المساكين كل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية واثلاها او تر كها انما هو بالعادة فمن عود
نفسه غذاء ولا يمتنع تناوله كان له ما لو فاق صار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء
بالجملة كالسموم واليتوع (١) وما أقرط في الانحراف فاما ما وجد فيه التغذي والملازمة فيصير غذاءا لوفا
بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللبن والبقول عوضا عن الخنطة حتى صار له ديدنا فقد حصل له
ذلك غذاء واستغنى به عن الخنطة والمحبوب من غير شك وكذا من عود بنفسه الصبر على الجوع والاستغناء
عن الطعام كما يتقل عن اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخبارا غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها
والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا الفت شيئا صار من جبلتها وطبيعتها لانها كثيرة التلون فاذا حصل
لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها وما يتوهمه الاطباء من ان الجوع
مهلك فليس على ما يتوهمونه الا اذا جلت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ
ينحسم المني ويناله المرض الذي يخشى منه الهلاك واما اذا كان ذلك القدر تدريجيا ورياضة باقلال
الغذاء شيئا فشيئا كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة الهلاك وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن
هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خيفة عليه الهلاك وانما يرجع به كما بدأ في
الرياضة بالتدريج واقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوما وصالوا كثيرا وحضر اشيا خنا بجماس
السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه امراتان من اهل الجزيرة الخضراء ورنه حديثا انفسهما عن الاكل
جملة منذ سنين وشاع امرهما ووقع اختيارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا ورأينا
كثيرا من اصحابنا ايضا من يقتصر على حليب شاة من المزي ينقسم ثديها في بعض النهار او عند الافطار
ويكون ذلك غذاءه واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستنكر ذلك واعلم ان الجوع
اصح للبدن من اكثار الاغذية بكل وجه من قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثر في الاجسام
والعقول في صفاتها وصلاحها كما قلناه واعتبر ذلك باننا نرا الاغذية التي تحصل عنها في الجسم فقدرنا
المتغذين بالجود المحبوات الغبارة العظيمة الجثمان تنشأ اجيالهم كذلك وهذا ما شاهد في اهل البادية مع
اهل الحاضرة وكذا المتغذون بالابل والحوم ايضا مع ما يؤثر في اخلاقهم من الصبر والاحتمال
والقدرة على حمل الاثقال الموجود ذلك للابل وتنشأ امهاتهم ايضا على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلاظ
فلا يطررها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مضار الاغذية ما ينال غيرهم فيشر يرون اليتوعات
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحظيل قبل طبعها والدراس والقرييون ولا ينال امعاءهم منها ضرر
وهي لو تنالها اهل الحضر الرقيقة امهاتهم ينشأ عن ذلك من لطيف الاغذية لكان الهلاك اسرع
اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثير الاغذية في الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهده
اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالمحبوب المطبوخة في بعرا لابل واتخذت منها ثم حضنت عليه جاء
(١) قوله قال في القاموس اليتوع كصبر وارتوى وكل نبات له لبن دار منهل محرق مقطوع والمشهور منه
سبعة الشبرم واللاعبة والعريضة والمساوداته والمساوريون والقلجاش والعشرون وكل اليتوعات اذا
استعملت في غير وجهها اهلك

قال يا اهل القبور اما الزواج فقد نكحت واما الديار فقد سكنت واما الاموال فقد قسمت فهذا خبر ما عندنا فاخبر ما عندكم ثم التفت
الى اصحابه وقال اما انهم لو تسكاهم وقالوا وجدنا ان خير الزاد التقوى (الباب الثاني في مقامات العلماء والصالحين عند الامراء

والسلاطين) دخل الاحنف بن قيس على معاوية وعليه شملة ومدرعة صوف فلما مثل بين يديه اقمتمته فغلب عليه وقال له فقال الاحنف يا امير المؤمنين اهل البصرة (٥٦) مدديسرو عظم كسير مع تتابع المحول واتصال من الدخول فالما اكثر منها قد اطارق

والماقل منها قد املق وبلغ به الخلق فان رأى امير المؤمنين ان ينعمش الفقير ويحبر الكسير ويسهل العسير ويصقم عن الدخول ويدوى المحول ويامر بالعتاء ليكشف البلاء وتزول اللأواء الاوان السيد من يغمر ولا يخص ويدهو الجفلى ولا يدعو النقرى ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه غفرتم يكون من وراء الرعية عماد ايدفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال معاوية ها هنا يا ابا بحر ثم قرأ أوله عرفتهم في تحن القول (وقال) سفيان الثوري لما حج المهدى قال لا بد لي من سفيان فوضعهوا الى الرصد حول البيت فاخذوني بالليل فلما مثلت بين يديه ادباني ثم قال لاى شئ لا تاتينا فنتشرك في امرنا فاسأرتنا من شئ صرنا اليه وما نهيتنا عن شئ انتبهنا عنه فقالت له كم اتفقت في سقرك هذا قال لا ادري لي امنا ووكلاء قلت فما عذر كذا اذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألت عن ذلك لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حج قال لعلهم

الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون من تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلالب البعير مع البيض المحض فيجىء دجاجها في غاية العظم وامثال ذللك كثير فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان الجوع ايضا اثارا في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقص الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبة المختلطة الخ لانه بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثرا في وجود ذللك الجسم والله محيط بعلمه

(المقدمة السادسة)

(في اصناف المدركين للغييب من البشر بالقطرة او بالريضة وتقدمه الكلام في الوحي والرويا)

(اعلم) ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصا فضلهم بخطابه وقطرحهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يليقهم اليهم من المعارف ويظهرهم على استئتمهم من الخوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم لا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضروريته الصادق لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضر بن معهم مع غطيط كأنها غشايا واغماء في رأى العين وليست منهم في شئ وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم يتنزل الى المدارك البشرية اما بسماع دوى من الكلام فيفهمه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم تنجلي عنه تلك الحال وقد وصى ما القى اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احيانا يا تبنى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فينصم حتى لو قدوعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ويدركه انشاء ذلك من الشدة والغط ما لا يعبر عنه في الحديث كان مما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفص دعه رقا وقال تعالى انا سبقي عليك قولا ثقيلا ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له رقى او تابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهرتلك الاحوال ومن يضل الله فساله من هاد ومن علاماتهم ايضا انه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخبز والزكاء ومجانبة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى العصمة وكأنه مغطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكأنها منافية لجماله وفي الصحيح انه جل الجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجاءها في ازاره فأنكشفت فسقط مغشيا عليه حتى استمر بازاره ودعى الى مجتمع وائمة فيها عرس ولعب فأصابه غشي النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحضر شيئا من شأنهم بل نزهه الله عن ذلك كله حتى انه يجمل به يتنزه عن المذمومات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب البصل والثوم فليل له في ذلك فقال اني اناحي من لا تناسجون (وانظر) لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها بحال الوحي اول ما فجاءه وارادت اختياره فقالت اجعاني بينك وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس بشيطان ومعناه انه لا يقرب النساء وكذلك سأله عن أحب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة فقالت انه الملك يعني ان البياض والخضرة من الوان الخبز والملائكة والسواد من الوان الشر والسياطين وامثال ذلك يوم من علاماتهم ايضا دعاؤهم الى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف وقد استدل خديجة على صدقه صلى الله

عليه (وقال)

الزهرى ما سمعت باحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان بن عبد الملك فقال يا امير المؤمنين اسمع مني اربع كلمات فين صلاح

دينك وما لك وآخرك ودنياك قال لا تعد أحدا عداوة وانت لا تريد أن تجازها ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المتحدرو عراوا علم ان الاعمال جزاء فاحذر العواقب والدهر تارات فكن على حذر (ولما دخل) ابن السماك (٥٧) على هارون الرشيد قال له عظمي قال

يا أمير المؤمنين ان الله لم يرض لخلاقته في عباده غيرك فلا ترض من نفسك الامراضى الله به عنك فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت أولى الناس بذلك يا أمير المؤمنين من طلب فكلك رقبته في مهلة من أجله كان خلية ان يعتق نفسه يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيا حلاوتها بكون منه اليها اذا قتله الاخرة مرارتها يتجافيه عنها يا أمير المؤمنين ناشدتك الله ان تقدم الى جنة عرضها السموات والارض وقد دعيت اليها وليس لك فيها نصيب يا أمير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ولا تخاف الاممقتونا مغرورا وانك وايانا في دار سفر وجيران طعن (ولما) حج سليمان بن عبد الملك استحضر ابا حازم فقال له تكلم يا ابا حازم فقال فيم اتكلم قال في الخروج من هذا الامر قال يسير ان انت فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ الاشياء الا بحقها ولا تضعها الا في أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من الامر ما قلده قال عظمي يا ابا حازم قال

عليه وسلم لم بذلك وكذلك ابو بكر ولم يحتاج في امره الى دليل خارج عن حاله وخلة وفي الصحيح ان هرقل حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يدعوه الى الاسلام احضر من وجد يبلده من قريش وفيهم ابو سفيان ليسألهم عن حاله فكان فيما سأل ان قال سمى بامرهم فقال ابو سفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف الى آخر ما سأل فاجابه فقال ان يكن ما تقول حقا فهو نبي وسيمالك ما تحت قدمي هاتين والعفاف الذي (١) اشار اليه هرقل هو العصمة فانظر كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلا على صحة نبوته ولم ينج الى معجزة فدل على ان ذلك من علامات النبوة (ومن علاماتهم) ايضا ان يكونوا ذوى حسب في قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه وفي رواية اخرى في ثروته من قومه استدركه الحماكم على الصحيحين وفي مسألة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف هو فيكم فقال ابو سفيان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسل تبعث في احساب قومها ومناها ان تكون له عصية وشوكة تمنعه عن اذى الكفار حتى يبلغ رسالة ربه ويتم مراد الله من اكمال دينه ومملكته (ومن علاماتهم) ايضا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقتهم وهي افعال يخجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم ولاناس في كيفية وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف فالتكلمون ببناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرته الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعجزة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين الا التحدى بها باذن الله وهو ان يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم لم قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فاذا وقعت تنزل منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائلها حجة على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بمجموع الخارق والتحدي ولذلك كان التحدي جزأ منها (وعبارة المتكلمين) صدقة نفسها وهو واحد لانه معنى الذاتى عندهم والتحدي هو الفارق بينهما وبين الكرامة والسحر اذا لاحت حاجة فيهما الى التصديق فلا وجود للتحدي الا ان وجد اتفاقا وان وقع التحدي في الكرامة عند من يميزها وكانت لها دلالة فأنما هي على الولاية وهي غير النبوية ومن هنا منع الاستناد ابو اسحق وغيره وقوع الخوارق كرامة فرار من الاتباس بالنبوة عند التحدي بالولاية وقد اريناك المغايرة بينهما وانه يتحدى بغير ما يتحدى به النبي فلا يمس على ان النقل عن الاستناد في ذلك ليس صريحا ولا جازما على انكار ان تقع خوارق الانبياء لهم بناء على اختصاص كل من القرنيين بخوارقه وأما المعجزة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد وافعالهم معنادة فلا فرق واما وقوعها على يد الكاذب تلبسافه ومحال اما عند الاشعرية فلان صدقة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذب واستحالت الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكنا وأما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة فيجب فلا يقع من الله وأما الحسكية فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على منتهبهم في الاسباب الذاتى ووقوع الحوادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخيرا الى الواجب الفاعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التسكين والنبي عندهم مجبول على التصريف في الاكوان مهما توجه اليها واستجمع لها ما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان للتحدي او لم يكن

(١) قوله الذي اشار اليه هرقل الظاهر ابو سفيان اه

(٨ - ابن خلدون) يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لم يصل اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج عنك مثل ما صار اليك ثم قال يا أمير المؤمنين نزهة بك في عظمتك عن أن يراك حيث نمالك او يفقدك حيث امرك يا أمير المؤمنين انما انت سوق فائق عنك مثل اليك

من خيرا وشرفا خيرا لنفسك ايها شئت قال فالك لا تاتينا قال وما صنع بانيانك ان ادنيته فتنتي وان اقضيته اجزئتي وليس عندي
ما اخافك عليه ولا عندك ما ارجوك (٥٨) له قال فارفع اليها حواشيك قال قد رفعتها الى من هو اقدر منك عليها فا اعطاني منها قبلت وما منعتني

من ارضيت يقول الله تعالى
نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا فن ذا الذي
يستطيع ان ينقص من
كثير ما قسم الله او يزيد
في قليل ما قسم الله قال فبكي
سليمان بكاء شديدا فقال
رجل من جلسائه اسأت
الى امير المؤمنين قال ابو
حازم اسكت فان الله تعالى
اخذ ميثاق العلماء لبيئته
للناس ولا يكتمونه ثم خرج
من عنده فلما وصل الى
منزله بعث اليه بحال فرده
وقال للرسول قل ليا امير
المؤمنين والله ما ارضاه لك
فكيف ارضاه لنفسي
(وقال) الفضل بن الربيع
سج هرون الرشيد فبينما انا
نائم ليلة اذ سمعت قرع
الباب فقلت من هذا فقال
اجب امير المؤمنين
فخرجت مسرعا فاذا انا به
امير المؤمنين فقلت
يا امير المؤمنين لو ارسات
الى ايتك فقال ويحك
قد حاك في نفسي شئ
لا يخرجني الا عالم انظر لي
رجلا اسأله قلت له ههنا
سفيان بن عيينة قال امض
بنا اليه فأتيناه فقرعت
عليه الباب فقال من هذا
فقلت اجب امير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا امير

وهو شاهد بصدقه من حيث دلالة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من خواص النفس النبوية
لابانه يتنزل منزلة القول البصر يح بالتصديق فلذلك لا تكون دلالة عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين
ولا يكون التحدي جزم المعجزة ولم يصح فارقا لمسا عن السحر والكرامة وفارقه عندهم عن السحران
النبي مجبول على افعال الخير مصروف عن افعال الشر فلا يلم الشر بخوارقه والساحر على الضد فافعله كلها
شروفي مقاصد الشروفا رقة عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في
الاجسام الكثيفة واحياء الموتي وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كتكثير
القليل والحديث عن بعض المستقبل وامثاله مما هو قاصر عن تصريف الانبياء وياتي النبي بجميع
خوارقه ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبوه في طريقتهم ولقنوه عن
اخبارهم واذا تقرروا ذلك فاعلم ان اعظم المعجزات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فان الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وياتي بالمعجزة شاهدة
بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المعجز شاهدة في عينه ولا يقتصر الى دليل مغاير له
كسائر المعجزات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم
ما من نبي من الانبياء الا واتي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الى
فانا ارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة
الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها اكثر لوضوحها فكثر المصدق المؤمن وهو التابع والامة

*(وانذركم الا تنفس بحقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ثم نذكر
حقيقة الكهانة ثم الروايات ثم شأن العرافين وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول)*

(اعلم) ارشدنا الله واياك انا شاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام
وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنقضي
عجائبه في ذلك ولا تنتهي غايته وايدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني واولا عالم العناصر المشاهدة
كيف تدرج صاعدا من الارض الى السماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلا بعضها ببعض وكل واحد منها
مستعد الا ان يستحيل الى ما يليه صاعدا وهابطا ويستحيل بعض الاوقات والصاعدا منها الالف مما قبله
الى ان ينتهي الى عالم الافلاك وهو اطرف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك
الحس منها الى الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها واولاها من وجود
الذوات التي لها هذه الاثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النباتات ثم الحيوان
على هيئة بدیعة من التدرج آخرا في المعادن متصل باول افق النباتات مثل الحشائش وما لا بذله وآخرا في
النبات مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان مثل الحزون والصدف ولم يوجد لها الاقوة اللبس
فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخرا في منها مستعد بالاستعداد الغريبي ان يصير اول افق
الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكر
والروية يرتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم ينته الى الروية والفكر بالفعل
وكان ذلك اول افق من الانسان بعده وهذا غاية شهودنا ثم اننا نجد في العوالم على اختلافها آثارا متنوعة
ففي عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة التوالد والادراك تشهد
كلها بان لها مؤثر اربابا للاجسام فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها

المؤمنين لو ارسات الى ايتك قال جدما جئنا له فادته ساعة ثم قال له عليك دين قال نعم قال يا عباسي اقض دينه ثم
انصر فنافق ما اغنى عنى صاحبك شيئا فانظر لي رجلا اسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام قال امض بنا اليه نسأله فأتيناه فقرعت عليه

الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك فقال جلدنا جثثنا له فنادته ساعة
ثم قال له عليك دين قال نعم فقال يا عباسي اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما غني عنى (٥٩) صاحبك شيئاً فانظر لى رجلاً أسأله

فقلت مهنا الفضيل بن
عباض قال امض بنا اليه
فأتيناه واذ هو قائم يصلي
في غرفة يتلو آية من كتاب الله
وبردها فقرعت الباب
فقال من هذا فقلت أجب
أمير المؤمنين فقال مالي
ولا مير المؤمنين فقلت
سميحان الله اما عليك طاعة
فقال اولى من قد روى عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ليس للمؤمن أن يذل
نفسه فنزل ففتح الباب ثم
ارتقى الغرفة فأطفا السراج
ثم التجأ الى زاوية من
زواى الغرفة فجلسنا
نجول عليه بايدينا فسبقت
كف الرشيد كفى اليه فقال
أواه من كف ما اليه ان
نحت غدا من عذاب الله
تعالى قال فقلت فى نفسى
لكلمته اللبلة بكلام نقي من
قالب تقي فقال جلدنا جثثنا
له برحمتك الله قال وفيه جثثنا
جئت على نفسك وجميع من
معك نجوا عليك حتى لو
سألهم عند انكشاف
الغطاء عنك وعنهم ان
يحملوا عنك شقصا من
ذنب ما فعدوا اول كان
أشد هم حبالك أشد هم
هر بامك ثم قال ان عمر بن
عبد العزيز لما تولى الخلافة
دعا سالم بن عبد الله ومحمد

وذلك هو النفس المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود آخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل
بها أيضا ويكون ذاته ادراكا صرفا وتعلقا محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس
استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الاوقات في لحظة
من الاموات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحانية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذى
بعدها شأن الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها فى الاتصال جهتا العلو والسفل هي متصلة بالبدن من
أسفل منها ومكتسبة به المدارك الحسية التى تستعملها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة به من جهة
الاعلى منها بافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود فى تعقلاتهم من
غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه
النفس الانسانية غائبة عن الغيان وآثارها ظاهرة فى البدن فكله وجميع اجزائه مجتمعة ومفترقة
آلات للنفس ولقواها اما الفاعلية فاللبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية
بالبدن متدافعا واما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرتبعة الى القوة العلمية منها ومن المفكرة
التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بالآلات من السمع والبصر وسائر ما يرتقى الى الباطن وأوله
الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة ولموسة وغير هاتى حالة واحدة وبذلك
فارتقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدهم عليهم فى الوقت الواحد ثم يؤديه الحس المشترك الى
الخيال وهي قوة تمثل الشئ المحسوس فى النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط وآلاتها تين القوتين
فى تصرفهما الباطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخرة للثانية ثم يرتقى الخيال الى الواهمة
والحافظة فالواهمة لادراك المعانى المتعلقة بالاشخصيات كعداوة زيد وصدقة عمرو ورجة الاب وافتراس
الذئب والحافظة لا يداع الادراكات كلها متخيلة وغير متخيلة وهي لها كالمخزنة تحفظها الوقت الحاجة اليها
والآلات تين القوتين فى تصرفهما الباطن المؤخر من الدماغ اوله للاولى ومؤخرة للآخرى ثم ترتقى جميعها
الى قوة الفكر وآلاته الباطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التى يقع بها حركة الروية والوجه نحو التعقل
فتحرك النفس بها دائماً ما ركب فيها من التزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذى للبشرية
وتخرج الى الفعل فى تعقلها مشبهة بالملائكة الى الروحانى وتصير فى اول مراتب الروحانيات فى ادراكها غير
الات الحسية فهى متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالملكية من البشرية وروحانياتها
الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الحجة والقطرة الاولى فى ذلك
(والنفوس البشرية) على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحانى فينقطع
بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركب المعانى من الحافظة والواهمة على قوانين
محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التى للفكر فى البدن وكلها خيالى
منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتهى الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعده وهذا هو
الاعلى نطاق الادراك البشرى الجسمانى واليه تنتهى مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف
متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحانى والادراك الذى لا يقتصر الى الآلات البدنية بما جعل
فيه من الاستعداد لذلك فيمتدح نطاق ادراكه عن الاوليات التى هى نطاق الادراك الاول البشرى
ويمرح فى فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها لانطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه
مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم الدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة فى

ابن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا على فعدا الخلافة بلا وعدتها انت واصحابك نعمة فقال له
سالم بن عبد الله ان اردت النجاة فعدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيما الموت وقال له محمد بن كعب ان اردت النجاة من عذاب

الله غدا فليكن كبير المسلمين الك اباواوسطهم عندك اخا واصغرهم ولدافير اباك وارحم اخاك وتحسن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة ان اردت النجاة من عذاب الله (٦٠) غدا فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم متى شئت مت واني

لا قول لك هذا واني لاخاف عليك أشدا لخوف يوم تنزل الاقدام فهل معك رحمت الله مثل هذا القوم من يأمر بك بمثل هذا فيكي هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت ارفق يا امير المؤمنين فقال يا ابن أم الربيع قتلتني أنت وأصحابك وادفني به انا ثم افاق فقال زدني فقال يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز شكك اليه سهراف كتب اليه هرون بن عبد العزيز يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابدان ذلك يطرد بك الى ربك نائما ويقظان واياك ان تنزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما اقدمك قال له ساءت قلبي بكائك لا وليت لك ولاية ابدا حتى اتى الله تعالى فيبكاه هرون بكاء شديدا ثم قال زدني فقال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاءه فقال يا رسول الله امرني على امانة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفوس تحميم اخير من امانة

البرزخ وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية بجملة جسمانية وروحانية الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمح من اللحظات ملكا بالفعل ويحصل له شه هو دال المالا اعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في تلك اللحظة وهو لاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة وهي حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صورهم فيها ونزهمهم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملايين لها بالبشرية بركب في غرائزهم من القصد والاسئلة مقامات التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز في طياتهم رغبة في العبادات تكشف بتلك الوجهة وتسيخ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤوا بتلك الفطرة التي فطرها عليهم الا بالاكساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا في ذلك المالا اعلى ما يتلقونه عاجوابه على المدارك البشرية منزلا في قواها الحكمة التبليغ للعبادة فتارة يسمع دوييا كأنه رزم من الكلام يأخذ منه المعنى الذي اتى الله فلا ينفذ في الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلا فيكاهه ويبي ما يقوله والتلقى من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما اتى عليه كله كأنه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح البصر لانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيا لان الوحي في اللغة الاسراع (واعلم) ان الاولى وهي حالة الدوي هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ماحقة قوه والثانية وهي حالة تمثيل الملك رجلا لا يخاطب هي رتبة الانبياء والمرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سأله الحارث بن هشام وقال كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكاهني فأخبرني ما يقوله وانما كانت الاولى أشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيا على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية يأتي على جميعها وخصوصا لاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوحي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل لمخات الوحي فتدل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام وأخبر أن الفهم والوحي يتبعه غيب انقضائه فتناسب عند تصور انقضائه وانقضاله العبارة عن الوحي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوحي فتناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد واعلم ان في حالة الوحي كلها صفة عويبة على الجملة وشدة قد أشار اليها القرآن قال تعالى اناس لم يلقوا عليك قولا ثقيلا وقالت عائشة كان مما يعالي من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد مرقا ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغبط ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قرناه بمقارفة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الاخر وهذا هو معنى الغيب الذي عبر به في مبدأ الوحي في قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بآدي وكذا ثانية وثالثة كافي الحديث وقد يقضى الاعتياد بالتدرج فيه شيئا فشيئا الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في قول سورة براءة في غزوة تبوك وأنها نزلت كلها الواكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من

لا تخصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت ان لا تكون أمير افافعل فيكي هرون الرشيد بكاه قصار شديد ثم قال زدني يرحمك الله قال يا حسن الوجه انب الذي يسأل الله تعالى عن هذا الخاق يوم القيامة فان استطعت ان تقي هذا

الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتنام وفي قلبك غش لرعبتك فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصبح لم يمسح فاشالم برح رائحة الجنة فبكي هرون بكاء شديدا ثم قال عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي (٦١) ان سألني والويل لي ان ناقشني

والويل لي ان لم يلهمني حجة قال انما اعني دين العباد قال ان ربي لم يأمرني بهذا امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هذه الف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقرب بها الى عبادتي فقال سبحان الله انا ادلك على النجاة وكافيتي بمنزل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخر جنانا من عنده فقال لي هرون اذادلتني على رجل فدلني على مثل هذا هذا سيد المسلمين اليوم (وروي) ان امرأة من نسائه دخلت عليه فقالت له يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فقر جنانا فقال انما مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم يعير يا كلون من كسبه فلما كبر نحره فاقوا كلوا لحمه موتوا يا اهل جوعا ولا تذبخوا فاضلنا مع الرشيد ذلك قال ادخل فعمي ان يقبل المال قال قد خلت ايامنا علم بنا الفضيل

قصارا لفصل في وقت وينزل الباقي في حين آخر وكذلك كان آخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد ان كانت الآية تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والفلق وأمثالها واعتبر من ذلك علامة تميز بها بين المبكي والمدني من السور والآيات والله المرشد للصواب هذا يحصل امر النبوة (وأما الكهانة) فهي أيضا من خواص النفس الانسانية وذلك أنه قد تقدم لنا في جميع ما مران للنفس الانسانية استعداد الاسلحة من البشرية الى الروحانية التي فوقها وأنه يحصل من ذلك نعمة للبشر في صنف الانبياء فطوروا عليه من ذلك وتقرراته يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المداير ولا من التصورات ولا من الافعال البدينية كالأموال حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة أقرب من لمح البصر واذا كان كذلك وكان ذلك الاستعداد وجودا في الطبيعة البشرية فيعطى التقسيم العقلي ان هذا صنف آخر من البشر ناقصا عن رتبة الصنف الاول نقصان الضد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا أعطى تقسيم الوجودان هنا صنف آخر من البشر مقطورا على ان تتحرك قوته العقلية بحركة الفكرية بالارادة عند ما يبعثها التروع لذلك وهي ناقصة عنه بالجيلة فيكون لها بالجيلة عند ما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالأجسام الشفافة وعظام الحيوانات وسجع الكلام وما صنع من طير او حيوان فيستدسم ذلك الاحساس او التخيل مستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالشبح له هذه القوة التي فيهم مبدأ لذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس مقطورة على النقص والقصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكليات ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذات ما في نوم أو يقظة وتكون عندها حاضرة عديدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالآلة تنظر فيها دائما ولا يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وحيه من وحي الشيطان وادفع احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشتمل به عن الحواس ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيمحص في قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الاجنبى ما يقذفه على لسانه فربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه يتم تقصده بامر اجنبى عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعا ولا يكون موثوقا به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالادراك بزرعه وتغويه على السائلين وأصحاب هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع مختصا بهم بمقتضى الاضافة وقد قال لابن صياد حين سأل كاشفعا عن حاله بالاختبار كيف يأتيك هذا الامر قال يأتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني ان النبوة خاصتها الصادق فلا يعترها الكذب بحال لانها اتصال من ذات النبي بالمالا الهى من غير مشييع ولا استعانة باجنبى والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات الاجنبية كانت داخلية في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار مختلطا بها وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وانما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة حالة السجع لان معنى السجع اخف من سائر المعانيات من المراثيات والسموعات وتدل خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والبعد فيه عن العجز بعض الشيء (وقد زعم) بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة وما وقع من شأن رجم الشياطين بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعهم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطالت

خرج وجلس على التراب على السطح فجاءه هرون الرشيد فجلس الى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه فبينما كذلك اذ خرجت جارية سوداء فقالت يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف يرحمك الله فانصرفنا (ووعظ) شبيب بن شبة المنصور فقال يا امير المؤمنين ان الله لم

يَجْعَلُ فَوْقَكَ أَحَدًا فَلَا تَجْعَلُ فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ شُكْرًا (ودخل) عمر بن عبد الله على المنصور فقرأ الفجر ولىال عشر حتى بلغ ان ربك بالمرصاد لمن فعل مثل فعلهم فاتق الله (٦٢) يا أمير المؤمنين فان ييا بك نيرانا تاجح لا يعمل فيها بكاب الله ولا بسنة رسول الله وانت

الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم أيضا كما قررناه أيضا فالأية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر البعثة ولم يمنعوا مساوي ذلك وأيضا فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تنحصر في زمن النبوة كما تحمد الاكواب والسر ج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع وهكذا مع كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلا يمكن مقتضيه وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكهان على ما قررناه فقبل ان يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكهان اما واحدا او متعددا فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الاوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الفلاني يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم فلعل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئا لانه يقتضي ذلك الاثر ناقصا كما قالوه ثم ان هؤلاء الكهان اذا عاصر وا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كمال كل انسان من أمر اليوم ومعرفة رواية تلك النسبة بوجوده لا كاهن باشد مما للانائم ولا يصددهم عن ذلك ويوقعهم في التكذيب الا القوة المطامع في انها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن أبي الصلت فانه كان يطمع ان يتبأ وكذا وقع لابن صياد ومسلمة وغيرهم فاذا غلب الايمان وانقطعت تلك الاماني آمنوا بحسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان (وأما الرؤيا) فحققتها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحانية من صور الواقعات فانها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شأن الذوات الروحانية كما هو تصير روحانية بان تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك بسبب النوم كما نذكر فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلة وتعود به الى مداركها فان كان ذلك الاقتباس ضعيفا وغير جلي بالحس كالمثال في الخيال لتخلطه فيحتاج من أجل هذه الحماكة الى التعبير وقد يكون الاقتباس قويا يستغني فيه عن الحماكة فلا يحتاج الى تعبير لمخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللمحة للنفس انها ذات روحانية بالقوة مستكملة بالبدن ومداركها حتى تصير ذاتها علما محضاً ويكمل وجودها بالفعل فتكون حينئذ ذاتا روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لما دامت في البدن ومنه خاص كالذي لا وليا ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا وأما الذي لا انبياء فهو استعداد بالانسلاخ من البشرية الى الملكوتية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكررا في حالات الوحي وهو عند ما يرجع على المدارك البدنية ويوقع فيها ما يقع من الادراك شيئا بحال النوم شيئا بينا وان كان حال النوم أدون منه بكثير فلاجل هذا الشبه عبر الشارع عن الرؤيا بانها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وفي رواية ثلاثة وأربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصودا بالذات وانما المراد الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في

مسؤول عما اجتريحووا ليسوا مسؤولين عما اجتريحت فلا تصلح دنياهم الا بفساد آخرتك أما والله لو علمت انك لا يرضيك منهم الا العدل لتقرب به اليك من لا يريد ففقال له سلمان بن مجالد اسكت فقد غممت أمير المؤمنين فقال له عمر وويلك يا ابن أم مجالد اما كفاك انك خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين حتى أردت ان تحول بينه وبين من ينصحه اتق الله يا أمير المؤمنين فان هؤلاء قد اتخذوك سلما الى شهواتهم فانت كالناسك بالقرون وغيرك كالحباب وان هؤلاء لن يغنوا عنك من الله شيئا (وقال) الا وراعي المنصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اذ ذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سقك دماء المسلمين وشقق أستارهم وانتبأ أموالهم ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا

الى القصاص من نفسه بخدشه خدشها اعرابيا من غير تعدد فقال له جبريل عليه السلام ان الله لم يبعثك جبارا تكسر به بعض قرون رعبك يا أمير المؤمنين لو ان ثوبا من النار نثر على ما في الارض لاجتته فكيف بمن يتقمصه ولو ان ذنوبا من النار صب على ما في

الارض لا جثته فكيف بمن يتجرعه ولوان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يسلسل فيها ويرد فضاها على عنقه (ودخل) بعض العقلاء على سلطان فقال له ان احق الناس بالاحسان من احسن الله اليه واولاهم (٦٣) بالانصاف من بسط يديه بالقدرة

بعض طارقه وهو لانه كثير عند العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في مبتدئه بالرؤيا ستة أشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه انما وقع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ومن أين لسان هذه المدة وقعت لغیرهم من الانبياء مع ان ذلك انما يعطى نسبة زمن الرؤيا من زمن النبوة ولا يعطى نسبة حقيقة تمام حقيقة النبوة واذا تبين لك هذا ما ذكرناه أولا علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الاول الشامل للبشر الى الاستعداد القريب الخاص بصنف الانبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم اذ هو الاستعداد البعيد وان كان عام في البشر ومعه عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن أعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو جيب لي لهم فتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تنشوف اليه في عالم الحق فتدرك في بعض الاحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها السارعة من المبشرات فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة براها الرجل الصالح او ترى له (واما سبب ارتفاع حجاب الحواس) بالنوم فعلى ما اصفه لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو بخار لطيف مركب بالتجويف الايسر من القلب على ما في كتب التشریح لجالينوس وغيره وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطى الحس والحركة وسائر الافعال البدنية ويرتفع لطيفه الى الدماغ فيعدل من برده وتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين في ان اللطيف لا يؤثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية صار محلا لاثار الذات المبينة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وضارت آثارها حاصلة في البدن بواسطة وقد كنا قد منا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو بالحواس الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن ادراكها ما فوقها من ذواتها الروحانية التي هي مستعدة له بالفطرة ولما كانت الحواس الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل ما يدركها من النعيب والكلال وتغشى الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة وانما يكون ذلك بانحناس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فتطلب الحرارة الغريزية أعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبا وهو الروح الحيواني الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انحنس الروح عن الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها بالتركيب والتحليل صور خيالية أو كثر ما تكون معتادة لانها من متعة من المدركات المتناهية قد قرينا ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس لفتة الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الباطنية فتدرك بادراكها الروحاني لانها مقطوعة عليه وتقدم من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم يأخذ الخيال تلك الصور المدركة فيمتثلها بالحقيقة والمحاكاة في القوالب الموهودة والمحاكاة من هذه هي الحاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل ان تدرك من تلك اللوحة ما تدركه هي اضغاث احلام (وفي الصحيح) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا

فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق (وروي) ان اعرابا قام بين يدي هشام بن عبد الملك فقال أيها الامير انت على الناس سنون ثلاث اما الاولى فأكلت اللحم واما الثانية فاذايت الشحم واما الثالثة فهاضت العظم وعندك فضول اموال فان كانت لله فاقسمها بين عباده وان كانت لهم فلم تحصرها عليهم وان كانت لكم فصدقوا فان الله يجزي المتصدقين فامر هشام بمسالة فقسم بين الناس وأمر للاعرابي بمسالة فقال السكك المسلمين منك مثل هذا قال لا يقوم بذلك بيت المسال قال لا حاجة لي فيما يبعث لائمة الناس على أمير المؤمنين (وقال) رجل لعمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين اذكر لى في هذا لا يشغل الله عنك كثرة من يخاصم من الخلائق يوم تلقاه بلائقة من العمل ولا براءة من الذنب فبكاهم بكاء شديدا ثم استرده الكلام فجعل يردده وعمر يبكي وينتحب ثم قال ما حاجتك قال عامل باذر بيجان اخذ مني اثني عشر الف درهم

قال لا تكتبون له حتى يرد عليه ماله (ولما) دخل زياد على عمر بن عبد العزيز قال يا زياد لا ترى ما ابتليت به من امرأة محمد صلى الله عليه وسلم لم فقال زياد يا امير المؤمنين والله لو ان شعرة منك نطقت ما بلغت كنه ما انت فيه فاعمل لنفسك في

الخروج مما انت فيه يا امير المؤمنين كيف حال رجل له خصم الدفال سبي المال قال فان كان له خصم ان قال اسوالماله قال فان كانوا ثلاثة قال لا يهتبه عيش (٦٤) قال فوالله ما احدم امة محمد صلى الله عليه وسلم الا وهو خصمك قال فبكي حتى تمنيت ان

لا اكون قلت له ذلك
(وقال) محمد بن كعب
لعمر بن عبد العزيز يا امير
المؤمنين انما الدنيا سوق
فمن اخرج الناس بماربجوا
فيها الا آخرتهم وخرجوا
بما يضرهم فكم من قوم
غرمهم مثل الذي اصبحتنا
فيه حتى اتاهم الموت
فخرجوا من الدنيا مرملين
ياخذوا من الدنيا لالاخرة
فاقسم ما لهم من لا يحمدهم
وصاروا الى من لا يعذرهم
فانظر الى الذي تحب ان
يكون معك مقدمه بين
يديك حتى تخرج اليه
وانظر الى الذي تذكره ان
يكون معك اذا قدمت
فاتبع به البذل حيث يجوز
البذل ولا تذهبن الى ساعة
قد بارت على غيرك ترجو
جوازها عندك يا امير
المؤمنين افتح الابواب
وسهل الحجاب وانصر
المظلوم (وحضر) رجل بين
يدي بعض الملوك فاغلاظ
له السلطان فقال له الرجل
انما انت كالسما اذا
ارعدت وأبرقت فقد قرب
خيرها فسكن غيظه
واحسن اليه ولم يحتاج
المنصور بن ابي عامر ملك
الاندلس ان ياخذ ارضا
محددة ويعاوض عنها خيرا

من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما ذكرناه فالجلى من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير
من الملك واضغات الاحلام من الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينبوع الباطل هذه حقيقة الرؤيا وما
يسببها وبشيء من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها أحد
منهم بل كل واحد من الانساق رأى في نومه ما صدر له في يقظته مرارا غير واحدة وحصل له على القطع ان
النفس مدركة للغيب في النوم ولا بدوا اذا ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات
المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله الهادي الى الحق بمنه وفضله
(فصل) ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالبا انما هو من غير قصد ولا قدرة عليه وانما تكون النفس
منشوفة لذلك الشيء فيقع لها تلك اللجة في النوم لانها تنقص الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره
من كتب اهل الرياضات ذكر اسماء ما تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما ينشوف اليه ويسمونها
الحالومية وذكر منها مسألة في كتاب الغاية حالومية سماها حالومية الطباع التام وهو ان يقال عند النوم بعد
فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات العجيبة وهي تما غس بعد ان يسود وغداس نودا غادس
ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم (وحكى) ان رجلا فعل ذلك بعد رياضة ليل في
ما كانه وذكره فتمثل له شخص يقول له أنا طبايعك التام فسأله واخبره عما كان ينشوف اليه وقد وقع لي انا
بهذه الاسماء عزاني عجيبة واطلعت بها على امور كنت اتشوف اليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان
القصد للرؤيا يحدتها وانما هذه الحالومات تحدث استعدادا في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوى الاستعداد
كان اقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما يحب ولا يكون دليلا على ايقاع
المستعد له فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم ذلك وتدبر فيما تجد من أمثاله والله الحكيم الخبير
(فصل) ثم انما نجد في النوع الانساني اشخاصا يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم
من سائر الناس ولا يرجعون في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه باثر من التجو ولا غيرها انما نجد
مدادهم في ذلك بمقتضى فطرتهم التي فطر واعليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام الشفافة
كالمريا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها وعظامها واهل الزجر في الطير والسباع
واهل الطرق بالخصي والمحبوب من الخنطبة والنوى وهذه كلها موجودة في عالم الانسان لا يسع احدا
جدها ولا انكارها وكذلك المجانين ياتي على السنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت
لاول موته او نومه يتكلم بالغيب وكذلك اهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل
الكرامة معروفة ونحن الان نتكلم على هذه الادراكات كلها ونبتدئ منها بالكهانة ثم ناتي عليها
واحدة واحدة الى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك الغيب في
جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين سائر الروحانيات كما ذكرناه
قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة
وصورة وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين الادراك والتعقل فهي توجد اولا بالقوة
مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما
يعودها بورد مدركاتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني السكينة فتتعقل الصور
مرة بعد اخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل ماوراء بالفعل فتتم ذاتها وتبقى النفس كالهيولى والصور
متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في اول نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها

منها استحضرت الفقهاء في قصره فافقوا بان لا يجوز ففضب السلطان وارسل اليهم رجلا من الوزراء مشهورا بالحكمة
والاجل فقال لهم يقول لكم امير المؤمنين يا مشيخة السوء يا مستغلي اموال الناس يا آكلى اموال البتامي ظلمنا يا شهداء الزور يا آخذى

الرشا ومثل في الخصوم ومثل في الشروز ومثل في الامور ومثل في الروايات لا تباع الشهوات تبالك ولا رأتكم فهو واعز الله واقف على فسوقكم قديما وخونكم لا مانا لكم معص عنه صابر عليه ثم احتاج الى دقة نظركم في حاجة مرة (٦٥) واحدة في دهره فلم تسعوا الزادته ما كان

هذا ظنه بكم والله ليعارضنكم

وليكشفن ستوركم
وليناصحن الاسلام فيكم
والخشن عليهم هذا ونحوه
فاجابه شيخ منهم ضعيف
المنة فقال نتوب الى الله عما
قاله امير المؤمنين ونسأله
الاقالة فرد عليه زعيم القوم
محمد بن ابراهيم بن حيويه
وكان جادا صارما فقال
للمسكلم ممتوب يا شيخ
السوء نحن برآء من مذابك
ثم اقبل على الوزير فقال
يا وزير بشس المبلغ أنت
وكلمنا نبيته الينا عن امير
المؤمنين فهو صفتكم معاشر
خدمه فانت الذين تأكلون
أموال الناس بالباطل
وتستحلون ظلمهم بغير حق
وتخيفون معاشهم بالرشا
والمصانعة وتبعون في
الارض بغير الحق وأمان نحن
فلمست هذه صفاتنا ولا
كرامة لا يقولها لنا الا متهم
في الديانة فتحن اعلام
الهدى وسرج الظلمة بنا
يتحصن الاسلام ويفرق
بين الحلال والحرام وتنفذ
الاحكام وبناتقام
الفرائض وتثبت الحقوق
وتحقق الدماء وتستحل
القروج فهل اذعنتم
علينا سيدنا امير المؤمنين
بشي لا ذنب فيه لنا وقال

من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم
بعد بل لم يتم لها انتزاع السمكيات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك
ادراك بالآلات الجسم تؤديه اليها المدارك البدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محبوبة عنه بالانفاس
في البدن والحواس وبشواغلها لان الحواس ابداجاذبة الى الظاهر بما فطرت عليه أولا من الادراك
الجسماني وربما تنغمس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصية التي هي للانسان
على الاطلاق مثل النوم او بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالرئاسة مثل اهل
الكشف من الصوفية فتلفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملائكة الى ما بين أفتقها وافتقهم من
الاتصال في الوجود كما قرناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالغة عمل وفيها صور
الموجودات وحقائقها كما مر فيتمجلى فيها شيء من تلك الصور وتغمس منها علوما وربما دفعت تلك الصور
المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يرجع الحس بما دركت اما مجردا أو في قوالبه
فتخبر به هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي ولترجع الى ما وعدناه من بيان أصنافه
(فأما) الناظرون في الاجسام الشفافة من المراتب والمساس المياه وقلوب الحيوان وكبادها وعظامها واهل
الطرق بالخصي والنوى فكلامهم من قبيل الكهان الا أنهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكهان
لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بانحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد
منها واشرفها البصر فيعكف على المرتى البسيطة حتى يبدوله مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان
مشاهدة هؤلاء ما يروونه هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لا يزالون ينظرون في سطح المرآة الى ان يغيب
عن البصر ويبدو فيماتتهم وبين سطح المرآة حجاب كانه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشبهون
اليهم بالمقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفي او اثبات فيخبر بذلك على نحو ما أدركوه واما المرآة وما
يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو
نفساني ليس من ادراك البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض
لناظرين في قلوب الحيوانات وكبادها ولناظرين في الماء والطساس وامثال ذلك وقد شاهدنا من
هؤلاء من يشغل الحس بالبحور فقط ثم بالزائج ثم بالعدد ثم يخبر كما أدرك ويرجعون أنهم يرون الصور
متشخصة في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثل والاشارة وغيبة هؤلاء عن الحس
اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب واما الزبر وهو ما يحدث من بعض الناس من التمسك بالغيب عند
سروح طائر او حيوان والفكر فيه بعدمعنيته وهي قوة في النفس تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه
من مرئي او مسموع وتكون قوته الخيلة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستغنيا بآراء او سمع فيؤديه
ذلك الى ادراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس وتتوسط بين الحسوس المرئي في يقظته
وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا واما الخجائين فنفوسهم الناطقة ضعيفة التعلق بالبدن لقساد اخرجتهم
غالب اضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفوسهم مستغرقة في الحواس ولا منغمسة فيها بما يشغلها في
نفسها من ألم النقص ومرضه وربما زاجها على التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن
مما تعتما فيكون عنه التجب طفاذا اصابه ذلك التجب طفاذا لم يصادفها من فساد في ذاتها او مزاجه من النفوس
الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جلة فادرك لحة من عالم نفسه وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال
وربما نطق على لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه

(٩ - ابن خلدون) بالغيط ما قاله تأنيث لا بلاغ ان رسالتهم باهون من الخاشك وعرضت لنا بانكاره حتى فهمنا منك فاجبتك عنه
بما يصلح الجواب عنه فيمكنك تربيته على السلطان ولا تقبلي منه وتستحييتا بما استعجلتاه به فتحن نعلم ان امير المؤمنين لا يشاكي على

هذا الرأي فينا ولا نعتقد هذا المعتقد في صفاتنا وأنه شير اجتمع بصيرته في اثارنا وتغزيرنا فلو كنا عندنا على هذه الحال التي وصفتها عننا
والعياذ بالله من ذلك لابل (٦٦) عليه كل ما صنعوه وعقدوه من أول خلافته الى هذا الوقت فثبت له كتاب من حرب ولا

لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الابدال استعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يحيى
الكذب في هذه المدارك وأما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون
الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه ويأخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمونه من منادى
ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة (هذا تحصيل هذه الامور)
وقد تكلم عليهم المسعودي في مروج الذهب في اصادف تحقيقا ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان
بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهل هذه الادراكات التي ذكرناها موجودة
كلها في نوع البشر فقد كان العرب يقزعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في
الخصومات ليعرفوهم بالحق فيهم امن ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في
الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كاي درج الثوب ولا عظم فيه الا
الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تاويل رؤيا ربيعة بن مضر وما أخبر به من ملك الحبشة لايمن
ومالك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قریش ورؤيا المو بذان التي أولها سطيح لما بعث اليه
بها كسرى عبد المسيح فاخبره بشأن النبوة وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان
في العرب منهم كثير وذكروهم في أشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي * فانك ان داوئي يثني لطيب
جعلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجدان هما شقياي
فقالا شقاك الله والله مالنا * بما جلت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة وعراف نجد الابق الاسدي (ومن هذه المدارك الغيبية) ما يصدر
لبعض الناس عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي يتشوق اليه بما يعطيه غيب
ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في مبادئ النوم عند مفارقة اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام
في تكلم كانه مجبول على النطق وغايته ان يسمع ويفهم وكذلك يصدر من المقتولين عند مفارقة رؤسهم
وأوساط ابدانهم كلام يمثل ذلك ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين انهم قتلوا من سجنونهم اشخاصا
ليتعرفوا من كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموهم بما يستبشع وذكر مسئلة في كتاب
الغاية له في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن مملوء بدهن السمسم ومكث فيه اربعين يوما يغذي بالثمين
والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشؤون رأسه فيخرج من ذلك الدهن فيخفف عليه
الماء فيجيب عن كل شيء يسئل عنه من عواقب الامور الخاصة والعامة وهذا فعل من منابر كبر افعال
السحرة لكن يتهم منه عجائب العالم الانساني ومن الناس من يحاول حصول هذا الادراك الغيبي بالرياضة
فيحاولون بالمجاهدة متواصلة ناعيا بامانة جميع القوى البدنية ثم يحرقون نارها التي تلونت بها النفس ثم
تغذيها بالاذكر لترداد قوة في نشأتها ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على القطع انه اذا
نزل الموت بالبدن ذهب الحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك بالاكتساب ليقع
لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المعنيات ومن هؤلاء اهل الرياضة السحرية يرتاضون
بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المعنيات والتصرفات في العوالم وكثر هؤلاء في الاقاليم المنحرفة جنوبا
وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكة ولهم كتب في كيفية هذه الرياضة كثيرة والاختبار
عنهم في ذلك غريبة وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وغريبة عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون

سلم ولا شرع ولا بيع ولا
صدقة ولا حدس ولا هبة
ولا عتق ولا غير ذلك الا
بشهادتنا هذا ما عندنا
والسلام ثم قام وانصرفين
فلم يكادوا يبلغوا باب القصر
الا والرسل تناديهم فادخلوا
القصر فقتلواهم الوزراء
بالاعظام ورفعوا منازلهم
واعتذروا اليهم عما كان
من صاحبهم وقالوا لهم امير
المؤمنين يعتذر اليكم من فرط
موجده ويستجير بالله من
الشیطان الرجيم ونزغته
التي جعلته على الجفاء عليكم
ويعلمكم انه نادى على ما
كان منه اليكم وهو مستبصر
في تعظيمكم وقضاء حقوقكم
وقد أمر لكل واحد منكم
ماترون من صلة وكسوة
عامة لرضاء عنكم فدعوا له
وقبضوا ما امرهم وانصرفوا
غالبين لم يسمعهم سوء (ولما)
نظر مالك بن دينار الى
المهلب بن أبي صفرة يجبر
أذنيه ويثخن في أثواب
تحلاته ناداه ان ارفع من
ثيابك فقال له المهلب أو ما
تعرفني قال له مالك بلى اني
أعرفك اولك نقطة مذرة
وأخر كجيفة قذرة وانت
فيما بين ذلك تحمل العذرة
ويروى ان رجلا قال
لعبيد الله العمري هذا

هر و ن الرشيد في الطواف قد اخلى له المسعى فقال له لاجزأك الله عن خير اكلفني امرا كنت عنه غنيا ثم جاء اليه فقال
له يا هر و ن فلما نظر اليه قال ايبيك يا عم قال كم تري ههنا من خلق الله فقال لا يحصيهم الا الله عز وجل فقال اعلم ايها الرجل ان كل واحد

منه ثم سئل عن خاصة نفسه وأنت واحد تسئل عنهم كأنهم فانظر كيف تكون قال فيكي هرون وجاس وجعل يعطونه منديلا منديلا
لدموع ثم قال له فيما قال ان الرجل ليمر ع في مال نفسه فيسحق الحجر عليه فكيف (٦٧) فيمن أسرع في مال المسلمين فيقال

ان هرون كان يقول بعد ذلك اني أحب ان اجد في كل عام وما ينبغي من ذلك الا عبيد الله العمري و يروي ان الحسن بن محمد ابن الحسين رضي الله عنهم دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا عمر ثلاث من كن فيه فقد استكمل الايمان فقال له عمر ايه اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وجنا على ركبتيه فقال الحسن من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرج به غضبه عن الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له (ولما) ولي عمر بن عبد العزيز وفدت الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فقدم غلام منهم له كلام وكان حديث السن فقال له عمر لست طق من هو أسن منك فقال الغلام أصح الله أمير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منج الله عبيد السان لا فظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام وعرف فضله ومن سمع خطابه ولو ان الامر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الامة من هو أحق بمجلسك هذا منك فقال صدقت

جمع الامة والاقبال على الله بالكفاية ليحصل لهم اذواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والجموع التغذية بالذكور فيهم اتهم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكور كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصودا من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصدها التصرف والاطلاع على الغيب واخسر بها صفة فاتها في الحقيقة شرك قال بعضهم من آثار العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا شيئا سواه واذا حصل اثناء ذلك ما يحصل قبل العرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يقر منه اذا عرض له ولا يحفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسعون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فراسة وكشفا وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيئا من ذلك ينسكب في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ أبو اسحق الاسفهراني وأبو محمد بن أبي زيد المالكي في آخرين فرار من التباس المجزأة بغيرها والمأول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتعدي فهو كاف وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم مخدئين وان منهم عمر وقد وقع للحجاجة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل وهو سارية بن ذئب كان قائدا على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهمزام وكان يقر به جبل يتجهز اليه فرغ له من ذلك وهو يخطب على المنبر بالمدينة فناداه يا سارية الجبل وسمعه سارية وهو بمكانه ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضا لابي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنهما في شأن ما نحلها من أوسق التمر من حديثه ثم نبهها على جذاذه لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانما هم اأخوالك وأختاك فقالت انما هي اسماء فن الاخرى فقال ان ذابطن بنت خارجة أراها جارية فك كانت جارية وقع في الموطأ في باب ما لا يجوز من التحلل ومنه لهداه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين وأهل الاقتداء الا أن أهل التصوف يقولون انه يعل في زمن النبوة اذ لا يبقى للريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرء اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حاله مادام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق

(فصل) ومن هؤلاء المرءدين من المتصوفة قوم بهاليل معنوهون أشبه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين وعلم ذلك من أحوالهم من يقهون عنهم من أهل الذوق مع أنهم غير مكافئين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا ينقيدون بشيئ فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالجائبات ويرسمون في الفكر التفهات أنهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها واذا كانت النفس الانسانية ثابتة الوجود فالله تعالى يخصها بما شاء من مواهب وهؤلاء القوم لم تعد نفوسهم الناطقة ولا فسدت كحال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يناط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يشتد بها نظره ويعرف أحوال معاشه واستقامته منزله وكأنه اذا ميز أحوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في قبول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة بما قد انفسه ولا ذاهل عن حقيقة الله فيكون موجودا الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استحالة في ذلك ولا يتوقف اصطفاء الله لعباده لمعرفة على شيء من التكليف واذا صح ذلك فاعلم انه ربما يلبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تفسد نفوسهم الناطقة ويلتحقون بالبهائم ولك

قل ما بدالك فقال الغلام أصح الله أمير المؤمنين نحن وقد تمته لا وقد مررت وقد أتيناك لمن الله الذي من علينا بك ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة اما الرغبة فقد أتيناك من بلادنا واما الرهبة فقد انا جورك بعد ذلك فقال له عمر عظمي يا غلام فقال الغلام أصح الله أمير

المؤمنين ان ناسا من الناس عرفهم حلم الله عنهم وطول املهم وكثرة ثناء الناس عليهم فنزلت بهم الاقدام فهو وافي النار فلا يغرنك حلم الله عنك وطول املك وكثرة ثناء الناس عليك فنزل بك قدمك فالحق بالقوم فلا جعلك الله منهم والمحقق بصالحى (٦٨)

هذه الامة ثم سكت فسأل
عمر الغلام عن سنه فاذا
هو ابن احدى عشرة سنة
ثم سأل عنه فاذا هو من
ولد الحسين بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنهم فممثل
عمر عند ذلك فقال
تعلم فليس المرء يولد عالما
وليس أخو علم كمن هو
جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده
صغير اذا التفت عليه المحافل
وفي مثل هذا قيل للعتابي
وكان لا يسأل ما ليس
مالك لا يجيد الملبوس فقال
انما يرفع الرجل أديه
وعقله لا حليته وخطته في
الله امر ايرضى ان ترفعه
هيمته ورجاله لا والله حتى
يشرفه أصغراه لسانه وقلبه
ويعلم به أ كبراه هيمته
ولبه ولم يدخل ضميره بين
ضمرة على المنذر بن المنذر
وهو مالك وكان ضمرة ذارأى
وعقل احتقرته عيناه
لندامة فقال لان تسبح
بالمعبدى خير من أن تراه
فقال ضمرة أبيت اللعن ان
القوم ليسوا بجزور تجزر
انما المرء باصغريه قلبه
ولسانه فاذا نطق نطق ببيان
واذا قاتل قاتل بخنان
والرجال لا تكال بالفتقران
ولا توزن بالقبان فاعجب

في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يتخلون عنها أصلا من ذكر وعبادة لكن على غير
الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة أصلا ومنها أنهم يخلقون على البله
من أول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجنون بعد مدة من العمر لعارض بدنية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك
فسدت نفوسهم الناطقة ذهبوا بالخبيثة ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتوقفون على
اذن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب
(فصل) وقدر علم بعض الناس ان هنما مدارك للغيب من دون غيبة عن الحس فمنهم المنجمون القائلون
بالدالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك وآثارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طباعها
بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنجمون ليسوا من الغيب في شيء انما هي ظنون
حدسية وتخمينات مبذبة على التناثر النجومية وحصول المزاج منه للهواء مع مزيج حدث يقف به الناظر
على تفصيله في الشخصيات في العالم كما قاله بطليموس ونحن نبين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو
لو ثبت فغايبته حدس وتخمين وليس مما ذكرناه في شيء ومن هؤلاء قوم من العامة استنبطوا الاستخراج
الغيب وتعرف الكائنات صناعة سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يصفون فيها اعمالهم ومحصل
هذه الصناعة أنهم صيروا من النقط أشكالا ذات أربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية
والفردية واستوائها فيهما فكانت ستة عشر شكلا لانها ان كانت أزواجا كلها أو أفرادا كلها فاشكالا
وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فاربعة أشكال وان كان الفرد في مرتبتين فستة أشكال وان كان
في ثلاثة مراتب فاربعة أشكال جاءت ستة عشر شكلا يمزوها كلها باسمائها وأنواعها الى سبعين وخمسة
شأن الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بينا طبيعية برزخهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للفلك والاولاد
الاربعة وجعلوا لكل شكل منها بدينا وخطا ودلالة على صنف من موجودات عالم العناصر يختص به
واستنبطوا من ذلك فنا خادوا به فن النجامة ونوع قضائهم الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع طبيعية
كما زعم بطليموس وهذه انما مستندة الى اوضاع تخيلية وأهواء اتقاقية لا دليل يقوم على شيء منها
ويزعمون ان أصل ذلك من النبوة القديمة في العالم وربما نسبوا الى دانيال أو الى ادريس صلوات الله
عليهم ما شأن الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيها ويحتجون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يخط فن
وافق خطه فذاك وليس في الحديث دليل على مشروعية خط الرمل كما يزعمه بعض من لا تخصصيل لديه
لان معنى الحديث كان نبي يخط فبأنه الوحي عند ذلك الخط ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة لبعض
الانبياء فن وافق خطه فذلك النبي فهو ذلك أي فهو صحيح من بين الخط بما صدقه من الوحي لذلك النبي
الذي كانت عادته أن يأنه الوحي عند الخط وأما اذا أخذ ذلك من الخط مجردا من غير موافقة وحي فلا
وهذا معنى الحديث والله اعلم فاذا أرادوا استخراج مغيب برزخهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق
فوضعوا النقط سطورا على عدد المراتب الاربعة ثم كرروا ذلك أربع مراتب فتبقي ستة عشر سطرا ثم
يطرحون النقط أزواجا ويضعون ما بقي من كل سطر زوجا كان أو فردا في مرتبة على الترتيب فتبقي اربعة
أشكال يضعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة أشكال أخرى من جانب العرض باعتبار كل مرتبة
وما قبلها من الشكل الذي بازائه وما يجتمع منهما من زوج او فرد فتكون ثمانية أشكال موضوعة في
سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلا تحتها باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضا من
زوج او فرد فتكون اربعة أخرى تحتها ثم يولدون من الاربعة شكلين كذلك تحتها ثم من الشكلين شكلا

المنذر بكلامه وروى ان روح بن زباج وكان في طريق مكة في يوم شديد الحر مع أصحابه فزولوا فضربت
لهم الخيام والظلال وقدم اليهم الطعام واشربوا المبرد فبينما هم كذلك اذاهم برأع فدعاهم للطعام فابى وقال اني صائم قال له روح في مثل
كذلك

هذا اليوم الحارقال أفادع أياحي تذهب باطلا قال روح لقد ظننت يا يامك ياراي اذ جاد بهار وروح بن تيناع وروى ان اغرابا قام بين
يدي سليمان بن عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فأحتمله ان كرهته (٦٩) فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات

يا اعرابي قال ساطق لسانى
بما خست به الالسن اداء
لحق الله ونحو اماتك
انك قد اكنفتك رجال
أساوا الاختيار لا تقسم
وابتاه وادنياك بدينهم
و رضاك بسخطهم
خافوك في الله ولم يخافوا
الله فيك فلا تصلح دنياك
بقساد آخرتك فاعظم
الناس غنا يوم القيامة من
باع آخرته بدنيا غيره فقال
له سليمان اما أنت فقد
تجعت وأرجوان الله
سبعيننا على ما قلنا وقد
جرت لسانك فهو سفل
فقال أجل يا أمير المؤمنين
وهو لك لا عليك وقال ابن
أبي عروبة حج الحاج فنزل
بعض الميامين مكة والمدينة
ودعا بالاغدا وقال لحاجبه
انظر من يتغدى معي وأسا له
عن بعض الأعراف فظنحو
المجمل واذا هو براع بين
سختين نائم فصر به رجلاه
وقال له انت الأمير فاته
فقال له الحاج اغسل يديك
وتغدى معي فقال دعاني من
هو خير منك فأجبهته قال
ومن هو قال الله تعالى
دعاني الى الصيام فصمت
قال في هذا الحر الشديد
قال نعم صمت ليوم هو أشد
منه حرا قال فافطروصم

كذلك تحتهم ما ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلا يكون آخر الستة عشر ثم يحكمون
على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعودة والنحوسة بالذات والنظر والحلول والامتراج والدلالة على
أصناف الموجودات وسائر ذلك فحكما غريبا وكثرت هذه الصناعة في العمران ووضع فيها التنايف
واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رأيت تحكم وهوى والتحقيق الذي ينبغي ان يكون
نصب فكرك ان الغيوب لا تدرك بصناعة البتة ولا سبيل الى تعرفها الا لخواص من البشر المقطورين
على الرجوع من عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسمى المنجمون هذا الصنف كلهم بالزهرين نسبة الى
ما تقتضيه دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على ادراك الغيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر
فيهم من أهل هذه الخاصية وقصد بهذه الامور التي يتصرف فيها من النقط او العظام او غيرها الاشغال الحس
لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظتها ما فهو من باب الطرق بالخصى والنظر في قلوب الحيوانات والمرابا
الشفافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة الغيب بهذه الصناعة وانما تغيب هذه ذلك فهدرون
القول والعلم والله يهدي من يشاء والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي أنهم
عند توجههم الى تعرف الكائنات يعترفون خروج عن حالتهم الطبيعية كالشأوب والتمطط ومبادئ الغيبة
من الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وجودها فيهم فمن لم توجه بده هذه العلامة فليس
من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تنقيح كذبه

(فصل) ومنهم طوائف يصنعون قوانين لاستخراج الغيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك
النفس الروحانية ولا من الحس المبني على تأثيرات النجوم كما زعمه بطليموس ولا من الظن والتخمين
الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصايد لاهل العقول المستضعفة ولست أذكر
من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولج به الخواص فمن تلك القوانين الحساب الذي يسمونه حساب النجم
وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المنسوب لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتحاربين من الملوك
وهو ان تحسب الحروف التي في اسم احدهما بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف ابيجد من الواحد الى
الالف آحادا وعشرات ومئين والوفافاذا حسبت الاسم وتحصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك
ثم اطرح كل واحد منهما تسعة تسعة واحفظ بقية هذا وبقية هذا ثم انظر بين العددين الباقيين من حساب
الاسمين فان كان العددين مختلفين في السكينة وكانا معاز وجين او فردين معا فصاحب الاقل منهما هو
الغالب وان كان احدهما زوجا والاخر فردا فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في السكينة
وهما معاز وجان فالملوب هو الغالب وان كان معافدين فالطالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في
هذا العمل اشهر ابي الناس وهما

أرى الزوج والافراد يستو اقلها

ويغلب مطلوب اذا الزوج يستوى

ثم وضعوا المعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قانونا معروفا عندهم في طرح تسعة وذلك أنهم
جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي ا الدالة على الواحد وى الدالة على
العشرة وهي واحدة في مرتبة العشرات و ق الدالة على المائة لانها واحدة في مرتبة المئين و ش
الدالة على الالف لانها واحدة في مرتبة الالف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي
آخر حروف ابيجد ثم رتبوا هذه الاحرف الاربعة على نسق المراتب فكان منها كلمة رباعية وهي ايقش

غدا قال ان ضمنت لي البقاء الى غدا قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألني عاجلا بل لا تقدر عليه قال لانه طيب قال لم تطيبه أنت ولا
الطباخ ولا يكن طيبه العافية وما حج هرون الرشيد بعث الى مالئ بن أنيس بكيس فيه خمسة مائة دينار فلبى قضى نسكه وانصرف ودخل

المدينة بعث الى مالك بن انس أن أمير المؤمنين يجب أن تنتقل معه الى مدينة السلام فقال للرسول قل له ان الكيس بخاته وقال
الرسول عليه السلام والمدينة خير لهم (٧٠) لو كانوا يعلمون وقال وهب بن منبه ان ملكا كان يقن الناس ويحملهم على كل لحم

ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث وأسقطوا مرتبة الالف منها لانها كانت آخر
حروف احدى فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي ب الدالة على اثنين
في الاحاد وك الدالة على اثنين في العشرات وهي و ر الدالة على اثنين في المئين وهي
مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة
فنشأت عنها كلمة مجلس وكذلك الى آخر حروف احدى وصارت تسع كلمات نهاية عدد الاحاد وهي
ايقش بكر جلس دمت هنت وضح زعد حقط طضع مرتبة على توالي الاعداد ولكل
كلمة منها عدد الذي هي في مرتبة فالواحد لكلمة ايقش والاثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة
جلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم بتسعة
نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو ومن هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي
ياخذونها بدلا من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها والاخذوه كما هو
ثم يقرءون ذلك بالاسم الآخر وينظرون بين الخارجين بما قدمناه والسرف في هذا القانون بين
وذلك ان الباقي من كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكل كلمة يجمع عدد العقود
خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كأنها آحاد فافرق بين الاثنين والعشرين والمائتين
والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثمانمائة والثلاثة آلاف كلها ثلاثة ثلاثة
فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في
كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين والالوف (١) وصار عدد الكلمة الموضوع عليها ثابعا عن كل حرف فيها
سواء دل على الاحاد والعشرات أو المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضا من الحروف التي فيها وتجمع كلها
الى آخر ما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامم القديمة وكان بعض من لقيناه من شيوخنا
يرى ان الصحيح فيها كلمات أخرى تسعة مكان هذه ومتواليه كتواليها ويقولون بها في الطرح بتسعة مثل
ما يقرءونه بالآخرى سواء هي هذه أرب يسقك جزلط مدوص هف تحذن عش خخ نضظ
تسع كلمات على توالي العدول لكل كلمة منها عدد الذي في مرتبة فيها الثلاثي والرابعي والثلاثي وليست
جارية على أصل مطرد كما تراه كمن كان شيوخنا يقرءونها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السجيا
واسرار الحروف والنجاة وهو أبو العباس بن البناء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في طرح
حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقش والله اعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك للغيب غير مستندة
الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب النيم غير معزول الى ارسطو عنده المحققين لما فيه من
الآراء البعيدة عن التحقيق والبرهان يشهدك بذلك تصفحه ان كنت من أهل الرسوخ اه ومن هذه
القوانين الصناعات لاستخراج الغيوب فيما يزعمون الزاير جة المسميات الزاير جة العالم المعزولة الى أبي
العباس سيدي احمد السبتي من اعلام المتصوفة بالمغرب كان في آخر المائة السادسة عمرا كش ولعهد أبي
يعقوب المتصور من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صناعة وكثير من الخواص يواعون بافادة
الغيب منها بما جعلها المعروف المغوز فيحرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع العمل
عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها ادوات متوازية للافلاك والعناصر والمكونات والروحانيات وغير ذلك
من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام فلكها اما البروج واما العناصر او غيرهما

(١) قوله والالوف فيه نظران الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه اه

الختزير فاني برجل افضل
أهل زمانه فاعظم الناس
مكانه وهما لهم امره فراوده
على كل لحم الخنزير فلم
يقبل فرق له صاحب
شرطة الملك فقال له أنا
أنتك يحدى نذبحه بما
يجل لك أكله فاذا دعا الملك
يلحم خنزيرا تبتك به
ففعل ثم أتى به الملك فدعا
يلحم الخنزير فاني صاحب
الشرطة بذلك الحمد
فامر به الملك أن يأكله فاني
ان يأكله فجعل صاحب
الشرطة يغمزه ان يأكله
فاني ان يأكله فامر الملك
صاحب الشرطة ان يقتله
فلما ذهب به قال ما منعك
ان تأكل وهو اللحم الذي
ذبحته أنت أظننت اني
جئت بغيره قال لا قد علمت
انه هو وليكني خفت ان
يقن الناس لي فان أكرهوا
على أكل الخنزير قالوا
قدأكله فلان فيستبني
فاكون فتسعة لهم فقتل رحمه
الله وروى ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال
الكمب الاحبار يا كمب
خوفنا قال اوليس فيكم
كتاب الله وسنة رسوله قال
بلى يا كمب ولكن خوفنا
قال يا أمير المؤمنين اعمل
عمل رجل لو وافيت يوم

القيامة بعمل سبعين نبيا لا زدر يتعلمهم مما ترى فتدكس عمروا طرق مليا ثم افاق ثم قال يا كمب
خوفنا فقال يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخري نور بالشرق ورجل بالمغرب لعل فيما غه حتى يسيل من جرها فتدكس عمر ثم افاق

فقال يا كعب زدنا فقال يا أمير المؤمنين ان جهنم لتزفر ذفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر على ركبتيه حتى يجزى ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم لانفسى واستأذن أبودهمان (٧١) على بعض الامراء فحجبه ثم أذن له

فلما دخل قال ان هذا الامر الذي صار اليك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا فان خير الخيرو ان شرافش فحجب الى عباد الله بحسن البشرولين الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله

على خلقه (ولما) دخل محمد بن واسع سيد العباد في زمانه على بلال بن أبي بردة أمير البصرة وكان ثوبه الى نصف ساقه فقال له بلال ما هذه الشهرة يا ابن واسع فقال له ابن واسع انتم شهرتونا هكذا كان لباس من مضى وانما انتم طولتم ذيولكم فصارت الستة بينكم بدعا وشهرة وأما أنا فلما دخلت على ملك مصر وهو الافضل بن امير الجيوش فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام على نحو ما سلبت رداجيلا وكرم اكراما خريلا وأمرني بدخول مجلسه وأمرني بالجلوس فيه فقلت أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا عاليا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذنا وملايكا طائفة من ملائكته وأشركا

وخملوا كل قسم مارة الى المركز ويسمونها الاوتار وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة فتم برشوم (١) الزمام التي هي أشكال الاعداد عند أهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها برشوم الغبار المتعارفة في داخل الزاوية وبين الدوائر أسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر جدول متكثر البيوت المتقاطعة طولا وعرضا يشتمل على خمسة وخمسين بيتا في العرض ومائة واحد وثلاثين في الطول جوانب منه معمورة البيوت تارة بالعدد وأخرى بالحروف وجوانب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في أوضاعها ولا القسمة التي عينت البيوت العائرة من الخالية وحققا في الزاوية آيات من عروض الطويل على روى اللام المنصوبة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزاوية جهة لانها من قبيل الانغاز في عدم الوضوح والجمل لا وفي بعض جوانب الزاوية جهة بيت من الشعر منسوب لبعض أكابر أهل الحدان بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اشبيلية كان في الدولة الممتونية ووض البيوت سؤال عظيم الحقائق خرت فغن اذن * غرائب شك ضبطه الحمد مثلا

وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزاوية وغيره فاذا أرادوا استخراج الجواب عما يسئل منه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفا ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك ودرجها وعمدوا الى الزاوية جهة ثم الى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من أوله مارا الى المركز ثم الى محيط الدائرة قبل الطالع فباخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله الى آخره والاعداد المرسومة بينهم ما يصيرونها حروفا بحساب الجمل وقد ينقلون أحادها الى العشرات وعشراتها الى المئين وبالعكس فيما كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضيفون الى ذلك جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من أوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط ويقعون بالاعداد ما فعلوه بالأول ويضيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو أصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في أس البرج رأسه عندهم هو بعد البرج عن آخر المراتب عكس ما عليه الاس عند أهل صناعة الحساب فانه عندهم البعد عن أول المراتب ثم يضربونه في عدد آخر يسمى بونه الاس الاكبر والدور الاصلى ويدخلون بما تجتمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة وأعمال مذكورة وأدوار معدودة ويستخرجون منها حروفا ويسقطون أخرى ويقابلون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعد الادوار المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فتصير كلمات منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورؤيه وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم حسيما تذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كيفية العمل بهذه الزاوية وقد رأينا كثيرا من الخواص يتهاقنون على استخراج الغيب منها بتلك الاعمال ويحسبون ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس ذلك بصحيح لانه قد مر ان الغيب لا يدرك بامر صناعة البتة وانما المطابقة التي فيها بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيما أو موافقا للسؤال ووقوع ذلك بهذه الصناعة في تكسير الحروف المجتمعة من السؤال والاوتار

(١) قوله برشوم أي موضوعة برشوم يضم الراجح رشم بالشين المعجمة اه

في حكمه ولم يرص ان يكون أمرا حدي فوق امرك فلا ترض ان يكون أحد دأولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الوري طاعتك فلا يكون أحد أطوع لله منك وان الله تعالى امر عباده بالشكر وليس الشكر باللسان ولا كنه بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل

داود شكرنا واعلم ان هذا الملك الذي اصيبت فيه انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك فاتق الله
فيما خولك من هذه الامة (٧٢) فان الله سائلك عن النقيير والقطمير والقنيل قال الله تعالى فويلك لنساء النهم اجمعين عما كانوا

يعملون وقال تعالى وان
كان منقال حبة من خردل
اتينا بها وكفى بنا حاسبين
واعلم ايها الملك ان الله تعالى
قد آتى ملك الدنيا
بجدا فيرها سليمان بن داود
عليهما السلام فسخر له
الانس والجن والشیاطين
والطير والوحش والبهائم
وسخر له الريح تجري بأمره
رخاء حيث اصاب ثم رفع
منه حساب ذلك اجمع
فقال له هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب فوالله
ما عدها نعمة كما عدها
ولا حسبها كرامة كما
حسبتموها بل خاف ان
تكون استدراجا من الله
تعالى ومكر ايه فقال هذا
من فضل ربى ليملؤنى
الشكر ام اكفر فافتح
الباب وسهل الحجاب وانصر
المظالم واعانك الله على
ما قبلتك وجهك كفا
لللاهوف وامانا للخائف ثم
اتمت المجلس بان قلت
قد دونت البلاء شرقا
وغربا فما اخترت مما كره
تزوجت فيها وولدتى غير
هذه المملكة ثم انشدت
شعرا
والناس اكيس من ان
يحمدوا رجلا
حتى يروا عنده نار احسان

والدخول في الجدول بالاعداد المجتمعة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف من الجدول
بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك كما به بحر روف البيت على التوالي
غير مستثنى من ذلك وقديقح الاطلاع من بعض الاذكياء على تناسب بين هذه الاشياء فبقية مع له معرفة
المجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول على المجهول من المعلوم الخاص للنفوس وطريق
الحصول له سبب من اهل الرياضة فانها تفيد العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مر تعليل ذلك
غير مرة ومن أجل هذا المعنى ينسبون هذه الزايرة في الغالب لاهل الرياضة فهي منسوبة للسبب
ولقد وقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله واعلم انهم من الاعمال الغريبة والمعاناة الجسيمة
والجواب الذي يخرج منها فالسفر في خروجه منظوما يظهر لي انما هو المقابلة بحر روف ذلك البيت
ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالا أخرى لهم في مثل ذلك أسقطوا فيها
المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوما كما تراه عند الكلام على ذلك في موضعه وكثير من الناس
تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذهم الى المطلوب فيذكر صحتها ويحسب انها من التخيلات
والاياتيات وأن صاحب العمل بها ابتدأ بحروف البيت الذي يتقنه كما يريد بين أثناء حروف السؤال
والاوتار ويقتل تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يحسب بالبيت ويوهم أن العمل جاء
على طريقة منضبطة وهذا الحسبان توهم فاسد جعل عليه القصور عن فهم التناسب بين الموجودات
والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شأن كل مدرك انكار ما ليس في طوقه ادراكه
ويكفي في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والمحدث القطعي فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح
لا مزية فيه عند من يباشر ذلك ممن له ذكاء وحسب واذا كان كثير من المعانيات في العدد الذي هو أوضح
الواضحات يعسر على الفهم ادراكه لبعده النسبة فيه وخفائها فاسا فذلك يمثل هذا مع خفاء النسبة فيه
وقرابتها فلذلك كرمسئلة من المعاينة يتضح لك بها شيء مما ذكرنا مثاله لوقيل لك خذ عددا من الدراهم
واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من الفلوس ثم اجمع الفلوس التي اخذت واشتر بها طائر اثم اشتر بالدراهم
كلها طيور اربعة من ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم فجوابه ان تقول هي تسعة لانك تعلم ان
فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة منها وان عدة اثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من
الدراهم الى الثمن الاخر فكان كل ثمن طائر فهي ثمانية طيور وعدة اثمان الواحد وتزيد على الثمانية
طائرا آخر وهو المشتري بالفلوس المأخوذة أولا وعلى سعره اشترى بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى
كيف خرج لك الجواب المضمحل بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم أول ما يلقي اليك هذه
وامثاله انما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب بين الامور هو الذي يخرج
مجهولها من معلومها وهذا انما هو في الواقع الحاصلة في الوجود او العلم واما الكائنات المستقبلة اذا
لم تعلم اسباب وقوعها ولا ثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال
الواقعة في الزايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لانها كما رأيت استنباط حروف على
ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما يطالع عليه بعض دون
بعض فن عرف ذلك التناسب يسر عليه استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام
آخر من حيث موضوع الفاظه وترا كيمه على وقوع احد طرفي السؤال من ثبوت او اثبات وليس هذا من
المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل

وكتب حكيم الى حكيم اني سائلك عن ثلاثة اشياء ان اجبت عنها صرت لك تلميذا أي الناس أولى
بالرحمة ومتى تضيق أمور الناس وجم تلقى النعمة من الله تعالى فكتب اليه ان أولى الناس بالرحمة ثلاثة البر يكون في سلطان فاجر فهو
الشر

الدهر خير مما يرى ويسمع والعاقلة يكون في تدبير الجاهل فهو الدهر مغرور والسكريم يحتاج الى اللثيم فهو الدهر خاضع له ذليل
وتضيع أمور الناس اذا كان الرأي عندهم لا يقبل منه والسلاح عندهم لا يستعمله (٧٣) والمسال عندهم لا ينفعه وتلقى النعمة

من الله تعالى بكثرة شكره
ولزوم طاعته واجتناب
معصيته فصارت له ذلة الى
ان مات (وقال يحيى بن
سعيد) حج سليمان بن
عبد الملك ومعه عمر بن
عبد العزيز فلما أشرفا على
عقبة عسقان نظر سليمان
الى السراقات قد ضربت
له فقال له يا عمر كيف ترى
قال ارى دنيا عريضة
يا كل بعضها بعضا وانت
المسؤول عنها المؤمن خوذ بها
فبينما هما كذلك اذ طار
غراب من سرادقات سليمان
في منقاره كسرة فصاح
فقال سليمان ما يقول
هذا الغراب قال عمر ما ادرى
ما يقول ولكن ان شئت
أخبرتك بعلم قال أخبرني
قال هذا غراب طار من
سرادقاتك في منقاره كسرة
انت بها مأخوذ وعنها
مسؤول من أين دخلت
ومن أين خرجت قال انك
لتخبرنا بالجنائب قال أفلا
أخبرك بأعجب من هذا
قال بلى قال من عرف الله
كيف عصاه ومن عرف
الشیطان كيف أطاعه
ومن أيقن بالموت كيف
يهينه العيش قال لقد
غشت علينا ما نحن فيه
ثم ضرب فرسه وسار
(ويروي) ان بلال بن أبي

البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

(الفصل الثاني)

(في الغران البدوى والام الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه اصول وتهديدات)

١ *(فصل في ان احوال البدو والحضر طبيعية)*

(اعلم) ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف فحاشهم من المعاش فان اجتماعهم انما هو
للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجة والكفاي ففهم من يستعمل الفلح
من الغراسة والزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود
لنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائلون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى البدو لانه
ممنوع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والقدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء
بالبدو امر اضري وريالهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت
والكن والدفاء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء
ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم
ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثر وامن الاقوات والملابس والتأنيق
فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والامصار للتخضر ثم تزايد احوال الرفه والدعة فتجنى عوائد الترف
البالغة مبالغها في التأنيق في علاج القوت واستجداء المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير
والديباغ وغير ذلك ومعالجة البيوت والضرور وح وأحكام وضعها في تحييدها والانتهاج في الصنائع في
الخروج من القوة الى الفعل الى غاياتها فيخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها
ويبالغون في تحييدها ويختلقون في استجداء ما يتخذونه لمعاشهم من ملابس أو فراس أو آنية أو ما عون
وهؤلاء هم الحضر ومعناه الحاضر ون أهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع
ومنهم من ينتحل التجارة وتكون مكاسبهم أنمي وأرفه من أهل البدو لان احوالهم زائدة على الضرورى
ومعاشهم على نسبة وجددهم فقد تبين ان احوال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه

٢ *(فصل في ان جيل العرب في الحلقة طبيعية)*

قد قدمنا في الفصل قبله ان أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام وانهم
مقتصرون على الضرورى من الاقوات والملابس والمسكن وسائر الاحوال والعوائد ومقتصرون عما
فوق ذلك من حاجي أو كفاي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير منجدة
انما هو قصد الاسستظلال والكن لا ما وراءه وقد يأتون الى الغيران والكهوف وأما أقواتهم فيتناولون
بهايسير ابلع او غير علاج البتة الامامسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام
به أولى من الظعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبالي وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في
السائة مثل الغنم والبقر ففهم طعن في الاغلب لا رتياد المسارح والمياه لحيواناتهم فالتقلب في الارض أصح
بهم ويسمون شاوية ومعناه القائلون على الشاه والبقر ولا يبعدون في القفر لفقدان المسارح الطبيعية
وهؤلاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبه وأما من كان معاشهم في الابل فهم أكثر طعننا
وأبعد في القفر بحال لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغنى بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر
بالقرو وورود مياه الملتحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فرار من أذى البرد الى دفاعه واثمه وطالبها خض

(١٠ - ابن خلدون) برده خرج في جنازة وهو أمير على البصرة فنظر الى جماعة وقفا فقال ما هذا قالوا مالك بن دينار يذكر الناس
فقال لوصيف معه اذهب الى مالك بن دينار فقل له يرتفع البنا الى القبر فجاء الوصيف فاذا بالرسالة الى مالك فصاح به مالك ما الى اليه

حاجة فأحيته فيها فان تكن له حاجة فليجيئ الى حاجة نفسه فلما دفنوا ميتهم قام بلال بن رباح الى حلقه مالك فلما دنا منه نزل ونزل من معه ثم جاء يمشي الى الحلقه حتى جلس (٧٤) فلما رآه مالك بن دينار سكنت قاطال السكوت فقال له بلال يا ابا يحيى ذكرنا فقال ما نسيت

شأنا فذكر له قال فحدثنا قال اما هذا فتم قدم علينا أمير من قبل على البصرة فمات فدفناه في هذه الجبانة ثم اتينا بنزجي فدفناه الى جنبه فوالله ما أدري أيهما كان أكرم على الله سبحانه فقال بلال يا ابا يحيى أتدري ما الذي جرى له علينا وما الذي أسكتنا عنك لأنك لم تأكل من دراهمنا شيئا اما والله لو أخذت من دراهمنا شيئا ما جترأت علينا هذه الجرأة فافاد هذا الحديث علما لا فاقوا دراهمهم (ودخل) ابن شهاب على الوليد بن عبد الملك فقال يا ابن شهاب ما حديث يحدثناه أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال حدثونا أن الله تعالى إذا استرعى عبد رعية كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات قال كذبوا يا أمير المؤمنين انبي خليفة اقرب الى الله ام خليفة ليس بنبي قال بل نبي خليفة قال فانا احب ذلك يا أمير المؤمنين بما لا تشك فيه قال الله تعالى لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله هم عاصوا ما يحرم الله تعالى

النتاج في رماله اذا لابل أصعب الحيوان فصلا ومخاضا وأحوجها في ذلك الى الدفاع فاضطرروا الى ابعاد التجمعة وورما زادتهم الحامية عن النول أيضا فاعلوا في القفار نقرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك أشد الناس توحشا وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمقترس من الحيوان العجم وهو لا همم العرب وفي معنائهم طعون البر وزناته بالمغرب والا كراد والتر كان والتر بالمشرق الا ان العرب أبعد شجعة وأشد بدواة لانهم مختصون بالقيام على الابل فقط وهو لا يقومون عليها وعلى الشياه والبقرة معها فقد تبين لك أن جيل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى أعلم

٣ (فصل في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليهم وان البادية اصل العمران والامصار مدد لها) قد ذكرنا أن البدو هم المقصرون على الضرورى في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأن الحضرة المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ولا شك أن الضرورى أقدم من الحاحى والكمالى وسابق عليه لان الضرورى أصل والكمالى فرع ناشئ عنه فالبدو أصل والمدن والحضر وسابق عليه ما لان أول مطالب الانسان الضرورى ولا ينتهى الى الكمال والترف الا اذا كان الضرورى حاصل لا فحشونة البدواة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد المدن غاية للبدوى يحرق اليها وينتهى بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذى يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وأمكن نفسه الى قيادة المدينة وهكذا شأن القبائل المتبدية كلهم والحضرى لا يتشوف الى أحوال البادية الا لاضرورة تدعوه اليها ولتقصير عن أحوال أهل مدينته ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه أنا اذا فتشنا أهل مصر من الامصار وجدنا أولية أكثرهم من أهل البدو والذين بناحية ذلك المصر وفى قراهم وأنهم أيسر وافسكون والمصر وعدلوا الى الدعة والترف الذى فى الحضرة وذلك يدل على ان أحوال الحضرة ناشئة عن أحوال البدو وأنها أصل لها ففهمه ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنسه فرب حى أعظم من حى وقبيلة أعظم من قبيلة ومصر أوسع من مصر ومدينة أكثر عمران من مدينة فقد تبين أن وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار وأصل لها بما أن وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التى هى متأخرة عن عوائد الضرورة والمعاشية والله أعلم

٤ (فصل في ان أهل البدو اقرب الى الخير من أهل الحضرة) وسببه أن النفس اذا كانت على الفطرة الاولى كانت متهيئة لقبول ما يرد عليها وينطبع فيها من خير أو شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وبقدري ما سبق اليها من أحد الخلقين تبعد عن الآخر ويصعب عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سبقته الى نفسه عوائد الخير وحصلت له ملكته بعد عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سبقته اليه أيضا عوائده وأهل الحضرة لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهوراتهم منها قد تلونت أنفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر وبعدت عليهم طرق الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهبت عنهم مذاهب الخشعة في أحوالهم فبعد الكثير منهم بقذعون في أقوال الفحشاء فى مجالسهم وبين كبرائهم وأهل محارمهم لا يصددهم عنه وازع الخشعة لما أخذتهم به عوائد السوء فى التظاهر بالفواحش قولوا ولا واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا أنه فى المقدر الضرورى لاقى الترف ولا فى شئ من أسباب الشهوات والذات ودواعيها فاعوائدهم فى معاملاتهم على نسبتهما وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى أهل الحضرة أقل بكثير فهم اقرب

الى الله تعالى من سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله هم عاصوا ما يحرم الله تعالى

يا أمير المؤمنين فهذا وعيد الله لنبي خليفة فاسألك بخليفة غير نبي فقال الوليد ان الناس ليغروا عن ديننا (وروى) زياد عن مالك

ابن انس قال بعث الى ابو جعفر والى ابن طاوس فدخلنا عليه فاذا هو جالس على فرش قد نضدت وبن يديه انفتاح قد بسطت وبن يديه جلا وبن يديه السيف يضربون الاعناق واوما اليئنا ان اجلسا فجلسنا فاطرق (٧٥) عناطويلا ثم رفع راسه والتفت الى

ابن طاوس وقال حدثنا عن ابيك قال نعم اني سمعت ابي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشرك الله في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة قال مالك فضمت ثيابي مخافة ان ينضحني بدمه فامسك ابو جعفر ساعة حتى اسودما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناوتني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ناوتني هذه الدواة فامسك عنه ثم قال ما يمنعك ان تناولنيها قال اخشى ان تكتب بهام عصية فأكون شريكك فيها قلنا سمع ذلك قال قومنا معي قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال مالك فاذا زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم (وقال احمد بن ابي الحواري) سمعت رجلا يحدث عن ابن السكيت قال بعث الى هرون فلما انتهيت الى باب القصر اخذ حسيان بضبعي فاعجلاني في دهليز القصر فلما انتهيت الى باب القاعة لقيني خصيان فاحذاقني من الحرسين فاعجلاني في قاعة القصر فاتتهيت الى البهو الذي هو

الى القطرة الاولى وابعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكات بكثرة العوائد المذمومة وتوحيها فيسـهل علاجهم عن علاج الحضر وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد ان الحضارة هي نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الثمر والبعد عن الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول الحجاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى البادية فقال له ارتددت على عقبيك تعربت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره ويحرسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل البادية لان اهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم لم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امض لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم ووعده ان يوفقهم للازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجهه من الوجه وقيل ان ذلك كان خاصا بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلّة المسلمين وأما بعد الفتح وحين كثّر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصية من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ لقلّ قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقطت انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عن أسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة اقرقروا من يومئذ في الآفاق وانتشروا ولم يبق الا فضل السكني بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج لسلمة حين سكن البادية ارتددت على عقبيك تعربت نعي عليه في ترك السكني بالمدينة بالاشارة الى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله ولا تردهم على اعقابهم وقوله تعربت اشارة الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما ألزمه من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصا به كشهادة خزيمة وعناق ابي بردة او يكون الحجاج انما نعي عليه ترك السكني بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابه سلمة بان اغتنامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وافضل فسا آثر به واختصه الالامني علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلا على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه أعلم وبه التوفيق

• (فصل في أن أهل البدو اقرب الى الشجاعة من أهل الحضر) •

والسبب في ذلك ان أهل الحضر القوا جنوبهم على مهال الراحة والدعة وانغمسوا في النعيم والترفيه واكلوا اخرهم في المدافعة عن أموالهم وانفسهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا الى الاسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم فلا ينجحهم هبة ولا ينفّرهم صيد فهم غادرون آمنون قد القوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مثواهم حتى صار ذلك خلقا يتزل منزلة الطبيعية وأهل البدو لنفردهم عن المجتمع وتوحشهم في الصواحي وبعدهم عن الحامية وانتباههم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكونونها الى سواهم ولا يثقون فيها غيرهم فهم دائما يحملون السلاح ويتلقون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن المجموع الاغرار في المجالس وعلى الرجال وقوق الاقباب ويتوجسون للنباة والميعات ويتفردون

فيه فتلقاني خصـيان دونهم فاخذاني فاعجلاني في البهو فقال لمها هرون ارفقوا بالشيخ فلما وقفت بين يديه قلت له يا امير المؤمنين ما امرني يومئذ ولدتي امي اتعب فيه من يومى هذا فاتق الله في خلقه واحفظ مجداني امته وانصبر لنفسك في رعيتك فان الله قلاما بين

يدى الله تعالى انت فيه اذل من مقامى هذا بين يديك فاتق الله واعلم ان من اخذ الله وسطوانته على اهل المعصية كيت وكيت قال
فاضطرب على فراشه حتى نزل (٧٦) الى مصلى بين يدي فراشه فقلت يا امير المؤمنين هذا اذل الصفة فكيف ولو رايت ذل المعصية

قال فكادت نفسه تخرج فقال يحيى للخصيين اخرجوه فقد ابكى امير المؤمنين ثم دخل مرة اخرى فقال عظمى واخرج قال يا امير المؤمنين ان الذى اكرمك بما اكرمك به لتحقيق ان تحب ما يحب وتبغض ما يبغض فوالله لقد احب الله دارا وابغضتها وابغض دارا واحببتها كأنما اردت خلاف ربك او اردت سواء واعلم يا امير المؤمنين ان الذى فى يدك لو بقى على من كان قبلك لم يصل اليك فكذلك لا يبقى لك كلام يبق لغيرك فاتق الله فى خلافته واحفظ وصية محمد صلى الله عليه وسلم فى امته ودخل فرون على بعض النساء فسلم عليه فقال وعليك السلام ثم قال ايها الملك تحب الله قال نعم قال فتعصبه قال نعم قال كذبت والله فى حبك اياه انك لو احببته اذما عصيته ثم انشأ يقول تعصى الاله وانت تظهر عيبه

هذا المعنى فى المقال يديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع فى كل يوم يبتدئك بنبعة منه وانت اشكر ذاك المصنوع

فى القفر والبيداء مدين بياسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم البأس خلقا والنجاعة سحابة يرجعون اليها متى دعاهم داع او استنفرهم صارخ وأهل الحضرة هم ما خالطوهم فى البادية او صاحبوهم فى السقر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئا من أمر أنفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى فى معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرعناه وأصله ان الانسان ابن عوانته ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذى ألّفه فى الاحوال حتى صار خلقا ومملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجملة واعتبر ذلك فى الاكسين تجده كثيرا صحيحا والله يخلق ما يشاء

٦ (فصل فى أن معاناة اهل الحضرة الاحكام مفيدة للبأس فيهم ذاهبة بالمنة منهم)*

وذلك انه ليس كل احد مالمك أمر نفسه اذال وساء والامراء المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان فى مملكة غيره ولا بد فان كانت المملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها مدين بما فى أنفسهم من شجاعة او حجب واثقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جبلة لا يعرفون سواها واما اذا كانت المملكة واحكامها بالقهر والسطوة والاحافة فتكسر حينئذ من سورة بأسهم وتذهب المنعة عنهم لما يكون من التكاثر فى النفوس المضطهدة كناية عنه وقد نهى عمر سعد ارضى الله عنهم ما عن مثلها لما اخذ زهرة بن خويصة شاب الجانوس وكانت قيمته خمسة وسبعين الفا من الذهب وكان اتبع الجانوس يوم القادسية فقتله واخذ نسائه فانتزعه منه سعد وقال له لا انتظرت فى اتباعه اذنى وكتب الى عمر يستأذنه فكتب اليه عمر تعمد الى مثل زهرة وقد صلى بمصلى به وبقى عليك ما بقى من حربك وتكسر فوقه وتفسد قلبه وامضى له عمر نسائه واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فذهبة للبأس بالسكينة لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسبه المذلة التى تكسر من سورة بأسه بلا شك واما اذا كانت الاحكام تأديبية وتعليمية واخذت من عهد الصبا أثرت فى ذلك بعض الشئ لم يراه على الخفاة والانتقاد فلا يكون مدلا بياسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل البدو اشد بياسا من تأخذ الاحكام ونجد ايضا الذين يعانون الاحكام وملاكتهم من لدن مرباهم فى التأديب والتعليم فى الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من بأسهم كثيرا ولا يكادون يدفعون عن أنفسهم عادية توجه من الوجوه وهذا شأن طلبة العلم المنتحلين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتأديب فى مجالس الوقار والهيبة فيهم وهذه الاحوال وذهابها بالمنة والبأس ولا تستتكر ذلك بما وقع فى الصحابة من أخذهم باحكام الدين والشرعية ولم ينقص ذلك من بأسهم بل كانوا اشد الناس بأسا لان الشارع صلوات الله عليه لما أخذ المسلمون عنه دينهم كان وازعهم فيه من أنفسهم لما تلى عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صناعى ولا تأديب تعليمى انما هى احكام الدين وآدابه المتقاة نقلا يأخذون أنفسهم بها بما روي فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ولم تحدها اظفار التأديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا ادبه الله حرصا على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه ويقتنابان الشارع اعلم بمصالح العباد وما تنافس الدين فى الناس وأخذوا بالاحكام الوازعة ثم صار الشرع علما وصناعة يؤخذ بالتعليم والتأديب ويرجع الناس الى الحضارة وخلقى الانتقاد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفيدة للبأس لان الوازع فيها اجنبى واما الشرعية فغير مفيدة لان الوازع فيها ذاتى ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليمية مما تؤثر فى اهل الحواضر فى ضعف نفوسهم وخضوع الشوكه منهم بمعاناتهم فى وليدهم

(وروي زيد بن اسلم عن ابيه) قال قلت لعمركم بن سليمان بن عبد الله بن ابي طالب المشاهي والى المدينة اخذوا وكهولهم ان يأتى رجل غدا ليس له فى الاسلام نسبة ولا اب ولا جد فيكون اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون اولى بنوح

ولوط عليهم السلام من زوجهم ما وكما كانت زوجة نوح ولوط اولى بقرعون من زوجته من اباطيه عمله لم يسترع به نسبه وقمن اسرع به عمله لم يبطئ به نسبه وقال بشر بن السري بينهما الحجاج جالس في الحجر اذ دخل رجل (٧٧) من اهل اليمن فجعل يطوف فوكل به بعض من معه فقال اذا

خرج من طوافه فاتي به فلما فرغ من طوافه اتاه به فقال له عن انت قال من اهل اليمن قال افلاك علم محمد بن يوسف قال نعم قال فاخبرني عنه قال لقد تتر كته ايض بضاسميناطو يلاعر يضا قال ويلك ليس عن هذا اسالك قال فعمه قال عن سيرته وطعمته قال فأجور السير واخبت الطعم واعدى العدا على الله واحكامه قال فغضب الحجاج وقال ويلك اما علمت انه اخي قال بلى قال علمت ما علمت ان الله ربي والله هو امانع في منك اكثر منك لاخيتك قال اجل ارسله يا غلام (وقال الاصمعي) حدثني رجل من اهل المدينة قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال شهدت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر فعيابا بين رجل من قريش واهل بيت من المهاجرين ليسوا قريش فقالوا لا يجرع قراجل بيننا وبينهم ابن ابي ذئب قال ابو جعفر لا بن ابي ذئب ما تقول في بني فلان قال اشرار من اهل بيت اشرار قالوا له يا امير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان

وكولهم والبدو بمعزل عن هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن ابي ذئب في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين انه لا ينبغي للثوب ان يضرب احد ادمان الصبيان في التعليم فوق ثلاثة أسواط نقله عن شريح القاضي واحتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء النوح من شأن الغط وأنه كان ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شأن الغط ان يكون دليلا على ذلك لبعده عن التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

٧ * (فصل في أن سكنى البدو لا يكون الا للقبائل اهل العصبية) *

* (اعلم) ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناها للنبيين وقال فالحقها فخورها وتعاونها والشر اقرب الخلال اليه اذا اهل في مري عوائده ولم يهذه الا فتنة اهل الدين وعلى ذلك انجم الغمير الامن وفقه الله ومن اخذ لاق البشر فيهم الظلم والعدوان بعض على بعض فن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه الا ان يصده وازع كما قال

والظلم من شيم النفوس فان تجدد * ذاعقة فاعله لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه المحكام والدولة بما قبضوا على ايدي من تحتهم من الكافة ان يمتد بعضهم على بعض او يعدو عليه فهم مكبوحون (١) بحكمة القهر والسلطان عن التظالم الا اذا كان من الحماكم نفسه واما العدوان الذي من خارج المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغلة او الغرة ليل او الحجز عن المقاومة نهارا او يدفعه ذباذ الحامية من أعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو فيزع بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم بما وقر في نفوس الكافة لهم من الوفاق والتجارة واما حالهم فانما يذود عنهم من خارج حامية الحماكم من انجدهم وقتبانهم المعروفين بالشجاعة فيهم ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشبهوا كتمهم ويخشى جانبهم اذ تغرة كل احد على نسبه وعصبية اهلهم وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة والتغرة على ذوي ارحامهم وقر بانهم موجودة في طبائع البشرية وبها يكون التعاضد والتناصر وتعظم رهبة العدو لهم واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لايه اثن اكله الذئب ونحن عصبية انا اذا المخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدو ان على احد مع وجود العصبية له واما المتفردون في انسابهم فقل ان تصيب احد منهم تغرة على صاحبه فاذا اظلم الجوب بالشر يوم الحرب تسال كل واحد منهم ينبغي النجاة لنفسه خيفة واستيحاشا من التخاذل فلا يقدر من اجل ذلك على سكنى القفر لما أنهم حينئذ طعمة لمن يلتمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للدفاع والحماية فيمنه يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من نبوة واقامة ملك او دعوة اذبلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه اتفاقا فخذها اماما تقتدى به فيما تورد عليك بعد والله الموفق للصواب

٨ * (فصل في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه) *

وذلك ان صلة الرحم طبعي في البشر الا في الاقل ومن صلها التغرة على ذوي القربى واهل الارحام ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة فان القريب يجد في نفسه غصاصة من ظلم قريبه او العدا عليه و يود لو يحول

(١) قوله بحكمة يفتح الحما والكاف اه

عام له على المدينة قال ما تقول في الحسن قال يا امير المؤمنين لو سألته عن نفسك لرامك بدهية ونعمتك بشر قال ما تقول في قال اعني يا امير المؤمنين قال لا بد ان تقول قال انك لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية فتغير وجهه ابي

جمعهم فقام ابراهيم بن محمد بن علي صاحب الموصل وقال ما هو في يده يا امير المؤمنين قال له ابن ابي ذئب اقعديا بني فلنس في دهر رجل
يشهد ان لا اله الا الله طهور (٧٨) ثم تدارك ابن ابي ذئب الكلام فقال دعنا يا امير المؤمنين عما نحن فيه بلغني انك رزقت

ابنا صالحا بالعراق يعني
المهدي قال اما ان قلت
ذلك انه يصوم البعيد ما
بين الطرفين قال ثم قام
ابن ابي ذئب فخرج فقال
أبو جعفر اما والله ما هو
يستوثق العقل ولقد قال
بذات نفسه (ودخل أبو
النصر) سالم مولى عمر بن
عبد الله على عامل للخليفة
فقال له يا أبا النصر انه تأتينا
كتب من عند الخليفة فيها
وفيها ولا نجد ديدما من
انقاذها فاذا ترى قال أبو
النصر قد أتاك كتاب الله
قبل كتاب الخليفة فايهما
اتبعت كنت من أهله
(الباب الثالث فيما
جاء في الولاية والقضاء وما
في ذلك من الغرر والمخاطر)
قال الله تعالى يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا
تتبع الهوى في ذلك عن
سبيل الله جاء في التفسير
من اتباع الهوى ان يحضر
الخصمان بين يديك فتود
ان يكون الحق للذي لك
منه خاصة وهذه الخصلة
سأب سليمان بن داود
عليهما السلام ملكا قال
ابن عباس رضي الله عنهما
كان الذي أصاب سليمان
ابن داود عليهما السلام

بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهاالك نزع طبعه في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين
المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والاتحاد كانت الولاية ظاهرة فاسمعت ذلك بمجردها
ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسى بعضها ويبقى منها شهرة فتعمل على النصرة لذوي
نسبه بالامر المشهور ومنه فرار من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن
هذا الباب الولاء والخلاف انقرة كل احد على اهل ولائه وحلفه للائمة التي تلحق النفس من اهتمام
جارها او قريبيها ونسبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لجة النسب
او قريبا منها ومن هذا نفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم يعني ان
النسب انما فائده هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنصرة وما فوق ذلك
مستغنى عنه اذا النسب امر وهمي لاحقية له ونفعه انما هو في هذه الولاية والاتحاد فاذا كان ظاهرا
واضح لاجل النفوس على طبعها من النقرة كما قلناه واذا كان انما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم
وذهبت فائده وصار الشغل به مجانا ومن اعمال الله والمنهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب
علم لا ينفع وجهه لا تضر يعني ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائده الوهم
فيه عن النفس وانتفت النقرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ والله سبحانه وتعالى اعلم

٩ (فصل في أن النصر يحج من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معنائهم)

وذلك لما اختصوا به من كذا العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن جاتهم عليها الضرورة التي عذبت لهم
تلك القسوة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في
القفر لرعيها من شجيرة وتاجها في زمالة كما تقدم والقفر مكان الشظف والبسب فصار لهم القوا عادة
وربيت فيه اجيالهم حتى تمكنت خلقا وجلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يانس
بهم احد من الاجيال بل لو وجدوا احد منهم السبيل الى القرار من حاله وامكنه ذلك لم يتركه فيؤمن عليهم
لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوفة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش
وكنانة وثقيف وبنو اسد وهذيل ومن جاوهم من خزاعة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع
ولا ضرع وبعدوا من ارياف الشام والعراق ومعادن الاندلس والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة
محفوفة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب واما العرب الذين كانوا بالليل وفي معادن الخصب
للمراعي والعيش من حير وكهالان مثل الحمر وجذام وغسان وطبي وقضاة وايدا فاختلطت انسابهم
وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلفاء عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل
الحجم ومخالطتهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا لا يعرف فقط قال عمر
رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد اذا سئل احدكم عن اصله قال من قرية كذا هذا
اي ما الحق هؤلاء العرب اهل الارياض من الازدحام مع الناس على البلاد الطيب والمراعي الخصبة فكثير
الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتماء الى المواطن فيقال جند قنسر من جند
دمشق جند العواصم وانتقل ذلك الى الاندلس ولم يكن لا طراح العرب امر النسب وانما كان لاختصاصهم
بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند امرائهم ثم وقع
الاختلاط في المواضع مع الحجم وغيرهم وفسدت الانساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم
تلاشت القبائل ودثرت فثرت العصبية بدورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

فصل

ان ناسا من اهل جرادة امراته وكانت من اكرم نساءه عليه تحاكموا اليه مع غيرهم فاحب

ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فهو تبدين لم يكن هو اقيم واحد او من ذلك آية الملوك التي انزلها الله تعالى في السلاطين لما

اقتضته من السياسة العامة التي فيها بقاء المال وثبوت الدول قال الله تعالى ولا ينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز ثم سمي المنصورين
وأوضح شرائط النصر فقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة (٧٩) وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا

عن المنكر فضعن الله تعالى
النصر للملوك وشرط عليهم
شرائط كما نرى فمن
تضععت قواعدهم
وانتقص عليهم من أطراف
ممالكهم أو ظهر عليهم عدو
أو باغ فتنة أو حاسد نعمة أو
اضطربت عليهم الامور أو
راوا اسباب الغير فيلجؤوا الى
الله تعالى ويستنجون من
سوء أقداره بأصله لا حما
بينهم وبينه بأقامة الميزان
القسط الذي شرعه الله
تعالى لعباده وركوب

سبيل العدل والحق الذي
قامت به السموات والارض
واظهار شرائع الدين ونصر
المظلوم والاعوذ على يد
الظالم وكف يد القوى عن
الضعيف ومراعاة الفقراء
والمساكين وملاحظة ذوي
الخصاصة والمستضعفين
وليعلوا انهم قد أخذوا
بشي من الشرائط الأربع
التي شرطت في النصر
(وروي) ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ألا كلكم
راع وكلكم مسئول عن
رعيته فالامام الذي على
الناس راع وهو مسئول عن
رعيته والرجل راع على
أهل بيته وهو مسئول عن
رعيته والمرأة راعية على
أهل بيت زوجها وولدها

١٠ * (فصل في اختلاط الانساب كيف يقع)

*(اعلم) انه من البين أن بعضا من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب آخر بقربا اليهم أو حلف أو
ولاء أو اقرار من قومه بجناية أصابها فبقي بنسب هؤلاء وبعدهم في ثمراته من الثغرة والقود وحل
الديات وسائر الاحوال وإذا وجدت ثمرات النسب فكانه وجوده لانه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن
هؤلاء الا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم ثم انه قد يتنامى النسب الاول بطول الزمان
ويذهب اهل العلم به فيخفى على الاكثر وما زالت الانساب تسقط من شعب الى شعب ويلتحم قوم
بآخرين في الجاهلية والاسلام والعرب والجم * وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يبين
لك شي من ذلك ومنه شأن بجيلة في عريضة بن هرثة لما ولده عمر عليهم فسألوه الاعفاء منه وقالوا هو قينا
لزيق أي دخيل واصلق وطلبوا أن يولي عليهم جريز فساله عمر عن ذلك فقال عرفجة صدقوا يا امير
المؤمنين أنا رجل من الازد أصبت دما في قومي ولحققت بهم وانظر منه كيف اختلط عريضة بجيلة وليس
جالتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمان
لتنوسي بالجيلة وعدمهم بكل وجه ومذهب فافهم واعتبر سر الله في خلقته ومثل هذا كثير في هذا العهد
ولما قبله من العهد والله الموفق للصواب بحسنه وفضله وكرمه

١١ * (فصل في ان الرياسة لا تزال في نصابها لخصوص من اهل العصبية)

*(اعلم) ان كل حي أو بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام فقيمهم أيضا عصبية أخرى
لانساب خاصة هي أشد التحام من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو اهل بيت واحد أو اخوة بني أب
واحد لا مثل بني العم الاقربين أو الابعدين هؤلاء أعقد بنسبهم لخصوص و يشاركون من سواهم من
العصائب في النسب العام والثغرة تقع من اهل نسبهم لخصوص ومن اهل النسب العام لانها في النسب
الخاص أشد لقرب المحبة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت
الرياسة انما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب
بها وتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب لخصوص اهل
الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصبية في الغلب لماسمت لهم
الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الأقوى من فروعها
قلنا من سر الغلب لان الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت
العناصر فلا بد من غلبة أحدها والالم يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه تعين
استمرار الرياسة في النصاب لخصوص بها كما قررناه

١٢ * (فصل في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم)

وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب انما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد في الرياسة على
القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة لان كل عصبية منهم اذا احست بغلب عصبية
الرئيس لهم أقروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجيلة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو

(١١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفاسية وموجود في النسخة التونسية وإثباته أولى ليطابق

كلامه أول الفصل ١٢ اه

وهي مشؤلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعل النبي صلى الله عليه وسلم
كل ناطق في حق غيره راعيه واللفظ مأخوذ من الرعاية والمرعاة فاذا تقدم لرعاية غيره من يأكله فهو الهالك كما قال الشاعر

عاصم - يا خرق به الجسر فيموي به في جهنم مقدار سبعين خريفا قال عمر سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبو ذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعين خريفا في وادي يثرب (٨١) انتهى بإفقار عمر بيده على جبهته أن الله

وأنا إليه راجعون من يأخذها بما فيها قال سلمان من سلب الله أنفه وألقى خذله بالارض (وروي) ان العباس رضي الله عنه قال أمرني يا رسول الله فاصيب واستريش فقال له يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم نقس تحميم اخير من اماره لا تخصمها الا أحدثكم عن الامارة اولها ملامه وأوسطها ندامة وآخرها حسرة يوم القيامة (وروي) أبو داود في السنن جاء رجل فقال يا رسول الله ان أبي مريض على الماء والى أسألك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله عليه وسلم العرافة في النار (وروي) الساجي عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام المجائر وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من وال ولا قاض الا ويؤتى به يوم القيامة حتى يعف بين يدي الله سبحانه على الصراط ثم تنشر الملائكة سيرته فيقرؤونها على رؤس

تكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجل في اهل جلادته لما وقر في نفوسهم من تجلة حلقه وشرفهم بخلاهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فغنى الحسب راجع الى الانتساب وقد بينا ان ثمره الانتساب وفائدتها انما هي العصبية للثغرة والتناصر حيث تكون العصبية موهوبة وخشية والمثبت فيها ركي محي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعيد الاشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصيلا في اهل العصبية لوجود ثمره النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لانه سرها ولا يكون للمفرد من اهل الامصار بيت الا بالحجاز وان توهموه فزخرف من الدعاوى واذا عتبرت الحسب في اهل الامصار وجبت معناه ان الرجل منهم يعد سلفا في خلال الخير ومخالطة اهلهم مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا ما غير اسير العصبية التي هي ثمره النسب وتعيد الا بآباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالحجاز لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالمة وليس حسباً بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت انه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسحبون منه لذهابها بالحصارة كما تقدم ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به أنفسهم من اشراف البيوتات اهل العصاب وليسوا منها في شيء لذهاب العصبية جلة وكثير من اهل الامصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لا أول عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما رشح الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمدن والامارات تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب مائمه وشريعتهم ثم بالعصبية ثانيا وما آتاهم الله بهامن الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك اجمع وضررت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الارض وانفردوا بالاستعباد للكفر الآفاق من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتجدد هم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوسف هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب الى هذا المذهب وقد غلط ابو الوليد بن رشد في هذا المأذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الاول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي يتفقه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرهب بها جانبها وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من تؤثر استمالاته وهم اهل الحنل والعقد وأما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحضر بهذه المثابة الا أن ابن رشد ربي في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا آتسوا الاحوال السابقة في أمر البيت والحسب على الاعمال المشهور من تعدد الآباء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الحقيقة والله بكل شيء عليم اه

١٤ * (فصل في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بآبائهم لا بنسبهم) *

وذلك اننا قدمنا ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم واسترقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالى والمصطنعون بنسبهم في تلب العصبية وليسوا بجاهلهم اكلها عصبية وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رق او مولى اصطناع وحلف وليس نسب

١١ - ابن خلدون) الخلائق فان كان عادلا نجما الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من أعضائه مسيرة سنة ثم يخرق به الصراط فيبقى قعر جهنم لا يخرج وجهه (وروي) معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القاضي

يزل في مزاولة أبعده من عدن في جهنم (وقالت) عائشة رضي الله عنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يثوي بالقاضي العدل يوم القيامة قبل في شدة الحساب على ما قضى (٨٢) حتى يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة (وروى) الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم

ولادته ساقع له في تلك العصبية انتهى مباينة ذلك النسب وعصبية ذلك النسب معقودة لذهاب سرها عند التهامه بهذا النسب إلا خروفقده أهل عصبية فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فاذا تعددت له الأباة في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبته في ولائهم واصطناعهم لا يتجاوزوا إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال وهذا شأن الموالى في الدول والخدمة كلهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعددا لأباة في ولايتها لا ترى إلى موالى الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك من قبلهم وبني تميم كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتا وشرفا بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في القرس وكذا موالى كل دولة وخدمتها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها ويضمحل نسبة الاقدام من غير نسبها ويبقى ما بقي لا عبرة به في اصالته ومجده وانما الاعتبار نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتملا من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم يتقمه نسب ولادته وانما بني مجده نسب الولاة في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والترتبة وقد يكون نسبه الاول في محبة عصبية ودولته فاذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصبية وان تقع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك اذا المنقول أنهم كانوا أهل بيت في القرس من سدة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولا بني العباس لم يكن بالاول اعتبار وانما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وماسوي هذا قومهم توسوس به النفوس الجاحجة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان أكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله أعلم

١٥ * (فصل في ان نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء) *

* (أعلم) ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من زواته ولا من أحواله فالكونيات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنات فاسدة بالماينة وكذلك ما يعرض لها من الأحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من أهل الخليفة شرف متصل في آباؤه من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة وحياطة على السرفية وأول كل شرف خارجية كما قبل وهي الخروج عن الرياسة والشرف إلى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه ان كل شرف وحسب فعده سابق عليه شأن كل محدث ثم ان نهايته في أربعة آباء وذلك ان بابي الجدة عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي أسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لا به قد سمع منه ذلك واخذ منه الا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشئ عن المعين له ثم اذا جاء الثالث كان حفظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني تقصير المتقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة وأصاع الخلال المحافضة لبناء مجدهم واحقرها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بمعاناة ولا تكاف وانما هو امر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد اتساعهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجلة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فير بأبنائه عن أهل عصبية ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما رى فيه من استنباعهم وجهه لا بما أوجب ذلك الاستنباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيخترهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويدلون منه سواء من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للأدعان لعصبية يتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتمه وافروع هذا وتذوى

دعا عبد الرحمن بن سمرة يستعمله فقال يا رسول الله خلى فقال اقعدي بيتك وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليودن أقوام يوم القيامة لو وقعوا من الثريا ولم يكونوا امرأ على شئ وكم من متخول في مال الله ومال رسوله له النار عدا (وفي) الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صنفان من أمتي لا تسالهما شقاعتي يوم القيامة امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه (وقال) أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة الأجي به يوم القيامة مغلول لا نجاة عمله أو أماله (وقال) طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في ملكه فخار في حكمه فاستلقى سليمان صلى الله عليه وسلم وهو يبكي وما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه (وقال) حذيفة بن اليمان من اقتراب الساعة ان يكون امرأ فجرة وقراء كذبة وامناء نخوة وعلما فسقة وعرفاء ظلمة (وقال) عبيد بن عمير ما زاد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرا تباعه الا كثرت طائفة ولا كثرت ماله الا كثرت حسابه (وفي الحديث) عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاء ثلاثة فروع اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم فهو في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق فهو في الجنة رواه

فروع

بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وقال) ابن سيرين جاء صبيان الى عبيدة السلماني يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر فيها وقال هذا حكم ولا اتولى حكما ابدا (وتخاير) غلامان الى ابن عمر فعمل ينظر الى كتابهم وقال هذا حكم (٨٣) ولا بد من النظر فيه والمصنفون

يرسلون في كتبهم حديثا مرفوعا رواه أبو داود في سننه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قدم الى القضاء فقد ذبح بغير سكين (وفي أخبار) القضاء ان قاضيا قدم الى بلد فجاءه رجل له عقل ودين فقال له أيها القاضي أبلغك قول النبي صلى الله عليه وسلم من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين قال نعم قال فبلغك ان أمورا للناس ضائعة في بلدنا فحسنت تحبيرها قال لا قال أفأكرهك السلطان على ذلك قال لا قال فاشهد أني لا أملك مجلسا ولا أؤدى عندك شهادة أبدا (وروي) أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في بعض خطبه ان الملك اذا ملك هذه الله في ماله ورغبه فمما في يد غيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويسخط الكثير جند الظاهر خزن الباطن فاذا وجبت نفسه ونصب عمره وعصى ظله حاسبه الله فاشد حسابه وأقبل عقوه (وذكر) السلطان لا عراي فقال والله لئن عزوا في الدنيا بالبحر لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبالقيل فان رضوا عن

فروع الاول وينهـ دم بناءه في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء وأهل العصبية اجمع ثم في بيوت أهل الأمصار اذا انقطعت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب ان يشأ ذهابكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والافقدي ثر البيت من دون الاربعة وبتلاشي وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا أنه في انحطاط وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان ومباشر له ومقدود هادم وهو أقل مما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم اشارة الى أنه بلغ الغاية من الجحد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك فطابق غير مطالب بذنوب الاباء للبنين على التوالف وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الاتساب والحسب ومن كتاب الاغانى في اخبار عزيز الغواني أن كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجد له الا في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيمان وآل الأشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقري من بني تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائرتهم واقعد لهم الحـكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الأشعث بن قيس لقرا بته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيمان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا واثروا فقال كسرى كلهم سيدي يصلح لموضع وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعدي هاشم ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحرث بن كعب بيت النخعي وهذا كله يدل على ان الاربعة الآباء نهاية في الحسب والله أعلم

١٦ * (فضل في أن الأمم الوحشية قد رعى التغلب عن سواها) *

* (اعلم) انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الاخر فهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في أيدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكما نزلوا الارياض وتفننوا النعيم والقوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بقدر ما نقص من توحشهم وبداتهم واعتبر بذلك في الحيوانات العجم بدواجن الطياء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن أدائها وكذلك الادعي المتوحش اذا أنس وألف وسببه ان تكون السجاياء والطبايع انما هو عن المألوفات والعوائد اذا كان التغلب للام انما يكون بالاقدام والبسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشا كان اقرب الى التغلب على سواها اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصبية وانظر في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق ونعيمه لما بقي مضر في بداوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة النعيم كيف ارفقت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في أيديهم وانتزعوه منهم وهذا حال بني طيئ وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور من بعدهم لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف أمسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذهب الترف حتى صاروا أغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي نعيم او عيشا خصبا دون الحي الاخر فان الحي المبتدى يكون أغلب له واقدرا عليه اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

كثير باق وانما يكون الندم حين لا ينفع الندم (وقال) أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فسات صاحب لهم بارض قلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا لنأكل على الماء قال احلقوا الى ثلاثا وثلاثين يمينا انه لم يكن فيكم صراف ولا مكاس ولا عريفا ولا يداو يروى ولا عرافا

فأنا أدلكم على الماء فاقفوا له ثلاثين يمينا فقدمهم على الماء ثم قالوا له عاوناه على غسله فقال احلفوا لي ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم ذكره فاقفوا له فاعانهم

(٨٤)

١٧ * (فصل في أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي الملك) *

وذلك لأننا قدمنا أن العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتهد مع عليه وقد مرنا أن آدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع وحام كيزع بعضهم عن بعض فلا بد أن يكون متغلبا عليهم بتلك العصبية والالم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو أمر رائد على الرياسة لأن الرياسة إنما هي سود ووصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في أحكامه وأما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب العصبية إذا بلغ إلى رتبة طلب ما فوقها فإذ بلغ رتبة السوود والاتباع ووجد السبيل إلى التغلب والقهر لا يتركه لأنه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه إلا بالعصبية التي يكون بها متبوعا فالتغلب الملكي غاية للعصبية كما رأيت ثم إن القبيل الواحد وإن كانت فيه بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة فلا بد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستبدها وتلحم جميع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى والأوقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ثم إذا حصل التغلب بتلك العصبية على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها فان كافتها أو مانعتها كانوا اقترالا وانظارا ولكل واحدة منهما ما للتغلب على حوزتها وقومها شأن القبائل والأمم المترقة في العالم وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادت قوتها في التغلب إلى قوتها وطلبت غاية من التغلب والتحكم أعلى من الغاية الأولى وأبعد وهكذا دائما حتى تسكف بقوتها قوة الدولة فإن أدركت الدولة في هزمها ولم يكن لها مانع من أولياء الدولة أهل العصبيات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها وإن انتهت إلى قوتها ولم يقارن ذلك هزم الدولة وانما يقارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيات انتظمتها الدولة في أولياتها تستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبد وهو كواقع للترك في دولة بني العباس وأصنافها وزنايتها مع كرامة ولبنى جدران مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر أن الملك هو غاية العصبية وأنها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك أما بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وإن عاقها من بلوغ الغاية عوائق كما نبينه ووقف في مقامها إلى أن يقضى الله بامر

١٨ * (فصل في أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم) *

وسبب ذلك أن القبيل إذا غلبت بعصبيتها بعض التغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم وضررت معهم في ذلك بسهم وخصبة بمقدار غلبها أو استظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه إنما هم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة والاختصاص بما ذهب الملك في المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتأني فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف وما يدعوا إليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البدن وداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة وتشأبئوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترف عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستسكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتعقصر عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم يتعاقبها إلى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون أشرفهم على القناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والعرق في النعيم كاسر من سورة

يمينا كما تقدم فصل على عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحدا وكان يزور أنه الخضر عليه السلام (وقال) ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل مبيلا وقتله نبي وامام ضلالة وممثل من الممثلين (وقال) أبو ذر قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أيام أعقل يا أبا ذر ما أقول لك ثم لما كان في اليوم السابع قال أوصيك ببقوى الله في أمر شرك وعلا نيتك فإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحدا وإن سقط سوطك ولا تؤوين أمانة ولا تؤوين يتيما ولا تقضين بين اثنين (وقال) أبو ذر أيضا قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر إن أحب الناس ما أحب لنفسي وإنى أراك ضعيفا لا تتأمر على اثنين ولا تبين مال يتيم (وروى) أبو ذر أيضا قلت يا رسول الله ألا تستعصمني فضرب بيده على منكبي وقال لي يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي ونوبة إلا من أخذها بحفها وادى الذي عليه فيها (وروى) علي بن أبي

طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأنا حديث السن فقلت يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم شيوع ذوي أسنان ولا علم لي بالقضاء فقال إن الله سبحانه هادي قلبك ولسانك فإذا جلس الخصمان

العصبية

فلا تقض للاول حتى تسمع كلام الاخر فانك اذا سمعت ذلك عرفت كيف تقضى (فان قال قائل) كيف تهني اباذر عن القضاء واخر عليا بالقضاء مع ما فيه من التغرير وما روى بان من قدم للقضاء فقد ذبح بغير سكين (٨٥) وفيه البعد عن حضرة والتمس بالمشاهدة

وتعلم سننه وشرائع دينه
والخلق باخلاقه وشيخه
وايهما افضل المثلين
يديه والكون بحضرة
ومشاهدته والصلاة خلفه
او القضاء في غيبته مع البعد
عنه (قلنا) انما تهني اباذر
لمعنى فيه يقصر به عن
رتبة القضاء كما كان ضده
في على رضي الله عنه ثم قال
في آخره الامن اخذها
بمحتمها وأدى الذي عليه
فيها فاستدلنا بذلك على
ان من استجبت فيه
شروط القضاء وكان قويا
على انفاذه لم يدخل تحت
النهي ومما يعضد على
القضاء طلبه اياه اذ لم يدرك
عواقبه وقد وصف الله
سبحانه المتسرع الى الامانة
بالجهل فقال تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين
ان يحملنها واشفقن منها
وجعلنا الانسان انا كان
ظلوما جهولا لا أي ظلوما
لنفسه جهولا بعاقبة امره
والدليل على صحة هذا
التأويل قول النبي صلى
الله عليه وسلم القضاء ثلاثة
اثان في النار وواحد في
الجنة رجل عرف الحق
فقضى به فهو في الجنة
ورجل عرف الحق فلم يقض

العصية التي بها التغلب واذا انقضت العصية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة
والتهمتهم الامم سواهم فقد تبين ان الترف من عوائق الملك والله يوثق ملكه من يشاء

١٩ (فصل في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والالتقياد الى سواهم)

وسبب ذلك ان المذلة والالتقياد كاسر ان لسورة العصية وشدها فان اتقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها
فصاروا المذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى ان يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة
واعتبر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم
ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها قوم اجبارين واننا لندخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله
تعالى منها بضرب من قدرته غير عصية تناو تكون من معجزاتك يا موسى ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا
العصيان وقالوا له اذهب انت ووربك فقاتلوا وما ذلك الا لما اتسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة
والمطالبة كما تقتضيه الآية وما يؤثر في تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الالتقياد وما رثوا من الذل
للقبط احقا باحتي ذهبت العصية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما اخبرهم به موسى من ان
الشام لهم وان العمالة الذين كانوا باربعاء قريستهم يحكم من الله قدره لهم فاقصروا عن ذلك وعجزوا
تغوى يلا على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما اخبرهم به
نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالنوبة وهوانهم تاهوا في قعر من الارض ما بين الشام ومصر اربعين
سنة لم يأووا فيها العمران ولا نزلوا مصر او لا خالطوا بشرا كما قصه القرآن لغلبة العمالة بالشام والقبط بمصر
عليهم فحجزهم عن مقاومتهم كما زعموه ويظهر من مساق الآية ومفهومها ان حكمة ذلك التيه مقصودة
وهي فناء الجبل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخليقوا به وفسدوا من عصيتهم حتى نشأ في
ذلك التيه جيل آخر عز يزلا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصية اخرى
اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنة اقل ما يأتي فيها فناء جيل ونشأة
جيل آخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل على شأن العصية وانها هي التي تكون بها المدافعة
والمقاومة والحماية والمطالبة وان من فقد ما عجز عن جميع ذلك كله ويخفق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة
للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليه من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لان في
المغارم والضرائب ضما ومذلة لا تحتملها النفوس الا بية الا اذا استهوتته عن القتل والتلف وان عصيتهم
حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصيته لا تدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد
حصل له الالتقياد للذل والمذلة عاتقة كما قدمناه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في شأن الحرث لما رأى سكة
الحرث في بعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخلهم الذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب
للمذلة هذا الى ما يجب ذل المغارم من خاقي المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمغارم في
ريقة من الذل فلا تطمع لها بل آخر الدهر ومن هنا تبين لك غلط من يزعم ان زنانية بالمغرب كانوا شايبة
يؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم مال
ولا تمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر براز ملك الباب لعبد الرحمن بن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر براز امانته
على ان يكون له فقال انا اليوم منكم يدي في ايديكم وصغري معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا
اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلو بنا بالجزية فتوهنو بالعدوك فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

٢٠ (فصل في ان من علامات الملك التناقص في الخلال الحميدة وبالعكس)

به وجار في الحكم فهو في النار ورجل لم يعرف الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار (قلت) فهذان الرجلان ضعيفان عن رتبة
القضاء احدهما يغشيه وظلمه والاخر يجهله وقد عابت جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا اني يكون له الملك عاينا ونحن احق بالملك منه ولم

يؤت سعة من المال فعابوه بخصالتي الفقر وأنه ليس من سبط المملكة فقال لهم نبيهم إن الله اصطفاكم عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
فبين شروط الولايات والممالك (٨٦) وأنها تنقصر إلى العلم الذي به يحكم وإلى القوة التي بها تنفذ الأحكام دون ما ظنه بنو إسرائيل

وأما قولك أيهما أفضل
القضاء في غيبته أو الحضور
بين يديه والكون في
حضرته فالجواب أن أوامره
عليه السلام فرض يعصى
بتركه والكون في حضرته
مستحب بعد الهجرة
لا يعصى بتركه فلهنا بهذا
أنه إنما بعث علينا رضى الله
عنه للقضاء لأنه أفضل من
سجكاه بحضرته لأنه مبلغ
عنه إلى الخلائق شريعته
التي بعثه الله بها فهو خليفة
في ذلك يدل على هذا أنه
أوجب الجنة لمن قضى
بالحق

*(الباب الرابع في بيان
معرفة مال سليمان بن
داود عليهم السلام ووجه
طلبه الملك وسؤاله أن
لا يؤتى لاحد من بعده)*
قال هب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدى فطلب
الملك ثم زاد على ذلك بأن
لا يؤتى مثله أحد بعده
وكان ظاهره يؤذن بالنحل
والكلام على هذه الآية
من وجوه (أحدها) أنه
إنما سأل هذا بعد أن سأل
الله تعالى ملكه ثم أعاده
إليه فحين طلب الملك كان
ملكه كافيه قال هذا الملك
الذي جددته لي هب لي
على صفات لا أعصيك فيها

لما كان الملك طبيعيا للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان اقرب الى خلال الخير
من خلال الشر باصل فطرته وقوته الناطقة العاقلة لان الشرائع اجاءه من قبل القوى الحيوانية التي
فيه وأما من حيث هو انسان فهو الى الخير وخاله اقرب والملك والسياسة انما كان له من حيث هو
انسان لانها خاصة للانسان لا للحيوان فاذن خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك اذا الخير
هو المناسب للسياسة وقد ذكرنا ان الجدل اصل ينبنى عليه وتحقق به حقيقة وهو العصبية والعشيرة
وفرع يتم وجوده ويكمل به وهو الخلال واذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لقروعه ومتماته وهي
الخلال لان وجوده دون متماته كوجود شخص مقطوع الاعضاء وظهوره عريانا بين الناس واذا كان
وجود العصبية فقط من غير احتمال الخلال المحيطة بقصافي اهل البيوت والاحساب فساظنك باهل الملك
الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وايضا فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد
لتنفيذ احكامه فيهم واحكام الله في خلقه وعبادته انما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع واحكام
البشر انما هي من الجهل والسيطان بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فانه فاعل للخير والشر معا ومقدرهما
اذ فاعل سواء فمن حصلت له العصبية الكفيلة بالقدرة وانست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ احكام
الله في خلقه فقد تهيا للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا البرهان اوثق من
الاول واصح مبني فقد تبين ان خلال الخير شاهدة بوجود الملك وان وجدت له العصبية فاذا نظرنا في اهل
العصبية ومن حصل لهم الغلب على كثير من النواحي والامم فوجدناهم يتناقصون في الخير وخلاله من
الكرم والعقود والزلات والاحتمال من غير القادر والقوى للضيوف وجل الكمل وكسب المعدم والصبر
على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء المحاملين
لها والوقوف عند ما يحدونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة
الدعاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانتقاد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف
المستضعفين من انفسهم والتمسك في احوالهم والانتقاد للحق والتواضع للساكنين واستماع شكوى
المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجافي عن الغدروا المكر والخديعة
وتنقض العهد وامثال ذلك علمنا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا اساسا لمن
تحت ايديهم او على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى اليهم مناسب لعصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم
ولا وجد عبثا منهم والملك انساب المراتب والخيرات لعصبيتهم فلهنا بذلك ان الله تآذن لهم بالملك وساقه
اليهم وبالعكس من ذلك اذا تآذن الله بانقراض الملك من امته جلهم على ارتكاب المذمومات وانقراض
الردائل وسلوك طرقها فتفقد القضايا السياسية منهم جملة ولا تزال في انتقاص الى أن يخرج الملك من
ايديهم ويتبدل به سواء هم ليكون نعياع عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك وجعل في ايديهم
من الخير واذا اردنا ان نعلم انهم اقرب الى الخير من انفسهم فلهنا بذلك ان الله تآذن لهم بالملك وساقه
وتبعه في الامم السابقة تجد كثيرا مما قلناه ورسمناه والله يخلق ما يشاء ويختار (واعلم) ان من خلال
الكمال التي يتنافس فيها القبائل اولو العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين
والاشراف واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل
وأهل العصبية والعشائر ينزههم في الشرف ويحاذيهم جبل العشيرة والعصبية ويشاريهم في اتساع
الجاه امر طبيعي يحمل عليه في الاكثر الرغبة في الجاه أو الخفاة من قوم المكرم او التماس مشاهدته وأما امثال

هو لاء

فتسلبني اياه وتعاقبني يدل عليه انه بدأ بالعمرة فقال وب اعقر لي وهب لي ملكا لا أعصيك

فيه فتواخذني والدليل على صحة هذا قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فكانه أجاب دعاه فقال تصرف كيف شئت

فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت اجرت وان امسكت فلا تبعه عليك فيه وهذا يخص سليمان بن داود عليه السلام ولم يخص به احدا من ولد آدم سواء لان الله تعالى قال للخلائق فوربك لنسألنهم اجمعين (٨٧) عما كانوا يعملون واما قوله لا ينبغي لاحد

من بعدى فعناه لا سلبه في باقي عمرى فيصير لغيرى كما سلبته فيما مضى من عمرى وقيل لا تسلط على فيه شيطان مثل الذي قد سلطت على وقيل انما سأل ذلك ليكون علما على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلما على مجزته وقال مقاتل كان سليمان بن داود ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدى تسخير الرياح والطير يدل عليه ما بعده وهو قوله تعالى فسخرناه الريح الى آخرا الآية وقيل ان سليمان كان ملكا في خاتمة ولهذا ذهب ملكه بذهاب خاتمة فقال لا ينبغي لاحد من بعدى يعني اجعل ملكي في نفسي لاقى خاتمي حتى لا يملكه احد غيري فان ابليس لما اخذ خاتم سليمان تحول ملك سليمان الى ابليس وقعد على كرسيه يحكم فيه حتى انكرت بنو اسرائيل احكامه وكان قد القى عليه شبهه (وقال) عمرو بن عثمان المكي انما اراد به ملك النفس

هو لا من ليس لهم عصية تتق ولا جاه يرتجى فيندفع الشك في شأن كرامتهم ويتعمد القصد فيهم انه للمجد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقباله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه وكرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للعلماء في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترغيب حتى تعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصيته انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد تآذن بوجودها فيهم لو جود علامتها وهذا كان اول ما يذهب من القليل اهل الملك اذا تآذن الله تعالى بسلب ملكهم وسلبانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رايته قد ذهب من امة من الامم فاعلم ان الفضايل قد اخذت في الذهاب عنهم وارتقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له والله تعالى اعلم

٢١ (فصل في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع)

وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواء هم ولاتهم يتبرلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهو لا يمثل العرب وفرائده ومن في معناهم من الاكراد والتركمان واهل الشام من صنهاجة وايضا فهو لا يمثل وحشون ليس لهم وطن يرتاقون منه ولا يديحون اليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلهذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما حاورهم من البلاد ولا يقفون عند حدود اقصاهم بل ينظرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكي في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما يوسع وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم بيدار الا على النجعة ولا يقوى عليه اهلها الا بذلك أين القراء المهاجرون عن موعد الله سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليطهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وجير كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة الى العراق والهند اخرى ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين من المغرب لما نزعوا الى الملك طرة وامن الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السوادان الى الاقليم الرابع والخامس في مال الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقا وابعد من مراكزها نهاية والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

٢٢ (فصل في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من عوده

الى شعب آخر منها مادامت لهم العصية)

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بدسورة التغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواء هم فيتعين منهم المباشرون للامر الحاملون لسرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المزاج والغيرة التي تجدد أنوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين أولئك القائلون بالدولة انفسوا في التعميم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعبدوا الخوانهم من ذلك الجبل وأنفقوهم في وجوه الدولة ومذاهبها وبقى الذين بعدوا عن الامر وكبحوا عن المشاركة في ظل من عز الدولة التي شاركوها بتسليمهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام واباد غرضهم المهرم فطبختهم الدولة وكل الدهر عليهم وشرب بما اوفى النعيم من حدهم واشتقت غريزة الترف من ما همم به وبلغوا غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي (شعر)

وقهر الهوى يدل عليه ما روى سليمان الشيباني قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ارايت سليمان وما آناه الله من ملكه فانه لم يرفع طرفه الى السماء تخشع الله تعالى حتى قبضه الله تعالى وزاد غيره انما اراد ملك النفس وقهره الله لا يقفتم بالملك ولهذا قدم

سؤال المغفرة على طالب المملكة وقال بعض الوعاظ انما اراد حتى انتقم لا دم من ابليس وذريته حيث كان سبيها في اخراجهم وذريته من الجنة (وروى) البخاري في صحيحه (٨٨) ان النبي عليه السلام قال ان عقر يتامن الجن جعل يتفلس على البارحة ليقطع على

صلاحي وان الله تعالى امكنني

منه فصبر عنه ولاقدهم من ان اربطه الى سارية من سوارى المسجد حتى يصبح فتظرون اليه كلكم فذكرت قول سليمان هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا (فان قيل) فما معنى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (قلت) يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك لا يعرف قدره أو امانة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه او اراد ابراز فضله جازله ان ينههم على مكانه وما يحسنه دفع الشر عن نفسه او اظهار الفضله فيجعل في مكانه وفيه فائدة أخرى وهو انه اذا رأى الامور في يد الخونة والاصوص ومن لا يؤدى الامانة ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جازله ان ينهه السلطان على امانته وكفايته ولهذا قال بعض العلماء من اصحاب الشافعي من كمل فيه الاجتهاد وشروط القضاء جازله ان ينهه السلطان على مكانه وخطية خطة القضاء وقال بعضهم بل يجب ذلك عليه

كردوا القر يذبح ثم يقنى * مركزه نسخة في الانعكاس كانت حيث عصبية الاخرين موفورة وسورة عليهم من الكاسر محفوظه وشارتهم في الغلب معلومة فتسبوا آملهم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصبيةهم وترفع المنازعة لما عرف من علمهم فيستولون على الامرو يصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضا منتبذا عنه من عشائر امهم فلا يزال الملك ملجأ في الامة الا ان تنكسر سورة العصبية منها او يقنى سائر عشائر هاسنة الله في الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للتيقن واعتبره ذاعا وقع في القرب لما انقرض الملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العمالة ومن بعدهم اخوانهم من جبر ومن بعدهم اخوانهم التابعة من جبر ايضا ومن بعدهم الانواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر وكذا الفر من لما انقرض امر السكينة ملك من بعدهم الساسانية حتى تأذن الله بانقرضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقرض امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقرض امره غراوة وكامة الملوك الاول منهم رجس الى صنهاجة ثم الملمين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه وأصل هذا كله انما يكون بالعصبية وهي متفاوتة في الاجيال والملك يخلقه الترف ويذهب به كما سذكه بعد فاذا انقرضت دولة فاعلم يتناول الامر منهم من له عصبية مشاركة لعصبيةهم التي عرف لها التسليم والانقياد واونس منها الغلب لجمع العصبية وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصبية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فينتج عن ذلك الجيل الى الجيل الذي يأذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمضر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا كبروا حين عنه احقبا

٢٣ * (فصل في ان المغلوب مولع ابدا بالاقنداء بالغالب في شعاره وزيه ونخلته وسائر احواله وعوائده) *

والسبب في ذلك ان النفس ابدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه اما بالنظر بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من ان انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو الكمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فانتقلت جميع مذاهب الغالب وتشتبهت به وذلك هو الاقتداء اول ما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وانما هو بما انتخلته من العوائد والمذاهب تغالط ايضا بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المغلوب يشتبه به ابدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الانباء مع آباءهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائما وما ذلك الا لاعتقادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زى الحماية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انه اذا كانت امة تتجاوز أخرى ولها الغلب عليها فيسرى اليهم من هذا التشبه والاقتداء حفظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد مع امة الخلافة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله وتأمل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من بابه اذا الملك غلب لمن تحت يده والرعية مقلدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الانباء بآباءهم والمتعلمين بعلمهم والله العالم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

٢٤ * (فصل في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء) *

الاسباب (الباب الخامس في فضل الولاية والقضاء اذا عدلوا) * اذا كان الامر في يدي من لا يقوم به قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى أقام السلطان في الارض يدفع القوى عن

الضعيف وينصف المظلوم من الظالم لاهلك القوى الضعيف وتواب الخافى بعضهم على بعض فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر لهم قرار فتفسد الارض ومن عليها ثم امتن الله تعالى على الخافى باقامة السلطان فقال تعالى (٨٩) ولكن الله ذو فضل على العالمين يعني في

اقامة السلطان فيأمن الناس به فيكون فضله على الظالم كفضله عن المظلوم وفضله على المظلوم كفضله عنه (وروى) أبو هريرة أن النبي عليه السلام قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يقطروا دموعه المظلوم (وروى) ان النبي عليه السلام قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجل انفق ما يملك لله تبارك وتعالى في سبيل الله ورجل دعه وقرع عليه ورجل دعه امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه (وروى) كثير بن مرة قال قال النبي عليه السلام السلطان ظل الله في ارضه يا وى اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر (وروى) أبو هريرة يرفع عنه قال اعلم الامام العادل في رعيته يوما افضل من عبادة العابد في اهله

والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاسل اذا مال امرها عليها وصارت بالاستعباد آله لسواها وعالة عليهم فيقصر الامل ويضعف التناسل والاعتماد انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاسل وذهب ما يدعوا اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب التحاصل عليهم تناقص عمراتهم وتلاشت مكاسبهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خضعوا له من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متغلب طمعة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك اؤلم يحصلوا وفيه والله اعلم سراً خروجه وان الانسان رئيس بطبعه مقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن سبع بطنه وري كبدته وهذا موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المقترسة وانها لا تساقدا اذا كانت في ملكة الا كدمين فلا يزال هذا القبيل المملوك عليه امره في تناقص واضمحلال الى ان يأخذهم الفناء والبقاء الله وحده واعتبر ذلك في امة القرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنت حامت في ايام العرب بقي منهم كثير واكثر من الكثير يقال ان سعاد احدى من وراء المدائن قبكتوا مائة الف وسبعة وثلاثين الفا منهم سبعة وثلاثون الفارب بيت ولما تحصوا في ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم الا قليلا وذرروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك اظلم نزل بهم او عدوان شملهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وانما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار آله لغيره ولهذا انما تدع للارق في الغالب اعم السود ان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من عرض الحيوانات الجحيم كما قلناه او من يرجو بانتظامه في رتبة الرق حصول رتبة وافادة مال او عز كما يقع لملك الترك بالشرق والعلاج من الحلالقة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما ياملونه من الجاه والرتبة باصطقاء الدولة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٥ (فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط) *

وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم ما مل اتهاب وعيت ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ويفرون الى منتجعهم بالفر ولا يذهبون الى المزاخفة والحاربة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل الممتنعة عليهم ياوعار الجبال بمنجاة من عيشهم وفسادهم لانهم لا يسمنون اليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر واما البسائط متى اقتدروا عليها باقتدار الحامية وضعت الدولة فهي فيهم طمعة لا كاهم يرددون عليها الغارة والنهب والزحف لسهولتها عليهم الا ان يصح اهلها مغالبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمراتهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا وب غيره

٢٦ (فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب) *

والسبب في ذلك انهم امة وحشية باستحسانهم عوائد التوحش واسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجملة وكان عندهم ملذوذ المساقية من الخروج عن رتبة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافقة للعمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومنافى له فالحجر مثلاً انما حاجتهم اليه لنصبه اثنافى للقدور فينقلونه من المياني ويخربونها عليه ويعدون له لذلك والخشب ايضا انما حاجتهم اليه لعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه لبيوتهم فيخربون

(١٢ - ابن خلدون)

مائة سنة اربعين سنة (وقال) قيس بن سعد ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته

ستين سنة (وروى) ابن سعد بن ابراهيم واباسمة بن عبد الرحمن ومحمد بن مصعب بن شرحبيل ومحمد بن صفوان قالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان

ابن زيد بن ثابت لقضاء يوم بالحق أفضل عند الله من صلاتك عمرك وستضع لك صحة هذه الاقوال اذا وقعت على ما نالت الرعية من
الصالح بصلاح السلطان (واعلم) (٩٠) أرشدك الله ان الانسان أعز جواهر الدنيا وأغلاها قدرا وأشرها منزلة وبالسلطان صلاح

الانسان اذا فهو أعز اطلاق
الدنيا واعمالها بركة ولذلك
خلق الله تعالى دارين
دار الدنيا ودار الآخرة
ثم لما كان السلطان صلاح
الدارين فخلق بشخص
يعم نفعه العباد والبلاد
ويصلح بصلاحه الدنيا
والآخرة أن يكون شرفه
عند الله عظيما كما كان
قدره في العقول جسيما
ومقامه عند الله كريما
كما كان نفعه عموما وعلى قدر
عموم المنفعة تشرف
الاعمال وعلى قدر النعمة
تكون المنفعة الاترى ان
الانبياء عليهم السلام أعم
خلق الله نفعهم أجل
خلق الله قدر الانهم تعاطوا
اصلاح الخلائق واخراجهم
من الظلمات الى النور
كذلك سلطان الله في
الارض هو خلافة النبوة
في اصلاح الخلائق
ودعائهم الى فناء الرحمن
واقامة دينهم وتقويم
أودهم وليس فوق السلطان
العاقل منزلة الانبي مرسل
أو ملك مقرب فالتخذه عظم
قدر السلطان عندك حجة
لله تعالى على نفسك وناصحه
على قدر ما نفعك وليس
نفعه مقصورا على
عجالة من حطام الدنيا

السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافقة لطلبه الذي هو أصل العمران هذا في حالهم على
العموم وأيضا فطبيعتهم ان تهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عندهم في أخذ
أموال الناس حديتهم الى بل كلما امتدت أعينهم الى مال او متاع او ماعون انتم بهوه فاذا تم اقتدارهم
على ذلك بالغلب والملك بطالت السياسة في حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضا فلاهم يتلقون على
أهل الاعمال من الصنائع والمخرف أعمالهم لا يرون لها قيمة ولا قسم طامن الاجر والتمن والاعمال كما
سند كره هي أصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الاعمال وصارت بحاجتنا ضعفت الأموال في المكاسب
وانقبضت الايدي عن العمل وابتدع السالكين وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالاحكام
وزجر الناس عن المفسد ودفاع بعضهم عن بعض انما هم ما يأخذونه من أموال الناس نهبا ومغرما
فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعدهم من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم
عن أغراض المفسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصا على تحصيل الفائدة والحماية والاستكثار
منها كما هو شأنهم وذلك ليس بمنع في دفع المفسد وزجر المتعرض له بل يكون ذلك زائدا في الاستسهال
الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر
مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم
الا بها وتقدم ذلك أول الفصل وأيضا فانهم متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان
اباه أو اخاه أو كبير عشيرته الا في الاقل وعلى كره من أجل الحياة فيتعبد الحكام منهم والامراء وتختلف
الايدي على الرعية في الحماية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الوافد على عبد الملك لما
سأله عن الحجاج وأراد البناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده وانظر الى ما ملكوه
وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبدلت الارض فيه غير
الارض فالين قرارهم خراب الا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس
اجمع والسام هذا العهد كذلك وافر يقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة
وعمر سوابها اثنا مائة وخمسين من السنين قد تمخض بها وعادت بساكنة خرابا كلها بعد ان كان ما بين السودان
والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من الممالك ومما قيل البناء وشواهد القرى والمدائن
والله يربث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٧ فصل في أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية أو اثر عظيم من الدين على الجملة
والسبب في ذلك أنهم لحاق التوحش الذي فيهم اصعب الاعمال انقياد بعضهم لبعض للعلظة والانفة وبعد
الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع أهواؤهم فاذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من
أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشعدهم من الدين
المذهب للعلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس فاذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على
القيام بأمر الله ويذهب عنهم مذمومات الاخلاق ويأخذهم بمحبه ودها ويؤلف كلهم لظاهر الحق تيم
اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اشنع الناس قبول الحق والهدى لسلامة طباعهم من
عوج الملكات وبراعتهم من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيب لقبول
الحق يربقائه على القطرة الاولى وبه عناية يطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات فان كل
مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

يحبوك بها وليكن صيانة جمعك وصيانة حريمك وحراسة مالك عن البغاة أعم نفعك ان عقلت وليس لله سلطان
الا وقد أخذ عليه شرائط العدل ومواثيق الانصاف وشرائع الاحسان وكما انه ليس فوق رتبة السلطان العادل رتبة كذا ليس دون رتبة

السلطان الشرير الجائر رتبة شرير لان شره يعم كما ان خير الاول يعم وكما ان بالسلطان العادل تصلح البلاد والعباد وتنال الزاقي الى الله تعالى والقوز بحنة المأوى كذلك بالسلطان الجائر تقصد البلاد والعباد وتقرق المعاصي والا^{٢٨} (٩١) وتورث دار البوار وذلك ان السلطان اذا عدل انتشر العدل في

رعيته فاقاموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم وازموا قوانين العدل ذات الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فارتفعت السماء غيثها واخرجت الارض بركتها ونمت تجارتهم وزكت ذرورهم وتناسلت انعامهم ودرت ارزاقهم ورخصت اسعارهم وامتلات اوصيتهم فواسي البخل وافضل الكريم وقضيت الحقوق واعيرت المواعين وتهادوا فصول الاطعمة والتحف فهان الخطام لكثرة وذل بعد عزه فتماسكت على الناس مروءاتهم وانحفظت عاينهم اديانهم وبهذا تبين لك ان الوالي ما جود على ما يتعاطاه من اقامة العدل وما جود على ما يتعاطاه الناس بسببه واذا جاز السلطان انتشار الجور في البلاد وعم العباد ففرقت اديانهم واضمحلت مروءاتهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت اماناتهم فضعت النفوس وقنطت القلوب فنعوا الحقوق وتعاطوا الباطل وبخسوا المسك والميزان وجوزوا

٢٨ * (فصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك)

والسبب في ذلك انهم اكثر بداعة من سائر الامم وابعد مجالا في القفر واغنى عن حاجات النول وحبو بها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لا يفهم ذلك وللتوحش ورثتهم يحتاج اليهم غالب العصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكهم وترك مرغتهم الا لا يخلت عليه شأن عصبية فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسته الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وازعيا بالقهر والالام تستقيم سياسته وايضا فان من طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذ ما في ايديهم وتركوها ما سوى ذلك من الاحكام بينهم ورهبما جعلوا العقوبات على المقاسد في الاموال حرصا على تسخير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعاور بما يكون باعنا بحسب الاغراض الباعثة على المقاسد واستهانة ما يعطى من ماله في جانب غرضه فتمموا المقاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الامة كأنها فوضى مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سر يعاشان الفوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية فمحو ذلك منهم وتجهل الوازع لهم من انفسهم وتحملاهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدواتهم في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المرعية الصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حيثما ملكهم وقوى سلطانهم كان رستم اذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول كل عمر كبدي يعلم السكالب الا داب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نهذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهه لو اشأن عصبية منهم مع اهل الدولة بعدهم عن الانقياد واعطاء النصف ففتوحوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما ذهب امر الخلافة وانحسرت رستمها انقطع الامر بجملة من ايديهم وغلب عليهم العجم دونهم واقاموا بادية في قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قديهم الجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامم في الخلافة ما كان لا جيلهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وجبر والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنى امة وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداعة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايتة الا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتي ملكه من يشاء

٢٩ * (فصل في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار)

قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البادية وانما توجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادهم معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم بالكلية من نجار وخياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الفلح وغيره وكذا الدنانير والدرهم موقودة لديهم وانما بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان او فضلاته البانوا وباروا شعرا واهابا يحتاج اليه اهل الامصار في عوضونهم عنه بالدنانير والدرهم الا ان حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والسكالي فهم محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فسادا موا في البادية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء على الامصار فهم محتاجون الى اهلها

الهم - رج فرقت منهم البركة وامسكت السهائم غيها ولم تخرج الارض ريعها ونباتها في ايديهم الخطام فقتلوا وامسكوا الفضل الموجود وتأجروا عن الحقود فنهوا الزكوات المقرضة ويخلوا بالامساك المستوفى قبضوا ايديهم عن المكارم وتنازعوا المقدار اللطيف

وتحتاج ذوا القدر الخسيس ففتشت فيهم الايمان الكاذبة والمختم في البيعة والخداع في المعاملة والمكر والمخيلة في القضاء والاقتضاء ولا يمنعهم من السرقة الا العار ومن (٩٢) الزنا الا الحياء فيظل أحدهم عاريا عن محاسن دينه ومتجر دأ عن جلباب عروته وأكثر

ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوههم الى ذلك وطالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في المصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهله على الباقيين والا انتقص عمرانه وذلك الرئس يحملهم على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعا به ذل المسال لهم ثم يبدى لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصره فيستقيم عمرانهم وأما كرها ان تمت قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر الباقيين الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مقارعة تلك النواحي الى جهات أخرى لان كل الجهات معزور بالبدو والذين غلبوا عليها ومنعواهم من غيرهم فلا يجدون لاهلها الا طاعة المصر فهم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

*(الفصل الثالث من الكتاب الاول في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب

السلطانية وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه قواعد ومتممات)*

١ *(فصل في ان الملك والدولة العامة انما يحصل بالقبيل والعصبية)*

وذلك اننا قررنا في الفصل الاول ان المغالبة والممانعة انما تكون بالعصبية لما فيها من النعمة والتداعر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه ثم ان الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذات النفسانية فيقع فيه التنافس غالباً وقل أن يسلمه أحد صاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى الحرب والقتال والمغالبة وشي منها لا يقع الا بالعصبية كما ذكرناه آنفاً وهذا الامر بعيد عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال امد مزياهم في الحضارة وتعاظم فيها جيل بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصبية في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله وما اتى اولهم من المتاعب دونه وخصوصاً اهل الاندلس في نسيان هذه العصبية واثرها لطول الامد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشى وطنهم وخلعوا من العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبي ونعم الوكيل

٢ *(فصل في انه اذا استقرت الدولة وتهديدت فقد تستغنى عن العصبية)*

والسبب في ذلك ان الدول العامة في اولها يصعب على النفوس الاتقياد لها لبقوة قومية من الغلب للغرابة وان الناس لم يألفوا ملكها ولا اعتادوه فاذا استقرت الرئاسة في اهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوارثوه واحد بعد آخر في اعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الاولية واستحكمت لاهل ذلك النصاب صبغة الرئاسة ورسخ في العقائد الذين الاتقياد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على امرهم قتالهم على العقائد الايمانية فلم يحتاجوا حينئذ في امرهم الى كبير عصاية بل كان طاعتها كتاب الله لا يبدل ولا يعلم خلافه ولا مراد يوضع الكلام في الامامة آخر الكلام على العقائد الايمانية كانه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المخصوصة اما بالموالي والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبية وغيرها واما بالعصائب الخارجين عن نسب الداخلين في ولايتهم ومثل هذا وقع لبني العباس فان عصبية العرب كانت قدست لعهده دولة المعتصم وابنه الواثق واستظهارهم بذلك انما كان بالموالي من العجم والترك والديلم والسلاجقة وغيرهم ثم تغلب العجم الاوائل على النواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصاروا الخلائق في حكمهم ثم انقرض

همه قوت دنياه اعظم مسرته من هذا الختام ومن عاش كذلك قبطن الارض خير له من ظاهرها (قال) وهب بن منبه اذا هم الوالي بالنجور او عمل به ادخل الله النقص في اهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته كذلك وقال عمر بن عبد العزيز يزهدك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة والخاصة هم الولاة وفي هذا المعنى قال الله سبحانه واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة (وقال) الوليد بن هشام ان الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه (وقال) سفيان الثوري لا يجمع فقر المتصوراني لاعلم رجل ان صلح صلحت الامة قال ومن هو قال انت (وقال) ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفا فيزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فلبت له قدر حلاب ثلاثين بقرة فعجب الملك لذلك وحدث نفسه باخذها فلما راحبت عليه من الغد حليت على النصف عما

حليت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها تنقص اذعت في غير مرعاها بالامس قال لا ولكن اظن ما ملككم باخذها امرهم فتنقص لئهم فان الملك اذا ظلم اوههم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الملك الله سبحانه في نفسه ان لا يأخذها فراحت من الغد فلبت حلابها

ثلاثين بقرة قتال الملك وعاهذ به لاعدلن فابقيت ومن المشهور في أرض المغرب ان السلطان بلغه ان امرأة لها حديد في القصب
المحو وان قصبة منها تصير قد حفرتم على أخذها منها ثم اتاهوا سألها عن ذلك (٩٣) فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم

تبلغ نصف قدح فقال لها
ابن الذي كان يقال فقالت
هو الذي بلغك الان
يكون السلطان قد عزم
على أخذها مني فارتفعت
بركتها قتال السلطان
وأخلص لله نية ان لا
ياخذها أبدا ثم أمرها
فعصرت فخامل القدح
وحدثني بعض الشيوخ
عن كان يروي الاخبار
بعض قال كان بعض مدبري
نخلة تحمل عشرة أرادب
تمرا ولم يكن في الزمان نخلة
تحمّل نصف ذلك فغصنها
السلطان فلم تحمّل في ذلك
العام شيئا ولا ثمرة واحدة
(قال) شيخنا رحمه الله قال
لي شيخ من أشياخ الصعيد
أعرف هذه النخلة في
الغربية تحمّل عشرة أرادب
سنتين وبعدها كان صاحبها
يبيعها في سنين الغلاء كل
ويعتد ينار (قال) الشيخ
رضي الله عنه وشهدت أنا
بالاسكندرية والصيد في
الخليج مطلقا للرعبة
والسمك فيه يغلي الماء به
كثرة ويصيده الاطلاق
بالخرق ثم حفره الوالي
ومنع الناس من صيده
فذهب السمك حتى لا يكاد
يرى فيه الا الواحدة الى
يومنا هذا وهكذا تعدي

أمرهم ومالك السليمانية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقرض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة
ومحو رسم الدولة وكذا ص. نهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة أو ما قبلها واستمرت لهم
الدولة منقصة الظل بالمهدية وبجاية والقائمة وسائر ثغور إفريقية وربما اتتري بتلك الثغور ومن نازعهم
الملك واعتصم فيها والسلطان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تأذن الله بانقرض الدولة وجاء الموحدون بقوة
قوية من العصبية في المصامدة فمحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالاندلس فسدت عصبيتها من العرب
استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا على الدولة واتتري كل
واحد منهم على ما كان في ولايته وشجع بانه وببلغهم شأن العجم مع الدولة العباسية فلقبوا باللقاب الملك
واسوا اشارته وأمنوا من ينقض ذلك عليهم أو يغيره لان الاندلس ليس بدار صائب ولا قبائل كما سذكره
واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف

عما يرهني في أرض اندلس * أسماء معتصم فيها ومعتصم

القباب ملكة في غير موضعها * كالمريحي انتفاخ صورة الاسد

فاستظهروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطوائف على الاندلس من أهل العدو من قبائل البربر وزناتة
وغيرهم اقتداء بالدولة في آخر أمرها في الاستظهار بهم حين ضعفت عصبية العرب واستبد ابن أبي عامر على
الدولة فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد منهم بجانب من الاندلس وحظ كبير من المال على نسبة
الدولة التي اقتسموها ولم يزلوا في سلطانهم ذلك حتى جاز اليهم البحر المراتبون أهل العصبية القوية من
المثونة فاستبدوا بهم وأزالوهم عن مراكزهم ومحو آثارهم ولم يقدروا على مدافعهم لفقدهم العصبية لديهم
فبهذه العصبية يكون تمهيد الدولة وحمايتهم من أولها وقد ظن الطرموشي أن حامية الدولة باطلاقهم
الحمد أهل العطاء المفروض مع الأهل ذكرك في كتابه الذي سماه سراج الملوك وكلامه لا يتناول
تأسيس الدول العامة في أولها وانما هو مخصوص بالدول الأخيرة بعد التمهيد واستقرار الملك في النصاب
واستحكام الصبغة لاهله فالرجل انما أدرك الدولة عند هزمها وخلق جدتها ورجوعها الى الاستظهار
بالموالي والصنائع ثم الى المستخدمين من ورائهم بالاجرة على المدافعة فانه انما أدرك دول الطوائف وذلك
عند اختلال دولة بني أمية وانقرض عصبيتها من العرب واستبداد كل أمير بقطره وكان في انالة المستعين
ابن هود وبنه المظفر أهل سرقة ولم يكن بقي لهم من أمر العصبية شيء لاستيلاء الترف على العرب منذ
ثلاثمائة من السنين وملا بهم ولم ير الا سلاطنا استبدوا بالملك عن مشائره قد استحكمت له صبغة الاستبداد
منذ عهد الدولة وبقيت العصبية فهو لذلك لا يتنازع فيه ويستعين على آخره بالاجرة من المرتزقة فأطلق
الطرموشي القول في ذلك ولم ينفطن لكيفية الأمر منذ أول الدولة وأنه لا يتم الا لاهل العصبية فتعطل
انت له واقهرهم شر الله فيه والله يؤتي ملكه من يشاء

٣ * (فصل في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغنى عن العصبية)

وذلك انه اذا كان لعصبية غالب كثير على الامم والاجيال وفي نفوس القاطنين بأمره من أهل القاصية اذعان
لهم واتباع فاذنزع اليهم هذا الخارج وانتدع من مقر ملكه ومنبت عزه اشتعلوا عليه وقاموا بأمره وظاهروه
على شأنه وعزوا بتمهيد دولته يرجون استقراره في نصابه وتناوله الامر من يد أعياصه وجرأه لهم على
مظاهرة باصطفاهم لرتب المال وخططه من وزارة او قيادة او ولاية تغربوا لا يطعمون في مشاركتهم في شيء
من سلطانه تسليم العصبية واتباعه استحكم له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقب هذه ايمانية

سراثر الملوك وعزائمهم ومكنونهم مما أثرهم الى الرعية ان خير الخيرو ان شرافهم (وزوي) اصحاب التواضع في كتبهم قالوا كان الناس
اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساقطون من قتل المباحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع

واختارهم صانع فكان الناس يتساءلون في زمانه من البنيان والصانع والضياغ وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك وكان صاحب نيكاح (٩٤) وطعام فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الدقيقة ويتوسعون في الانكحة والسراري

ويعمرون مجالسهم بذلك ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم يحفظ من القرآن وكم وردك في كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم تصوم من الشهر وامثال ذلك

(الباب السادس في ان السلطان مع وعيته مغبون غير غاب وخاسر غير راجح) اعلم والارشادكم الله ان السلطان خطره عظيم وبلية عامة وقد يطرقة من الافات ويحتوشه من الامور والمهلكات ما يجب على كل ذي لب ان يستعين بالله عما حله ويشكره على ما عصمه لانه اذا فكره ولا تسكن خواطره ولا يصفو قلبه ولا يستقر له الخلق في شغل عنه وهو مشغول بهم والرجل يخاف عدوا واحدا وهو يخاف ألف عدو والرجل يضيق بتدبير اهل بيته وانا لله ضيعته وتقدير معيشته وهو مدقوع لسياسة جميع اهل ملكته وكلما ارتقى فقامت حواشي ملكته انفق آخروا كما ردم منها شعرات آخروا كما قمع عدوا وارضده اعداء

استقرت في الاذهان اهلهم فلو راموها معه اودونه لزلزلت الارض وزلزالها وهذا كما وقع للادارية بالمغرب الاقصى والعبيد بين بافر يقية ومصر لما اتقن الطالبيون من المشرق الى القاصية وابتعدوا عن مقر الخلافة وسعوا الى طلم امين ايدي بني العباس بعد ان استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني امية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البرابرة مرة بعد اخرى فأوربة ومغيلة للادارية وكامة وصنهاجة وهوارق للعبيدين فشيروا دولتهم ومهدوا بعصائهم امرهم واقطعوا من مال الملك العباس بن المغرب كله ثم افر يقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين يمتد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الامالك الاسلامية شق الابلقة وهؤلاء البرابرة القائلون بالدولة مع ذلك كله مسلمون للعبيدين امرهم مدعونون لملكهم وانما كانوا يتنافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليماً لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما استحكم من الغلب لقر يش ومضهم على سائر الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى ان انقرضت دولة العرب بأسرها والله يحكم لامعقب الحكمة

٤ (فصل في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين الما من نبوة او دعوة حق)

وذلك لان الملك انما يحصل بالغلب والتغلب انما يكون بالعصية والتفك في الهوا على المطالبة وجمع القلوب وتاليفها انما يكون بدعوة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو انفق ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم وسره ان القلوب اذا تداعت الى اهواء الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرف الى الحق ورفضت الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين للبعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لارب سواه

٥ (فصل في ان الدعوة الدينية تزيده الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من مدد)

السبب في ذلك كما قدمنا ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتقرده الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطالب متساوية عندهم وهم مستمعون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لنقمة الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويهاجلهم القناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين الفا في كل معسكر وجوع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجوع هرقل على ما قاله الواقدي اربع مائة ألف فلم يقف للعرب احد من الجانيين وهزموا وهم وغلبوا هم على ما بأيديهم واعتبر ذلك ايضا في دولة المتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير من يقاومهم في العدد والعصية او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعتبر ذلك اذا حلت صبغة الدين وفسدت كيف ينقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصاب المكافحة لها او الزائدة القوة عليهم الذين غلبتهم ضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا اكثر عصبية منها واشد بداءة واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدي من المصامدة واشد توحشا وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي فليسوا بصيغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم بها فغلبوا على زناتة ولا واستبجعوهم وان كانوا من حيث العصبية والبداءة أشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انقضت

الى سائر ما يعانيه من اخلاق الناس ويقاسيه من خصوماته ونصب الولاة والقضاة وبعث الجيوش وسد الثغور واستجلاء الاموال ودفع المظالم ثم من الخجب الحجاب ان له نفسا واحدة وانه يرزأ من الدنيا قوتها كما يرزأ احد الرعايا ثم يسأل عن دافق

جميعهم ولا يسألون عنه في الله ولا للعجب من رجل رضى ان ينال رغباً ويحاسب منها على آ لاف آ لاف رغباً ويا كل في معنى واحد
ويحاسب على آ لاف آ لاف معنى ويستمتع بنفس واحدة ويحاسب على آ لاف (٩٥) آ لاف من الانفس وعلى هذا النمط

في جميع احواله يخمل
انقالمهم ويربح أسرارهم
ويجاهد عدوهم ويسد
ثغورهم ويدافع مناوئهم
ومناصبيهم ويعصى ربه
فيهم ويخالف أمره ويركب
نهيهم من أجلهم ويقسم
جرائم جهنم على بصيرة فيهم
ثم تجددهم له قلوباً وعنه غير
راضين ولولا ان الله تعالى
يحول بين المرء وقلبه لم
يرض عاقلاً بهذه منزلة ولا
اختارها لبيب مرتبة وكل
ما ذكرته في هذا الباب
أحكمه النبي عليه
السلام في كلمة فقال
مالكم ولا عرائي لكم صفو
أمرهم وعليهم كدرهم ومثال
السلطان مع الرعية
كالطباخ مع الأكلة العناء
ولهم المناء وله الحار ولهم القار
طلب لقومه الراحة فحصل
على التعب وطلب لهم النعيم
فاخطأ الصراط المستقيم
وعن هذا قالوا سيد القوم
أشقاؤهم وفي الحديث ساقى
القوم آخرهم شراباً وكان
بعض سلاطين المغرب يستتر
بوماً بين يديه لوزراءه
نظر إلى جماعة من التجار
فقال لوزيره اتحب ان
أريك ثلاث طوائف
طائفة لهم الدنيا والآخرة
وطائفة لا دنيا ولا آخرة

عليهم زناثة من كل جانب وغابوهم على الامور واترعوهم منهم والله غالب على امره

٦ * (فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم) *

وهذا لما قدمناه من أن كل أمر تحمل عليه الكافة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر باعثة
الله نبيا لا في منعة من قومه واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بخرق العوائد فاطنك بغيرهم
ان لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع
النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعيا إلى الحق وسمى أصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له
الامر قليلا لشغل بالتونة عادهمهم من أمر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شأنه
فلم يلبث حين استولى الموحدون على المغرب أن أذن لهم ودخل في دعوتهم وتابوهم من معقله بمحضر
اركنش وأما كنهم من تغره وكان أول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين ومن هذا الباب
احوال الثوار القائلين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثير من المنتهين للعبادة وسلك طرق الدين
يذهبون إلى القيام على أهل الجور من الامراء داعين إلى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
الثواب عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتشبهون بهم من الغوغاء والدهماء يعرضون أنفسهم في ذلك
للمهالك وأكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين لان الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم
وانما أمر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا المطالبة
القوية التي من ورائها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام
في دعوتهم إلى الله بالعشائر والعصائب وهم المأثرون من الله بالكون كله لو شاء لكانت أمم أخرى الامور
على مستقر العادة والله حكيم عالم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محققا صريحا بالانفراد
عن العصبية فطاح في هوة الهلاك وأما ان كان من المتلبسين بذلك في طلب الرئاسة فاجدر ان تعوقه
العوائق وتقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه واعاقته والاخلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك
في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة وأول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل
الامين وابطال المأمون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لعل بن موسى الرضامن آل الحسين فكشف بنو
العباس عن وجهه النكير عليه وتداعوا للقيام وخلع طاعة المأمون والاستبدال منه وبويع ابراهيم بن
المهدي فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بها من الشطار والحريية على أهل العافية والصون
وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من تهاب الناس وباعوها علانية في الأسواق واستعدى أهلها الحكم
فلم يقدروهم فتوافر أهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديتهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد
الدريوس ودعا الناس إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فأجابته خلق وقاتل أهل الزعرة فغلبهم واطلق
يده فيهم بالضرب والتكيد ثم قام من بعده رجل آخر من سواد أهل بغداد يعرف بسهل بن سلامة
الانصاري ويكنى ابا حاتم وعاقب مصحفا في عنقه ودعا الناس إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل
بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لم قاتلته كافة الناس من بين شريف ووضيع من بني هاشم فمن
دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد وجمع كل من أخاف المارة ومنع الخفاوة لاولئك
الشطار وقال له خالد الدرريوس اننا لا أعيب على السلطان فقال له سهل لئكني اقاتل كل من خالف الكتاب
والسنة كائن من كان وذلك سنة اخدي وماثنين وجهز له ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه وأسره وانحل

وطائفة دنيا بلا آخرة قال وكيف ذلك أيها الملك فقال الذين لهم الدنيا والآخرة هؤلاء التجار يكسبون أقواتهم ويصلون صلاتهم ولا
يؤذون أحدا وأما الذين لا دنيا ولا آخرة فهم هؤلاء الشرط والخدمة الذين بين أيدينا وأما الذين لهم دنيا بلا آخرة فاباؤنا وانت وسائر السلاطين

فحق على جميع الورى أن يدعوا السلطان بالناصية ويخضوه بالدعوات ويعينوه على سائر المحاولات ويكونوا له أمينا ناظرة وأيديا
باطشة وجنتا واقية والسنة (٩٦) نامقة وقوادم تمنضه وقواثم تقله وهيئات منه السلامة وأنى له بالسلامة وعن

هذا قال بعض السلاطين
يوما لأصحابه أعلموا أن
السلطان والجنة لا يجتمعان
(قال) شيخنا رحمه الله
وحدثني رجل له قدر قال
أرسل إلى السلطان أن
طابق امرأتك وكان قد
أرادها لبعض أصحابه
فايت ذلك وراجعت
الرسول غير مرة فقال لي ناصح
منهم خذ الأمر قبل أن يذهب
حيلة لك فإن السلطان لا
يخاف في الدنيا عارا ولا في
الآخرة نارا ففارقها
(وروي) عن عبد الملك
ابن مروان أنه لما ولي
الخليفة أخذ المصحف
فوضعه في حجره ثم قال هذا
فراق بيني وبينك ولما حج
هرون الرشيد لقيه عبد
الله العمري في الطواف
فقال له يا هرون قال لي
يا عم قال كم ترى ههنا من
الخناق قال لا يحصيهم إلا
الله فقال أعلم أيها الرجل
أن كل واحد منهم يسأل
من خاصة نفسه وأنت واحد
تسأل عنهم كأنهم قناظر
كيف تكون فيكي هرون
وجلس ففعلوا ببطونه
منديلا منديلا لدموع
ثم قال له والله أن الرجل
ليسرع في مال نفسه فيستحق
أن يحرق عليه فكيف بمن أسرع
في مال المسلمين ويقال أن هرون كان يقول والله أني أحب أن أجمع كل سنة وما يعني الرجل من

أمره سرعا وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين يأخذون أنفسهم بأقامة الحق
ولا يعرفون ما يحتاجون إليه في أقامته من العصبية ولا يشعرون بمغربة أمرهم وما آل أحوالهم والذي
يحتاج إليه في أمر هؤلاء المداواة أن كانوا من أهل الجنون وأما التنكيل بالقتل أو الضرب أن أحدثوا
هرجا وأما إذا علة السخرية منهم وعدهم من جملة الصقاعين وقد يتسبب بعضهم إلى الفاطمي المنتظرا ما
بأنه هو أو بأنه داع له وليس مع ذلك على علم من أمر الفاطمي ولما هووا أكثر المتخيلين مثل هذا تجدهم
موسوسين أو مجانين أو ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلاث بها جوارحهم وعجزوا عن
التوصل إليها بشئ من أسبابها العادية فيحسبون أن هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يؤملونه من ذلك
ولا يحسبون ما به الأهم فيه من الملامكة فيسرع إليهم القتل بما يجدونه من الفتنة وتسوء عاقبة مكرهم وقد
كان لأول هذه الماشاة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التوبذري عمد إلى مسجد ماسة بساحل
البحر هنالك وزعم أنه الفاطمي المنتظر تليسا على العامة هنالك بما لا يفلو بهم من الخدثان بانتظاره
هنالك وأن من ذلك المسجد يكون أصل دعوته فتهاقت عليه طوائف من عامة البربر تهافت القراش
ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق الفتنة فسدس إليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكس يوى من قتله في فراشه
وكذلك خرج في غمارة أيضا لأول هذه الماشاة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبعه نعيقه
الأردلون من سفهاء تلك القبائل وغمارهم وزحف إلى بادس من أمصارهم ودخلها عنوة ثم قتل أربعين
يوما من ظهور دعوته ومضى في الهالكين الأولين وأمثال ذلك كثير والغلط فيه من الغفلة عن اعتبار
العصبة في مثلها وأما أن كان التليسا فأحرى أن لا يتم له أمر وان يومئذ به وذلك جزاء الظالمين والله
سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب غيرهم ولا معبود سواه

v (فصل في أن كل دولة لها حصّة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها) *

والسبب في ذلك أن عصاية الدولة وقومها القائمين بها الممهدين لها الأبد من توزيعهم حصصا على الممالك
والثغور التي تصير إليهم ويستولون عليها كما يتها من العدو وأما حكام الدولة فيهم من جباية ووزع وغير
ذلك فإذا توزعت العصائب كلهم على الثغور والممالك فلا بد من نقاد عددهم وقد بلغت الممالك حينئذ
إلى حد يكون تغر الدولة وتحمها لوطنها ونطاقا لمركز مديتها فان تكلفت الدولة بعد ذلك زيادة على
ما يدها بقي دون حامية وكان موضعها لا تنهار الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على الدولة بما
يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهيبة وما كانت العصاية وفورة ولم ينقدهم في توزيع الحصص
على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء العساية حتى ينفتح نطاقها إلى غاية والغلبة
الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الأفعال فشأنها
ذلك في فعلها والدولة في مركزها الشدما يكون في الطرف والنطاق وإذا انتهت إلى النطاق الذي هو الغاية
عجزت وأقصرت عما وراءه شأن الأشعة والأوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنفصلة على سطح الماء
من القرب عليه ثم إذا أدركها الهرم والضعف فأنما تأخذ في التناقص من جهة الأطراف ولا يزال المركز
محفوظا إلى أن يتأذن الله بانقراض الأبرجلة فيتمثلكون انقراض المركز وإذا غلب على الدولة من مركزها
فلا يبق لها بقاء الأطراف والنطاق بل تصحل لوقتها فان المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فإذا غلب
القلب وماتت انهم جميع الأطراف وانظر هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المداث فلما غلب المسلمون
على المداث انقراض أعراف فارس أجمع ولم ينفع يزدجرد ما بقي بشده من أطراف ممالكه وبالعكس من ذلك

الدولة
في مال المسلمين ويقال أن هرون كان يقول والله أني أحب أن أجمع كل سنة وما يعني الرجل من
ولده عن يميني ما أكره وقال مالك بن دينار قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى من أجمع من السلطان ومن أجهل من عصاني

ومن أعز من اعترني ايا راعي السوء دفعت اليك غنما سمانا صحاحا فاكات اللحم وشربت اللبن واثنت ستمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاما تعلق ولم تأوا الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم لها منك (٧٩) (الباب السابع في بيان الحكمة في كون

السلطان في الارض) *
اعلموا ارشدكم الله ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة ونعمة على العباد خريفة لان الله سبحانه جيل الخلق على حب الانتصاف وعدم الانصاف ومثلهم بلا سلطان مثل الحمتان في البحر نزلوا الكبر الصغير فقي لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم معاش ولم يهتوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لورفع السلطان من الارض ما كان لله في اهل الارض من حاجة ومن الحكم التي في اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيدده لانه كما لا يمكن استقامة امور العالم واعتداله بغير مدبر يتفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة ودقائق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم والعالم بأسره في سلطان الله تعالى كالمبدأ الواحد في يدي سلطان الارض ولهذا قال علي بن ابي طالب

الدولة الرومية بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبهم المسلمون بالشام تخرجوا الى مركزهم بالقسطنطينية ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلا بها الى أن تأذن الله بانقراضه وانظر ايضا شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم وفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من الهند والحشة وافريقية والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصا على الممالك والشعور ونزلوها حامية ونقد عددهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعدوانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز تلك الحدود ومنه تراجمت الدولة حتى تأذن الله بانقراضها وكذا كان حال الدول من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائمين بها في القلعة والكثرة وعند نقاد عددهم بالتوزيع ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

٨ (فصل في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها في القلعة والكثرة) *

والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصبة واهل العصبة هم الحامية الذين ينزلون بممالك الدولة واقطارها وينقسمون عليها فاما كان من الدولة العامة قبائلها واهل عصابتها أكثر كانت أقوى وأكثر عمالك وأوطانها وكان ملكها اوسع لذلك واعتبر بذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة ألف وعشرة آلاف من مضر وقحطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا والطلب ما في أيدي الامم من الملك لم يكن دونه جي ولاوزر فاستبجى فارس والروم اهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالشرق والافرنجة والبربر بالغرب والقوط بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك بأقصى الشمال واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صفهاجة والموحدين مع العبيديين قبلهم لما كان قبيل كامة القائمين بدولة العبيديين أكثر من صفهاجة ومن المصامدة كانت دواتهم أعظم فلكوا افريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان عددهم أقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد زناتة بنى مرين وبنى عبد الواد لما كان عدد بنى مرين لاول ملكهم أكثر من بنى عبد الواد كانت دواتهم أقوى منها وأوسع نطاقا وكان اهم عليهم الغلب مرة بعد اخرى يقال ان عدد بنى مرين لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بنى عبد الواد كانوا ألفا الا ان الدولة بالرقة وكثرة التابع كثرت من أعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الملك يكون اتساع الدولة وقوتها وأما طول امدها ايضا فلي تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصبة فاذا كانت العصبة قوية كان المزاج تابعا لها وكان امدها عمر طويلا والعصبة انما هي بكثرة العدد وفورته كما قلناه والسبب الصحيح في ذلك ان النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت بمالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بقص وزمان فيكون امدها طويلا وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها أطول الدول لابن العباس اهل المركز ولا بنو أمية المستبدون بالاندلس ولم ينقص امر جميعهم الا بعد الاربع مائة من الهجرة ودولة الغيب يدين كان امدها قرير بمان مائتين وثمانين سنة ودولة صفهاجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة امرا فريقية ليلكن بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة الى حين استيلاء الموحدين على القلعة وبجاية ثمانية سبع وخمسين وخمسمائة ودولة

(١٣ - ابن خلدون) رضي الله عنه امر ان جليلان لا يصلح احدهما بالتفرد ولا يصلح الاخر بالمشاركة وهما الملك والرأي فيكما لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الرأي بالتفرد وهو مثال السلطان القاهر لرعيته والرعية في مثل بيت فيه سراج منير

وحوله فثام من الخلق يعالجون صنائعهم فيبينهاهم كذلك طغى السراج فقبضوا أيديهم للوقت وتطل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وشخص الهام الخسيس (٩٨) فذبت العقرب من مكمنها وقسقت القارة من حجرها وخرجت الحية من معدنها وجاء الالص بحيلته وماج البرغوث مع حقارته فتعطت المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك اذا كان قاهرا راعيته كانت المنفعة به عامة وكانت الدماء في أهلها محقونة والحرم في خدورها مصونة والأسواق عامرة والأموال مخروسة والحيوان الفاضل ظاهر والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من أهل القسوق والدعارة خامل واذا احتل أمر السلطان دخل الفساد على الجميع ولو جعل ظلم الناس حولا في كفة كان هرج ساعة أعظم وارجح من ظلم السلطان حولا وكيف لا وفي زوال السلطان أضعف شوكتة سوق أهل الشر ومكسب الاجناد ونفاق أهل العبارة والسوقة والاصوص والمناجبة وقال الفضيل جورستين سنة خيرة من هرج سنة ولا يتجنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتجنى كل محدور فيحقق على كل رعية ان ترغب الى الله تعالى في اصلاح السلطان وان تبذل له نصحه وتخصه بصالح دعاها فان في صلاحه صلاح العباد والبلاذ في فساد

الموحدين لهذا العهد تناهز ما تئين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في أعمارها على نسبة القائمين بها سنة الله التي قد خلت في عباده

٩ (فصل في أن الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة)

والسبب في ذلك اختلاف الراء والاهواء وان وراء كل رأى منها وهوى عصبية متمانع دونها فيكثر الانتقاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية من تحت يدها تظن في نفسها متمعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بأفريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر أهل قبائل وعصبيات فلم يكن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن أبي سرح عليهم وعلى الافرنجية شيئا وعادوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بيد الخوارج مرات عديدة قال ابن أبي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فبا بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمران افريقية مفرقة لقلوب أهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحاملة لهم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتها من فارس والروم والكافة دماء أهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامروا تنزعوه من أيديهم لم يبق فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تحصى وكلهم بادية وأهل عصائب وعشائر وكلهم ملكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال أمر العرب في تهديد الدولة بوطان افريقية والمغرب وكذلك كان الأمر بالشام لعهد بني اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبنو عيصو وبنو مدين وبنو لوط والروم ويونان والعمالقة واكر يش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثرة وتنوعا في العصبية فصعب على بني اسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ أمرهم واضطرب عليهم الملك مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم ملك موطن سائر ايامهم الى أن غلبهم الفرس ثم يونان ثم الروم آخر أمرهم عند الجلاء والله غالب على أمره وبمعكس هذا ايضا الاوطان الخالية من العصبية تسهل تهديد الدولة فيها ويكون سلطانها وازعالة الهزج والانتقاض ولا تحتاج الدولة فيها الى كثير من العصبية كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي تحلوم من القبائل والعصبيات كان لم يكن الشام معدنا لهم كما قلناه فلك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلة الخوارج وأهل العصائب انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائبهم يغلبون على الامروا حادبا بعد واحد وينتقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسي من أعقاب الخلفاء ببغداد وكذا شأن الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاجر سلطانها لم تكن لاول دولتهم بقوية ولا كانت كرات انما يكون أهل بيت من بيوت العرب أهل الدولة الاموية بقوام ذلك القلة وذلك أن أهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من ملوثة والموحدون ستموا ملكتهم وثقات وطأتهم عليهم فأشربت القلوب بغضاهم وأمكن الموحدون والسادة في آخر الدولة كثير من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على شأنهم من تلك الحضرة مرا كش فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبية القديمة معادن من بيوت العرب تجافي بهم المنبت عن الحضرة والامصار بعض الشيء ورشحوا في العصبية مثل ابن هود وابن الاجر وابن مردنيش وأمثالهم فقام ابن هود بالامرو ودعا بدعوة الخلافة العباسية بالمشرق وجعل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد وأخرجوهم واستقل ابن هود بالامرو بالاندلس

فساد العباد والبلاذ وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فاكثر واجد الله تعالى وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بناتامكم واقبوا عذر السلطان لا تشار الامور عليه

فساد العباد والبلاذ وكان العلماء يقولون اذا استقامت لكم أمور السلطان فاكثر واجد الله تعالى وشكره وان جاءكم منه ما تكرهون وجهوه الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بناتامكم واقبوا عذر السلطان لا تشار الامور عليه

وكثرة ما يكابد من ضبط جوانب الامانة واستئلاف الاعداء وارضاء الاولياء وقلة الناصح وكثرة اللدائس والطامع وفي كتاب التاج هموم الناس صغار وهموم الملوك كبار وابواب الملوك مشغولة بكل شيء وابواب السوقة (٩٩) مشغولة بمرشئ والجاهل منهم يعذر نفسه مع ما هو عليه من

ثم سمع ابن الاجر للامر وخالف ابن هود في دعوته فدعا هؤلاء لابن أبي حفص صاحب افرقية من الموحدين وقام بالامر وتناوله بعصاة قليلة من قرابته كانوا يسمون الرؤساء ولم يحتج لاكثر منهم لقلة العصابات بالاندلس وانها سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يجير اليه البحر من اعياص زناتة فصار واما معه عصبة على المناغرة والرباط ثم سمع صاحب المغرب من ملوك زناتة امل في الاستيلاء على الاندلس فصار اولئك الاعياص عصاة ابن الاجر على الامتناع منه الى ان تأمل امره ورسخ واقفه النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه اعداؤه لهذا العهد فلا تظن انه بغير عصاة قليلين كذلك وقد كان مبدؤه بعصاة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان قطر الاندلس لقلة العصابات والقبائل فيه يغني عن كثرة العصابة في التغلب عليهم والله غني عن العالمين

١٠ (فصل في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد)

وذلك ان الملك كما قدمناه انما هو بالعصبة والعصبة متألقة من عصابات كثيرة تكون واحدة منها اقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عايمها حتى تصير هاجمية في ضمها وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسره ان العصبة العامة للقبيل هي مثل المزاج للتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر اذا اجتمعت من كثرة فلا يقع منها مزاج اصلا بل لا بد ان تكون واحدة منها هي الغالبة على الكل حتى تجمعها وتولقها وتصير هاجمية واحدة شاملة لجميع العصابات وهي موجودة في ضمها وتلك العصبة الكبرى انما تكون لقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد ان يكون واحد منهم رئيسا لهم غالبا عليهم فيتمتعون برئيسية العصابات كلها الغلب مننته لجمعها واذا تعين له ذلك من الطبيعة الحيوانية خاق الكبر والانفة فيانف حينئذ من المساهمة والمشاركة في استتباعهم والتحكم فيهم ويحجب الخلق الناله الذي في طباع البشر مع ما تقتضيه السياسة من انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكماء لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فوجد حينئذ ذنوف العصابات ويفلج شكائهم عن ان يسموا الى مشاركة في التحكم وتقرع عصبيتهم عن ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جلا فينفرد بذلك الجحد بكائيه ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك الاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا الثاني والثالث على قدر عناية العصابات وقوتها الا انه امر لا يدمنه في الدول سنة الله التي قد خلت في عبادهم والله تعالى اعلم

١١ (فصل في ان من طبيعة الملك الترف)

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملك ما يابى ادى اهل الملك قبلها كثير ياشمونها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتهم الى نوافله ورقته وزينتته ويذهبون الى اتباع من قبلهم في عوائدهم واحوالهم وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والاثنية ويتفخرون في ذلك ويفخرون فيه غيرهم من الامة في كل الطبب ولبس الانبي ورؤس كواب القار ويناغي خافهم في ذلك سلفهم الى آخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها وعوائدها من قبلها سنة الله في خلقه والله تعالى اعلم

١٢ (فصل في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون)

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غاية التغلب والمالك واذا حصلت الغاية انقضت

نفسه مع ما هو عليه من الراحة ولا يعذر سلطانه مع شدة ما هو عليه من المؤنة ومن هناك يعز الله سلطانه ويرشده وينصره وعن هذا قالت حكماء العجم لا تستوطنن الا بلدا فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائمة ومطيب عالم ونهر جار

(الباب الثامن في منافع السلطان ومضاره) (قال) حكماء العرب والعجم مثل مضار السلطان في جنب منافعها مثل الغيث الذي هو سقى الله تعالى وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافرون يتداعى له البنيان وتكون فيه الصواعق وتدرس بيوله فتهاك الناس والدواب والذخائر ويوج له البحر فتشتد بليته على اهله ولا يمنع ذلك الخلق اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي احياها والنبات الذي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظم موارجة ربهم ويشكروها ويلعوا ذكر خواص الاذية التي دخلت على خواص الخلق (ومثاله)

ايضا مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى نشر ابرين يدي رحمة فيسوق بها المحارب ويجعلها القاحل الثمرات ورواحا للعباد ويتعمدون منها ويتقلبون فيها وتجري بها مياههم وتقدبها نيرانهم وتسير بها في النجاة فلا كهم وقد تضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم وتخلص الى انفسهم فيشكروها الشاكرون

وقد يتأذى بها كثير من الناس ولا يزيلها ذلك عن منزلتها من قوام عبادته وتتمام نعمته (ومثاله) أيضا مثال الشتاء والصيف اللذين جعل الله حرهما وبردهما صلاحا (١٠٠) للحرث والنسل وتناجى للحب والثمر يحصيهما البرد باذن الله ويخرجهما الحر باذن الله

السعي اليها (قال الشاعر)

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
فاذا حصل المالك اقصر واعن المتاعب التي كانوا يتكافونها في طلبه وآثروا الراحة والسكون والدعة
ورجعوا الى تحصيل ثمرات المالك من المباني والمساكن والملابس فيمنون القصور ويجرون المياه ويغرسون
الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويثرون الراحة على المتاعب ويتأنقون في احوال الملابس والمطاعم
والآنية والفرش ما استطاعوا وبالفن ذلك ويورثونه من بعدهم من احيائهم ولا يزال ذلك يتزايد
فيهم الى أن يتأذن الله بآمره وهو خير الخالقين والله تعالى اعلم

١٣ * (فصل في انه اذا استحكمت طبيعة المالك من الانفراد بالجد

وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم)

وبيانه من وجوه * الاول انها تقتضي الانفراد بالجد كما قلناه ومهما كان الجد مشغلا كابن العصابة وكان
سعيهم له واحدا كانت همهم في التغلب على الغير والذب عن الحوزة أسوة في طموحها وقوة شكايتها
ومرماهم الى العز جميع وهم يستطيعون الموت في بناء مجددهم ويثرون المالك على فسادهم واذا انقرد
الواحد منهم بالجد قرع عصبيتهم وكبح من أعتنتهم واستأثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغزو وفشل
ريحتهم ورثوا المذلة والاستعباد ثم ربي الجبل الثاني منهم على ذلك يحسبون ما ينالهم من العطاء أجرا من
السلطان لهم على الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواه وقل أن يستأجر أحد نفسه على الموت فيصير ذلك
ومنافي الدولة وخضعا من الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهرم لفساد العصبية بذهاب البأس من
أهلها * الوجه الثاني ان طبيعة المالك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم
ولا يفي دخلهم بخرجهم فالفقير منهم يهلك والمترف يستغرق عطاؤه بترفه ثم يزاد ذلك في احيائهم المتأخرة
الى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوائدهم وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو
والحروب فلا يجدون واجبة عنها فيوقعون بهم العقوبات ويتزعجون ما في أيدي الكثير منهم يستأثرون
به عليهم أو يثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف صاحب
الدولة بضعفهم وأيضا اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب
الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم وينزع عنهم الجباية مقدارها معلوم
ولا تزدول لا تنقص وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت
الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد مما حدثت من ترفهم وكثرة نفقاتهم تنقص
عدد الحماية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك
فينقص عدد الحماية وثالثا وراعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية لذلك وتسقط قوة
الدولة ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من هومتحت يديها من القبائل والعصائب ويأذن الله
فيها بالفتنة الذي كعبه على خليقته وأيضا فالترف مفسد للأخلاق بما يحصل في النفس من ألوان الشر
والسفينة وعوائدها كما يأتي في فصل الحضارة فذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا
عليه ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فيكون علامة على الادبار والانقراض بما جعله الله من
ذلك في خليقته وتأخذ الدولة بميل الى الضعف وتضعف احوالها وتنزل بها أمراض من منتهى الهرم الى
أن يقضى عليها * الوجه الثالث ان طبيعة المالك تقتضي البعة كما ذكرناه واذا اتخذوا الدعة والراحة مأفلا

فينضج على امتداد الى غير ذلك من منافعهما وقد يكون الاذى في حرهما وبردهما وسعومهما وزهريرهما وهما مع ذلك لا ينسبان الى الصلاح والخير وقد غرر صلاحهما أذيتهما (ومثاله) أيضا مثل الليل الذي جعله الله تعالى سكنا ولباسا ونوما وراحة وسببا تا وقد يستوحش له احوال الفقر ويسارع فيه أهل الدعة والفساد واللصوص وتعدو فيه السباع وتتشر فيه الهوام وذوات الحمة والسموم القاتلة ثم لا ينسى العباد نعم الله تعالى عليهم به ولا يزرأ صغير ضرره بكبير نفعه (ومثاله) أيضا مثال النهار الذي جعله الله ضياء ونورا ونشورا واكتسابا وانتشارا وقد تكون فيه الحروب والغارات والنهب والنصب والشحوص والخصومات فتستريح الخلق منه الى الليل ثم لم ينس العباد نعم الله عليهم فيه وهكذا كل جسم من أمور الدنيا يكون ضرره خاصا ونفعه عاما فهو نعمة عامة وكل شيء يكون نفعه خاصا فهو بلاء عام ولو كانت نعم الدنيا صغفوا

من غير كدر وبمسورهما من غير مسور كانت الدنيا هي الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب (وقد قال الشاعر) لا ترج شيئا خالصا نفعه * فالعجب لا يخجل من العيب * (الباب التاسع في بيان منزلة السلطان من الرعية) وخلقها

اعلموا ان منزلة السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فاذا ضاعت الروح من الجسد ضرت الى الجوارح سليمة ونشرت في جميع اجزائه
الجسد فامن الجسد من الغير فاسنة قامت الجوارح والحواس وانتظم امر الجسد وان تكدرت (١٠١) الروح او فسد مزاجها فباوج
الجسد فتسرى الى الحواس

والجوارح كدرة وهي
منخرقة عن الاعتدال
فاخذ كل عضو وحاسة
بقسطه من الفساد فوضعت
الجوارح وتعطلت فتعطل
نظام الجسد وجرالى
الفساد والهلاك (ومثال)
السلطان ايضا مثال النار
ومثال الخلق مثال الخشب
فما كان منها معتدلا لم يحتاج
الى النار وما كان منها
متأودا احتاج الى النار ليقام
اوده فيعبدل عوجه فان
أفترطت النار احترق
الخشب قبل ان يستقيم
اوده وان قصرت النار لم يان
الخشب لقبول الاعتدال
فيمضي متأودا واذا كانت
النار معتدلة اعتدل الخشب
كذلك السلطان في أطواره
ان افترط اهلك الخلق
وان فرط لم يستقيموا وان
اعتدل اعتدلوا (ومثاله)
ايضا مثال عين خراقة في
أرض خاوية فان حلا
مشر به وعذب طعمه
وسلبت من الكدر والفساد
أوصافه اختلج في الارض
فابتاعته صافيا صرفا ثم
شربته عروق الاشجار
فاغذت به كذلك فغلظت
سوقها وقرعت أغصانها
وامتلأت افنانها ثم أخرجت

وخلقا صار لهم ذلك طبيعة وجب له شأن العوائد كلها واياها افتقر في أجيالهم الحادثة في غصارة العيش
ومهاد الترف والدمعة وبتقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي كان بها الملك من شدة البأس
وتعود الاقتراس وركوب البيداء وهذا ياءة القفر فلا يفرق بينهم وبين السوقة من الخضر الا في الثقافة
والشارة فتضعف جايته ويذهب بأسهم وتضعف شوكتهم ويعودون الى ذلك على الدولة بما تلبس به من
ثياب الهرم ثم لا يزالون يتلونون بعوائد الترف والحضارة والسكران والدعة ورقة الخاشية في جميع
أحوالهم وينغمسون فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسجون عناشيا فشيئا وينسون
خلق الدلالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيانا الى حامية أخرى ان كانت لهم واعتبر
ذلك في الدول التي أخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك صححان من غير رية وربما يحدث
في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة أن يتخير صاحب الدولة أنصارا وشيعة من غير جلدتهم عن
تعود الخشونة فيتعجزهم جندا يكون أصبر على الحرب وأقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف
ويكون ذلك دواء للدولة من الهرم الذي عساه أن يطررها حتى يأذن الله فيها بامر وهذا كما وقع في دولة
الترك بالشرق فان غالب جندها الموالى من الترك فتخير ملوكهم من أولئك الممالك الجبلية اليهم فرسانا
وجندا فيكونون أجرا على الحرب وأصبر على الشظف من أبناء الممالك الذين كانوا قبلهم وروافى ماء
النعم والسلطان وظله وكذلك في دولة الموحدين بافر بقة فان صاحبها كثيرا ما يتخذ أجناده من زناة
والعرب ويستأثر منهم ويترك أهل الدولة المعتادين للترف فتستبد الدولة بذلك عمرا آخر سالما من
الهرم والله وارث الارض ومن عليها

١٤ (فصل في ان الدولة لها اعمار طبيعية كمالا لشخص) *

اعلم ان العمر الطبيعي للشخص على ما زعم الاطباء والمخبرون مائة وعشرون سنة وهي سنة القهر
الكبرى عند المخبرين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد عن هذا ويتقص منه فتكون
أعمار بعض أهل القرانات مائة مائة وبعضهم خمسين أو ثمانين أو سبعين على ما تقتضيه أدلة القرانات
عند الناظرين فيها وأعمار هذه الملة ما بين الستين الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي
الذي هو مائة وعشرون الا في الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شأن نوح عليه
السلام وقليل من قوم عاد وثمود وأعمار الدول ايضا وان كانت تختلف بحسب القرانات الا ان
الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون اربعين
الذي هو انتهاء النمو والنشوا الى غاية قال تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر
الشخص الواحد هو عمر الجيل ويؤيده ما ذكرناه في حكمة الله الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود
بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة جيل آخر لم يعهدهم والذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في
عمر الجيل الذي هو عمر الشخص الواحد وانما قلنا ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لان الجيل
الاول لم يزالوا على خلق البداوة وخشوتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والاقتراس والاشتراك
في الجدد لا تزال بذلك سورة العصبية مخفوفة فيهم فخدمهم رفوف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون
والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن
الاشتراك في الجدد الى انفراد الواحد به وكسل الباقي عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة
فتتبدل سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما

أوراقها وأبرزت أزهارها ثم قذفت ثمارها فاجابت على اتم طبيعتها كبروا وطعموا ولونا ورائحة فتموت بها العبادوا كات حظوظها البهائم
والحشرات وسقط عليها الطير فاخرزل منها قوته واستقام النظام وان كان في حواشي الارض ما يدق عن الانبات والنفع ويكدي عن

الزكاة والربيع او كان فيها من الشجرة ما يبرز له و يقل رية اعطى كل ذلك الغاية من نفسه وأطلع ما في قواه ولم يغادر مكانا الا وفاء وان كان في العين كدرا وفسادا وملح (١٠٢) شربها الاشجار كذلك ففسد مزاجها وأضر الجزء الفاسد بالطيب فرقت سوقها وضعفت

أدركوا الجيل الاول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى الجود و مرامهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالسكينة وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كان لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبة بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غاية بما يتسكوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيال على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبة بالجملة وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزى وركوب الخيل وحسن الثقافة يوهون بها وهم في الاكثر ارجين من النسوان على ظواهرها فاذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا مدافعة فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستغاثة بغيره وسواهم من اهل التجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من بقى عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله باقراضها فذهب الدولة بما حلت فيه - ذه كما تراه ثلاثة اجمال فيها يكون مرم الدولة وتخلها ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان الجود والحسب انما هو في أربعة آباء وقد أتيناك فيه بمرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فان تعدد وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجمال الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على ما مر ولا تعدد الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون المرم حاصلا مستوليا والمطالب لم يحضرها ولو قد جاء المطالب ما وجد مدافعا فاذا جاء اجهلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التريدين الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه قانونا يجمع لك عددا لا ياء في عمود النسب الذي تريد من قبل معرفة السنين الماضية اذا كنت قد استرمت في عددهم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعند كل مائة من السنين ثلاثة من الا بقاء فان تعددت على هذا القياس مع تعدد عددهم فهو صحيح وان نقصت عنه يجعل فقد غلط عددهم بزيادة واحدة في عمود النسب وان زادت عنه فله فقد سقط واحد وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم اذا كان محصلا لديك فتأمل فجدد في الغالب صحيحا والله يعقد الدليل والنهار

١٥ (فصل في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة) *

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغالب الذي يكون به الملك انما هو بالعصبة وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالبا الا مع البداوة فطور الدولة من أولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال والحضارة انما هي تقنن في الترف وأحكام الصنائع المستعملة في وجوده ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والقرش والابنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فليس كل واحد منهم صنائع في استجاده والتأنيق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والمبالاة بالتعم باحوال الترف وما تتلون به من العوائد فصارت طورا للحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك وأهل الدول ابداء يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم يكونوا لذلك العهد في شئ من الحضارة فقد حكى انه قدم لهم الميرقي فكانوا يحسبونهم رفاعا وعثروا على الكافور في خزائن كبرى فاستعملوه في عجينهم ملحسا وأمثال ذلك فلما استبعدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم في مهنتهم وحاجاتهم منازلوهم واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك

أغصانها وتغيرت أوراقها وقات أزهارها وثمارها ودخل الفساد على جميع ذلك فجاءت الثمرة وهي ترقد زهراردي طعمها كاسف لونها فدخل بذلك من النقص على جميع الحيوان مثل ما دخل عليهم في الاولى ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم ان الحشرات لقوت في أجرتها هذا لا يذنب ابن آدم يعني اذا كثرت المعاصي في الارض حبست السماء فحياتها ومنعت الارض نباتها فهلك الموام والحشرات والدواب

*(الباب العاشر في بيان

معرفة خصال ورد الشرع بها

فيها نظام الملك والدول)

وهي ثلاثة الدين وترك

الفاظا والمشاورة وان

لا يستعمل على الاعمال

والولايات راغب فيها ولا

طالب لها وما علم الله

تعالى ما فيها من انتظام امر

الملة واستقامة الامر نص

عليها الله سبحانه ورسوله

اعلم ان هذه الخصال من

أساس الممالك وقل من

يعمل بها من الملوك اثنتان

نزلتا من السماء واحدة

قالها الرسول صلى الله

عليه وسلم اما الالهية فقال

الله تعالى في مارجة من الله لست لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لايقضوا من حولك فاعف عنهم والقومة واستغفر لهم وشاورهم في الامر وفي الآية اشارتان احدهما ان القضاة تنقر الاحكام والى ما ساءت فرق الجوع والحشم وانما الملك

ملك بحسائه وأصحابه وحشيه واتباعه وأخلاقه بخضلة تنفرا لاوليا وتطمع الاعداء فقام بكل سلطان رفضها والاخترا من سوء مغبتها
ولكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وروى أن النبي (١٠٣) صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه

فجاء رجل فقال أيكم ابن
عبد المطلب فقالوا هذا
الابيض المتكئ فقال الرجل
يا ابن عبد المطلب فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد
أجبتك دل الأثر على أنه
ما سناثر بشرف المجلس
ولا فاتهم بزي ولا مقعد
وقد يبلغ بالين ما لا يبلغ
بالغظة ألا ترى أن الرياح
تهون أصواتها فتدخل
لها الشجر وتنعطف الأذن
والانصاف وفي القسوط
تنكسر الانصاف والماء
يلين في أصول الشجر
يقاها من أصلها وإذا
كانت الحية مع صعوبتها
وسمها وتغيبها في حجرها
ترقى بالكلام حتى تستعطف
فتخرج فالإنسان أحرى أن
يسمع لبليل القول وحسن
المنطق فإذا أردت أن تستقيم
عن سيئ إليك فكافئه
بكل كلمة سوء قالها كلمة
جيدة وحسن ثناء عليه
والإشارة الثانية أنه قال
وشاورهم في الأمر فإذا قيل
لنا كيف يشاورهم وهو
نبيهم وإمامهم وواجب
عليهم مشاورته وإن لا
يفصلوا أمرادونه قلنا هذا
أدب أدب الله تعالى نبيه
عليه السلام به وجعله
مأدبة لساير الملوك والأمراء

والقومة عليه أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتقن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتقن
في أحواله فباعوا الغاية في ذلك وتطوؤوا بطورا لمضارة والترفي في الأحوال واستجدوا المطاعم والمشارب
والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائر المساعون والمخرفي وكذلك أحوالهم في أيام المباحة
والولائم وليالي الأعراس فاتوا من ذلك وراء الغاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرهما في أعراس
المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وما بذل أبوها من حاشية المأمون حين وافاه في خطبتها إلى داره بقم الصلح
وركب إليها في السفين وما أنفق في أملاكها وما أنفق في عرسها تف من ذلك على العجب
فنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حضره حاشية المأمون فنثر على الطبقة الاولى منهم
بنادق المسك ملثوثة على الرقاع بالاضباع والعقار مسوغة من حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اذاه
اليه الاتفاق والبحث وفرق على الطبقة الثانية بدر الدنانير في كل بدرة عشرة آلاف وفرق على الطبقة
الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق في مقامة المأمون بداره أضعاف ذلك ومنه ان المأمون اعطاها في
مهرها ليلة زفافها ألف حصاة من البياقوت وأودع شعوع الغنير في كل واحدة مائة من وهو رطل وثلاثان (١)
وبسط لها فرشاً كان المحصر منها منسوجا بالذهب مكلا بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل
الله أبانواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على ارض من الذهب

وأعد بدار الطبخ من المحطب ليلة الولية نقل مائة وأربعين بسلامة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفي
المحطب لليلتين وأودعوا البحر يد يصبون عليه الزيت وارسل إلى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص
من الناس بدجلة من بغداد إلى قصور الملك بمدينة المأمون لحضور الولية فكانت الحركات (٢) المعدة لذلك
ثلاثين ألفاً جازوا الناس فيها أنريات نهارهم وكثير من هذا وأمثاله وكذلك عرس المأمون بن ذي النون
بطليلة نقله ابن بسام في كتاب الذخيرة وابن حبان بعد أن كانوا كلهم في الطور والاول من البدوة عاجزين
عن ذلك جملة لفقدان أسبابه والقائمين على صنائعه في غضاقتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج أولم في اخمستان
بعض ولده فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال اخبرني بأعظم صنيع شهدته فقال له نعم
أيها الأمير شهدت بعض مرار به كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحضر فيه صحاف الذهب على أخونة
الفضة أربع على كل واحد وتحمله أربع وصائف ويجلس عليه أربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا
أربعتهم المسائلة بصحافها ووضعها فقال الحجاج يا غلام انحر الجزر وأطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه
الابهة وكذلك كان ومن هذا الباب أعطية بني أمية وجوائزهم فانما كان أكثرها الأبل أخذاء ذاهب
العرب وبيداتهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيديين من بعدهم ما علمت من أجال المال
وتخوت الثياب وأعداد الخيل بما كبرها وهكذا كان شأن كلمة مع الأغلبة بأفريقية وكذا بني طنج مصر
وشأن المتنونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك شأن زناتة مع الموحدين وهم لم جراته نقل
الحضارة من الدول السالفة إلى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني أمية وبني العباس
وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة
بني العباس إلى الديلم ثم إلى الترك ثم إلى السلجوقية ثم إلى الترك المماليك بمصر والتر بالعراقيين وعلى قدر

(١) قوله وثلاثان الذي في كتب اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية الاثنان اه

(٢) الحركات بالفتح جمع حركات سفينة فيأمر أي نار يرمي بها العدو اه مختار

والسلامين لماعلم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع المجلس ومساهمة في الامور فان نفوس الجلساء والنهجا والوزراء
تصلح عليه وتقبل اليه وتخضع فتوة بين يديه شرعة لنبيه عليه السلام ولتؤي الامرة من أهل ملته صلى الله عليه وسلم ألا ترى أن النبي عليه

السلام كان في غزوة فأمرهم بالتزول فقال له سعد بن مسعود يا رسول الله ان كان هذا بامرِكَ فسمع وطاعة وان كان غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي عليه السلام وقال ارتحلوا ومن أقبح (١٠٤) ما يوصف به الرجال ملوك كانوا أو سوقة الاستبداد بالرأى وترك المشاورة وسنة قد

للمشاورة بابا ان شاء الله تعالى

والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم وغيرهما ان رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي عليه السلام انا لا نستعمل على عهدنا من اراده والشر فيه ان الولايات امانات وتصرف في ارواح الخلائق وأموالهم والتسرع الى الامانة دليل على الخيانة وانما يخاطبها من يريد اكلها واذا اتقن خائن على موضع الامانات كان كاسترعاء الذئب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اختصت حقوقهم وأكلت أموالهم فسدت نياتهم وأطلقوا استيذانهم بالدعاء والتشكي وذكر واستأثر الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت السائر الذي انشدناه وراعى الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب فاذا خان أهل الامانات وفسد أهل الولايات كان الامر كما قال الاول بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير

الغير (وقال آخر)

ذئب تراه مصليا * فاذا مروت به ركع

عجل بها اذا العلا * ان الفؤاد قد اتصدع

يدعو ورجل دعائه * ماله قريسة ما تقع

ومن اشراط الساعة التبذير للامانة وخطية الولايات

الوفود

عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة اذ اموار الحضارة من قوايع الترف والترفع من قوايع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من قوايع الملك ومقدار ما يستولى عليه أهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله فاعتبره وتفهمه وتأمله تجده صحيحا في العرآن والله وارث الارض ومن عليه اوهو خير الوارثين

١٦ (فصل في ان الترف يزيد الدولة في اولها وقوة الى قوتها) *

والسبب في ذلك ان القميل اذا حصل لهم المالك والترف كثر التناسل والولد والعومية فكثر العصابة واستكثروا ايضا من الموالى والصنائع وربيت اجيالهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا بهم عددا الى عددهم وقوة الى قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بذرة العبد فاذا ذهب الجبل الاول والثاني واتخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنائع والموالى بانفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شيء انما كانوا عيالا على اهلها او معونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالرسوخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعتبر هذا ما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلناه لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين ألفا او ما يقاربها من مضر وقحطان وما بلغ الترف مبالغه في الدولة وتوفر غنمهم بتوفر النعمة واستكثر الخلق من الموالى والصنائع بلغ ذلك العدد الى ضعفه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعمائة الف ولا يبعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحا اذا اعتبرت حاميته في الثغور والدانية والقاصية شرقا وغربا الى الجند الحاميين سرير الملك والموالى والمضطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس بن عبد المطلب خاصة أيام المأمون للاتفاق عليهم فكانوا ثلاثين الف ابن ذكران واثنا عشر مائة فأنظر مبالغ هذا العدد لقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي حصل للدولة وورثي فيه اجيالهم والاعداء العرب لاول الفتح لم يبلغ هذا ولا قريبا منه والله الخلاق العليم

١٧ (فصل في اطوار الدولة واختلاف احوالها واختلاف الاموال)

(اعلم) ان الدولة تنقلب في اطوار مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في كل طور خصالا من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار الطور الاول طور الظفر بالبغيه وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب الجود وبجاية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا يتفردونهم بشي لان ذلك هو مقتضى العصبية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد بحالها الطور الثاني طور الاستبداد على قومه والانفراد دونهم بالملك وكبحهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة في هذا الطور مغميا باصطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع والاستكثار من ذلك لم يدع انوف اهل عصبية وشيعة المقاسمين له في نسبة الضاربين في الملك بمثل سهمه فهو يدافعهم عن الامور ويصددهم عن موارد ويردهم على اعقابهم ان يخلصوا اليه حتى يقر الامر في نصابه ويقر دأهل بيته بما ينبت من بحده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الاولون في طلب الامر واشد لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهورهم على مدافعهم اهل العصبية بأجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظاهره على مدافعهم الا الاقل من الابعاد فيركب صعبا من الامر الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك مما تنزع طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الآثار وبعدها الصيت فيستفرغ وسعه في الجباية وضبط الدخل والخرج واحصاء النفقات والقصد فيها وتشييد المباني المحافلة والمصانع العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة

الوفود

(وروى) عن النبي عليه السلام انه قال من اشراط الساعة ان تكون الزكاة مغرما والامانة مغنما فينثني ذو عليه الضعيف وأهل
الصلاح ويقعد له بالمرصاد الشرير ويخامر عليه القوى ويقبح ثأوه عند الجماعة (١٠٥) ويتمنون الراحة منه وينظرون

من يصلح لها سواه
*) (الباب الحادى عشر في
بيان معرفة الخصال التي
هي قواعد السلطان ولا
تثبت له دونها) *)
فاول الخصال وأحقها
بالرعاية العدل الذي هو
قوام الملك ودوام الدول
وأس كل ملكة سواء كانت
نبوية أو إصلاحية أعلم
أرشدك الله ان الله تعالى
أمر بالعدل ثم علم سبحانه
ان ليس كل النفوس تصلح
على العدل بل تطالب
الاحسان وهو فوق العدل
فقال ان الله يأمر بالعدل
والاحسان وإيتا هذى القربى
فلو وسع الخلق العدل ما
قرن الله به الاحسان فمن
لم يصلح حتى يزداد على العدل
كيف يصلح اذ لم يبلغ به
العدل والعدل ميزان الله
في الارض الذي به يؤخذ
للضعيف من القوى
وللمحق من المبطول وليس
موضع الميزان بين الرعية
فقط بل بين السلطان
والرعية أيضا فمن أزال
ميزان الله الذي وضعه من
القيام بالقسط فقد تعرض
لخط الله تعالى وهو أعلم أيها
الوالى ان الملك بمنزلة رجل
فرأسه أنت وقلبه وزيرك
ويداه أعوانك ورجلاه

الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل وبث المعروف في أهله هذا مع التوسعة على صنائعه وحاشيته في
أحوالهم بالمال والجاه واعتراض جنوده وأدراار ذاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر أثر
ذلك عليهم في ملابسهم وشكمتهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهى بهم الدول المسالمة ويرهب الدول الحاربة
وهذا الطور آخر أطوار الاستبداد من أصحاب الدولة لانهم في هذه الأطوار كلها مستقلون بأرائهم بأنون
لعزهم وموضعون الطرق ان يعدهم الطور الرابع طور القنوع والمسالمية ويكون صاحب الدولة في هذا
قائما بما بنى ولوه سلما لا نظاره من الملوك واقباله مقلدا لما صين من سلفه فيتبع آثارهم حذو والنمى
بالعمل ويقتنى طرقهم باحسن مناهج الاقتداء ويرى ان في الخرج عن تقليد سلفه فساد أمره واثمهم ابصر
بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متفانيا
جمع أولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطائنه وفي مجالسه واصطناع اخذان السوء وخضراء
الدم وتقليد سلفهم عظيمات الامور التي لا يستقلون بحماها ولا يعرفون ما يأتون ويذرون منها مستفسدا
لكبار اولياءه من قومه وصنائع سلفه حتى يضطغنوا عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضطجعا من جنده بما
اتفق من اعطياتهم في شهواته وجب عنهم وجهه مباشرة وتفقد فيكون مخربا لما كان سلفه يؤسسونه
وهادما لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولى عليها المرض المزمن الذي
لا تسكاد تخلص منه ولا يكون لها معبره الى أن تنقرض كما نبيذ في الاحوال التي تسردها والله خير الوارثين

١٨ *) (فصل في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها) *

والسبب في ذلك ان الآثار تخرج من القوة التي بها كانت اولاً وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك
مباني الدولة وهياكلها العظيمة قائما تكون على نسبة قوة الدولة في اصلها لانها لاتتم الا بكثرة الفعلة
واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحاجة الجوانب كثيرة الممالك
والرعيا كان الفعلة كثير بين جندا وحشروا من آفاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظمها كما لا ترى
الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصه القرآن عنهم وانظر بالمشاهدة ابوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى
انه عزم الرشيد على هدمه وتخريره فتم كاهه عنه وشرع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته ليحيى بن خالد
في شأنه معروفة فانظر كيف تقدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء
في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة
والقنطرة التي على واديها وكذلك بناء الحمايا لمجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة عليها وآثار شرشال
بالغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الآثار الماثلة لا يمكن تعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف
واعلم ان تلك الافعال لا اقدمين انما كانت بالهندام واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت
تلك الهياكل والمصانع ولا تتوهم ما تبوم به العامة ان ذلك اعظم اجسام الاقدمين عن اجسام منافي
امرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما تجد بين الهياكل والآثار ولقد ولع القصاص
بذلك وتغالوا فيه وسطر واعن عاد وثمود والعائلة في ذلك اخبارا عريضة في الكذب من اغربها
ما يحكون عن عوج بن عناق (١) رجل من العائلة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في الشام زعموا انه كان لطوله
ينبأول السمك من البحر ويشويه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم بما حوال البشر الجاهل باحوال

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على الستة الناس عناق

بالتون اه

(١٥ - ابن خلدون) رعبتك وروحك عدلك وما بقا جسدك بلاروح واذا أردت ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة أنفوس كبير وصغير
ووسط فاجعل كبيرهم ابا ووسطهم اخا وصغيرهم ابنا فيرباك واكرم اخاك وارحم ابنك فانك واصل بذلك الى بر الله وكرامته ورجائه واعلم

ان عدل الملك يوجب الاجتماع عليه وجوزة يوجب الافتراق عنه عدل الملك حياة رعيته وفي منشور الحكم سلطان جائراً رعيته عام خبير
من رعية مهمة ساعة واحدة (١٠٦) من النهار اذا عدل السلطان فيما يقرب منه صلح له ما بعد عنه فضل الملوك في الاعطاء وشرها

في العفو وعزها في
العدل عدة السلطان ثلاثة
مشاورة النجباء وثبات نيات
الاعوان واقامة سوق
العدل افضل الازمنة ازمنة
اثمة العدل ثم العدل ينقسم
قسمين قسم المي جاءت به
الرسول والانبياء عليهم
السلام عن الله تعالى والثاني
ما يشبه العدل وهو السياسة
الاصلاحية التي هرم عليها
الكبير ونشأ عليها الصغير
وبعبدان يبقى سلطان أو
تستقيم رعية في حال ايمان
أو كفر بلا عدل قائم ولا
ترتيب للامور ثابت فذلك
ما لا يجوز ولا يمكن وقد
ذكرنا في أول الكتاب ان
سليمان بن داود سلب
ملكه حين جالس الخضران
بين يديه وكان لاحدهما
خاصة بتسليمان فقال في
نفسه وددت ان يكون
الحق لخاصتي فاقضى له
فسلبه الله تعالى ملكه
وقعد الشيطان على كرسيه
فاجعل العدل راس
سياستك فتسقط عنك
جميع الافات المفسدة
للسياسة وتقوم لك جميع
الشرائط التي تقوم بها
الملك قال علي بن أبي
طالب رضي الله عنه امام
عادل خير من مطر وابل

الذكوا كب لما اعتقدوا ان الشمس حارة وانها شديدة فمما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان
الضوء فمما قرب من الارض اكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الضوء فتضاعف الحرارة
هنا لاجل ذلك واذا تجاوزت مطارج الاشعة المنعكسة فلا حر هنا بل يكون فيه البرد حيث مجاري
السحاب وان الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضي ولا مزاج له وكذلك عوج بن عناق
هو فيما ذكره من العمالقة ومن الكنعانيين الذين كانوا فرسية بني اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال
بني اسرائيل وجسمانهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان
خربت وجدت لم تنزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل
عصره بهذا المقدار وانما غلطهم في هذا انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع
والاعوان وما يحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة فصر فوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها
وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة فرموا بالاستدلال التحكم وهو ان الطبيعة
التي هي جبهة الاجسام ما برأ الله الخلق كانت في تمام النكرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار
اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طر والموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت
قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته تام الاعمار كامل الاجسام ثم لم يزل يتناقص
لنقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا يزال يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض
العالم وهذا رأى لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب برهاني ونحن نشاهد ما كن
الاولين وابوابهم وطرقهم فيما احدهم من البنين والهياكل والديار والمساكن كديار ثمود والمنحوتة في
الصخر بيوت اصغار وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى عن
استعمال مياهم وطرح ما عجن به وأهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا وانفسهم الا ان تسكنوا
باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع الارض شرقا وغربا والحق
ما قرناه ومن آثار الدول ايضا حالها في الاعراس والولائم كما ذكرناه في ولادة بوران وصنيع الحجاج وابن
ذى النون وقد مر ذلك كله ومن آثارها ايضا اعطيا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيما ولو
اشرفت على الحرم فان المهم التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهمم لا تزال
مصاحبة لهم الى انقراض الدولة واعتبر بذلك بجوار ابن ذي يزن لو قد قرىش كيف اعطاهم من ابطال
الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشر اعشرا ومن كرش العنبر واحدة واضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد
المطاب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وانما جعله على ذلك مهمة نفسه بما كان
لقومه التبابعة من الملك في الارض والغلب على الامم في العراق والهند والمغرب وكان الصنهاجيون
بافريقية ايضا اذا اجازوا الوفد من امرائهم الوافدين عليهم قائما يعطونهم المال اجمالا والكساء فخوتا
مملوأة والحمالات جنائب عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة
وجوارثهم ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا مائة مائة فاقاموا والولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي يستنفده
يوم أو بعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول جارية هذا جوهر الصقلي
السكاتب قائد جيش العبيد بن لما ارتحل الى فتح مصر استعد من القبروان بالالف جبل من المال ولا تنتهي
اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد
ايام المأمون من جمع النواحي نقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون ألف ألف درهم

واستحطوم خبير من سلطان ظلم ولسطان ظلم خبير من فتنة تدوم وقال ابن مسعود اذا كان الامام عادلا فله الاجر مرتين
وعليك الشكر وان كان جائرا فعليه الوزر وعليك الصبر وقال سليمان بن داود عليه السلام الرجة والعدل يحرزان الملك واتفق حكماء

العرب والجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناءوا الجند أساسه فاذا قوى الأساس دام البناء وان ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان
الاجند ولا جند الابعال ولا مال الاجبية ولا جباية الابعارة ولا عمارة الابعدل (١٠٧) فصار العدل أساسا لاساسات

فاما العدل النبوي فان
يجمع السلطان الى نفسه
جملة العلم الذين هم حفاظه
ورعاه وفعهاؤه وهم الادلاء
على الله تعالى والقائمون بامر
الله والمحافظة على حدود
الله والناصحون لعباد الله
وروي أبو هريرة ان النبي
عليه السلام قال ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة قالوا
يا رسول الله قال الله
ولسكنوا به ولسوله ولائمة
المسلمين وعامتهم فاتخذ
أيها الملك العلماء شعارا
والصالحين دنارا فتدور
المملكة بين ناصح العلماء
ودعوات الصالحين وأخلاق
الملك يدور بين هاتين
الخصمتين ان تقوم عمده
ويطول أمده وكيف لا
وقد فرقه الله في سلطانه
واصل طقاهم بخالص
معرفة فقال جل من قائل
شهد الله انه لا اله الا هو
واللائكة وأولوا العلم
قائما بالقسط فبدأ بنفسه
وتنبيلائته وثلاث بادى
العلم وهم ورثة الانبياء عليهم
السلام الموفقون عن الله
تعالى لان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهم ما وإنما
ورثوا العلم ففي تعظيمهم
وتعريفهم امتثال لأمر الله

مرتين وثم ثمانية الف درهم ومن الحلال النجراتية مائة حلة ومن طين الختم مائتان واربعون رطلا
(كنكر) احد عشر ألف ألف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم *(كوردجلة)* عشرون ألف ألف
درهم وثمانية دراهم *(حلوان)* أربعة آلاف الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم *(الاهواز)*
خمس وعشرون ألف درهم مرة ومن السكر ثلاثون ألف رطل *(فارس)* سبعة وعشرون ألف ألف
درهم ومن ماء البورد ثلاثون ألف قارورة ومن الزيت الاسود عشرون ألف رطل *(كرمان)* أربعة
آلاف الف درهم مرتين ومائتا ألف درهم ومن المتاع اليماني خمسة مائة ثوب ومن الثمر عشرون ألف رطل
(مكران) أربعة مائة الف درهم مرة *(السند وما يليه)* احد عشر ألف الف درهم مرتين وثمانمائة
الف درهم ومن العود الهندي مائة وخمسون رطلا *(سجستان)* أربعة آلاف الف درهم مرتين ومن
التياب المعينة ثلاثمائة ثوب ومن الفانيه عشرون رطلا *(خراسان)* ثمانية وعشرون ألف ألف درهم
مرتين ومن نقر الفضة ألفان قرة ومن البراذين أربعة آلاف ومن الرقيق ألف رأس ومن المتاع عشرون
ألف ثوب ومن الاهليلج ثلاثون ألف رطل *(جرجان)* اثنا عشر ألف الف درهم مرتين ومن الابريسم
ألف شقة *(قومس)* ألف ألف مرتين وخمسمائة ألف من نقر الفضة *(طبرستان والروبان ونهاوند)*
سنة آلاف ألف مرتين وثلاثمائة ألف ومن الفرس الظهري ستمائة قطعة ومن الاكسية مائتان ومن
التياب خمسة مائة ثوب ومن المناديل ثلثمائة ومن الحمامات ثلثمائة *(الري)* اثنا عشر ألف ألف درهم
مرتين ومن العسل عشرون ألف رطل *(همدان)* احد عشر ألف ألف درهم مرتين وثلثمائة ألف ومن
رب الرمانين ألف رطل ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة آلاف ألف
درهم مرتين وسبعمائة الف درهم (ماسذان والدينار) أربعة آلاف الف درهم مرتين *(شهرزور)*
سنة آلاف الف درهم مرتين وسبعمائة الف درهم *(الموصل وما اليها)* أربعة وعشرون ألف ألف
درهم مرتين ومن العسل الابيض عشرون ألف الف رطل *(اذربيجان)* أربعة آلاف الف درهم
مرتين *(الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات)* أربعة وثلاثون ألف الف درهم مرتين ومن الرقيق
ألف رأس ومن العسل اثنا عشر ألف رطل (٢) ومن البراة عشرة ومن الاكسية عشرون *(ارمينية)* ثلاثة
عشر ألف ألف درهم مرتين ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسة مائة وثلاثون رطلا ومن المسايح
السورماهي عشرة آلاف رطل ومن الصونج عشرة آلاف رطل ومن البنغال مائتان ومن المهرة ثلاثون
(قنسرين) أربعة مائة الف دينار ومن الزيت ألف رطل *(دمشق)* أربعة مائة ألف دينار
وعشرون ألف دينار *(الاردن)* سبعة وتسعون ألف دينار *(فلسطين)* ثلاثمائة ألف دينار
وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة ألف رطل *(مصر)* ألف ألف دينار وتسعمائة ألف
دينار وعشرون ألف دينار *(برقة)* ألف ألف درهم مرتين *(افريقية)* ثلاثة عشر ألف ألف
درهم مرتين ومن البسط مائة وعشرون *(اليمن)* ثلثمائة ألف دينار وسبعمائة ألف دينار وسوي
المتاع *(الحجاز)* ثلاثمائة ألف دينار انتهى واما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها ان
عبد الرحمن الناصر خاف في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها
بالقناطير ثمانية ألف قنطار ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن الحمول الى بيت المال في أيامه

(١) قوله والدينار الظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية مستندان وربان اه

(٢) قوله ومن البراة الخ في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه

تعالى وتعظيم لمن أتى الله عليه ويجب ترفيع محاسنهم وتمييز مواضعهم عن سواهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا
العلم درجات وفيه استمالة لقلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم على محبته فواجب على السلطان ان لا يقطع أمرادهم

ولا يفصل حكما إلا بشاؤهم لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف وأقل الواجبات على السلطان ان ينزل نفسه مع الله منزلة ولا يه
 معه أليس اذا خالف واليه أمره (١٠٨) وما رجع له من الأحكام عزله وعاقبه ولم يأمن سطوته واذا امتثل أو أمره وازجر من

زواجه حل منه بحل
 الرضا فواجب ان يغضب
 على واليه اذا خالفه ثم
 لا يخاف سطوته به عليه
 اذا خالفه فهذه طريق
 اقامة العدل الشرعي
 والسياسة الاسلامية
 الجامعة لوجوه المصلحة
 الاخذة لازمة التدبير
 السلامة من العيوب الممهدة
 لاستقامة الدنيا والدين وكما
 ان الملك المحازم لا يتم حزمه
 الا بشاورة الوزراء والاختيار
 كذلك لا يتم عدله الا
 باستفتاء العلماء الابرار
 وقد وقع المأمون في قصة
 متظلم من عمرو بن مسعدة
 يا عمر اعمر نعمتك بالعدل فان
 الجور يهدمها وفي اشاعة
 العدل قوة للقلب وطمينة
 النفس وزوم اليقين
 وأمان من العدو ولما
 استأذن الهرمزان على عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه
 لم يجد عنده حاجبا ولا بابا
 فقبل له هو في المسجد فاقى
 المسجد فوجده مستلقيا
 متوسدا كوما من الحصباء
 ودرته بين يديه فقال له
 عدلت فامنت فممت وقال
 الحسن رأيت عثمان بن
 عفان رضي الله عنه وقد
 جمع الحصباء في مسجد
 النبي عليه السلام عند

سبعة آلاف قنطار وخمسة مائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكر
 ما ليس بهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتصديق حوصلتك عند ملء فمك فالكثير من
 الخواص اذا سمعوا أمثال هذه الاخبار عن الدول الساقطة بادربالانكار وليس ذلك من الصواب فان
 احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منازعة سقلى أو وسطى فلا يحصر المداير كلها فيها ونحن
 اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيديين وناسبننا الصحيح من ذلك والذي لا شك
 فيه والذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة اليها وجدنا بينها وبيننا وهو ما بينهما من التفاوت في
 أصل قوتها وعمران عمالها فالا تثار كلها جارية على نسبة الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار
 ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستقيض والمتواتر وفيها
 المعان والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الاحوال المتقولة مراتب الدول في قوتها ووضعتها وخصامتها
 أو صغرها واعتبر ذلك بما نرصده عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد بالمغرب لهذا السلطان أبي
 عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة (١) كان رحل منذ عشرين سنة قبلها
 الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد
 شاه واتصل بملكها الذي العهد وهو فيروزجوه وكان له منه مكان واسه تعله في خطة القضاء بذهب
 المال كية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من
 الجائبات بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من احواله بما يستغرب به
 السامعون مثل ان ملك الهند اذا خرج الى السمرقند احدى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض
 لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة
 الى صحراء البلاد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحقل منجنيقات على الظهر ترمي بهاش كثر الدراهم
 والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوانه وامثال هذه الحسكيات فتناجي الناس بتكذيبه ولقيت
 ابامد وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكار اخبار ذلك
 الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال
 الدول بما انك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك ان وزير اعنته له سلطانة ومكت في
 السجن سنين ربي فيها ابنة في ذلك الحبس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحم الذي كان يتغذى به فقال له
 أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصفها له أبوه بشيائها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه
 ويقول أين الغنم من الفار وكذا في لحم الابل والبقرا ذلم يعاين في محبسها من الحيوانات الا الفار فيحسبها
 كلها أبناء جنس الفار وهذا كثير مما يعثرى الناس في الاخبار كما يعثر بهم الوسواس في الزيادة عند قصد
 الاغراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهتما على نفسه وعيها بين طبيعة
 الممكن والممتنع بصرح عقله ومستقيم فطرته فادخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس
 مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض حدا بين الواقعات وانما مرادنا الامكان
 بحسب المسادة التي للشي فاننا اذا نظرنا اصل الشيء وخصه وصنعه ومقدار عظمه وقوته اجرنا الحكم من
 نسبة ذلك على احواله وحكمنا بما لا امتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما وانت ارحم الراحمين
 والله سبحانه وتعالى اعلم

(١) كان ابتداء رحلته ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانه وافته سنة ٧٨٤ وهي عجيبة ومختصرة انحوه كرايس اه

رأسه وقد وضع أحد جانبي رداؤه عليه وهو يومئذ أمير المؤمنين ما عنده أحد من الناس ودرته بين يديه وكتب عامل
 حمص الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح فكتب اليه عمر حصنها بالعدل ونقى طرقها من الجور

والسلام وقالت الحكام من حرم العدل فلا خير فيه ولا للناس في سلطانه وقال يحيى بن أكتم ما شئت المأمون في بستان والشمس من يساري والمأمون في الظل فلما رجعنا وقعت الشمس أيضا على فقال لي المأمون تحول (١٠٩) مكانى وأتحول مكانك حتى تكون في الظل

كما كنت وأقبلت الشمس كما وقفتى فان أول العدل ان يعدل الرجل على بطانته ثم الذين يلونهم حتى يبلغ العدل الطبقة السفلى فعزم على فتحوات وكان يقال ليس شئ أبعد من بقاء ملك العاصب وقيل للاسكندر لو أكرمت من النساء حتى يكثرن لكانت وحيث ذكر فقال الحكيم الذي ذكر الأفعال الجميلة والسيرة الحميدة ولا يحسن من يغلب الرجال ان تغلبه النساء وقال الحكيم من اتخذ العدل سنة كان له أحسن حنة ومن استشرع حنة العدل استكمل زينة الفضل وقال أبو عبيد بن عبد الله بن مسعود ان الامام العادل ليس كنت الا صوات عن الله وان الامام الحائر ليس كنت منه الشكابة الى الله تعالى وقال الحكيم لا يزال السلطان مهما لا حتى يتخطى الى أركان العماره ومباني الشريعة فينشد ويريح الله منه وقالوا لا تنظم الضعفاء فتكون من لئام الاقوياء وقال بعض الحكماء أمير بلا عدل كقيم بلا منظر وعالم بلا ورع كارض بلا نبات وشاب بلا قوبة كشجر

١٩ * (فصل في استظهار صاحب الدولة وقومه واهل عصبية بالموالى والمصطنعين) *

(اعلم) ان صاحب الدولة انما يتم امره كما قلناه بقومه ففهم عصابة هو ظهر اثاره على شأنه وبهم يتم قوارح الخوارج على دولته ومنهم من يقلد اعمال ملكه ووزارة دولته وجباية امواله لانهم اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائرهم ماته هذا مادام الطور الاول للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانفراد بالمجد ودافعهم عنه بالراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائه واحتاج في مدافعتهم عن الامر وصدهم عن المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون اقرب اليه من سائرهم واخص به قربا واصطفا عا واولى ايثارا واجاهلما انهم يستمتعون دونه في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي القوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل مال الكثير من قومه ويقلد لهم جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحماية وما يختص به لنفسه وتكون خالصة له دون قومه من القاب الملكية لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونحواؤه المخلصون وذلك حينئذ يؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها الفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة الساطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعودون بالذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لانه ماضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعتبر بذلك في دولة بني امية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولايه اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبيد الله بن زياد بن ابي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار وامثالهم من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا برجال العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبنو سهل ابن نو بخت وبنو طاهر ثم بنو بويه وموالي الترك مثل بغاوص صيف وانا مش وبكناك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من موالى العجم فتكون الدولة لغير من مهدا والعز لا غير من اجتنابه سنة الله في عبادته والله تعالى اعلم

٢٠ * (فصل في احوال الموالى والمصطنعين في الدول) *

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديهم وحدثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقرى والتخاذل في الاجانب والبعدها كما قدمناه والولاية والخالطة بالرق او بالخلف تتمثل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبعيا فانه هو وهمي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمرتي والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتماسر وهذا ما شاهد بين الناس واعتبر منزله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تتمثل هذه المنزلة وتؤكد كد اللعنة وان لم يكن نسب ففترات النسب موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القبيلى وبين اوليائهم قبل حصول الملك لهم كانت عروقتهم او شجوعاؤها اصح ونسبها اصرح لو جهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتميز النسب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيبتزلون منهم منزلة ذوي قرابتهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة

بلاثر وغنى بلا سخاء كنفيل بلا مفتاح وفقير بلا صبر كسراج بلا ضوء وامرأة بلا حياء كطعام بلا ملح وقال كسرى اتفقت ملوك العجم على اربع خصال ان الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والمال لا يصلى الا بالطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل

وأحق الناس بأجبار نفسه على العدل الملوكة الذين بعد لهم يعدل من دونهم والذين اذا قالوا او فعلوا كان نافذا غير مردود وقالت المحكمة
 رم ما شئت بالانصاف وانازعهم (١١٠) لك بالظفر به والظلم ادعى شئ الى تغيير نعمة او تعجيل نعمة وقال المحكم شر الزاد

الى المعاد الذنب بعد
 الذنب وشر من هذا
 العدوان على العباد ومتى
 اراد السلطان حسن الصيت
 وجعل الذكرك فليقم سوق
 العدل وان احب الزلفي
 عند الله وشرف المنزلة عنده
 فليقم سوق العدل وان
 احبهم جميعا فليقم سوق
 العدل والذي يخالفه ذكر
 الملوكة على غابر الدهور
 عدل واضح وجور فاضح
 هذا يوجب له الرحمة وهذا
 يوجب له اللعنة

(فصل) فاما القسم
 الثاني من العدل وهو
 السياسة الاصلاحية وان
 كان اصلها على الجور فيقوم
 فيها امر الدنيا وكانها تشاكل
 مراتب الانصاف على نحو
 ما كانت عليه ملوك
 الطوائف في أيام الفرس
 وكانوا كفارا يعبدون
 النيران ويتبعون هوا جس
 الشيطان فوضعوا بينهم
 سنن وأسسوا لهم أحكاما
 وأقاموا لهم مراتب في
 النصفة بين الرعايا واستجاب
 الخراجات وتوظيف
 المكوس على التجارات كل
 ذلك بعقولهم على وجوه
 ما أنزل الله به من سلطان
 ولا نصب عليهم من برهان
 فيبدأ به مساجات الشريعة

الملك عميرة للسيد عن المولى ولاهل القرابة عن أهل الولاية والاصطناع ما تقتضيه أحوال الرياسة والملك
 من غير الرتب وتقاسوتها فتعز حاتمهم ويتزلون منزلة الجانب ويكون الالتحام بينهم أضعف والتماس
 لذلك أبعد وذلك أنقص من الاصطناع قبل الملك الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يبعد عهده
 عن اهل الدولة بطول الزمان ويخفى شأن تلك اللعنة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية
 وأما بعد الملك فيقرب العهد ويستوى في معرفته الاكثر فتميز اللعنة وتميز عن النسب فتضعف
 العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرياسات تجده فكل من كان
 اصطناعه قبل حصول الرياسة والملك لمصطنعه تجده أشد النجاسة ما به واقرب قرابة اليه ويتزل منه منزلة
 ابنائه واخوانه وذوي رجه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرياسة لمصطنعه لا يكون له من
 القرابة واللحمة ما للاولين وهذا ما شاهد بالعيان حتى ان الدولة في آخر عمرها ترجع الى استعمال الجانب
 واصطناعهم ولا يبنى لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ بأولييتهم ومشارفة الدولة
 على الانقراض فيكونون منخطين في مهاوى الضعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول
 اليهم عن اوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يترتب في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة
 الخسوع له وتظهر بما يتطوره قبيله واهل نسبه لتأكد اللعنة منذ ان صور المتطاولة بالمرنى والاتصال
 بآبائه وساف قومهم والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينا قهرهم بسببها
 صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريبا فلا
 يبلغون رتب المجد ويتقون على حالهم من الخارجة وهذا شأن الدول في اواخرها واكثر ما يطلق اسم
 الصنائع والاولياء على الاولين وأما هؤلاء المحدثون فخدم وأعدوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شئ وكيل

٢١ *(فصل فيما يعرض في الدول من حرج السلطان والاستبداد عليه)*

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القاطنين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل
 عنه وتداوله بنوهم واحدا بعد واحد بحسب الترشيع فربما حدث التغلب على المنصب من وزراءهم
 وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير أو مضعف من اهل المنبت يترشح للولاية بعهد أبيه أو بترشيح
 ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء أبيه وحاشيته ومواليه وقبيله
 ويورى بحفظ أمره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس
 ويعوده اللذات التي يدعوه اليها ترف احواله ويسمى في مراعيها متى أمكنه وينسبه النظر في الامور
 السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو بحسب المنزلة
 واعطاء الصفة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب وان الحمل والربط والامر والنهي
 ومباشرة الاحوال الملوكية وتقديرها من النظر في الجيش والمال والشعور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك
 الى أن يستحكم له صبغة الرياسة والاستبداد ويتحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وابنائهم من بعده كما وقع
 لابي بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالشرق وللنصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتقطن ذلك
 المجرور المنقلب لشأنه فيحاول على الخروج من ربة البحر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب
 على أيدي المتغلبين عليه اما بقتل او برفع عن الرتبة فقط الا ان ذلك في النادر لاقل لان الدولة اذا أخذت
 في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل أن تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال
 الترف ونشأة أبناء الملك منغسطين في نعيمه قد نسوا عهد الجولة وألفوا الاخلاق الدايات والاطا تر وربوا

من عند الله تعالى على لسان نبيه صاحب المخزنة محمد صلى الله عليه وسلم فمنها ما أقرته في نصابه
 ومنها ما نهضته وأبطلت حكمه فعدلت الحكمة البالغة الى الله تعالى والحكم بما أنزل الله وبطل ما سواه وكان ملكهم محبة وخطاب رعاياتهم

للقوانين المألوفة بينهم فانقطع بذلك حيل الهمل فكانوا يقدمون بها واجب الحقوق ويتعاطون بها ما لهم وعليهم ومن هذا كان يقال ان السلطان الكافر المحافظ لشرائط السياسة الاصلاحية ابقى وا أقوى من السلطان (١١١) المؤمن العدل في نفسه المضيغ للسياسة

النبوية العادلة والجور المرتب ابقى من العدل المهمل اذ لا شيء اصيل لمر السلطان من ترتيب الامور ولا شيء افسد له من اهمالها

واعلم ان درهما يؤخذ من الرعية على وجه الاهمال والخرق وان كان عدلا افسد اقلها من عشرة تؤخذ منها سياسة على زمان معروف ورسم مألوف وان كان جورا فلا يقوم السلطان لاهل الايمان ولا لاهل الكفر ان الاقامة العدل النبوي وما يشبه العدل من الترتيب الاصطلاحي وقال ابن المقفع الملوكة ثلاثة ملك دين وملك خرم وملك هوى فاما ملك الدين فانه اذا اقام لاهل المملكة دينهم كانوا راضين وكان الساخط فيه بمنزلة الراضى وامام ملك الخرم فيقوم به الامر ولا يسلم من الطعن والسخط وان يضرم طعن الدليل مع خرم القوى واما ملك الهوى فلعبة ساعة ودمار دهر ولقد بلغنا ان ملكا من ملوك الهند نزل به صمم فاصبح متوجعا متهما بامور المظالمين وانه لا يسمع استغاثتهم فامر مناديه ان لا يلبس احد في ملكه ثوبا اجرا المظالم وقال

عليها فلا ينزعون الى رياسة ولا يعرفون استبداد من تغلب انما هم مهم في القنوع بالابهة والنقن في الالذات وأنواع الترف وهذا التغلب يكون للوالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذا ان مرضان لا يبره الدولة منهم الا في الاقل النادر والله يؤتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

٢٢ * (فصل في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك) *

وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه منذ اول الدولة بعصبة قومه وعصبة التي استتبعتهم حتى استحكمت له وقومه صبغة الملك والغلب وهي لم تزل باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا التغلب وان كان صاحب عصبة من قبيل الملك او الموالي والصنائع فعصبة مندرجة في عصبة اهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهر او انما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد والابرار والنقض يؤهم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سلطانه منته في ذلك من وراء الحجاب لاحكامه فهو يتجافى عن سمات الملك وشاراته والقباه جهده ويعد نفسه عن النعمة بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان واولوه على انفسهم عن القبيل منذ اول الدولة ومغالط عنه بالنسبة ولو تعرض لشي من ذلك انفسه (١) عليه اهل العصبة وقبيل الملك وحاولوا الاستئثار به دونهم لانه لم يستحكم له في ذلك صبغة تحملهم على التسليم له والانقياد فيه لاول وهالة وقد وقع مثل هذا لعبد الرحمن بن الناصر بن المنصور بن ابي عامر حين سعى الى مشاركة هشام واهل بيته في لقب الخلافة ولم يقع بما قنع به أبوه وأخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتابعة فطلب من هشام خليفته أن يعهده بالخلافة فنفس ذلك عليه بنوعه وان وسائر قرش وباعوا لابن عم الخليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في ذلك خراب دولة العارفين وهلاك المؤيد خليفته واستبدل منه سواه من أعيان الدولة الى آخره واختتمت مراسم ملكهم والله خير الوارثين

٢٣ * (فصل في حقيقة الملك وأصنافه) *

الملك منصب طبيعي للانسان لا نأقدينا ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرب رزقهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته يأخذها من صاحبه لمسا في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض ويمنعه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى المقاتلة وهي تؤدي الى المخرج وسفك الدماء وذهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو مما خصه البارئ سبحانه بالمحافضة فاستحال بقاؤهم فوضي دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في ذلك من العصبة لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لا تتم الا بالعصبة وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا يتم شيء من ذلك الا بالعصبات كما مر والعصبات متفاوتة وكل عصبة قلها تحكم وتغلب على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصبة وانما الملك على الحقيقة لمن يستمد الرعية ويحيي الاموال ويبيد البعوث ويحمي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة (١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكمر الفاء يقال نفس عليه الشيء كفرح لم يره اهلاله كما في القاموس

لئن منعت سمعي لم أمنع بصري فكان كل من ظلم ليس ثوبا اجرا ووقف تحت قصره فيكشف عن ظلامته قال شيخنا وأخبرني أبو العباس الجبازي وكان ممن دخل الصين بسيرة عجيبة غريبة الملوكة في سياستها وذلك ان البيت الذي يكون فيه الملك ناقد سام وصولا بسلسلة

وظرف السلسلة في خارج الطريق وعليها أمناء للسلطان وحفظه في أي المظلم فيحرك السلسلة فيسمع الملك صوت الناقوس فيأمر
بإدخال المظلم في كل من حرك (١١٢) السلسلة تمسكه تلك الحفظة حتى تدخله على السلطان (الباب الثاني عشر في التنصيص

وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرته به عصيته عن بعضها مثل حياية الثغور أو جباية الأموال
أو بعث البعث فهو ملك ناقص لم تتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الأغلبة بالقيروان
والمولك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرته به عصيته أيضا عن الاستعلاء على جميع العصبية
والضرب على سائر الأيدي وكان فوقه حكم غيره فهو أيضا ملك ناقص لم تتم حقيقته وهو لا مثل أمراء
النواحي ورؤساء الجهات الذين تجهمهم دولة واحدة وكثيرا ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق أعني
توجد ملوك على قومهم في النواحي القاصية يدينون بطاعة الدولة التي جهمهم مثل صنهاجة مع العبيديين
وزناتة مع الأمويين تارة والعبيديين تارة أخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل أمراء البربر
وملوكهم مع الفرنجة قبل الإسلام ومثل ملوك الطوائف من الفرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين
وكثير من هؤلاء فاعتبره بحمد الله والظاهر فوق عباده

٢٤ (فصل في ان ارماف المخدم باملك ومفسده في الاكثر)

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه من حسن شكله أو ملاحه وجهه أو عظم جسمه
أو اتساع عمله أو جودة خطه أو ثقب ذهنه وإنما مصلحة لهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان
من الامور الاضافية وهي تسبطين منسجين حقيقة السلطان انه المال للريعية القائم في امورهم عليهم
فالسلطان من له رعية والرعية من له سلطان والصفة التي له من حيث اضافته لهم هي التي تسمى الملكية
وهي كونه يملكونهم فاذا كانت هذه الملكية وتوابعها من الجوده يمكن حصل المقصود من السلطان على اتم
الوجوه فانها ان كانت جيلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضرا عليهم
واملا كلهم يعود حسن الملكية الى الرفق فان المال اذا كان قاهرا باطش بالعبودية منقباعن عورات
الناس وتعد يدنو بهم شعاع الخوف والذل ولا ذوام منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلعوا بها وفسدت
بصائرهم وأخلاقهم ورعوا خذلوهم في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحياية بفساد النبات ورعوا
أجمعوا على قتله لذلك فتنفسد الدولة ويخرب السياج وان دام أمرهم عليهم وقهره فسدت العصبة لما قلناه
أولا وفسد السياج من أصله بالعجز عن الحياية واذا كان رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم استأناموا اليه ولا ذوا
به واشربوا محبته واستجاثوا دونه في محاربة أعدائه فاستقام الأمر من كل جانب وأما توابع حسن الملكية
فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بهاتيم حقيقة الملك وأما النعمة عليهم والاحسان لهم
فن جلة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبيب الى الرعية واعلم انه كلما تكون ملكة
الرفق فيمن يكون يقطا شديد الزكاه من الناس واكثر ما يوجد الرفق في الغفل والمتغفل واقل ما يكون في
اليقظ انه يكلف الرعية فوق طاقتهم النقود نظره فيما وراء مداركهم واطلاعه على عواقب الامور في مباديها
بالمعينة فيها كون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سير واعلى سير اضعفكم ومن هذا الباب اشترط الشارع في
الحاكم قلة الافراط في الذكاء وما خذه من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله عمر عن العراق وقال لم عزلتني
يا امير المؤمنين الجحزام لخيانة فقال عمر لم اعزلك لواحده منهم ما وليكني كرهت ان اجل فضل عقالك على
الناس فأخذ من هذا ان الحاكم لا يكون مقرط الذكاء والكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمر بن
العاصي لما يتبع ذلك من التعسف وسوء الملكية وجل الوجود على ما ليس في طبعه كما يأتي في آخر هذا
الكتاب والله خير المالكين وتقرر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه افراط في الفكر
كما ان البلاء افراط في الجود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية والجود هو التوسط كما في السرم مع

على الخصال التي زعم
الملوك انها ازالوا دولتهم
وهدمت سلطاتهم
أيها الملك احرص كل
الحرص ان تكون خبيراً
بامور عمالك فان المسمى
يقرق من خبرتك به قبل ان
تصيبه عقوبتك والحسن
يستشعر بملكك به قبل ان
يأتيه ثوابك قال أبو جعفر
المنصور ما زال أمر بني أمية
مستقماً حتى أفضى أمرهم
إلى إيمانهم ثم الترفيع
في كانت همهم من عظيم
شان الملك وجلالة قدره
قصد الشهوات وإيثار
اللاذات والدخول في معاصي
الله ومساخطه جهال منهم
باستدراج الله تعالى وأما
لمكره فسلبهم الله العز ونقل
عنهم النعمة قال عبيد الله
ابن مروان ومروان هذا
هو المعروف بمروان الحمار
وهو آخر ملوك بني أمية
قتل في أرض مصر في كورة
بوصية لم يزل ملكاً
وهربت إلى أرض النوبة
فمن اتبعني من أصحابي
فسمع ملك النوبة يخبرني
فجاءني ففقد على الأرض
ولم يقعد على فراش اقترشته
فقلت له لا تقعد على
ثيابنا قال لا قلت ولم قال
لأن ملكاً وحق على كل

التبذير

ملك ان يتواضع لامر الله سبحانه اذ رفته ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم ولم تطؤون الزرع
يدويكم والفساد محرم عليكم ولم تستعملون الذهب والفضة وتلبسون الديباغ والخمر وهو محرم عليكم فقلت زال عنا الملك فقل انصارنا

وانتصرنا بقوم من الاعاجم دخلوا ديننا ولنا عبيد واتباع فعلوا ذلك على كره منا فاطرق مليا بقلب كفيبه وينكبت في الارض ثم قال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استحللتم ما حرم الله وظلمتم فيما ملكتكم فسلمكم الله العز بذنوبكم (١١٣) ولله فيكم نعمة لم تبلغ غايتها واخاف

أن يحل بكم العذاب وانتم ببلدي فيصينني معكم وانما الضافة ثلاثة ايام فترودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدي فترودنا وارتحلنا وسئل بزرجمهر ما بال ملك آل ساسان صار الى ما صار اليه بعد ما كان فيه من قوة السلطان وشدة الاركان فقال ذلك لانهم قلدوا كبار الاعمال ضغارا لرجال وعن هذا قالت الحكماء موت ألف من العلية أقل ضررا من ارتقاع واحد من السقلة وفي الامثال ان زوال الدول باصطناع السقل وقال الشافعي رضي الله عنه اظلم الناس لنفسه اللهم اذا ارتفع جفا أقاربك وانكر معارفه واستغف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل وسئل بعض الملوك بعد زوال ملكه ما الذي سلمك ما كان قال اعطاؤنا من بطرواني ورفع عمل اليوم لغد وسئل بعض الملوك بعد ان سلموا املكهم ما الذي سلمك عزكم وهدم ملككم فقال شغلنا لذاتنا عن التفرد لهما تناووتنا بكفائتنا فترورنا ففهم علينا وظلم عمالنا رعبتنا فانفسدت نياتهم لنا وتناووا الراحة منا وجل على أهل

التبذير والبخل وكفى الشجاعة مع الهوج والجبن وغير ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفات الشيطان فيقال شيطان ومتشيطان وامثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

٢٥ * (فصل في معنى الخلافة والامامة) *

لما كانت حقيقة الملك انما هو الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاء التغلب والقهر للذات هـ ما من آثار الغضب والحيوانية كانت احكام صاحبها في الغالب جائرة عن الحق محقة بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم فلهذا اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر طاعته لذلك وتجي العصبية المفضية الى المخرج والقتل فوجب أن يرجع في ذلك الى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ويتقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم من الامم واذا انحلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلائها سنة الله في الذين خلوا من قبل فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وكبار الدولة وبصرائها كانت سياسة عقلية واذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث وباطل اذ غايتها الموت والفناء والله يقول الحقس بتم انما خلقناكم عبثا فاما مقصودهم انما هو دينهم المفضي بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض فباعت الشرائع بحكمهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرة على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع فما كان منه مقتضى القهر والتغلب واهمال القوة الغضبية في مرعاها فمجرد وعدوان ومذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية وما كان منه مقتضى السياسة واحكامها فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله ومن لم يجعل الله نورا لم يجعله نورا قاله من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكافة فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم واعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم لم انما هي اعمالكم ترد عليكم واحكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ومقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب مقتضى الشرائع حل الكافة على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم وآخرتهم وكان هذا الحكم لاهل الشريعة وهم الانبياء ومن قام فيه مقامهم وهم الخلفاء فـ قد تبين لك من ذلك معنى الخلافة وان الملك الطبيعي هو حل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة والسياسي هو حل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار والخلافة هي حل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الاخر وية والدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به فافهم ذلك واعتبره فيما نورد عليك من بعد والله الحكيم العليم

٢٦ * (فصل في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه) *

واذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وانه نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وامامة والقائم به خليفة وامام فاما تسميته اماما فتشبيها امام الصلاة في اتباعه والافتدائه ولهذا يقال الامامة الكبرى واما تسميته خليفة فلانه يكونه يخلف النبي في امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلاف في تسميته خليفة الله فأجازه بعضهم اقتباسا من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله جعلكم خلائف الارض ومنع الجهور منه لان معنى الآية ليس عليه

(١٥ - ابن خلدون) خراجنا قتل دخلنا وبطل عطاء عبيدنا فزال الطاعة منهم لنا وقصدنا عدونا فقل ناصرنا وكان أعظم ما زال به ملكنا استتار الاخبار منا وقالت الحكماء أسرع الخصال في هدم السلطان وأعظمها واسرعها في افساده وتفرق الحجج عن عهده

أظهار المحاربة لقوم دون قوم والميل إلى قبيلة دون قبيلة فبقي إيمان بحب قبيلة فقديري من قبائل وقديما قيل المحاربة مقسدة وقال مهيود
الموبدان من زوال السلطان تقريب (١١٤) من ينبغي أن يباعد ومباعدة من ينبغي أن يقرب وحينئذ حان أوان الغدر وقيل الملك

وقد نهى أبو بكر عنه لما دعي به وقال لست خليفة الله وإنما خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان
الاستخلاف إنما هو في حق الغائب وأما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع
باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي
الله عنه وتسليم النظر اليه في أمورهم وكذا في كل عصر من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من
الاعصار واستقر ذلك اجماعا دالا على وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس إلى ان مدرك وجوبه
العقل وأن الاجماع الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما واجب بالعقل ضرورة الاجتماع
للشعر واستحالة حياتهم ووجودهم منقردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الأغراض فالملك يمكن
الحاكم الوازع افضى ذلك إلى المخرج المؤذن به لالك البشر وانقطاعهم مع أن حفظ النوع من مقاصد
الشرع الضرورية وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه الحكماء في وجوب النبوات في البشر وقد نهىنا على
فساده وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من الله تسلم له الكافة تسليما إيمانا واعتقادا وهو
غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك وقهر أهل الشوكة ولولم يكن شرع كما في أمم الجوس وغيرهم
من ليس له كتاب أولم تبلغه الدعوة او نقول يكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتحرير الظلم عليه بحكم
العقل فادعواؤهم ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما
يكون بنصب الامام يكون بوجود الرؤساء أهل الشوكة او بامتناع الناس عن التنازع والتظالم فلا ينض
دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع وهو الاجماع الذي قدمناه
وقد شبه بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم من المعتزلة
وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عندهؤلاء انما هو امضاء احكام الشرع فاذا توطأت الامة على العدل
وتنفيذ احكام الله تعالى لم يحتاج إلى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء محجوجون بالاجماع والذي جملهم على هذا
المذهب انما هو القرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدينار والشرعية ممتلئة
بذم ذلك والنهي على اهله ومرغبة في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك لذاته ولا حظر القيام به وانما ذم
المفاسد الناشئة عنه من القهر والظلم والتمتع بالذات ولا شك ان في هذه مقاصد محظورة وهي من توابعه كما
اثني على العدل والنصفة واقامة مراسم الدين والذب عنه وأوجب بازائها الثوب وهي كلها من توابع الملك
فاذا انما وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب
من المكافين وليس مراده تركه ما بالكتابة لدعاية الضرورة اليه وانما المراد تصريفهم ما على مقتضى الحق
وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهم الملك الذي لم يكن لغيرهما وهما من انبياء الله تعالى
واكرم الخلق عنده ثم نقول لهم ان هذا القرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يغنيكم شيئا لانكم
موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصية والشوكة والعصية مقتضية
بطبعها الملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا تقر بأن هذا النصب واجب
باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع إلى اختيار أهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على
الخلق جميعا طاعته لقوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وأما شروط هذا المنصب
فهى أربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الخواس والاعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل واختلاف
في شرط خامس وهو النسب القرشي فاما شرط العلم فظاهر لانه انما يكون منقذ الاحكام الله تعالى
اذا كان عالما بما يعلمه الا يصح تقديمه لما لا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا لان التقليد نقص

بعد ذهاب ملكه ما الذي
أذهب ملككم قال ثقي
بدواتي واستبدادي بمعرفتي
واغفالي استشارتي وانجالي
بشدتي واضاعتي الحيلة
وقت حاجتي والتأني عند
الحيلة ولما أحيط بمروان
الجمعدى وهو آخر ملوك
بنى أمية قال له فاه على دولة
ما نصرت وكف ما ظفرت
ونعمة ما شكرت فقال له
خادمه نسبل وكان من
أولاد أشرف الروم من
أغفل الصغير حتى يكبر
والقليل حتى يكثر والحق
حتى يظهر أصابه مثل هذا
وسئل بعض العلماء ما
الذي أذهب ملك بني مروان
قال تحاسدا لا كفا وانقطاع
الاخبار وذلك ان زيدين
عمر كان يحب أن يضع من
نصر بن سيار وكان لا يمد
بالرجال ولا يرفع إلى
السلطان ما يؤرد عليه من
اخبار خراسان فلما رأى
ذلك نصر بن سيار قال
أرى خلل الرماد وميض نار
فيوشك أن يكون له اضرام
وان النار بالعودين تذكو
وان الحرب أولها الكلام
فقلت تجاهلا يا ليت شعري
أيقاظ أمية أم نيام
وكان العباسيون يؤسسون
لدولتهم ولا تصل اخبارهم

والامامة
الى بني أمية حتى استفحل أمرهم وضعف أمر بني أمية وسئل مروان بن محمد الجمعدى وهو آخر
ملوك بني أمية ما الذي أضعف ملكك بعد قوة السلطان وثبات الأركان فقال الاستبداد برأيي لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان

امده بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال بما يظهر من فساد الدولة قبله وهيهات ان ينتفض على خراسان فانتقضت دولته من خراسان (الباب الثالث عشر في الصفات الرتبة التي (١١٥) زعم الحكماء انها لاتدام معها ملكة) *

ومن أعجب العجائب دوام الملك مع الكبر والعجائب اعلموا ان الكبر والعجائب سليمان الفضائل ويكسبان الرذائل لان الكبر يكون بالانزلة والعجب يكون بالفضيلة والمتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأديين وحسبك من رذيلة تمنع من سماع النصيحة وقبول التأييد والكبر يكسب المقت ويمنع من المسئلة وكل كبر ذكره الله في القرآن ففقرن بالشرك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس انما لك عن الشرك بالله والكبر فان الله سبحانه يغضب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حتى لم يدرك صاحبه ابن يذهب به فصرفه الى الكبر وقال الاحنف بن قيس ما تكبر احد الامن ذلة يجدها في نفسه ولم تنزل الحكماء تنجى الكبر وتأنف منه قال الشاعر فتي كان مذهب الروح لامن خصاصة ولكن كبر ان يقال به كبر ونظر افلاطون الى رجل جاهل معجب بنفسه فقال وددت اني مثلك في ظنك

والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها فكان أولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي انتفاؤها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريا على اقامة الحدود وافتحام الحروب بصيرابها كفيلا يحتمل الناس عليها عار قابا لعصبية واحوال الدهاء قويها على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو واقامة الاحكام وتدبير المصالح واما سلامة الخواص والاعضاء من النقص والعطالة كالجنون والعمى والهمم والمحرص وما يؤثر ففقدته من الاعضاء في العمل كفقده اليدين والرجلين والاشئين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فتشترط السلامة منه شرط كمال و يلحق بفقده ان الاعضاء الممنوع من التصرف وهو ضرب بان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو القهر والعجز عن التصرف جملة بالامور وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو العجز باستيلاء بعض أعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاقة فينتقل النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحيد السياسة جازا قراره والاستنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل الخلافة واما النسب القرشي فلا جاع العجاجة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قریش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عباد وقالوا من ائمة من قريش ومنكم امير بقوله صلى الله عليه وسلم الا ائمة من قريش وبأن النبي صلى الله عليه وسلم اوصانا بان نحسن الى محسنكم وتجاوز عن منيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فجاءوا الانصار ورجعوا عن قولهم من ائمة ومنكم امير وعدلوا عما كانوا هموا به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضا في الصحيح لا يزال هذا الامر في هذا الحى من قريش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر قريش وتلاشت عصبية بني النعمان منهم من الترف والنعم وبما انتقمهم الدولة في سائر اقطار الارض عجزوا بذلك عن حمل الخلافة وتغلبت عليهم الاطام وصار الحل والعقد لهم فاشتبه ذلك على كثير من الخلفاء حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي ذوزبينة وهذا لا تقوم به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والقرض للبالغة في ايجاب السمع والطاعة ومثله قول عمر لو كان سالم مولى حذيفة حيال وليته اولما دخلتني فيه الظنة وهو ايضا لا يقيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضا فولى القوم منهم وعصبية الولا حاصله لسالم في قريش وهي القائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى شروطها كانوا مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عنده فيه حتى من النسب المقيد للعصبية كما نذكر ولم يبق الى صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذا القائدة في النسب انما هي العصبية وهي حاصله من الولا فكان ذلك حرصا من عمر رضي الله عنه على النظر للمسلمين وتقليد امرهم لان لا تحقه فيه لائنة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين بنفي اشتراط القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما أدرك عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال واستبداد ملوك الحزم على الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقا لراى الجوارح لما رأى عليه حال الخلفاء لهده وبقي الوجه ورحلى القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو كان عاجزا عن القيام بامور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي تقوى بها على امره لانه اذا ذهب الشوك بذهاب العصبية فقد ذهب الكفاية واذا وقع الاخلال بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضا الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف الاجماع ولنتكلم الان في

وان أعدت في مثلك في الحقيقة قالت الحكماء قد يدوم الملك مع معظم النقائص فرب فقير ساد قومه ورب احمق ساد قبيلته منهم الا قرع ابن عباس الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاحق المطاع قالوا ولا يدوم الملك مع الكبر وحسبك من رذيلة تسلب السيادة

واعظم من ذلك ان الله تعالى حرم الجنة على المتكبر بن فقال سبحانه وتعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن التكبر بالفساد (١١٦) ومنع من دخول الجنة وقال جل وعز صرّف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير

الحق وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا الا تحول دأؤه في يعني اني اكبر عليه واهل ان الكبر يوجب المقت ومن مقته رجاله لم يستقم حاله ومن أبغضته بطاته كان كمن غص بالماء ومن كرهه الحجة تطاولت عليه الأعداء واما الاعجاب فيجمله على الاستبداد وترك مشورات الرجال ومن الصفات التي لا تقوم معها المماكة الكذب والغدر والخبث والجور والسخف وقالت حكماء العرب والعجم ست خصال لا تعتقر من السلطان الكذب والخلف والحسد والحدة والبخل والجبن فانه اذا كان كذابا لم يوثق بوعده ولا بوعده فلم يرج خيره ولم يخف شره ولا بهاء لسلطان لا يرهب وقال الحكماء تحراب البلاد وفساد العباد مقر ونان باطل الوعد والوعيد من المألوك والكذب اسقط الاخلاق وأغلب شيء على صاحبه وأخرى ان لا ينزع عنه لضراوته وقيل لا عرابي لم تكذب قال لوت عززت به ما تركته وهو نوع من الخش وضرب من الدناءة وأصله اسنة عذاب المنى وهو أضغاث فكر الجحى ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة سميت اليه قال الشاعر حسب الكذوب من الماها نة بعض ما يحكي عليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

حكمه اشتراط النسب ليحقق به الصواب في هذه المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمه في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصل لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد ان من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيتها واذا سبرنا وقسمنا لم نجد لها الا اعتبارا العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة وترفع الخلاف والفرقة بوجودها صاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها وينتظم جبل اللفة فيها وذلك ان قرشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكينون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدروا غيرهم من قبائل مضر أن يردهم من الخلاف ولا يحملهم على الكثرة فتعثر الجماعة وتختلف الكلمة والشارع يحذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع التنازع والشقاق بينهم لتحصيل الوحدة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قر يش لانهم قادرين على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يرادهم فلا يخشى من أحد خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كفيون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشترط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون ابلغ في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فاذعن لهم سائر العرب وانتقادت الامم شوهم الى أحكام الملة وطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في أيام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى أن اضمحل أمر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقر يش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتنظن لذلك في أحوالهم وقد ذكر ذلك ابن اسحق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلما ان الشارع لا يخص الاحكام بجبل ولا قصر ولا أمة علما ان ذلك انما هو من الكفاية فردناه اليها وطردها العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية على من معها العصر هاليسه تتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والا فاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت واقية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة واذا نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائبا عنه في القيام بامور عباده ليحملهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا لمن له قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب (١) في شأن النساء وانهم في كثير من الاحكام الشرعية جعلان تبعا للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عندهم بالقياس وذلك لما لم يكن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهم اللهم الا في العبادات التي كل احد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامامة أو جيل الا من غلب عليهم وقبل ان يكون الامر الشرعي مخالفا للامر الوجودي والله تعالى اعلم

٢٧ * (فصل في مذاهب الشيعة في حكم الامامة) *

(١) قوله الامام الخطيب هو القنبر الرازي قاله نصر اه

وهو أضغاث فكر الجحى ومن يلبته انه يحمل على صاحبه ذنب غيره فاذا سمعت كذبة طائفة سميت اليه قال الشاعر حسب الكذوب من الماها نة بعض ما يحكي عليه واذا سمعت بكذبة من غيره نسبت اليه (وقال غيره)

لي حيلة فيمن يتم وليس في الكذاب حيلة من كان يخلق ما يقو له بقياتي فيه قلبه وقال الله تعالى انما يشترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأما الحسد فانه اذا كان حسودا لم يشرف أحدا واذا ضاعت (١١٧) الاشراف هلكك الاتباع ولا يصلح

الناس الاعلى اشرافهم

قال الشاعر

لا تصليح الناس فوضى

لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالم سادوا

واما البخل فاذا كان بخيلا

لم يناصحه أحد ولا تصلح

الولاية الا بالناصحة وليس

للك ان يتحل لان يموت

الاموال في يديه واما الجبن

فاذا كان جبانا اجتراه عليه

عدوه وضاعت ثغوره واذا

كان حديدا فضربوا والقدرة

من ورائه هلكت رعيته

وليس لللك ان يغضب

لان القدرة من وراء حاجته

ولما دخل اسقف نجران

على مصعب بن الزبير

ضرب وجهه بالقضيب

فادماه فقال الاسقف ان

شاء الامير اخبرته بما انزل

الله على عيسى عليه السلام

قال قل قال لا تغضب بعدها

قال مات قال لا ينبغي للامام

ان يكون سقيما ومنه يلتبس

الحلم ولا جائر ومنه يلتبس

العدل وقال الوزاعي

يهلك السلطان بالاعجاب

والاحتجاب قاما بالاعجاب

فقد ذكرنا وأما الاحتجاب

فهو أوحى الخلال في هدم

السلطان وأسرها خرايا

للبدول فانه اذا احتجب

السلطان فكانه قد مات

(اعلم) ان الشيعة لغة هم الصاحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنبيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تقوض الى نظر الامامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز ان يغفاله ولا تقويضه الى الامامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبار والاصغائر وان عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهاذة السنة ولا ثقلة الشريعة بل أكثرها موضوع او مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي ولهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة ومنها قوله أقضاكم على ولا معنى للامامة الا القضاء بحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكاما في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يبايعني علي روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولا بابا بكر ثم اوحى اليه ليبلغه رجل منك او من قومك فبعث عليا ليكون القارئ المبلغ قالوا هو ذا يدل على تقديم علي وايضا فلم يعرف انه قدم احد اعلى علي واما ابو بكر وعمر فقدم عليهم ما في قرأتين اسامة بن زيد مرة وعمر بن العاصي أخرى وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فها هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهو هؤلاء هم الامامية ويتبرئون من الشيخين حيث لم يقدموا عليا ويبايعوه بمقتضى هذه النصوص ويغمصون في امامتهم ولا يلتفت الى نقل القدر فيهم ما من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الأدلة انما اقتضت تعيين علي بالوصف لا بالالتخصيص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه وهو هؤلاء هم الزيدية ولا يتبرئون من الشيخين ولا يغمصون في امامتهم ما مع قولهم بان عليا افضل منهم بالكنه يجوزون امامة المفضول مع وجود الافضل ثم اختلفت نقول هؤلاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحدا بعد واحد على ما يذكر بعدهم هؤلاء يسمون الامامية نسبة الى مقاتلتهم باشيخ تراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار من الشيوخ ويشترط ان يكون الامام منهم عالما زاهدا جوادا شجاعا ويخرج داعيا الى امامته وهو هؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه محمدا الباقر على اشتراط الخروج في الامام فيه لمزمه بالباقر ان لا يكون ابوهم ازين العابدين اما لانهم لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينسب عليه مذاهب المعتزلة وأخذها باها عن واصل بن عطاء ولما تناظر الامامية زيد في امامة الشيخين ورأوه يقول بامامتهم ما لا يتبرأ منهم ما رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سموا رافضة ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اختلافهم في ذلك الى أخيهما محمدا بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركتناها اختصارا ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا واحد العقل والايمان في القول بالوهمية هؤلاء الائمة اما على انهم بشر انصفا وبصفات الالهية او ان الاله حل في ذاته البشري وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه

لان الحجة موت حكمي فتبعته بطائفة بار واج الخلائق وحرعهم واموالهم لان الظالم قد آمن ان لا يصل المظلوم الى السلطان ومعظم ما رأينا في أعمارنا وسعنا من دخول الفساد على الملوك من حجتهم عن مباشرة الامور ولا تزال الرعية ذاسا لسلطان واحد ما وصلوا

الى سلطانهم فاذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة ياتوا اليها الملك المغرور واحتجبت عن الرعية بالحجاب والابواب وجعلت دونهم مروجاً مشيدة وحظائر بالحجارة والماء (١١٨) والطين مائعة و باب الله مفتوح للسائلين ليس هناك حاجب ولا بواب قال الله تعالى

بالنار من ذاهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار ابن ابي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح ببعثته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوزها الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية في بعضهم يقول هو حي لم يميت الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وانه في السحاب والردصوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قريش * ولالة الحق اربعة سواء
على والثلثة من بنيهم * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسيب سبط ايمان وبر * وسبط غيبة كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الجيش يقدمه اللواء
تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصاً الاثني عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن الحسن العسكري و يلقبونه المهدي دخل في سرداب بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع امه وغاب هناك وهو يخرج آخر الزمان فعلاً الارض عدلا لا يشيرون بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الآن ينتظرونه ويسمونه المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب يبكيون هذا السرداب وقد قدموا ركبا فيهم تقفون باسمه ويدعون للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون ويرحشون الامر الى الليلة الا تيهوهم على ذلك لهذا الهدو بعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف والذي مر على قرية وقتل بني اسرائيل حين ضرب بعظام البقرة التي امروا بذبحها ومثل ذلك من الخوارق التي وقعت على طريق المجزعة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها وكان من هؤلاء السيد الخيري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذال * وهلاله المواشط بالخصاب
فقد ذهبت بشاشته واودى * فقم يا صاح نيك على الشباب
الى يوم تثوب الناس فيه * الى دنياه موقبل الحساب
فليس بعائد ما فات منه * الى احدى الى يوم الاياب
ادين بان ذلك دين حق * وما انا في النشور بذي ارباب
كذلك الله اخبر عن اناس * حيوان بعد درس في التراب

وقد كفانا مؤنة هؤلاء الغلاة ائمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويطلبون احتجاجاتهم عليها واما الكيسانية فسا قوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية ثم افترقوا فنفهم من ساقها بعده الى اخيه علي ثم الى ابنه الحسن بن علي وآخرون يزعمون ان ابا هاشم مات بارض السراة منصرفا من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالتصور وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحد بعد واحد الى آخرهم وهذا مذهب الهاشمية القائلين

الامن شاء ان ينفذ الى
ر به سبيل او قال معاوية
ليس بين ان يملك السلطان
وعيته او تملكه الا الحزم
والتواني و كماله امر ان شدة
في غير افراط ولين في غير
المتان وسئل بزرجه راي
الملك اكرم قال من ملك
جده هزل وقهر له هواه
وأعرب عن ضميره فعله
ولم يخندعه رضاه عن حظه
ولا غضبه من كيدته وقال
بعض الحكماء زوال الدول
في اصطناع السفلى ومن
طال عدوانه زال سلطانه
وقالوا من لم يستظهر باليقظة
لم ينتفع بالحفظة وقال يحيى
ابن خالد احسن ما وجدت
في طراز الحكم من البلاغة
البخل والجهل مع التواضع
خير من الشجاعة والعلم مع
الكبر فبها احسن غطت
على سيئين ويا لها سيئة
غطت على حسنتين
* (الباب الرابع عشر في
الحصول المحمود في
السلطان) *

وقد اتفقت العلماء والحكام
عليها فقالوا اياها الملك ان
بصرت قوتك عن عدوك
فتعاق بالاخلاق الجميلة
التي ليس لعدوك مثلها فان
الكفاية من العادة الشعواء
وقال معاوية لصعصعة بن

صوحان صف لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كان عالما برصته عادلا في قضيته عاريا من
الكبر قبل ولا يذمر سهل الحجاب مضمون الباب مخزيا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقوي ولا يحاف للقريب وقالوا المنفعة

يوجب المؤاتاة والانتقباض

يوجب الوحشة والكبر

يوجب المقت والتواضع

يوجب المقة والجود يوجب

الحمد والبخل يوجب المذمة

والتواني يوجب التضيق

والجد يوجب رجاء الأعمال

واللهو يني توجب الحسة

والحزم يوجب السرور

والتغريب يوجب الندامة

والجذر يوجب العذر

وإصابة التدين توجب

بقاء النعمة وبالثاني تسهل

المطالب والاین کشف

المعاشرة تدوم المودة ويحفظ

الجانب تأنس النفوس

وبسعة خاق المرويطيب

عيشه والاستمارة توجب

التباعد و بكثرة الصمت .

تكون الهيئة وعمل المنطق

يوجب الحلاله والنصفه

تكثر المواصلة وبالافضل

يعظم القدر وبصالح

الأخلاق تزكو بالأعمال

وباحتمال المثلثين

السودد وبالحم عن السفيه

تكثر انصارك عليه وبالرفق

والثبوت يستحق اسم الكرم

وَبَرَكَ مَا لَا يَعْنِيكَ يَتِمُّ

ملك الفضل واعلم ان السياسة

تَكْسُوا أَهْلَ الْحَبِيبَةِ

والفاظاة تخضع عن صاحبها

ثوب القبول ومن صغر

الهبة الحمد للصديق على

بدولة بنى العباس وكان منهم أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعته العباسية
وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس لأنه كان حيا وقت الوفاة وهو أولى
بالورثة بعصية العباسية وأما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها وأنها باختيار أهل الحل والعقد
لابا لنص فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو
صاحب هذا المذهب وخرج بالكوفة داعيا إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بإمامة ابنه
يحيى من بعده فغضبوا إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن
السيطي ويقال له النفس الزكية فخرج بالجواز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر المنصور فقتل وعهد إلى أخيه
إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه إليهم المنصور عساكره فهزم وقتل إبراهيم وعيسى
وكان جعفر الصادق أخبرهم بذلك كله وهي معدودة في كراماته وذهب آخرون منهم إلى أن الإمام بعد
محمد بن عبد الله النفس الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو أخو زيد بن علي فخرج محمد بن
القاسم بالطائفة فقبض عليه وسبق إلى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من الزيدية أن الإمام
بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذي حضر مع إبراهيم بن عبد الله في قتاله مع المنصور وتلقوا الإمامة في
عقبه والله انتسب دعي الزنج كماند كره في أخبارهم وقال آخرون من الزيدية أن الإمام بعد محمد بن عبد
الله أخوه أدريس الذي فر إلى المغرب ومات هناك وقام بامر ابنه أدريس واختط مدينة فاس وكان من
بعده عقبه ملوك بالمغرب إلى أن انقرضوا كماند كره في أخبارهم وبقى أمر الزيدية بعد ذلك غير منتظم
وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن
الحسين السبط وأخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه الدعوة في الديلم الناصر الأطروش منهم واسموا على يده وهو
الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر وعمر أخو زيد بن علي فكانت لبنيه بطبرستان دولة وتوسل الديلم
من نسبهم إلى الملك والاستبداد على الخلفاء بعد ذلك كماند كره في أخبارهم وأما الإمامية فساقوا الإمامة
من علي الرضا إلى ابنه الحسن بالوصية ثم إلى أخيه الحسين ثم إلى ابنه علي زين العابدين ثم إلى ابنه محمد
الباقر ثم إلى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها إلى ولده اسمعيل ويعرفونه بينهم
بالإمام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها إلى ابنه موسى الكاظم وهم الاثناعشرية لوقوفهم عند الثاني
عشر من الأئمة وقولهم بغيبته إلى آخر الزمان كما عرفنا الاسماعيلية فقالوا بإمامة اسمعيل الإمام بالنص
من أبيه جعفر وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبيه إنما هو بقاء الإمامة في عقبه كقصة
هرون مع موسى صلوات الله عليهم ما قالوا ثم انتقلت الإمامة من اسمعيل إلى ابنه محمد المكنى بمو وهو أول
الأئمة المستورين لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتروا تكون دعائه ظاهرين إقامة للحجة على
الخلق وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكنى ابنه جعفر الصادق وبعد ابنه
محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعد ابنه عبد الله المهدي الذي أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعي في كلمة
وتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله بسجلماسة وملك القير وان والمغرب وملك بنوه من بعده
مصر كما هو معروف في أخبارهم ويسمى هؤلاء الاسماعيلية نسبة إلى القول بإمامة اسمعيل ويسمون أيضا
بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أي المستور ويسمون أيضا الموحدة لما في ضمن مقالاتهم من الاتحاد
ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة وملك حصونا
بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها إلى أن توزعها لملك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق

النعمة والنظر في العواقب نجاة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غم ومن سكت سلم ومن خاف حذر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن أطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة زارع البر يحصد السرور صاحب العاقل مغبوط صديق

الحا هـ ل تعب اذا جهات فاسأل واذا زلت فارجع واذا اسأت فاندبم واذا ندمت فاقبل واذا افضت فاكتم واذا منعت فاجل واذا
أعطيت فاجزل واذا غضبت فاحلم (١٢٠) من بدأك ينره فقد شغلك بشكره المروآت كلها تبع للعقل الراى تبع للتجربة العقل

فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذ كورة في كتاب المال والنحل للشهر ستانى وأما الاثنا عشرية
فرى خاصا باسم الامامية عند المتأخرين منهم فقالوا يا مامة موسى الكاظم ابن جعفر الصادق لو فاة أخيه
الا كبر اسمعيل الامام في حياة أبيهما جعفر فنص على امامة موسى هـ هذا ثم ابنه على الرضا الذى عهد الله
المأمون ومات قبله فلم يتم له أمر ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه على الهادي ثم ابنه محمد الحسن العسكري ثم ابنه
محمد المهدي المنتظر الذى قدمناه قبل وفى كل واحدة من هذه المقالات للشريعة اختلاف كثير الا أن هذه
أشهر مذاهبهم ومن أراد استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب المال والنحل لابن خرم والشهر ستانى وغيرهما
ففيها بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلى الكبير

٢٨ * (فصل في انقلاب الخلافة الى الملك)

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصبة ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة الوجود وترتيبها كما قلناه من
قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصبة اذا المطالبة لا تتم الا بها كما
قدمناه فالعصبة ضرورية لله وبوجودها يتم أمر الله منها وفى الصحيح ما بعث الله نبيا الا فى منعة من قومه
ثم وجدنا الشارع قد ذم العصبة ونادى الى اطراحها وتركها فقال ان الله أذهب عنكم عبية الجاهلية (١)
وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضا قد ذم الملك
وأهله ونهى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلاق والاسراف فى غير القصد والتسكب عن صراط الله
وانما حض على الالفة فى الدين وحذر من الخلاف والفرقة واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع
مطية للاخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده فيما ينهى عنه او يذمه من أفعال البشر أو
يندب الى تركها ماله بالكلية او اقتلاعه من أصله وتعطيل القوى التى ينشأ عليها بالكلية انما قصده
تصريفها فى أغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقا وتتحقق الوجهة كما قال صلى الله
عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او
امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يذم الغضب وهو يقصد نزعهم من الانسان فانه لو زالت منه قوة
الغضب لقد قدمه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللأغراض
الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموما واذا كان الغضب فى الله ولله كان محمودا وهو من شعائله
صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشهوات ايضا ليس المراد بباطلها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصا فى
حقه وانما المراد تصريفها فيما ينبج له باشتغالها على المصالح ليكون الانسان عبدا متصرفا طوعا او امر
الا لهية وكذا العصبة حيث ذمها الشارع وقال ان تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم فانه امراده حيث تكون
العصبة على الباطل وأحواله كما كانت فى الجاهلية وأن يكون لاحد فخريها او حق على أحد لان ذلك
محال من أفعال العقلاء وغيرنا ففى الآخرة التى هى دار القرار فاما اذا كانت العصبة فى الحق واقامة
أمر الله فأمر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لا يتم قوامها الا بالعصبة كما قلناه من قبل وكذا الملك لما
ذمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وانما ذمه لما فيه من التغلب
بالباطل وتصريف الآدميين طوعا او اغراضا والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصا فى غلبه للناس
انه لله ومجملهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموما وقد قال سليمان صلى الله عليه وسلم
الى ملأى كالا ينبغى لاحد من بعدى لما علم من نفسه أنه يعزل عن الباطل فى النبوة والمال ولما تلقى معاوية

أصله التثنية وشعرته
السلامة والتوفيق أصله
العقل وشعرته النجى
والتوفيق والاجتهاد
زوجان فالاجتهاد سبب
والتوفيق ينجم الاجتهاد
قال الله تعالى والذين
جاهلوا فبينا لنهدينهم
سبلنا والاعمال كلها تبع
للقدر واختار العلماء
أربع كلمات من أربع
كتب من التوراة من
قنع شبع ومن الزبور
من سكت سلم ومن
الانجيل من اعتزل نجا ومن
القرآن ومن اعتصم بالله
فقد هدى الى صراط
مستقيم الحلم شرف والصبر
طهر والمعروف كنز والجهل
سفه والايام ذول والذهر
غير والمرء منسوب الى
فعله وما أخوذ بعمله اصطلاح
المعروف يكسب الحمد
أكرموا المجلس يعرنا ديك
أنصقوا من نفوسكم يوثق
بكم اياكم والاخلاق الدينية
فانها تصيب الشرف وتهدم
الحمد منهم علة الجاهل
أهون من جريته رأس
العشيرة يحمل اثمها
وأجعت حكماء العرب
والنجم على أربع كلمات
لا تحمل بطنك ما لا تطيق
ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا
تغتر بامرؤ ولا تشق بمنال وان كثر
فارس لو بدان مويد ما شئ واحد يعز به السلطان قال فى املاك الطاعة قال اليهودى الى الخاصة والعبد على العامة قال

(١) قوله عبية الجاهلية قال المجذوب العبية وبالكسر الكبر والفخر والخوة اهـ
* (الباب الخامس عشر فيما يعز به السلطان) * وهى الطاعة قال مالك
عمر فارس لو بدان مويد ما شئ واحد يعز به السلطان قال فى املاك الطاعة قال اليهودى الى الخاصة والعبد على العامة قال

صدق الامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملك وكان يقال طاعة السلطان على أربعة أوجه على الرغبة والرغبة والمحبة والديانة ولما دخل سعد العشيرة على بعض ملوك حمير قال له يا سعد ما صلاح الملك قال معدلة (١٢١) شائعة وهيبية وازعة ورعية طائعة

فان في المعدلة حياة الانام وفي الهيبية نفي الظلام وفي طاعة الرعية التألف والائتلاف طاعة الائمة فرض على الرعية كما ان طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله اتقوا الله بحبه والسلطان بطاعته من اجل الله احلال السلطان عادلا كان اوجاثر الطاعة تؤاخذ شمل الدين وتنظم امور المسلمين عصيان الائمة يهدم اركان الملة اولى الناس بطاعة السلطان ومناصحته اهل الدين والنعم والمروآت اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان ولا تكون النعم والحرم بحقوظة الابه الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقبة السلامة ورفع منازل السعادة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاسة من كل شبهة طاعة الائمة عصمة لمن بها اليها وحرزان دخل فيها وليس للرعية ان تعترض على الائمة في تدبيرها وان سوات لها أنفسها بل عليها الاتقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقوم الحدود وتؤدي الفرائض وتحقق الدماء وتأمين السبل الامامة عصمة للعباد وحياة

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدومه الى الشام في ابهة الملك وزيه من العديدين والعدة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية فقال يا امير المؤمنين اني نغرت تجاه العدو وبننا الى مباهاتهم بزيعة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصده من مقاصد الحق والدين فلو كان القصص درفض الملك من اصله لم يقنعه هذا الجواب في تلك الكسروية وانتحالها بل كان يحرض على خروجه عنها بالجمل وانما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكه من اذنة كالباطل والظلم والبغي وسوء سلوكه والعقلة عن الله واجابه معاوية بان القصص بذلك ليس ككسروية فارس وباطلهم وانما قصصهم باوجه الله فسكت وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك واحواله ونسيان عوائده حذر من التباسها بالباطل فلما استحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم استخاف ابا بكر على الصلاة اذ هي اهم امور الدين وارتضاه الناس للخلافة وهي جل الكفاية على احكام الشريعة ولم يجز للملك ان يكرها انه مظنة للباطل ونحلة يومئذ لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابي بكر ما شاء الله متبعين صاحبهم وقاتل اهل الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقتفى اثره وقاتل الامم فغالهم ثم واذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغالهم عليهم وانبتهم منهم ثم صارت الى عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنهم والكل متبرون من الملك منهم كيون من طريقه واكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاظة الاسلام وبداوة العرب فقد كانوا بعد الامم عن احوال الدنيا وترفعها الا من حيث دينهم الذي يدعوهم الى الزهد في النعيم ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وشظفة الذي ألفوه فلم تكن امة من الامم اسغب عيشا من مضر لما كانوا يحجاز في ارض غيرة ذات زرع ولا ضرع وكانوا ممنوعين من الارياق وجوبها بعدوا واختصاصها بمن وليها من ربيعة واليمن فلم يكونوا يتناولون الى خصصها ولقد كانوا كبراميا ياكلون العقارب والخنثافس ويفقدون بأكل العلهز وهو وبر الابل يمهونه بالحجارة في الدم ويطنخونه وقرى بيا من هذا كانت حال قريش في مطاعهم ومساكنهم حتى اذا اجتمعت عصية العرب على الدين بما كرمهم الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى اعم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض بوعدها الصديق فابتزوا ما كرمهم واستباحوا دنياهم فزحزحت بحار الرفه لديهم حتى كان الفارس الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون الف من الذهب او نحوها فاسهتوا لو ان ذلك على ما لا يأخذ هذه المحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرفع ثوبه بالجمل وكان على يقول يا صفراءو يا بيضاء غري غري وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه لم يعدها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مفعودة عندهم بالجمل وانما كانوا باكل الحنطة بنخالها ومكاسهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام عثمان اقتنى الصحابة الضباع والمسال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار و الف درهم وقيمة ضباعه بنادى القرى وحنين وغيرهم مائة الف دينار وخلف ابلا وخيلا كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف الف فرس و الف امة وكانت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة اكثر من ذلك وكان على مريبط عبد الرحمن بن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة آلاف من الغنم وبلغ الربعع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الف وخلاف يزيد بن ثابت من الفضة والذهب ما كان يكسر بالفوس غير ما خلف من الاموال والضباع بمائة الف دينار وبنى الزبير داره بالبصرة وكذلك بنى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك بنى طلحة داره بالكوفة وشيخه داره بالدينه وبنهاها بالحصن والاجر والساج وبنى

(١٢ - ابن خلدون) للبلاد اوجب الله لمن خصه بفضله واجله اعباءها الطاعة ففرها بطاعته وطاعة رسوله فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم طاعة الائمة هدي بن استضاء بنورها وموئل لمن حافظ عليها الخارج من الطاعة

منقطع العصية يرى من الذمة مبدل بالكفر النعمة طاعة الأئمة خذل الله المتبين وذينة الة ويم وجهته الواقعة وكفايته العالمة اياكم
والخروج عن أنس الطاعة (١٢٢) الى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة وعليك بالاخلاص والنصيحة ما مشى قوم الى

سلطان ليدلوه الا اذلم الله
قبل ان يموتوا الطاعة
مقرونة بالحبية طاعة المحبة
أفضل من طاعة الهبة
للعمة على السلطان
الاستصلاح لهم والتعهد
لامورهم وحسن السيرة
فيهم والعهد عليهم
والتعديل بينهم وحق
السلطان عليهم الطاعة
والاستقامة والشكر
والحبة بالرعية من الحاجة
الى الراعي ما ليس بالراعي
من الحاجة اليهم لولا الرعاة
هلكت الرعية ولولا المسيم
هلكت السوائم

(الباب السادس عشر في
ملك أمور السلطان)
قال سليمان بن داود
عليه السلام الرعية
والعدل يحرزان الملك وقال
زيد ملك السلطان ثلاثة
أشياء الشدة على المذنب
والجأزة للمحسن وصدق
القول ولما غزا معاوية
الأكاف ملك الروم وأخرب
بلاده وقتل جنده وأقنى
بطارقه قال له ملك الروم
انك قد قتلت وأخربت
فاخبرني ما الامر الذي
تسببت به حتى قويت
على ما أرى وبلغت في
السياسة ما لم يبلغه ملك
فان كان مما يضبط الامر

سعد بن أبي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها وأوسع فضاءها وجعل على أعلاها شرافات وبنى المقداد داره
بالمدينة وجعلها محصية الظاهر والباطن وخلف بهلى بن منبه خمسين ألف دينار وعقار وغير ذلك ما قيمته
ثلاثمائة ألف درهم ام كلام المسعودي فكانت مكاسب القوم كما تراهم ولم يكن ذلك ممنوعا عليهم في
دينهم اذ هي أموال حلال لانها غنائم وفيه ولم يكن تصرفهم فيها بأسرا فانما كانوا على قصد في أحوالهم
كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح فيهم وان كان الاستكثار من الدنيا مذموم فانما يرجع الى ما أشرنا اليه من
الأسراف والخروج به عن القصد واذا كان حالهم قصدا ونفقاتهم في سبيل الحق ومذاهبه كان ذلك
الاستكثار عونا لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغضاضة الى نهايتها
وجاءت طبيعة الملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والقهر كان حكم ذلك الملك عندهم
حكم ذلك الرعية والاستكثار من الاموال فلم يصرفوا ذلك التغلب في باطل ولا خرجوا به عن مقاصد
الديانة ومذاهب الحق ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم
فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دنيوي اولا يشار باطل اولا مستعارة عند كما قد
يتوهمه متوهمو ينزع اليه ملحد وانما اختلف اجتهدا في الحق وسفقه كل واحد نظر صاحبه
باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب عليا فلم يكن معاوية قائما فيها بقصد الباطل
انما قصده الحق وأخطأ والكل كانوا في مقاصد هم على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالجد
واستئثار الواحد به ولم يكن معاوية ان يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية
بطبيعتها واستشعرته بنوامية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوا وصوبوا
عليه واستماتوا بدونه ولو خالفهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقع في
افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبرير مخالفة وقد كان عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه يقول اذا رأى القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شي لوليت له الخليفة ولو
اراد ان يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بني أمية اهل الحل والعقد ما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر
عنهم لئلا تقع الفرقة وهذا كله انما اجل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل
وفرضنا ان الواحد انفرده وصرفه في مذاهب الحق وجوهه لم يكن في ذلك نصير عليه واقد انفرده
سليمان وابوه داود صلوات الله عليهم ما جعل بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به
وكانوا ما علمت من النبوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفا من افتراق الكلمة بما كانت بنو
أمية لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اختلفوا عليه مع ان ظنهم كان به صالحا ولا
يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوية غيره فلم يكن لبعهد اليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا لله
لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وان كانوا ملوكا فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب
اهل البطالة والبغي انما كانوا متحريين لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية
افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم
السلف من احوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعلم عبد الملك وأما مروان فكان من الطبقة الاولى من
التابعين وعدلهم معروفة ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالملك الذي كانوا عليه
وتوسطهم عمر بن عبد العزيز ففرع الى طريقة الخلفاء الاربعة والجماعة جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم
واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد

بمثله أدبت اليك الخراج وصنرت كبحض الرعية في الطاعة لك فقال له سابوراني لم أزد في السياسة على عثمان فيها
نحصل لم أهزل في أمر ولا نهى ولم أخلف في وعد ولا وعد ووليت اهل الكفاية وأثبت على العناء لا على الهوى وضربت الادب لا للغضب

وأودعت قلوب الرعية المحبة من غير جراءة وهيبة من غير ضغينة وعجمت بالقوت ومنعت الفضول فأذن له وأدى إليه الخراج وكتب الوليد إلى الحجاج أن يكتب له سيرته فكتب إليه أني أيقظت رأي وأنت هوأي (١٢٣) وأدبت السيد المطاع في قومه ووليت

الحرب الحازم في أمره وقادت الخراج الموفى لامانتبه وقسمت لكل خصم من نفسي قسما يعطيه حظامن نظري ولطيف عنايتي وصرف السيف إلى البطر والمسيء تخاف المذنب صولة العقاب وتسمك الحسن بحظه من الثواب وقال أبو عبيدة إذا كان الملك محصنا السر به عيدا من ان يعرف ما في نفسه متخييرا للوزراء مهيبا في أنفوس العامة مكافئا بحسن البلاء لا بخافة البريء ولا يأمنه المحرم كان خائفا لبقاء ملكه (الباب السابع عشر في خير السلطان وشر السلطان) *

أفضل الملوك من كان شكره بين الرعايا لكل واحد منهم فيه قسطه ليس أحدا حق به من أحدا يطمع القوى في حيفه ولا يياس الضعيف من عدله كان النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ بيده الأمة من أماء المدينة فتطوف به على سكاك المدينة حتى تقضي حاجتها وفي حكم الهند أفضل السلطان من أمنه البريء وخافه المحرم وشر السلطان من خافه البريء وأمنه المحرم وقال عمر للغيرة لما

فيها واعتماد الحق في مذهبها فكان ذلك عمادا للناس إلى أن نعوأ عليهم أفعالهم وأدوا بال دعوة العباسية منهم وولى رجالها الأمر فكانوا من العدل فكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذهبهم ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فاعطوا الملك والترف حقه وانفسوا في الدنيا واطلها وتبذوا الدين وراهم ظهر يافتأذن الله بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن تأمل سيرهؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه وقد حكى المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عروسته وذكر واني أمية فقال أما عبد الملك فكان جبارا لا يسالي بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عيمان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل بنو أمية ضابطين لما هدمهم من السلطان يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه مع تسنهم معالي الأمور ورفضهم دنيا تها حتى أفضى الأمر إلى ابنائهم المترفين فكانت همهم قصدا الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلا باستدراجهم وأمنالهم كرمع أطراحهم صيانة للخلافة واستحقاقهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم الله العز والبرسم الذل ونفي عنهم النعمة ثم استخضر عبد الله بن مروان فقص عليه خبره مع ملك النوبة لما دخل أرضه فأرا أيام السباح قال أقت مليا ثم أتاني ملكهم فقدم على الأرض وقد بسطت له فرش ذات قيمة فقلت له ما منعك من القعود على ثيابنا فقال اني ملك وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله أذرفعه الله ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم فقلت اجترأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا قال فلم تطؤون الزرع بدوا بكم والفساد محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا جعلهم قال فلم تلبسون الديباغ والذهب والخمر وهو محرم عليكم في كتابكم قلت ذهب من المال وانتهرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكرم منا فطرق ينكت بيده في الأرض ويقول عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه إلى وقال ليس كما ذكرت بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما منه نهيتم وظلمتم فيما سلبكم الله العز والبرسم الذل بذنوبكم والله نقمة لم تبلغ غايتها بكم وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم بيدي فينا أني معكم وإنما الضيافة ثلاث فترودا ما احتجبت إليه وارتحل عن أرضي فتعجب المنصور وأطرق فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة إلى الملك وان الأمر كان في أوله خلافة ووازع كل أحد فيهم من نفسه وهو الدين وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم وان افضت إلى هلاكهم وحدثهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين (١) وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه فاني ومنع من سل السيف بين المسلمين مخافة الفرقة وحفظ الالة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى إلى هلاكهم هذا على أشار عليه المغيرة لأول ولايته باستمعاء الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتتفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من أمره وكان ذلك من سياسة الملك فاني فرار من الغش الذي ينافيه السلام وغدا عليه المغيرة من العداة فقال لقد أشرت عليك بالامس بما أشرت ثم عدت إلى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وأن الحق فيما رأيته أنت فقال على لا والله بل أعلم أنك نهيتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعتني مما أشرت به ذات الحق وهكذا كانت أحوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

نرفع دنيانا بترقيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا مارتفع

(١) قوله البيعة بفتح الموحدة أما بكسر هاء على وزن شعبة يسكون الياء فيها فهي معبد النصاري اه

ولاه الكوفة يا مغيرة ليأمنك الأبرار ولتخلفك القجار وفي حكم الهند أيضا شر المال لا ينفق منه وشر الاخوان الخاذل وشر السلطان من خافه البريء وشر البلاد ما ليس فيه خصب ولا أمن وخير السلطان من أشبه النسر وحوله الجيف لا من أشبه الحبيقة وحولها النسر

وعن هذا المعنى قالوا سلطان تخافه الرعية خير للرعية من سلطان يخافها وفي الامثال العامة رهبوت خير لك من رجوت وكان يقال شر خصال الملوك الجبن عن الاعداء (١٢٤) والقسوة على الضعفاء والبخل عند الاطعام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاثة من الفواقر

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحرى الدين ومذايبه والجرى على منهاج الحق ولم يظهر التغير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدور الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده ثم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر كما كانتا وجرت طبيعة الانقلاب الى غايتها واستعملت في اغراضها من القهر والنقلب في الشهوات والملاذوهم كما كان الامر لولد عبد الملك ولبن جابر الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة والملك في الطورين ملتبس ببعضهما بعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها بذهاب عصبية العرب وقضاء جيلهم وتلاشي احوالهم وبقي الامر كما كانتا كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرك يدينون بطاعة الخليفة تبركا والملك بجميع القاب ومناحيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهاجة مع العبيدين ومغراوة وبني يفرن ايضا مع خلفاء بني أمية بالاندلس والعبيدين بالقيروان فقد تبين أن الخلافة قد وجدت بدون الملك أولاً ثم التبت معانيهما واختلطت ثم انفرد الملك حيث افترقت عصبية من عصبية الخلافة والله مقدر اليل والنهار وهو الواحد القهار

٢٩ * (فصل في معنى البيعة)

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كأن المبيع يعاهد أميره على انه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمر المسلمين لا ينزعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكره وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايدهم في يده تأكيذا للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصالحة بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه أيمان البيعة كان الخلفاء يستحلون على العهد ويستوجبون الايمان كلها ذلك فسمى هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكرام فيها أكثر وأغلب ولهذا لما أقرى ما لك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكرام أنكرها الولاية عليه ورواها قاذحة في أيمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه وأما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل أطلق عليهم اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هذا الخوض في التحية والتزام الاكابر من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيها حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصالحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التبرك والابتدال المنافيين للرياسة ووصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فيأخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير أهل الدين من رعيته فافهم معنى البيعة في العرف فانه كما يدل على الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه وامامه ولا تكون أفعاله عبثاً ومجاناً واعتبر ذلك من أفعالك مع الملوك والله القوى العزيز

٣٠ * (فصل في ولاية العهد)

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشر وعينها ما فيها من المصلحة وان حقيقة النظر في مصالح الامة لدينهم ودنياهم فهو واولهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته وتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ويقوم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ويتقون بنظرهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض القاسية وفي بعضها عبد الملك واطنه تصحيفاً قاله نصر

جار ملازم ان رأى حسنة سترها وان رأى سيئة أذاعها وامرأة ان دخلت عليها السننك وان غبت عنها لم تأمها واطمان ان أحسنت لم يحمذك وان أسأت قتلك وقال رجل لبعض العلماء متى أضل وأنا أعلم فقال اذا مدكتك امرأه ان أطعتم لم اذلوكم وان عصيتم قتلوك وقال أبو حازم سليمان بن عبد الملك السلطان سوق ما نفق عنده أتى به وفي كتاب ابن المقفع الناس على دين الملك الا القليل فان يكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك التجور والدناءة في آفاق الارض وجمع زياد جلا يدم الزمان فقال لو كان يدري ما الزمان لعاقبته ان الزمان هو السلطان وقال معاوية لابن النكواء صف لي الزمان فقال أنت الزمان ان تصلح يصلح وان تفسد يفسد والمثل السائر في كل زمان وعلى كل لسان الناس على دين الملك وقال بعض الحكماء ان أحق الناس ان يحذر العدو الفاجر والضديق الغادر والسلطان الخائر وقال من رجع رآه دوم التعب صحبة السلطان السيئ الخلق وقال بعض الحكماء اذا ابتليت بحجة سلطان لا يبريد صلاح رعيته فقد خربت بين الامر بين من بين ما خيارا ما الميل مع الوالي على الرعية فهو هالك الدين وأما الميل مع الرعية على الوالي فهو هالك الدنيا فلا حيلة لك الا

الموت أو الحرب منه وقالوا الملك العادل كالتبر الصافي ينتفع به الاشرا والاخيار ولا يضر احدا والمالك السوء مثل الجيفة يسرع اليها الشرا
الحيوان ويخامها الناس * (الباب الثامن عشر في منزلة السلطان من القرآن) * (١٢٥) روى عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان
الله يرعى بالسلطان مالا
يرعى بالقرآن معناه أى
يدفع وقال كعب مثل
الاسلام والسلطان والناس
مثل القسطاط واليهود
والاطناب والاورناد
فالقسطاط الاسلام واليهود
السلطان والاطناب
والاورناد الناس لا يصلح
بعضهم الا ببعض وقال
أردشير لابنه يابني ان الملك
والدين اخوان لا غنى
لا أحدهما عن الآخر
فالدين أس والمالك حارس
ومالم يكن له أس فهو
مهدوم ومالم يكن له حارس
فضائع يابني اجعل حديثك
مع أهل المراتب وعطيتك
لأهل الجهاد وبشر لك لأهل
الدين وسرك لمن عندهما
عناك ولتكن من أهل
العقل وكان يقال الدين
والسلطان توأمان
* (الباب التاسع عشر في
خصال جامعة لأمير
السلطان) *

الامة على جوازها وانعقادها اذ وقع بعهد أبى بكر رضى الله عنه لأمير بمحض من الصحابة واجازوه وأوجبوا على
أنفسهم به طاعة عمر رضى الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل لهم أن
يختاروا المسلمين ففوض بعضهم الى بعض حتى أفضى ذلك الى عبد الرحمن بن عوف فاجتهد وناظر المسلمين
فوجد منهم متقين على عثمان ودلى على فاضل عثمان بالبيعة على ذلك لموافقة اياه على لزوم الاقتداء
بالشيخين في كل ما بين دون اجتهاده فانه قد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون
للاولى والثانية ولم ينكره أحد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته
والاجماع حجة كما عرف ولا يتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه وابنه لانه مأمون على النظر لهم في
حياته فاولى أن لا يحتمل فيها تبعة بعد عتاته خلافاً لما قال باتهامه في الولد والوالد أول من خصص التهمة بالولد
دون الوالد فانه بعد من الظنة في ذلك كله لا سيما اذا كانت هناك داعية تدعو اليه من اشارة مصلحة او
توقع مقسدة فتنتفى الظنة عند ذلك رأسا كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق
الناس له حجة في الباب والذي دعا معاوية لا يشار به يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في
اجتماع الناس واتفاق اهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حيثئذ من بني أمية اذ بنوا أمية يومئذ
لامرضون سواهم وهم عصاة قريش وأهل الملة اجمع وأهل الغلب منهم فاثرت بذلك دون غيره ممن يظن
انه أولى بها وعدل عن القاضل الى المفضل حرصا على الاتفاق واجتماع الاله والذى شأنه أهم عند
الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالة وصحبة مانعة من سوى ذلك وحضورا كبار الصحابة لذلك
وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا بمن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه
العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو
محول على توهمه من الدخول في شيء من الامور مباحا كان او محظورا كما هو معروف عنه ولم يبق في
الخلافه لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور والابن الزبير وندور الخالف معروف ثم انه وقع مثل ذلك من
بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية
والسجاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم من عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين
والنظر لهم ولا يعاب عليهم ايشار بأبنائهم واخوانهم وخرجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير
شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينيا فعند كل احد وازع من
نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره وكلاهما كل من سعى الى ذلك الى وازعه وأما
من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضيع
واحتيج الى الوازع السلطاني والعصبية فلوعهد الى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتهى
أمره سريرا وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف * (سأل رجل عليا رضى الله عنه ما بال المسلمين اختلافوا
عليك ولم يختلفوا على أبى بكر وعمر فقال لان ابابكر وعمر كانا والدين على مثلى وانا اليوم والى مثلك يشير الى
وازع الدين أفلا ترى الى المأمون لما عهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف انكرت
العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا العمه ابراهيم بن المهدي وظهر من المخرج والخلاف وانقطاع السبل
وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الامر حتى بادرا المأمون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لما هدده
فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات
وتختلف باختلاف المصالح والكل واحد منها حكم يخصه اطلاقا من الله بعباده واما ان يكون القصد بالعهد

وسلاحه كفاهه وماله رعيته وقالت حكما الهند لا طفر مع بنى ولا صحة مع نهم ولا بناء مع كبر ولا شرف مع سوء أدب ولا بر مع شح ولا
اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سود مع انتقام ولا ثبات مع تهاون وجهالة وزارة وياولى أبو بكر رضى الله عنه

خطب فقال أيها الناس انه لا أحد أقوى عندي من المظلوم حتى آخذله بحقه ولا أضغف من الظالم حتى آخذ الحق منه وقبل للاسكندر
 جم نلت ما نلت قال باستمالة (١٢٦) الاعداء والاحسان الى الاصدقاء وقال بزر جهر سوسوا احرار الناس بمحض المودة

والعامة بالرغبة والرغبة
 والسفلة بالخفافة وقال
 الموبدان السياسة التي بها
 صلاح الملك الرقي بالرعية
 وأخذ الحق منهم في غير مشقة
 وسد الفروج وأمن السبل
 وان ينصف المظلوم من
 الظالم ولا يحمل القوى
 على الضعيف وقالوا الوالي
 من الرعية كالأرواح من
 الجسد لا حياة له الا به
 وبعد الوالي من اصلاح
 الرعية مع افساد نفسه
 كبعد الجسد مع البقاء بعد
 ذهاب الرأس والسلطان
 خليف أن يعود نفسه الصبر
 على من خالف رأيه من ذوي
 النصيحة والتجسس لمرارة
 قولهم ولا ينبغي أن يحسد
 إلا على حسن التدبير ولا أن
 يكذب لأن أحد لا يقدر
 على استكراهه ولا أن
 يغضب لأن الغضب
 والقدرة تقاح الشر والندامة
 ولا أن يتخلل لأنه أقل الناس
 تخوفاً من الفقر ولا أن يحقد
 لأن قدره جل عن المجازاة
 ولا ينبغي للوالي أن يستعمل
 سفيه فيما يكتب في
 بالسوط ولا سوطه فيما يكتب
 فيه بالمحس ولا حبسه فيما
 يكتب فيه بالجفاء والوعيد
 وقال معاوية اني لا أضغ
 سيفي حيث يكفيني سوطي
 ولا سوطي حيث يكفيني

حفظ التراث على الابناء فليس من المقاصد الدينية اذهوا أمر من الله يخص به من يشاء من عباده ينبغي أن
 تحسن فيه النية ما أمكن خوفاً من العيب بالمناصب الدينية والملك لله يؤتيه من يشاء وعرض هذا مورد
 تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها وقالوا أول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته فإياك ان تظن
 بمعاوية رضي الله عنه انه علم ذلك من يزيد فانه عدل من ذلك وأفضل بل كان يعذله أيام حياته في سماع
 الغناء وينهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهم فيه مختلفة ولم يحدث في يزيد ما حدث من الفسق
 اختلف الصحابة حينئذ في شأنه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين
 وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل
 مع الجزع عن الوفا به لأن شوكة يزيد يومئذ هي عصاة بني أمية وجهور أهل الحل والعقد من قريش
 وتسبغ عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فأقصر واعن يزيد بسبب ذلك
 وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه وهذا كان شأن جهور المسلمين والكل محتمل دون ولا ينكر على
 أحد من الفريقين فقاصد هم في البر وتحرى الحق معروفة وفقها الله للاقته دأبهم والامر الثاني هو شأن
 العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه وهو أمر لم يصح ولا نقله
 أحد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب الدواة والقرطاس لكتب الوصية وأن عمر منع من ذلك
 فدليل واضح على انه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال ان أعهد فقد عهد
 من هو خير مني يعني أبابكر وان أترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك
 قول علي للعباس رضي الله عنه ما حين دعاه للدخول الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن شأنهم ما في
 العهد فإني على من ذلك وقال انه ان متعنا منها فلا نطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على ان علياً علم انه لم
 يوص ولا عهد الى أحد وشبهة الامامية في ذلك انما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس
 كذلك وانما هي من المصالح العامة المفروضة الى نظر الخلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن
 الصلاة وكان يستخاف فيها كما استخاف أبابكر في الصلاة وكان يشتر كما اشتهر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة
 على خلافه أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينته اذ ان رضاه
 لدينا دليل على أن الوصية لم تقع ويدل ذلك ايضاً على ان أمر الامامة والعهد بهما لم يكن معاً كما هو اليوم
 وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في مجاري العادة لم يكن يومئذ بذلك الاعتبار لان أمر الدين
 والاسلام كان كله بخوارق العادة من تأليف القلوب عليه واستمالة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال
 التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة انصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة
 تنبى عليهم فلم يحتاج الى مراعاة العصبية لما شمل الناس من صيغة الانقياد والاذعان وما يستقرهم من تتابع
 المعجزات المخارقة والأحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجوا منها ودهشوا من تتابعها
 فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع من درجات ذلك القبول كما وقع فلما انحسر
 ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات ثم بقضاء القرون الذين شاهدوها فاستحال تلك الصيغة قليلاً قليلاً
 وذهبت الخوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصبية ومجاري العوائد فيما ينشأ عنها من
 المصالح والمفاسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما من المهمات الأكدية كما زعموا ولم يكن ذلك من
 قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم لم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرجت الالهية
 زمان الخلافة بعض الشيء فسادت الضرورة اليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا

الاساني ولوان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت اذا مدوها خلتها واذا خلوها مدتها ونحو هذا بالخيار
 قول الشعبي كان معاوية كالجمل والطب والجمل الطبيب هو الجاذق بالشئ لا يضع يده الا حيث تبصر عينه وينبغي له أن يعلم رعيته أنه

لا يضاب خيره الا بالمعونة له على الخير ولا ينبغي له أن يدع تفقد لطيف أمور الرعية اتسكا على نظره في جسمها فان لطيف موقع ينتفع به وقد آتى الله ملك الدنيا سليمان بن داود عليهما السلام ثم تفقد الطير فقال مالي لا أرى (١٢٧) الهدى دلان النهاون باليسير أساس

الوقوف في الكبير وقد قال الشاعر

لا تحقرن شيئا

كم حشر اشيب وقالوا اصل الاشياء كلها

شيء واحد ولا تدع مباشرة

جسيم أمره فالحسيم موضع

ان غفل عنه تفاقم ولا يلزم

نفسه مباشرة الصغير أبدا

فيضيع الكبير وقال

زياد تحاجبه ولينك حجابتي

وعزائك عن أربع المؤذن

للصلاة وصاحب الطعام

فان الطعام اذا أعيد سخنه

فسد وصار خاليل لشردها

وصاحب البر يدفأ نهاون

بالبر يدساعة يخرب عمل

سنة وكان أبو العباس

السفاح يقول لأعنان اللين

حتى لا ينتفع الا بالشدة

ولا كثرة من الخاصة

ما امتهم على العامة

ولا غمدن سبقي حتى يسله

الحق ولا عطين حتى لا أرى

للعطية موضعا وقال أردشير

لما كمل ملكه وأباد

أعداءه انه لم يحكم حاكم

على العقول كالعبر ولم

يحكمها بحكم كالنخبة

وليس شيء أجمع للعقل من

خوف وحاجة يتأمل بها

صفحات حاله وكان عمر

يقول ان هذا الامر لا يصلح

له الا اللين في غير ضعف

بالخيار في الفعل والتترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سر الوازع عن القرقة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها والامر الثالث شأن الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين فاعلم ان اختلافهم انما يقع في الأمور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين ومن لم يصادفه فهو مخطئ فان جهته لا تنع من باجتماع فيبقى الكل على احتمال الإصابة ولا يتعين المخطئ منها والتأثم مدفوع عن الكل اجناعا وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد مصيب فأخرى بنفي الخطأ والتأثم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة على معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك فأما واقعة على فان الناس كانوا عند مقتل عثمان مقتربين في المصار فلم يشهدوا بيعة على والذين شهدوا منهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس وبيعة واعي امام كسعد وسعيد وابن عمر وأسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام وقدامة بن مظعون وأبي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخاض وفضالة بن عبيد وأمثالهم من أكابر الصحابة والذين كانوا في المصار عدلوا عن بيعته أيضا الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضي حتى يكون شوري بين المسلمين لمن يولونه وظنوا بعلو في السكوت عن نصر عثمان من قاتله لافي الممالاة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بلامته انما يوجهها عليه في سكوته فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى على أن بيعته قد انعقدت ولزمت من تأخر عن اجتماع من اجتمع عليهم بالبيعة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن الصحابة وأرجأ الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا يلزم بعقد من تولاها من غيرهم او من القليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضي فيطالبون اولا بدم عثمان ثم يجتمعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاصي وأم المؤمنين عائشة والزبير وابنه عبد الله وطلحة وابنه محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن كان على رأيهم من الصحابة الذين تخلفوا عنبيعة على بالبيعة كما ذكرنا الا ان اهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقادبيعة على ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب اليه وتعين الخطا من جهة معاوية ومن كان على رأيه وخصوصا طلحة والزبير لانه قاضهما على على بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التأثم عن كل من الفريقين كالشأن في المجتهدين وصار ذلك اجماعا من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل على رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصبيقين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احدا من هؤلاء وقلبه منقى الادخل الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقعن عندك ريب في عدالة احدهم ولا قدح في شيء من ذلك فهم من علمت واقوالهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم مقر وغمنا عند اهل السنة الاقولا للمعتزلة فيمن قاتل عليا لم يلتفت اليه احدا من اهل الحق ولا عرج عليه وانما نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شأن الاختلاف في عثمان واختلاف الصحابة من بعد وعلمت انها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة بين ما المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا المصار على حدودهم

والقوة في غير عنف وقال الاصمعي قال لي الرشيد هل تعرف كلمات جامعات لا تكلم الا بخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها تكون لا غرضها القبول بقاصدها وفقا تشرح المستبهم وتوضح المستجهم قلت نعم يا امير المؤمنين دخل اكنتم بن صديق حكيم العرب على بعض

ملوكها فقال له اني سائلك عن اشياء لاتزال بصدري مخيلة وما تزال الشكوك عليها والحنة فانبتني بماعندك فيها فقال ابيت اللعن
سألت خبيراً واستتبأت بصيراً والجواب (١٢٨) يشفعه الصواب فسل عما بدالك قال ما اسودد قال اصطناع المعروف عند العشرة

واحتمال الجريرة قال
فما الشرف قال كف الاذى
وبذل الندي قال فما
المجد قال جل المغارم وابتناء
المكارم قال فما الكرم
قال صدق الاخاء في الشدة
قال فما العز قال شدة
العصا وكثرة العدد قال
فما السماحة قال بذل
النائل وحب السائل قال
فما الغنى قال الرضا عما
يكفي وقلة التمتي قال فما
الرأى قال لب تعينه
تجربة قال له الملك اوريدت
زناد بصيرتي واذا كيت
نار حيرتي فاحتكم قال اكل
كلمة هجمة قال هي لك
قال الاضحي فقال لي الرشيد
والك بكل كلمة بدرة
فانصرفت بنمانين الفا
وكان قس بن ساعدة
يفد على قيصري كرمه
فقال له يوماً ما أفضل العقل
قال معرفة الرجل بنفسه
قال ما أفضل العلم قال
وقوف الرجل عند علمه قال
فما أفضل المروعة قال
استيقاظ الرجل ما وجهه
قال فما أفضل المسال قال
ما قضى به الحقوق
*(الباب الموفى عشرين
في الخصال التي هي اركان
السلطان)*

قال ابو جعفر المصور

بالبصرة والكوفة والشام ومصر وكانا كثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثر وامن صحبة
النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبتهم سيرته وآدابه ولا ارتاضوا بخلافه مع ما كان فيهم في الجاهلية من الجفاء
والعصبية والتفاخر والبعده عن سكينه الايمان واذابهم عند استفتح حال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين
والانصار من قريش وكنانة وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السابقين الاولين الى الايمان
فاستنكروا من ذلك وعصوا به ما يرون لانفسهم من التقدّم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم
مثل قبائل بكر بن وائل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن وقيس من مضر فصاروا
الى الغرض من قريش والانفة عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالنظم منهم والاستعداد عليهم
والطعن فيهم بالهجر عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفشت العقالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم
من علمت فاعظموا وابلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمرو بن عبد بن مسleme
واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينسكروا على الامراء شيئا ولا راوا عليهم طعنوا واذوا ذلك كما علموه فلم يقطع الطعن
من اهل الامصار وما زالت الشناعات تنمو وورحى الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه
جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسألون عزل العمال وشكوا الى
عائشة وعلى والزبير وطليحة وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك استنهم بل وقدس عيدين
العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولا ثم انتقل الخلفاء بين عثمان ومن
معه من الصحابة بالمدينة ونقموا عليه امتناعه عن العزل فابى الا ان يكون على جرحه ثم نقوا النكير الى
غير ذلك من افعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضا كذلك ثم تجمع قوم من الغوغاء وجاءوا الى المدينة
يظهرون طلب النصفة من عثمان وهم يضررون خلاف ذلك من قتله وفيهم من البصرة والكوفة ومصر
وقام معهم في ذلك على وعائشة والزبير وطليحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى رايهم
وعزل لهم عامل مصر فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مداس يزعمون انهم لقوه في يد حامله الى
عامل مصر بان يقتلهم وحالف عثمان على ذلك فقالوا ما كنا من مروان فانه كاتبك فخاف مروان فقال
عثمان ليس في الحكم اكثر من هذا فاصروه بداره ثم بيتوه على حين غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب
القتلة فلا بكل من هؤلاء عذروا فيما وقع وكاهم كانوا مهتمين بامر الدين ولا يضيعون شيئا من تعلقاته ثم نظروا
بعده هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على احوالهم وعالم بهم ونحن لا نظن بهم الا خير الماشية هدت به
احوالهم ومقالات الصادق فيهم واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكافة من اهل عصره بعثت
شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان ياتيهم فيقوموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد يدمت عين
من اجل فسقه لاسيما من له القدرة على ذلك وظنهم من نفسه باهليته وشو كنهه فاما الاهلية فكانت كما ظن
وزيادة واما الشوكة فغلط بوجه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد
مناف وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لهم قريش وساثر الناس ولا ينكرونه وانما
نسى ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من الذهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة انصرة المسلمين
فاغفلوا امور عواندهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنازعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في
الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع
امر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء لانه وانفذ عادات العصبية كما كانت ولما كانت
واصبحت مضرا طوع لبني امية من سواهم عما كان لهم من ذلك قبل (فقد) تبين لك غلط الحسين الا انه

ما كان احوالي ان يكون على باي اربعة لا يكون على باي اعف عنهم قيل من هم يا امير المؤمنين في
قال هم اركان الملك لا يصلح الملك الا بهم كما ان السير لا يصلح الا بربع قوائم فان نقص قائمة واحدة فانه ذلك احدهم قاض لا تأخذ

في اللوم لا ثم والاخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرغبة فاني فني عن ظلمهم ثم مضى على اصبعة السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه قال من هو يا امير المؤمنين (١٢٩) قال صاحب بر يد يكتب يخبر هؤلاء على

الهمة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا بربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح له امر ولا نهي قوة على جمع المال من ابواب حله ووضع في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين لا وهن فيه (الباب الحادي والعشرون في بيان حاجة السلطان الى العلم)

قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال اوساطان فلا يعجبك ذلك فان زوال الكرامة ترواها ولا يمكن يعجبك ان اكرمك لادب او علم او دين اعلم ارشدك الله ان اكثر الناس حاجة الى التفتة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا والخلق مستعدون من السلطان ماله من الخلاق السنية والطرائق العلمية مفتقرون اليه في الاحكام وقطع الشاجر وفصل الخصام فهو احوج خلق الله الى معرفة العلوم وجمع الحكم وشخص بلا علم كبلد بلا اهل وفضل ما في السلطان خصوصا وفي الناس عموما محبة العلم والتخلي به والشوق الى استماعه والتعظيم له فان ذلك دليل على قوة الانسانية فيه وبعده من البهيمية ومضاهاته

في امر ديني لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القسرة على ذلك ولقد عزل ابن العباس وابن الزبير وابن عمرو وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيره الى الكوفة وعلوا غلظه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فمروا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدمافاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا أنكروا عليه ولا آثموا لانه مجتهد وهو اسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأثير هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصرته فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلا على فضله وحقه ويقول سئلوا جابر بن عبد الله واباسه الخدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم عن نصرته ولا تعرض لذلك لعله انه من اجتهادهم كما كان فعله من اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان من اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحذو الشافعي والمالكي الحنفي على شرب النبيذ واعلم ان الامرابس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انقروا بقتاله يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا قاوم مجز هؤلاء الخروج عليه فافعله عندهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من اعمال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مقتود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل هي من فعلاته المؤكدة لقسمة الحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالاعوام والقواصم ما معناه ان الحسين قتل بشرع جده وهو غلط جلته عليه العقلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الاكراه واما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه الحسين في وطن كظن وغلظه في امر الشوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطا في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك قضى لثبته ولم يحددها واما يزيد فعين خطاه فسقه وعبد الملك صاحب ابن الزبير اعظم الناس عدالة وناهيك بعد الله احتجاج مالك بفعله وعدول ابن عباس وابن عمر الى بيعته عن ابن الزبير وهم معه بالحجاز مع ان الكثير من الصحابة كانوا يرون ان بيعته ابن الزبير لم تنعقد لانه لم يحضرها اهل العقد والحل كبيعة مروان وابن الزبير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في الظاهر وان لم يتعين في جهة منهم والقول الذي نزل به بعد تقرير ما قررناه يجبي على قواعد الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحريره الحق هذا هو الذي ينبغي ان نحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم مخيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح فن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين يلونهم مرتين او ثلاثا ثم يغشوا الكذب فجعل الخيرة وهي العدالة مختصة بالقرن الاول والذي يليه فإياك ان تعود نفسك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالرأي في شيء مما وقع منهم والتمس لهم مذاهب الحق وطرقه ما استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بيعة وما قاتلوا وقتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعتقدهم ذلك ان اختلفوا لانهم رجحوا ان يعدهم من الامة لانه قتل كل واحد من مختاره منهم ويجعله امامه وهاديه ودليله فافهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه واكوانه واعلم انه على كل شيء قدير واليه المرجع والمصير والله تعالى اعلم

(١٧ - ابن خلدون) للعالم العلوي وهو من اوكدم ما يجيب به الى الرغبة واذا كان الملك خاليا من العلوم ركب هواه واضر برعيته كالداية بالارسن تمر في غير طريق وقد تلف ما عثر به واعلم ان زهر القضايل وحسن المناقب وبراء الحسن وما ضاد ذلك من قبح

المثالب ونفس الرذائل كل ذلك يظهر عليك ويعظم منك بقدر ما أوتيته من علو المنزلة وشرف الخطوة فيكون حسنك أحسن كما يكون
قبيلك أقبح وليس أحسن أهل (١٣٠) الدرجات السنية والمرتبات العلية أخرج إلى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب

٣٢ * (فصل في الخطط الدينية الخلفية) *

لما تبين أن حقيقة الخلفاء نابعة عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع
متصرف في الأمرين أما في الدين فبمقتضى التكليف الشرعية الذي هو ما مورب بتبليغها وحل الناس
عليها وأما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران الدنيوي وقد قدمنا أن هذا الأمران
ضروري للدين وأن رعاية مصالحه كذلك ثلاثا يقسمان أهملت وقد علمنا أن الملك وسطوته كاف في حصول
هذه المصالح نعم إنما تكون أكمل إذا كانت بالاحكام الشرعية لانه أعلم بهذه المصالح فقد صار الملك
يندرج تحت الخلافة إذا كان اسلاميا ويكون من توابعها وقد ينقر إذا كان في غير الملة وله على كل حال
مراتب خادمة ووظائف تابعة تتعين خططا وتوزع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته
حسب ما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك أمره ويحسن قيامه بسلطانه وأما المنصب
الخلفائي وإن كان الملك يندرج تحت هذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بخطط ومرتبات
لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلذلك لا تن الخطط الدينية المختصة بالخلافة ونرجع إلى الخطط الملوكة
السلطانية فاعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والقتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة
تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة فكانها الإمام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها
وداخلية فيها العموم نظرا للخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والدنيوية وتنفيذ احكام الشرع فيها
على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع هذه الخطط كلها وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت
الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه
في السياسة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدينا فلولوا أن الصلاة ارفع من
السياسة لما صح القياس وإذا ثبت ذلك فاعلم أن المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية
معدة للصلوات المشهودة وأخرى دونها مختصة بقوم أو محلة وليست للصلوات العامة فاما المساجد العظيمة
فأمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض اليه من سلطان أو وزير أو قاض فينصب لها الإمام في الصلوات
الخمس والجمعة والعيدين والخسوف والاستسقاء وتعين ذلك أمما هو من طريق الاولى والاستحسان
ولثلايقتات الرعايا عليه في شيء من النظر في المصالح العامة وقد يقول بالوجوب في ذلك من يقول بوجوب
اقامة الجمعة فيكون نصب الإمام لها عنده واجبا * وأما المساجد المختصة بقوم أو محلة فأمرها راجع إلى
الجيران ولا تحتاج إلى نظر خليفة ولا سلطان وأحكام هذه الولاية وشروطها والمواالي فيها معروفة في كتب
الفقه ومبسوطة في كتب الاحكام السلطانية لا سوردى وغيره فلا تطول بذلك كما هو التقدير الأولون
لا يقدونها الغير منهم من الناس وانظر من طعن من الخلفاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصدهم لذلك
في أوقاتها يشهد ذلك بما شرتهم لها وأنهم لم يكونوا يستخلفون فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية
من بعدهم استنار اربابها واستعظاما لرتبتها يحكي عن عبد الملك انه قال لما جبهه قد جعلت لك حجابة بابي
الا من ثلاثة صاحب الطعام فانه يقصد بالتأخير والاذن بالصلاة فانه داع إلى الله والبريد فان في تأخير
فساد القاصدة فطاعات طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم ودنياهم
استتابوا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنوينا
فعل ذلك كثير من خلفاء بني العباس والعبيد دين صدر دولتهم وأما القتياف والخليفة تفصح أهل العلم
والتدريس ورد القتياف إلى من هو أهل لها واعانته على ذلك ومنع من ليس أهل لها وزجره لانها من مصالح

العلوم والحكم ومطالعة
دواوين العلماء ومجامع
الفقهاء وسير الحكماء من
السلطان وإنما كان ذلك
من وجهين أحدهما انه
قد نصب نفسه لإمارة
أخلاق الناس وفصل
خصوصاتهم وتعاطي
حكوماتهم وكل ذلك يحتاج
إلى علم بارع ونظر ثاقب
وبصيرة بالعالم قوية ودراسة
طويلة فكيف يكون
حاله لو لم يعد هذه الأمور
عديتها ولم يقدم لها أهميتها
والثاني أن من سواه من
الناس لا يعدون من
ينكر عليهم ويعارضهم
ويذكرهم مساوئهم
ويخالفهم في مذاهبهم
فيكون ذلك مما يعينهم
على رياضة أنفسهم وتعلمهم
مراشدهم ومناظرة الاكفاء
ومعاشرة النظراء تليق
العقول وتهذيب النفوس
وتدرييب المأخذ الاحكام
تخلاف السلطان فان
ارتفاع درجته يقطع عنه
جميع ذلك اذ لا يلقاه
ولا يجالسه الا معظم القدر
مبجل لشأنه وسائر مساويه
ومادح له بما ليس فيه
وانما جوابه لهم صدق
الامير وعلى قدر المرتبة
يكون علو السقطة كما ان
على قدر ارتفاع الحائط يكون صوت الوجبة * (فصل) * يا أيها الملك ليس أحد فوق أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد دون المسلمين
أن يؤمر بتقوى الله ولا أحد أجل قدر من أن يقبل أمر الله ولا أرفع خطر من أن يتعلم حكم الله ولا أعلى شأن من أن يتصف بصفات الله ومن

ضقات الله الذي وصف به سبحانه نفسه وتعد بحسنه فقال تعالى وسع كرسيه السموات والارض والكرسي هو العلم والكراسي هم العلماء واذا كان العلم فضيلة فرغبة الملوك وذوى الاخطار والاقدار والاشراف (١٣١) والشيوخ فيه أولى لان الخطأ فيهم أقبح

والابتداء بالفضيلة فضيلة

(حكى) ان ابراهيم بن

المهدي دخل على المأمون

وعنده جماعة يتكلمون

في الفقه فقال يا هؤلاء ما عندك

فما يقول هؤلاء فقال يا أمير

المؤمنين شغلونا في الصغر

واشتغلنا في الكبر فقال

المأمون لم لا تتعلم اليوم

فقال او يحسن بمثلي طلب

العلم فقال نعم والله لان

تموت طالبا للعلم خير من أن

تعيش قانعا بالجهل قال

والى متى يحسن العلم قال

ما حسنت بك الحياة

وروى أن بعض الحكماء

راى شخصا يطلب العلم

ويحب النظر فيه ويستحي

فقال يا هذا استحي أن

تكون في آخر عمرك أفضل

مما كنت في أوله ولان

الصغير أعذر وان لم يكن في

الجهل عذر وفي مشور

الحكم جهل الشباب معذور

وعلمه محذور فاما الكبير

فالجهل به أقبح ونقصه

عليه أفضح لان علو السن

اذ لم يكسبه فضلا ولم يفده

علما كان الصغير أفضل

منه لان الامل فيه أقوى

وحسبك نقیصة في رجل

يكون الصغير المساوى له

في الجهل أفضل منه وكما

ذكرنا من حاجة الشيخ الى

المسلمين في اديانهم فتجب عليه مراعاتها لا يتعرض لذلك من ليس له باهل فيضل الناس وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبنه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في أمتها كما مر فلا بد من استئذانه في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون لكل أحد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التصدي لمسا ليس له باهل فيضل به المستهدى ويضل به المسترشد وفي الأثر أجروكم على الفتيا أجروكم على جرائم جهنم فلا سلطان فيهم لذلك من النظر ما توجه به المصلحة من اجازة أو رد وأما القضاء فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسب الدعاى وقطعا للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتقدمة من الكتاب والسنة فكان لذلك من وظائف الخلافة ومنه درجاني عموما وهو كان الخلاف في صدر الاسلام بياشرونه بانفسهم ولا يجعون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء وهي مستوفاة فيه يقول أما بعد فان القضاء فریضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نقاذله وأس بين الناس في وجهك ومجالستك وعدالك حتى لا يطمع شريف في حيفتك ولا يياس ضعيف من عدالك السنة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيته أمس فراجعت اليوم فيه علة لك ومديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قدیم ومراجعة الحق خير من التماس في الباطل الفهم الفهم فيما تلجأ في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور ينظرها واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو بينة أمدا ينتهي اليه فان حضر بينته أخذت له بحقه والاستحالة القضية عليه فان ذلك أنفي للشك وأجلى للعالم المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد أو مجر با عليه شهادة زور أو ظنيما في نسب أو ولاء فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرأ بالبينات واياك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في موطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر وانما كانوا يقلدون القضاء لغيرهم وان كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشتغالهم من الجهاد والفتوحات وسد الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم اعظم العناية فاستحقوا القضاء في الواقعات بين الناس واستحقوا فيه من يقوم به تحقيقا على انفسهم وكانوا مع ذلك انما يقلدونه اهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء ولا يقلدونه من بعدهم في ذلك واما احكام هذا المنصب وشروطه فعروفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الاحكام السلطانية الا ان القاضى انما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب القضاء آخر الامر على انه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأى من رآه والنظر في مصالح الطرقات والابنية وتصفيح اليهود والامناء والنواب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتواضع ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعون للقاضى النظر في المظالم وهي وظيفة متميزة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهبة تسمع الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي وكأنه يعضى ما يحجز القضاء أو غيرهم عن امضاءه ويكون نظره في البينات

العلم فحاجة السلطان اليه أكثر ودواعيه الى اكتسابه أشد لان من عداها انما تخصه نفسه الواحدة فيقرب عليه تحصيل ما يقوم به والمالك

منتصب سياسة اهل مملكته وتعليمهم وتقويم اودهم فهو الى العلم أحوج قال الشاعر اذا لم يكن غراسين مترجما

من الفضل في الانسان سمعته مطلقا وما تنفع الاموام حين تعدها ولم تستغفهن غلما ولا عقلا ارنى الدهر من سوء التصرف ما مثالا
الى كل ذي جهل كان به جهلا (١٣٢) وقال بعض الحكماء كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة وكيف يستكشف

والنقر يروا اعتماد الامارات والقراش وتأخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف
الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي وكان الخلفاء الاولون يباشرونهم باياهم الى ايام المهنة يدى من بنى
العباس و ربما كانوا يجعلونها لقضائهم كما فعل عمر رضى الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكما
فعله المأمون يحيى بن أكتهم والمعتمد لا جـ د بن ابي داود و ربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في
حساكر الطوائف وكان يحيى بن أكتهم يخرج ايام المأمون بالطائفة الى ارض الروم وكذا منذ بن سعيد
قاضي عبد الرحمن الناصر من بنى أمية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء او من
يجهلون ذلك له من وزير مقوض او سلطان متغلب وكان ايضا النظر في الجرائم واقامة الحدود في الدولة
العباسية والاموية بالاندلس والعميد بن بمصر والمغرب راجعا الى صاحب الشرطة وهي وظيفة أخرى
دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول توسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلا فيجعل للثمة
في الحكم مجالا ويرفع العقوبات الزاجرة قبل ثبوت الجرائم و يقيم الحدود الثابتة في محالها ويحكم في
الوقود والقصاص و يقيم التعزير والتأديب في حق من لم ينته عن الجريمة ثم تنويسي شأن هاتين الوظيفتين
في الدول التي تنويسي فيها امر الخلافة فصارا من المظالم راجعا الى السلطان كان له تقوى من الخليفة اولم
يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة التهمة على الجرائم واقامة حدودها ومباشرة القمع
والقصاص حيث يتعين ونصب لذلك في هذه الدول كما يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة
الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشرطة وبقى قسم التعازير واقامة الحدود في الجرائم
الثابتة شرعا فجمع ذلك للقاضي مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفته ولايته واسمته قرا لمرمها
العهد على ذلك ونحرت هذه الوظيفة عن اهل عصبة الدولة لان الامر لما كان خلافة دينية وهذه
الخطوة من مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبتهم من العرب ومنهم بالهلال بالرق او
بالاصطلاح ممن يوثق بكفايته او غنائه فيما يدفع اليه ولما انقرض شأن الخلافة وطورها وصار الامر
كله ملكا او سلطانا صارت هذه الخطط الدينية بعيدة عنه بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا
مراسمه ثم خرج الامر جـ لة من العرب وصار الملك لسواهم من اهل الترك والبربر فازدادت هذه الخطط
الخلافية بعدا عنهم بنحائها وعصبتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله
عليه وسلم منهم واحكامهم وشرائعهم فحاشا ان يولوا غيرهم ولا يرون ذلك انما يولونها اجانب من
التعظيم لسادانها بالملة فقط فصاروا يقلدونهم من غير عصبائهم عن كان تأهل لها في دول الخلفاء السالفة
وكان اولئك المتأهلون لما اخذهم ترف الدول منذ من من السنين قد نسوا عهد البداوة وخشوتها
والندسوا بالخصارة في عوائد ترفهم ودعوتهم وقلة الامانة عن أنفسهم وصارت هذه الخطط في الدول
المالوكية من بعد الخلفاء مختصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار ونزل اهلها عن مراتب العز
لفقد الاهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة فلهذا هم من الاحتقار ما لحق الحضرة المتعسفين في الترف
والدعة البعداء عن مصيبة الملك الذين هم عيال على الحماية وصار اعتبارهم في الدولة من اجل قيامها
بالملة واخذها باحكام الشريعة لما انهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ
اكراما لذواتهم وانما هو لما يتلمع من التجميل بمكانهم في مجالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن
لهم فيها من المحل والعقد شيء وان حضره فحضور رسمي لاحقة وراعاة حقيقة المحل والعقد انما هي
لاهل القدرة عليه فن لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لدية اللهم الا اخذنا لاحكام الشرعية عنهم وتلقى

ملك او ذو منزلة عليه عن
طالب العلم وهذا موسى
عليه السلام ارتحل من
الشام الى مجمع البحرين
في أقصى المغرب على بحر
الظلمات الى لقاء الخضر
لنتعلم منه فلما نظره قال
هل أتبعك على أن تعلمني
عما علمت رشداهذا هو
نبي الله وكليمه وهذا محمد
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصقوته من جميع
خلقه قد اوصاه ربه وعلمه
كيف يستتر ما في خزانته
فقال وقل رب زدني علما
فلو كان في خزانته اشرف
من العلم لنبه عليه وهذا
آدم عليه السلام لما خفرت
الملائكة بتسبيحها
وتقديسها الر به انقر آدم
بالعلم فقال انبثوني باسماء
هؤلاء ان كنتم صادقين
فلما عجزوا امرهم بالسجود
له واخلاق مخصلة تستدعي
السجود لم املها ان يتنافس
فيها كل ذي لب وهذا
فصل الخطاب لمن تدبره
ولا تنصين لك عذرا بما
روى في بعض الاخبار مثل
الذي يتعلم العلم في الصغر
كالوشم على الصخر والذي
يتعلم في الكبر كالنقش
على الماء فقد سمع الاحنف
وجـ لا يقول التعلـ في

القتاوى

الصغر كالنقش في الحجر فقال الكبير ا كبره ولاولـ كنه اشغل قلبا ففحص عن المعنى ونبه عن العلة

وقد كان اصحاب النبي عليه السلام يسلمون شيوا وكهولا واحدا ثاؤا كانوا يتعلمون العلم والقرآن والسنن وهم يحجرون العلم وأطواد الحكم

والفقه غير أن العلم في الصغر ازدهر وأصوله وأسبق فروعا وليس إذا لم يحضره بقوة كنه قال زجل لابي هريرة رضي الله عنه ما أنى أريد أن
أتعلم العلم وأخاف أن اضيعه فقال أبو هريرة كفى بتركك له تضيعا وبعض الخبر (١٣٣) من كل الشر وانما مثل الجاهل تحت

غيب الجاهل مثل الجاهل
تحت جل ثقل فانه كلما
امان قصه قليلا قليلا يوشد
أن يتقصه كله فيستريح
منه وأن هو لم يطرح القليا
حتى يطرح الكثير فها
أوشك أن يصرفه حمله
وكذلك الجاهل إذا تعلم
قليلا قليلا يوشك أن يأتي
على يقينه وأن لم يتعلم في
الكبر لم يافاته في الصغر
فأوشك به أن يموت تحت
غيب الجاهل

*(الباب الثاني والعشرون
في وصية أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب)*

رضي الله عنه لكميل بن
زياد في العلم وأهله قال
كميل بن زياد النخعي
خرجت مع علي بن أبي
طالب رضي الله عنه إلى
الجبالة فلما أصبح تنقس
الصعداء ثم قال يا كميل بن
زياد إن القلوب أوعية
فخيرها وأوعاها للخير أحفظ
عني ما أقول لك الناس
ثلاثة فعالم رباني ومتعلم
على سبيل نجاه وهمج
رعاع اتباع كل ناعق يملون
مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور
العلم ولم يلجؤا منه إلى ركن
وثيق العلم خير من المال
العلم بحر شل وانت بحر من
المال والعلم ين كوعلى

الفتاوى منهم فمنع والله الموفق وربما يظن بعض الناس أن الحق فيما وراء ذلك وأن فعل الملوك فيما
فعلوه من إخراج الفقهاء والقضاة من الشورى مرجوح وقد قال صلى الله عليه وسلم لم العلماء ورثة الأنبياء
فأعلم أن ذلك ليس كما ظنه وخكم الملك والسلطان إنما يجري على ما تقتضيه طبيعة العمران والا كان بعيدا
عن السياسة فطبيعة العمران في هؤلاء لا تقضي لهم شيأ من ذلك لأن الشورى والحل والعقد لا تكون إلا
لصاحب عصبة يقتدر بها على حل أو عقد أو فعل أو ترك وأما من لا عضبة له ولا يملك من أمر نفسه شيأ ولا
من حمايتها وانما هو عيال على غيره فأي مدخل له في الشورى أو أي معنى يدعو إلى اعتباره فيها اللهم الا
شوراه فيما يعلمه من الأحكام الشرعية فوجوده في الاستفتاء خاصة وأما شوراه في السياسة فهو بعيد عنها
للفقدان العصبة والقيام على معرفة أحوالها وأحكامها وانما كرامهم من تبرعات الملوك والأمراء
الشاهدة لهم بحميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب إليه بأي جهة انتسب وأما قوله صلى الله عليه
وسلم لم العلماء ورثة الأنبياء فأعلم أن الفقهاء في الأغلب لهذا العهد وما احتف به إنما جلاوا الشريعة أقوالا
في كيفية الأعمال في العبادات وكيفية القضاء في المعاملات ينصونها على من يحتاج إلى العمل بها هذه غاية
أكارهم ولا يتصفون إلا بالقل منها وفي بعض الأحوال والسلف رضوان الله عليهم وأهل الدين والورع
من المسلمين جلاوا الشريعة اتصافا بها وتحققا بآدابها فمن جملها اتصافا وتحققا دون نقل فهو من الوارثين
مثل أهل رسالة التفسير ومن اجتمع له الأمران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين
والسلف والأئمة الأربعة ومن اقتفى طريقهم وجاء على أثرهم وإذا انفرد واحد من الأمة بأحد الأمرين
فالعابد أحق بالورثة من الفقيه الذي ليس بعابد لأن العابد وردت صفة والفقيه الذي ليس بعابد لم يرد
شيأ إنما هو صاحب أقوال ينصها علينا في كيفية العمل وهؤلاء أكثر فقهاء عصرنا إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم

(العدالة) وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفه وحقيقة هذه الوظيفة هي القيام من اذن
القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملا عند الأشهاد أو ادعاء عند التنازع وكتبا في السجلات تحفظ
به حقوق الناس وأما حكمهم وديونهم وسائر معاملاتهم وشروط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية
والبراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عباراتها وانتظام فصولها ومن جهة
أحكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما
يحتاج إليه من المراسن (١) على ذلك والممارسة له اختص ذلك ببعض العدول وصار الصنف القائم به
كانهم يختصون بالعدالة وليس كذلك وإنما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي
تصفح أحوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشروط العدالة فيهم وأن لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ
حقوق الناس فالعهد عليه في ذلك كله وهو ضامن دركه وإذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة تمت الفائدة في
تعين من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الأمصار واشتباة الأحوال واضطرار القضاة إلى الفصل
بين المتنازعين بالبيانات الموثوقة فيعولون غالباً في الوثوق بها على هذا الصنف ولهم في سائر الأمصار دكاكين
ومصاطب يختصون بالجلوس عليهم افتتاعاً منهم أصحاب المعاملات للأشهاد وتقييدها بالكتاب وصار مدلول
هذه اللفظة مشتركة بين هذه الوظيفة التي تبين مدلولها وبين العدالة الشرعية التي هي أخت الجرح وقد
يتواردان ويفترقان والله تعالى أعلم *(الحسبة والسكة)* أما الحسبة فهي وظيفة دينية من

(١) قوله المراسن بكسر الميم التمرن والاعتقاد على الشيء اهـ

الإنفاق والمال تنقصه النفقة والعلم حاكم والمال يحكمهم عليه وعجبة العالم دين يدان الله به يكسبه بالطاعة في حياته وجبل الأحداث
بعد وفاته مات خزان الأموال وهم أحياء والعلم باقون ما بقى الدهر انما يخصهم بمقودة وأما لهم في القلوب موجودة هان ههنا وأشار

بيده الى صدره لعلها اجتمعت له خلة بلى قد اصبحت له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آله الدين للدنيا فيستظهر بحجج الله تعالى على كتابه او كما قال وينعمته على عباده (١٣٤) او منقاد الالهل الحق لا بصيرة له في اخباته ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة

الا اذا ولا ذاك اومه وما بالذات سريع الانقياد للشهوات ام آخرا نه جمع المال والادخار ليسا من رعاة الدين اقرب شبرا بهما الانعام الساعة اللهم فكذلك يموت العلم يموت حامله ولا يكن ان تخلو الارض من قائم لله سبحانه بحجة لا تبطل حجج الله وبيناته ومن اولئك وابن اولئك اولئك الاقلون عدد الاكثرون عند الله قدر وتخزن الحكمة في قلوبهم حتى يزعموها في قلوب أشباههم ويودعوها في صدور نظرائهم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباثروا روح اليقين فاستلنوا ما استوحشه المتفرون واستأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأجساد اوارحها متعلقة بالجل الأعلى اولئك تحلفاء الله في بلاده ودعائه الى دينه آه شوقا الى

باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له فبتمين فرضه عليه ويتخذ الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزروا ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع التجالين واهل السقن من الاكثاف في الجمل والحكم على اهل المديان المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة والضرب على أيدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضربهم للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الى علمه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوى مطلقا بل فيما يتعلق بالغش والتدليس في المعاش وغيرها وفي المكاييل والموازين وله ايضا جعل المماطين على الانصاف وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بينة ولا انفاذ حكم وكانها احكام ينزه القاضي عنها لعمومها وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون خادمة لمنصب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيديين بمصر والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي يولي فيها اختياره ثم لما انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصارت نظره عاما في امور السياسة تدرجت في وظائف الملك واقررت بالولاية (واما السكة) فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها عما يدخلها من الغش او النقص ان كان يتعامل بها عددا او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلاص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد التحذير لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار بعد ان يقدر ويضرب عليه بالطريقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر ومذاهب الدولة المحركة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى الاجتهاد فاذا وقف اهل اقطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسوها اماما وعبارة يتبرون به نقودهم وينتقدونها مماثلته فان نقص عن ذلك كان زيفا والنظر في ذلك كله اصاحب هذه الوظيفة وهي ذبذبة بهذا الاعتبار فتدرج تحت الخلافة وقد كانت تدرج في عموم ولاية القاضي ثم اقررت لهذا العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر الكلام في الوظائف الخلافية وبقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما يتطرقه واخرى صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والخارج صارت سلطانية تتكلم عليها في اما كتبها بوظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت بسطالانه الا في قليل من الدول يمارسونه ويديرجون احكامه غالبا في السلطانيات وكذا نقابة الانساب التي يتوصل بها الى الخلافة او الحق في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالجمل قد اندرجت رسوم الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور كيف يشاء

٣٣ (فصل في اللقب بامير المؤمنين وانه من سميات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء)

وذلك انه لما بويع ابو بكر رضي الله عنه كان الصحابة رضي الله عنهم وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك فلما بويع امر به هذه اليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استنقلوا هذا اللقب بكثرة وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائما الى ان ينتهي الى الهجنة ويذهب منه التميز بتعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرفون كانوا يعدلون عن هذا اللقب الى ما سواه مما يناسبه ويدعي به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الامير وهو فاعيل عليه وتذكر ههنا منافعه

رويتهم (الباب الثالث والعشرون في العقل والادها والحيث) قد ذكرت في كتاب الاسرار حقيقة العقل واقسامه ومحله واحكامه بما لا مزيد عليه وتذكر ههنا منافعه

ومداركه ولباب ما تخرز من القول فيه انه الاستشهاد بالشاهد على الغائب فن كان في طوقه ان يستدل بما شاهد على ما غاب عنه كان معه عقل ويسمى عاقلا عند الموحدين وبه توجه التكليف عليه وذلك ان من نظر الى قصر

قد كمل بنيانه وحصنت أركانه وجمعت فيه من الآلات ما يكتفي به ساكنوه فاشرف عليه انسان فرأى بيوتاً مقطوعة وأبواباً منصوبة
وفرشاً مقروشة وزراري مبنوثة وموائد موضوعة وصحافاً مصفوفة وأرائك منصوبة (١٣٥) وخجلاً مشدودة وطسوتاً وأباريق

وبيوت ماء وميازيب
تصب الماء وتحتها بلايخ
لغرض الماء الى سائر
ما يستعمله العقلاء لا لتفاد
ثم فكر هل هذا القصر
بما حواه صنعة قادر صانع
عالم حي أو اتفق لنفسه
وتركب على صورته بلا
صانع فيستقر في عقله
بالضرورة استحالة وجوده
من غير صانع وأنه مقتدر
الى صانع صنعه وهذا علم
يهم على العقول لا يقتدر
الى نظر واستدلال وإنما
كثرت البهائم هذه الامثلة
لان ما في الانسان من
الاعضاء والاطراف الصنعة
والعجائب أكثر مما في
القصر بأضعاف مضاعفة
فاذا نظر الى ما في نفسه
فرأى فيها من العجائب
والتركيب ومنفعة كل
عضو وتخصيصه بما يجب
نفع أو دفع ضرر فأنظره
في عضو واحد مثلاً وهو
فمه فيرى في اوله اسناناً
تشبه الفأس تصلح للقطع
وفي آخره طواحين مدرسة
تصلح للطحن وشقوق
كانها ثقال الرخي يمنعان
ان يتهراق الطعام الى
خارج واسناناً يرد ما انقلب
من الطعام اليه على
الطواحين ثم يلى ذلك

من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة أيضاً
يدعون سعد بن ابى وقاص أمير المؤمنين لآمارته على جيش القادسية وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق ان
دعابعض الصحابة عمر رضى الله عنه يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان أول
من دعاه بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمرو بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يريد جاء بالفتح من بعض
البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر يقول أين أمير المؤمنين وسماها أصحابه فاستحسنوه وقالوا
أصبت والله اسمها به والله أمير المؤمنين حقا فدعوه بذلك وذهب لقباله في الناس وتوارثه الخلفاء من بعده
سعة لا يشاركون فيها أحد سواهم سائر دولة بني أمية ثم ان الشيعة خصوا علياً باسم الامام نعتاله بالامامة التي
هي أخت الخلافة وتعرضوا لمذهبهم في أنه أحق بالامامة الصلاة من ابى بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه
بهذا اللقب ولما يسوقون اليه منصب الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ماداموا يدعون لهم
في الخفاء حتى اذا استولون على الدولة يحولون اللقب فيمن بعده الى أمير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس
فانهم ما زالوا يدعون أنهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاه له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما
هلك دعى أخوه السفاح بامير المؤمنين وكذلك افضة باقرية فانه ما زالوا يدعون أنهم من ولد اسمعيل
بالامام حتى انتهى الامر الى عبيد الله المهدي وكانوا أيضاً يدعونه بالامام ولا ينفكوا عن القاسم من بعده فلما
استوثق لهم الامر دعوا من بعدهما بامير المؤمنين وكذلك الادارسة بالمغرب كانوا يلقبون اذريس بالامام
وابنه اذريس الاصغر كذلك وهكذا شأنهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سعة لمن يملك
الحجاز والشام والعراق الموطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الدولة والفتح وازداد ذلك في
منقوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض لما في أمير من الاشتراك بينهم فاستحدث
ذلك بنو العباس نجاباً لاسمائهم الاعلام عن امتهانها في السنة السوطة وصوناً لها عن الابتذال فلقبوا
بالسفاح والمنصور والمهدي والمهدي والرشيد الى آخر الدولة واقفني أثرهم في ذلك العبيد يديون
باقرية ومصر وتجا في بنو أمية عن ذلك بالشرق قبلهم من الغضاضة والساذجة لان العروبية
ومنازعها لم تفارقهم حينئذ ولم يتحول منهم شعار البداوة الى شعار الحضارة وأما بالاندلس فلقبوا كسلفهم
مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز اصل العرب والملة والبعث عن دار
الخلافة التي هي مركز العصبة وانهم انما منعوها بامارة القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس حتى اذا جاء
عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول
المائة الرابعة واشتهر ما نال الخلافة بالشرق من الحجز واستبداد الموالى وعيشه في الخلافة بالانزل
والاستبدال والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالشرق واقر بقبعة وتسمى
بامير المؤمنين وتلقب بالناسر لدين الله وأخذت من بعده عادة ومذهب لقن عنه ولم يكن لا ياتيه وسلف
قومه واستمر الحال على ذلك الى ان انقرضت عصبة العرب أجمع وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالى
من العجم على بني العباس والصنائع على العبيد بين بالقاهرة وصنهاجة على أمراء افرريقية وزناتة على المغرب
وملوك الطوائف بالاندلس على امر بني أمية واقسموه واقترق امر الاسلام فاختلعت مذاهب الملوك
بالمغرب والشرق في الاختصاص باللقاب بعد ان تسماوا جميعاً باسم السلطان فاما ملوك المشرق من العجم
فكان الخلفاء يخصوصونهم باللقاب تشريفاً حتى يستشعرونها تقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف
الدولة وعضد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة ونصير الدولة ونظام الملك وبهاء الدولة وذخيرة الملك

بلعوم لا زدراده بعد الطحن علم يادني تأمل ان هذه الخلقة ما انقلبت بنفسها اتفاقاً بل هي مقترة الى قصد قاصد وجعل جاعلي وعلى هذا
النمط لو ذهبن ان ذكر منقعة كل عضو لوقفت على العجب ولكن تركناه كراهية التطويل وعلى هذا المعنى به الكتاب المهيمن فقال تعالى

وفي أنفسكم أفلا تبصرون وبهذه العبرة تستقل العقول بآيات الصانع وتستغني عن النظر في الجواهر والأعراض فالعلم المقيد بالآيات الصانع في الشاهد مثل البناء والتجار (١٣٦) والخياط وأشباههم بعد النظر في صنائعهم على اضطراروا العلم المثبت للصانع سبحانه

وأما هذه وكان العبيدون أيضا يخصوصون بها أمراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بهذه الألقاب وتجاؤا عن الألقاب الخلافة أدبامها وعدوا عن سماتها المختصة بها شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل ونزع المتأخرون أعاجم المشرق حين قوى استبدادهم على الملك وعلا كبرهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبة الخلافة واضمحلت بالجملة إلى انتقال الألقاب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة على الألقاب يخصصون بها قبل هذا الانتقال مشعرة بالخروج عن رتبة الولاة والاصطناع بما أضافوها إلى الدين فقط فيقولون صلاح الدين أسد الدين نور الدين وأما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا الألقاب الخلافة وتوزعوا القوة استبدادهم عليها كما كانوا من قبيلها وعصبيتها فلقبوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وأمثالها كما قال ابن أبي شرف ينبغي عليهم

عما زهدني في أرض أندلس * أسماء معتمد فيها ومعتضد
اللقاب ملكة في غير موضعها * كالمركبكي انتفاخ صورة الأسد

وأما صنهاجة فاقصروا على الألقاب التي كان الخلفاء العبيديون يلقبون بها للتبويه مثل نصير الدولة ومعر الدولة واتصل لهم ذلك لما أدوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا عهد هانئ سواها هذه الألقاب واقصروا على اسم السلطان وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب لم يتحلوا شيئا من هذه الألقاب إلا اسم السلطان جريا على مذاهب البداوة والغصاة ولم يخفى رسم الخلافة وتعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل البربر يوسف بن تاشفين ملك المتونة فبالعدوتين وكان من أهل الخير والاقتداء نزعته به همته إلى الدخول في طاعة الخليفة تكملا لمراسم دينه فخاطب المسقطي بظهر العباسي وأوفد عليه ببعثته عبد الله بن العربي وابنه القاضي أبا بكر من مشيخة أشبيلية يطالبان توليته إياه على المغرب وتقليده ذلك فاقبلوا إليه بعهد الخلافة له على المغرب واستشعار زعيمهم في لبوسه ورتبه وخاطبه فيه بأمير المؤمنين تشرى بقاله واختصاصا فاختذها لقبوا يقال أنه كان دعي له بأمير المؤمنين من قبل أدبام رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من انتقال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على أثرهم داعيا إلى الحق أخذوا مذهب الأشعرية ناعيا على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لطواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التمسيم كما هو معروف من مذهب الأشعرية وسمى أتباعه الموحدين تعريضا بذلك النكير وكان يرى رأى أهل البيت في الإمام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ وجوده نظام هذا العالم فسمى بالامام أولا لما قلناه من مذهب الشيعة في الألقاب خلفائهم وأردف بالمعصوم إشارة إلى مذهبهم في عصمة الامام وتزعمه عند أتباعه عن أمير المؤمنين أخذوا مذهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الأغمار والولدان من أعقاب أهل الخلافة يومئذ بالشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهد هذه اللقب بأمير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حفص من بعدهم استثنى أربابهم سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الأمر وأولياؤه من بعده كذلك دون كل أحد لانتفاء عصبيته قرينش وتلاشها فكان ذلك دأبهم ولما انتقض الأمر بالمغرب وانتزعه زناة ذهب أولهم مذاهب البداوة والسذاجة واتباع المتونة في انتقال اللقب بأمير المؤمنين أدبام رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها بني عبد المؤمن أولا وبني أبي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه هذا العهد استبلا غا في منازع الملك وتعيمها لمذاهبهم وسماواته والله غالب على أمره

عند النظر في حدوث العالم
علم استدلال اعتبارا
للغائب بالشاهد إذا فرق
في العقول بين صنعة
وصنعة في اقتضاء صانع
وانما كان العلم في الشاهد
ضروريا لأن الإنسان لم
يزل يرى البناء يدني
والخياط يخط والتجار
ينجز الخشب ولم تر العقلاء
القديم سبحانه يخاف
ويخترع وانما استفادوه
من النظر في الشاهد فان
قبل فأي العلمين أقوى في
التفوق وأثبت في العقول
العلم بالصانع النظر في
السريير واقتضائه للتجار
أم العلم بالآله عند النظر في
السموات والأرضين وما
بينهما فالجواب أن هذا
يستدعي تفصيلا وتدقيقا
وليس هذا الكتاب
موضوع لذلك فينبغي تعلم
أن معناه عقلا غريزيا
ونسميا عاقلا وتوجسه
التسكيف عليه وهو العقل
التسكيني وإذا ثبت هذا
فأعلم أن الله تعالى خالق
الخلق على أربعة أنحاء
ملائكة وأدميين
وشياطين وبهائم فاما
الملائكة فعقول بلا شهوات
ولا هوى يقاربه واما البهائم
فشهوات بلا عقول وأما

الشياطين والجن فركب الله فيهم العقول والشهوات والهوى وهكذا ركب في بني آدم العقل والهوى والشهوة
فعلبت شهوات الشياطين وهواهم معقولهم فقطعوا أوقاتهم بالخلق المذمومة بالكبر والحب والمقت والفخر والدعوى والجسند

والاذية وسائر الاخلاق المهلكة وأما البهايم فتقتضت أوقاتا في شهوات البطن والفرج وأما الآدميون فركب فيهم عقول الملائكة
وأخلاق الشياطين وشهوات البهايم فمن قلب عقله هو واحد منهم فكانه من عالم (١٣٧) الملائكة كالانبياء والرسل والاولياء

والاصفياء وقليل ما هم
وأما من كان عقله مغلوبا
بهواه وشهواته فان كان
ذلك من المباحات من
الطعام والملابس
والمراكب والنساء والخيول
المسومة والانعام والحرف
فكل وتمتع بعد ان كسبه
من حله فهذا من عالم البهايم
وانما الخلق به عالم البهايم
لانه لا تكليف على البهايم
وكذلك هذه المباحات لا
خرج في الاستمتاع بها بعد
ان يكون كسبه من حله
وان كان الغالب عليه
اخلاق الشياطين من
الكبر والعجب والحسد
والغش الى سائر الاخلاق
المذمومة فهذا من عالم
الشياطين وان اجتمع في
الشخص افراط الشهوات
واتباع الهوى والاخلاق
المذمومة فيكون آدميا في
صورته شيطانيا في خلقه
بهيمة في شهواته فلا يصلح
للعبادة وان ثبت هذا فاعلم
ان هذا العقل الغريزي
أطول رقدة من العين
وأحوج الى الشك من
السيف (فصل) فاما
العقل المكتسب وهو
نتيجة العقل الغريزي فهو
ثقابة المعرفة واصابة
الفكرة وليس له حد ينتهي
اليه لانه يتوفا اذا استعمل

٣٤ (فصل في شرح اسم البابا البطريرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود)

(اعلم) ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي يحملهم على احكامها وشرائعها ويكون كخليفة فيهم
لنبي فيما جاء به من التكليف والنوع الانساني ايضا بما تقتضيه من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع
البشري لا بد لهم من شخص يحملهم على مصالحهم ويضعهم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة
الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعا وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعا وكرها اتخذت
فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها اليهم معا وامام سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم
عامة ولا الجهاد عندهم مشروعا ولا في المداخلة فقط فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك
وانما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولا مرغى ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيهم من الطلب
للكمال بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكافئين بالتغلب على الامم كما في الملة الاسلامية وانما هم مطلوبون باقامة
دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعدهم موسى ويوشع صلوات الله عليهم ما نحو اربع مائة سنة
لا يغتفون شيئا من أمر الملك انما هم اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة
موسى صلوات الله عليه يقيم لهم امر الصلاة والقربان ويشرطون فيه ان يكون من ذرية هرون صلوات
الله عليه لان موسى لم يقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للبشر بالطبع سبعين شيخا كانوا يتولون
احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابعدهن شغب الاحكام واتصل ذلك فيهم الى ان
استحكمت طبيعة العصبية وتعمقت الشوكة للملك فغلبوا الكنعانيين على الارض التي اوردتهم الله بيت
القدس وما جاورها كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه فخار بهم أم الفلستين والكنعانيين
والارمن واردين وعبان وما روياسهم في ذلك راجعة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحو امان
ارب مائة سنة ولم تكن لهم صولة الملك وضجير بنو اسرائيل من مطالبة الامم فطلبوا على لسان شعويل من
انبيائهم ان يأذن الله لهم في تملك رجل عليهم طالوت وغلب الامم وقتل جالوت ملك الفلستين ثم ملك بعده
داود ثم سليمان صلوات الله عليهم ما واستقل ملكه وامتد الى الحجاز ثم اطراف اليمن ثم الى اطراف بلاد
الروم ثم افترق الاسباط من بعد سليمان صلوات الله عليه بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين
كانت احدهما بالجزيرة والموصل للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم
عليهم بختنصر ملك بابل على ما كان بايديهم من الملك اولا الاسباط العشرة ثم ثانيا لبني يهوذا وبيت
القدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخرب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم ونقلهم الى اصبهان
وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك السكمانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من
خروجهم فبنوا المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر
ونشروا يونان على الفرس وصاروا يهود في ملكهم ثم فشل أمر اليونانيين فاعتزل اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية
ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم وقام ملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمناي وقتلوا يونان
حتى انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيردوس اصهار
بني حشمناي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتحوها عنوة وأخشوا في القتل والمدم والتخريق وخربوا
بيت المقدس وأجلوهم عنها الى رومة وماوراءها وهو الخراب الثاني للمسيح ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى
فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان العصبية منهم وبقيوا بعد ذلك في ملك الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم
الرئيس عليهم المسمى بالكوهن ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه فجاءهم به من الدين

(١٨ - ابن خلدون) وينقص ان أهمل وتغافل ويكون باحد وجهين اما ان يقارنه من مبداء النشوء كما هو حسن فطنة كالذي قال
الاصمعي قلت لعل حدث من اولاد العرب كان يحدثني وامتنعني الله بقضائهم وملاحجتهم ليسرك ان يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحق

قال لا والله قلت ولم قال أخاف ان يحني علي حتى جناية تذهب بعالي ويبقى علي حتى فاستقرج هذا الصبي بشرط ذكائه ما يدق علي من
هو كبر منه سنا وقيل لبعض (١٣٨) الصبيان الكأب قال فكان عيسى بن مريم وقد قالت الحكما آية العقل سرعة الفهم

والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من ابراء الكه والابرص واحياء الموتى
واجتمع مع عليه كثير من الناس وآمنوا به وأكثرتهم الخواريون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم
رسلا الى الاتفاق داعين الى ملته وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيردوس ملك
اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناى اصهاره ففسده اليهود وكذبوه وكاتب هيردوس ملكهم ملك
القيصرية اوغسطس يغريه به فأذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من أمره واقترب الخواريون شيئا ودخل
أكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا
الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل
في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللطيني وكتب لوقا منهم الانجيل باللاتيني الى
بعض اكابر الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم الانجيل له برومة وكتب بطرس الانجيل له باللاتيني ونسب به الى
مرقس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربع من الانجيل مع انها ليست كلها واحياصر قابل مشوبة بكلام
عيسى عليه السلام وكلام الخواريين وكلها موعظ وقصص والاحكام فيها قليلة جدا واجتمع الخواريون
الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوانين الملة النصرانية وصيروها يدا اقليمطس تلميذ بطرس وكتبوا
فيها عدد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها من شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب
يشوع وكتاب القضاة وكتاب راعوت وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وكتب بنيامين وكتب المقابيين لابن
كربون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق وخزامير داود عليه السلام
وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة ونبوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يشوع بن شارخ وزير
سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتبعة من الخواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القتاليقون
سبع رسائل وثامنهم الايريكييس في قصص الرسل وكتاب يواس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليمطس وفيه
الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شأن القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة
تارة وتعظيم أهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنجى الى ان جاء قسطنطين وأخذها واستمرها
عليه وكان صاحب هذا الدين والمقيم لراسمهم يسمونه البطريرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم
يبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد دعوته من امم النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطريرك ويسمونه
الامام الذي يقيم الصلوات ويقيمهم في الدين بالقسيس ويسمونه المنقطع الذي حبس نفسه في الخلوة
للعباداة بالراهب وأكثرت خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول رأس الخواريين وكبير التلاميذ برومة
يقيم بهادين النصرانية الى ان قتله نير وزخامس القياصرة فبعث قتل من البطاريق والاساقفة ثم قام
بخلافته في كرسي رومة اريوس وكان مرقس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعيا سبع سنين
فقام بعده حنانيا وتسمى بالبطرك وهو اول البطاركة فيها ووجد له مع اثني عشر قسا على انه اذامات
البطرك يكون واحدا من اثني عشر مكانه ويختار من المؤمنين واحد مكان ذلك الثاني عشر فكان
امر البطاركة الى القسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا ببنية أيام
قسطنطين لتحرير الحق في الدين واتفق ثلثمائة وثمانية عشر من اساقفتهم على رأى واحد في الدين
فكتبوه وسموه الامام وصيروا أصلا لا يرجعون اليه وكان فيما كتبوه ان البطرك القائم بالدين لا يرجع
في تعيينه الى اجتهاد الاقسة كما قرر حنانيا تلميذ مرقس وابطلوا ذلك الراى وانما بقدم عن ملا واختيار
من أئمة المؤمنين ورؤسائهم فبقى الامر كذلك ثم اختلفوا به كذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم

وفايته اصابة الوهم وليس
لله ذكائه غاية ولا لمجودة
القريحة نهاية الا ترى ان
اياس بن معاوية الذي
يضرب المثل بذكائه قال لا به
وهو مقل وكان أبوه يؤثر
أخاه عليه بأبت تعلم ما مثلي
ومثل أخى معك أنا كفرخ
الحمام اقيح ما يكون أصغر
ما يكون وكلما كبر ازداد
ملاحة وحسن فاقبني له
العلالي ويتخذ له المربعات
ويستحسنه الملوك ومثل
أخى مثل الجحش ألمح ما
يكون أصغر ما يكون وكلما
كبر قبح وصار الى القهقري
انما يصلح لمجمل الزبل
والتراب والوجه الثاني ما
يصلح لذوى الحكمة وصحة
الرؤية لطول ممارسة
الامور وكثر التجارب
ومرور الغير على اسماعهم
وتقلب الايام وتصرف
المحادثات وتناسخ الدول قد
مرت على صيوتهم وجوه
الغير وتصدت لاسماعهم
أنواع الاخبار وآثار العبر
قال بعض الحكماء كفى
بالتجارب تأديا وبتهليب
الايام عظة وقالوا التجربة
مرآة العقل والغرة ثمرة
الجهل ولذلك جدت آراء
الشيوخ حتى قالوا المشايخ
أشجار الوقار وينابيع

الاخبار لا يطيش لهم سمهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآراء الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء اطبع فقد افادتهم
الايام حكمة وتجربة وقد قال الشاعر الميزان العقل زين لاهله ولكن تمام العقل طول التجارب وقال آخر

إذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الأيام في كرها عقلا
غير أن للعقل آفات كما قال بعض الحكماء كيف ترجو العاقل النجاة
والهوى والشهوة قد اكتنقاه والهوى أبعد من أن ينفذ فيه حيلة المحازم المحتال (١٣٩) وهو أغضض مسلكا في الجنان من الروح

في الجحشمان وأملك بالنفس
من النفس والمالك للشي
ولهذا قيل كم من عقل أسير
عند هوى أمير فن أحب
ان يكون حرا فلا يهوى والا
صار عبدا كما قال علي بن
الجهم

أنفس حرة ونحن عبيد
 أن ريق الهوى لرق شديد
 واختلف الناس في العقل
 المكتسب إذا تناهى وزاد
 في الإنسان هل يكون
 فضيلة أم لا فقال معظم
 العقلاء أنه فضيلة إذا كان
 حجة - وع آحاد والآخر
 فضائل ولا شك أن كثرة
 الفضائل فضيلة أما الشيء
 المحدود فله يكون الزيادة
 فيه نقصا من المحدود
 كالماء وريق الشجاعة
 والتبذير في الكرم فاما
 الزيادة في العقل المكتسب
 فزيادة علم بالامور وحسن
 اصابة بالظنون ومعرفة
 ما لم يكن بما قد كان وروى ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال
 أفضل الناس أعقل الناس
 وقال عليه السلام العقل
 حيث كان ألف مألوف
 وقال القاسم بن محمد من لم
 يكن عقله أغلب خصال
 الخير عليه كان حقه في
 أغلب الخصال عليه ولما
 مات بعض الخلقاء حشدت

محتمات في تقريره ولم يختلفوا في هذه القاعدة فبقى الامر فيها على ذلك واتصل فيهم تسمية الاساقفة عن البطرك وكان الاساقفة يدعون البطرك بالاب ايضا تعظيما له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة يقال آخرها بطركية هرقل بالاسكندرية فارادوا ان يميزوا البطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابوالا با وظهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما زعم جرجيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسي الاعظم عندهم وهو كرسي رومة لانه كرسي بطرس الرسول كما قدمناه فلم ينزل سمعة عليه الى الآن ثم اختلفت التصاري في دينهم بعد ذلك وفيما يعتدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بميلوك النظرانية كل على صاحبها فاختلاف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاثة طوائف هي فرقةهم ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والنس طورية ولم نر ان تسخيم أوراق الكتاب بذكر مذاهب كفرهم فهي على الجملة معروفة وكما كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم يبق بيننا وبينهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام والجزية أو القتل ثم اختلفت كل فرقة منهم ببطرك فبطرك رومة اليوم المسمى بالبابا على رأى الملكية ورومة للأفرنجية وملكهم قائم بتلك الناحية وبطرك المعاهدين بمصر على رأى اليعقوبية وهو ساكن بين ظهرانيهم والحباشة يدينون بدينهم وبطرك مصر فيهم اساقفة ينيون عنه في اقامة دينهم هنالك واختص اسم البابا ببطرك رومة لهذا العهد ولا يسمى اليعاقبة بطركهم بهذا الاسم وضبط هذه اللفظة بياعين موحدين من أسفل والنطق بها مفتحة والثانية مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجية انه يحضهم على الاتقياد الملك واحد يرجعون اليه في اختلافهم واجتماعهم تخرجهم من افتراق الكلمة ويتحرى به العصبيات التي لا فوقها منهم لم لتكون يده عالية على جميعهم ويسمونه الانبرذور وحرفه الوسط بين الذال والطاء الموحدة ومباشرة يضع التاج على رأسه للتبكر فيسمى المتوج وله معنى لفظة الانبرذور وهذا المختص ما وردناه من شرح هذين الاسمين اللذين هما البابا والكوهن والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء

٣٥ * (فصل في مراتب الملوك والسلاطين والقائما) *

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل اثار ثقله فلا بد له من الاستعانة بآبناء جنسه واذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنيه فساظنك بسياسة نوعه ومن استبرعاه الله من خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكفاية من عدوهم بالادافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم على بعض في انفسهم بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف العدو ان عاينهم في اموالهم باصلاح ما يلزمهم والى جعلهم على مصالحهم ومآثمهم به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد المعاش والمساكن والموازين حذرا من التطويق والى النظر في السكة بحفظ النقود التي يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يزيدهم من الانقياد له والرضا بما قصده منهم وانقراده بالمجددوتهم فيتحمل من ذلك ثوق العاية من معاناة القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء معاناة نقل الجبال من اما كنهها من على من معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت بأولى القربى من اهل النسب او التربية او الاصل طناع القديم للدولة كانت اكمل لما يقع في ذلك من بحاسة خلقهم لخلقهم المشاكسة في الاستعانة قال تعالى واجعل لي وزير من اهل بيوتي هرون اخي اشد به اذرى واشركه في امري وهو امان يستعين في ذلك بسيفه او قلبه او رايه او معارفه او بحجابه عن الناس ان يزدجوا عليه فيستغلوه عن النظر في مآثمهم او يدفع النظر في الملك كله ويعول على كفايته في ذلك واضطلاعهم فلذلك قد توجب في رجل واحد قد تفرق في اشخاص وقد يقرر كل واحد منها الى فروع

الروم واجتمعت ملوكها وقالوا الا ان يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا البقرة منهم والوثبة عليهم وضر بنا في ذلك مشاويرات
وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وتغرة النحر وكان رجل منهم من ذوي الرأي والمعرفة غائب عنهم فقالوا من الحزم عرض

الرأي عليه فلما أخبروه بما أجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صوابا فأسألوه عن علته فقل قال غدا أخبركم إن شاء الله فلما أصبحوا غدوا عليه
للوعد وقالوا القدوعد تنا قال نعم (١٤٠) فامر بأحضار كلين عظيمين قد أعدهما ثم حش بينهما وألب كل واحد على الآخر

فتوا ثباتا وشا حتى سالت
دماء فلما بلغا الغاية فتح
باب بيت عنده وأرسل منه
على السكبين ذئبا عنده
قد أعد فلما أبصره تركا
ما كانا عليه وتألقت
قلوبهما ووثبا جميعا على
الذئب فزالا منه ما أحبا ثم
اقبل الرجل على أهل
البحر فقال لهم مثلكم مع
المسلمين مثل هذا الذئب
مع الكلاب لا يزال المخرج
والقتال بينهم ما لم يظهر لهم
عدو من غيرهم فاذا ظهر لهم
عدو من غيرهم تركوا
العداوة بينهم وتآلقوا على
العدو فاستحسنوا قوله
وتفرقوا عن رأيهم وأما
الذئب في هذا الباب
فصرف العقل إلى الدهاء
والسكر قال الشعبي ودهات
العرب ستة معاوية بن أبي
سفيان وعمر بن العاص
والغيرة بن شعبة وزياد
ابن أمية وقيس بن سعد بن
عبادة وعبد الله بن بديل
ابن ورقاء وقال الأصمعي
كان معاوية يقول أنا اللانة
وعمر بن الخطاب وزياد
للصغار والكبار والغيرة
للأمر العظيم قال قبصة بن
جابر ما رأيت أعطى لجزيل
مال بغير سلطان من طلحة بن
عبد الله ولا رأيت أثقل حمالا

ولا أطول أناة من معاوية ولا رأيت أغاب للرجال ولا أبذلهم حين يحتمون من عمرو بن العاص ولا أشبهه سرا بعلانية
ومن زياد ولان الغيرة كان في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالسكر يخرج من أبوابها كلها (وقال) أبو الدرداء قال النبي

عليه السلام يا عويمر ازد دعة لا ترد من ربك قربا قلت يا بني واني ومن لي بالغة قل قال اجتنب مخارم الله وادفرائض الله تكن عاقلا
ثم تنفل صالح الاعمال ترد في الدنيا علة لا ترد من ربك قربا وعليه عزرا (ويروي) (١٤١) اعلى بن ابي طالب رضي الله عنه شعر

ان المكارم اخلاق مطهرة
فالعقل اولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف
سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين
عاشيها
والنفس تعلم اني لا اصدقها
ولست ارشد الا حين
أعصيا
والعين تعلم في عيني محدثها
ان كان من خزيها او من
أعاديها
وقال بعض الحكماء
العقل من عقله في ارشاده
ومن رايه في امداد فقوله
سديد وفعله جيد والجاهل
من جهله في اغواء فقوله
سقيم وفعله ذميم فاما من
صرف فضل عقله الى
الدهاء والمكر والشكر
والحيل والخديعة كالحجاج
وزياد وشياهم فما ذموم
وقد قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لست بالخب
والخب لا يخدعني وقال
المنيرة كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه افضل من
ان يخدع وأعقل من ان
يخدع والموصوف بالدهاء
والمكر مذموم وصاحبه
مخذور ويخاف غوائله

ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر
وعلى وعثمان مع عمرو واما حال الجباية والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم رتبة لان المقوم كانوا عربا اميين
لا يحسنون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل الكتاب او افراد من موالي العجم عن
يحيدهم وكان قلة لا فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا يحيدونه لان الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال
المخاطبات وتنفيذ الامور لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتمان
القول وتاديبه ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انما هي دين ليست من السياسة المالكية في
شيء وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد الخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بالبلغ
العبارة ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في كتابته متى عن له من يحسنه * واما مدافعة
ذوي الحاجات عن ابوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يبق له ملو فلما انقلبت الخلافة الى الملك وجاءت
رسوم السلطان والقباه كان اول شيء يبدى به في الدولة شأن الباب وسدده دون الجمهور وربما كانوا يخشون
على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر وبن العاصي وغيرهم مع
ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن الله مات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسماهوا الخاحب
وقد جاء ابن عبد الملك لما ولي حاجبه قال له قد وليتك حاجبا يا بني الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعي الله
وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لثلايقه ثم استعمل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين
في امور القبائل والعصائب واستئلافهم واطلق عليه اسم الوزير وبقى امر الحسبان في الموالي والذميين
واتخذ للسلالات كاتب مخصوص حوطة على اسرار السلطان ان تشترق فسد سياسته مع قومه ولم يكن
بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان
لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ في سائر دولته بني امية فكان
النظر لوزير عام في احوال التدبير والمفاوضات وسائر امور الحاجات والمطالبات وما يتبعها من النظر في
ديوان الخند وفرض العطاء بالاهل وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس واستعمل الملك وعظمت
مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير وصارت اليه النيابة في انفاذ المحل والعقد وتعيين مرتبته في الدولة
وعنت لها الوجوه ونخضت لها الرقاب وجعل لها النظر في ديوان الحسبان لما احتاج اليه خطته من
قسم الاعطيات في الخند فاحتاج الى النظر في جمعه وتقريره واصيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في
القلم والترسيل لصون اسرار السلطان والحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم
لسجلات السلطان ليحفظها من الذبايح والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطي السيف والقلم
وسائر ما في الوزارة والمعاونة حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الجباية التي هي القيام على الباب فلم تكن له
لاستينكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة
مرة والسلطان أخرى وصار الوزير اذا استبد محمدا الى استنابة الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية
وتجى على حالها كما تقدم فانتسبت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائما على
نفسه والى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الامر لملك
العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن لاولئك المتغلبين ان يتخلوا لقب الخلافة واستكفوا من مشاركة
الوزراء في الالقاب لانهم دخولهم ففسدوا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او

وتحذر عواقب حباثته وقد امر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيادا عن ولايته فقال زياد ان موجهة او
خيانته يا امير المؤمنين قال لا عن واحدة منهم ما وليتكم كرهت ان اجل الناس على فضل علالا وكتب زياد الى معاوية رضي الله عنه ان

العراق في شمالي ويميني فارغة فوالى الحجازا كذا أهله قبل ذلك ابن عمر فقال اللهم كفه فطعن في أصبعة بعد أيام فسات فخن وان
كنا نرغب عن الدهاء والمكر (١٤٢) فاننا نرغب في الحيلة ونرضى بها والاتساع في الحيلة مما توأصى به العلاء قديما وحديثا

بالسلطان الى ما يحليه به الخليفة من القاب كتراه في القابهم وتر كوا اسم الوزارة الى من يتولاها بالخليفة في
خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة يتخلها
بعض الناس فامتنعت وترفع الوزراء عنها ذلك ولانهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم
فتغير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص اسم الامير بصاحب الحروب
والجند وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل امانا بة واستبداد واستمر
الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك آخر ما صرفوا ان الوزارة قد ابتدلت بترفع اولئك عنها ودفعها لمن يقوم
بها الخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الامير فصارت مروسة ناقصة فاستند كف اهل هذه الرتبة
العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد
وبقي اسم الحاجب في مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحجابة * واما دولة بني امية بالاندلس
فانقوا اسم الوزير في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا واقرروا لكل صنف وزير افعالوا الحسابان
المال وزير او لترسيل وزير او للنظر في حوائج المتظلمين وزير او للنظر في احوال اهل الثغور وزير او جعل
لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون امر السلطان هناك كل فيما جعل له واقرروا للتردد
بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارفع عنهم مباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبة على سائر الرتب
حتى صار ملوك الطوائف يتخلون لقبها اكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما نذكره ثم جاءت دولة الشيعة
بافريقية والقيروان وكان للقائمين بهار سوخ في البداوة فاعفوا اخر هذه الخطط او لا وتنقيج اسمائها حتى
ادركت دولتهم الحضارة فصاروا الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كتراه في اخبار دولتهم * ولما
جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامرا ولا لبداوة ثم صارت الى انتقال الاسماء واللقاب وكان
اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها في مذهب السلطان واخبروا اسم الوزير لمن
يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الدخول في تحيتهم وخطابهم
والانكسار التي تلزم في الكون بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ماشاوا ولم يزل الشأن ذلك الى هذا
العهد وما في دولة الترك بالشرق فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الادب في اللقاء والتحية في
مجالس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه الدويدار وضيئون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البريد
المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالخاضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله مولى الامور ان يشاء
* (الحجابة) * قد قدمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية من يحجب السلطان
عن العامة ويقف بابه دونهم او يقف لهم على قدره في مواقيته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط
مروسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فهي بمصر
مروسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنائب * واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت الحجابة لمن يحجب
السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دولتهم فكانت في دولتهم رغبة غاية
كتراه في اخبارهم كابن حديد وغيره من حجابهم * ثم لما جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم
الحجابة لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناؤه كذلك وما يبدو في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم
من ملوك الطوائف فلم يتركوا القها وكانوا يعدونها شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القاب الملك
واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذو الوزيرين يعنون به السيف والقلم ويدلون بالحجابة على حجابة

وليس نبي من امور الدنيا
اطالب الرفعة وباغى
الوسيلة ومرتادى امر كان
دق او جل خير من الحيلة
واضعف الحيلة أنفع من
كثرة الشدة وقالت الحكما
ملك العقل الحيلة والثاني
للسبب الضعيف والقوى
من الامور (وروى)
ان رجلا وقف لكسرى
فقال انا اصنع ما تجوز
الخلايق عنه قال ما هو قال
يشد برجلي حبل طرفة
برقبة القيل وبرجلي
الآخرى كذلك ويشد طرفة
برقبة القيل ثم يساق القيل
بالضرب والنزجر فلا
أترخ ثم طلب ان يفعل
ذلك باربع من القبلة فمرت
بحدتها فقصه شطرين
فقال كسرى من لم يكن
أكبر ما فيه علة له هلك
ما أكبر ما فيه فنظمه بعض
الشعراء فقال

من لم يكن أكبر عقله
أهلكه أكبر ما فيه
(وسمعت) استاذنا ابا
الوليد يحكي ان رجلا
استأذن على هرون الرشيد
وقال اني اصنع ما تجوز
الخلايق عنه قال الرشيد
هات فانخرج انبوبة فصب
فيها الرعدة ثم وضع واحدة
في الارض وقام على قدميه

وجعل يرمي ابرة ابرة من قامته فتقع كل ابرة في عين الامة الموضوعة حتى فرغ دسته فامر الرشيد بضمه مائة سوط
ثم أمره بمائة دينار فسل من جمعه بين الكرامة والموان فقال وصلته بخودة ذكائه وادبته كي لا يصرف فرط ذكائه في الفضول ومن رغب

ان العقل المكتسب اذا تناهى لا يكون فضيلة قال لان الفضائل هي ما في وسط بين فضيلتين ناقصتين فما حاو ذا توسط خرج عن حد الفضيلة كالكرم الذي هو متوسط بين البخل والتبذير والشجاعة وسط بين التهور والجبن (١٤٣) (وقالت الحكمة للسكندر)

أيها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان عجز (وفي الحديث ان النبي عليه السلام قال خير الامور اوساطها) وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه خير الامور الاوسط اليه يرجع العالي ومنه يلحق التالي قالوا ولان زيادة العقل تقضي بصاحبها الى الدماء والمكر وذلك مذموم (قلنا) هذا كله باطل بما قدمناه لنصرة القول الاول وهو منقوض بالعقل العزيز وبالعلوم وبسائر الفضائل واما قولهم انه يقضي بصاحبه الى الدماء والمكر قلنا الدماء والمكر كسب معان اخر غير العقل ليست من لوازم العقل فان شاء تدهى ومكر وان شاء كف عما يقول في كل شر يكتسبه العقول باختياره وليس عقله اوقعه فيه بل اتى اوقعه فيه قلته عقله وكان بزر رجولاً فرغ من كتاب أمثاله ونسق كل باب على جماله يقول ليس العجب عن حفظ هذه الامثال فصار عالماً اعلم العجب عن حفظها ولم يصير عالماً وأنا

السلطان عن العامة والخاصة ويؤذي الوزيرين على جمعه لخطي السيف والقلم ثم لم يكن في دول المغرب وافية ذكراً لهذا الاسم للبداءة التي كانت فيهم ويرى ما وجد في دولة العبيديين بمصر عند استعظامها وحضارتها الا انه قليل يولد اجاءت دولة الموحدين لم تستمكن فيها الحضارة الداعية الى انتقال الالقاب وتغيير الخطوط وتعيينها بالاسماء الا آخر اقل يمكن عندهم من الرتب الا الوزير فكانوا اولاً يخصصون بهذا الاسم الكتاب المتصرف في المشاركة للسلطان في خاص امره كأمين عطية وعبد السلام السكوي وكان له مع ذلك النظر في الحساب والاشغال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من الموحدين كأمين جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ (واما بنو ابي حفص بافريقية) فكانت الرئاسة في دولتهم اولاً والتقديم لوزير الرأى والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب واختصاص الحسابان والديوان برتبة اخرى ويسمى متولياً بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب على التفريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص عندهم القلم ايضا عن مجيئ الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعلات القوم ولا الترسيل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لتساع ملكه وكثرة المرتزقين بدارة الى قهرمان خاص بدارة في احواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في المطابخ والاضطرابات وغيرهما وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابة العلامة على السجلات اذا اتفق انه يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جعل له آخر الدولة السيف والحرب ثم الرأى والمشورة فصارت الخطبة ارفع الرتب واوعم الخطوط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حفيده السلطان ابو العباس على نفسه واذبح آثار الحجر والاستبداد باذنه اب خطبة الجباية التي كانت سلماً اليه وباشراً بموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على ذلك لهذا العهد (واما دولة زناتة بالمغرب) * واعظمها دولة بني مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة القلم في الحسابان والرسائل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق واما باب السلطان وجبته عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها بالوزير ومعناه المقدم على الجندارة المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالسبب له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكانها وزارة صغرى * (واما دولة بني عبد الواد) * فلا اثر عندهم لشي من هذه الالقاب ولا تغيير الخطوط لبداءة دولتهم وقصورها وانما يخصصون باسم الحاجب في بعض الاحوال منقذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة بني ابي حفص وقد يجمعون له الحسيان والسجل كما كان في احوالهم على ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائمين بدعوتها منذ اول افرهم * (واما اهل الاندلس لهذا العهد) * فالخصوص عندهم بالحسيان وتنفيذ حال السلطان وسائر الامور المالية يسمونه بالوكيل واما الوزير فكانوا يرأى لانه قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطبة العلامة كما تغيرهم من الدول

اقول ليس العجب عن قرا كاني هذا وصار مهذباً كاملاً اعلم العجب عن قراه ولم يضر مهذباً كاملاً (الباب الرابع والعشرون في الوزراء وصفاتهم والجلساء وادابهم) قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً

من اهل فلوكان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به
أزرى وأشركه في أمرى دلت (١٤٤) الآية على ان موضع الوزارة ان تشدقوا عدل المملكة وان يقضى اليه السلطان بعجزه

وتجده اذا استكملت فيه
الخلاص المحمود ثم قال كي
تسبحك كثير او تذكرك
كثير ادلت هذه الحكمة
على ان بصيرة العلماء
والصالحين واهل الخبرة
والمعرفة تنظم امور الدنيا
وامور الآخرة وكان اشجع
الناس يحتاج الى السلاح
واقرب الخيل الى السوط
واحد الشفا الى المسن
كذلك يحتاج اجل الملوك
واعظمهم واعلمهم الى
الوزير (وروى أبو سعيد
الخدري) قال ما بعث الله
نبيا ولا استخاف خليفة
الا كانت له بطانان بطانة
تأمره بالمعروف وتكضه عليه
وبطانة تأمر بالشروع وتكضه
عليه والمعصوم من عصمه
الله تعالى وانما اشتقت
الوزارة من الوزير وهو
الثقل يريد انه يحمل
من أمر المملكة واعبائها
وأثقالها مثل الوزراء
أسعد الملوك من له وزير
صدق ان نسي ذكره وان
ذكر اعانه وقال وهب
ابن منبه قال موسى عليه
السلام لفرعون آمن
ولك الجنة ولك مملكة
قال خشي أشاورها مان
فشاورة في ذلك فقال بينهما
أنت الله تعبد اذ صرت تعبد
فانف واستكبر وكان من

(واما دولة الترك بمصر) فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم الترك يتخذ
الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في
اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنائب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع
القليل من الارزاق ويشتهاو تنفذ أوامره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان
والحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجنود عند الترافع اليهم واجبار من أبي الانقياد للحكم وطورهم تحت
طورا النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف أصنافها من خراج
او مكنس او جزية ثم في تصريفها في الانقابات السلطانية او الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل
في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين أصنافهم ومن عواندهم ان
يكون هذا الوزير من صنف القبط القاعين على ديوان الحسبان والجباية لا يختصا صمهم بذلك في مصر منذ
عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابتائهم على حسب
الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصر فها بحكمته لا اله الا هو رب الاولين والاخرين

(ديوان الاعمال والجبايات)

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظيفة الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة
في الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف اعطياتهم في اباتاتهم والرجوع في
ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطرة في كتاب شاهد
بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال
ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال ان اصل هذه
التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كانهم يحادثون فقال ديوانه أي
مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفا فقل ديوان ثم نقل
هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي
الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجعلهم لما شذوذ تفرق ثم
نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فابتدأ اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان جلوسهم
بياب السلطان على ما يأتي بعد وقد تفرد هذه الوظيفة بنظر واحد نظري سائر هذه الاعمال وقد يفرد كل
صنف منها بنظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان اعطياتهم وغير ذلك على
حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب
والاستيلاء والنظر في اعطاف المال وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر رضي
الله عنه يقال لسبب مال اتي به ابوهريرة رضي الله عنه من البحرين فاستكثروا وتعبوا في قومه فمروا الى
احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رأيت ملوكا الشأم يدنون
فقبل منه غم وقيل بل اشار عليه به الهرحان لما رآه يبعث البعث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم ببيعة من
يعيب منهم فان من تخاف اخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب قائمت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم
الديوان فغير له ولما اجتمع ذلك امر عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب
قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما بعدهم الا قرب فالقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهري عن سعيد بن المسيب

أمره ما كان وعلى هذا الخط كان وزير الحاج يزيد بن ابي مسلم لا يالو خبالا ولبش القرناء
شمر بن الشرحدين وأشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الامور وشريك في التدبير وظهير على

السياسة ومقرع عند النازلة الوزير مع الملك بمنزلة منعه وبصره ولسانه وقلبه وفي الامثال نعم الظهير الوزير (واعلم) أن اول ما يستفيد الملك من الوزراء أمران علم ما كان يحمله ويقوى عنده علم ما كان يعلمه فيزول شكه (١٤٥) واول ما يظهر نبل السلطان وقوة

تميزه وجوده عقله في
استخاب الوزراء واستنقاد
الحكام ومحادثة العقلاء
فهذه ثلاث خلال تدل
على كماله وبها يحمل في
الخلق ذكره ويحمل في
العقول قدره وترسخ في
النفوس عظمتة والمرء
موسوم بقرينه وكان
يقال حلية الملوك وزيتهم
وزراؤهم وفي كتاب كلياته
ودمنة لا يصلح السلطان
الا بالوزراء والاعوان
الابالودة والنصيحة
والمودة والنصيحة الابالسر
والعفاف واعظم الاشياء
ضررا على الناس عامة
وعلى الولاة خاصة أن
يحرموا صاحب الوزراء
والاعوان فتكون أعوانهم
غير ذي جدوى وغناء
ويحذر الملك ان يولي الوزارة
غير المتحررين كي لا تضيع
الامور كما يحذر ان يتطبيب
بغير طبيب بصير مأمون
(قال شريح بن عبيد) لم
يكن في بني اسرائيل ملك
الا ومعه رجل حكيم اذا رآه
غضب بان كتب له ثلاث
صحائف في كل صحيفة ارحم
المسكين واخش الموت
واذكر الاخرة فكلاما
غضب الملك ناوله صحيفة
حتى يسكن غضبه (وقال
أردشير) يحق على الملك

ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين وأما ديوان الخراج والجبایات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه من
قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريين ولما
جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر لكواثقل القوم من غضاضة البداوة الى روثق الحضارة ومن
سذاجة الامية الى حذق السكابة وظهور في العرب ومواليهم مهرة في السكاب والحسبان فأمر عبد الملك
ساجسان بن سعد والى الاردن لعنده أن يتقل ديوان الشام الى العربية فأكمله لسنة من يوم ابتدائه
ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعات فقد قطعها
الله عنكم وأما ديوان العراق فأمر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية
ولقن ذلك عن زاذان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زاذان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف
الحجاج صالحا هذا مكانه وأمره أن يتقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب الفرس
وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته على السكاب ثم جعلت هذه الوظيفة في دولة بني
العباس مضافة الى من كان له النظر فيه كما كان شأن بني برمك وبني سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء
الدولة وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل
والخرج وتميز النواحي بالصلح والعنوة وفي تقلد هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب
وقوانين الحسب بانات فأمر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هناك وليست من غرض
كتابتنا وانما تتكلم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدده كلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من
الملك بل هي ثلاثة اركان لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك
الى الاعوان في امر السيف وافر القلم وافر المال فبذلك يجز من رئاسة الملك وكذلك كان
الامر في دولة بني امية بالاندلس والطوائف بعدهم وأما في دولة الموحدين فكان صاحبها انما يكون
من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الاموال وجمعها ووضبطها وتعتب نظر الولاة والعمال فيها
ثم تنفذها على قدرها وفي موافقتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان يرعا يلبها في الجهات غير الموحدين
من يحسنها ولما استبد بنو آبي حفص بافريقية وكان شأن الجالدة من الاندلس فقدم عليهم اهل
البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد أصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين
ببني ابي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم النظر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم
وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسبان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلاط امر الحجاج
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبها مرسا للحاجب وأصبح من جملة
الجبابة ونهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة وأما دولة بني مرين لهذا العهد فحسبان العطاء والخراج
شجعوا واحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب بنظر
السلطان أو الوزير وخطه معتبر في صحة الحسبان في الخراج والعطاء هذه اصول الرتب والخطط السلطانية
وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان * وأما هذه الرتبة في دولة الترك فتشعبة
وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الجبابة العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عندهم يتنوع الى رتب
كثيرة لا تنفسح دواتهم وعظمة سلطانهم واتساع الاموال والجبایات عن ان يستقل بضبطها الواحد من
الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغته فتعين للنظر العام منها هذا المختص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف

العامه ولا يطعن في اصلاح العامة الا بالخاصة (وقال اردشير) لكل ملك بطانة حتى يجمع بذلك جميع الممالك فاذا اقام الملك بطانة على حال الصواب اقام كل امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجمع على اصلاح عامة الرعية ومثال الملك الخير

لمولى من موالى السلطان وأهل عصبية وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويحتجده في متابعته ويسمى عندهم استاذ الدولة وهو واحد الامراء الا كابر في الدولة من الجند دوارباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم اخرى كلها راجعة الى الاموال والمخسرات فان النظر على أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه أو سهره من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان كان الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من مما يليه المسمى خازن الدار لاختصاص وظيفته بمعامل السلطان الخاص هـ ذابيان هـ هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعدما قدر منها من أمرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

(ديوان الرسائل والكتابة)

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما في الدول العربية في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وانما كذا الحاجة اليها في الدولة الاسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء و أمراء الصحابة بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص عن يحسنه وكانت عند بني العباس رفيعه وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقه ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شارة يغمس في طين أحر مذاب بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيبه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا أو آخره على حسب الاختيار في محالها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فنصبه علامة هذا الكتاب مائة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها في مكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحجاب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير له من صبغ الانقاذا ما شاء فيأمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبداد بامر قائما على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه أحكامها والفصل فيها متعلقة من السلطان بأو جرافه وأبلغه فأما ان تصدر كذلك وأما ان يحذوا الكاتب على مثاله في مجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيع وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى بالقصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلاغة في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها دينار ومكذا كان شأن الدول وما علم ان صاحب هذه الخطة لا بد أن يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والخشعة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الادب والتخلق بالقضائل مع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق

والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من النوم منه كالماء الصافي فيه التماسح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ساجحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السقير بين المرضى والاطباء فان كذب السقير بطل التدبير وكما أن السقير اذا أراد أن يقتل أحدا من المرضى وصف للطبيب تقيض دائه فاذا سقاء الطبيب على صفة السقير ملك العليل كذلك الوزير يتقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فن هنا شرطنا أن يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في الخلفة بصيرا بأموال الرعية وتكون بطانة الوزير من أهل الأمانة والبصيرة ويحذر الملك أن يولي الوزارة ثلثيا فالثلث اذا ارتفع جفا أقاربه وانكره عارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ولما أراد سليمان بن عبد الملك أن يستكتب كاتب الحجاج نزل يدين أبي مسلم قال له عمر بن عبد العزيز أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيى ذكر الحجاج باسمك كذاك اياه فقال يا أبا حفص انى لم أجده عنده خيانة دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس فامس دينار ولا درهم واودع أهال

مقاصد

بالله يا أمير المؤمنين أن لا تحيى ذكر الحجاج باسمك كذاك اياه فقال يا أبا حفص انى لم أجده عنده خيانة

دينار ولا درهم قال عمر أنا أوجدك من هو أعف منه في الدينار والدرهم قال ومن هو قال ابليس فامس دينار ولا درهم واودع أهال

هذا الخلق (ودخل) زجل له عقل وأدب على بعض الخلفاء فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقر به فقال

يا مالك طاعة في الوري * وجبه مقترض واجب ان الذي شرفت من أجله * (١٤٧) يزعم هذا انه كاذب وأشار الى الذي

فاسأله يا امير المؤمنين
عن ذلك فسأله فلم يجديدا
من ان يقول هو صادق
فاعترف بالاسلام لا يعرف
وزير الملك ماله وماعليه
حتى يراعى من صاحبه
الواثق به ما يراعيه العاشق
الغيور من المعشوقة المتهومة
(وكان بعض) الملوك قد
كتب ثلاث رقايع وقال
لوزيرها اذا رايتني غضبان
فادفع الى رقعة فكان في
الواحدة انك لست بآله
وانك ستوت وتعود الى
التراب فياكل بعضك بعضا
وفي الثانية ارحم من في
الارض يرحمك من في
السموات وفي الثالثة اقض
بين الناس بحكم الله فانهم
لا يصلحهم الا ذلك اذا
كان الوزير يساوي الملك
في الرأي والهيبة والطاعة
فليصرعه الملك فان لم يفعل
فليعلم انه المصروع (وفي
الامثال) اذا سكنت الدهماء
خاف الوزراء ولما كانت
امور الملك عائدة الى
الوزراء واقمة الملوك في
أكف الوزراء سقي فيهم
من العقلاء المثل السائر
فقالوا لا تغتر بمودة الامير
اذا غشت الوزير واذ
أحبك الوزير فلا تخش
الامير ويقال الخرق

مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى أرباب السيواف
لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لأجل سذاجة العصبية فيختص السلطان اهل
عصبية مخطط دولته وسائر رتبته فيقصد المال والسيف والكتابة منهم فأما رتبة السيف فتستغنى عن معاناة
العلم وأما المال والكتابة فيضطر الى ذلك البلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون لها من هذه
الطبقة ما دعيت اليه الضرورة ويقصدونه الا انه لا تكون يد آخر من اهل العصبية غالبية على يده ويكون
نظيره متصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالشرق فان الكتابة عندهم وان كانت اصاحب
الانشاء الا أنه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدو يدار وتحويل السلطان وثوقه به
واستنامته في غالب احواله اليه وتحويله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكتمان الاسرار
وغير ذلك من توابعها واما الشروط المعتبرة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره
وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب
وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقهكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس
بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرميين اصنافا وان كانوا في
الحقيقة سواء وصرقهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم
فجعلكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والرواية والعلم والرزانة بكم ينظم للخلافة محاسنها
وتستقيم امورها وينصحكم بصلح الله للخلق سلطانهم وتعلم بلدانهم لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كاف
الامنكم فوقكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها يرون واستتم التي بها
ينطقون وايديهم التي بها يبطشون فامتكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع عنكم ما اصفاه من
النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخبر المحموده وخصال الفضل
المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من
نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يتق به في مهمات اموره ان يكون حليما في موضع الحلم فلهما في موضع
الحكم مقداما في موضع الاقدام محجما في موضع الاجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف كئودا للاسرار
وفيا عند الشدائد عالما بما يأتي من النوازل يضع الامور مواضعها والطوارق في اما كنتم اقد نظرت في كل
فن من فنون العلم فأحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة عقله وحسن ادبه وفضل
تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدوره فيعدل لكل امرئته وعناده ويهيئ لكل
وجه هيئته وعادته فتافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الادب وتفقوا في الدين وايدوا بعلم كتاب الله
عز وجل والقرائن ثم العربية فانها ثقاف السنتكم ثم اجدوا الخط فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار
واعرفوا غريبها ومعانيها واياكم العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما نسئله اليه همكم
ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج وارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها ودينها وسفاسف
الامور ومحاورها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزها واصنافكم عن الدناءة وارثوا بانفسكم عن
السعاية والتميمة وما فيه اهل الجهات واياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عداوة محتملة فمن
غير اخنة وتحابوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو الباق لاهل الفضل والعدل والنبيل
من سلفكم وان نجا الزمان برجل منكم فاعطوا عليه وواسوه حتى يرجع اليه حاله ويشوب اليه امره وان
اقعد احدكم منكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزروه وعظموه وشاوروه واسبغوا بفضله تجربته

معاراة الاعراء ومعاداة الوزراء ورب امركم هو الامير فتم بالوزير وكم من امر اراده الامير فتمناه عنه الوزير وانما السلطان كالدار والوزير
بابها فن افي الدار من بابها ولج ومن اتاهما من غير بابها ازعج (وقال انوشروان) لا يتم للملك امره حتى يرفع نفسه عن كل عيب ويكون له

جاليس مأمون الغيب وخادم ناصح الجيب وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرأة من النظر فكما أن من لم ينظر الى المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان (١٤٨) اذ لم يكن له وزير لا يعرف محاسن دولته وعيوبها وكاتب الملك مستقر اسراره ولسانه الناطق

عنه في آفاق مملكته
والخصوص بقر به وازومه
دون نظرائه ظهير الامير
وزيره وزينه حاجبه
ولسانه كاتبه ورسوله
عينه السكابة قوام الخلافة
وقريته الرياسة وعمود
المملكة للسكاتب علي
الملك ثلاثة أشياء يرفع
الحجاب عنه ويتهم الوشاة
عليه ويقبض سره اليه
(وقد قالت الحكماء)
لا يطعم من ذوالكبر في
الشام ولا الخب في كثرة
الصديق ولا السبي الادب
في الشرف ولا الشجيع في
البر ولا الحر يص في قلة
الذنوب ولا الملك المتهاون
الضعيف الوزير في بقاء
الملك وتكأن المرأة لا تبريك
وجهك الا بصفاء جوهرها
وجودة صقلها ونقاها من
الصداء كذلك الامير لا يكمل
امره الا بجودة عقل الوزير
وصحة فهمه وصفاء نفسه
وتقاء قلبه (ومن شروط
الوزير) ان يكون مكين
الرجة للخلق رؤفا بهم
لباسا وبرجته ما يجرحه
السلطان بغلظته (ومن
شروطه) ان يكون نقي
الجيب ناصح الغيب
لا يقبل دققة ولا ينكم
نصيحة وقال بعض الملوك

وقديم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واسـتـظهر به ليوم حاجته اليه احوط منه على ولده
واخيه فان عرضت في الشغل عمدة فلا يصرفها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فلا يحكمها هو من دونه
ويحذر السقطة والزلة والمال عند تغير الحال فان العيب اليكم معشر السكاتب اسرع منه الى الفراء وهو اليكم
افسد دمه لما فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صاحبه من يذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب
عليه ان يعتدله من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكتان سره وتدير امره ما هو خزانة حقه
ويصدق ذلك تبعاله عند الحاجة اليه والاضطرار الى ماله فاستشعروا ذلك وفتكم الله من أنفسكم في
حالة الرخاء والشدّة والحريمان والمواساة والاحسان والسرعة والاضراء فتمت الشبهة هذه من وسمي بها من
اهل هذه الصناعة الشريفة واذ اولي الرجل منكم اوصير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب الله
عز وجل وليؤثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا ولا ظالوم منصفان الخاف عيال الله وأحبهم اليه ارفقهم
بعياله ثم ليكن بالعدل حاكما ولا يشرف بكر ما ولا في موفر اول البلاد عامرا ولا رعية متأنقا وعن اذامهم متخلفا
وليكن في مجلسه متواضعا حليما وفي سجلات خراجها واستقضاء حقه رفيقا واذ اصحب احداكم رجلا فليختبر
خلاته فاذا عرف حسنه اوقب يحبها عانته على ما يوافقهم من الحسن واحتال على صرفه عما يهواه من القبح
بالطاف حيلة واجل وسيلة وقد علمتم ان سائس البهيمة اذا كان بصير ايسمائها التمس معرفة اخلاقها فان
كانت رموحها اذار كرها وان كانت شبو بالانعام من بين يديها وان خاف منها شروا توقاها من ناحية
راسها وان كانت حرونا قم برفق هو اما في طرقها فان استمرت عطشها يسير ايساس له قيادها وفي هذا الوصف
من السياسة دلائل لمن سائس الناس وعاملهم وجرهم ودخلهم والسكاتب لفضل اديه وشريف صنعيته
ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوله من الناس وينظره ويقومهم عنه او يخاف سطوته اولي بالرفق اصاحبه
ومدازاته وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تحب ان يجرها ولا تعرف صوابا ولا تقهـم خطايا الا بقدر
ما يصيرها اليه صاحبها الرأى كتب عليها الا فارقة وارحكم الله في النظر واعلموا ما يمكنكم فيه من الروية والفكر
تأمّنوا باذن الله من صحتهم والنهضة والاستقلال والحقوة وبصير منكم الى الموافقة وتصير وامنه الى المواخاة
والشفقة ان شاء الله ولا يجاوزن الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشر به ونباله
وخدمه وغير ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون
في خدمتكم على التقصير وحفظة لا تحتمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعيزوا على عفافكم بالقصد
في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متاع السرف وسوء عاقبة الترف فانهم ما يعقبان الفقر
ويذلان الرقاب ويهيجان اهلها ولا سيما السكاتب وارباب الادب والامور واشباهه وبعضها دليل على
بعض فاستدلوا على مؤتلف أعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مناسك التدبير اوضحها
محجة وأصدقها حاجة واجدها عاقبة واعلموا ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ
علمه ورويته فليقتصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقه وليؤخر في ابتدائه وجوابه وليأخذ
بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لقلعه ومدفعة للشاغل عن كثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده
بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب بيدنه وعقله وآدابه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي يبرز
من جبل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان
يكاه الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خافي ولا يقول احد منكم انه
أبصر بالامور واجل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان عقل الرجلين عند ذوى

الالباب
لوزير لا تكونن الى ما تسرى به اسرع مبادرة من انذارى فيما يخاف على منه وقال بعض
الملوك اعط من اتاك بما تكره كما تعطى من اتاك بما تحب فان من انذر كين بشر (ومن شروطه) ان يكون معتدلا كليل تهامة لا حـ

ولا قرو موقع الوزير من الملك موقع المال من الغامة وكان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا فسدت افسدتوا كذلك الوزراء اذا فسدتوا فسد الملك واذا صلحوا صلح الملك (وكان) يقال آفة العقل الهوى وآفة الامير سخافة (١٤٩) الوزير وقال المقتدر بالله لوزيره

علي بن عيسى اتق الله
بعطفي عليك ولا تعصه
فيساطني عليك وقال
المأمون لمحمد بن بزاد اياك
ان تعصى الله فمعنا تتقرب
به الى فوساطني عليك
(واعلم) انه ليس للوزير
ان يكرم السلطان نصيحة
وان استغفله وموقع الوزير
من المملكة كواقع العينين
من الانسان وكاليد في فانه
اذا صح قبضهما وبسطهما
صح التدبير واذا سهما دخل
النقص على الجسد ولا تصلح
الوزارة ان تكون في غير
اهلها كما لا يصلح الملك ان
يكون في غير اهله وشر
الوزراء من كان الاشرار
ايضاله وزراء وبطانة
ودخلا واوصت امرأة ابنها
وكان ملكا فكانت يابني
ينبغي للملك ان يكون له
سبعة اشياء وزير يثق برأيه
و يقضى اليه بأسراره
وحصن يلجأ اليه اذا فرغ
وسيف اذا نازل الاقران
لم يخنه وذخيرة خفية للمحمل
اذا نابه نائبة كانت معه
وامرأة اذا دخلت عليه
اذ هبت همه وطباخ اذا لم
يشته الطعام طبخ له
ما يشتهه
(الباب الخامس والعشرون)
في الجلساء وآدابهم *

الالباب من رمي بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجل في طريقته وعلى كل واحد من
القرنين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكابر على اخيه
او نظيره وصاحبه وعشيرته ووجد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والندال لغزته والتحدث
بنعمته (وانا قول) في كتابي هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب
وغرة كلامه بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخروا ونعمته به ثولا لانا لله واباكم يا معشر
الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه باسعادهم وارشادهم فان ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته اهـ * (الشرطة) * ويسمى صاحبها هذا العهد باقر يرقية الحاكم وفي دولة اهل الاندلس صاحب
المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة مرسومة لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في
بعض الاحيان وكان اصل وضعها في الدولة العباسية ان يقيم احكام الجرائم في حال استبدائها بالولاة
المخدود بعد استيفائها فان التهم التي تعرض في الجرائم لا تظر للشرع الا في استيفاء المدودها وليس سياسة
النظر في استيفاء وجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا احتقت به القرائن لما توجب المصلحة العامة في
ذات في كان الذي يقوم به هذا الاستبداء واستيفاء المدود بعده اذا انتهت عنه القاضي يسمى صاحب
الشرطة ورعا جعلوا اليه النظر في المدود والدعاء بالاقا وفردوها من نظر القاضي ونزهاها هذه المرتبة
وقلدوها كبرارها وادعوا عظماء الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان
حكمهم على الدهماء واهل الريب والضرب على ايدي الرعا والفقرة ثم عظمت نهايتها في دولة بني امية
بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغيرة وجعل حكم الكبرى على الخاصة والدهماء وجعل له
الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في العقوبات وعلى ايدي قادريهم ومن اليهم من
اهل الحما وجعل صاحب الصغرى مخصوصا بالعامية ونصب اصحاب الكبرى كرسي بياب دار السلطان
ورجال يتبوؤن المقاعد بين يديه فلا يبرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها لا كابر من رجالات الدولة
حتى كانت ترشحها الوزارة والحجابة واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنبؤ به وان لم
يحملوا عامية وكان لا يليها الا رجالات الموحدين وكبراءهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية
ثم فسدت اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في دولة
بني مرين لمذاهبها بالشرق فولايتها في بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالشرق في
رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة قبلهم من الكرديين وغيرهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلابة
والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم ابواب الذعارة وتخريب مواطن القسوق وتقرير مجامعهم
مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار
وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

* (قيادة الاساطيل) * وهي من مراتب الدولة وخطتها في مال المغرب واقرب يرقية ومروسة لصاحب
السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم المندب بتخيم اللام منقولاً من لغة
الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه المرتبة بعلم اقر يرقية والمغرب لانهم جميعا على
صفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى حدوده الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى الاسكندرية
الى الشام وعلى حدوده الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى
البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى اهل عدوته والسالكين بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوته

قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال سبحانه يا ويلنا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني
وكان الشيطان للانسان خذولا وينبغي للملك ان يجالس اهل العقل والادب وذوي الرأي والحسب وذوي التجارب والعبرة بالسياسة

العلاء لقاح العقل ومادته ولذلك حدث آراء الشيوخ فقال القدماء المشايخ أشجار الوقار وينابيع الأخبار لا يطيش لهم سقم ولا يستعظم لهم وهم وقالوا عليك بآراء المشايخ (١٥٠) فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر وتصدت لاسماعهم آثار

الغير وقالوا رأى الشيخ خير من مشهد الغلام (وقال عبد الملك) مجلسائه جنوني ثلاثا لا تطروني فاني أعرف بنفسي منكم ولا تكذبوني فانه لا رأى للذوب ولا تغتابوا عندي أحدا فيفسد قلبي عليكم (وقال بعض الحكماء) كفى بالتجارب تادييا وبقلب الأيام عظة وقالوا التجربة مرآة العقل والفرقة ثمرة الجهل وقد قال هرم بن قطبة وهو واحد حكماء العرب حين تناقروا إليه عامر بن الطفيل وعلمة بن حلابة عليكم بالحديث السن الحديث النظر (وقال كثير من حكماء العرب) هايمكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم يعمله طول القدم ولا استولت عليه رطوبة الهرم والمذهب الاول اصدق على العقول وقال عبد العزيز بن زرارة معاوية عليك بمجالسة الالقاء اعداء كانوا أو أصدقاء فان العقل يقع على العقل (وقال ابن عباس) مجالسة العقلاء تزيد في الشرف وقال سيفيان بن عيينة ان الرجل ممن كان قبلكم يلقى الرجل العاقل فيكون عاقلا ياما وقال مالك بن

يعانون من أحواله مالا تعانیه امة من أم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله ولما أسف من أسف منهم الى ملك العدو المجنوبية مثل الروم الى افرريقية والقوط الى المغرب أجازوا في الأساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من ايديهم أحرها وكان لهم بالمدن المحاطة مثل قرطاجنة وسبغلة وخالوا وقرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم بحارب صاحب رومة ويبحث الأساطيل لمحربه مشحونة بالعساكر والعدو فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حقا فيه معروف في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصي رضي الله عنه ما أن صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاعز حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفة بن هرة الازدى سبب بحيلة لما اغزاه عمان فبلغه غزوه في البحر فانه كركابه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى اذا كان له دمع معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعدائه والسبب في ذلك ان العرب كانوا له دأوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافتهم وركوبه والروم والافرنجة لما رستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعدائه من نواعليه واحكموا الدرية بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشيخ سلطانهم وصارت ام الجعم خولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذي صنعة اليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية اعلموا وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصراهم فاشروا الى الجهاد فيه وانشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من ام الكفر واختصوا بذلك من عساكرهم وغورهم ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافرريقية والمغرب والاندلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان ابن النعمان عامل افرريقية باتخاذ دار الصناعة بتونس لانشاء آلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ابن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيان وفتح قوصرة ايضا في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتحت على يد ابن الاغلب وقائده اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك أساطيل افرريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهم في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبدالرحمن الناصر الى ما تسمى مركب او نحوها واسطول افرريقية كذلك مثله او قريب منه وكان قائد الأساطيل بالاندلس ابن رماحس ومرفؤها اللحظ والاقلاع بجاية والمرية وكانت أساطيلها محجة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يدبر امر حربه بالريج او بالمجازيف واورارساته في مرفئه فاذا اجتمعت الأساطيل لغزو محتمل او غرض سلطان في مهم عسكري عرفتها المعلوم وشحنها السلطان برجاله واتجاهه ساكره ومواليه وجعلهم لنظر أمير واحد من اهل طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجههم وينتظر اياهم بالفتح والغنمة وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشي من جوانبه وامتنوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنورقة وباسية وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة

انس مرسلين بن داود عليهم السلام بقصر يارض مصر فوجد فيه مكتوبا
تحدثونا من قرى اصطخر الى القصر فعلمناه فن يسأل عن القصر فنبينا وجدناه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاء واقريطش

وفي الشيء على الشيء * علامات واشباهه فلا تصعب أفعال الجاهل * وإياك وإياه * فيكم من جاهل أوردى * حليم حين أخاه
قال ووجدنا عليه نسرا واقفا فدعاه فقال من بني هذا القصر قال لأدري قال كم لك (١٥١) منذ وقعت عليه قال تسعمائة سنة

(وفي الأمثال) يظن بالمرء
ما يظن بخليله (ولما) حج
عبيد الله بن جعفر نزل مكة
لأقلاما أصبح قال يا أهل
مكة عرفنا خياركم من
أشراركم في ليلة واحدة
قالوا كيف ذلك قال نزلنا
ومعنا خيار وأشرار فنزل
أخبارنا على خياركم
وأشرارنا على أشراركم
فعرفناكم وأعلم أنه ليس
الذخان على النار بادل
من الصاحب على الصاحب
وقال الأوزاعي الصاحب
للصاحب كالرقعة في الثوب
إن لم تكن في مثله شانه
وقال مالك بن مسجح
للأحنف بن قيس يا أبا
بحر ما اشتاق إلى غائب
إذا حضرت ولا أنتفع
بحاضره إذا غبت فآخذه
إبراهيم بن العباس الكاتب
فنظمه فقال
وأنت هوى النفس من
بينهم
وأنت الحبيب وأنت المطاع
وما بك أن بعدوا وحده
وما معهم أن بعدت اجتماع
وقال عبد الله بن طاهر
المال غادورائح والساطان
ظل زائل والاخوان كنوز
وافرة وقال الأصمعي تناظر
رجلان وأعراني حاضر
فقال لأحدهما مناظرة

واقر يطش وقبرص وسائر عمالك الروم والافرنج وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من
المهدية جزيرة جنوة فتقلب بالاطرة والغنية مدة وافتتح مجاهد العاصري صاحب دانية من ملوك الطوائف
جزيرة سر دانية في أساطيلهم سنة خمس وأربعمائة وارتفعها النصارى لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد
تقلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيهم جائية وذاهبة والعساكر الإسلامية تبحر البحر في
الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية فتقوم على ملوك الافرنج وتغن في
عمايلهم كواقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القائلين فيها بدعوة العبيديين وانحازت أم النصرانية
بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقلية وجزائر الرومانية لا يعدونها
واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فرستهم وقدماء لا أكثر من بسط هذا البحر عدة
وعددا واختلقت في طرقه سبلما وحر بافلم تسبح للنصرانية فيه الواح حتى إذا أدركت الدولة العبيدية
والاموية القش ل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصراني أيديهم إلى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية
واقر يطش ومالطة فلا كوها ثم الحو على سواحل الشام في تلك الفترة وملكو اطرابلس وعسقلان وصور
وعكا واسم تولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليه كنيسة لاطهار
دينهم وعبادتهم وغلبوا بني خردون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزية ثم ملكوا
المهدية مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلدين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكثرة بهذا البحر
وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره ذلك العهد بعد أن كان
لهم في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هناك
وبقيت بافريقية والمغرب فصار مخصصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور
الأساطيل ثابته القوة لم يتخيفه عدو ولا كانت لهم به كلفة فكان قائد الأسطول به لعهد دولة بني ميمون
رؤساء جزيرة قادس ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد أساطيلهم إلى المائة
من بلاد العدو تين جميعا ولما استتبعات دولة الموحددين في المائة السادسة وملكو العدو تين أقاموا
خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائدا أسطولهم أحمد الصقلي أصم له من صدغيار
الموطنين بجزيرة جربة من شروريكش أسره النصارى من سواحلها وورثه عندهم واستخلصه صاحب
صقلية واستكفاه ثم هلك وولى ابنه فاستخطه ببعض الترخات وخشي على نفسه ولحق بتونس ونزل على
السيد بهامن بن عبد المؤمن وأجاز إلى مراکش فتلقاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالميرة والكرامة
وأجرل الصلة وقلده أمر أساطيله فجلى في جهاد أم النصرانية وكانت له آثار وأخبار ومقامات مذكورة في
دولة الموحدين وانتهت أساطيل المسلمين على هذه في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد
فبعاه هدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام لعهد بهاس ترجاع ثغور الشام من
يد أم النصرانية وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تنابعت أساطيلهم الكفرية بالمدا لئلا
الثغور من كل ناحية قرية ليبست المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه فأمدوهم بالعدو والاقوات ولم
تقاومهم أساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر وتعد أساطيلهم فيه
وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن مما نعتهم هناك كما أشرنا إليه قبل فأوفد صلاح الدين على أبي
يعقوب المنصور سلطان المغرب لعهد من الموحدين رسوله عبد الكريم بن منقذ من بيت بني منقذ ملوك
شيزر وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا إلى ملك المغرب طالبامدد

ملك في الدين فرض والاستماع منك أدب ومجالسة تزين ومعرفة فك عز ومذاكرتك تلتج لامة قول وشيخنا وأخاؤك شرف ونفرو وقال
البحراني غني مخارق بين يدي المأمون وإلى اشتاق إلى ظل صاحب يروق ويصفوان كدرت عليه

هذيري من الانسان لان جفوته * صفالي ولا ان صرت طوع عيديه فطرب المأمون وقال ويحك يا بخارق خذني نصف الخلافة وأعطني هذا الانسان وقالت الحكماء (١٥٢) النظر في عواقب الامور تلقي العقول وقالوا العاقل لا تنقطع صداقته والاحق لا تدوم

مودته فالتخذه من نفعاء اصحابك مرآة لطبايعك وفعائلك كما تتخذ لوجهك المرأة المجلوة فانك الى صلاح طبائعك اخرج منك الى تحسين صورتك وقال المأمون للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها عمولة خلا سبعة قال وما السبع يا امير المؤمنين قال خبز الخنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والقراش الوطي والنظر الى الحسن من كل شيء قال فاني انت يا امير المؤمنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي اولاهن وقال هشام بن عبد الملك قد قضيت الوطر من كل شيء فاكنت الملو والحماض حتى لا اجد من يطعمها ونعمت الرائحة حتى لا اجد لها رائحة وانت النساء حتى ما ابالي مرآة آتيت ام حائطا فوجدت شيئا الذي من جليس يستطع بيني وبينه مؤنة التحفظ وقال همد الملك بن مروان قد قضيت الوطر من كل شيء الا من محادثة الاخوان في الليالي الزهر على العلالى العفر وقال عبد الملك من قرب السفلة وادناهم

الاساطيل لتجول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرامهم من امداد النصرانية بشعور الشام واصحبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيهقي يقول في افتتاحه فتح الله لسيدنا ابواب المناج والميامن حسبما نقله العماد الاصفهاني في كتاب الفتح القدوس فنقم عليهم المنصور تجاقيهم عن خطابه بامير المؤمنين واسرها في نفسه وجعلهم على مناهج البر والكرامة ووردهم الى مرسلمهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا دليل على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقى من هذا البحر من الاستبطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لئلا ان الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك ابو يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت ام الجلالة على اكثر من بلاد الاندلس والجزائر المسلمين الى سيف البحر وما سلكوا الجزائر التي بالجانب الغربى من البحر الرومى قويت ريحهم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيلهم كانت عند مرامهم الجهاد مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجع عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجوع النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدربة فيه والمران عليه والبصر باحواله وغلب الامم في مجتبه وعلى اعواده وصار المسلمون فيه كالاجانب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة من الدولة تستجيش لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض مسلحا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لمساواة تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستنبون الرميح على الكفر واهله من المشتهرين اهل المغرب عن كتب الحميد ثنان انه لا بد للمسلمين من الحركة على النصرانية واقتراح ما وراء البحر من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسينا ونعم الوكيل

٣٦ * (فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول)

(اعلم) ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة في اول الدولة الى السيف مادام اهلها في تهديد امرهم اشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط منقذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بآرباب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تهديد هافكون للسيف فزبه على القلم في الحالتين ويكون آرباب السيف حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها ببعض الشيء عن السيف لانه قد تهدد امره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع اغمارها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون آرباب الاقلام في هذه الحاجة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجما لانه حينئذ آتته التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وثقف اطرافه والمباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنى عنهم بمعدين عن باطن السلطان حذرين على انفسهم من بؤاده وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم للمنصور حين امره بالقدوم امانا بدفانه مما حفظناه

وباعدوى العقل واقصاهم استحق الخذلان ومن منع المال من الجدورته من لا يحمد من ومن الكلام الشريف قول الحكام اخرج ذا القعدة الى دين يحجزه وحباء بكفة وعقل يعمله والى تجرية طاوله وغير محفوظه والى من

اعراق تسرى اليه واعلاق تسهل الامور عليه والى جليس رفيق ورائد شفيق والى عين تنظر العواقب وعقل يخاف الغير ومن لم يعرف يوم ظفر الايام لم يحترس من سطوات الدهر ولم يتحفظ من فلتات الذل ولم يتعاطمه ذنب (١٥٣) وان عظم ولا تناعوان سمج واذا رايت من جالسك امراتكرهه او خلة لا تحبها او صدرت منه كلمة عوراء او هفوة غبراء فلا تقطع جبهه ولا تصرم وده ولا تكن داو كنه واستر عورته فابقه وابرا من عمله قال الله تعالى فان عصرك فقل انى برى عما تعملون فلم يأمر بقطعهم وانما امر بالبراءة من عملهم السوء قال الشاعر

اذا راب منى مفصل فقطعه
بقيت وما لى لى - وض
مفاصل
ولا يكن اداويه فان صح
سرى
وان هو اعيان كان فيه
بحال
وانى رجل الى بعض
الحكام فشكل اليه صديقه
وعزم على قطعه والانتقام
منه فقال له الحكيم اتفهم
ما اقول لك فاكلك ام بك
من فورة الغضب ما شغلك
عنه فقال انى لما تقول واع
فقال اسرورك بمودته
كان اطول ام غمك بذنبه
قال بل سرورى قال اخسناته
عندك اكرام سياسته
قال بل حسناته قال فاصفع
بصالح ايامك عن ذنبه
وهب لسرورك جرمه
واطرح مؤنة الغضب
والانتقام منه ولعلك لا تنال

من وصايا القرس اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت الدهم ما سنة الله في عباده والله سبحانه وتعالى اعلم
* (فصل فى اشارات الملك والاساطان الخاصة به) *

(اعلم) ان للاساطان اشارات واحوالا تقتضيهما الالبهة والبذخ فيختص بها ويميز بانتمها عن الرعية والبطانة وسائر الرؤساء في دولته فلنذكر ما هو مشتهر منها ببلوغ المعرفة وفوق كل ذى علم عليهم * (الآلة) *
فن اشارات الملك اتخذ الآلة من نشر الالوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق والقرون وقد ذكر ارسطو فى الكتاب المنسوب اليه فى السياسة ان السرى ذلك ادهاب العدو فى الحرب فان الاصوات الهائلة لها تأثير فى النفوس بالروعة والعمى انه امر وجدانى فى موطن الحرب يجده كل احد من نفسه وهذا السبب الذى ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح ببعض الاعتبارات واما الحق فى ذلك فهو ان النفس عند سماع النغم والاصوات يذركها الفرح والطرب بلا شك فيصيب مزاج الروح نشوة يسهل بها الصعب ويسميت فى ذلك الوجه الذى هو فيه وهذا موجود حتى فى الحيوانات العجم بالفعال الابل بالحداء والخيول بالصغير والصريح كما علمت ويزيد ذلك تأثيرا اذا كانت الاصوات متناسبة كفى الغناء وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك اتخذ العجم فى موطن حروبهم الآلات الموسيقية (١) لا طبل ولا بوقا فيجذب المغنون بالاساطان فى موكبه بالآلاتهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بضربهم الى الاستماتة ولقد راينا فى حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فتجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينبش كل قرن الى قرنه وكذلك زناته من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغناؤه الجمال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمعون ذلك الغناء ناصوا كابت واصله كله فرح يحدث فى النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر عما حدث عنهم من الفرح والله اعلم * (واما) *
تلك الرايات وتلوينها واطاقتها لصدبه التهويل لاكثر ورعا يحدث فى النفوس من التهويل زيادة فى الاقدام واحوال النفوس وتلوينها غريسة والله الخلاق العليم ثم ان الملوك والدول يختلفون فى اتخاذ هذه الشارات فمنهم مكثر ومنهم مقل بحسب اتساع الدولة وعظمتها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تزل الامم تعدها فى موطن الحروب والغزوات واهل
الذي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء واما قرع الطبول والنفخ فى الابواق فكان المسلمون لاول
المله متعافين عنه تنزها عن غلظة الملك ورفض الاحوال واحتقار الالبهة التى ليست من الحق فى شئ حتى
اذا انقلب الخلافة ملكا وتيجوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهم الموالى من القرس والروم اهل الدول
السالفة واروهم ما كان اوائلك يتخلونه من مذاهب البذخ والترى فكان مما استحسنوه اتخاذ الآلة
فأخذوها وأذنوا العمالهم فى اتخاذها تنويعا بالملك وأهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغر او قائد الجيش
يعتدله الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءه ويخرج الى بعته او عمله من دار الخليفة او داره فى مواكب
من اصحاب الرايات والآلات فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الالوية وقلة ارباب الاختص
به الخليفة من الالوان لرايته كالسواد فى رايات بنى العباس فان راياتهم كانت سودا خرا على شهدائهم من
بنى هاشم ونعيا على بنى أمية فى قتالهم ولذلك سموهم المسودة ولما افترق امر الهاشميين وخرج الطالبون
على العباسيين فى كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم فى ذلك فاتخذوا الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك

(١) قوله الموسيقى فى نسخة الموسيقى قارية وهى صحيحة لان الموسيقى بكسر القاف بين التختين اسم للنغم والالحان وتوقيه هاو يقال فيها موسيقى ويقال لضارب الآلة موسيقار انظر اول سفينة الشيخ محمد شهاب

(٢٠ - ابن خلدون) ما املت فتطول مصاحبة الغضب وانت صائر الى ما تحب * (الباب السادس والعشرون فى بيان معرفة الخصال التى هى جمال الاساطان) * قد ذكرنا الخصال التى تجرى من الممالك كجبرى الاساس من البنيان ونذكر الآن

الانتصار عدل والعفو فضل وفضل الله أحب اليه لان عدل عليه ان عدل علينا فخذنا بحجة ملكنا وان عفا عنا برحمته تخلفنا ولو كان
العدل يسع الخلائق لما قرنه الله بالاحسان فلما علم ان العدل استقصاء ومناقشة وذلك (١٥٥) مما تضيق عنده النفوس وتخرج

له الصدور وناط الاحسان
بالعدل فقال ان الله أمر
بالعدل والاحسان وأيضا
فان الانتصار انتقام
وعذاب بلا امتنان والعفو
محبته من الله واحسان
وأيضا فالانتصار سيئة
والعفو حسنة قال الله تعالى
ولا تستوي الحسنة ولا
السيدة والدليل على ان
الانتصار سيئة قوله تعالى
وجزا سيئة سيئة مثلها
غير انها انما سميت سيئة
لما كانت نتيجة سيئة
لانه لا يجوز الانتصار وهو
كقول عمر بن الخطاب

التغلي

الا لا يجهل أحد علينا
فنجعل فوق جهل الجاهلينا
فسعى الجاهل على الجهل
جهلا وان لم يكن في الحقيقة
جهلا وعن هذارت عائشة
رضي الله عنها قالت ما رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم
منتصرا من مظلة ظلمها
قط غير انه اذا انتهك شيء
من محارم الله فلا يقوم
لغضبه شيء (وروي) انه
قال ينادي مناد يوم القيامة
من كان له على الله أجر
فليقم فلا يقوم الا من عفا
في الدنيا فان عفوت أيها
الطالب كان أجرك على
الله وان لم تعف كان حقت

وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل الى أثرها وهي النقوش المسألة
على الدنانير والدرهم ثم نقل الى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار
علما لها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ به يتخير الخالص من الغشوش بين الناس في
النقد وعند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بنظم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك
العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بهامثل تماثيل السلطان لعهدها أو تماثيل حصن
أو حيوان أو صنوع أو غير ذلك ولم ينزل هذا الشأن عند العجم الى آخر أمرهم * ولما جاء الاسلام أغفل
ذلك لسداجة الدين وبدوالة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس
ودراهمهم بين أيديهم لم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى أن تفاحش الغش في
الدنانير والدرهم لغلبة الدولة عن ذلك وأمر عبد الملك بالحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد
بضرب الدراهم وتغيير النقوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدايني سنة خمس وسبعين
ثم أمر بصرها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد ثم ولي ابن هبيرة العراق
أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقبل أول
من ضرب الدنانير والدرهم مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز
وكتب عليها في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها بالحجاج بعد ذلك سنة وكتب عليها
اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت اسبقته ثم أمر عمر وذلك أن الدرهم كان وزنه أول الاسلام ستة
دوانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك
ان أوزان الدرهم أيام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر
ومنها عشرة فلما احتيج الى تقديره في الزكاة أخذ الوسط وذلك اثنا عشر قيراطا فكان المثقال درهم
وثلاثة أسباع درهم وقيل كان منها البغلي ثمانية دوانق والطبري أربعة دوانق والمغربي ثمانية دوانق
واليماني ستة دوانق فامر عمر أن ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دنانق وكان
الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة أعشار المثقال كان درهم ما فلما
رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين التجاريين في معاملته المسلمين من الغش فعين مقداره على
هذا الذي استقر اعده عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لا صور الا أن العرب كان
الكلام والبلاغة أقرب مناجيهم وأظهرها مع ان الشرع ينهى عن الصور فلما فعل ذلك استمر بين
الناس في أيام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والسكة عليهم ما في دوائر متوازية
يكتب فيها من أحد الوجهين أسماء الله تهللا وتحميدا وصلاته على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ
واسم الخليفة وهكذا أيام العباسيين والعباسيين والامويين وأما من حاجة فلم يتخذوا سكة الا آخر الامر
اتخذها منصور صاحب بجاية ذلك ابن جاد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان عباس لم المهدي
اتخذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويلا من أحد الجانبين
تهللا وتحميدا ومن الجانب الآخر كتابا في السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون
وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد ولقد كان المهدي فيما يعلل به من قبل ظهوره بصاحب
الدرهم والمربع نعتة بذلك المتكلمون بالحسد ثان من قبله المخبرون في ملاجهم عن دولته وأما أهل
المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة وإنما يتعاملون بالدنانير والدرهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة منها ولا

قبل من ظلمك ولان يكون أجرك في ضمان الله تعالى أوثق من أن يكون قبل مخلوق وأيضا فان لم تعف نلت حقت بلا زيادة عليه وان
عفوت كان حسنة أسديتها لأخيك والله تعالى يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وشفع الاخنف بن قيس في محبوبه الى السلطان

فقال له ان كان مجرم فاعفوه وانه كان بريفاً بالعدل يسعه (وقيل) لبعض الكتاب بين يدي أمير المؤمنين بلغ أمير المؤمنين عنك
أمر فقال لا أبالي ففعل له ولم لا تبالي (١٥٦) قال ان صدق الناقل وسعني عفووه وان كذب الناقل وسعني عدله ولم ادخل عينة بن

حصن علي عمر بن الخطاب
قال يا ابن الخطاب والله
ما تعطينا الجزل وما تحكم
بيننا بالعدل فتغضب عروهم
بان توقع به فقال ابن أخيه
يا أمير المؤمنين ان الله
تعالى يقول خذ العفو وأمر
بالعرف وأعرض عن
الجاهلين وان هذان
الجاهلين فوالله ما جاوزها
عمر حين تلاها عليه وكان
عمر وقافاً عند كتاب الله تعالى
(وقال) النبي صلى الله
عليه وسلم ارجوا من في
الأرض يرجوكم من في
السماء وقال ارحم ترحم
وكان يقال أولى الناس
بالسلطان أحقهم بالرافة
والرجة وفي الانجيل أفلح
أهل الرجة لانهم سيرجون
(وقال) سليمان بن داود
عليهما السلام لقد أبغض
الله المتسرعين الى ارافة
الدماء فاليهم انتهت القسوة
والغلظة والتباعد من
الرجة ولما تمكن داود
من قتل جالوت أبى عليه
وهو يومئذ عدوه وطالبه
وقال يا رب أعظم دمي في
عين أعدائي كما عظمت في
عيني دم عدوي وكذلك
خاضني من جميع المهوم
وقالت حكيم الهند لا سودد
مع اقتحام ولا سياسة مع

يطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتمثيل والصلاة واسم السلطان كما يفعل اهل المغرب ذلك تقدير
العزيز العليم (ولتختم الكلام) في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارهما
وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين بالآفاق والامصار وسائر الاعمال والشرع
قد تعرض لذكرهما وعلم كثير من الاحكام بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرهما فلا بد من تقدير
من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهم الاحكام دون غير الشرعي منها فاعلم ان الاجماع من عند
من صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي تزن الاشربة منه سبعة مثاقيل من
الذهب والاقية منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن المثقال من الذهب ثنتان
وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشار نجسون حبة ونجس حبة وهذه المقادير كلها ثابتة
بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على انواع اجودها الطبري وهو ثمانية دوانق والبغلي وهو اربعة
دوانق فجعلوا الشرعي بينهم وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغليته ومائة طبرية
نجسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعد عليه كما ذكرناه
ذكر ذلك الخظام في كتاب معالم السنن والمساووردى في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين
لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيين مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعاقب الحقوق
الشرعية بهما في الزكاة والانسكة والحدود وغيرهما كما ذكرناه والحق انهما كانا معلومين المقدار في ذلك
العصر تجريان الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص في الخارج
وانما كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارهما وزنتهما حتى استعمل الاسلام وعظمت
الدولة ودعت الحال الى تشخيصهما في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة التقدير
وقارن ذلك ايام عبد الملك فتشخص مقدارهما وعينهما في الخارج كما هو في الذهب ونقش عليهما السكة
باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلاصت ونقش عليهما السكة
وتلاشي وجودهما فهذا هو الحق الذي لا يحيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على
مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلقت في كل الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور
مقاديرهما الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل اقليم يستخرجون الحقوق الشرعية
من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من
الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن خزم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة
وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق ورده المحققون وعدوه وهم او غلطوا وهو الصحيح والله يحق
الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة
باختلاف الاقطار والشرعية متعددة ذهنا لا اختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديرا

*(الخاتمة) واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصدوك
معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى
قيصر ففعل له ان الجهم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاختار خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله
وقال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة أسطر وختم به وقال لا ينقش أحد مثله قال وتختتم به ابو بكر
وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان
وتطير منه وصنع آخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والختم به وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الآلة

عزارة نقش وعجب (وقالت) الحكماء ليس الاقراط في شيء اجود منه في العفو ولا هو في شيء اقبح منه في
العقوبة وكذلك التصير مذموم في العفو محمود في العقوبة واما علم انك ان تخطي في العفو في ألف قضية خير من أن تخطي في العقوبة في

قضية واحدة (وقال) معاوية اني لا رفع نفسي أن يكون ذنب أعظم من عفو وجهي لأكبر من حلي وعورة لا يوارىها سترى (وقال)
المأمون ليس على في الحلم مؤنة ولوددت أن أهل الجرائم علموا رأيت في العفو فيذهب (١٥٧) الخوف عنهم فتخلص لي قلوبهم

وقال رجل للنصور يا أمير المؤمنين ان الانتقام انتصاف والتجاوز فضل والمتجاوزة تجاوزة المنصف ونحن نعيد أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين فاعف عنا يصف الله عنك فعاظهم وأنشدوا

واذا نجي باغ عليك بجعله فاقبله بالمعروف لا بالمسكر وقال بعضهم لمسلم بن قتيبة لما عفا عنه والله ما أدري أيها الأمير أي يوميك أشرف أيوم ظفرت أم يوم عفوت وقال الشاعر
ما زالت في العفو للذنوب واطلاق جان بحرمة علق حتى غنى العفا أنهم هو عندك أمسوا في القيد والحق

ورفع إلى أنوشروان أن العامة تؤنب المالك في معاودة الصقح عن المذنبين مع متابعتهم في الذنوب فوقع المذنبون مرضى ونحن أطباء وليس معاودة الداء بأهم مما نعلم من معاودة العلاج لهم (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما قرن شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى حلم ومن عفو إلى قدرة (وقال) رجل لعبد الملك

التي تجعل في الأصبع ومنه تختم إذا دبسه ويطاق على النهاية والتمام ومنه ختمت الأمور إذا بلغت آخره وختمت القرآن كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الأمور ويطاق على السداد الذي يسد به الأواني والدنان و يقال فيه ختم ومنه قوله تعالى ختم الله مسك وقد غلط من فسر هذا بالنهاية والتمام قال لأن آخر ما يجدونه في شراهم ريح المسك وليس المعنى عليه وإنما هو من الختم الذي هو السداد لأن الخمر يجعل لها في الدن سداد الطين أو القار يحفظها أو يطيب عرفها وذوقها فبأنه في وصف نجر الجنة بأن سدادها من المسك وهو أطيب عرفها وذوقها من القار والطين المعهودين في الدنيا فإذا صح إطلاق الختم على هذه كلها صح إطلاقه على أثرها لأن الشيء عنها وذلك أن الختم إذا نقشت به كلمات أو أشكال ثم غمست في مداف من الطين أو مداد ووضع على صفع القرطاس بقي أكثر الكلمات في ذلك الصفع وكذلك إذا طبع به على جسم لين كالشمع فإنه يبقى نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه وإذا كانت كلمات وأرسمت فقد يقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليسرى إذا كان النقش من الجهة اليسرى لأن الختم يقلب جهة الخط في الصقع عما كان في النقش من يمين أو يسار فيحتمل أن يكون الختم بهذا الختم بنفسه في المداد أو الطين ووضع على الصقع فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كأن السكاب إنما يتم العمل بهذه العلامات وهو من دونها ما نرى ليس بتمام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر السكاب أو أوله بكلمات منتظمة من تحميمه أو تسبيح أو باسم السلطان أو الأمير أو صاحب السكاب من كان أو شيء من نوعه يكون ذلك الخط علامة على صحة السكاب ونفوذه ويسمى ذلك في المعارف علامة ويسمى ختما تشبيها له بأثر الخاتم الأصفي في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم أي علامته ونخطه الذي ينقذهم ما أحكامه ومنه خاتم السلطان أو الخليفة أي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر رجلا فقرأوا يستبدل به من الفضل أخيه فقال لا يهيم ما يحيى بالبت أني أردت أن أحول الخاتم من يميني إلى شمالي فسكني له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف الوزارة لعهدهم وبشهادته هذه هذا الإطلاق ما نقله الطبري أن معاوية أرسل إلى الحسن عند مرادته إياه في الصلح صحيفة بيضا ختمت على أسفلها وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخطه أو غيره ويحتمل أن يختم به في جسم لين فتنتقش فيه حروفه ويجعل على موضع الحزم من السكاب إذا حزم وعلى المودومات وهو من السداد كما مر وهو في الوجهين آثار الخاتم فيطلق عليه خاتم وأول من أطلق الختم على السكاب أي العلامة معاوية لأنه امره عمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف ففتح السكاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فأنكرها معاوية وطلب بها عمر وحده حتى قضاهما عنه أخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال آخره وختم الكتب ولم تكن تخزم أي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن السكاب القائم على إتمام كتب السلطان والختم عليها إما بالعلامة أو بالحزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء السكاب كما ذكرناه في ديوان الأعمال والحزم للكتب يكون أما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب وأما بدس رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من السكاب كما في عرف أهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس أو الاصاق علامة يؤمن منها من فتحة والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقش فيه علامة لذلك فيرسم النقش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق

ابن مروان لما ظفر بالمهالب ما رأيت أحدا يا أمير المؤمنين ظلم ظلمك ولا نصير نصرك ولا عفا عفوكم (وقال) مستدع لعداوة أولياء المذنب والعافي مستدع لشكرهم أو مكافأتهم أيام قدرتهم ولا نيتي عليك باتساع الصدر خير من أن تنسب إلي

ضيقه واقالة العثرة وجبة اقاله شريك من ربك وعقوبك عن الناس موصول بعقوبك وعقابك موصول بعقاب الله تعالى لك والله يحب العاقين (وقال) المنصور (١٥٨) عقوبة الاحرار التعريض وعقوبة الاشرا التصريح (وقال) المأمون لما رأيت الذنوب

جاءت عن المجازاة بالعقاب جعلت العقاب فيما عقوا أمضى من الضرب للرقاب وقال الا حنف لا تزال العرب بينة الفضل ما لم تعد العقوض وما اوبذل سرفا وفي الحكمة اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد انتقضت (وقال) بعض الحكماء قبل العذر وان كان مصنوعا الا ان يكون ممن أوجبت المروعة قطعه منه أو يكون في قبولك عذره تشجيعه على المكر وهأو هوته على الشرفان قبولك للعذر فيه اشتراك في المنكر (ولما دخل) القيل دمشق حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية الى عليية له متطلعا فيبناه وكذلك اذ نظر في بعض الحجر في قصره رجلا مع بعض حرمه فأتى الحجر وودق الباب فلم يكن من فقه بدفوقه عينه على الرجل فقال يا هذا أنى قصرى وتحت جناحي تهتك حرى وأنت فى قبضتى ما جلت على ذلك فهبت الرجل وقال جلتك أو فنى قال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال نعم فغلى سبيله وهذا من الدهاء العظيم والحلم الواسع أن يطلب السر من الجاني وهو عرض قول الشاعر اذا مرضنا آتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيناكم فنعتمد (وأقوى موسى المسمى) برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهذه فقال اعتذارى عما تقرعنى به رد عليك واقرارى بما ذكرته ذنوب

بختهم منقوش أيضا قد غس في مداف من الطين معد لذلك صبغته حجر فير تسم ذلك النقش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سيرا فيظهر أنه مخصوص بها فهذا الخاتم الذى هو العلامة المكتوبة والنقش للسلطان والحزم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار ان اليه الترسل وديوان الكتب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات المال وشاراته الخاتم للصبيح فيستعيدون صوغه من الذهب ويرصونه بالفصوص من الياقوت والقيز زوج والزمر ذو يلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والقضيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله معصف الامور بحكمه

(الطاراز) من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول أن ترسم اسماءهم او علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة لباسهم من الحرير أو الديباج أو الابريسج تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب الحماوسدى بخط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصانع في تقدير ذلك ووضع في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصدا للتمويه بلا بسهم من السلطان فمن دونه او التتويه بمن يختصه السلطان بما يوسه اذا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصورا الملوك واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات أخرى تجري مجرى القال أو السجلات وكان ذلك في الدولتين من أبهة الامور وأنخم الاحوال وكانت الدور المعتمدة لدرج اتوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في أمور الصباغ والاكّة والحماكة فيها واجر اوزاقهم وتسهيل آلاتهم ومشارفة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك الخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالشرق ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه اضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليهم من أكثر الدول بالحجة * ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة ولم يأخذوا بذلك أول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة والسذاجة التي لقنوها عن امامهم محمد بن توفرت المهدى وكانوا يتودعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها عقابهم آخر الدولة طرقالم يكن بتلك النباهة واما هذا العهد فادر كنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنفوانها وشموخها رسمها جليلا لقنوه من دولة ابن الاجر معاصرههم بالاندلس واتبع هو في ذلك ملوك الطوائف فاقى منه بلمحة شهادة بالاث * واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففقه من الطراز تحريرا آخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما يندرج ما يطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسعون الزركش لقطعة العجمية ويرسم اسم السلطان أو الامير عليه ويعد الصانع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصنعة اللائقة بها والله مع مدبر الليل والنهار والله خير الوارثين

(القساطيط والسياج)

اعلم ان من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والقساطيط والفازات من ثياب السكك والصوف والقطن بجدل السكك والقطن فيها هي بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في

الثرية وتذنبون فنأتيناكم فنعتمد (وأقوى موسى المسمى) برجل قد جنى فجعل يقرعه بذنوبه ويتهذه فقال اعتذارى عما تقرعنى به رد عليك واقرارى بما ذكرته ذنوب

ولسكني أقول فان كنت ترجو في العقوبة راحة * فلا تزل من عند المعافاة في الاجر فامر باطلاقه (وقال المهلب) لاشئ أبقي للملك من العقوفان الملك اذا وثقت رعيته منه بحسن العقولم يوحشها الذنب وان عظم (١٥٩) وان خشيت منه العقوبة أوحشها الذنب

وان صغر حتى يضطره ذلك الى المعصية ومن الحكمة البالغة في مثل هذا قول سابور و قد جمع أولاده فقال يا بني ان العجـز كم انما اوقـلوب الرعية حبا فاملوها خوفا وليس ذلك بان تجعل العقوبة على من لا يستحقها ولكن تعيبلها لمن يستحقها وفي هذا المعنى قال الله تعالى فشردهم من خلفهم وهذا معنى لا يخل عما أوجبناه وهو معنى قول سابور ولا يخالف ما قررنا من حسن العقوب بل هذا محمول على الواجب المستحق أو على ما في تركه اغرار بركون أمثاله فهنا يكون العقوب مفسدة فيايبها المعاقب اذا لقت على مذهب عقوبة فلا تكن كالمتشي المتلذذ بعذابه لانك واياه اخوان لاب وام آدم وحواء لم تفضل به بحسبك وقوتك بل بما فضلك الله به تطولا عليك فاذا كروا كنت في مقامه وكان في مقامك ولا تأمن تغلب الدهر فتقوم مقامه بين يدي من لا يرحم ولا ينظر في العواقب واحذر التفریط والتقصير واقم نفسك مذبنا أقيم للعقوبة وليكن عقابك مقدرا كما

الثروة واليسار وانما يكون الامر في أول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الأولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من البر والصوف ولم تزل العرب لذلك العهد يابدين الا اقل منهم فكانت أسفارهم لغزواتهم ورحلهم يطعنونهم وسائرهم واحباثهم من الاهل والولد كما هو شأن العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم لذلك كثيرة التحال بعدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منهم عن نظره صاحبه من الاخرى كشأن العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحتاج الى ساقية تحشد الناس على أثره ان يقيموا اذا طعن وتقبل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به ذريح بن زباج وقصصته في احراق فساطيط روح وخيامه لا قول ولا يته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب فانه لا يتولى اراذتهم على الظعن الا من يأمن بوادر السهائم من احيائهم بماله من العصبية الحائلة دون ذلك ولذلك اختصه عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغنائه فيها بعصبية وصرامته فلما تفتتت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبدخ ونزلوا المدن والامصار وانتهوا من سكني الخيام الى سكني القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكني في اسفارهم ثياب السكك يستعملون منها بيوتا مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القوراء والمستطيلة والمربعة ويختلفون فيها بابلغة مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياج من السكك يسمى في المغرب بلسان البربر الذي هو لسان اهله افرالك بالكاف التي بين السكاف والقف ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره * وأما في المشرق فيتخذ كل امير وان كان دون السلطان ثم جئحت الدعوة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنزلهم فخف لذلك ظهرهم وتعاريت الساح بين منازل العسكر واجتمع مع الجيش والسلطان في معسكر واحد يحصره البصر في بسيطة زهواً نية لا اختلاف الوانه واستمر الحال على ذلك في مذاهب الدول في بدخها وترها وكذا كانت دولة الموحدين وزنانية التي اطلتنا كان سفرهم اول أمرهم في بيوت سككهم قبل الملك من الخيام والقياطن حتى اذا أخذت الدولة في مذاهب الترف وسكني القصور عادوا الى سكني الاخيمية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق ما أرادوه وهو من الترف عما كان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في مكان واحد تشملهم فيه الصيحة ولحققتهم من الاهل والولد الذين تكون الاستماتة دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ آخر والله القوى العزيز

*) (المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة)

وهما من الامور الخلافية ومن شارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة من المسجد اصالة السلطان فيتخذ ساجدا على الخراب فيحوز به وما يلبه فاول من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعنه العباسي ثم اتخذها الخلفاء من بعدهم ما وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال شأن احوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلامية كلها ومنه ما افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعددهم لوك الطوائف واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو باديس بفاس وبنو جناد بالقلمنة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما

كان عطاؤك مقدرا وليكن عقابك للتقويم لا للانتقام وللزجر لا للهوى وعن هذا قال بزرجهر لا ينبغي للولك ان يكرهوا احدا به وان من ليس له وان اهلا ولا ان يهينوا احدا باكرام من ليس له اكرامة اهلا لا تسكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا على البخل اشجع

منك الى البذل قال الشاعر صفوح عن الاجرام حتى كانه * من العقول يعرف من الناس مجرما فليس يبالي ان يكون به الاذى *
اذما الاذى بالكرم يغش مسلما (١٦٠) (وقال سليمان بن داود) عليهم السلام التكميل والعقوبة أمنية المملوك الشرير

استقامت الدولة وأخذت بحظها من الترف وجاء أبو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة
وبقيت من بعده سنة ملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده *
(واما الدعاء على المنابر) في الخطبة فكان الشأن اولاً عند الخلق ولاية الصلاة بأنفسهم فكانوا يبدعون
لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاعن أصحابه وأول من اتخذ المنبر عمرو بن العاصي لما
بنى جامع مصر وأول من دعا للخليفة علي المنبر ابن عباس دعا علي رضي الله عنهم في خطبته وهو بالبصرة
عامل له عليهم فقال اللهم انصر عليا على الحق واتصل العمل على ذلك فبعثوا بعدوا بعداخذ عمرو بن العاصي
المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمر بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً تترقى به على
رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت حقبك فعزمت عليك الاما كبرته فلما حدثت
الابية وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيهما فكان الخطيب يشهد كراخلة
على المنبر تنويها باسمه ودعاه له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة وما ثبت
عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يقر بذلك فلما جاء
الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشادون باسمهم عقب اسمه
وذهب ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء على المنبر دون من سواه
وحظر ان يشارك فيه احد او يسعوا اليه وكثيرا ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عند
ما تكون الدولة في أسلوب الغضاضة ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على الابهام
والاجمال لمن ولي امور المسلمين ويسعون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون
بذلك ان الدعاء على الاجال انما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لماسلف من الامر ولا يحفلون بما وراء
ذلك من تعيينه والتصرح باسمه * يحكي أن يعمر اسن بن زيان ماهد دولة بني عبد الواد لما غلبه الامير
ابو زكريا يحيى بن أبي حفص على تلمسان ثم بداله في اعادة الامر اليه على شروطها كان فيها ذكر اسمه
على منابر عمله فقال يعمر اسن تلك اعدوا دهم يد كرون عليهم من شأوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ماهد
دولة بني مرين حضره رسول المستنصر الخليفة بتونس من بني أبي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض
أيامه عن شهود الجمعة فقيل له لم يحضر هذا الرسول كراهية لخلاوة الخطبة من ذكر سلطانهم فأذن في الدعاء له
وكان ذلك سبباً لاخذهم بدعوتهم وهكذا شأن الدول في بدايتها وتمكنها في الغضاضة والبداد فاذا
انتهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستجواشيات الحضارة ومعاني البذخ والابهة انتحلوا
جميع هذه السمات وتقتبوا فيها وتجاروا الى غايتها وأنفوا من المشاركة فيها وجرعوا من اقتقادها وخلو
دولتهم من آثارها والعالم بسنان والله على كل شيء رقيب

٣٨ * (فصل في الحروب ومذاهب الامم في ترتيبها) *

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ برأها الله وأصلها ارادة انتقام بعض البشر من
بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبيته فاذا تذاكر والذلك وتوافقت الطائفتان احدهما تطلب الانتقام
والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعي في البشر لا تخفى لوعته امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام
في الاكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تهيبه فالاول
أكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان أكثر ما يكون من الامم
الوحشية الساكنين بالعقر كالغرب والترك والتركمان والاكراد واسماهم لانهم جعلوا ارضهم في رماحهم

وعلى مثله يبعث الله ملكا
غير رحيم وقال معاوية لا
ينبغي للملك ان يظهر منه
غضب أو رضا الا ثواب
أو عقاب وقال اردشير فضل
الملك على السوق انما
هو بقدرة على اقتناء
الحامد واستقادة المكارم
فكلما استكثر من ابانت
فضيلته واستحقاقه موضعه
من الولاية عليهم وكما
نقص من مآثر ب من
السوق (وقال المأمون)
اني لا جد لعقوى لذة أعظم
من لذة الانتقام واعلم انه
اذا عاقب المملوك أو اهان
على ظن بغير يقين أدخل
على نفسه من قبح الخطا في
الرأي أعظم مما أدخل على
صاحبه من العقوبة وقال
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه الغالب بالشر مغلوب
وما ظفر من ظفر بالاثم
(وقيل) لا قلامون أي
شي من أفعال الناس يشبه
أفعال الله تعالى فقال
الاحسان الى الناس وقال
الحكيم الخ لم فدام السفيه
والعفو زكاة العقل وقال
الحكيم السيد الذي لا
يشين حسن الظفر بقبح
الانتقام وخير مناقب
الملوك العفو وكان يحيى
ابن معاذ يقول سبحان من

ومعاشهم

أذل العبد بالذنب وأذل الذنب بالعفو الهى ان هفتون تغير راحم وان عذبت فغير ظالم الهى ان كنت

لا ترضى الا عن اهل طاعتك فكيف يصنع الخاطئون وان كان لا يرجوك الا اهل وفائك فبمن يستغيث المستغيثون وقال الشاعر

وان الله ذو حلم ولكن * اعز الحلم ينتقم الحليم (وروي ان الحجاج) اخذ القطري بن الفجاءة فقال لا قتلتك قال ولم قال لخروج اخيك
على قال فان معي كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذني بذنب اخي قال ماتته قال ان معي او كدمنه (١٦١) قال الله تعالى ولا تزر وازرة

وزر اخرى فتعجب من
جوابه وخلي سبيله ولما
وفد عقيل بن ابي طالب
على معاوية امره بمائة
الف درهم فلما اراد
الانصراف رأى في الطريق
جارية باربعين ألف
درهم فرجع الى
معاوية فاخبره قال وما
تصنع بها قال تادلي
غلاما فان اغضبته
يضرب مفرقك بالسيف
فامر له بها فباعها فولدت
له مسلم بن عقيل ثم قدم
مسلم الشام فابتاع منه
معاوية بضعة فبلغ الحسين
ابن علي الخبر فكتب الى
معاوية اني لا اجيز بيع
مسلم فارسل معاوية الى
مسلم فقال هذا كتاب الحسين
يا امر برد المال فقال مسلم
اما دون ان اضرب
مفرقك بالسيف فلا
فضحك معاوية وقال والله
لقد تهددني ابوك بذلك
قبل ان يشتري امك
وسوغه المال فقال الحسين
غلبنا معاوية حليما وجودا
(الباب السابع والعشرون
في المشاورة والنصيحة) *
وهذا الباب مما يعده
الحكام من اساس
المملكة وقواعد السلطنة
ويقتصر الله الرئيس
والرؤس وقد ذكرناه في

ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم من متاعه آذنه بالحرب ولا بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة
ولا ملل وانما همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما في ايديهم والثالث هو المسمى في الشرعية بالجهاد
والرابع هو حروب الدول مع الخارجين عليها والمنايعين لطاعتها فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان
الاولان منها حروب بني وفتنة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين الخليفة
منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف وصفه وفوقه بالكر والقرا ما الذي بالزحف فهو قتال العجم
كلهم على تعاقب احيائهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب و قتال الزحف
او ثق واشد من قتال الكر والفر وذلك لان قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح
او صفوف الصلاة ويمشون بصقوفهم الى العدو وقدما فلذلك تكون اثبت عند المصارع واصدق في القتال
وارهب للعدو لانه كالحائط الممتد والقصر المشيد لا يطعم في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص اي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث الكر يم المؤمن للمؤمن
كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب الثبات وتحريم النولي في الزحف فان المتصور
من الصف في القتال حفظ الانتقام كما قلناه فمن ولي العدو ظهره فقد اخل بالمصاف وبما يثم الهزيمة ان وقعت
وصار كانه جرحا على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعميدهم الى الدين بخرق
سياجه فعدو من الكبار ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد عند الشارع واما قتال الكر والفر
فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا أنهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا
ثابتا يلجئون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكر بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة
الجنود المنسوبة الممالك كانوا يسمعون الجيوش والعساكر اقساما يسمونها كراديس ويسوون في كل
كر دوس صفوفه وسبب ذلك انه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشدوا من قاصبة النواحي استدعى
ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتور وامن عدوهم الطعن والضرب فيختشي من
تدافعهم فيما بينهم لاجل الذكاء وجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يسمعون العساكر جوعاوا يضمون
المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها
من سلطان او قائد في القلب ويسمون هذا الترتيب التعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين
صدرا لا سلام فيجعلون بين يدي المالك عسكر المنقرد ابصفوفه متميزا بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة
ثم عسكر آخر من ناحية اليمين عن موقف المالك وعلى سميته يسمونه المقدمة ثم عسكر آخر من ناحية الشمال
كذلك يسمونه الميسرة ثم عسكر آخر من وراء العسكر يسمونه الساقة ويقف المالك واصحابه في الوسط بين
هذه الاربع ويسمون موقفه القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للبصر او على مسافة
بعيدة أكثرها اليوم واليومان بين كل عسكر من منها او كيف ما اعطاه حال العساكر في القلة والكثرة
فيثبت يكون الزحف من بعد هذه التعبية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف
كانت العساكر لعهده عبد الملك تتخاف عن وجهه لا يبعد المدي في التعبية فاحتج ان يسوقها من خلفه
وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما اشرنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس
ايضا كثير منه وهو مجهول فيما لدينا فانما ادر كنادولا قليلا العساكر لا تنهي في مجال الحرب الى
التناكر بل أكثر الجيوش من الطائفتين معا يجمعهم لدينا حله او مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه
ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبية

(٢١ - ابن خلدون) باب الخصال الفرقانية ونذكر هنا فوائدها وحاسنها علما وان المستشير وان كان افضل رأيا من المشير فانه يزداد
برأيه رأيا كما يزداد النار بالسليط ضوءا فلا يقدح في روعك انك اذا استشرت الرجال ظهروا للناس منك الحاجة الى رأي غيرك فجمعك

ذلك عن المشاورة فانك لاترى رأيي للفخر به ولكن لا تتقاع به فان أردت الذكرك انخر لذكرك وأحسن عند ذوى الالباب لسياسة
ان يقولوا لا ينقد برأيه دون ذوى الرأي (١٦٢) من اخوانه ولا يمنعك عزيمتك على انقاذ رأيك وظهور صوابه لك عن الاستشارة

الاترى ان ابراهيم عليه السلام امر بذيبح ابنه عزيمة لا مشورة فيها فحمله حسن الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال فيه يابني انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ما ذاترى وهذا من أحسن ما رسم فى هذا الباب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الراى الفرد كالخطيب السحيل والرايان كالخطيبين والثلاثة الالاء لا تكاد تنقطع ويروى ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي نحن لا غلاك علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لا غلاك علينا من لا يشاور وقال بزرجهرا اذا أشكل الراى على المحزم كان بمنزلة من أضل لثاوة فجمع ما حـ ول مسقطها فالتصافوا جدها كذلك المحزم يجمع وجوه الراى فى الامر المشكل ثم يضرب بعضها ببعض حتى يخلص له الصواب (وكان) يقال من كثرت استشارته جدت امارته وفى حكم المندقال بعض الملوك ان الملك المحزم يزداد برأى الوزراء المحزمة كما يزداد البحر بمواده من الاتهار وينال بالمحزم والراى مالا يناله بالقوة

(فصل) ومن مذاهب أهل الكروا الفرق فى الحروب ضرب المصاف وراءهم من الجسادات والحيوانات العجم فتخذونها لمجالسة فى كرههم وفرهم يطلبون به ثبات المقاتلة ليكون ادوم للحرب وأقرب الى الغلب وقد يفعله أهل الزحف أيضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم أهل الزحف يتخذون القيد فى الحروب ويحملون عليها أبراجا من الخشب أمثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصفونها وراءهم فى حومة الحرب كأنهم حصون فتعوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من ذلك فى القادسية وأن فارس فى اليوم الثالث اشتدوا بها على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فغالطوهم وبعجوها بالسيف على خراطينها فنقرت ونكصت على اعقابها الى مرابطاتها بالدائن فحقاهم عسكر فارس لذلك وانهم زعموا فى اليوم الرابع * وأما الروم وملوك القوط بالاندلس وأكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للسكرير يره فى حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات فى أركان السريرو ويحشد به سـياج آخر من الرماة والرجال قيعظم هيكل السريرو يصير قبة للمقاتلة ولجأ للسكر والفرو جعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رسم جالس فيها على سريره نصبه فجلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطه العرب فى شريره ذلك فتحول عنه الى الفرات وقتل وأما أهل الكروا والفر من العرب وأكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون لذلك ابلهم والظهر الذى يحمل طعائهم فيكون قبة لهم ويسعون بها المجبودة وليس امة من الامم الا وهى تفعل ذلك فى حروبها وتراه أوثق فى الجولة وآمن من الغرة والمزيمه وهو أمر شاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجـلة واعتاضوا عنه بالظهر الحامل للثقال (١) والقساطيط يجعلونها ساقية من خلفهم ولا تغنى غناء القيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة للهزائم ومستشعرة للقرارى فى المواقف وكان الحرب أول الاسلام كله زحفا وكان العرب انما يعرفون الكروا والفر لكن جعلهم على ذلك أول الاسلام امر ان احدهما ان عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمنزل قتالهم الثانى انهم كانوا مستميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من الصبر ولما رشح فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة أقرب * وأول من أبطل الصف فى الحروب وصار الى التعمية كراديس مروان بن الحكم فى قتال الضحالك الخارجى والحجـ يرى بعده قال الطبرى لما ذكر قتال الحجيرى فولى الخوازم عليهم شيخان بن عبد العزيز الشكرى و يلقب أبا الدلفاء وقتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس وأبطل الصف من يومئذ انتهى فتوسى قتال الزحف بأبطل الصف ثم توسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملبس والفواسكى القصور والخواضر وتر كواشأن البادية والفر نسوا ذلك عهد الابل والطعام وصعب عليهم ثم اتخذوا خلفا للنساء فى الاسفار وجعلهم الملبس والترف على اتخاذ القساطيط والاختبة فاقتصر واعلى الظهر الحامل للثقال والابنية وكان ذلك صفة منهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء لانه لا يذهب الى الاستماتة كما يذهب اليها الـل والمال فيخفف الصبر من أجل ذلك وتصرفهم المصبات وتخرم صفوفهم

(فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتآ كده فى قتال الكروا والفر صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الاقرب فيجندهم واختصوا بذلك لان قتال أهل وطنهم كما بالـكروا والفر والسلطان

(١) قوله للثقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل له قوله فى فصل الخندق الا ترى ما اذا نزلوا وضربوا بنيتهم اه

والجند ولم تنزل حزمة الرجال يستحلون مرائر قول النصحاء كما يستحل الجاهل المساعدة على الهوى وقال المأمون نبدأ كذا لطاهر بن الحسين صفى اخلاق الخلو ع يعنى أخاه الامين فقال كان واسع الصدر ضيق الادب ينتج من نفسه ما تأباه همم الاحرار

لا صغيا الى نصيحة ولا يقبل مشورة يسئد برأيه فيرى سوء عاقبته فلا يردعه ذلك عما فيه به قال فكيف حروبه قال يجمع الكنايب
بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك ما حل محله أما والله لو ذاق (١٦٣) لذاعة النصائح واختار مشورة الرجال

وما لك نفسه عند مشورتها
ما ظفر به وقال بعضهم انقاذ
الملوك الامور بغير روية
كالعبادة بغير نية ولم تزل
العقلاء على اختلاف
آرائهم يشهدون الغيوب
ويستشيرون صواب الرأي
من كل أحد حتى الامعة
الوعك هذا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم
الله امرأ اهدى الى عيوني
وكان يقال من أعطى
أربعة لم يمنع أربعة من
أعطى الشكر لم يمنع المزيد
ومن أعطى التوبة لم يمنع
القبول ومن أعطى
الاستخارة لم يمنع الخيرة
ومن أعطى المشورة لم يمنع
الصواب وقال بعضهم خير
الرأي خير من فطيرة وتأخير
خير من تقديمه (وذكر
صاحب كتاب التاج) ان
بعض ملوك العجم استشار
وزراء فقال أحداهم لا
ينبغي للملك ان يستشير منا
أحد الا خالفه فانه أموت
للسر وأخزم في الرأي وأجدر
للسلامة واعني لبعضنا من
عائلة البعض وكان بعض
ملوك العجم اذا شاور
مرازيقه فقصر وفي الرأي
دعا الموكلين بأوزاقهم
فعاقبهم فيقولون تخطئ
مرازيقك وتعاقبنا فيقول

يتأكد في حقه ضرب المصاف ليكون ردًا للقاتلة امامه فلا بد أن يكون أهل ذلك الصف من قوم
متعودين للثبات في الزحف والاجف لو اعلى طريقتة أهل الكر والفر فانهزم السلطان والعساكر باحقاقهم
فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنودا من هذه الامة المتعودة للثبات في الزحف وهم الافرنج ويرتبون
مصافهم المحدث فيهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي أربنا كها
من تخوف الاجفال على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال
الزحف فكانوا أقوم بذلك من غيرهم مع أن الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند الحرب مع أمم العرب
والبربر وقتالهم على الطاعة وأما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا من محاللتهم على المسلمين هذاهو
الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد أبدى بأسبيه والله بكل شيء عليم
(فصل) وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهام وأن تعبئة الحرب عندهم بالمصاف وأنهم
يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفوا وراصف ويترجلون عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين أيديهم
ثم يتناضلون جلوسا وكل صف ردة الذي امامه أن يكسهم العدو الى أن يتنهي النصر لا حدى الطائفتين
على الاخرى وهي تعبئة محكمة غريبة

(فصل) وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون للزحف حذرا
من معرفة البيات والمخوم على العسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مضاعفة الخوف فيلوذ الجيش
بالقرار ويتجدد النقوس في الظلمة سيرا من عارده فاذا تساوى في ذلك أرحف العسكر ووقعت المزيمة فكانوا
لذلك يحتفرون الخنادق على معسكرهم اذا نزلوا وضربوا أنبتهم ويديرون الحفائر نطاقا عليهم من جميع
جهاتهم حرصا ان يخالطهم العدو بالبيات فيتخاذلوا وكانت للدول في أمثال هذا قوة وعليه اقتدار باحتشاد
الرجال وجمع الايدي عليه في كل منزل من منازلهم بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة المال فلما
خرب العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة تسمى هذا الشأن جملة كانه لم يكن والله خير
القادرين وانظر وصية على رضي الله عنه وتحرر يرضه لاصحابه يوم صفين تجد كتابا من علم الحرب ولم يكن
أحد أبصر بهامنه قال في كلام له فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الدارع وأخروا الحاسر
وعضوا على الاضراس فانه أنبي للسيوف عن الهام والنوا على اطراف الرماح فانه أصون للاستتار وغضوا
الابصار فانه أربط للجاش وأسكن للقلوب واخفوا الاصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار وأقيموا راياتكم
فلا تملوها ولا تجعلوها الا بأيدي شجعانكم واستعينوا بالصديق والصير فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال
الاشتر يومئذ يحرض الأزد عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم وشددوا شدة قوم
موتورين يثأرون بآبائهم واخوانهم حناقا على عدوهم وقد وطئوا على الموت أنفسهم لا يسيبهم قوا بوتر
ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد أشار الى كثير من ذلك أبو بكر الصديق في شاعر متونة وأهل الاندلس في كلمة
يخبر بها قاسم بن علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب شنها ويذكرها مور الحرب في وصايا
وتحذيرات تنبهت على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا أيها الملك الذي يتقنع * من منكم الملك الهمام الاروع
ومن الذي غدر العدو به دجى * فانقض كل وهو لا يترزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصداه * عنه ويديرها الوفاء فترجع
والليل من وضع الترائث انه * صبح على هام الجيوش يلعب

نعم لم يخطوا الاتعاق قلوبهم بارزاقهم واذا اهتموا اخطوا وكانوا اذا اهتموا عساورة رجل يعنوا الله بقوة وقوت عياله لسنته لينفرغ
لبيه وكان يقال النفس اذا حزرت قوتها املأنت واذا شاورت فاصدق الخبر تصدق المشورة ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبل نفسك

وقال بعض ملوك العجم لا ينبغي لشدة بأسك في باطنك ولا علوه مكانك في نفسك من أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك فان أجدت أحبت وان أخطأت عذرت فان في ذلك (١٦٤) خصالا منها ان وافق رأيك رأي غيرك ازداد رأيك شدة عندك وان خالفه عرضته

على نظرك فان رأيتهم متلبين
لما رأيتهم قبلته وان رأيتهم
متصعبا استغذيت عنه وتحدث
بذلك النصيحة من شاورته
وان أخطأت وتهمضت لك
مودته وان قصر ولو لم يكن
من فضيلة المشاورة الا انك
ان أصدته مستبد اسلمت
فائدة الاصابة بالسنة
الحسنة وقال قائل هذا
اتفاق ولو فعل كذا لكان
أحسن واذا شاورت فاصدت
أجد الجماعة رأيك لانهم
لنفوسهم يحمدون وان
أخطأت جل الجماعة خطأك
لانهم عن نفوسهم يكافون
واعلم ان القول الغليظ
يستمع لفضل عاقبته كما
يتسكاره شرب الدواء المر
لفضل مغبته (وقال اعرجي)
ما عثرت قط حتى عثرت قومي
قالوا وكيف ذلك قال لا
أفعل شيئا حتى أشاورهم
(وقيل) لرجل من بني
عبس ما أكثر صوابكم يا بني
عبس فقال نحن ألف رجل
وفينا حازم واحد ونحن
نطعمه فكأننا ألف حازم
وكان ابن هبيرة أمير البصرة
يقول اللهم اني أعوذ بك
من ضيعة من غايته خاصة
نفسه والانحطاط في هوى
مستشهرة (وفي حكم الهند)
من الخمس من الاخوان

أتى فرعون بنى صنهاجة * واليهكم وفي الروع كان المفزع
انسان عين لم يصيبه منكم * حضن وقلب أسلمته الاضلع
وصد دتمو عن تاشفين وانه * لعقابه لو شاء فيكم موضع
ما أنتمو الا أسود خفية * كل لكل كريهة مس تطلع
يا تاشفين أقم لجيشك عذره * بالابل والغدر الذي لا يدفع
(ومنها في سياسة الحرب)

أهديك من أدب السياسة ما به * كانت ملوك الفرس قبلما تولع
لا تني ادري بهالكنا * ذكرى تحض المؤمنين وتنفع
والبس من الحماق المضاعة التي * وصي بها صنع الصنائع تبع
والهندواني الرقيق فانه * امضى على حد الدلاص وأقطع
واركب من الخيل السوابق عدة * حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة * سبان تتبع ظافرا أو تتبع
والواد لا تعب به وانزل عنده * بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناجرة الجيوش عشية * ووراءك الصدق الذي هو أمانع
واذا تضايقت الجيوش بمحرك * ضحك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكثرت * شيئا فظاهر النكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة * للصدق فيهم شمة لا تخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجقا * لا رأي لك كذاب فيما يصنع

قوله واصدمه اول وهلة لا تكثرت البيت مخالف لما عليه الناس في أمر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن
مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع وأطع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
واشر كههم في الامر ولا تخبى بن مسرعا حتى تنبى فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل المكث الذي يعرف
الفرصة والكف وقال له في أخرى انه لن ينعني أن أوامر سلطا الاسرعة في الحرب وفي التسرع في الحرب
الا عن بيان ضياع والله لا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكث هذا كلام عمر وهو شاهد
بان التناقل في الحرب اولى من الحقوف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا أن
يريد أن الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى اعلم

(فصل) ولا وثوق في الحرب بالظفر وان حصلت أسبابه من العدة والعديد وانما الظفر فيها والغلب من
قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك أن أسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من أمور ظاهرة وهي الجيوش
ووفورها وكمال الأسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف ومنه صدق القتال وما جرى مجرى
ذلك ومن أمور خفية وهي إمام من خدع البشر وحييلهم في الارجاف والتشائيع التي يقع بها التخاذل وفي
التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من أعلى فيتهم المنخفض لذلك وفي الكهون في الغياض
ومظمن الارض والتواري بالكدي عن العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتمون الى
النجاة وأمثال ذلك واما أن تكون تلك الأسباب الحففة أمور اسماءية لا قدرة للبشر على اكتسابها تليق
في القلوب فيستولى الرهب عليهم لاجلها فتختل مراكرهم فتقع الهزيمة أو أكثر ما تقع الهزائم عن هذه

الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضا وجل الوزر وقالت الحكماء الأسباب
لأشاور معلمي ولا رأي غم ولا كثير القعود مع الناس ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائف ولا من يرهقه أحد السبيلين وقال الرازي

الحاقن ولا الحازق ولا الحاقب ولا شاو من لا دقيق عنده والحازق هو الذي ضغطه الخشب الضيق والحاقب هو الذي يجدف بطنه ثقلا
وقالوا من شكك الى عاجز اعاره عجزه وامده من جرحه (ومن لطيف ما جرى في الاستشارة) (١٦٥) ان زياد بن عبيد الله الحارثي اسدشار

عبيد الله بن عمر في أخيه
أبي بكر ان يوليه القضاء
فاشار به فبعث الى أبي بكر
فامتنع عليه فبعث زياد
الى عبيد الله يستعين على
أبي بكر فقال أبو بكر لعبيد
الله أنشدك الله أتري الى
القضاء قال اللهم لا قال زياد
سبحان الله استشرتك
فاشرت على به ثم استعك
تنهاه فقال أيها الأمير
استشرتني فاجتهدت لك
الرأي ونجحتك ونجحت
للمسلمين واسستشارني
فاجتهدت له رأي ونجحت
(وروي ان الحجاج)
بعث الى المهلب يستعجله
حرب الازارة فكتب
اليه المهلب ان من البلاء
ان يكون الرأي لمن يملكه
دون من لا يبصره
(فصل في النصيحة)
اعلموا ان النصيحة للمسلمين
وللخلائق اجمعين من سبب
المرسلين قال الله تعالى
اخبرنا عن نوح عليه السلام
ولا ينفعكم نصحي ان اردت
ان انصح لكم ان كان الله
يريد ان يغويكم وقال
شعب عليه السلام ونجحت
لكم فكيف آسى على قوم
كافرين ونجحت لكم
واكن لا تحبون الناصحين
وقال عليه السلام ان العبد

الاسباب الخفية لكثرة ما يعمل لكل واحد من القرية بين فيها حرصا على الغلب فلا بد من وقوع
التأثير في ذلك لاحده ماضورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم الحرب خدعة ومن أمثال العرب
رب حيلة أنفع من قبيلة فقتل اثنين أن وقوع الغلب في الحرب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة
ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت كما تقرر في موضعه فاعتبره وتفهم من وقوع
الغلب عن الامور السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم نصرت بالعرب مسيرة شهر
وما وقع من غلبه للشر كمين في حياته بالعدو القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات
فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بالقاء العرب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فيتم زمو
معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم فكان العرب في قلوبهم سبيلاً للاثم في الفتوحات الاسلامية كلها الا
انه خفي عن العيون وقد ذكر الطوطشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تفضل عدة الغرسان
المشاهير من الشجعان في أحد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون أحد الجانبين فيه عشرة
أو عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية أو ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد
يكون له الغلب وأعاد في ذلك وأبدى وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قد مدنا وليس يصح وانما
الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في أحد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكاهم وفي الجانب
الاخر عصاب متعة دة لان العصاب اذا كانت متعة دة يقع بينهما من التخاذل ما يقع في الواحد ان
المفرقين الفاقدين للعصبية اذ تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابته متعددة
لا يقاوم الجانب الذي عصبته واحدة لاجل ذلك ففهمه واهم لم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه
الطوطوشي ولم يحمله على ذلك الانسيان شأن العصبية في حلة وبلدة وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحجاية
والمطالبة الى الواحدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسباً وقد بينا ذلك اول الكتاب
مع ان هذا وأمثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيش في العدة وصدق
القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كفيلاً بالغلب ونحن قد قررنا لك الآن ان شيئاً منها
لا يعارض الاسباب الخفية من الحيل والخداع ولا الامور السماوية من العرب والخذلان الالهي فافهمه
وتفهم احوال السكون والله مقدر الليل والنهار

(فصل) ويلحق بمعنى الغلب في الحرب وبوان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان
تصادف موضعها في أحد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمنحليين للفضائل على
العموم وكثير من اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد
تصادف موضعها وتكون طبقة الى صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما ما بال اخبار
والاخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع ويدخلها الاوهام
ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للاحوال مخفاتها بالتلبيس والتصنع أو لجهل الناقل ويدخلها التقرب
لاصحاب التجارة والمراتب الدنيوية بالتناو والممدح وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنقوس مولعة
بحب الثناء والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه واثرة وليسوا في الاكثر براغبين في الفضائل
ولا منافسين في اهلها وأين مطابقة الحق مع هذه كلها فتختل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير
مطابقة وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبخت كما تقرر والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

(فصل في الجبابة وسبب قتلها وكثرتها) ٣٩

اذا نصح لسيدك واحسن عبادة الله فله اجره مرتين (وروي) ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة ان الدين النصيحة قبل ان يارسول الله قال الله ولكتبه وارسوله ولائمة المسلمين ولعامةهم فالنصيحة في الجملة فعل الشيء الذي به الصلاح

ودفع الملامة مأخوذة من النصيحة وهي السلوك التي يخاطبها وتصغيرها نصيحة تقول العرب هذا قيص منصوص أي مخيط ونصحه نصحا
إذا خطته ويختلف النصيح في الأشياء (١٦٦) لاختلاف الأشياء فالنصح لله هو وصفه بما هو وأهله وتنزيهه عما ليس بأهل له عقد أو قولا

أعلم أن الجباية أول الدولة تكون قلبه لوزائع كثيرة الجبله وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قلبه لاله
الجبله والسبب في ذلك أن الدولة أن كانت على سنن الدين فليست إلا المغارم الشرعية من الصدقات
والخراج والجزية وهي قلبه الوزائع لأن مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب
والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وإن كانت على سنن
التغلب والعصية فلا بد من البداءة في أولها كما تقدم والبداءة تقتضي المسامحة والمكرامة وخفض
الجناح والتجاني عن أموال الناس والعقلة عن تحصيل ذلك إلا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة
الواحدة والوزيرة التي تجمع الأموال من مجموعها وإذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل
ورغبوا فيه فكثر الاعتماد ويزيد محصول الاغتباط بقله المعمر وإذا كثر الاعتماد كثرت أعداد تلك
الوظائف والوزائع فكثر الجباية التي هي جملتها فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا
بعد واحد واتصقوا بالكيس وذهب شر البداءة والسذاجة وخلقه من الأغصاء والتجاني وجاء الملك
العضوض والحضارة الداعية إلى الكيس وتخلق أهل الدولة حينئذ بخلق التجاني وتكثر عوائدهم
وحوائجهم بسبب ما انعموا فيه من النعم والترفع فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا والأكرة
والفلاحين وسائر أهل المغارم ويزيدون في كل وظيفة ووزيرة مقدار عظم التكاليف الجباية ويضعون
المكوس على المبانيات وفي الأبواب كما نذكر به ثم تدرج الزيادة في مقدارها بعد مدة دار لتدرج
هواند الدولة في الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تشغل المغارم على الرعايا وتنهم وتصبح عادة
مفروضة لأن تلك الزيادة تدرج قليلا قليلا ولم يشعر أحد بمن زادها على التعيين ولأنه هو واضعها
انما ثبت على الرعايا في الاعتماد لذهاب الأمل من نفوسهم بقلة النفع إذا قابل بين نفقه ومغارمه وبين
ثمرته وفائده فتقبض كثير من الأيدي عن الاعتماد رجلة فتقص جباية الجباية حينئذ بقصان تلك
الوزائع منها وربما يزيدون في مقدار الوظائف إذا زادوا ذلك النقص في الجباية ويحسبون جبراً لما نقص
حتى تنهض كل وظيفة ووزيرة إلى غاية ليس وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتماد
وكثرة المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجباية في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة
لما يعتقدونه من جبر الجباية بها إلى أن ينتقص العمران بذهاب الأموال من الاعتماد ويعود وبال ذلك
على الدولة لأن فائدة الاعتماد ما عادت إليها وإذا فهمت ذلك علمت أن أقوى الأسباب في الاعتماد تقليل
مقدار الوظائف على المعتمد من ما أمكن في ذلك تنشط النفوس إليه لثقتهم بأدراك المنفعة فيه والله
سبحانه وتعالى مالك الأمور كلها وبيده ملكوت كل شيء

٤٠ (فصل في ضرب المكوس وأخر الدولة)

أعلم أن الدولة تكون في أولها بدوية كما قلناه فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده
فيكون خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاء بازيد منها بل يفضل منها كثير عن حاجاتهم
ثم لا تلبث أن تأخذ بيد الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابغة قبلها فيكثرت لذلك
خراج أهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصا كثرة بالغة بتفقه في خاصته وكثرة عطائه ولا تفي بذلك
الجباية فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية لما تحتاج إليه الحامية من العطاء والساطان من النفقة فيزيد
في مقدار الوظائف والوزائع أولا كما قلناه ثم يزداد الخراج والحاجات والتدريج في عوائده الترف وفي العطاء
الحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن جباية الأموال من الأعمال والقاصية فتقل الجباية

والقيام بتعظيمه والخضوع
له ظاهرا وباطنا والرغبة
في محابه والتباعد من
مساخطه وموالاة من اطاعه
ومعاداة من عصاه والجهاد
في رد العصاة إلى طاعته
قولا وفعلا وإرادة بث جميع
مأذ كراه في عبادته والنصيحة
لكتابته إقامته في التلاوة
وتحسينه عند القراءة وتفهيم
مأفيه واستعماله والذب
عنه من تأويل المجرمين
وطعن الطاعنين وتعلم
مأفيه للخلائق أجمعين قال
الله تعالى كتاب أنزلناه
إليك مبارك ليدبروا آياته
وليتذكروا أولو الألباب
والنصيحة للرسول عليه
السلام موازته ونصرته
والجباية من دونه حيا
وميتا وأحياء مسته بالطلب
وأحياء ماريقته في بث
الدعوة وتأليف الكلمة
والتخلق بالأخلاق الطاهرة
والنصيحة للأئمة معاوتهم
على ما تكلفوا القيام
به في تنبيههم عند العقلة
وأشادهم عند الهفوة
وتعليمهم ما جهلوا
وتحذيرهم عن يديهم
السوء وإعلامهم بأخلاق
عمالهم وسيرهم في الرعية
وسد خللهم عند الحاجة
ونصرتهم في جمع النكامة

عليهم ورد القلوب النافرة إليهم والنصح لمجاعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة
لصغيرهم وتفرج كربهم ودعوتهم إلى ما يسعدهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم ومن النصيحة للمسلمين دفع

بؤنة نفسه وبدنه وخوائجه عنهم (قال الاصمعي) لفظ عمر بن الخطاب رضي الله عنه نواة من الطريق فامسكها بيده حتى مر بدار قوم فالتقاها في الدار وقال يا كاهن اجنهم والنصح لجميع الملل ان يحب اسلامهم ويدعوهم الى الايمان (٢٦٧) بالقول ويحذرهم سوء عقبة الكفر

وبالسيف ان كان ذا سلطان
او يكفوا عن قتال المسلمين
فيكونوا ذمة والا فالقتل نصحا
لاقامة امره فيهم (وروى
معاذ) ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ثلاث لا يغفل
عليهن قلب مسلم العمل
لله ومناجاة ولاة الامر
والاعتصام بجماعة المسلمين
فان دعوتهم تم تحيط من
ورائهم وقال جابر بن
عبد الله بايعت النبي صلى
الله عليه وسلم على السمع
والطاعة فقلتني فيما
استطعت والنصح لكل
مسلم (وروى) انس
ان النبي عليه السلام قال
لا يؤمن أحدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه
وقال أبو الدرداء العزم
يباعه البر والفاجر والحكمة
ينطق بها البر والفاجر
والنصيحة لله تعالى لا تشبهت
الا في قلوب المستجبين الذين
صحت حقولهم وصدق
نياتهم واعلم ان جرعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا
اولو العزم وكان عمر بن
الخطاب رحمه الله يقول
رحم الله امرأ اهدى الى
صوابي وقال ميمون
ابن مهران قال لي عمر بن
عبد العزيز رحمه الله
قل لي في وجهي ما اكره

وتكثر العوائد ويكثر بكثرها ازراق الجند ودعطاؤهم فيستحدث صاحب الدولة أنواعا من الحماية
يضر بها على البياعات ويفرض لها قدرا معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى أعيان السلع في أموال
المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بسادعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش والحامسة
وربما يزيد ذلك في اواخر الدواة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لفساد الاثمال ويؤذن ذلك باختلال
المران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى أن تضجحل وقد كان وقع منه بامصار المشرق في أخريات
الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين أيوب تلك
الرسوم جملة واعاضها بآثار الخبز وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محاربه يوسف بن تاشفين
امير المرابطين وكذلك وقع بامصار الجريد بآفة لهذا العهد حين استبد بها رؤساؤها والله تعالى أعلم

٤١ (فصل في ان التجارة من السلطان مضره بالرعايا مقسدة للحباية)

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قد بد منه من الترف وكثرة العوائد والتنفقات وقصر الحاصل من
جبايتها على الوفاء بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والحباية فتارة توضع المكوس على
بياعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد
استحدث من قبل وتارة بمقاسمة العمال والحباية وامتنعوا عن عملهم لما يرون أنهم قد حصلوا على شيء طائل
من اموال الحماية لا يظهره الحساب وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الحماية لما
يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة
رؤس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء البضائع والتعرض بها لحوالة
الاسواق ويحسبون ذلك من ادرار الحماية وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وادخال الضرر على الرعايا
من وجوه متعددة فالاول مضايقة الفلاحين والتجار في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان
الرعايا امتكفون في الدسارمة قاربون ومزاجية بعضهم بعضا تنتهي الى غاية موجودهم او تقرب واذا
رافقهم السلطان في ذلك وماله اعظم كثير منهم فلا يكاد أحد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته
ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد ثم ان السلطان قد يتزعج الكثير من ذلك اذا تعرض له غضا
او بآيسر ممن لا يجد من يناقشه في شرائه فيبخس ثمنه على بائعه ثم اذا حصل فوائد الفلاحة ومغلاها كله
من زرع أو حرير أو عسل أو سكر أو غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجارة من سائر الانواع
فلا ينتظرون به حوالة الاسواق ولا اتفاق البياعات لما يدعوههم اليه تسكليف الدولة فيكافون اهل تلك
الاصناف من تاجر أو فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وأزيد فيستوعبون في ذلك
ناض اموالهم وتبقى تلك البضائع بأيديهم عروضا جامدة ويمكثون مظلمين الادارة التي فيها كسبهم
ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد من الاسواق بالبخس
ثم وربما يتكرر ذلك على التاجر والفلاح منهم مما يذهب رأس ماله فيقع مدع عن سوقه ويتعدد ذلك
ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمضايقة وفساد الارباح ما يقبض آمالهم عن السعي في ذلك
جملة ويؤدي الى فساد الحماية فان معظم الحماية انما هي من الفلاحين والتجار لا سيما بعد وضع المكوس
ونحو الحماية بها فاذا انقبض الفلاحون عن الفلاحة وتعد التجار عن التجارة ذهبت الحماية جملة او دخلها
النقص المتفاحش واذا قاس السلطان بين ما يحصل له من الحماية وبين هذه الارباح القليلة وجددها
بالنسبة الى الحماية اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ عظيم من الحماية فيما يعاينيه من

فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال مالك النصيحة لله في أرضه هي التي بعث الله بها أنبياءه ومن أمر الاسلام
القصد والنصيحة لعباد الله في أمورهم والنفوس مستقيمة لا تصح نافرة عن أهلها ومائلة الى ما وافق هواها (وفي منشور الحكم) ودل من

تجلك وقلاك من مشى في هواك وكان يقال أخوك من احتمل أثقل نصيحتك وقال بعضهم شعرا عرضت نصيحة مني لزيد *
 وقال غششتي والنصم
 وقال عليه في معناه شعر
 فقلت له تجنب كل شئ
 يقال عليك ان الحرح
 * (وقال آخر) *
 وعلى النصوح نصيحتي
 وعلى عصيان النصوح
 * (وللقطامي شعر) *
 ومهصبة الشفيق عليك مما
 تزيذك مرة منه استماعا
 وخيرا لأمرا ما استقبلت منه
 وليس بان تتبعه اتباعا
 * (ولورقة بن نوفل) *
 لقد نصحت لأقوام وقلت لهم
 أنا النذير فلا يغردكم أحد
 لا شئ مما ترى تبقى بشاشته
 إلا لاله ويودي المال
 والولد
 لم تغن عن هرير يوم آخرائه
 والخلد قد حاولت عاد
 فما خلدوا
 قال ابن وهب انما يحسن
 الاختيار لغيره من يحسن
 الاختيار لنفسه ولا خير لك
 فمن لا خير له في نفسه
 وقالت العلماء ان ينصحت
 امرؤ لا ينصح لنفسه (وقال
 بعضهم) رأي ورأيك في
 المعرفة امثل لنفسك من
 رأيك لانه خلون هواك
 وقال أبو الدرداء ان شئت
 لا تنصن لكم ان احب
 مباد الله الى الله الذين
 يحبون الله الى عباده
 ويعملون في الارض
 نصحا وروى ان رجلا طم ابراهيم بن آدم فرقع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت
 تشيئ وتعاقبه فلا تشيئ ولا تعاقبه * (ومن الخصال التي تجرى الجبال والسمك في الحلم) * (الباب الثامن والعشرون في الحلم) *

شراء او بيع فانه من البعيد ان يوجد فيه من المكس ولو كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسها
 كلها حاصلا من جهة الجباية ثم فيه التعرض لاهل عمرانه واختلال الدولة بقسادهم ونقصه فان الرعايا
 اذا قعدوا عن تمييز أموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف أحوالهم فافهم
 ذلك وكان القرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الفضل والدين
 والادب والسخاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة فيضر بحبيرانه
 ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البضائع وان لا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير ولا مصلحة * واعلم
 ان السلطان لا ينبغي ماله ولا يدرمو جوده الا الجباية وادارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال
 والنظر لهم بذلك فبذلك تنبسط آمالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تمييز الاموال وتنميت ما تقتضيه منها
 جباية السلطان وأما غير ذلك من تجارة او فسخ فانه مضر عاجلة للرعايا وفساد للجباية ونقص للتجارة
 وقد يتسبب الحال بهؤلاء المسلمين للتجارة والاهل من الامراء والمثقلين في البلدان انهم يتعرضون
 لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلادهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في
 وقتها من تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن وهذه أشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية
 واختلال احوالهم وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الاصناف أعني التجار والفلاحين
 لما هي صناعته التي نشأ عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معهم لئلا يحصل على غرضه من
 جمع المال سريريا سيما مع ما يحصل له من التجارة لا مغرم ولا مكس فانها أجدر بنمو الاموال واسرع في تمييزه
 ولا يقفهم ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي للسلطان ان يحذر من هؤلاء ويعرض
 عن سعياتهم المضرة بجبايته وسلطانه والله يلهيهم نار شدة أنفسهم ويطعننا بصالح الاعمال والله تعالى اعلم

٤٢ * (فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة) *

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تنوزع على اهل القبل والعصبة بمقدار غنائمهم وعصبيتهم
 ولان الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون اليه من الجباية
 معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد عليهم فله عليهم عزه وله اليهم حاجة فلا يطير في سببه ماله من
 الجباية الا الاقل من حاجته فتجد حاشيته لذلك وأذياله من الوزراء والكباب والموالي مملوئين في الغالب
 وجاههم متقلص لانه من جاه بخدومهم ونطاقه قد ضاق بمن يزاجه فيه من اهل عصبيته فاذا استغلت
 طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه قبض أيديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين
 الناس في سببهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلة غنائمهم في الدولة بما انكسب من أعنتهم وصار الموالى
 والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتهديد الامم فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية او معظمها
 ويحتوى على الاموال ويحتج بالنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتتمثل خزانته ويتسع نطاق
 جاهه ويعز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع
 جاههم ويقتنون الاموال ويتأثرون بها ثم اذا أخذت الدولة في الهرم بتلاشي العصبة وفناء القليل المساهدين
 للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة الخواارج والمنازعين والثوار وتوهم
 الانتقاض فصار خراجهم اظهرا منه وأعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبية وانفق خزانته وحاصله في
 مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقبل الخراج وتشتد حاجة
 الدولة الى المال فيتقلص ظل النعمة والترقب من الخواص والحجاب والكباب بتقلص الجاه عنهم وضيق

نطاقه

نصحا وروى ان رجلا طم ابراهيم بن آدم فرقع رأسه الى السماء وقال الهى ان كنت
 تشيئ وتعاقبه فلا تشيئ ولا تعاقبه * (ومن الخصال التي تجرى الجبال والسمك في الحلم) * (الباب الثامن والعشرون في الحلم) *

قال الله تعالى ان ابراهيم الخليل اواه منيب وقال تعالى فاصنع الصنع الجليل (قال) على رضى الله عنه الصنع الجليل الرضا بالاعتاب وقيل الصنع الجليل الرضا بالاثوب نج فيه ولا حقد معه وفي الامثال القديمة كاد الخليل ان يكون نبيا (١٦٩) (ويروى) ان رجلا قال يا رسول الله

علمي كلمات أعيش بهن ولا يكثرن على فأنسى قال لا تغضب واعلم ان الخليل أشرف الاخلاق وأحقها بدوى الالباب لما فيه من راحة السر واجتلاب الحمد وأحق الناس به السلطان لانه منصوب لاقامة اود الخلائق وممارسة اخلاقهم ولا يطيقون به في حال سلمهم وانما يغشون بابه حين تنازعهم وخصوماتهم وشروهم وتسكد نفوسهم وضيق اخلاقهم فان لم يكن معه حلم يرد به بواذرهم والواقع تحت عبء ثقل وكان أنوشروان ذا حلم وأناة وكان يقول في خصماتان لولائهما ظاهرتان عند الرعية لضقت بهما ذرعا الخليم والانه (ويروى) ان يحيى ابن زكريا لقي عيسى بن مريم عليهم السلام فقال يا روح الله اخبرني باشد الاشياء في الدارين قال غضب الله تعالى قال يا روح الله وما ينجي من غضب الله تعالى قال ترك الغضب قال يا روح الله كيف بدو الغضب قال التعزز والتكبر والفخر على الناس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وجبت

نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق أبناء البطانة والحاشية ما تأتله آباؤهم من الاموال في غير سيدها من اعانة صاحب الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه آباؤهم وسلفهم من المناجحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه ويجهلهم فيصطلحها ويتزعمها منهم لنفسه شيئا فشيئا وواحد بعد واحد على نسبة رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بقضاء حاشيتها ورجالها وأهل الثروة والنعمة من بطانتها ويتقوض بذلك كثير من مبادئ المجد بعد ان يدعها له ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها أيام الطوائف في بني شهيد وبني ابي عبيدة وبني حدير وبني برد وامثالهم وكذا في الدولة التي ادرناها العهد ناسنة الله التي قد خلت في عبادته (فصل) وما يتوقعه أهل الدولة من أمثال هذه الماعاطب صار الكثير منهم يترعون الى القرار عن الرب والتخلص من ربة السلطان بما حصل في ايديهم من مال الدولة الى قطر آخر يرون انه أهناهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاهوام المفسدة لاجلهم ودينهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير عمتنع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك طريقة عين ولا أهل العصبية المزاجون له بل في ظهور ذلك منه هدم الملك وانلاف نفسه بجاري العادة بذلك لان ربة الملك يعسر الخلاص منها سيما عند استفعال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلي بالشر وأما اذا كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان وحاشيته وأهل الرب في دولته فقل ان يخلى بينه وبين ذلك اما أولا فلما يراه الملوك ان ذويهم وحاشيتهم بل وسائر عايلهم مما يملك لهم مطلاعون على ذات صدورهم فلا يسهمون بحل ربة من الخدمة ضنا يأسر ادهم وأحوالهم ان يطلع عليهم احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو أمية بالاندلس يمنعون أهل دولتهم من السفر فرفض ما يتوهمونه من وقوعهم بايدي بني العباس فلم يحج سائر أيامهم احد من أهل دولتهم وما أبيع الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها الى الطوائف وأما ثانيا فلانهم وان سمحوا بحل ربة هو فلا يسهمون بالتجاني عن ذلك المال لما يرون انه جزء من مالهم كما يرون انه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتقوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال والتقامه كما هو جزء من الدولة يستقعون به ثم اذا توهمنا انه خلس بذلك المال الى قطر آخر وهو في النادر الاقل فتمتد اليه عين الملوك بذلك القطر ويتزعونه بالارهاب والتخويف تعريضا أو بالقهر ظاهرا لما يرون انه مال الجبانية والدول وأنه مستحق للانفاق في المصالح واذا كانت أعينهم تمتد الى أهل الثروة والبسار المتكسبين من وجوه المعاش فأحرى بها ان تمتد الى أموال الجبانية والدول التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان أبو يحيى زكريا بن أحمد اللخمي في تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بأفريقية الخروج عن عهدة الملك والحق بمصر فرار من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل اللخمي الرحلة الى تغرط ابلس يوري بتهيئته وركب السفين من هنالك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حل جميع ما وجد به بيت المال من الصامت والخيرة وباع كل ما كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى البكتب واحتمل ذلك كله الى مصر ونزل على الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة سبع عشرة من المائة الثامنة فأكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرة شيئا فشيئا بالتعريض الى أن حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللخمي الا في جرايته التي فرض له الى ان هلك سنة ثمان وعشرين

(٢٢ - ابن خلدون) محبة الله تعالى على من أغضب فلم والذي يحمل ان يضرب في هذا الباب قصة اسحق عليه السلام قال له ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابي افعل ما تؤمر مستجدي ان شاء الله من الصابرين ثم انه تله للجبين

وأمر على حلقه السكين فلم يقل الاخير ا فقال الله تعالى وبشرناه بسلام حليم (وفي الاخبار) يقول ايليس لعنه الله ان الحديده من الرجال لم يماس منه وان كان يحيى الموتى بدعائه (١٧٠) لانه تأتى عليه ساعة يجتدي فيها فيصير منه الى ما يريد (ويروى) ان جعفر بن محمد

حسب ما ذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعتري أهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يتخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمونه من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجزايات السلطانية أو بالجه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذ رغبتا * واذا ترد الى قابل تقنع والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفضله والله اعلم

٤٣ * (فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية) *

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجج السلطان الاموال او الجبايات اوفقت فلم يصرفها في مصارفها قل حينئذ ما بأيدي الحاشية والحامية وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم أكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والجباية انما تكون من الاعتماد والمعاملات وتفاق الاسواق وطلب الناس للقوائد والارباح ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ ذبقة له الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها وأصلها وما ذتها في الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر بما بعدها من الاسواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه وأيضاً فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عباده

٤٤ * (فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران) *

اعلم ان العدو ان على الناس في أموالهم ذاهب باآمالهم في تحصيلها واكتسابها ما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداع ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعتداع كثيراً عامياً في جميع أبواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابها بالآمال جهلة بدخوله من جميع أبوابها وان كان الاعتداع يسيراً كان الانقباض عن الكسب على نسبه والعمران ووفوره وتفاق أسواقه انما هو بالاعمال وشعب الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجاهدين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال وابتدع الناس في الاتفاق من غير تلك الايالة في طلب الرزق فيما خرج عن نطاقها فحفت ساكن القطر وخت دياره وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان لما انما صورة للعمران نفس مدبقة مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاه المسعودي في اخبار القرس عن المو يذان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له ان يوماً ذكر ايروم نكاح يوم أنى وأنها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في ايام بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك أقطعتك ألف قرية وهذا أسهل حرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالمو يذان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف في تحت أمره ونهيته ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل

دخل على الرشيد وقد استخفه الغضب فقال له يا أمير المؤمنين انك انما تغضب لله تعالى ولا تغضب له بأكثر من غضبه لنفسه واعلم أرشدك الله ان هذه الكلمة لا قيمة لها والله أعلم حيث يجعل رسالاته فما أخفها وأجل قدرها وأعظم شأنها انك اذا كنت أيها السلطان انما تنصرف في ملك الله بامر الله فالله تعالى قد حدد حدودا وشرع شرائع وأقام فروضا وسننا ونهى عن حدود ورسوم ثم قدر في كل خصلة عند مخالفتها حدا وحدودا ونهى ان يتجاوز ذلك الحد فلا يقبل من استحق القطع والمحبس والادب والحد ولا يحبس غير من استوجب المحبس وكانت الخلفاء يؤدبون الناس على قدر منازلهم فمن عثر من ذوى المروآت أقبلت عثرته ولم يقابل بشئ لقوله عليه السلام اقبلوا ذوى الهيات عثراتهم ومن سواهم كان يقابل على قدر منزلته وهفوته فكان يقام قلعا في مجلس يقعد فيه نظراؤه فتسكون هذه عقوبته وأخرى شق حبيبه وأخرى تنزع عمامته من رأسه وأخرى يكلم بالكلام الذي فيه بعض الغلظة قال الشعبي كانت العصاة في زمن عمرو عثمان وعلى رضي الله والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلبسوا على زياد ضرب بهم وترع عمامتهم فلما ولي

والعدل عنهم اذا أخذ الرجل منهم نزع عمامته وطيف به في المسجد على قومه وقيل هذا أخذ بشعره فلبسوا على زياد ضرب بهم وترع عمامتهم فلما ولي

مصعب بن الزبير خلق مع الضرب رؤسهم فلما ولي بشر بن مروان اقامهم على الكراشي ثم مدت ايديهم وصرها بسم نزع الكراشي
من تحت رجله حتى يحرم يده فن ميت ومن حي فلما ولي الرجل المعروف بالحجاج (١٧١) قال كل هؤلاء يلعب من أخذ

بشعره ضرب عنقه وقال
ارسطاطاليس النفس
الذليلة لا تجد ألم الهوان
والنفس الشريفة تؤثر فيها
يسير الكلام وفيه قبل
من يهن يسهل الهوان عليه
فما لجر حبيبت ايلام
واعلم ان من تجاوز في
العقوبة فوق ما حد الله
تعالى فيها شارك المحرم في
الذنب واستوجب ما
استوجبه المحرم من العقوبة
ويبين في الاخرة انه
انما يعاقب للهوى
والتشفي اذا غضب الله
تعالى (وفي كتاب سليمان
ابن داود عليهم السلام)
القا هر لنفسه أشد من يقتخ
المدينة وحده وصدق نبى
الله صلى الله عليه وسلم فان
السلطان يقتخ المدينة
ويقهر أهلها ويغلب
جنودها وسجناتها ويقتل
أبطالها ثم تغلبه شهوته
ويبقى أسير في ذل هو اه
قد قهرته قينة بطبورها
أو قد حخر يذهب بعقله
وقال أكنم بن صيفي
الصبير على جرع الحلم أهدب
من جنى ثم الندم (وسأل
علي بن أبي طالب) رضى
الله عنه كثير من كبراء
فارس من أجدملو لهم
عندهم فقال لا ردشير فضل

والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصيب الرب وجعل له قيسا وهو الملك وانت أيها الملك عمدت الى
الضياع فانتزعتهم من أربابها وعمارها وهم أرباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال وأقطعتم الحاشية
والخدم وأهل البطالة فتركو العماره والنظر في العواقب وما يصلح الضياع وسوحوها في الخراج لقرتهم
من الملك ووقع الخيف على من بقي من أرباب الخراج وعمار الضياع فأنجلوا عن ضياعهم وخلوا ديارهم
وأووا الى ما تعذر من الضياع فسكنوها فقلت العماره وخربت الضياع وقلت الاموال وهلكت الجنود
والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك الا بها
فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على أربابها
وجعلوا على رسومهم السالفة وأخذوا في العماره وقوى من ضعف منهم فعمرت الارض وأخصبت البلاد
وكرت الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشجنت الثغور وأقبل الملك على
مباشرة أموره بنفسه فحسنت أيامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه الحكاية أن الظلم مخرب للعمران وان
عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاص ولا تنظر في ذلك الى أن الاعتداء قد يوجد
بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء
واحوال أهل المصرف فلما كان المصير كبير او عمرانه كثير واحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص
فيه بالاعتداء والظلم يسير الان النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في
المصر لم يظهر أثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب مصر وتجيء الدولة
الآخرى فترعه بمحدثها وتجب النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا أن ذلك في الاقل النادر
والمراد من هذا أن حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قدمناه وبالله عائد
على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو أخذ المال او الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو
المشهور بل الظلم أعم من ذلك وكل من أخذ ملكا احدا أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا
لم يقرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمنتهبون لها ظلمة والمساكعون
لمحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائدة على الدولة بتخراب العمران
الذي هو مادتها الاذهابه الا مال من أهله واعلم ان هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم
وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة
المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال فلما
كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لما أدى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه
موجودة فكان تحريمه مهما وادلتهم من القرآن والسنة كثيرا أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والمصر
ولو كان كل واحد قادر عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازائه من المفسدات للنوع التي
يقدر كل احد على اقترافها من الزنا والقتل والسرقة الا أن الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع
من أهل القدرة والسلطان فبولغ في ذمه وتكرير الوعيد فيه حتى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في
نفسه وما ركب بظلام للعبيد * ولا تقول ان العقوبة قد وضعت بازاء الخرابية في الشرع وهي من ظلم
القادر لان المحارب زمن خرابته قادر فان الجواب عن ذلك طريقين أحدهما أن تقول العقوبة على
ما يترفعه من الجنايات في نفس او مال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة
بجنايته وأما نفس الخرابية فهي خلوص العقوبة الطريق الثاني ان تقول المحارب لا يوصف بالقدرة

السبق غير ان أجدهم سيرة أنوشروان قال قاي اخلاقه كان أغاب عليه قال الحلم والاناة فقال علي رضى الله عنه مما توأم بينهما هو
الحكمة ومن محمود السيرة ان يعرف الناس من أخلاقك انك لا تجمل بالثواب ولا بالعقاب فان ذلك أدوم لخوف الخائف ورجاء الراجي

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصريح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم *
شريف ومشروف ومثل مقام (١٧٢) فاما الذي فوق فأعرف فضله *
واتبع فيه الحق والحق لازم واما الذي دوني فان قال

صنت من

اجابته نفسي وان لام لاثم
واما الذي مثلي فان زل

أرهقا

تفضلت ان الحلم بالفضل

حاكم

(وقال الاصمعي) سمعت

اعرابا يقول أسرع الناس

جوابا من لم يغضب لا توقدن

بين جنديك جرة الغضب

وأردد أسأته بالحلم فان

شجر النار اذا الحت عليها

الرياح تحاكت أغصانها

فتشتعل نارا وتحترق من

أصولها * وقال عمر بن

عبد العزيز رضي الله عنه

ثلاث من اجتمعن فيه فقد

سعد من اذا غضب لم

يخرج غضبه عن الحق

واذا رضى لم يدخله رضاه في

باطل واذا قدر عرف وكف

(وسئل جعفر بن محمد)

عن حد الحلم فقال وكيف

يعرف فضل شيء لم يركله في

أحد * وقال الاحنف لابنه

يا بني ان أردت ان تؤاخي

رجلا فاعضبه فان أنصفك

والا فاحذره (وكان سلم بن

نوفل) سيد بني كنانة

فصر به رجل من قومه

بسيقه فاخذ فاني به اليه

فقال له ما الذي فعلت اما

خشيت انتقامي قال فلم

سودنالك الا ان تكظم الغيظ

لانا انما نغني بقدرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المؤذنة بالخراب واما قدرة المحارب
فانما هي اخافة يجهلها اذ رية لاخذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة شرعا وسياسة فليست
من القدر المؤذن بالخراب والله قادر على ما يشاء

(فصل) ومن أشد الظلمات وأعظمها في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
وذلك ان الاعمال من قبيل المتعولات كما سنبين في باب الرزق لان الرزق والكسب انما هو قيم اعمال
اهل العمران فاذا مساعيتهم واعمالهم كلها متعولات ومكاسبهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية
المعتمدين في العماره انما معاشهم ومكاسبهم من اعتمادهم ذلك فاذا كفوا العمل مل في غير شأنهم واتخذوا
سخرى ما في معاشهم بطل كسبهم واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متوهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ
كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افساد ما لهم في العماره وقعدوا عن السعي
فيها جملة فآدى ذلك الى انتقاض العمران وتخريبه والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق

(فصل) واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراء ما بين ايديهم
بأنحس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم بارتفاع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع
وربما تقرر عليهم تلك الاثمان على النواحي والتأجيل فيتعلمون في تلك الخسارة التي تلحقهم بها
تحتهم المطامع من جبر ذلك بحواله الاسواق في تلك البضائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بأنحس
الاثمان وتعود خسارة ما بين الضمقتين على رؤس اموالهم وقديع ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة
والواردين من الاقاليم في البضائع وسائر السوق واهل الدكاكين في الماكول والقوا كهو اهل الصنائع
فما يتخذ من الاتلات والمواعين فتشمل الخسارة سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على الساعات
وتتجف برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق لذهاب رؤس الاموال في جبرها
بالارباح ويتناقل الواردون من الاقاليم لشراء البضائع وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل
معاش الرعايا لان عامتهم من البيع والشراء واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنتقص جباية
السلطان او تنقص لان معظمها من اوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه
ويؤثر ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على التدريج ولا يشعر به هذا
ما كان بامثال هذه الذرائع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها مجانا والعدوان على الناس في اموالهم
وحرمهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يقضي الى الخلل والفساد دفعة وتنقض الدولة من ريعها
ينشأ عنه من المرج المفضي الى الانتقاض ومن اجل هذه المفاسد حذر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة
في البيع والشراء وحظرا كل اموال الناس بالباطل سد الابواب المفاسد المفضية الى انتقاض العمران
بالمرج او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثار من المال
بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة
يستحدثون القايا وجوها يوسعون بها الجباية لئلا يفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد والخرج
يسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشدد ونطاق الدولة بذلك يزيد الى ان تنهض دأثرها ويذهب
برسها ويغلبها طالها والله اعلم

٤٥ (فصل في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند المهرم)

اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع المال كما قدمناه لانه لا بد لها من العصبية التي بها يتم

أمرها

وتعفو عن الجاني وتحتمل المكره في النفس والمال فغلب سبيله فقال قائلهم شعرا

وقال رجل من كتاب الحكم بن عوانة انما أنت عبد فقال والله

بل السيد المعروف سلم بن نوفل

يسود اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المعروف سلم بن نوفل

لاطينك عظيمة ما يعطيها العبيد فاعطاه مائة رأس من السبي ومن أمثال العرب احلم تسدو يروي ان هشام غضب على رجل من
أشراف الناس فشقته فوجده الرجل فقال له اما تستحي ان تشمتني وانت خليفة الله (١٧٣) في أرضه فاطرق هشام واستحيا

وقال له اقنع فقال اذا

سفيهه تلك فقال خذ من

ذلك حوضا من المال قال

ما كنت لافعل قال فبهما

لله قال هي لله ثم لك

فكس هشام رأسه وقال

والله لا أعوذ بملكها وقال

الشاعر

لن يبلغ المجد أقدام وان

شرفوا

حتى يذلوا وان عز والاقوام

ويشتموا فترى الألوان

مسفرة

لا صفح ذل ولكن صفح

اكرام

وقال آخر

وجهل رد دناءة بفضل

حلومنا

ولو اننا شتمنا رد دناءة بالجهل

رجحنا وقد خفت حلوم

كثيرة

وعدنا على أهل السقاغة

بالفضل

وقال هشام لخالد بن

صفوان صف لي الاخف

ابن قيس فقال يا أمير

المؤمنين ان شئت اخبرتك

عنه بثلاث وان شئت

بأربعين وان شئت بواحدة

فقال اخبرني عنه بثلاث قال

كان لا يحرص ولا يجهل

ولا يدفع الحق اذا نزل به

قال فاخبرني عنه بأربعين

قال كان يؤثر الخيرو يتوق

أمرها ويحصل استيلاؤها والبدوة هي شعار العصبية والدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع
الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط فالبدوة التي بها يحصل الغلب بعيدة أيضا عن منازع الملك
ومذاهبه فاذا كانت الدولة في أول أمرها بدوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبدوة والقرب من
الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزه وصار الى الانفراد بالجد واجتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس
للحديث مع أوليائه في خواص شؤنه لما يكثر حينئذ من بحاشيته فيطلب الانفراد من العامة ما استطاع
ويتخذ الاذن بيانه على من لا يأمونه من أوليائه وأهل دولته ويتخذ حاجباً له عن الناس يقيه بياحه هذه
الوظيفة ثم اذا استعمل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي
خلق فريضة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها ورعا جهل تلك الخلق منهم
بعض من يباشرهم فوق فيما لا يرضيهم فخطورة وصاروا الى حالة الانتقام منه فان فرد معرفة هذه الآداب
الخواص من أوليائه هم وجبوا غير أولئك الخاصة عن إقائهم في كل وقت حفظاً على أنفسهم هم من معاينة
ما يسيخطهم وعلى الناس من التعرض لهم فصار لهم حجاب آخر اخص من الحجاب الاول يقضي اليهم
منه خواصهم من الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الثاني يقضي الى مجالس
الأولياء ويحجب دونه من سواهم من العامة والحجاب الاول يكون في أول الدولة كما ذكرنا كما حدث لايام
معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب جرياً على
مذهب الاشعقاي الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعز ما هو معروف
وكلمات خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى الحجاب الثاني وصار اسم الحاجب اخص به وصار باب
الخلفاء داران للعباسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في أخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث
اخص من الاولين وهو عند محاولة الجري على صاحب الدولة وذلك ان أهل الدولة وخواص الملك اذا
نصبوا الأبناء من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فأول ما يبدأ به ذلك المستبد ان يحجب عنه بطانة ابنه
ونخواص أوليائه يوهمه أن في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لقاء الغير
ويعوده ملاسة أخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا الحجاب من
دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلاً على هرم الدولة
ونفاذ قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لان القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم
عند هرم الدولة وذهب الاستبداد من اعيان ملوكهم يسار كسب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك
وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

٤٦ (فصل في انقسام الدولة الواحدة بدولتين)

اعلم ان أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستعمل ويبلغ احوال الترف
والنعيم الى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالجد ويقترب به بأنف حينئذ عن المشاركة ويصير الى قطع
أسبابها ما استطاع باهلاك من استرأب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتأب المساهمون له
في ذلك بانقسمهم ونزعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاغترار والاستراية ويكون نطاق
الدولة قد أخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم
بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان أمرها
حريزاً مجتمعاً ونطاقها ممتداً في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينقض عرق

الشرقال فاخبرني عنه بواحدة قال كان أعظم الناس سلطاناً على نفسه وقال أكتن من صيفي العلبية والعزل الحلم
وجدت الحلم أنصرت لي من الرجال وصدقوا في الاحتفان من حلم كان الناس أنصاره كما روي ان رجلاً أسرف في شتم بعض الأدباء وهو

سأ كنت فمى له بعض المسارين في الطريق وقال له يرجعك الله ألا تنصرك قال لا قال ولم قال لا في وجدت الحلم أنصركي من الرجال وهل حامت في الحلمي وقال رجل (١٧٤) لعرو بن العاص والله لا تفرغن لك فقال له الآن وقعت في الشغل وقال عبد

الله بن عمر رضي الله عنه
ان رجلا من كان قبلكم
استضاف قوما فاضافوه
ولهم كربة تنج فقات والله
لا أنج ضيف أهلى الليلة
فهم وى جر وهافى بطنها
قبلاخ ذلك نبيهم أوقلامن
أقبلهم فقال مثل هذا مثل
أمة تكون بعدكم يظهر
سقاهاؤها على حلماها
وقال الاخنف اياكم وراى
الاوغاد وقالوا ماراى
الاوغاد قال الذين يرون
الصفع والعفوعا راوشل
الاخنف عن الحلم فقال
هو الذى تصبر عليه ولست
بجليم ولكنى صبور
و يروى ان المهلب نازعه
رجل من كبار بني تميم
قارنى على المهلب والمهلب
سأ كنت فقيل له في ذلك
فقال كنت اذا سبني
استحييت من مخف
السباب وغلبة اللثام
والسفلة وكان اذا سبني
تهال وجهه وشمخت نفسه
بان ظفر يفضل القحة ونبد
المروة وخلع ربة الحياء
وقلة الا كترات بسوء الانتاء
ومر المسبح عليه السلام على
قوم من اليه ودفعوا له
شرا وقال لهم خيرا فقيل له
انهم يقولون شرا وانت
تقول خيرا فقال كل ينطق

من الخلاف سأثر أيامه الا ما كان من بدعة الخوارج المستعيبين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لزعمة ملك
ولارياسة ولم يتم أمرهم لمزاجتهم العصبية القوية ثم لما خرج الأمر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر
وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف وأذنت بالنقل عن القاصية نزع عبد
الرجن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكا واقتطعها عن دولتهم ووصير الدولة
دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بأمروه وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغيبلة
وقنابة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة تقلصا فاضطرب الاغالبية في الامتناع عليهم ثم خرج
الشبيعة وقام بأمرهم كامة وصنهاجة واستولوا على افر يقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغابوا على
الادارة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب
وأصلهم ومادتهم الاسلام ودولة بني أمية بالمجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالشرق ودولة
العبيد بن باقر يقية ومصر والشام والحجاز ولم تزل هذه الدولة الى ان كان انقراضها متقاربا أو جيعا
وكذلك انقسمت دولة بني العباس بدول أخرى وكان بالقاصية بنو ساسان فيما وراء النهر وخراسان
والملوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى اسديس الام الديلم على العراقيين وعلى بغداد والخلفاء ثم جاء
السلجوقية فلكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم أيضا بعد الاستقلال كما هو معروف في اخبارهم وكذلك
اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافر يقية لما بلغت الى غايتها أيام باديس بن المنصور وخرج عليه عمه جناد
واقطع مالك العرب لنفسه ما بين جبل أوراس الى تلمسان وملوية واختط القاعة بجبل كامة حبال
المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تطرى واستحدث ملكا آخر قسما للملك آل باديس
وبقي آل باديس بالغرب وان وما اليها ولم يزل ذلك الى ان انقرض أمرها جميعا وكذلك دولة الموحدين لما
تقلص ظلالها نازبا فر يقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لا عقابهم بنو احيا ثم لما استقل
أمرهم واستولى على الغاية خرج على الممالك الغربية من اعقابهم الأمير أبو بكر يا يحيى ابن السلطان أبي
اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكا ببيجاية وقسنطينة وما اليها أورنة بنه وقسموا به الدولة قسمين
ثم استولى على كرسى الحضرة بتونس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد ينتهي
الانقسام الى أكثر من دولتين وثلاثة وفي غير أعياص الملك من قومه كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس
وملوك الحمى بالشرق وفي ملك صنهاجة بافر يقية فقد كان لا خردواتهم في كل حصن من حصون
افر يقية تأثر مستقل بأمره كما تقدم ذكره وكذا حال التجريد والزاب من افر يقية قبيل هذا العهد كما نذكره
وهكذا شأن كل دولة لا بد وأن يعرض فيها عوارض المهرم بالترف والدعة وتقلص ظل الغلب فيقسم
أعياصها أو من يغلب من رجال دولتها الأمر ويتعد فيها الدولة والله وارث الارض ومن عليها

٤٧ * (فصل في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع) *

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحدا بعد واحد وبيننا انها تحدث للدولة بالطبع وانها
كلها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية
كما يحدث الهرم في المزاج الحيواني والهرم من الامراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما انه
طبيعي والامور الطبيعية لا تبدل وقد يتنبه كثير من اهل الدول بمن له نقطة في السياسة فيرى ما نزل
بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه يمكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك
الهرم ويحسبه انه لحقها بتقصير من قبله من اهل الدولة وغفلت هم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة

مما عنده وقال اكنتم بن صبي من حلم سادوم من تفهم ازدادو كفر التهمة لؤم وصحبة الجاهل شؤم وبقاء الاخوان
فهم والمباشرة بين ومن الفساد اضاءة الزادوسب رجل الشعبي يقبائح تسبها اليه فقال الشعبي ان كنت كاذبا ففر الله لك وان كنت صادقا

فغفر الله لي وقال زجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سبيلك سبيل يدخل معك في قبرك فقال ابو بكر معك والله يدخل لامعني وقال رجل للاحنف بن قيس ان قلت كلمة لتسمعن عشر افعال له الاحنف (١٧٥)

واحدة ويروي ان رجلا سب الاحنف وهو يمشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال يا هذا ان كان بقي معك شيء فقله ههنا فاني اخاف ان سمعت فتبان الحصى ان يؤذوك وسب رجل بعض الحكماء فقال له الحكماء لست ادخل في حرب الغالب فيه شر من المغلوب وقال لقيط ابن زراره شعرا

فقل لبني سعد فالي ومالككم ترقون مني ما استطعتم واعتق اغرمك اني باحسن شمة صير وانى بالقوا حش آخرق وانك قد سايتني فقه رتي ههنا ثم يثاقت بالفحش احدثق

وقال رجل لابي ذر رضي الله عنه انت الذي نفاك معاوية من الشام لو كان فيك خير ماتفاك فقال يا ابن أخي ان ورائي عقبة كؤودا ان نجحوت منهم لم يضربني ما قلت وان لم انجح منها فانا شر مما قلت وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك

والعوائد هي المانة له من تلافيا والعوائد منزلة طبيعية أخرى فان من ادرك مثلا اباهوا كثيرا اهل بيته يلبسون الحرير والديباج ويحلون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك الى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس اذا العوائد حينئذ تمنعه وتقيح عليه مرتكبه ولو فعله لرمى بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه عاتدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شأن الانبياء في انكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من النفوس فاذا ازيلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بذهاب اوهاام الابهة فتدفع الدولة بتلك الابهة ما أمكنها حتى ينقضي الامر وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض زبالها ايماضه الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضه توهم انها اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل أجل كتاب

٤٨ (فصل في كيفية طروق الخلل للدولة)

اعلم ان مبني المال على اساسين لا بد منهما فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجنود والثاني المال الذي هو قوام اولئك الجنود واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال والخلل اذا طرقت الدولة طرقتها في هذين الاساسين فلذلك لا طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع الى طروقه في المال والنجابة واعلم ان تمهيد الدولة وتأسيسها كما قلناه انما يكون بالعصبية وانه لا بد من عصبية كبرى جامعة للعصائب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة طبيعية المال من الترف وجدع أنوف اهل العصبية كان اول ما يجدهم أنوف عشيرته وذوي قرابته المقاسمين له في اسم الملك فيستبدق جدع أنوفهم بما بلغ من سوادهم ويأخذهم الترف ايضا أكثر من سوادهم فكانهم من المال والعز والغلب فيحيط بهم هادمان وهما الترف والتعهر ثم يصير القهرا خرا الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند درسوخ الملك صاحب الامر في قلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا اليه كثير منه فيكون ويقلون وتفسد عصبية صاحب الدولة منهم وهي العصبية الكبرى التي كانت تجمع بها العصائب وتستتبعها فتفحل عروتها وتضعف شكيمتها وتستبدل عنها بالباطالة من موالى النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصبية الاتهام ليست مثل تلك الشدة الشكمية لفقدان الرحم والقرباة منها وقد كنا قد منا ان شأن العصبية وقوتها انما هي بالقرباة والرحم لنا جعل الله في ذلك فينفرد صاحب الدولة عن العشير والانصار الطبيعية ويحس بذلك اهل العصائب الأخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطائنته تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل واحدا بعد واحد ويقاد الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهاكة الترف الذي قد منافقستولي عليهم الهلاك بالتلف والقتل حتى يخرجوا عن صبغة تلك العصبية وينشوا بغيرها وشورتها ويصروا الوجع على الحماية ويقولون لذلك فتقل الحماية التي تنزل بالاطراف والشغور فتجاسر الرعايا على بعض الدعوة في الاطراف ويسادوا الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بما يهتكم اهل القاصية لهم وامتهم من وصول الحماية اليهم ولا يزال ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضيق حتى تصير الخوارج في اقرب الاماكن

الا عند الحاجة اليه وسب رجل بعض الحكماء فاعرض عنه فقال له اياك اعني فقال الحكماء وعنتك اعرض وفي هذا المعنى قيل قل ما يبد لك من زور ومن كذب حلي اضم واذا في غيرهماء وقيل يوما للاحنف ما احملك فقال لست بحليم ولا كني انك احم والله اني

لاسمع الحكمة فاجم لها ثلاثا ما ينبغي من جوابها الا الخوف من أن اسمع ما هو شر منها وقال الشاعر وليس يتم الحلم للمرء راضيا * اذا كان عند السخط لا يتعلم (١٧٦) كما لا يتم الجود للمرء مورا * اذا كان عند العسر لا يتحشم وروى ان رجلا سب جعفر بن

محمد رضي الله عنه فقال
 اما ما قلت مما هو فينا
 فاناس تغفر الله منه وما
 قلت مما ليس فينا فاناس كل
 فيه الى الله تعالى وقال
 بعض الحكماء اذ ذروا
 الغضب قريب غضب
 استحق الغضبان به غضب
 الله تعالى وقال اكتم بن
 صبي لا يكون الرجل
 حليما حتى يقول السفه انه
 لضعيف مستذل ولا يكون
 مخاصما حتى يقول الاجح
 انه لفسد ومن أشعر بيت
 قيل في الحلم قول كعب بن
 زهير
 اذا أنت لم تعرض عن
 الجهل والحمي
 أصبت حليما أو أصابك
 جاهل
 ووصف اعرابي رجلا
 فقال احلم من فرخ طائر
 وقال اعرابي ان الغضب
 عدو العقل ولذلك يحول بين
 صاحبه وبين العقل والفهم
 وقال صعصعة بن صوحان
 الغضب مقدحة العقل
 فرما أصادور بما ازدد
 وقال اعرابي اذا جاء الغضب
 تسلط الغضب وكان ابن
 عوان اذا غضب على أحد
 من أهله قال سبحان الله بارك
 الله فيك وقال الاصمعي دفع
 ارجسك الى رجل كان

الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاثة على قدر قوتها في الاصل كما قلناه و يقوم
 بامرها غير اهل عصبيتها لكن اذا كان اهل عصبيتها وانما اهل المعهود واعتبر هذا في دولة العرب في الاسلام
 انتهت أولا الى الاندلس والهند والصين وكان امر بني أمية نافذا في جميع العرب بعصبة بني عبد مناف حتى
 لقد أمر سليمان بن عبد الملك من دمشق بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم
 تلاشت عصبة بني أمية عما أصابهم من الترف فانتقضوا وواجهوا بنو العباس فغضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا
 الطالبيين وشردوهم فانحلت عصبة عبد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستبدع عليهم اهل القاصية
 مثل بني الأغلب باقرية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس بالمغرب وقام
 البربر بامرهم اذا كانا لعصبة التي لهم وأمنان تصلحهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج الدعاة آخر اغتلبون
 على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزبد ذلك متى زادت الدولة
 تقصا الى ان ينتهي الى المركز وتضعف البطانة بعد ذلك بما أخذ منها الترف فتهلك وتضعف الدولة
 المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك فتستغنى عن العصبة بما حصل لها من الصبغة في نفوس
 اهل اياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احدهم من الاجيال مبدأها ولا
 أوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغنى بذلك عن قوة العصائب ويكفي صاحبها بما
 حصل لها في تهديدها الاجراء على الحامية من جندي ومرتزق ويعضد ذلك ما وقع في النفوس عامة من
 التسليم فلا يكاد احدا يتصور عصيانا او خروجا او الجهور ومنكر كون عليه مخالفة فوله فلا يقدروا على
 التصدي لذلك ولو جهده جهده وربما كانت الدولة في هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام
 صبغة التسليم والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يختلج في ضميرها انحراف عن
 الطاعة فيكون اسلم من المخرج والانتقاض الذي يحدث من العصائب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة
 كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحمرارة الغريزية في البسطن العادم للغذاء الى ان تنتهي الى
 وقتها المقدور وكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار *
 وأما الخلل الذي يتطرق من جهة المال فاعلم ان الدولة في أولها تكون بدوية كما مر فيكون خلق الرفق
 بالرعايا والتصدق في النفقات والتعفف عن الاموال فتتجافى عن الامعان في الجباية والتخلف والكيس في
 جمع الاموال وحسن بيان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال
 ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستعمل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان
 وأهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى أهل المصرو ويدعو ذلك الى الزيادة في أعطيات الجند وأرزاق
 أهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات ويستشر ذلك في الرعية لان الناس على دين
 ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على أثمان البياعات في الاسواق لا اضرار
 الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وأرزاق جنده
 ثم تزيد عوائد الترف فلا تبقى بها المكوس وتكون الدولة قد استنفدت في الاستطالة والقهر لمن تحت
 يدها من الرعايا فتمتد أيديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او نقد في بعض الاحوال
 بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على الدولة بما الحقها من القتل والمهرم في العصبة
 فتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الانفاق فيهم ولا تجد من ذلك وليجة وتكون جباة
 الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية وكونها بأيديهم وبما اتسع لذلك من

يقوم على رأسه كتابا وقال له اذا رأيتني اشتد غضبي فادفعه الى فـ كان فيه اسكن فاست
 ناله انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وتصير عن قريب للدود واليراب وهذه السيرة اول من سنها ملك تبـ مع امر أن يكتب
 جاههم

في كتاب اسكن فليست باله وقال لصاحبه اذا غضبت فاعرضه على فكان اذا غضب عرضه عليه فاذا قرأه اسكن غضبه وقال معاوية افضل ما اعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكره واذا اعطى شكره واذا ابتلى صبره واذا غضب (١٧٧) كظم واذا قد روعا واذا اساء استعنى

واذا وعد انجز وفي الحكمة مكتوب من اطاع الغضب حرم السلامة ومن عصي الحن في غمره الذل وقال بعض الحكماء كظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفي ضرب من الجوع وقال آخر اول الغضب جنون وآخره ندم وقال بعض الحكماء اذا غلب على

الرجل أربع خصال فقد عطب الرغبة والرهبة والشهوة والغضب (وقيل) لبعض الصالحين ان فلانا يقع فيك فقال لا غيظن من أمره يغفر الله لي وله قيل له ومن أمره قال الشيطان وقال رجل ل أخيه اني مرتب بفلان وهو يقع فيك ويذكرك بأشياء رجلك منها قال فهل سمعتي اذكره بشئ قال لا فإياه فارحم وقال الفضيل ثلاثة لا يلامون على الغضب المريض والصائم والمسافر. وقال الاحنف بن قيس لقد تعلمت الحلم من قيس بن عاصم المنقري ابني جالس معه في فناء وهو يتحدثنا اذ حاز جماعة يحملون قتيلا ومعه رجل مأسور فقيل له هذا ابنك قتله اخوك فوالله ما قطع حديثه ولا حل حبوته حتى فرغ

جاههم في توجه اليهم باحتياج الاموال من الجباية وتفش السعاية فيهم بعضهم من بغض للنفايسة والحق قد تمهم الشبكات والمصادرات واحدا واحدا الى ان تذهب ثروتهم وتتلشى احوالهم ويقتدما كان للدولة من الابهة والجمال بهم واذا اصطلمت نعمتهم تجاوزتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا ساواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق الشوكة وضعفت عن الاستطالة والقهر فتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مدارة الامور يذل المال ويراه ارفع من السيف اقله غناؤه فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وأرزاق الجند ولا يغني فيما يريد ويظم الهرم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدولة تنحل عراها في كل طور من هذه الى ان تقضي الى الهلاك وتتعرض من الاستيلاء الكال فان قصدها طالب انتزعهما من أيدي القائمين بها والابقيت وهي تتلشى الى ان تضج كالدبال في السراج اذا قفي زيته وطفئ والله ما لك الامور ومدير الا كوان لا اله الا هو

٤٩ (فصل في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع)

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص يكون على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاضية عندما يتقلص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه عنه ابناؤه او واهبه ويستفحل لهم الملك بالتدريج ويرجعوا بيزدجون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على صاحبه وينتزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلها عن القاضية واستبدت بنو سامان بما وراء النهر وبشوجدان بالموصل والشام وبوطولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس وافترق ملكها في الطوائف الذين كانوا لا تها في الاعمال وانقسمت دولهم واولادهم من بعدهم من قرابتهم او واهبه او من النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما الدولة ادركها الهرم وتقلص ظلها عن القاضية فوعدت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج من الدولة خارج عن مجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اشرنا اليه او يكون صاحب شوكة وعصبية كبير في قومه قد استفحل امره فيسعون بهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتمتعون له واقومه الاستيلاء عليهم او يمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويزنون (١) امرها كما تبين والله سبحانه وتعالى اعلم

٥٠ (فصل في أن الدولة المستجدة انما تستولي على الدولة المستقرة بالمطاوله لا بالمناجزة)

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء لا يقع منهم مطالبه للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصاراهم القنوع بما في أيديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بد لهم من المطالبة لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به فيقع بينهم وبين الدولة المستقرة حروب سجال تشكر وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطلوب ولا يحصل لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان الظفر في الحروب انما يقع كما قدمناه بامور نفسانية وهمية وان كان العدد والصلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهمية كما مر ولذلك كان الخداع

(١) قوله ويزنون في نسخة ويرفون من الرقوب والراعي والبقاء اه

(٢٣ - ابن خلدون)

من منطقة ثم انشد اقول للنفس تائباً وتعزية *

كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذاولدي ثم التفت الى بعض ولده فقال قم فاطلق علك ووارأخاك وسبق الى

أمة مائة من الابل فانها غريبة ومن أنبل بيت قاتله العرب قول بعضهم فصيح بالخير خرس بالحتى ربح الاحلام ذبال الازر وقال غيره
بالاحلام عاد لا يخاف جليسه (١٧٨) اذا نطق العودا عرب لسان اذا حدثوا لم يخش سوا سماعهم وان حدثوا أو اباحسن بيان

من أنفع ما يستعمل في الحرب وأكثر ما يقع الظفر به وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد
صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورة واجبة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة
المستجيبة ويكثر من همم أتباعه وأهل شوكته وان كان الأقربون من بطانته على بصيرة في طاعته
وموازاة إلا أن الآخرين أكثر وقد داخلهم القشل بتلك العقائد في التسليم للدولة المستقرة فيحصل بعض
الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستجيبة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع إلى الصبر والمطاوله
حتى يتضح هرم الدولة المستقرة فيضمحل عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم المهم لصدق المطالبة
معه فيقع الظفر والاستيلاء وأيضاً فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحقكم لهم من الملك وتوسع من النعم
واللذات واختصوا به دون غيرهم من أموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واسـ تجارة الاسـ لمحـة
وتعظم فيهم الأبهة الملكية ويقبض العطاء بينهم من ملوكهم اختياراً واضح طراراً فيربون بذلك كله
عدوهم وأهل الدولة المستجيبة معزلة عن ذلك لما هم فيه من البداوة وأحوال الفقر والخصاصة فيسبق
إلى قلوبهم أوهم العرب بما يبلغهم من أحوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من أجل ذلك
فيصير أمرهم إلى المطاوله حتى تأخذ الدولة المستقرة مأخذها من الهرم ويستحكم الخال فيها في العصبية والجباية
فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجيبة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين من هذا المطالبة سنة الله في عباده
وأيضاً فاهل الدولة المستجيبة كلهم مباينون للدولة المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم هم
مفترقون لهم ومنابذون بما وقع من هذه المطالبة وبطعمهم في الاستيلاء عليه فتمتكن المبادعة بين اهل
الدولتين ستر أوجها ولا يصل إلى أهل الدولة المستجيبة خبر عن أهل الدولة المستقرة بصيدون منه غرة (١)
باطنا وظاهراً لا تقطع المداخلة بين الدولتين فيقيمون على المطالبة وهم في اجسام وينسكون عن المناجزة
حتى يأذن الله بزوال الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الخال في جميع جهاتها واتضح لأهل الدولة
المستجيبة مع الأيام ما كان يخفى منهم من هزمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها
وتقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يدأوا واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهّمات
وتنتهي المطاوله إلى حدها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاجلة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها
حين قام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشرين أو ثمانين أو ثلثين سنة لهم
الظفر واستولوا على الدولة الأموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت
مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الديلم إلى ملك فارس والعراقين
في كثواسنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا أصبهان ثم استولوا على الخليفة ببغداد وكذا العبيديون أقام
دعيتهم بالمغرب أبو عبد الله الشيعي بمكة من قبائل البربر عشرين أو ثمانين سنة يطاولون بني الأغلب
بأفريقية حتى ظفروا بهم واستولوا على المغرب كله وسما إلى ملك مصر في كثواسنين سنة أو نحوها في طلبها
بجهزوا إليها العساكر والأساطيل في كل وقت وحجى المدد ما دفعتهم برا وبحرا من بغداد والشام وملاكو
الاسكندرية والقيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك إلى الحجاز وأقيمت بالحرمين ثم نازل قائدهم
حوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من أصولها واختط القاهرة فناء
الخليفة بعد المعز لدين الله فترها الستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك
الترك لما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر مكثوا نحو ثمانين سنة يطاولون بني سبكتكين

(١) قوله غرة بكسر الغين أي غفلة اهـ

وقال المسج عليه السلام
ما حلم من لم يصبر عند الجهل
وما قوة من لم يرد الغضب
وما عبادة من لم يتواضع
للرب تعالى وقيل للاسكندر
ان فلانا وذلانا ينتقصانك
ويثلبانك فلو عاقبتهم
فقال هم بعد العقوبة اعذر
في ثلبي وتنقيصي (وبروي)
ان جري بن عبد الله
بينما هو راكب قد أردف
أبيه اذ لقيه رجل فقال
منه وحرير ساكت فلما
ولى قال له ابنه يا أبت لم
سكت عنه قال يا بني
أنا وسع حرجي وقال بعض
الحكماء متى أشفى غيظي
أحين أقدر فيقال لو صفوت
أم حين أعجل فيقال لو صبرت
وسئل بعض أصحاب
الاحنف أكان الاحنف
يغضب فقال نعم لو لم يغضب
ما بان حله كان يغضبه
الشيء بين في وجهه اليومين
والثلاثة وهو يصبر ويحلم
ومن لم يغضب من الأشياء
التي مثلها يغضب فقد
فقد من الفضائل الشجاعة
والانفة والحمية والدفاع
والأخذ بالنار والغيرة
لان هذه الخصال نتائج
الغضب ومن فقد الغضب
فقد قد أس الفضائل
على ما سئل في باب
الشجاعة ان شاء الله تعالى

وعند فقد الشجاعة تكون المهانة ومن المهانة يكون سفساف الاخلاق ورذالة الطباع فلا يبقى لسائر فضائله
موقع وكان يقال من لم يغضب فليس بحليم لان الحليم إنما يعرف عند الغضب وقال الشعبي الجاهل خصم والحليم حاكم قال الشافعي من

استغضب فلم يغضب فهو جبار وقد كان النبي عليه السلام يغضب ولكنه انما كان يغضب لانفسه بل عند انتهالك حرمة ربه واعلم ان الله تعالى مامدح من لا يغضب وانما مدح من كظم الغيظ (١٧٩) فقال والسكاظمين الغيظ وقد انشد

النايعة الجعدي بحضرة
النبي عليه الصلاة والسلام
ولا خير في حلم اذا لم تكن له
بواد رحمة صفة وان يكدر
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا
فلم ينكر النبي صلى الله
عليه وسلم قوله وكان ابن
عمر اذا سافر استتبع سقيما
ويقول استدفع به شر
السفهاء عنى واعلموا ارشدكم
الله ان احسن خصال الملوك
واجملها قدر او هي حلية
الانبياء ولبسة الاصفياء
وجمال السوقة والرؤساء
وأعظمها في النقوس
موقعها وأعمها على الرعايا
تقوا وأجلدها على مر الأيام
ذكرها واجملها في الخافل
والحاسن نشرها وهي الفضيلة
التي تعم سائر الفضائل
وتكمل بها سائر الحسنات
الحلم وما انا ابلو عليك
من ذلك ما يقضى فيه العجب
(هذه) دولة آل العباس
أولهم أبو العباس السفاح
والى يومنا هذا لم يكن فيهم
أجل من المأمون بالغ من
حلمه انه كان يقول لو علم
الناس مالي في لذة العفو
ما تقر بوا الى الاباء الجرائم
فاق حلمه سائر خلقه بني
العباس حتى صار يضرب
المثل بحلمه وهذه الخصلة
تتبعها ملكه وقهر أخاه الامين

بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر وكذا
التزم من بعدهم مخرجوا من المفازة أعوام سبع وعشرون سنة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد أربعين سنة وكذا
أهل المغرب خرج به المرابطون من لمتونة على ملوكهم من مغراوة فطاولوهم سنين ثم استولوا عليه ثم خرج
الموحدون بدعوتهم على لمتونة فكنوا انحووا من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على كرسيمهم بمراكش وكذا
بنو مرين من زناتة خرجوا على الموحدين فكنوا يطاولونهم نحو من ثلاثين سنة واستولوا على فاس
واقطعوها وأعمالها من ملكهم ثم أقاموا في محاربتهم ثلاثين سنة أخرى حتى استولوا على كرسيمهم بمراكش
حسبما نذكر ذلك كله في تواريج هذه الدول فكذلك حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والمطاولة
سنة الله في عبادته وان تجد لسنة الله تبديلا ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان
استيلاؤهم على فارس والروم ثلاث أو أربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك انما كان مجزأة
من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعاد ابايمان وما وقع الله
في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة المقررة في مصاولة الدول المستجدة
للمستقرة واذا كان ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية
والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٥١ (فصل في وفور العمران آخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتان والمجاعات)

اعلم انه قد تقرر انك في سالف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في ملكها والاعتدال في اياتها
امان الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والحاسنة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدولة
واذا كانت الملاك ريفية محسنة انتسبت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه فتوفروا بكثر التناسل
واذا كان ذلك كله بالتدريج فانما يظهر اثره بعد جيل أو جيلين في الاقل وفي انتضاء الجيلين تشرف الدولة
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ ذلك العمران في غاية الوفور والنماء ولا تقول انه قد مر لك ان اواخر
الدولة يكون فيها الانحطاط بالرعايا وسوء الملاك فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الانحطاط وان حدث
حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر اثره في تناقص العمران بعد حين من أجل التدرج في الامور الطبيعية
ثم ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في اواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات فلقبض الناس ايديهم عن
الفخ في الاكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات او الفتن الواقعة في انتقاص
الرعايا وكثرة الخوارج لهم الدولة فيقل احتكاك الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وثمرته يستمر الوجود
ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها مختلفة في قوة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر
والزرع والثمار والضرع على نسبه الا ان الناس وانفقوا في اقواتهم بالاحتكاك فاذا فقد الاحتكاك عظم
توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه اولوا الحفاصة فهاكوا وكان بعض السنوات والاحتكاك
مفقود فشمل الناس الجوع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة الفتن لاختلال
الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الباء وسببه في الغالب فساد الملوأ بآثرة العمران لكثرة ما يخالطه من
العفن والرطوبة الفاسدة واذا فسد الملوأ وهو غذاء لروح الحيوانى وملا بسنة دائما فيسرى الفساد الى
مراحه فان كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان
كان الفساد دون القوى والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحيات في الارض وتقرض الابدان
وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبة الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفور آخر الدولة لما كان في

ومنها دولة بني امية اولهم معاوية بن أبي سفيان وآخرهم مروان الجعدي لم يكن فيهم احلم من معاوية ولا جرم دانت له الدنيا وملك بها رقاب
العرب والهم وصار حلمه يضرب به المثل ويقتدى به الخلق ويتخاف به القلاء حتى حكى عنه انه كان يقول لو كان بيني وبين الناس خيط

عنك بوث اوشعرة ما انقطعت اذا جذبوا رسلنا واذا رسلنا احدثت (وهذه) دولة القرس وكانت اعظم دول الارض واشدها باسا واكثرها
علوما وحكاما يكن في كاسرها احلم (١٨٠) من كبرى انوشروان وصار يضرب بحلمه المثل وتطرز بسيرته الكتب والمصنفات في روى

اوائلها من حسن الملكة ورفقها وقلعة المعمر وهو ظاهر ولها تين في موضعه من الحكمة ان تخال الخلاء
والقز بين العمران ضروري ليكون توج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة
الحيوانات ويأتي بالهواء الصحيح وهذا ايضا فان الموتان يكون في المدن الموقورة العمران أكثر من غيرها
بكثير كصر بالشرق وفاس بالمغرب والله يعدر ما يشاء

٥٢ * (فصل في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها امره) *

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه
لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا الى شرع منزل من عند
الله يوجب انقيادهم اليه ايمانهم بالثواب والعقاب عليه الذي جاء به مبالغة وتارة الى سياسة عقلية يوجب
انقيادهم اليها بما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولي يحصل نفعها في الدنيا
والآخرة اهل الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاة تلبية العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في
الدنيا فقط وما تسعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما تساهل عنه ذلك كما ما يجب أن
يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقته حتى يستغنوا عن الحكم كما رأينا ويسمون
المجتمع الذي يحصل فيه ما ينبغي من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية
وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدنية
الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير ثم ان السياسة
العقلية التي قدمناها تكون على وجهين أحدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في
استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة القرس وهي على جهة الحكمة وقد أغنانا الله تعالى
عننا في الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والافات واحكام
الملك مندرجة فيها * الوجه الثاني ان يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر
والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعا وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لساثر
الملوك في العالم من مسلم وكافر الا أن ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب
جهدهم فقوانينها اذا مجتمعة من احكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء من
مراعاة الشوكة والعصية ضرورية والاقتداء فيها بالشرع أولا ثم الحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن
أحسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر
وما بينهما فكتب اليه أبو طاهر كتابه المشهور وعهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما
لا يستغنى عنه ملك ولا سوقة * ونص الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فعليك بتقوى الله
وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومراياله بخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما أيسر
الله من العافية بالذكرا عادلك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما
يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان الله سبحانه قد أحسن اليك وأوجب
الرافة عليك بمن استرعاك امرهم من عباده والزمك العدل فيهم والقيام بحقوقهم وحدودهم والذب عنهم
والدفع عن حريمهم ومنصبهم والحقن لدمائهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم ومواخذلك بما فرض
عليك وموقفك عليه وسائله عنه ومثيلك عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك

ان أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب رضوان الله
عليه في كبرى من كبراء
فارس فقال له ما وجد
خصال ملوككم فقال
السبق لشيرويه وواحد
سيرة انوشروان فقال
له علي وما كان أغلب
خصاله عليه قال الخ
والاناة قال علي هما توأم
يتجهما علو الهمة وبلغ
من حلمه انه كان يضيق
صدره بحلمه فقال في
خصم لثان لولا انه ما
ظاهران عند الرعية
لضقت به اذ دعا الخ
والاناة فأخلى بخصلة تعم
منعتها ويبقى على الدهر
جالمها وتخلد في العلماء
والعقلاء والملوك والسوقة
بجنتها وحسن مصادرها
ومواردها ان يتخذها الملوك
شعارا ودارا وانما قصدت
الحكماء من الملوك خاصة
فاما من سواهم من الرعية
كالاخفاف ونظرائه فلا
يحصون كثرة

(الباب التاسع والعشرون
فيما يسكن الغضب) *
فأول ذلك انك اذا نظرت
الى تغير اشكالك وتبدل
صورتك واجرا راجعك
وانتفاخ اوداجك وذهاب
جنانك وسقط كلامك

ونفس ما يخرج من قبك لا مسكت عن الغضب ولطما كنت تستحي ان تتكلم بين يدي
الجلساء بالسير الجائر فعدت تهدير بالكثير القاحش ولو أن من غضب استذكر اذا صاح وسكن غربه انقلب صورته وتغير بوجهه

واضطراب شقيقته وارتعاد أطرافه وسقط كلامه وفجوى خطابه والتفاف لسانه وخفقه عقله وطيشه ووثوبه من مجلسه كأنه غر وسرعة
التفاته ييناوشمالا كأنه قد ردم فهمه لما يسمع وقلة التفاته الى من يعظه وينصحه (١٨١) كأنه أحمق ومن شؤم الغضب وعظيم

بليته انه قد يقتل النفوس

ويسلب الروح وكان

سبب موت مروان بن عبد

المالك انه وقع بينه وبين

أخيه سليمان كلام فجعل

عليه سليمان فقال يا من

يلحق أمه ففزع فاه ليحييه

واذا يحييه عمر بن عبد

العزيز فامسك على فيه

ورد كلمته وقال يا ابن عبد

المالك أخوك وأمامك وله

السن عليك فقال يا أبا

حفص قتلني قال وما صنعت

بك قال رددت في جوفى آخر

من الجروم والجنه فسات

والعمرى انه يز يدعى

الحقي (ومنها) أن يتقل

من الحالة التي كان عليها

الى غيرها كانت القرس

تقول اذا غضب القائم

فليجاس واذا كان جالسا

فليقم وبهذا المذهب كان

ياخذ المأمون نفسه

(ويروى) شكي الى

النبي صلى الله عليه وسلم

القسوة فقال اطلع في القبور

واعبر بالفسور (وكان)

بعض ملوك الطوائف

اذا غضب القى بين يديه

مقايخ ترب الملوك فيزول

غضبه (وكان) حكمة

يقول في قوله تعالى واذا ذكر

ربك اذا نسيت يعني اذا

غضبت فانه اذا ذكر الله

ولا يشغل عنه شاغل وانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوقفك الله عليه وليكن أول ما يلزم به نفسك
وتنسب اليه فعل المواظبة على ما فرض الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس
قبل وقوابعها على سننهم من اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في
ركوعك وسجودك وتشهدك وانتصرف فيه رأيك ونيتك واحضض عليه جماعة من معك وتحت
يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالآخذ بسنن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمثابرة على خلافة واقفاء أثر السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر فاستعن
عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ويلزم ما أنزل الله عز وجل في كتابه من أمر ونهي وحلال وحرامه
واتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحق لله عز وجل ولا تملن من
العدل فيما أحببت أو كرهت لقرىب من الناس أو لبعيد أو أثر الفقه وأهله والدين وجملة وكتاب الله
عز وجل والامامين به فان أفضل ما يترتب به المرء الفقه في الدين والطالب له والحث عليه والمعرفة بما
يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد اليه والا حربه والنهي عن المعاصي والمودعات
كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء معرفة واجد لاله ورد كالدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره
للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والانسة بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها
فليس شيء أبين نفعا ولا أخص أمنا ولا أجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق
والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن المعروفة ومعالج الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له
الاخرة والأجر والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالج الرشد والاعانة والاستكثار من البر والسعي له
اذا كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته وموافقة أولياء الله في دار كرامته اما تعلم أن القصد في شأن الدنيا
يورث العزو ويحصر من الذنوب وأنك لن تحوط نفسك من قائل ولا تنصلح أمورك بأفضل منه فانه واهتد به
تم أمورك وترزقه قدرتك ويصلح عامتك وخاصتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس
الوسيلة اليه في الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تهم من أحد من الناس فيما توليه من عمل قبل أن
تكشف أمره فان ايقاع النهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم ثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك
واطرده عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعني ذلك على استطلاعهم ورياضتهم ولا تتخذن عدو الله
الشیطان في أمرك مع مدافاته انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من الغم بسوء الظن بهم
ما ينقص لذاته عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفى به ما أحببت كفايته من أمورك
وتدعوه به الناس الى محبتك والاسـتقامة في الامور كلها ولا يمينك حسن الظن بأصحابك والرافة برعيتك
أن تسعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمور الاولياء وحيطة الرعية والنظر في حوائجهم
وجمل مؤناتهم أيسر عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحيى للسنة وأخلص نيتك في جميع
هذا وتفرد بتقوى نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ويجزى بما أحسن ومواخذب ما أساء
فان الله عز وجل جعل الدنيا حرازا وعزا ورفع من اتبعه وعززه واسلأب من تسوسه وترعاه نهج الدين
وطريقه الا هدى واقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك
ولا تنهون به ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبة فان في تفریطك في ذلك ما يغمد عليك حسن ظنك واعتزم على
أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتنم لك مروءتك واذا عاهدت
عهدا فآوف به واذا وعدت الخير فأنجزه واقبل الحسنه وادفع بها واغضض عن عيب كل ذي عيب من

خاف منه فيزول غضبه (وفي) التوراة يا ابن آدم اذكر في حين تغضب اذكر حين أغضب ولا أحقك فيمن أحق (ومنها) أن يذكر نقرة
القلوب عنه وسقوط منزلته عند أبناء جنسه ووصفهم بالجهل وطيشه ونقصه فيكون ذلك سبباً لزال غيظه (ومنها) أن يذكر أعطاف

القلوب عليه وانطلاق الاسنة بالنساء عليه وميل النفوس اليه وان الحلم عزوفين وان السقمة ذل وشين (روى) أبو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زدد رجل (١٨٢) بعثوا الا مرفاعة واي عزكم الله (وقال) بعض الحكماء من تذكر قدرة الله لم يستعمل

قدرته في ظلم عباده (وكتب) بعض ملوك الفرس كتابا ودفعه الى وزيره وقال له اذا غضبت فتاوانيه وفيه مكتوب مالك وللغضب انما انت بشر ارحم من في الارض برحمتك من في السماء (وكان) معاوية كثيرا ما ينشد

انا اذا مالت دواعي الهوى وانصت السامع للقايل واعتلج الناس بالاباءهم تقضي بحكم عادل فاصل تخاف ان تسفه احلامنا فتجمل الدهر مع الخامل (وقال) بعض الحكماء اياك وعزة الغضب فانها تقضي الى ذلة العذر وقال الشاعر

واذا ما اقررتك في الغضب العز

زفة فاذكر تذال الاعتذار وقال غيره

زورنا على غير القوا حش قصنا

ولم نستجز الا الذي هو اجوز

(وقال) عبد الله بن مسلم

ابن محارب له روى الرشيد

يا امير المؤمنين اسألك

بالذي انت بين يديه اذل

من بين يديك وبالذي

هو اقدر على عقابك منك

على عقابي لما عفوت عني

وعينك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض أهل النعمة فان أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقرب الكذب والجراعة على الكذب لان الكذب رأس الماس ثم والزور والنميمة خاتمتها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له أمر واجيب أهل الصلاح والصدق وأعن الاشراف بالحق وأعن الضعفاء وصل الرحم وابتنح بذلك وجهه الله تعالى واعز زأمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عن ما رايت واطهر براءتك من ذلك لرعيك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واهلك نفسك عند الغضب وآثر الحلم والوقار واياك والخدمة والطيش والغرور فبما انت بسبيله واياك ان تقول انما لم أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الراي وقلة اليقين لله عز وجل وأخلص لله وحده النية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزع من يشاء وان تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى احد اسرع منه الى جهلة النعمة من اصحاب الساطن والمبسوط لهم في الدولة اذا كفر وانعم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكثر البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لاهلهم وفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت وادخرت في الخزائن لا تنمو واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم غدت وزكت وصلمت به العامة وترتبت به الولاية وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة فليكن كنز خرائتك تفريق الاموال في عمارة الاسلام واهله ووفر منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف من ذلك حاضهم وتعهدهما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قرت النعمة لك واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية اموال وعينك وخراجك أقدر وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك اساس لطاعتك وطب نقس ابكل ما ازدت واجهد نفسك فيما احددت لك في هذا الباب وليعظم حقلك فيه وانما يبقى من المال ما انفق في سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم وأبهم عليه واياك ان تنسبك الدنيا وغرورها هول الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد أسبغ عليك فضله واعدصم بالشكر وعليه قاعته يزدك الله خيرا واحسانا فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقرن ذنبا ولا تهاثن حاسدا ولا ترجمن فاجرا ولا تصان كفورا ولا تنهين عدا ولا تصدق غاما ولا تأمن عدا ولا توالين فاسقا ولا تبين غاويا ولا تحمدن مراثبا ولا تحقرن انسانا ولا ترذن سائلا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا تنهين فحرا ولا تظهرن غضبا ولا تبين رجاء ولا تمشين برحلا ولا ترين سقيها ولا تقرطن في طلب الآخرة ولا ترفع للتمام عينها ولا تعص عن ظالم رهبة منه او محابة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا واكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوي العقول والراي والحكمة ولا تدخن في مشورتك اهل الرفه والبخل ولا تسمع منهم قولاً فان ضررهم اكثر من نفعهم وليس شيء اسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر زعيمك من الشتم واعلم انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم يستقم امرك الا قليلا فان رعيك انما تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من اولياك بالاتصال اليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشتم واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو قول الله عز وجل ومن يوق

فعمامته لما ذكره قدرة الله عليه (وقال) رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الاشعث ان الله قد اعطاك ما يحب من الظفر فاعط الله تعالى ما يحب من العفو (وقال) المأمون لعمه ابراهيم بن المهدي وكان مع اخيه عليه اني

شاورت في أمرك فاشاروا على بقتلك الا ان وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل لالزام حرمته فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة الا انك ابيت ان تطلب النصر الامن حيث عودته (١٨٣) من العقوفان عاقبت فلان نظير وان عفوت

فلا نظير لك وانما يقول
البري منك وطا العذر
عندك لي
فما فعلت فلم تعدل
ولم تلم
وقام عليك في فاحش
عندك لي

مقام شاهد عدل غير منهم
(وقال) بعض الحكماء
الغضب على من لا تملك
عجز وعلى من تملك اثم
(ومنها) ان يتذكر ما يؤل
اليه الغضب من الندم
ومذلة الانتقام وشروع
القصاص في بدنه بين يدي
من لا يرجعه فان ذلك مما
يرده من الغضب
*(الباب الثاني) لا تون في
الجود والسخاء وهذه
الخصلة الجليل قدرها
العظيم موقعها الشريف
موردها ومصدرها *

وهي احدى قواعد المملكة
واساسها وتاجها وجمالها
تغزلها الوجه وتذل لها
الرقاب وتخضع لها الجبابرة
ويسترق بها الاجرار
ويستمال بها الاعداء
ويستكثر بها الاولياء
ويحسن بها الثناء ويملك
بها القرباء والبعداء
ويسود بها في غير عشايرهم
الغرياء (وهذه) الخصلة
بالعزائم الواجبات اشبه

شع نقيه فاولئك هم المفلحون قسم - ل طريق الجود بالحق واجعل للمسلمين كلهم في بيتك حظا ونصيبا
وايقن ان الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلتا وارض به عملا ومذهبا وتقد الجند في دواوينهم
ومكاتبهم وادبر عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتم في قوى لك
امرهم وتزيد قلوبهم في طاعتك وامرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على
جنده ورعيته رجة في عدله وعطيته واتصافه ومنايته وشفقته وبره وتوسعته فذلك مكره احد الابواب
باسئس عارضة له الباب الاخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا وصلا حافلا واعلم ان
القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه ميزان الله الذي يعدل عليه احوال
الناس في الارض وباقامة العدل في القضاء والعمل تصلح احوال الرعية وتأمين السبل ويتصف المظلوم
وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقوم
الدين ويجري السنن والشرائع في مجاريها واشتد في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة
الحدود واقل الجحالة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك واتب في محنتك واسد في
منطقك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجة ولا ياخذك في احدم من رعيته محاباة ولا بحاملة
ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كلها
بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجهه الله للاسلام عزاء ورفعة ولا له له توسعة
ومنة واعدوه كمتا وغيظا ولاهل الكفر من معاديبهم ولا وصبغ غارافوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والتسوية والعموم ولا تدفع من شيئا منه عن شريف اشرفه ولا عن غنى اغناه ولا عن كاتب لا ولا احدم
خاصتك ولا حاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف امر فيه شطط واجل الناس كلهم على امر
الحق فان ذلك اجمع لاقتهم والزم ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي
اهل عمل رعيته لانك راعيتهم وقسمت عليهم ما اعطوك من عفوهم ونفذه في قوام امرهم وصلاحهم
وتقويم اودهم واستعمل عليهم اولى الراي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف
ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لا فيما تقلدت واسند اليك فلا يشغل عنه شغل
ولا يصرفك عنه صارف فانك متى اثرته وقت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدوثة في عملك واستعيرت به المحبة من رعيته واعنت على اصلاح فدرت الخيرات بيدك وقشت
العمارة بناحيتك وظهر الخصب في كورك وكثر خراجك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط
جندك وارضاء العامة بافضالة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمدا للسياسة مرضى العدل في ذلك عند
عدوك وكنت في امورك كلها اذا عدل وآلة وقوة وعدة فتناقص فيها ولا تقدم عليهم شيئا تحمدا عاقبة امرك
ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امينا يخبرك خبر عملك ويكتب اليك سيرهم واعمالهم
حتى كانت مع كل عامل في عماله معاينة الامور كلها واذا اردت ان تأمرهم بما يرون في عواقب ما اردت من
ذلك فان رايت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه والافتوقف عنه وراجع
اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه رعا نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاعواه ذلك واعجبه
فان لم ينظر في عواقبه اهلكه ونقض عليه امره فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره بعد دعوى الله عز
وجل بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته

منها بالجمال والمتممات وكما قدرنا من كافر ترك دينه والتمز دين الاسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله وكما قد سمعنا من مسلم ارتد في
ارض الشرك اقتنانا بيسير من عرض الدنيا واخلى بخصلة يترك لها الانسان دينه الذي يبدل دونه نفسه ان تكون جارية القدر عظمه

المخاطرة وأحوج خالق الله إليها أفقرهم إلى عطف القلوب عليه وصرف الوجوه إليه وهم الملوك والولاة (واعلموا) يامعشر من وسع الله عليه ديناه وأسبغ عليه آلاءه ونعماءه (١٨٤) انه ليس في الجنة لا وحسبك بكلمة لا تدخل الجنة سقوطا وضعة وانما أسست الجنة على

ما تشتهي به الانفس وتلد
الامين (وهذه) الخصلة
أعني الكرم والجود والسخاء
والإيثار بمعنى واحد
يوصف البارئ تعالى بالجود
ولا يوصف بالسخاء كما
يوصف بالعلم ولا يوصف
بالعقل لعدم التوقيف
(وحقيقة) الجود هي
ان لا يصعب عليه البذل
ويقال السخاء هو الرتبة
الاولى ثم الجود ثم الإيثار
فن أعطى البعض وامسك
البعض فهو صاحب سخاء
ومن بذل الا كبر فهو
صاحب جود ومن أثر
غيره بالخاضع في هوى
مقاساة الضر فهو صاحب
إيثار (قال) ذوالنون
بداية السخاء ان تسخو
نفسك بما في يديك
ونهاية ان تسخو نفسك
بما في ايدي الناس وان
لا تبالي من كل الدنيا
(وتذكر) قوم من الزهاد
عند رابعة العدوية فجعلوا
يذمون الدنيا ويكثرون
من ذلك فقالت رابعة
من أحب شيئا كثر من
ذره وأصل السخاء هو
السماحة وان يثوى
ما يؤت به من طيبة نفس
(وقد يكون) المعطى
بخيلا اذا صعب عليه البذل

بنفسك فان تعدد أمورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي آخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه
فاذا آخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشغل ذلك حتى ترضى منه واذا امضيت لكل يوم عمله أرحت
بدنك ونفسك وجمعت امر سلطانك وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم عن بلوث صفاء طوبيتهم وشهدت
مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات عن
قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل ثقتهم واصحح حالهم حتى لا يجدوا الخلل منهم منافرا واوفر دنسك بالنظر في
أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحقرة الذي لا علم له بطالب حقه فسل عنه اخفى
مسئلة وكل بما مثاله اهل الصلاح في رعيته وعمرهم برفع حوائجهم وخلالهم لتتظرف فيما يصلح الله به امرهم
وتعاهد ذوى البأساء ويتأملهم واراملهم واجعل لهم رزقا من بيت المال اقتداء بامير المؤمنين اعزه
الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشتهم ويرزقك به بركة وزيادة واجر للأحرار من
بيت المال وقدم جملة القرآن منهم والحافظين لا كثره في الجرائد على غيرهم وانصت لمرضى المسلمين دورا
نأويهم وقوا ما يرقون بهم واطبأ به الجوع اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤذ ذلك الى سرف في بيت
المال واعلم ان الناس اذا اعطوا حقه وقهم وفضل اماتهم لم تبرهم وورعهم المتصنف مع لامور الناس لكثرة
ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما يناله به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن
اموره في العاجل وفضل ثواب الاجل كالذي يستقر بما يقر به الى الله تعالى وتلتبس به رجته واسكن
الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك واخضع لهم جناحك واظهر لهم بشرتك ولن لهم في
المسئلة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضالك واذا اعطيت قاعط بسماحة وطيب نفس والتماس
للصناعة والاجرم من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما
نرى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم
اعتصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وباقامة دينه
وكتابه واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا الى سخط الله عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما
يتفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا ولا كثر بحالة العلماء ومشاورتهم ومخالفاتهم وليكن هواك
اتباع السنن واقامتها وايتاء كرام الاخلاق ومقاتلة اوليكن اكرم دخلائك وخاصة عليك من اذا راى
عيا لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك انصح اوليائك
ومظاهريك لا وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل فيه
بكتبه ووثائقه وما عنده من حوائج عمالك وأمور الدولة ورعيته ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك
وبصرك وفهمك وعقلك وكر النظار فيه والتدبير له فلا كان موافقا للحق والحزم فامض به واستخر الله عز
وجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والتثبت ولا تمن على رعيته ولا غيرهم بمعروف
تؤتيه اليهم ولا تقبل من احد الا الوفاء والالفة ستقامة والاعون في أمور المسلمين ولا تنص من المعروف الاعلى
ذلك وتقوم كافي اليك وامن النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك واستخره فان الله عز
وجل مع الصالح وامهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رعيته كما كان الله عز وجل رضا ولدينه نظاما
ولا له عز وawe كينا والاله والذمة عدلا وصلاحا وانا اسأل الله عز وجل ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك
وكل ذلك والسلام وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره أعجب به الناس واتصل
بالمؤمنين فلما قرئ عليه قال ما بقي ابو الطيب يعني طاهر اشيا من أمور الدنيا والدين والتدبير والراى

والمسك سخيا اذا كان لا يستصعب العطاء وان منع ولمذا قال علماءنا ان الله تعالى لم يزل جوادا
وان لم يقع منه عطاء في الازل لان العطاء فعل والفعل في الازل مستحيل (وقالت) الحكماء ايها الجامع لا تنخدع عن قلما كول للبدن
والسياسة

والموهوب للمعاد والمثروك للعدو وقال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قال) أبو هريرة رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جائع فاطعمني فبعث النبي (١٨٥) صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فقلن والذي

والساسة وصالح المال والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه واوصى به ثم أمر المؤمنين فكتب به إلى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا الحسن ما وقعت عليه في هذه السياسة والله أعلم

٥٣ * (فصل في أمر القاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك) *

(أعلم) ان المشهور بين السكافة من اهل الاسلام على عر الا عصار أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويثبته المسلمون ويسمونه على الممالك الاسلامية ويسمونه بالمهدي ويكون خروج الدجال وما بعده من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله ويأتي بالمهدي في صلاته ويحججون في الباب باحاديث خرجها الأئمة وتسكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار وللتصوفة المتأخرين في أمر هذا القاطمي طريقة أخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم ونحن الآن نذكر هنا الاحاديث الواردة في هذا الشأن وما للسكران فيها من المطاعن وما لم يفي انكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر كلام المتصوفة ورايهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فتقول ان جماعة من الأئمة خرجوا احاديث المهدي منهم الترمذي وأبو داود والبخاري وابن ماجه والحاكم والطبراني وأبو يعلى الموصلي واسندوه إلى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس وابن عمرو وطليحة وابن مسعود وأبي هريرة وأنس وأبي سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرعة بن ياسر وعلى اله لالي وعبد الله بن الحرث بن خزيمه بأسانيد در بما يعرض لها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان المخرج مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعننا في بعض رجال الاسانيد بغلة او بسوء حفظ او ضعف او سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها ولا نقول ان مثل ذلك ربما تطرق إلى رجال الصحيحين فان الاجماع قد اتصل في الامة على تلقيها بالقبول والعمل بما فيه ما وفي الاجماع عظم حجة واحسن دفع وليس غير الصحيحين بما ثبت ما في ذلك فقد نفي ذلك بالاسانيد في اسانيد هاهنا نقل عن أئمة الحديث في ذلك ولقد توغل أبو بكر بن أبي خزيمة على ما نقل السهيلي عنه في جملة الاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره أبو بكر الاسكافي في فوائده الاخبار مسندنا إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب وحسبك هذا غلو والله أعلم بصحة طريقه إلى مالك بن أنس على ان أبا بكر الاسكافي عندهم منتهى وضاع * وأما الترمذي فخرج هو وأبو داود بسنديهما إلى ابن عباس من طريق عاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة إلى زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لولم يبق من الدنيا الا يوم اطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني او من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابي هـ هذا لفظ أبي داود وسكت عنه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عنه في كتابه فهو صحيح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وفي لفظ آخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق موقوف على أبي هريرة وقال الحاکم رواه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن زر عن عبد الله كاهما صحيحا على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم أنه وامام من أئمة المسلمين انتهى الا ان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان رجلا

بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما عند رسول الله ما يطعمك الليلة ثم قال من يضيف هذا هذه الليلة رحمه الله فقال رجل من الانصار انا يا رسول الله فعمله الى منزله وقال لاهله هذا ضيف النبي صلى الله عليه وسلم لم فأكرمه ولا تدخرى عنه شيئا فقالت ما عندنا الا قوت الصبية فقال قومي فعملهم عن قوتهم حتى يناموا ثم أسرجي وأبرزي فاذا أخذ الضيف يأكل قومي كأنك تصلين السراج فاطمئنه وتعالى فمضع السنن الضيف النبي صلى الله عليه وسلم فتعالت وجعل لا يضغان السننهما والضيف ينظر أنهما يا كلان وباتاطا وبين فلما أصبحوا ونظر النبي صلى الله عليه وسلم اليهما تبسم ثم قال لقد عجب الله من فلان وفلانة هذه الليلة ونزات ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الا به (وقال) أنس اهدي لبعض الصحابة رأس شاة مشوية وكان مجهدا فوجه به إلى جاره فوجه به إلى جاره إلى بيت آخر فتداواته سبعة

(٢٤ - ابن خلدون) آيات حتى عاد إلى الاول فنزات ويؤثرون على أنفسهم (وقال) حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك أطالب ابن عمي ومعي شي من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا ناب بين القتل فقلت أسقيك فاذا رجل يقول آه فاشتر

ابن عبي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقنيك فسمع آخر يقول آه فاشاره هشام ان انطلق اليه فحسنته فاذا هو قد مات
ثم رجعت الى هشام فوجدته (١٨٦) قد مات ثم رجعت الى ابن عبي فاذا هو قد مات (وروت) عائشة رضي الله عنها قالت

قال النبي صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة والجاهل السخى أحب الى الله من العابد البخيل (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن آدم إنما لك من مالك ما بكت فأنيت أوليست قابليت أو أعطيت فامضيت (واعلم) أن السخاء على وجوه سخاء في الدين وسخاء في الدنيا فالسخاء في الدنيا البذل والعطاء والاثار وسخاءة النفس قال الله تعالى ومن يوق شحم نفسه فاولئك هم المفلحون وعلامته ترك الادخار وبغض جمع المال وتعاهد الاخوان مسرورا قلبه بذلك والسخاء في الدين ان تسخو نفسك ان يتلقاها الله تعالى وترى دمك في الله سماعة من غير كراهة لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان الغاب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله تعالى حتى يفعل الله بك ما لا تحب ان تختاره

صالحا قارئا للقرآن خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يختلف عليه في زروا بن وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنهم ما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه كثير الخطا في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابى حاتم قلت لابي ان ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيئ الحفظ وقال ابو حاتم محله عندى محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن حراش في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه الا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شئ وقال يحيى القطان ما وجدته رجلا اسمه عاصم الا وجاهدته ردى الحفظ وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابى النجود وفي الناس ما فيهما وقال الذهبي ثبت في القراءة وهو في الحديث دون الثبت صدوق فهم وهو حسن الحديث وان احتج احدا بان الشيخين أخرجهما فنفى قول أخرجهما مقررنا بغيره لا اصلا والله اعلم وخرج ابو داود في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم بن أبي مرة عن أبي الطفيل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يماثوها عدلا كما ملئت جورا وقطن بن خليفة وان وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال أحمد بن عبد الله بن يونس كنا نمر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت أكرهه وأدعه مثل الكلب وقال الدارقطني لا يحتج به وقال أبو بكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا سوء مذهب وقال الجرحاني زائغ غير ثقة انتهى وخرج أبو داود أيضا بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان بن المغيرة عن عمر بن أبي قيس عن شعيب بن أبي خالد عن ابى اسحق النسفي قال قال علي ونظر الى ابنه الحسن ان ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الارض عدلا وقال هرون حدثنا عمر بن أبي قيس عن مطرف بن طريف عن ابى الحسن عن هلال بن عمر سمعت عليا يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحرث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ او يمكث لا يحمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال اجابته سكنت أبو داود عليه وقال في موضع آخر في هرون هو من ولد الشيعة وقال السلمي فيه نظروا وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق له أو هام وأما أبو اسحق الشيباني وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اختلط آخر عمره ورواياته عن علي منقطعة وكذلك رواية أبي داود عن هرون بن المغيرة وأما السند الثاني فأبو الحسن فيه وهلال بن عمر مجعولان ولم يعرف أبو الحسن الا من رواية مطرف بن طريف عن ابى قيس انتهى وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم في المستدرک من طريق علي بن نقيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولحقه الحاكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم موثق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه بتعجب ولا غيره وقد صدقه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي ابن نقيل عليه ولا يعرف الا به وخرج أبو داود أيضا عن أم سلمة من رواية صالح بن الخليل عن صاحب له عن أم سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبأيونه بين الركن والمقام فيبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبأيونه

لنفسك (وقيل) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السند قال الجواد اذا سئل الخليم اذا استجمل الكريم ثم الجالس ان جالس الحسن الخلق ان جاوره (وقال) النعمان بن المنذر يوما لجاسائه من أفضل الناس عيشا وانهم بالاولا كرمهم

طباعا واجلهم في النقوش قد رافسكت القوم فقال في ابيت اللعن افضل الناس من عاش الناس في فضله قال صدقت (وقال) الحسن
 باع طلحة بن عثمان ارضا ببيع مائة الف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا يبيت هذا (١٨٧) عنده لا يدري ما يطرقه لغير بالله

ثم جعل رسول الله ﷺ يختلف حتى
قسرها وما أصبح عنده منها
درهم (وكان) اسماء بن
خارجة يقول ما أحب أن
أردأ أحدا من حاجة لانه ان
كان كريما أصون عرضه
وان كان لثيما أصون عنه
عرضي (وكان) مروان
البحلي يتلطف في ادخال
الرفق على اخوانه فيضع
عند أحدهم ألف درهم
ويقول امسكوها حتى
أعود اليكم ثم يرسل اليهم
أنتم منها في حيل (وقال
العتبي) أعطى الحكم بن
عبد المطلب جميع ما في الكه
فلما نفذ ما عنده ركب
فرسه وأخذ رمحاً يريد
الغزو ومات بمنبيع فاخبرني
رجل من أهل منبيع
قال قدم علينا الحكم وهو
مملق لاشي معه فاغنانا قبل
كيف أغناكم وهو مملق
فقال ما اغنانا مال ولكنه
علمنا الكرم فعاد بعضنا على
بعض فاستغنيانا واركبوا
العرب في الاسلام طلحة بن
عبيد الله جاءه رجل فسأله
برحم يئنه وبيئنه فقال هذا
حائطي بمكان كذا وكذا
وقد أعطيت به ستمائة
ألف درهم يراح بالمال الى
العشبة فان شئت فالمال
وان شئت فالخائط

ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعنقا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخبيثة لمن لم
يشهد غنيمته كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة بينهم صلى الله عليه وسلم ويليقي الأسلام بحجرانه
على الأرض فيبأث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه أبو داود ومن رواية ابن الخليل عن عبد الله بن
الحريث عن أم سلمة فتبين بذلك المذهب في الأسناد الأول ورجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا معزز وقد
يقال أنه من رواية قتادة عن أبي الخليل وقنادة مداس وقد عنعنته والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح
فيه بالسماع مع أن الحديث ليس فيه تصريح بكراهة أبي داود في أبيه وخرج أبو داود
أيضا وتابعه الحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق عمران القطان عن قتادة عن أبي بصرة عن أبي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المهدي مني أجلى الجبهة أفنى الأنف يلا الأرض قسطا
وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين هذا لفظ أبي داود وسكت عنه ولفظ الحاكم المهدي منا
أهل البيت أشم الأنف أفنى أجلى الأرض قسما وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
يساره واصله بعين من عينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم
يخرجاه اهـ وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به إنما أخرج له البخاري استشهاده لا أصلا وكان يحيى
القطان لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوي وقال مرة ليس بشئ وقال أحمد بن حنبل أرجو أن
يكون صالح الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى السيف على أهل القبلة وقال النسائي
ضعيف وقال أبو عبيد الله آخري سألت أبا داود عنه فقال من أصحاب الحسن وما سمعت إلا خيرا وسمعت مرة
أخري ذكره فقال ضعيف أفنى في أيام إبراهيم بن عبد الله بن حسن بقتوى شديدة فيم أسفل الدماء وخرج
الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد الخدري من طريق يزيد العيني عن أبي صديق الناجي عن أبي
سعيد الخدري قال خشينا أن يكون بعض شئ حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال إن في أمي
المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعة أو تسعا يزيد الشاك قال قلنا وما ذلك قال سنين قال فيحيى إليه الرجل
فبقول يامهدي اعطني قال فيحيى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن وقد
روى من غير وجه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ ابن ماجه والحاكم يكون في أمي المهدي
أن قصر فسبع والافتسح فتتم أمي فيه نعمة لم يسمعوا بمثلها قط تؤتى الأرض أكلها ولا يدخر منه شئ والمال
يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يامهدي اعطني فيقول خذ انتهي وزيد العيني وإن قال فيه الدارقطني
وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين أنه صالح وزاد أحمد أنه فوق يزيد الرقاشي وفضل بن عيسى لأنه قال فيه
أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية أخرى لا شئ وقال مرة يكتب حديثه
وهو ضعيف وقال الجرجاني متمسك وقال أبو زرعة ليس بقوي وأما الحديث ضعيف وقال أبو حاتم
ليس بذلك وقد حدث عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما روي عنه ومن يروى عنهم
ضعفاء على أن شعبة قد روى عنه وأهل شعبة لم يرو عنه أضعف منه وقد يقال إن حديث الترمذي وقع
تفسير المسارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكون في آخر أمي
خليفة يحيى المال حشالا بعده عدا ومن حديث أبي سعيد قال من خلفائكم خليفة يحشو المال حشوا ومن
طريق أخرى عنه ما قال يكون في آخر الزمان خليفة يقيم المال ولا بعده انتهى واحاديث مسلم لم يقع فيها
ذكر المهدي ولا دليل يقوم على أنه المراد منها ورواه الحاكم أيضا من طريق عوف الأعرابي عن أبي صديق
الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يملأ الأرض جورا

(ویروی) آن رجلا بعت الى حظلة تجارية فوافقه بين أصحابه فقال قبيح ان آخذها لنفسى وأنتم حضروا كره ان أخص بها واحدا منكم وكلكم له حق وحرمة وهذه لا تختمل القسمة وكانوا ثمانين رجلا فأمر لكل واحد منهم بمجارية أو وصيف (وقيل) لقيس بن سعد

هل رأيت قط أسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امرأة فحضر زوجه فقالت له انه نزل بك ضيقا فباع بناقة ففخرها وقال شأنكم فلما كان الغد جاء باخرى وفخرها وقال (١٨٨) شأنكم فقلنا ما كنا من التي نخرت الباردة الا اليسير فقال اني لا اطعم اضبا في الغائات

فاقتاعه اياما والسما
تطروهو يفعل كذلك
فلما اردنا الرحيل وضعنا
مائة دينار في بيته وقلنا للمرأة
اعتذري لنا منه ومضينا
فلما متع النهار اذ ابرجل
يصبح خلقنا قة واليا
الركب الاثام اعطيتوني
عن القرى ثم انه لم يبقنا وقال
لتأخذونها واطعنتكم
برحمتي فاخذناها وانصرف
(وقال) ميمون بن مهران
من طلب مرضاة الاخوان
بلاشي فليحسب اهل
القبور (وقال) ابن عباس
لا يتم المعروف الا بثلاثة
تجمل به وتصغره وستره فاذا
بجمله فقد هناه واذا صغره
فقد عظمه واذا ستره فقد
ثممه (وقال) الحسن كان
أحدهم يشق ازاده لآخيه
بنصفين (وقال) المغيرة في
كل شيء سرف الا في
المعروف (وقيل) للحسن
ابن سهل لا خير في السرف
فقال لا سرف في الخير فقلب
اللفظ واستوفى المعنى
ونظمه محمد بن حازم فقال
لا الفقرا ولا الغنى سرف
ولا سخاء في طاعة سرف
مالك الاشقي تقدمه
وكل شيء آخرته تلف
واما طلحة بن عبد الله بن
خلف الخزاعي المعروف

وظلما وعدوا انهم يخرج من اهل بيتي رجل يملؤها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا وقال فيه
الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد عن
ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل يخرج في آخر امتي
المهدي يسبقه الله الغيث وتخرج الارض نباتها ويملأ المال صحاحا وتكثر المشاة وتعظم الامة
يعيش سبعين سنة او ثمانين يعني حجبا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد لم
يخرج له احدا من الستة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احدا تكلم فيه ثم رواه الحاكم ايضا
من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابي هريرة العبدى عن ابي الصديق
الناجي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتي
فيملأ سبعين سنة او تسعين سنة الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على
شرط مسلم وانما جاء به على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه
الاخر وهو ابو هريرة العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا منهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة
في تضعيفه * واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى ويلقب اسد السنة وان قال البخاري
مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو داود والنسائي الا انه قال مرة اخرى ثقة ولم يصنف
كان خيرا له وقال فيه محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد
الحكيم بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي احدي بني بهدلة عن ابي سعيد
الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول يس- نتي ينزل الله عز
وجل له القطر من السماء وتخرج الارض بركتها وتملأ الارض عدلا وقسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما
يعمل على هذه الامة سبع سنين وينزل بيت المقدس وقال الطبراني فيه ورواه جماعة عن ابي الصديق
ولم يدخل احدهم منهم بينه وبين ابي سعيد احدا الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد
انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن حاتم ولم يعرفه باكثر مما في هذا الاسناد من روايته عن ابي
سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو
الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احدا من الستة وذكره ابن حبان في الثقات في الطبقة
الثانية وقال فيه يروي عن انس وروى عنه شعبة وعطاء بن بشر وخرج ابن ماجه في كتاب السنن عن عبد
الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا قبل فتية من بني هاشم فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه
وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه فقال انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا
وان اهل بيتي سبعة قرون بعدى بلا وتشريدا وتطريدا حتى ياقى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود
فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ماسا لو افلا يقبلونه حتى يدفعونهم الى رجل من
اهل بيتي فيملؤها قسطا وعدلا كما ملئت جورا فن ادرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبا وعلى الثلج انتهى * وهذا
الحديث يعرف عند الحديثين بحديث الزيات ويزيد بن ابي زياد رواه قال فيه شعبة كان رفاعا يعني يرفع
الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد بن الفضل كان من كبار ائمة الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن
بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن معين ضعفه وقال العجلي جائر الحديث وكان باخرا
ياقن وقال ابو زرعة لين يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس بالقوى وقال الجرجاني سمعته

طلحة الطلمحات وانما سمي بهذا الاسم لانه كان عظيم البذل في كل وجه وكان يتنازع الرقاب فيعتقها وكان
كل معتق يولده ولده كرسما طلحة فبلغ عددهم ألف رجل كل معنى طلحة فسمى طلحة الطلمحات ثم ولي سجستان وفيه يقول الشاعر
يضعفون

نصر الله أمضا مدفنوها * بسجستان طلحة الطلحات فقد بلغه ان معلمه كان في الكعب بالحجاز قد قدعه الدهر فارسل اليه مع غلامه مائة الف فقال سلمها اليه فان يكن مات وله ولد فادفعها الي ولده وان لم يكن له ولد ففرقها (١٨٩) على قومه فوافقه الرسول قدمات

ولم يعقب فقرقها في قومه (وقال) زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم أمرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لثما وتدخل النار (وقال) حكيم بن حزام ما أصبحت قط صبا حالم أرياني طالب حاجة إلا عدتها مصيبة أرجو ثوابها (ولما) مات وجد عليه مائتا ألف دينار ووجد مکتوبا على حجر انتهر القرص عندما كانها ولا تحمل على نفسك هم ما ليأتك * واعلم ان تقبيلك على نفسك توفير لخزانة غيرك فكم من جامع لم يعمل حليته (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما جمعت من المال فوق قوتك فأنما أنت خازن لغيرك (وروي) مالك في الموطان مسكنا سأل عائشة وهي ضائعة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لولاهما أعطيه إياه فقالت ليس لك ما تقطر بين عليه فقالت أعطيه إياه فقالت فلما أمست أهدي لها أهل بيت شاة وكفنها يعني ملفوفة بالزعفران فقالت لي عائشة كل هذا خير من قرصك (وقال) عبد

يضعفون حديثه وقال ابو داود لا اعلم احدا ترك حديثه وغيره احب الي منه وقال ابن عدي هو من شعبة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فلاكثر من على ضعفه وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندى نجسين عينا قسامة ما صدقته اهـ ذامذهب ابراهيم اهـ ذامذهب علقمة اهـ ذامذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح وخرج ابن ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي من اهل البيت يصلح الله به في ليلة وياسين العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال البخاري فيه نظرو هذه اللفظة من اصطلاحه قوية في التضعيف جـ داود ورده ابن عدي في الكامل والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستدراك له وقال هو معروف به وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لم امن بالله الا من غيرنا يا رسول الله فقال بل من انما نحن تم الله كما بنا فتح وينا يستعدون من الشرك و بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عدة اوتيتهم لما بنا الف بين قلوبهم بعد عدة الشرك قال علي أمؤمنون ام كافرون قال مقاتون وكافران تهـ وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه عمر بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روى عن جابرنا كبر وبلغني انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان ابن لهيعة شيخا احمق ضعيف العقل وكان يقول علي في السحاب وكان يجلس معنابهم فيقول هو ذا علي قد مر في السحاب وخرج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال يكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلا تسموا اهل الشام ولكن سـموا شرارهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل علي اهل الشام صنب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الاله غالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتي في ثلاث رايات اكثر يقول بهم خمسة عشر الفا والمقتل يقول بهم اثنا عشر الفا ومارتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين القتهم ونعمتهم وقاصيتهم ورايهم اهـ وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه في روايته ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس الى القتهم الج وليس في طريقه ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية ابى الطويل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فساله رجل عن المهدي فقال علي هيأت ثم عقد بيده سبعة فقال ذلك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل ويجمع الله له قوما قزع (١) كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم فلا يستوحشون الى احد ولا يفرحون باحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل بدر لم يسميهم الاولون ولا يدركهم الا آخرون وعلى عدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر قال ابو الطيمس قال ابن الحنفية اتر يده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين الاخشبين قلت لا جرم والله ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عمارة الذهبي ويونس بن ابى اسحق ولم يخرج لهما البخاري وفيه عمرو بن

(١) قوله قزع بضم اوله وفتح الزاي ممنوع من الصرف كآخر اهـ

الله بن عمر ما كان احدا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يحسب ان له في الفضل شيئا (وقال) الحسن كنانة البخيل من يقرض أخاه الدوهم (ومن عجائب) ما روي في الاينار ما ذكره أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بصر وطن المسلمون ان النصاري أحرقوه فاحرقوا

حان لهم فقبض السلطان جماعة من الذين أحرقوا الخان وكتب رقاعا فيها القتل وفيها القلع وفيها الجلود ونثرها عليهم فن وقعت عليه رقعة
فعل به ما فيها فوقع رقعة (١٩٠) فيها القتل بيد رجل فقال ما كنت أبالي لولا أم لي وكان بجانبه بعض الغنم فقال له في

محمد بن العباس لم يخرج له البخاري احتجاجا بل استشهدا مع ما ينضم إلى ذلك من تشيع عمار الذهبي
وهو وان وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان بن بشر بن
مروان قطع عرقويه قلت في أي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه في
رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد العمامي عن عكرمة بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن
انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن ولد عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وجزء
وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فأنما اخرج له متابعة
وقد ضعفه بعض وثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مدلس فلا يقبل الا ان يصرح بالسماع وعلي بن
زياد قال الذهبي في الميزان لا تدري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان
وثقه يعقوب بن أبي شيبة وقال فيه يحيى بن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رأى يفتي في
مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن فحش عطاؤه فلا يحتج به وقال أحمد بن حنبل وسعد بن عبد
الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو ههنا يفتي في كذب
سعد بن عبد الحميد الذهبي عن لم يفتي فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد
عن ابن عباس موقوفا عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس لو لم اسمعك مثلك مثل أهل البيت ما حدثت
به هذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر لا ذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس من أهل البيت
اربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن
عباس اما السفاح فربما قتل انصاره وعقاعن عدوه واما المنذر فآراه قال فانه يعطى المال الكثير
ولا يتعاطم في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطى النصر على عدوه والشطر عما كان
يعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرهب منه عدوه على مسيرة شهرين والمنصور يرهب منه عدوه
على مسيرة شهر واما المهدي الذي يعلو الأرض عدلا كما ملئت جورا وتأمّن البهايم السباع وتلقى الأرض
افلاذ كبدها قال قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانات من الذهب والفضة اه وقال الحاكم
هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسمعيل بن
ضعيف وابراهيم ابوه وان اخرج له مسلم فلا كثرون على تضعيفه اه وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند كبرك ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهم حتى تطلع
الرايات السود من قبل المشرق فيقتلوهم قتل لا يقتله قوم ثم ذكر شيالا احفظ قال فاذا رايتوه فبايعوه ولو
حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي اه ورجاله رجال الصحيحين الا ان فيه ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي
وغيره انه مدلس وفيه سفيان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهم ما عنعن ولم يصرح بالسماع
فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهورا بالتشيع وعفي في آخر وقته فخطا قال ابن عدي حدث
بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عاينها احد ونسبوه الى التشيع انتهى * وخرج ابن ماجه عن عبد الله
ابن الحرث بن جزء الزبيدي عن طريق ابن لهيعة عن أبي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن
الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطاناه
قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرج الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن
لهيعة ضعيف وان شيخه عمر بن جابر أضعف منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ
للطبراني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي المهدي ان قصر فسيبع والافئنان

رقعتي الجلود ليست لي أم
فادفع الي رقعتك وخذ
رقعتي فقهه لا فقتل ذلك
وتخلص هذا (وحكى) ان
أبا العباس الانطاكي
اجتمع عنده تيف وثمانون
رجلا بقرية بقرب الري
ولم أر غفلة لم تسع جميعهم
فكسروا الرغفان واطقوا
السراج وجلسوا الطعام
الى ان كفوا فلما رفع اذا
الطعام بحاله لم يأكل منه
واحد منهم اثار صاحبه
على نفسه (وروى) انه
اجتمع بالرملة جماعة من
أرباب القلوب فحضر طبق
فيه تين أخضر وقد غسق
الليل فكان الواحد يد
يده فاذا طفر بحبة حصرم
يا كاهوان طفر بطيب
دفعه الى صاحبه ولم يأكله
فلما رفع الطبق اذا الطيب
كله في الطبق لم يأكلوا
منه شيئا (وقال) بعض
الرواة دخلت على بشر
الحافي في يوم شديد البرد
وقد تعري من الثياب
فقلت يا أبا نصر الناس
يزيدون الثياب في مثل
هذا اليوم وانت تنقص
فقال ذكرت الفقراء وما هم
فيه ولم يكن لي ما واسمهم
به فاردت ان أرافقه
بنفسي في مقاساة البرد
(وقال) الاستاذ أبو علي لماسعي غلام خليل بالاصوفية الى الخليفة بالزندقة أمر بضرب أعناقهم فاما الحميد
فانه تستر بالهقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور واما الشحام والرقام والثوري وجماعة فقبحض عليهم وبسط النطع لضرب أعناقهم

فتقدم النوري امامهم فقال له السيف أتدري لماذا تقدم وتسابق قال نعم قال وماذا يجعل قال أوثر أصحابي بحياة ساعة فتخير السيف
وأتى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي لينعرف حالهم فالتقى القاضي على (١٩١) أبي الحسن النوري مسائل فقهية فاجاب

عن الكل ثم أخذ يقول
ان لله عباد اذا قاموا قاموا
بالله واذا نطقوا نطقوا
بالله وسرد الفاظا حتى أبكى
القاضي فادرس إلى الخليفة
وقال ان كان هؤلاء زنادقة
فسألي وجه الارض مسلم
(ولما) مرض قيس بن سعد
ابن عباد استبطأ اخوانه
في العيادة فسأل عنهم فقال
انهم يستحيون مما لك عليهم
من الدين فقال أخرى الله ما
لا يمنع الاخوان من الزيارة
ثم أمر من ينادي من كان
اقيس عنده مال فهو ومنه
في حل فكسرت عتبة باب
بالعشي لكثرة العواد
(ويروى) ان عبد الله
ابن جهم قر وكان أحد
الأجواد خرج إلى ضيعة له
فنزل على نخيل قوم وفيها
غلام أسود يقوم عليها فأتى
بقوته ثلاثة أفراس ودخل
كلب ودنا من الغلام فرمى
إليه بقرص فأكله ثم رمى
السه بالثاني والثالث
فأكلهما وعبد الله ينظر
فقال يا غلام كم قوتك كل
يوم قال ما رأيت قال فلم
آثرت هذا الكلب قال
ما هي بارض كلاب وانه
جاء من مسافة بعيدة جائعا
فكرهت رده قال فآثرت
صانع اليوم قال أطوى يومى

والافتسح تنعم فيها متى نعمة لم يعمها وباعثها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الأرض شيئا من النبات
والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبرازي تفرد به محمد بن مروان
العجلي زاد البرازي ولا يعلم انه تابعه عليه أحد وهو وان وثقه أبو داود وابن حبان أيضا بما ذكره في الثقات
وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة ليس عندي بذلك
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدث با حديث وأنا شاهد لم نكتبها تركها
على عمد وكتب بعض أصحابنا عنه كانه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة وقال
حدثنا خليل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي
فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق قال قلت وكيف قال نجسوا اثنين قال قلت وما نجس واثنين قال لا أدري
اه وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه أبو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
ولم يلقوا في قول أبي حاتم لا يحتج به إلا أن فيه رجاء من أبي رجاء الشكري وهو مختلف فيه قال أبو زرعة
ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعفه وقال مرة صالح وعانق له البخاري في صحيحه حديثا
واحد أخرجه أبو بكر البرزاني في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط عن قرعة بن أبياس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لتلأث الأرض جورا وظلما فاذمئت جورا وظلما بعث الله رجلا من امتي اسمه اسمي
واسم أبيه اسمي يأتوها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمتع السماء من قطرها شيئا ولا الأرض شيئا
من نباتها يلبث فيكم سبعة أشهر أو ثمانية أو تسعة أعين سنين اه وفيه رواه ابن أبي عمير عن أبيه وهما
ضعيفان جدا وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
المهاجرين والانصار وهم لي بن أبي طالب من يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي العباس ورجل من
الانصار فاغظ الانصاري للعباس فآخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبيده على وقال سيخرج من
صالب هذا حتى يملأ الأرض جورا وظلما وسيخرج من صالب هذا حتى يملأ الأرض قسطا وعدلا فاذا رأيت
ذلك فعليكم بالفتى التيمى فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي اه وفيه عبد الله بن عمر
العمري وعبد الله بن لمبة وهما ضعيفان اه وخرج الطبراني في معجمه الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها جانب الا تشاجر جانب حتى ينادى مناد من السماء ان
أميركم فلان اه وفيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وإنما
ذكره في ابوابه وترجمته استثناسا (فهذه) جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخرجه
آخر الزمان وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقول منه وربما تسلك المنكرين لشأنه بما
رواه محمد بن خالد الجندی عن ابان بن صالح بن أبي عبيد عن حسن البصري عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندی انه ثقة
وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاکم فيه انه رجل مجبول واختلف عليه في اسناده فخره يروى كما
تقدم وينسب ذلك لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسل الا قال البيهقي فرجع إلى رواية محمد بن خالد وهو مجبول عن ابان بن أبي عبيد
وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع وبالجمله الحديث ضعيف مضطرب
وقد قيل في ان لا مهدي الا عيسى أي لا يتكلم في المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به أو
الجمع بينه وبين الاتحاد وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق وأما المتصوفة فلم يكن

هذا قال عبد الله بن جعفر الأم على السجاء وهذا استحي مني فاشترى الحائط والغلام ومافيه من الآلات فاعطى الغلام وهو ذلك له
(وقال) النوري رأيت محمد بن سودة بالغداة صاحب مائة ألف وبالعشي سألناه من أصحابه خبره (وقال) أبو عبد الرحمن دخل أبو عبد

الله الروذباري الى دار بعض اصحابه فوجدته فاثباوهناك بيت مقفل فكسر القفل وامر بجميع ما وجد فيه من المتاع فانتقله ذوه الى السوق فباعوه واصلحوه وبعوه وقتا (١٩٢) من الثمن فجاء صاحب الروذباري فلم يقل شيئا فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها

المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وانما كان كلامهم في الجاهلية بالاعمال وما يحصل عنهم من نتائج المواجه والحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيخين كما ذكرناه في مذاهيمهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت التناقضات في مذاهيمهم وجاه الاسماعيلية منهم يدعون الوصية الامام بنوع من الحلول وآخرون يدعون رجعة من مات من الائمة بنوع التناسخ وآخرون منتظرون مجيء من يقطع بموته منهم وآخرون منتظرون عودا لاهل البيت مستبدلين على ذلك بما قدمناه من الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهمية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضا القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الامام والنقباء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة بمذاهيمهم حتى لقد جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرق ان عليا رضي الله عنه البسها الحسن البصري واخذ ذهابه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم اسوة في طرق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية فيهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانحدر اطمعهم في سلكه وظهر منهم ايضا القول بالقطب وامتلأت كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في القاطمي المنتظر وكان بعضهم عليه على بعض ويلقبه بعضهم من بعض وكأنه مبني على اصول واهية من الفريقين وربما يستدل بعضهم بكلام المتجهين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام عليها في الباب الذي يلي هذا واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شأن القاطمي ابن العربي الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسي في كتاب خلع النعلين وعبد الحق بن سبعين وابن ابي واطيل تلميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كتاباتهم في شأنه الغار واما مال وريما يصرحون في الاقل او يصرح مفسر وكلامهم هو حاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن ابي واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الحق لافقة ثم يعقب الحق لافقة الملك ثم يعود تعقبها وتكبر او باطلا قالوا ولما كان في المعهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيا امر النبوة والحق بالولاية ثم يخلفها ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط ثم يعود الكفر بحاله يشيرون بهذا الموضع من شأن النبوة والخلافة بعد الملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي لهذا القاطمي والدجل بعد ذلك كناية عن خروج الدجال على اثره والكفر من بعد ذلك فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة قالوا ولما كان امر الخلافة لقر يش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاو له وجب ان تكون الامامة فيمن هو احسن من قر يش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهرا كبنو عبد المطلب واما باطنا من كان من حقيقة الالة والال من اذا حضر لم يغيب من هو له وابن العربي الحاتمي سماه في كتابه عنقاء مغرب من تاليفه خاتم الاولياء وكى عنه بلبنة القضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتنى بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانما تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة حتى اكملت البنين ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في

كساء فدخلت بيتا ومرت بالكساء وقالت يا اصحابنا هذا ايضا من جملة المتاع فيبعوه فقال زوجها الم تسكفت هذا باختيارك فقالت اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيء ندخره عنه (واما) عبد الملك بن بجر فبورث خمسة آلاف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال ما كنت لاسأل اخواني الجنة في صلاتي وانحدر عليهم بحال (ويروي) ان الاشعث ابن قيس ارسل الى عدي ابن حاتم يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فلاها وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة (وقال) بن رجه لا عز ائت اركانا ولا ايتخ بيانا من بث الكرم واكتساب الشكر وذلك ان عز الله العظيم بالفعل الجليل باق في قلوب الرجال ومن تحصن بالجوهر فحجز بالمعروف فقد ظفر بمن تأواه ورجع الشكر والثواب (ويروي) ان عبد الله ابن ابي بكر وكان احد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت كوزا وقامت خلف الباب وقالت تنحوا

عن الباب وليأخذ به بعض علمائكم فاني امرأة من العرب ماتت زوجي منذ ايام فشرب عبد الله وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف فقالت سبحان الله تسخرني فقال يا غلام احمل اليها عشر بن القافة قالت اسأل الله العافية فقال يا غلام

اجل اليها الثلاثين الفاف قالت اف لك فعمل اليها ثلاثين الف درهم فما استحقى كثر خطابها (وقال) بعض الرواة قصصه رجل الى صديق له فدق عليه الباب فلما خرج قال ما حاجتك قال اربعة مائة درهم على دين (١٩٣) فدخل الدار واخرجها اليه ثم دخل الدار

با كما قالت له امراته هلا
تعلات حين شقت عليك
الاجابة قال انما ابكي لاني
لم اتفق دحاله حتى احتاج
الى مكاشفتي (وقال) اكنتم
ابن صيفي صاحب المعروف
لا يقع فان وقع وجدتم مكانا
(وقال) الفضيل ما كانوا
يعدون القرض معروفا
(ويروي) عن امرأة من
المتعبدات انها قالت لحيان
ابن هلال وهو في جماعة
من اصحابه ما السخاء عندكم
قال البذل والا يشار قالت
في السخاء في الدين قال
ان تعبدى الله تعالى سخية
به نفسك غير مكرهه قالت
افتر يدون على ذلك جراه
قالوا نعم لان الله تعالى وعد
على الحسنه بعشر امثالها قالت
فاذا اعطيتم واحدة واخذتم
عشرا فاي شئ سخيتم به
وانما السخاء ان تعبدوا
الله تعالى متتبعين متاذنين
بطاعته غير كارهين
لا تريدون بذلك اجرا
الا تستحيون ان يطالع على
قلوبكم فيعلم منها انما تريد
شيئا بشئ (وقالت) بعض
المتعبدات لبعض المتعبدين
اتظن السخاء في الدينار
والدرهم فقط انما السخاء
في بذل مهيج النفوس لله
تعالى (وقال) ابو بكر

تفاوت مراتب النبوة ويجعلون صاحب السكال فيها خاتم الاولياء اي حائز الرتبة التي هي خاتمة الولاية كما
كان خاتم الانبياء حائز الرتبة التي هي خاتمة النبوة فكذلك الشارع عن تلك المرتبة الخاتمة ببلينة البيت في
الحديث المذكور وهما على نسبة واحدة فيراهي لبنة واحدة في التمثيل ففي النبوة لبنة ذهب وفي
الولاية لبنة فضة للتعاقب بين الرتبين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي القاطم المنتظر وذلك خاتم الانبياء وهو خاتم الاولياء
وقال ابن العربي في ما نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من اهل البيت من ولد فاطمة
وظهوره يكون من بعد مضي خمسين سنة من الهجرة ورسمه حروف ثلاثة ير يدعددها بحساب الحمل وهو
الحاء المعجمة بواحدة من ستمائة الفاء اخذت القاف ثمانين والحيم المعجمة بواحدة من اسفل ثلاثة وذلك
ستمائة وثلاث وثمانون سنة وهي في آخر القرن السابع ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر رجل ذلك بعض
المقادين لهم على ان المراد بذلك المدة مولده وعبر بظهوره عن مولده وان خروجه يكون بعد العشر
والسبع مائة فانه الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن العربي سنة ثلاث
وثمانين وستمائة فيكون عمره عند خروجه ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة
ثلاث واربعين وسبع مائة من اليوم المجدى وابتداء اليوم المجدى عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم الى تمام الف سنة قال ابن ابي واطيل في شرحه كتاب خلع النعيلين الولي المنتظر القاطم بامر الله المشار اليه
بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي الله روجه وجبيه قال صلى الله عليه وسلم
العالم في قومه كالنبي في امته وقال علماء امتي كانباء بني اسرائيل ولم تزل البشرية تتابع به من اول اليوم
المجدى الى قبيل الخمسمائة نصف اليوم وتضاعفت بشاير المشايخ بتقريب وقته
وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا قال وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة
الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح خزيرة الاندلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى
المشرق فيفتحها ويفتح القسطنطينية ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلموا الاسلام ويظهر دين
الحقيقة فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة والسلام ما بين هذين وقت
وقال الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعني المفتوح بها سور القرآن جملة عددها سبع مائة وثلاثة
واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلاة العصر فيصالح الدنيا ويمشي الشاة مع الذئب ثم يبقى
ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستين عاما عدد حروف المعجم وهي قى ن دولة العدل منها
اربعون عاما قال ابن ابي واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فعناه لا مهدي تساوي هدايته ولايته
وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا
الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اثنا عشر خليفة يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم من كان
في اول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال الخلافة بعدى ثلاثون واحدي وثلاثون اوسمة وثلاثون
وانقضوا في خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية خلافة اخذ ابائنا من الاسماء فهو
سادس الخلفاء واما سابع الخلفاء فعمربن عبد العزيز والباقيون خمسة من اهل البيت من ذرية علي يؤيده
قوله انك لذوق نيرانها يريد الامة اي انك لخليفة في اولها وذريتك في آخرها ويرى استدلال بهذا الحديث
القائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم
اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفى بيده لتنفق كنوزهم ما في

(٢٥ - ابن خلدون)

الذقاق وليس السخاء ان يعطى الواحد المعدم انما السخاء ان يعطى المعدم الواحد
(وقال) الشيخ ابو عبد الرحمن كان الاساءة اذ يسهل الصلوة كي من الاجواء لم يكن يتناول احدا شيئا بيده وانما كان يطرحه على الارض

فتناولوه الا خدم الارض وكان يقول الدنيا اقل خطر من ان يرى من اجلها يدي فوق يد اخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
اليد العليا خير من اليد السفلى وكان (١٩٤) يتوضأ يومافى صحن داره فدخل عليه انسان وسأله شيأ فلم يحضره شي فقال اصبر حتى

سبيل الله وقد اتفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى فى سبيل الله والذي يهلك قيصرو وينفق كنوزه فى
سبيل الله هو هذا المنتظر حين يفتح القسطنطينية فنعم الامير اميرها ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلى
الله عليه وسلم ومدة حكمه بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر اربعين وفى بعض
الروايات سبعين وأما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء الاربعة الباقين من اهل القاتنين باعده من بعده
على جميعهم السلام قال وذكرا أصحاب التجوم والقرانات ان مدة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة
ونخسون عاما فيكون الامر على هذا جاريا على الخلافة والعدل اربعين اوسبعين ثم تختلف الاحوال
فتكون ملكا انتهى كلام ابن ابي واطيل وقال فى موضع آخر نزول عيسى يكون فى وقت صلاة العصر
من اليوم الممجدى حين تمضى ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندى يعقوب بن اسحق فى كتاب الجفر الذى ذكر فيه
القرانات انه اذا وصل القرآن الى الثور على رأس خضخ بخرفين (١) الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية
وتسعين وستمائة من الهجرة ينزل المسيح فيحكم فى الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد فى الحديث ان
عيسى ينزل عند المنارة البيضاء شرق دمشق ينزل بين مهرودتين يعنى حلتين مزرعتين صفراوين مصرتين
واضعا كفيه على اجنحة الملاكين لهمة كما خرج من ديماس اذا ما رأه رأسه قطروا ذرفعه تحدر منه جان
كالؤلؤ كثير خيلان الوجه وفى حديث آخر مربوع الخلق والى البياض والحجرة وفى آخره يترقج فى القرب
والغرب دلو البادية يري دانه يتزوج منها وتلد زوجته وذكروا فاته بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يموت
بالمدينة ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر يحشران بين نبيين قال ابن ابي واطيل والشيعة
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة حديث لامهدى الاعدى أى
لا يكون مهدي الا المهدي الذى نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى الى الشريعة الموسوية فى الاتباع
وعدم النسخ الى كلام من امثال هذا يعينون فيه الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكمات مختلفة
فمنقضى الزمان ولا اثر لشي من ذلك فيرجعون الى تجد يد رأى آخر منتحل كما نراه من مفهومات لغوية
وأشياء تخيلية وأحكام نجومية فى هذا انقضت اعمار الاول منهم والاخر وأما المتصوفة الذين عاصرناهم
فأكثرهم يشيرون الى ظهور رجل مجدد لا يحكم الملة ومراسم الحق ويتخيمون ظهوره لما قرب من عصرنا
فبعضهم يقول من ولد فاطمة وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه من جماعة كبرهم أبو يعقوب البادسى
كبير الاولياء بالمغرب كان فى أول هذه المائة الثامنة وأخبرنى عنه طافده صاحبنا ابو يحيى زكريا عن أبيه
أبى محمد عبد الله عن أبيه الولي أبى يعقوب المذكور هذا آخر ما اطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء
المتصوفة وما ورد فى الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذى ينبغى ان
يتقرر ذلك انه لا تتم دعوة من الدين والملك الا بوجود شوكه عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى يتم
امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التى اريتك هناك وعصبية الفاطميين بل وقريش
اجمع قد تلاشت من جميع الافاق ووحدتهم آخر وقد استعانت عصبيتهم على عصبية قريش الالمابقي
بالخازن مكة وينبع بالمدينة من الطالبيين من بنى حسن وبنى حسين وبنى جعفر منتشرون فى تلك البلاد
وغالبون عليها وهم عصاب بدوية متفرقون فى مواطنهم وامارتهم وآرائهم يبلغون آلافا من الكثرة فان
صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته الا بأن يكون منهم ويؤلف الله بين قلوبهم فى اتباعه حتى
تتم له شوكه وعصبية وافية باظهار كلمته وجل الناس عليها واما على غير هذا الوجه مثل ان يدعو فاطمى

(١) قوله الضاد عند المغاربة بثسعين والصاد بستين قاله نصر اه

افرج فلما فرغ قال خذ
القمة واخرج فلما خرج
وعلم انه بعد صاح وقال
دخل انسان واخذ القمة
فشوا خلقه فلم يدركوه
وانما فعل ذلك لأنهم كانوا
يلومونه على البذل (وفى
معناه قال الشاعر)
ملائت يدي من الدنيا مراما
فما طمع مع الله واذل فى
اقتصادى

ولا وجهت على زكاة مال
وهل تجب الزكاة على جواد
(وكان) ابو مرثد احد
الكرام فدحه بعض الشعراء
فقال ما عندى ما اعطيتك
ولكن قدمنى الى القاضى
وادع على عشرة آلاف
درهم حتى اقر لك بها ثم
احبستنى فان اهلى لا
يتركونى مسجوناً ففعل
ذلك فلم يسواحتى دفع اليه
عشرة آلاف درهم (وقال)
زيد بن جرير رايته طلحة
ابن عبيد الله فرق مائة
الف فى مجلس وانه ليخبط
ازاره بيده (ولما) دخل
المنكر على عائشة رضى الله
عنها قال لها يا ام المؤمنين
أصابني فاقة فقالت ما عندى
شيء فلو كانت عندي
عشرة آلاف لبعثت بها
اليك فلما خرج من عندها
جاءها عشرة آلاف من

عند خالد بن اسيد فارسات بها فى اثره فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد فكانوا
عباد المدينة بمجدوا وابوبكر وعمر بنو المنكر (وقال) يحيى بن معين كان جرير بن يزيد فى دار المطلب فجاء انسان يسأله فقال للام

اذهب الى الجوارى فقل لمن من اراد منهم ان تصبغ ثيابها فلبست بها فجاء الغلام بشاب كثيرة فقال للسائل خذها (وقال الاصمعي)
كانت جرت حرب بالبادية ثم اتصت بالبصرة فتفاقم الامر فيها حتى مشى بين الناس بالصلح (١٩٥) فاجتمعوا في المسجد الجامع قال

منهم الى مثل هذا الامر في افق من الافاق من غير عصبية ولا شوكة الا مجرد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما اسلفناه من البراهين الصحيحة وامامنا تدعيه العامة والانصار من الدهماء عن لا يرجع في ذلك الى عقل يهديه ولا علم يفيد فيجبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان تقليد لما اشتهر من ظهور فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر كما بيناه واكثر ما يجيبون في ذلك القاصية من الممالك واطراف العمران مثل الزاب باقر يقية والسوس من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بما ساء لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملتزمين من كدالة واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوته زعموا لا مستند لهم الاغرابية تلك الامم وبعدهم على يقين المعرفة باحوالهم من كثرة اوقلة او ضعف اوقلة ولبعد القاصية عن منال الدولة وخروجه عن نطاقها فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هناك بخروجه عن رتبة الدولة ومثال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا وقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتبليس بدعوة يمه تمامها وسواسا وحقا وقتل كثير منهم اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج برباطا ماسة اول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتوايزري نسبة الى توزيره صغرا وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من ضالة وكز رلة وعظم امره وخافه رؤساء المصامدة على امرهم فدرس عليه السكسوى من قتله بيانا وانحل امره وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين من ارجل يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق اسواقها وارتمل الى بلاد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا وهو انه صحب في حجة في رباط العباد وهو مدفون الشيخ ابي مدين في جبل تلمسان المطل على ارجل من اهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعا عظاما كثيرا التلمذ والخادم قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان قال وتنا كدت العجبة بيننا في ذلك الطريق فانسكف لي امرهم وانهم انما جاؤا من موطنهم بكر بلاء اطلب هذا الامر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لاصحابه ارجعوا فاقدا زري بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا ويدل هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر في ان الامر لا يتم الا بالعصبية المكافئة لاهل الوقت فلما علم انه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وان عصبية بني مرين لذلك العهد لا تقاومها احدهم من اهل المغرب استسكان ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبية القواطم وقريش اجمع قد ذهبت لاسم في المغرب الا ان التعصب لشأنه لم يتركه لهذا القول والله يعلم وانتم لا تعلمون وقد كانت بالمغرب هذه الصور القريية نزعته من الدعاء الى الحق والقيام بالسنة لا يتخلون في ادعوه فاطمي ولا غيره وانما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنبر كرو بعني بذلك ويكثر تابعهوا اكثر ما يعنون باصلاح السابلية لما ان اكثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم في اخذون في تغيير المنبر كما استطاعوا الا ان الصبغة الدينية فيهم لم تستحكم لما ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم واقبالهم الى مناحي الديانة غير ذلك لانهم المعصية التي كانوا عليها قبل المقرية ومنها توبتهم فتجد ذلك المنتحل للدعوة والقيام بزعمه بالسنة غير متعمقين في فروع الاقتداء والاتباع انما دينهم الامراض عن النهب والبغي وافساد السابلية ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش بأقصى جهدهم وشهتان بين هذا الاجر من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا فافتاقهم ما تمتع لا يستحكم له صبغة في الدين ولا يكمل له نزوع عن

فبعثت وانا غلام الى ضرار ابن القعقاع بن حازم فاستأذنت عليه فاذن لي فاذا هو عليه شعلة يخبط نوى اعزله حلوب فخرته بمجتمع القوم فامهل حتى اكلت العز ثم غسل القصعة وقال يا جارية غدينا فانتت نريت وممر قال فدعاني فقدرته ان اكل معه حتى اذا قضى من اكله حاجته وثب الى طين ملقي في الدار فغسل به يده ثم صاح بالجارية فقال اسقي ماء فانتت بماء فشر به ومنح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء القرات بغير البصرة بزيت الشام متى تؤدى شكر هذه النعم ثم قال علي بردائي قاتته برداء عدني فارتدي به على تلك الشملة قال الاصمعي فتجافيت عنه استقباحا لزيه فدخل المسجد وصلى ركعتين ومشى الى القوم فلم يبق حبة الاحبات اعظاما له ثم جالس فتعمل ما كان بين الاخياء من الديارات في ماله وانصرف (وكان) اليه لول بن راشد الفقيه لما سجن يعطى كل يوم السجنان دينارافا سكره اصدقاءه وكلموه في ذلك فقال لهم

حفص بن غمارة سمعت سفيان الثوري يقول اذا اكل صدق الصادق لم يلب ما في يديه فخر به لول على يديه وقبلها وجعل يقول سألتك بالله انت سمعته يقول هذا الخلف بالله لقد سمعته يقوله (وقال الشاعر) ذريني اكن للمال ربا ولا يكن لي المال ربا محمد بن عبد الله

ارني جوادامات هز لا اعلى في ارضي ما تربي او تخيل الخلد (وكان) عبد الله بن ابي بكر يفتي على اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين عن يساره واربعين امامه (١٩٦) واربعين خلقه ويعتق اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعباد ويعتق في كل عبدا مائة

الباطل على الجملة ولا يكثر ونو يختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحكام دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل امرهم وتلاشت مصيبتهم وقد وقع ذلك باقر بقة لرجل من كعب من سليم يسمى قاسم ابن مرة بن اجد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل آخر من بادية رياح من بطن منهم يعرفون بمس لم وكان يسمى سعادة وكان اشد دينيا من الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امرتا بعده كما ذكرناه حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون فيها ويتحلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا من بعدهم شيء من امرهم انتهى

٥٤ (فصل في ابتداء الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر)

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم من حياة وموت وخير وشر سيما الخواص العامة كعرفة ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد الدول او تقاوتها والتطلع الى هذا طبيعة البشر يحبون عايلها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوقون الى الوقوف على ذلك في المنام والاعخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد في المدن صنفان من الناس يتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتعدهو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعايشة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالخصي والحبوب ويسمونه الحاسب ونظري المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنجل وهو من المنكرات الفاشية في الامصار لما تقر في الشريعة من ذم ذلك وان البشر يحبون عن الغيب الا من اطلعه الله عليه من عنده في نوم او ولاية او اكثر ما يعتني بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في آما ددولتهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او منجم او ولي في مثل ذلك من ملك برقيونه او دولة يحسدون انفسهم بها وما يحدث لهم من الحرب والملاحم ومدة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لامماتهم ويسمى مثل ذلك الخدثان وكان في العرب الكهان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبرنا بما سبكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشي وسطيح في تاويل رؤيا ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملك والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تاويل سطيح لرويا الموبدان حين بعث اليه كسرى بهامع عبد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في جيل البربر كهان من اشهرهم موسى بن صالح من بني يقرن ويقال من غمرة وله كتابا حديثانية على طريقة الشعرب طاعتهم وفيه احدثان كثير ومعهما فيما يكون لزمانة من الملك والدولة بالمغرب وهي متداولة بين اهل الجبل وهم يزعمون تارة انه ولي وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض مزاعمهم انه كان نبيا لان تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير والله اعلم وقد يستند الجبل الى خبر الانبياء ان كان لهم كما وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم بمثل ما يعنونهم في السؤال عنه واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة واعمارها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك في صدر الاسلام آثارا منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بن اسرائيل مثل كعب الاخبار ووهب بن منبه وامثالهم ماوردنا اقتبسوا بعض ذلك من طواهر ما نوردنا ويالات محتملة ووقع لجمع قروا مثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من

ملوك واشتري يوم ما جارية بعشرة آلاف قطاب دابة يحملها عليها فقال رجل هذه دابتي فقال اجلوها على دابته الى داره (وقال عبد الله بن زهير)

وعاذلة تحبني الردي ان

يصيبي تروح وتعدو بالامامة والقسم تقول هذا كذا ان هذا كذا واتما

على الله اوراق العباد كما زعم واني احب الخلد لو استطيعه وكالخلد عندي ان اموت ولم الم

(وروي) ان اعرابية اقدم على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين لي اليك حاجة الحياء يعني ان اذكرها قال فخطها في الارض فخط في الارض اني فقير فقال لعلامة يا قنبر ا كسه حلتى فكساه الخلة

فقال

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف ا كسوك من

حسن الثنا لا

ان الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبال

ان نلت حسن ثناء نلت مكرمة

لا تبغين بما قد نلته بدلا

لا تره هذا الدهر في عرف بداتيه * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا قال علي زده مائة دينار الاولياء فاعطاه اباها فلما ولي الامر ابي قال قنبر يا امير المؤمنين لو فرقتم في المسلمين لاصحيت بهامن شأنهم فقال له يا قنبر فاني سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم لم يقول أشكر وأمان أثني عليكم وإذا أناكم كريم قوم فأكرمه (وقال) مظرف بن الشخير إذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها في رقعة فاني أكره أن أرى في وجهه ذل الحاجة (قرئ) على القاضي أبي الوليد وأنا اسمع (١٩٧) وأمره بالبخل قلت لها اقصرى

فليس اليه ما حبيت سبيل
أرى الناس خلان الكرام
ولا أرى

بخياله في العالمين خليل
واني رأيت البخل يزري
بأمله

فأكرمت نفسي أن يقال
بخيلى

ومن خير حالات الفقى
لوعلمته

إذا نال خير ان يكون ينيل
(ولعمرو بن الوردي)

واني امرؤ عافى انانى شركة
وانت امرؤ عافى انائك
واحد

أضحكت منى أن تمنت
وان ترى

بحسبى شحوب الحق
والحق جاهد

اقسم جسدى في جوسم
كثيرة

واخسوقزاح الماء والماء
بارد

(وقال) بعض الحكماء
أصل المحاسن كلها الكرم

وأصل الكرم نزاهة النفس
عن المحرام وسخاؤه بما

ملك على الخاص والعام
وجميع خصال الخير من

فروعه (وروى) أنه كان
عند البهلول بن راشد

طعام فغلا الشعر فامر به
فبيع له ثم أمر أن يشتري
له ربيع القفيز فقبل له

الاولياء في ذويمهم واقعهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس به من الرتب
الشريفة والكرامات الموهوبة وامام بهد صدق الملة وحين علق الناس على العالم والاصطلاحات
وترجت كتب الحكماء الى اللسان العربي فأكثر معتمد في ذلك كلام المنجمين في الملك والدول وسائر
الامور العامة من القرانات وفي الموالب والمسايل وسائر الامور الخاصة من الطواع والمساو هي شكل
الملك عند حدوثها فلنذكر الا ان ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجمين * اما اهل الاثر
فله في مدة المال وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء
الدنيا منذ الملة خمسة مائة سنة ونقص ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس ان
الدنيا جمعة من جمع الاخرة ولم يذكر ذلك دليل لاوسره والله اعلم تقدير الدنيا بايام خلق السموات والارض
وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس
وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقد مر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس حين
صيرورة ظل كل شيء مثليه يكون على التقريب نصف سبع وكذلك وصل الوسطى على السبابة فتكون
هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وخمسة مائة سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ان يعجز الله أن يؤخر
هذه الامة نصف يوم فدل ذلك على أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف وخمسة مائة سنة وعن وهب بن منبه
انها خمسة آلاف وستة مائة سنة أعني الماضي وعن كعب أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة قال السهيلي
وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فأما قوله ان يعجز الله أن يؤخر هذه
الامة نصف يوم فلا يقتضي نفى الزيادة على النصف وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فانه فيه الاشارة
الى القرب وانه ليس بينهما وبين الساعة نبى غيره ولا شرع غير شرعه ثم يرجع السهيلي الى تعيين أمد الملة
من مدرك آخر لو ساعدته التحقيق وهو انه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال
وهي أربعة عشر حرفا يحكمها قولك (الم يسطع نصحق كره) فأخذ عددها بحساب الجمل فكان سبع مائة
وثلاثة (١) اضافة الى المنقضى من الالف الاخرة قبل بعثته فهذه هي مدة الملة قال ولا يبعد ذلك ان
يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل عليه
والذى جعل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب السهيلي لابن اسحق في حديث ابني أخطب من أخبار
اليهود وهما ابو ياسر وأخوه حبي حين سمع من الاحرف المقطعة الموثق ولاها على بيان المدة بهذا الحساب
فبلغت احدى وسبعين فاستقلا المدة وجاء حبي الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله هل مع هذا غيره فقال
المص ثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين ومائتين فاستطال المدة وقال قد ليس علينا امر
يا محمد حتى لا ندرى اقليل اعطيت أم كثير اثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما يدريكم لعله اعطى عدها
كها نسة مائة وأربع سنين قال ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر
متشابهات اه ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك
الاعداد ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسونه حساب الجمل نعم انه
قديم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر وأخوه حبي عن يؤخذ رأيه في ذلك دليل لا ولا من

(١) قوله هذا العدد غير مطابق كما ان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٣٠ وانما المطابق للحروف
المذكورة ٦٩٣ وهو الموافق لما سيذكره عن يعقوب الكندي قاله نصر اه

تدبىح وتشتري فقال نفرح اذا فرح الناس ونحزن كما حزنا (ولم حاتم على فقال)
فأنت ليت أن لا أمنع الدهر جاثما فقول لهذا اللاتم الا أن أعفى * فان أنت لم تسطع فعض الاصابا فهل ماترون الا أن لا طيبة

* فكيف يتركى يا ابن ام الطبايعا * (وقال آخر) * اصون غرضي بما الى لا ادنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال
احتال لئلا ان اودى فأجعه * (١٩٨) ولست لعرض ان اودى بمحتال (ويروى) ان رجلا سأل الحسن بن علي رضي الله عنه

شيئا فاعطاه خمسين الف درهم وخمسة مائة دينار وقال اثنتي عشرة بحمال يحمله لك فاتاه بحمال فاعطاه طبله سانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي (ويروى) ان الليث بن سعد سألته امرأة سكرجة عسل فامر لها بزق عسل فقبل له في ذلك فقال انها سألت علي قد راجعتها ونحن نعطيها علي قدر نعمتنا (وروى) ان رجلا استضاف لعمد الله بن عامر بن كرز فلما اراد الرجل ان يرتحل لم يعنه علمه فستل عن ذلك فقال عبد الله انهم لا يعينون من ارتحل عنا (وفي معناه يقول المتنبي)
اذ ارتحلت عن قوم وقد قدروا
ان لا تقارقههم قالوا رحلونهم
(الباب الحادي والثلاثون في بيان الشح والبخل وما يتعلق بهما) *
الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل كان النبي صلى الله عليه وسلم يدهم واللهم اني اموذيك من شح نفسي واسرافها ووسواسها (وروى) جابر ان النبي عليه السلام قال اتوا الشح فان الشح امالك من كان قبلكم جلهم على ان سقوا والدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم مفرقون فقالوا الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال في النقة وامساكها قال الله تعالى سيطو قون ما يحلو به يوم القيامة وقال تعالى ومن

علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز عقلا عن الصنائع والعلوم حتى عن علم شريعتهم وفتنة كتابهم ومثلهم وانما يتلقون مثل هذا الحساب كما تتلقاه العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيلى دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في الملة في حدثان دولتها على الخصوص مستند من الاثر اجمالى في حديث خرج ابو داود عن حذيفة ابن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مرجم عن عبد الله بن فروخ عن اسامة بن زيد اللبي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حذيفة بن اليمان والله ما درى انسى اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو محجل ويقتصر في بيان اجماله وتعيين مهماته الى آثار اخرى يجوز اداسانيتها وقد وقع اسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة ايضا قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث عنه حفظه من حفظه ونسبه من نسبه قد علمه اصحابه هؤلاء هم ولفظ البخاري ما ترك شيئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون الى قيام الساعة الا اخبرنا به حفظه من حفظه ونسبه من نسبه اهـ وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما ثبت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من الشارع صلوات الله وسلامه عليه في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكوبة مع ان الائمة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابي مرجم في ابن فروخ احاديثه منا كبر وقال البخاري يعرف منه وينسكروا قال ابن عدى احاديثه غير محفوظة واسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين وثقه ابن معين فانما خرج له البخاري استشهاده اذ وضعه يحيى بن سعيد واحمد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وابو قبيصة بن ذؤيب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها كما مر وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص الى كتاب الجغرويون يزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الاثار والنجوم لا يزيدون على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مستنده واعلم ان كتاب الجغرافيا كان اصلا له ان هرون بن سعيد العجلي وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك الجعفر ونظائره من رجالهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لثلاثهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هرون العجلي وكتبه وشماه الجعفر باسم الجلد الذي كتب منه لان الجغرافيا اللغة هو الصغرى وصار هذا الاسم علماء على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق وهذا الكتاب لم تنصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواهد من الكلمات لا يحكمها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه او من رجال قومه فهم اهل الكرامات وقد صرح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم فتصيح كما يقول وقد حذر يحيى ابن عمه زيد من مصرعه وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فاطنك بهم علماء ودينا وآثارا من النبوة وعناية من الله بالاصل الكرام تشهد لقروعه الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير منسوب الى اخذ وفي اخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي

عبد
من كان قبلكم جلهم على ان سقوا والدماء واستحلوا محارمهم وقد فرق بينهم مفرقون
فقالوا الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال في النقة وامساكها قال الله تعالى سيطو قون ما يحلو به يوم القيامة وقال تعالى ومن

يسجل فاما يسجل من نفسه وقال تعالى في الشئ أشبه على الخير وأولئك لم يؤمنوا وقال تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون فالشئ
ينى على الكزاة والامتناع فهو يكون في المال وفي جميع منافع البدن (وقال) ابن عمر (١٩٩) ليس الشئ أن يمنع الرجل ماله

وانما الشئ أن يطمع فيما
ليس له ولهذا قال ابن المبارك
سخط النفس عما في أيدي
الناس أفضل من سخط
النفس بالبدل (وقال)
رجل لابن مسعود اني اخاف
أن أكون قد هلكت
سمعت الله تعالى يقول
ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون وانا رجل
شحيح لا يكاد ان يخرج
من يدي شئ فقال له ابن
مسعود هذا ليس بالشئ
الذي ذكره الله تعالى فانه
ان تأكل مال أخيك ظلماً
ولكن ذلك البخل وبش
الشئ البخل ففرق بينهما
كأثرى (وقال) ابن عباس
الشئ أن يتبع هواه فلم
يقبل الايمان وقال طاووس
الشئ أن يسجل المرء بما
في أيدي الناس والبخل
أن يسجل بما في يديه
(وروى) انس أن النبي
عليه الصلاة والسلام قال
برئى من الشئ من أدى
الزكاة وقرى الضيف
واعطى في النائة (وقال)
ابن زيد من لم يأخذ شيئاً
نهام الله عنه ولم يدعه الشئ
الى ان يمنع شيئاً امر الله به
فقد وقاه شئ نفسه (وقال)
ابو التياح الاسدي رأيت
رجلاً في الطواف يقول

عبد الله الشئ لعبد الله المهدي مع ابنه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف بعناه الى ابن حوشب داعبتهم
بالعين فأمره بالخروج الى المغرب وبيت الدعوة فيه على علم لقنه ان دعوته تتم هناك وان عبد الله الماني
المهدي بعد اسبوع في حال دولته بمافريقية قال بيتهما ليعتصم بها القوام ساعة من نهار وأراه موقف
صاحب الخمار ابي يزيد بالله مدينة وكان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه الخبير بيلوغه الى المكان
الذي عينه جده عبد الله فأيقن بالظفر وبرز من البلاد فزعمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر به وقتله
ومثل هذه الانجبار عندهم كثيرة وأما المنتجبون فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية
اما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات وخصوصا بين العلويين وذلك ان العلويين زحل
والمشتري يقتربان في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج آخر في تلك المثلثة من الثلاث الايمن ثم
بعده الى آخر كذلك الى أن يتكرر في المثلثة الواحدة ثلثي عشرة مرة تستوي بوجه الثلاثة في ستين سنة
ثم يعود فيسوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيسوي في المثلثة بثلثي عشرة مرة وأربع
عودات في مائتين وأربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على الثلاث الايمن ويتنقل من المثلثة الى
المثلثة التي تليها أعني البرج الذي يلي البرج الاخير من القران الذي قبله من المثلثة وهذا القران الذي هو
قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك
الى ان يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثنتي
عشرة مرة وبعده مائتين وأربعين سنة ينتقل الى مثلثة أخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج
و بعد عشرين سنة يقتربان في برج آخر على تليته الايمن في مثل درجة او دقائقه مثال ذلك وقع القران أول
دقيقة من الحجل وبعده عشرين يكون في أول دقيقة من القوس وبعده عشرين يكون في أول دقيقة من
الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى أول الحجل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود
القران وبعده مائتين وأربعين سنة ينتقل من النارية الى الترابية لانها بعد هذا قران وسط ثم ينتقل الى
الهوائية ثم المائية ثم يرجع الى أول الحجل في تسعمائة وستين سنة وهذا الكبير والقران الكبير يدل على
عظام الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتعلمين والطلالين
للكل والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن أو عجزاتها ويقع أثناء هذه القرانات قران النجسين
في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع و برج السرطان هو طالع العالم وفيه وبالزحل
وهو طالع المريخ فتمت هذه دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة
العساكر وعصيان الجنود والويل والتمط ويدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والنجاسة في وقت
قرانها على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن أجد الحاسب في السكاب الذي ألغى انظام الملك ورجوع
المريخ الى العقرب له أثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلاً قاطعاً ولد النبوى كان عند قران العلويين
برج العقرب فلما رجع هناك حدث التشويش على الخلفاء وكثر المرض في أهل العلم والدين ونقصت
أحوالهم وورعهم انهم بدم بعض بيوت العبادة وقد يقال انه كان عنه دقتل على رضى الله عنه وعروان من
بنى أمية والمتوكل كل من بنى العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت في غاية
الاحكام * وذكر شاذان البليخي أن الملة تنتهي الى ثلث مائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول
وقال ابو عمر يظهر بعد المائة والخمسين منها اختلاف كبير ولم يضح ذلك وقال جراس رأيت في
كتب القدماء ان المنتجب من اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيه وان دليلهم الزهرة

اللهم قتي شئ نفسي لا يزيد على ذلك شيئاً فسألته عن ذلك فقال اذا وقيت شئ نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل شيئاً يكرهه الله تعالى واذا
الرجل عبد الرحمن بن عوف (واعلم) ان البخل يكون من سوء الظن بالله أن لا يخاف ولا يشيب وهذا ابو من التصديق بمناكف الله به

ويطرق الخلل والامتناع الى جميع الاوامر بين العبد وبين الخالق وبين العبد وبين الخلق في ترك معاوتهم والنصح لهم (وقال) كسرى
لا يصحبه اى شئ اضر بابن آدم (٢٠٠) قالوا الفقير فقال كسرى الشئ اضر من الفقر لان الفقير اذا وجد اتسع والشحيح لا يتسع ابدا ولما

وكانت في شرفها فيبقى الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو عمر في كتاب القرائن القسمة اذا انتهت
الى السابعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك برج العقرب وهو دليل
العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم من نبى ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقى من درجات
شرف الزهرة وهى احدى عشرة درجة بتقريب من برج الحوت ومدة ذلك ستماية وعشر سنين
وكان ظاهرا لى مسلم عند انتقال الزهرة ووقع القسمة اول الحمل وصاحب الجدا المشترى وقال يعقوب
ابن اسحق الكندي ان مدة الملة تنتهى الى ستماية وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت عند قران
الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشرة درجة وثمان عشرة دقيقة
ودقائقها ستون فيكون ستماية وثلاث وتسعين سنة قال وهذه مدة الملة باتفاق الحكماء وبعضهم الخروفي
الواقعة في اول السور بخذف المكر واعتباره بحساب الحمل قلت وهذا هو الذى ذكره السهيلي والغالب
ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه عنه قال جراس سأل هرير افر يد الحكيم عن مدة اردشير وولده
وملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين واجودها اربعماية
وسبعمائة وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهى دليل العرب فيكون لان طالع القران
الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة وستين سنة وسأل كسرى
انوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم منهم يولد لخمس
واربعين من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يغوص الى الزهرة وينقل القران من الهوائية الى
العقرب وهو ما نرى وهو دليل العرب فهذه الادلة تقضى للملة بمدة دور الزهرة وهى الف وستون سنة وسأل
كسرى ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال نوفيل الرومي المنجم في ايام بنى امية
ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في
ابتداء الملة وتغير وضع السكوا كتب من هيئت في قران الملة في حينئذ اما ان يقر العمل به او يتجدد من
الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس واتفقوا على ان خراب العالم يكون باسبغ الماء والنار حتى
تهلك سائر المكنونات وذلك عندما يقطع قلب الاسد اربعمائة وعشرين درجة اتى هى حد المريح وذلك بعد
مضى تسعمائة وستين سنة وذكروا ان الملك فابستان بعث الى المأمون بحكيمه ذوبان اتحفه به في
هدية وانه تصرف للمأمون في الاختبارات بحروب اخيه وبعقد اللوا لظاهر وان المأمون اعظم حكمته
فسأله عن مدة ملكهم فاجابهم بانقطاع الملك من عقبه واتصاله في ولداخيه وان العجم يتغلبون على
الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر التركة من شمال المشرق
فيملكونه الى الشام والقرات وسيخون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال له المأمون من
ابن لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن احكام صصه بن داهر الهندي الذى وضع الشطرنج قلت والتركة
الذين اشار الى ظهورهم بعد الديلم هم السجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع قال جراس
وانتقال القران الى المثلثة المسماة من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية ليزدجرد وبعدها
الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذى في الحوت هو اول الانتقال والذى في
العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة الاولى من القران الاول في المثلثات المسماة في ثاني
رجب سنة ثمان وستين وثمانماية ولم يستوف الكلام على ذلك * وأما مستند المنجمين في دولة على
الخصوص فن القران الاوسط وهيئة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم على حدوث الدولة وجهاتها

قدم الشافعي من صنعاء
الى مكة كان معه عشرة
آلاف دينار فقالوا له
تشتري بها ضعة فضرب
خيمته خارج مكة وصحب
الدنانير فكل من دخل
عليه كان يعطيه قبضة
قبضة فلما جاء وقت الظهر
قام ونقض الثوب ولم يبق
شئ (ولما) قربت وفاته
قال مروا فلانا يغسلاني
وكان الرجل غائبا فلما
قدم اخبر بذلك فدعا
بثد كرتة فوجد عليه سبعين
ألف درهم دينارا فقضاها
وقال هذا غسلي اياه
(وروى) ان رجلا اراد
ان يؤذى عبدا لله بن عباس
فاتى وجوه البلد وقال يقول
لكم ابن عباس تغدوا اليوم
عندي فاتوه فلو الدار
فقال ما هذا فاخبر الخبر
فامر ان تشتري الفواكه
في الوقت وأمر بالخبز
والطبيخ فاصبح القرى
فلما فرغ قال لو كلاته
اموجود لنا هذا كل يوم
قالوا نعم قال فليغده هؤلاء
كلهم كل يوم عندنا
* (ومن الخصال الحاربه
يجرى الكمال والجمال
ولعاهما من الاصول
الصبر) *

(الباب الثاني والثلاثون

في الصبر) * الصبر زمام سائر الخصال وزعيم الغنى والظفر وملاك كل فضيلة وبه ينال كل خير ومكرمة قال الله تعالى
وقمت كلمت ربك الحسنى على نبي اسرائيل بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فاعظم وظائف الدين ذكر الله

ورسوله جزاء معلوما ان اقامها الا الصبر فانه يغير حساب وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهتدون يا امرئ الصبر واقبل عن الدنيا وقال ابن عيينة لما اخذوا برأس الامر جعلهم الله رؤساء وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (٢٠١) وقال تعالى قد نعلم انه ليحزنك

الذي يقولون فاتهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقال تعالى ولتسمع من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشر كوا اذى كثيرا ثم نذبتهم الى الصبر مع وجود الاذى فقال وان تصبر واوتقوا فان ذلك من عزم الامور فالصبر حبس النفس على الاوامر والمكاره وعن النواهي والمعاصي الا ترى ان اهل الجنة نودوا فقبل لهم سلام عليهم بما صبرتم فنعيم عقبي الدار فاخبر الله تعالى انه اثابهم جنته بصبرهم يعني صبرتم على طاعة الله وصبرتم عن معصية الله قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اى احبس نفسك الاية فمن امارات حسن التوفيق وعلامات السعادة الصبر في الملمات والرفق عند النوازل (وفى ما يروى) ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام يا داود من صبر علينا وصل اليانا (وقال سليمان) بلغنا ان لكل شئ ثمرة وثمره الصبر الطاهر قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اصبروا واثابوا

من العسرة من بهامن الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعوائدهم وحروبهم كما ذكر أبوهم عشر في كتابه في القرائات وقد توجد هذه الدلالة من القرآن الاصغر اذا كان الاوسط دال عليه فن هذا يوجد الكلام في الدول وقد كان يعقوب بن اسحق الكندي منجم الرشيد والمأمون وضع في القرائات الكائنات في الملة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة بني العباس وانها نهايتهم واسرار الى انقراضها والحادثة على بعد اداها تقع في انتصاف المائة السابعة وان بانقراضها يكون انقراض الملة ولم تقف على شئ من خبر هذا الكتاب ولا رأينا من وقف عليه ولا علمه غرق في كتبهم التي طرحها هلا كوما لك التفر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم آخر الخلفاء وقد وقع بالمغرب جزء منسوب الى هذا الكتاب يسمى بالجفر الصغير والظاهر انه وضع ابنى عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن ذلك من حديثه وكذب ما بعده وكان في دولة بني العباس من بعد الكندي منجمون وكتب في الحديث وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من اصحاب صنائع الدولة قال بعث الى الربيع والحسن في غزاتهم مع الرشيد ايام ابيه فجهت ما جوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعني الحديث واذا مده المهدي فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقدم من دولته ما مضى فاذا وقف عليه كنتم قد نعيمتم اليه نفسه قالوا لا فالحيلة فاستدعت عنده الوراق مولى آل بديل وقلت له انسخ هذه الورقة واكتب مكان عشر اربعين ففعل فوالله لولا اني رايت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت اشد انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في حديثان الدول منظوما ومثورا وروى جزاما شاء الله ان يكتبوه وبايدي الناس منفرقة كثير منها وتسمى الملاحم وبعضها في حديثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الخليفة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعها المنسوب اليه فن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرارة من بحر الطويل على روى الراوي متداولة بين الناس وتحسب العامة انها من الحديثان العام فيطلقون الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة ملوثة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكروا فيها استيلائهم على ستة من يدمو الى بني جود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بيد اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

طربت وما ذاك مني طرب * وقد يطرِب الطائر المغضب

وما ذاك مني للهو اراه * ولكن لتذكر بعض السبب

قريمان خمسمائة بيت او الف فيما يقال ذكر فيها كثير من دولة الموحدين واسرارهم الى القاطمى وغيره والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملحمة من الشعر الزجل منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرائات لعصره العلويين والحسين وغيرهما وذكروا فيها قبلا بغاس وكان كذلك فيما زعموه واوله

في صبح ذا الازرق لشرفه خبارا * فافهموا يا قوم هذي الاشارا

نجم زحل اخبر بنى العالما * وبذل الشكلا وهي سلاما

شاشية زرقا بدل العالما * وشاش ازرق بدل الغرارا

قد تم ذا التجنيس لانسان يهودى * يصاب ببلدة قاس في يوم عيد

حتى يجبه الناس من البوادي * وقتله يا قوم على الفراد

وابياته نحو الخمسمائة وهي في القرائات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة

(٢٦ - ابن خلدون)

ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون فعلق الفلاح على الصبر والتقوى يعني اصبروا على ما فرض

الله عليكم وصابروا عدوكم وربطوا فيه قولان قبل رابطوا على الجهاد والثاني رابطوا على انتظار الصلوات بدليل ما روى أبو هريرة رضى

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادلكم على ما يحيط الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسبغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا (٢٠٢) الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذا لكم الرباط (وقال) الحسن في قوله تعالى

من عروض المتقارب على روى الباع في حديثان دولة بني ابي حنيفة بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابرار وقال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابو علي بن باذيس وكان بصيرا بما يقوله وله قدم في التبحر فقال لي ان هذا ابن الابرار ليس هو المحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وانما هو رجل خياط من اهل تونس توأمت شهرته مع شهرة المحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى يشهد هذه الابيات من هذه المحنة وبقي بعضها في حقل مطاعها

هذري من زمن قلب * يغرب بارقه الاشنب
ويبعث من جيشه قائدا * ويبقى هناك على رقب
فتأني الى الشيخ اخباره * فيقبل كالجمل الاجرب
ويظهر من عدله سيرة * وتلك سياسة مستجلب

ومنها

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فاما رايت الرسوم انجمت * ولم يرفع حق لذي منصب
نخذ في الترحل عن تونس * وودع معالمها واذهب
فسوف تكون بهافنة * تضيق البرى الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ملحمة اخرى في دولة بني ابي حنيفة هؤلاء بتونس فيها بعد السلطان ابي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها

وبعد ابي عبد الله شقيقه * ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن الملاحم في المغرب ايضا الملحمة المنسوبة الى الهوتى على لغة العامة في عروض البلاد التي اولها

دعني بدعي الهتان * فترت الامطار ولم تقتر
واستقت كلها الويدان * وانى تلى وتنغدر
البلاد كلها تروى * فاولى ما ميل ما تدرى
ما بين الصيف والشتوى * والعام والربيع تجرى
قال حين صحت الدعوى * دعنى نبكى ومن عذر
انادى من ذى الزمان * ذا القرن اشتد وتقرى

وهي طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليهم الواضع لانهم لم يصح منها قول الا على تأويل تحرفه العامة او انما عرف فيه من ينتحها من الخاصة ووقفت بالشرق على ملحمة منسوبة لابن العربي الحاتمي في كلام طويل شبه انما لا يعلم تأويله الا الله لتحلله اوراق عديدة ورموز مغرقة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقطوعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي آخرها قصيدة على روى اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غير ما سمعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لابن سيدنا وابن عقوب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يؤخذ من القرائن ووقفت بالشرق ايضا على ملحمة من حديثان دولة الترتك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى قوله فاما رايت اصد له فان رايت زبدت ما وادغمت في ان الشرطية المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية قاله نصر اه

واذا بتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتهم قال ابتلاه بالكوكب فصبروا ابتلاه بدمج ابنه فصبروا وقال سبحانه وتعالى استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين فبدأ بالصبر قبل الصلاة ثم قال قولا عظيما فجعل نفسه مع الصابرين دون المصلين وقال النبي عليه الصلاة والسلام لا انصار ما يكن عندي من خير فان ادخره عنكم ومن يستغف يعف عنه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما اعطى احد عطاء خيرا وسع من الصبر (وقال ابن مسعود) قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقال رجل من الانصار والله انها القسمة ما اريد بها وجه الله فاجبرت النبي عليه الصلاة والسلام فشق عليه وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لما كن اخبرته ثم قال قد اودى موسى باكثر من هذا فصبر (وروى) ان النبي عليه الصلاة والسلام مر على امرأة تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عنى فانك لم تصب بمثل مصيبتى فلما قبل لها هذا يقول الله جاءت اليه

باعتذر انهم تعرفه وقالت سا صبر فقال النبي عليه الصلاة والسلام انما الصبر عند الصدمة الاولى ويحمل هذا الحديث وجهين اما الطائفة فقال معناه ان الصبر المحمود عند اول نزول المصيبة وقد فائق بالجزع واما القاسي فقال معناه

البا جريق

ان الصدمة الاولى وقت امرها النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر وكان هذا تعليم الكل من فاته الصبر بذهول او نسيان او غلبة (و تروى)
ان النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة (٢٠٣) (وفي منشور الحكم) قالت الصحبة انا لاحقة بارض

المغرب قال الجوع وانام معك
قال الايمان انا لاحق بارض
الحجاز قال الصبر انا معك
قال الملك انا لاحق بارض
العراق قال الفلك انا معك
(واعلم) ان العجلة خرق
ومخرجه من قلبه العقل
واخرق من ذلك التفريط
في الامر بعد القدرة ومثل
ذلك كالقدر على النار ان
كان مأواه قليلا غلبت بيسير
من النار وان كانت مملوءة
لم تغل حتى تكثر نارها
وتطول مدتها وفي كتاب
طاويعان خرد وليس
للحجم كتاب مثله قال محرم
على السامع تكذيب
القاتل الا في ثلاث هن غير
الحق صبر الجاهل على
مضض المصيبة وعاقل
أبغض من أحسن اليه
وجاهة أجمت كنه

*(فصل) * واعلم ان
الصبر على أقسام صبر على
ما هو كسب للعبد وصبر
على ما ليس بكسب فالصبر
على الكسب على قسمين
صبر على ما أمر الله تعالى به
وصبر على ما نهى الله عنه
فاما الصبر على ما ليس
بكسب للعبد فيك صبره
على مقاساة ما يتصل به
من حكم الله تعالى فيما
له فيه مشقة وينقسم من

البا جريقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفر يا سائل * من علم جفر رضى والد الحسن
فافهم وكن واعيا حقا وجملة * والوصف فافهم كعمل الحاذق القطن
أما الذي قبل عصرى لست أذكره * لكنني أذكر الا تى من الزمن
بشهر بيسر يبقى بحاء بعد خستها * وجاءهم بيم بطيش نام في الكفن
شين له أثر من تحت سرته * له القضاء قضى أى ذلك الممن
فصر والشأم مع ارض العراق له * وأذربيجان في ملك الى اليمن
وآل بوران لسانال طاهرهم * الفاتك الباتك المعنى بالسمن
لخلم سين ضعيف السن سين اتي * لالوفاق ونون ذى قسرن
قصرم شجاع له عقل ومشورة * يبقى بحاء وابن بعد ذومين
من بعد دباء من الاعوام قتله * يلى المشورة ميم الملك ذواللسن
هذا هو الاعرج الكلي فاعن به * في عصره فتن ناهيك من فتن
يأتى من الشرق في جيش يقدمهم * عار عن القاف قاف جـ دبالقتن
بقتل دال ومثل الشأم أجمعها * أبدت بشجوع على الاهلين والوطن
اذا أتى زلزلت يا ويح مصر من الزلزال مازال حاء غـ ير مقتطن
طاه وطاء وعين كاهـم حبسوا * هلكا ويتقى أمـ والابلان
يسير القاف قافا عند جمعهم * هون به ان ذاك الحصن في سكن
وينصـ جون أخاه وهو صالحهم * لاسلم الالف سين لذكابني
تمت ولايتهم بالحساء لأحد * من السنين يدانى الملك في الزمن

ومنها

ومنها

ومنها

يقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم ابيه عليه عصر

يأتى اليه أبوه بعد هجرته * وطول غيبته والشظف والزور

وأبياتها كثيرة والغالب أنها موضوعة ومثل صنعها كان في القديم كثير او معروف الانتحال (حكى)
المؤرخون لاخبار بغداد أنه كان بها أيام مقتدر وراق ذكى يعرف بالديان الى بيل الاوراق ويكتب فيها
بخط عتيق برزقيه بحر وف من أسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من أحوال الرفعة
والجاه كأنها ملاحم ويحصل على ما يريد منهم من الدنيا وأنه وضع في بعض دفاتره ميم مكررة ثلاث مرات
وجاءه الى مقلع مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مقلع مولى المقتدر وذكرك عنه ما يرضاه ويناله من
الدولة ونصب لذلك علامات يمويه بها عليه فبذل له ما أغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على
مقلع هذا وكان معزولا فخاه باوراق مثلها وذكرا اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وأنه يلى
الوزارة ثلاثى عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا في أيامه وأوقف مقلعا
هذا على الاوراق وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع وعلم يقع ونسب جميعه الى
دانيال فأعجب به مقلع ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك
سببا لوزارته بمثل هذه الحيلة العريضة في الكذب والجهل بمثل هذه الانغاز والظاهر ان هذه المحمة التي
يتسببونها الى البا جريقي من هذا النوع * ولقد سألت أكمل الدين ابن شيخ الخنقية من العجم بالديار

وجه آخر على اربعة اقسام فأول أقسامه وأولها الصبر على امثال امر الله سبحانه والانهى عنه والثاني الصبر على ما فات ادراكه
من ميرة أو نقص أو فاته من مصيبة والثالث الصبر فيما ينتظر وروده من رغبة يرجوها أو يخشى حدوثه من رغبة يخافها والرابع

الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف وجميع أقسامه محمود بكل لسان وفي كل ملة وعند كل أمة مؤمنة أو كافرة (وقال أئمة من صنف) من صبر طفر (وقال (٣٠٤) علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه) الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينيو

(وقال أريدشير) الصبر
الدرك (وقال) عليه
الصلاة والسلام الصبر
ضياء وبالصبر يتوقع
الفرج (وقال) عليه الصلاة
والسلام الصبر ستر من
الكر ووب وعون على
الخطوب (وقال ابن عباس)
أفضل العدة الصبر عند
الشدة (وقال عبد المجيد
الكاتب) لم أسمع أعجب
من قول عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لو كان الصبر
والشكر مطيتين ما باليت
أيهما ركبت (وقال) بعض
الحكماء بالصبر على مواقع
المكر وه تدرك الخطوط
(وقال) ابن المقفع في كتاب
الائمة الصبر صبران فاللثام
أصبر أجساما والكرام أصبر
نفوسا وإيس الصبر الممدوح
صاحبه أن يكون قوي
الجسد على الكد والعمل
فان هذا من صفات الجبر
ولكن ان يكون للنفس
غلبا بالأموال ومحملا
ومحاشه عند الحفاظ مرتبطا
(وفي منشور الحكمة) من
أحب البقاء فليعد للصائب
قلبا صبوراً (وقال)
نيرجه لم أره - برأعي
تقل الدول كالصبر ولا
مدلا للعدا كالنجم ولا
مكسبة للأجل كالتوفي

المصرية عن هذه المحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية وهو الباجري وكان عارفا
بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يتحدث عما يكون بطريق الكشف
ويوصي الى رجال معينين عندهم ويلغز عليهم بحروف يعينها في ضمنها لمن يراه منهم ويرى ما يظهر نظم ذلك في
آيات قليلة كان يتعاهد ما فتت وقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها المحمة رموزة وزاد فيها الخراصون من
ذلك الخمس في كل عصر وشغل العامة بفك رموزها وهو أمر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف
قبله ويوضع له وأما مثل هذه الحروف فلا تنها على المراد منها خصوصية بهذا النظم لا يتجاوزها رأيت من
كلام هذا الرجل الفاضل شفاها كان في النفس من أمر هذه المحمة وما كثر انتهت لى لولا أن هذا الله
والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

(الفصل الرابع من الكتاب الاول)

في البلدان والامصار وما أثر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

(فصل) في أن الدول أقدم من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك وبيانه ان البناء واختطاط
المنازل انما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر عن البداوة
ومنازعها وأيضاً فالمدن والامصار ذات مياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير وهي موضوعة للعوم ولا
للخصوص فتحتاج الى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم بها
البسوى حتى يكون نزوعهم اليها اضطراراً بل لا بد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه مضطهدين بعض
الملب أو مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يفي بكثرة الا للملأ والدولة فلا بد في تصير الامصار واختطاط
المدن من الدولة والملأ ثم اذا بنيت المدينة وكل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال
السمائية والارضية فيها فاعمر الدولة حينئذ عمر لها فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء
الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة طويلاً ومدتها منقصة فلا تزال المصانع فيها تناد
والمنازل الرحبة تكثر وتتعددون نطاق الاسواق يتباعدون وينفصالح الى أن تنسح الخطة وتبعده المسافة
وينفصالح ذراع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها * ذكر الخطيب في تاريخه ان الجسامات بلغ عددها
بغداد لعهد المأمون خمسة وستين ألف جسام وكانت مشغلة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز
الأربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لا فراط العمران وكذا حال القبروان وقرطبة والمهدية
في الملة الاسلامية وحال مصر القاهرة بعدها فيما يبلغنا هذا العهد وأما بعد انقراض الدولة المشددة للمدينة
فاما ان يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسائط بادية يمد بها العمران دائماً فيكون ذلك
حافظاً لوجودها ويسير عمرها بعد الدولة كما تراها بقاس وبجاية من المغرب وبسراق العجم من المشرق
الموجود لها العمران من الجبال لان أهل البداوة اذا انتهت أحوالهم الى غاياتهم من الرفه والكسب تدعو
الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتأهلون وأما اذا لم يكن لتلك المدينة
المؤسسة مادة تفيدها العمران بترادف الساكن من يدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياسيها فيزول
حفظها ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً الى أن يذعرسا كنها وتخرّب كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق
والقبروان والمهدية وقلعة بني جاد بالمغرب وأمثالها فتنهه - مه وريما ينزل المدينة بعد انقراض مخطيها
الاولين ملأ آخر دولة ثانية يتخذها قراراً وكرسياً يستغني بها عن اختطاط مدينة ينزلها فتخفظ تلك الدولة
سياسيها وتزايد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفعها وتستجد بعمرانها عماراً آخر كما وقع

بقاس

المزاج ولا حجابة للفت كالأعجاب ولا متاعاً للاروة كاستعمال المنزل في موضع الجدد (فأما القسم الاول) وهو

الصبر على امتثال أوامر الله تعالى والانتفاء عن مخاربه فيه يصح اداء القرائض ويستكمل السن ويدخل في قوله تعالى انما يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد (وقال الجنيدي) المسبب من الدنيا سهل هين على المؤمن وهجر الخلق في جنب الله شديد والمسبب من النفس إلى الله شديد (٢٠٥) والصبر مع الله تعالى شديد وسهل

عن الصبر فقال شجرع المرارة من غير تعب يس (وكان حبيب بن أبي

حبيب) إذا قرأ هذه الآية أنا وجدناه صابرا نعم العبد أنه أوأب بكى ثم قال وأعجابه أعطى وأثني (وقال الخواص) الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة (وقال عبد الواحد بن زيد) من نوى الصبر على طاعة الله تعالى صبره الله تعالى عليها وقواه ومن عزم على الصبر عن معصية الله تعالى أعانه الله تعالى

وعصمه منها (وقال عمر بن عبد العزيز) للقاسم بن محمد أوصني فقال القاسم عليك بالصبر في مواضع الصبر (وقال الحسن) الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عما نهى الله عنه وهو الأفضل وإنما يختلف الصبر بالخوف والرجاء فان من خاف شيئا صبر على الفرار منه وصبر عند الكراهية لما يحذر من ضرره ومن رجا شيئا صبر على طلبه لما يقر به (وأما القسم الثاني) وهو الصبر على ما فات إدراكه من مسرة أو تقضت أوقاته من مصيبة فانه يتعجل به الراحة

مع اكتساب المثوبة فان صبر طاعة استراح واحذر الثواب وان لم يصبر جعل الغم والوزر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابتلك ان تصبر حتى عليك القلم وأنت مأجور وان جرت عيناك

بقاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٢ * (فصل في أن الملك يدعو إلى نزول الأمصار)

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الأمصار لآخر من احدهما ما يدعو اليه الملك من الدعة والراحة وحط الاثقال واستكمال ما كان ناقصا من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعة والمشاغبين لان المصير الذي يكون في توحيهم ربما يكون لمجاملهم يروم منازعتهم والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سمو اليه من أيديهم فيعتصم بذلك المصرونيغالبهم مغالبة المصير على نهاية من الصعو بموا المشقة والمصير يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدو ولا عظيم شوكة لان الشوكة والعصا بة انما احتيج اليها في الحرب للثبات لما يقع من بعد كدة القوم بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هؤلاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما يفت في عضد الامة التي تروم الاستيلاء ويخصه دشوكة استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم امصارا تظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحرام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولا وحط اثقالهم وليكون شجافا في حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الأمصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لا رب سواه

٣ * (فصل في أن المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير)

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باجماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متسعة الملك حشرا آلفه من أقطارها وجعت أيديهم على عملها ودرعها استعين في ذلك في أكثر الامر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حل اثنال البناء لعجز القوة البشرية وضعفها عن ذلك كالمخال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ايوان كسرى وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين أو مجتمعين فينجبل لهم اجساما تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها التناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمخال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المنغلبين في البلاد يعانين في شأن البناء واستعمال الخيل في نقل الاجرام عند أهل الدولة المعننين بذلك من العجم ما يشهد له بما قلناه عيانا واكثر آثار الاقدمين لهذا العهد تسمى العامة عادية نسبة الى قوم عادلتوهمهم ان مباني عاد ومصانعهم انما عظمت لجسامهم وتصاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم كايوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بآفر يقية والصنهاجيين وأثرهم بادا الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القيروان وبناء الموحدين في رباط الفتح ورباط السلطان ابي سعيد لعهد اربعين سنة في المنصور بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التي جلب اليها أهل قرطاجنة الماء في القناة الراكبة عليها مائة أيضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل التي نقلت النما أخبار أهلها قريبا وبعيدا وتيقنا انهم لم يكونوا باقراط في مقادير اجسامهم وانما هذا رأى واع به القصاص عن قوم عاد وثمود والعمالة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي أكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جودها ومساحتها وسمكها

صبر طاعة استراح واحذر الثواب وان لم يصبر جعل الغم والوزر (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) للاشعث بن قيس ان تجزع فقد استحق ذلك منك بالرحم وان تصبر ففي ثواب الله تعالى خلف من ابتلك ان تصبر حتى عليك القلم وأنت مأجور وان جرت عيناك

القلم وانت ما زوروا نظمهم أبو تمام فقال وقال علي في التمازي لا شعث وخاف عليه بعض تلك الماس ثم اتصير للبلاوي عزاء وحسبة *
(٢٠٦) خلقنا رجلا للنجاد والعزا * وتلك الايامى للبكا والماس ثم (وقال عمر بن الخطاب)

على المتعامد وانهم لم يبالغون فيما يعتقدون من ذلك حتى انهم لم يزعمون أن عوج بن عناق من جبل العمالة كان يتناول السمك من البحر طريا فيشوي به في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون أن الحر في الماء والبر لا يضره ولا ينعكس الشمس عاكسة على سطح الارض والهواء وأما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضي لا مزاج له وقد تقدم شيء من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها والله يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

٤ * (فصل في أن المياكل العظيمة جدا لا تستقل بينها الدولة الواحدة) *

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدرة البشرية وقد تكون المباني في عظمها أكثر من القدرة مفردة أو مضاعفة بالهدم كما قلناه فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمنة متعاقبة الى ان تتم فيبتدى الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ما نال للعيان يظن من يراه من الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب وان الذي بناه سبأ بن يشجب وساق اليه سبعين وادبا وعاقه الموت عن اتمامه فأتمه ملوك جبر من بعده ومثل هذا ما نقل في بناء قرطاجنة وقتنا الراكية على الحنايا العادية واكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك ايضا ان نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتخريرها مع ان الهدم يسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو الغدم والبناء على خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قوته البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي أسسته مفرطة القوة وانها ليست أبرد دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ابوان كسرى لما اعتزم الرشيد على هدمه وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبس يستشير في ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ما نال يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك المهكل فاتهم في النصيحة وقال اخذته النعرة للجمع والله لا صر عنه وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه واتخذ له القوس ونجى به بالنار وصب عليه الخل حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كاه وخاف النصيحة بعث الى يحيى يستشيره فاني في التجافي عن الهدم فقال يا أمير المؤمنين لا تفعل واستمر على ذلك لئلا يقال عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للأموون في هدم الأهرام التي بصر وجمع الفعلة لهدمها فلم يحل بطائل وشرعوا في نهبه فانتبهوا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منقذ ظاهر ويزعم الزاعمون أنه وجد ركازا بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لبنائهم وتسييد الصنائع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من حدرانها الا بعد عصب الريق وتجتمع له الحوافل المشهورة شهدت منها في أيام صباي كثير والله خلقكم وما تعملون

٥ * (فصل فيما يجب حراماته في أوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن تلك المراماة) *

(اعلم) ان المدن قرار يتخذ الام عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار وما كان ذلك للقرار وماوي وجب أن يراعى فيه دفع المضار بالحماية من

فتو جرام تسلسوا اليها ثم رضي الله عنه لرجل ان صبرت مضي أمر الله وكنت ماجورا وان جرت مضي أمر الله وكنت مأزورا (وقال الحسن) والله لو كلفنا الجزع ما قننا به فالجهد لله الذي أجرا على ما لو نهانا عنه لصرنا اليه وعن هذا قالت الحكماء الجزع اتعب من الصبر ففي الجزع التعب والوزر وفي الصبر الراحة والاجر ولو صور الصبر والجزع لكان الصبر أحسن صورة وأكرم طبيعة وكان الجزع أقبح صورة وأخور طبيعة ولكان الصبر أولاها وبالغلبة لحسن الخلقة وكرم الطبيعة (وقال بعض العلماء) لو وكل الناس بالجزع للجؤ الى الصبر (وقال) شبيب بن شيبه للهدى ان المرء أحق ما صبر عليه ما لم يجد سبيلا الى دفعه وأنشد واذا تصبكت مصيبة فاصبر لها

عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر * (وقال آخر) *

وعوضت أجرا من فقيد فلا تكن فقيدك لا يأتي وأجره يذهب

(وقال) بعض الحكماء ليس بمجموع له الرشيد من تابع التماهي على فائت أو أكثر القرح عند مستطرق طوارقها (وقال) الحكماء ان كنت جازعا على ما نقلت من يدك فاجزع على ما لم يصل اليك ومن أيقن ان كل فائت الى نقصان حسن عزاءه عند

نزول القضاء (وقال الشاعر)

إذا طال بالمحزون أيام صبره * كساه ضنا طول المقام على الصبر ولا شك أن الصبر محمد عليه
ولكن اتفاق عليه من العمر (وقال بغض القدماء) الصبر على أربع مراتب (٢٠٧) على الشوق والاشفاق والزهد والترقب

فن اشتاق الى الجنة سلا
عن الشهوات ومن أشفق
من النار رجح من
المحرمات ومن زهد في الدنيا
تهاون بالمصائب ومن
راقب الموت أقصر عن
الخطيئات (وأما القسم
الثالث) وهو الصبر فيما
ينتظر وروده من رغبة
يرجوها أو يخشى حدوثه
من رهبة يخافها أو بالصبر
والتلطف تدفع عادية ما
يخاف وينال نفع ما يرجو
(قال) النبي عليه السلام
انظر الفرج من الله بالصبر
عبادة (وقال محمد بن بشير)
ان الامور اذا اشتدت
مسالكها

فالصبر يفتح منها كل ما ترجوا
لا تنأسن وان طال مطالبه
اذا استعنت بصبر ان ترى
فرجا

اخلاق بذى الصبر ان يحظى
بحاجته

ومد من الترع للابواب
ان يلجا

(وقال بعض الرواة) دخات
مدينة يقال لها ذفار فبينما

انا اطوف في خرابها اذ رأيت
مكتوبا على قصر خراب

يا من ألح عليه الهن والفكر
وغيرت حاله الايام والغير

اما سمعت بما قد قيل في
مثل

طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها جميعا
سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمتع من الامكنة اما على هضبة متوعدة من الجبل واما باسطة إدارة
بحرا ونهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب مناله على العدو ويتضاعف
امتناعها وحصنها وعمارها في ذلك للحماية من الاقفاق السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض
فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا ومجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعقنة او مروج خبيثه اسرع اليها العفن
من مجاورته فأسرع المرض للحيوان والكائن فيه لا محالة وهذا ما شاهدوا والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء
كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد البحر يدافع بريقه فلا يكاد
ساكنها وطارقها يخلص من حمى العفن بوجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل
البكري في سبب حدوثه أنه وقع فيها حفرة ظهر فيه انا من نحاس مختوم بالرصاص فلما فاض ختامه صعد
منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا لأمراض الحميات فيه وأراد بذلك ان الاناء كان مشغولا
على بعض أعمال الطليسمات لو باثه وانه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والو باثه هذه الحكاية من
مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا
أو يتبين خرفه فنقله كما سمعته والذي يكشف الحق في ذلك ان هذه الاهوية العقنة أكثر ما يهتبه النعمين
الاجسام وأمراض الحميات ركودها فاذا تخرج منها الريح وتفتت وذهبت بها عينا وشما لا خف شأن العفن
والمرض البادى منها للحيوانات والبلدان كان كثير السالكين وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء ضرورة
وتحدث الريح المتخللة للهواء الرادو يكون ذلك معيناله على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد
الهواء معينا على حركته وتموجه وبقي ساكنارا كذا وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند
ما كانت افرريقية مستحقة العجز ان كثرة الساكنين تموج باهلها ومجاها فكان ذلك معينا على تموج الهواء
واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عفن ولا مرض وعندهما خف ساكنها ركدها واثها
المتعفن بفساد مياهاها فكثرت العفن والمرض فهذا وجهه لا غير وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم
يراع فيها طيب الهواء وكانت اولا قليلة الساكنين فكانت أمراضها كثيرة فلما كثرت ساكنها انتقل حالها
عن ذلك وهذا مثل دار الملك بقاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمة تجدد ما
قائمه لك وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيه أمور منها الماء بان يكون البلد على نهر أو بآبارها عيون
عذبة ثمرة فان وجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في
وجوده مرفقة عظيمة عامة وعمارها من المرافق في المدن طيب المرافق لسائمتهم اذ صاحب كل قرار لا بد
له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المدرعى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك
أرفق بحالهم لما يعانون من المشقة في بعده وعمارها أيضا المزارع فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت
مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك أسهل في اقتناؤه وأقرب في تحصيله ومن ذلك النجر للعطب والبناء
فان العطب مما تهم البلوى في اقتناؤه لوقود النيران للاصطلاح والطبخ والخشب أيضا ضروري لسقوفهم
وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم وقد يراعى أيضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية
من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما تدعو اليه ضرورة
الساكن وقد يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعي أو تهاير اعى ما هو أهمل على نفسه وقومه
ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق واfrica فبقية قانهم لم

عند الاياس فابن الله والقدر تم الخطوب اذا احدثها طرقت * واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا فكل ضيق سيأتى بعده سعة *
وكل قوت وشيك بعده الظفر (وتحتمه مكتوب بخط آخر) لو كان كل من صبرا عقب الظفر صبرته ولكن انجد الصبر في العاجل يقضى العسر

ويدين من القبر ما كان أصله لذى العقل موته وهو طفل والسلام (قلت) لو رأيت لكنت تحت في الصبر استعمال الراحة وانتظار الفرج
وحسن الظن بالله وأجر غير (٢٠٨) حساب وفي الجزع استعمال المم ونهك البدن واستشعار الخيبة وسوء الظن بالله وجل الآثم

يراعوا فيها إلا الأهم عندهم من مراعى الأبل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع
ولا الخطب ولا مراعى الساعة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقير وان والكوفة والبصرة وأمثالها ولهذا
كانت أقرب إلى الخراب لم تراع فيها الأمور الطبيعية
(فصل) وعما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر أن تكون في جبل أو تكون بين أمة من الأمم
موقورة العدد تكون صريحاً للدين في متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت
حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبية ولا موضعاً متوَعراً من الجبل كانت في غرة
للبيات وسهل طرقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحقق لها ما يأمن من وجود الصريح لها
وان الحضرة المتوَعدين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كالأسكنة درية من المشرق
وطرابلس من المغرب وبونة وسلاو متى كانت القبائل والعصائب موطنين بقر بها بحيث يبلغهم الصريح
والنغير وكانت متوَعرة المسالك على من يرومها باحتطاطها في هضاب الجبال وعلى استئثارها كان لها بذلك
منعة من العدو يشعرون من طرقها ما يكادونه من وعدها وما يتوقعونه من اجابة صريحها كما في سبتة
وحماية وبلاد القل على صغر هافافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكنة درية باسم الثغر من لدن الدولة
العباسية مع ان الدعوة من وراثتها بركة وافر يقية وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة فيهم من البحر لسهولة
وضعها ولذلك والله أعلم كان طروق العدو للاسكنة درية وطرابلس في الملة مرات متعددة والله تعالى أعلم

(فصل في المساجد والبيوت العظيمة في العالم)

(اعلم) ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعاً اختصها بشريفه وجعلها موطن لعبادته يضاعف
فيها الثواب وينمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السن رسله وأنبيائه لطفاً بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم
وكانت المساجد الثلاثة هي أفضل بقاع الارض حسبما في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس
أما البيت الحرام الذي بمكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه أخره الله ببنايته وان يؤذن في
الناس بالحج اليه فيسأله وابتنة اسمعيل كما نصه القرآن وقام بمسأله أمره الله فيه وسكن اسمعيل به مع هاجر
ومن نزل معهم من جرحهم الى ان قبضهم الله ودفنوا بالحجر منه وهو بيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما
السلام أمرهما الله ببناهما معجده ونصبهما كما ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حو اليه
والمدينة مهاجر نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أمره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبني
معجده الحرام بها وكان ملجأ الشر يف في تربتها فهذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم
وعظمة دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير من عرف فلنشترى الى
شي من الخبر عن أولية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت أحوالها الى ان كل ظهورها في العالم
*(فاما مكة) فاوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه بناها قبالة البيت المعمور ثم هدمها الطوفان بعد
ذلك وليس فيه خبر صحيح يعول عليه وانما اقتبسوه من محل الآية في قوله واذ يرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسمعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرهما من هاجر ما هو معروف
واوحى الله اليه ان يترك ابنه اسمعيل وأمه هاجر بالفلاة فوضعهما في مكان البيت وسارعهما وكيف
جعل الله لهما من اللطف في نبع ماء زمزم ومرور الرفقة من جرحهم بما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا
معهم ما حو الي زمزم كما عرف في موضوعة فاتخذ اسمعيل بموضع الكعبة بيتاً يأوى اليه وادار عليه سد ما حو من
الردم وجعله زمزماً بالغنم وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مراراً لزيارة من الشام أرفق آخرها ببنا الكعبة

مع العقوبة وما أحسن
بذنى العقل اجتناب هذا
والسلام (وقال بعض
البلغاء) من صبر نال المني
ومن شكر حصن النعماء
(وقال الشاعر)

الصبر مفتاح كل خير
وكل شربه يهون
اصبر وان طال الليالي
فربما ساعد المحزون
وربما نيل باصطبار
ما قيل هيئات لا يكون
(وقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله) ما أنعم الله على
عبد نعمة فابتزها منه

وعوضه صبراً الا كان ما
هو ضعه أفضل مما انتزعه
منه وقرأتم ما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب (وروى)
ان جارية كانت لعل بن
أبي طالب رضى الله عنه
تتصرف في حوائجه فكما
خرجت تصدى لها
خياطاً كان بقرب داره على
ويقول لها والله اني
لا أحب لك الله فلما أكثر
من ذلك شكته الى على
فقال لها على اذا قال لك
مرة أخرى فقولى له والله
انى لا أحب لك ما الذى تريد
فعاد ففعل لها ذلك فقالت
له وأنا والله أحب لك فيه فقال
لها تصبرين واصبر حتى
يوفى الصابرون أجرهم بغير

مكان

حساب فخرجت الجارية وأخبرت مولاهما فدعا على رضى الله عنه الخياط فوجد امره على الحكمة فوهبها

له مع نفقة يستعين بها (وقال) على رضى الله عنه الصبر كقيل بالتجاح والتوكل لا يحبطه والعاقلة لا يذل باول نسكبة ولا يفرح باول رفعة

وكان يقال الصبر سلامة والطيش ندامة (وأما القسم الرابع) وهو الصبر على ما نزل من مكره أو حل من أمر مخوف فالصبر فيه تنفخ وجوه
الآراء وتنويع مكاييد الأعداء قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على نبي إسرائيل (٢٠٩) بالصبر وأوقال تعالى واصبر وما

صبرك إلا بالله وقال تعالى
واصبر على ما أصابك إن
ذلك من عزم الأمور
وروي ابن عباس أن
النبي عليه السلام قال إن
استطعت أن تعمل لله بالرضا
في اليقين فافعل وإن لم
تستطع فاصبر فإن في الصبر
على ما تكره خير كثير وأعلم
أن النصر مع الصبر وإن
الفرج مع الكرب واليسر مع
العسر (وقال علي رضي
الله عنه) الصبر مناضل
الحديثان والجزع من
أهـ وإن الزمان * وقال
الحكيم بمفتاح عزيمته
الصبر تعالج مغاليق الأمور
(وأنشدوا)

انما أخرج عما أتني
فأدخل في مالي والجزع
ولما حيس أبو أيوب في
الحبس خمس عشرة سنة
صاقت حيلته وقل صبره
وكتب إلى بعض أخوانه
يشكو طول حبسه وقلة
صبره فرد عليه جواب رفيعه
صبراً يا أيوب صبر مبرح
فأذا عجزت عن الخطوب فن
لها
إن الذي عقد الذي انعقدت
به
عقد المكاره قبل ملك حلها
صبراً فإن الصبر يعقب راحة
قلعها إن تجلج وألها
فلما وقف عليها أبو أيوب

مكان ذلك الزرب فبناه واستعان فيه بانه اسمعيل ودعا الناس إلى حبه وبقى اسمعيل ساكناً به ولما
قبضت أمه هاجر وقام بنوه من بعده بأمر البيت مع أخوالهم من جرهم ثم العماليق من بعدهم واستمر الحال
على ذلك والناس يهرعون إليهم من كل أفق من جميع أهل الخليقة لآمن بنو اسمعيل ولآمن غيرهم عن دناء
أوناي فقد نقل ابن التباينة كانت تحج البيت وتعظمه وإن تبعها كساها الملاء والوصائل وأمر بتطهيرها
وجعل لها مقراً ونقل أيضاً أن القرس كانت تحج وتقرّب إليه وإن غزا إلى الذهب اللذين وجدتهما
عبد المطلب حين احتقر زعم كانا من قريش منهم ولم يرل لجرهم الولاية عليه من بعد ولد اسمعيل من قبل
خواتم حتى إذا خرجت خزاعة وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثروا لاسمعيل وانتشروا وتشعبوا إلى
كنانة ثم كنانة إلى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على أمره وأخرجوه من البيت
وملكوا عليهم يومئذ نصي بن كلاب فبنى البيت وسقاه بخشب الدوم وجريد النخل وقال الأعشى

خلقت بثوبي راهب الدور والى * بناها قصي والمضاض بن جرهم

ثم أصاب البيت سيل ويقال خريق وتهدم وأعادوا بنياءه وجعلوا النفقة لذلك من أموالهم وانكسرت سفينة
بساحل جدة فاشتروا خشب السقف وكانت جدرانها فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً وكان الباب
لاصقاً بالأرض فجعلوه فوق القامة لئلا تدخله السيول وتقصرت بهم النفقة عن إتمامه فقصر وأعن
قواعده وتركوا منه ستة أذرع وشيرا أداروها بحجـ دار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقى البيت على
هذا البناء إلى أن تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحف إليه جيوش يزيد بن معاوية مع الحصين
ابن غير السكوني ورمى البيت سنة أربع وستين فاصابه خريق يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير
فأعاد بنياءه أحسن ما كان بعد أن اختلفت عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لا قولك حديثوه هذا بكفر لرددت البيت على قواعد إبراهيم ولجعلت له
بابين شرقياً وغربياً فهدمه وكشف عن أساس إبراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والأكابرحـ حتى عاينوه
وأشار عليه ابن عباس بالتحرى في حفظ القبة لئلا على الناس فادار على الأساس الخشب ونصب من فوقها
الاستار حفظاً للقبة وبعث إلى صنعاء في القضة والكاس فحملها وسأل عن مقطع الحجارة الأول فجمع منها
ما احتاج إليه ثم شرع في البناء على أساس إبراهيم عليه السلام ورفع جدرانها سبعاً وعشرين ذراعاً وجعل
لها بابين لاصقين بالأرض كما روى في حديثه وجعل فرشها وازدها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفاً
الأبواب من الذهب * ثم جاء الحجاج لمصاره أيام عبد الملك ورمى على المسجد بالمجننيات إلى أن تصدعت
حيطاتها ثم لما ظفر بابن الزبير شاوور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البيت على قواعد
قريش كما هي اليوم ويقال أنه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير لحديث عائشة وقال وددت
أنى كنت جات إلى خبيب في أمر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشـ إبراهيم كان الحجر
وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك ساثرها لم
يغير منه شيئاً فكل البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط طوله ظاهرة للعيان كجدة ظاهرة
بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبع شبه الصدع وقد لحم * ويعرض منها أشكال قوى
لما فاتته لما يقوله الفقهاء في أمر الطواف ويحذر الطائف أن يعيل على الشاذروان الدائر على أساس الجدران
أسفلها فيقع طوافه داخل البيت بناء على أن الجدران إنما قامت على بعض الأساس وترك بعضه وهو مكان
الشاذروان وكذا قالوا في تقبيل الحجر الأسود لا بد من رجوع الطائف من التقبيل حتى يستوي قائماً لا

(٢٧ - ابن خلدون) كتب إليه صبرتي وومظنتي فأنالها * وستجلى بل لا أقول لهاها وبجهاها من كان صاحب عقدها *
كرماه إذ كان يملك حلها فبالبث بعد ذلك إلا أيا ما حتى أطلق مكرها (ولتيم بن المعز) سأسكت صبرا واحداً سأفاني *

أرى الصبر سيفاً ليس فيه قاتل
و يسخر عينا في نفسه لجهول

عذابي ان اشكو الى الناس اتني * عليل ومن أشكو اليه عليل وان الذي يشكو الى غير نافع *
(وانشدوا) دع الدهر يجري بأقداره * ويقضى عجائب أوطاره (٢١٠)

ونم نومة عن ولادة الامور
وخل الزمان بتدواره
فانك ترحم من قد غبطت
وتعجب من قبح آثاره
(وانشدني بعضهم)
ويعني بالشكوى الى
الناس اتني
عليل ومن أشكو اليه عليل
ويعني بالشكوى الى
الله أنه

عليه ما ألقاه قبل أقول
* (ولا آخر) *
اذا ابتليت فتق بالله
وارض به
ان الذي يكشف البؤس
هو الله

البأس يقطع أحيانا صاحبه
لا تبأس فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته
ما لا يرى حيلة فيما قضى الله
وصرف من هذه اللفظة
صابر وصبور وصبار
ومتصبر فالمتصبر من صبر
في الله على المكاره فتارة
يجز وتارة يصبر والصابر
من لا يشكو ولا يججز
والصبار الذي لو دفع عليه
جميع البلاء والحن لم يتغير
وجهه في الحقيقة وان
تغير من وجهه الرسم
والبشرية والخلق كما
قال القائل

صابر الصبر فاستغاث به الصبر
رفصاح الصبور يا صبر صبرا

يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كان الجدران كلها من بناء ابن الزبير وهو ابن ابي على اساس ابراهيم
فكيف يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من هذا الا باحد امرين اما ان يكون الحجاج مدم جبهة واعاده وقد
نقل ذلك جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين البناءين وتمييز أحدهما عن الآخر من اعمالهم
الاخر في الصناعة برذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على اساس ابراهيم من جميع جهاته
وانما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله فهي الاثر مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد ابراهيم
وهذا بعيد ولا محيص من هذين والله تعالى اعلم ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفتين ولم
يكن عليه جدران ايام النبي صلى الله عليه وسلم واني بكر من بعده ثم كثر الناس فاشترى عمر رضي الله عنه دورا
هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جدران دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن
عبد الملك وبناه بعد الرخام ثم زاد فيه المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على
ذلك أمهنا * وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به اكثر من ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله
مهبط للوحى والملائكة ومكانا للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه وواجب محرمه من سائر نواحيه
من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب له غيره فمنع كل من خالف دين الاسلام من دخول ذلك الحرم
واوجب على داخله ان يتجرد من الخيط الا ازارا يسيره وحى العائذ به والرائع في مسارحه من مواقع
الآفات فلا يرام فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحده الحرم الذي يختص بهذه
الحرمية من طريق المدينة ثلاثة أميال الى التنعيم ومن طريق العراق سبعة أميال الى الثنية من
جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة أميال الى بطن غرة ومن طريق جدة سبعة أميال الى منقطع
العشائر * هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها
أيضا مكة قال الأصمعي لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد بكة أبدلوهامميا كما قالوا
لازب ولازم لقرب المخرجين وقال النخعي بالباء البيت وبالميم البلد وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم
للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة
الاسياف وغزى الى الذهب الذين وجدوها عند المطالب حين احتقر زفرم معروفه وقد وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الحب الذي كان فيها سبعة مائة ألف أوقية من الذهب مما كان الملوك
يهدون للبيت فيها ألف ألف دينار مكررة مرتين عاتى قنطار وزنا وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه
يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه هكذا قال الازرق وفي
البخاري بسنده الى ابي وائل قال جلست الى شيبه بن عثمان وقال جلست الى عمر بن الخطاب فقال هممت
ان لا ادع فيها صبرا فراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت ما أنت بفاعل قال ولم قلت فلم يفعله صاحبك
فقال هما اللذان يقتدي بهما وخرجه ابوداود وابن ماجه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس
وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي بن زين العابدين سنة تسع وتسعين ومائة حين غلب على مكة عبد الله بن
الكعبة فأخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا يستفح به نحن احق به نستعين
به على حربنا وأخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ * (وأما بيت المقدس) * وهو
المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة موضع الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما يقربونه
يصبونه على الصخرة التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتخذها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلاتهم
وذلك ان موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني اسرائيل من مصر لتخليدكم بيت المقدس كما وعد الله أباهم

وهذا أقوى بيت قيل في الصبر واحسنه وقريب منه قول القائل صبرت على الايام صبرا صارني * اسرائيل
الى ان ينادي الحال لا صبر للصبر والصبور هو الثابت على هذه الامانات وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخاق باخلاق

وان من اخلاقى انى الصبور ويقال الصبر لله غنى والصبر بالله تقى والصبر فى الله بلاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشدوا
اذ لعب الرجال بكل شئ * رايت الحب يلعب بالرجال وكيف الصبر عن حل منى * (٢١١)

وقال المحاسبى بين الصبر
والتصبر حالة هي النعم
وذلك اذ ارفع الله له علما
من اعلام الاخرة يده
على منازل الصابرين
عنده فينعم القاب بسرور
النعميم وقال ابو حنيفة
الحري يرى الصبر هو ان
لا تفرق بين حال النعمة
والحنة مع سكون الخاطر
فيهما والصبر هو السكون
مع البلاء مع وجدان اقبال
الحبة وانشدوا

صبرت ولم اطلع هو لك على
صبرى

واخفيت ما بي منك عن
موضع السر

بخافة ان يشكرو ضميرى
صبايى

الى دمعى سر افجى ولا
ادرى

وقيل للمعاسي بما اذا
يقوى الصابر على صبره

فقال اذا علمت ان فى صبرك
رضا مولاك اما سمعت

قول الحكيم
رضيت وقد ارضى اذا

كان مستغنى
من الامر ما فيه رضا صاحب

الامر
وفى معناه

ساصبر كي ترضى وانلف
حسرة

اسرائيل واباه اسحق من قبله واقام وبارض التيه امره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها
وصفتها وهياكلها وتماثيلها وان يكون فيها التابوت ومائدة بها قفها ومنازة بقناديلها وان يصنع مذبحا
للقربان وصف ذلك كله فى التوراة اكل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت الذى
فيه الألواح المصنوعة عوضا عن الألواح المنزلة بالكمات العشر لما تكسرت ووضع المذبح عندها وعهد
الله الى موسى بان يكون هرون صاحب القربان وتصبوا تلك القبة بين خيامهم فى التيه يصعدون اليها
ويتقربون فى المذبح امامها ويتعرضون للوحى عندها ولما ملكو الشام وبقيت تلك القبة قبلتهم
ووضعوها على الصخرة بيت المقدس واراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له
ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربعمائة سنة من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام
واتخذ عهده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وغشى أبوابه وحيطان بالذهب وصاغها كاهوتما ثبله
واوعيته ومنازته ومقناحه من الذهب وجعل فى ظهره قبرا ابيض فيه تابوت العهد وهو التابوت الذى فيه
الألواح وجاء به من صهيون بلد ابيه داود تحمله الاسباز والكهنة حتى وضعه فى القبر ووضع القبة
والاوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد واقام كذلك ماشاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانمائة
سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهياكل ونثر الا حجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناه
عزيز بنى اسرائيل اعهد به باعانة يهون ملك الفرس الذى كانت الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي
بخت نصر وحدثهم فى بنائه حدود داود بناء سليمان بن داود عليهم السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم ملوك
يونان والفرس والروم واستعمل الملك لبني اسرائيل فى هذه المدة ثم لبني خيمسان من كهنتهم ثم لصهرهم
هيردوس وابنيهم من بعده وبنى هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتأنق فيه حتى
أكمله فى ست سنين فلما جاء بطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم خرب بيت المقدس ومسجدها
وأمر ان يزرع مكانه ثم أخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم فى
الاخذ بدين النصارى تارة وتركه أخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة وارتمت الى المقدس
فى طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح برعهم فأخبرها القساسة بانه رعى خشبته على الارض وألقى عليها
القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره
برعهم وخربت ما وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة حتى غطاها وخبى
مكانها جزاء برعهم المسافة لونه بقبر المسيح ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذى ولد فيه عيسى عليه
السلام وبقي الأمر كذلك الى ان جاء الاسلام وحضر عمر لفتح بيت المقدس وسأل عن الصخرة فأرى
مكانها وقد علاها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداة وعظم من شأنه
ما أذن الله من تعظيمه وما سبق من أم الكتاب فى فضله حسبما ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك فى تشييد
مسجده على سنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال كما فعل فى المسجد الحرام وفى مسجد الانبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة وفى مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد وازم ملك الروم ان يبعث
القلة والمال لبناء هذه المساجد وأن ينمقها بالقسى بمقساء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما
ضعف أمر الخلافة أعوام الخمسمائة من الهجرة فى آخرها وكانت فى ملكة العبيد بين خلفاء القاهرة من
الشيعية واختلف أمرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فلكوه وملكوه عامه تغورا الشام وبنوا على
الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويقتفرون بيناتها حتى اذا اسقط صلاح الدين بن أيوب

وحسبى ان ترضى ويتلقى صبرى قال شيخنا وشكك لمن تحبه اعظم من شكك لنفسك هذا أيوب لما أصيب بنفسه قال مسنى الضر
ويعقوب لما أصيب بحبيبه قال واسفأ على يوسف قال أجد قال لي أبو سليمان الداراني أتدري بما اذا أزال العقلاء اللائمة عن أساءاتهم

قلت لا قال لعلمهم بان الله تعالى ابتلاهم بذلك فصبروا و يروى ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه اذا نزلت به يدى بلائى فدعاني فساطلته بالاجابة فشكاني فقلت (٢١٢) عبدى ارجلك من شئ به ارجلك وقبل في قوله تعالى فاصبر صبرا جليلا انه الصبر الذي

لا شكوى فيه ولا بث قال انس ماصبر من بث وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تستغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر

ولا يبعث الاخران مثل التذكر وما يعين على عظم الاسى وشدة الجزع تذكر المسار المنقضية وتصور المصار الذاهبة وكثرة الشكوى والاشف وقال الشاعر لا تكثر الشكوى الى

الصديق وارجع الى الخالق لا المخلوق لا يخرج الغريق بالغريق وفي مشور المحكم المصيبة بالصبر اعظم المصيبتين واعلم انه قل من صبر على شدة الاوتال ما يرجوه من فرج وينبغي لمن نزلت به مصيبة او كان في شدة ان يسهلها على نفسه ولا يغفل عن تذكر ما يتيقنه من وجوب القناعة وتقضى المسار فان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادى من لا علم له وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا ثقة له من صغ فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها سوزن

الكردى بملك مصر والشام ومحاثر العبيد دين و بدعهم زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام وذلك نحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك الكنيسة واطهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال مكة قبل ثم اى قال بيت المقدس قبل فكم بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بنى به وهو ينيف على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت عين للعبادة ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة وقد نقل ان الصائبة بنو اعلى الصخرة هيكل الزهرة فاعل ذلك انها كانت مكانا للعبادة كما كانت الجاهلية تضع الاصنام والتماثيل حوالى الكعبة وفي جوفها والصائبة الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فقهه فقه حل هذا الاشكال (واما المدينة) وهى المسماة ببيترب فهى من بناء يثرب بن مهلاثل من العمالقة وملكها بنو اسراييل من ايديهم فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاؤهم بنو قريظة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها اومه ابو بكر و تبعه اصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذى كان الله قد اعد له ذلك وشرفه في سابق ازله وآواه ابناء قبيلة ونصروه فلذلك سمو الانصار وسمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها ووطن الانصار انه يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخاطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان ملجده الشريف بها ووجه في فضلها من الاحاديث الصحيحة ما لا يخفى به ووقع الخلاف بين العلماء في تقضيها على مكة وبه قال مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم لم قال المدينة خير من مكة فنقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث اخرى تدل بظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعي * واصبحت على كل حال ثابته المسجد الحرام وجنح اليها الامم بافئدتهم من كل اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب محكم في امور الدين والدنيا * واما غير هذه المساجد الثلاثة فلا تعلم في الارض الا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت للامم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس وهما كل يونان وبيوت العرب بالحجاز اتى امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها في غزواته وقد ذكر المستعوي منها بيوتا لسانا من ذكرها في شئ اذهى غير مشروعة ولا هى على طريق ديني ولا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفى في ذلك ما وقع في التواريخ فمن اراد معرفة الاخبار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبحانه

٧ * (فصل في ان المدن والامصار باقر بقيمة والمغرب قليلة) *

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف من السنين قبل الاسلام وكان عمرانها كاه بدويا ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تستكمل احوالها والدول التي ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحضارة منها فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مبانهم وايضا

ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وعراها عقاب ومتشابهها عتاب لا خيرها يدوم ولا شرها يبق ولا فيها مخلوق فالصنائع بهاء فاذا تصورت حقيقتها في شئ يرى الحوادث سهلة والمصائب هينة وقال الشاعر عجل ذواللب في نفسه * مصائب من قبل ان تزل

فان ثلث بركة لم ترعه * لما كان في نفسه مثلاً رأى الامر يقضى الى آخر * فصبر آخره اولاً وقال بعض الحكماء من حاذل لم يخذع
ومن راقب لم يهلك ومن كان متوقفاً لم يلق متوجعاً ومن لم يشعر نفسه بما ذكرنا (٢١٣) من احوال الدنيا وتقضى المسار ثم التواء

في اليهوديين اطباق التراب
والجنادل قد فارقه الاحياء
وهجره القرباء والبعدهاء
الفتنة الحوادث وابقا قساوته
الصبر وضاعت عليه
الاشي وقال ابن الرومي
ان البلاء يطاق غير
مضاعف
فاذا تضاعف فهو غير مطاق
وانشدوا
تعودت من الضر حتى
الفتنة

فالصنائع بعدة عن البربر لانهم أعرق في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم المباني بها فلا بد
من الحذق في تعلمها فلما لم يكن للبربر انتمال لمالم يكن لهم تشوف الى المباني فضلا عن المدن وايضا فهم
أهل عصبية وانساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجتمع الى البدو وانما يدعو الى
المدن الدعوة والسكون ويصيرسا كنهاعيا لا على حاميتهما فتجد أهل البدو لذلك يستند كفون عن سكنى
المدينة او الاقامة بها ولا يدعو الى ذلك الا الترف والغنى وقيل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افرريقية
والغرب كاه أو كثر مدو يا أهل خيام وظوا عن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله
أو كثر قري وأما مصر وأورسأتق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وأما مالها لان العجم في
الغالب ليسوا بأهل انساب يحافظون عليها ويتناغون في صراحتهم والتحامها الا في الاقل واكثر ما يكون
سكنى البدو ولاهل الانساب لان حجة النسب اقرب واشد فتكون عصبية كذلك وتترع بصاحبها الى
سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالمسالة ويصير عيالا على غيره فافقه موه وقس عليه والله
سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٨ (فصل في أن المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول)

والسبب في ذلك ما ذكرنا من انه في البربر بعينه اذ العرب ايضا أعرق في البدو وابعده عن الصنائع وايضا
فكانوا اجانب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما تم لكومهم لم ينقص الامد حتى تستوفي
رسوم الحضارة مع انهم استغنوا بما وجدوا من مباني غيرهم وايضا فكان الدين اول الامر ما نعام من المغالة
في البنيان والاسراف فيه في غير القصد كما عهداهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع
الخرريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا
في البنيان والزمو السنة تلمزمكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنينا فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن القصد فلما بعد الهد بالدين والتخرج في أمثال هذه
المقاصد وغلبت طبيعة الملل والترف واستخدم العرب أمة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعوتهم
اليها احوال الدعوة والترف فحينئذ شيدوا المباني والمصانع وكان عهد ذلك قريبا انقراض الدولة ولم ينقص
الامد لكثرة البناء واختطاط المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم فالفرس طالبت مدتهم
آلاف من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك العرب الاولى من عاد وحمود والعمالقة والتبابعة
طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت مبانيهم وهما كاهم اكثر عددا وابقى على الايام اثرا
واستبصر في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

٩ (فصل في أن المباني التي كانت تحتها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل)

والسبب في ذلك شأن البدو والبعده عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله والله
اعلم وجه آخر وهو انهم لم يولوا ذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه في المسكان وطيب
الهواء والمياه والمزارع والمراعي فانه بالنفاوت في هذه تتفاوت جودة المصير وردائه من حيث العمران
الطبيعي والعرب يميلون عن هذا وانما يراعون مراعي ابلهم خاصة لا يبالون بالمساءطاب او خبث ولاقل
او كثر ولا يسألون من زكاه المزارع والمتابت والاهوية لا تتقاهم في الارض وتقلهم الحبوب من البلاد
البعيدة وأما الرماح فالقفر مختلف للهاب كاه والظعن كليل لهم بطيها لان الرياح انما تجتث مع القرار
والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في اختطاطها الا

واسلمني حسن العزاء الى
الصبر
ووسع صدري لا اذى كثرة
الاذى
وان كنت احيانا يضيق
به صدري
وحسن لي ياسي من الناس
كاهم
لعلني يصنع الله من حيث
لا أدري
ولبعض الاعراب
تعرفان الصبر بالحر ارجل
وليس على ريب الزمان
معدل
فلو كان يعني ان يرى المرء
حازما
لنائبه أو كان يعني التمدل
لسكان التعزى عند كل
مصيبة
ونازلة بالحر اولى واجل
فكيف وكل ليس يعدو
جمامه

وما لمرى عما قضى الله من رحل فان تكن الايام فتمت بتبدلت بيثوس ونعمى والحوادث تفعل فبالذات مناقاة صليمة
ولا ذلت الذي ليس يحتمل ولكن وجدنا هاتقوسا كريمة فحمل ما لا يستطيع فتحمل وقينا بفضل الله مناقاة قوسنا

فصحت لنا الامراض والناس مهزل * (الباب الثالث والثلاثون في كتمان السر) * قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك (٢١٤) فيكيدوا لك كيدا فلما افشى يوسف رؤياه بشهادة امرأة يعقوب اخبرته اخوته فلما به

مراعي ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للبدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدمنا انه يحتاج اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الامم فعمرها الناس فلاول وهامة من انحلال اهرم وذهب مصيبتهم التي كانت سيياجا لها اتى عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب لحكمه

١٠ * (فصل في مبادئ الخراب في الامصار) *

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة آلات البناء من الحجر والجير وغيرهما مما يعال على الحيطان عند التأتق كالزليج والرخام والبرج والزجاج والفسيفساء والصدف فيكون بناؤها يومئذ بدوياً ولا لها فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثرت كثر الآلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرة المصانع الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق شأنها فاذا تراجع عمرانها وخفست كنهات الصنائع لاجل ذلك فقدت الاجادة في البناء والاحكام والمالاة عليه بالتميق ثم تقل الاعمال لعدم المساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما فتقعد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الآلات التي في مبانيهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاص كثر المصانع والقصور والمنازل بقلة العمران وقصوره عما كان اولاً ثم لاتزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان ينفد الكثير منها حاجة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن الحجارة والقصور عن التتميق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل بناء القرى والمد اشرو يظهر عليها سيما البداوة ثم تفر في التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها به سنة الله في خلقه

١١ * (فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرفه لاهلها وتفاق

الاسواق انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلّة) *

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وانهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافاً لقوت من الخنطة مثلاً لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا انتدب لتحصيله الستة او العشرة من حديد او نجار للآلات وقائم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفخ وتوزيعه على تلك الاعمال واجتمعا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فاهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيره من اهل الامصار ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمة فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب انما هي قيم الاعمال فاذا كثر الاعمال كثر قيمها بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التأتق في المساكن والملابس واستجادة الآنية والمساغون واتخاذ الخدم والمراكب وهذه كلها اعمال تستدعي بغيرها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتفق اسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار لمنحلي ذلك من قبل اعمالهم ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثمانية ثم زاد الترف تابعاً للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستتبطت الصنائع لتحصيلها فزادت قيمها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك ثمانية

ما حل وفي الحديث استعينوا على قضاء الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود واعلم ان كتمان السر من الخصال المحمودة في جميع الخلق ومن الاوازم في حق الملوك ومن الفرائض الواجبة على الوزراء وجلساء الملوك والاتباع قال علي رضي الله عنه سر ك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم ان أمناء الاسرار اشد تعذراً وقل وجوداً من أمناء الاموال وحفظ الاموال اسير من كتم الاسرار فان احرار الاموال منعمة بالابواب والاقفال واهراز الاسرار يارزة يذبحها لسان فاطق ويشبهها كلام سابق وعبد الاسرار انقل من عب الاموال وان الرجل يستقل بالحمل الثقيل يحمله ويمشي به ويقله ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه بحمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن حاشه وكأما التي عن نفسه جبلاً وقال عمر بن عبد العزيز القلوب اوعية والشفاة اقلها والاسن مفتاحها فاحفظ كل امرئ

مفتاح سره ومن اعجب الامور ان اغلاق الدنيا كلها كثر خزائنها كان اوثق لها الا السر فانه كلما كثر خزائنه كان اضعف له وكمن اظهر اسراراً دم صاحبه ومنع من بلوغ ما آربه ولو كتمه أمن من سطواته قال النوشري وان من

حُصِّنَ سِرُّهُ فَلَهُ بِتَخَصُّصِهِ خَصْلَتَانِ الظُّفْرُ بِحَاجَتِهِ وَالسَّلَامَةُ مِنَ السُّطُوتِ وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَّامِ سِرُّكَ مِنْ دَمِكَ فَلَا تُخْبِرْهُ فِي غَيْرِ أَوْدَاجِكَ
فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهِ فَقَدْ آرَقَتْهُ وَكَانَ لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَاتِبٌ يَقَالُ لَهُ جِرَانُ (٢١٥) فَاشْتَكَى عِثْمَانُ فَقَالَ كَتَبَ الْعَهْدُ

بَعْدِي أَعْبَدُ الرَّجُلَ بِنِ عَوْفٍ
فَقَالَ جِرَانُ لِعَبْدِ الرَّجُلِ
الْبَشْرَى فَقَالَ عَبْدُ الرَّجُلِ
لِلْبَشْرَى بِمَاذَا فَخَبِرَهُ
الْخَبِيرُ فَأَنْطَلَقَ عَبْدُ الرَّجُلِ
فَاخْبَرَ عِثْمَانَ فَقَالَ عِثْمَانُ
أَعَاهِدَ اللَّهِ أَنْ لَا يَسَاكُنُنِي
جِرَانُ أَبَدًا وَنَقَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ
فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَتَلَ عِثْمَانُ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاعْلَمْ أَنَّ
كَيْتَانَ الْأَسْرَارِ يَدُلُّ عَلَى
جَوَاهِرِ الرُّجُلِ وَكَيْتَانُهُ لَا خَيْرَ
فِي آتِيَةِ لَا تَمْسُكُ مَا فِيهَا فَلَا
خَيْرَ فِي إِنْسَانٍ لَا يَمْسُكُ سِرَّهُ
وَيُرَوِّى أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَ
سِرَّهُ عِنْدَ رَجُلٍ فَقَالَ لَهُ
أَفْهَمْتَ قَالَ بَلْ جَهَلْتُ
قَالَ أَحْفَظْتَ قَالَ بَلْ نَسِيتُ
وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ كَيْفَ كَيْتُكَ
لِلسَّرِّ قَالَ أَجِدُ الْخَبْرَ وَأَحْفَظُ
لِلْمُسْتَخْبِرِ وَقَالَ الشَّاعِرُ
وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى كَيْتَانِ
مَا اشْتَمَلْتُ
مِنِ الضَّلُوعِ عَلَى الْأَسْرَارِ
وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى
سِرَّائِهِ
إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا
عَلَى خَطَرٍ
قَالَ شَيْخُنَا وَمَنْ أَحْسَنُ شَيْءٍ
سَمِعْتُهُ فِي كَيْتَانِ السَّرِّ
مَا أَشَدُّ نِيَّةَ بَعْضِ قَهَّاءِ
الْبَصْرَةِ بِالْبَصْرَةِ فَقَالَ
وَلَهَا سِرٌّ فِي الضَّمِيرِ طَوِيلٌ بِهَا

وَنَقَعَتْ سُوقَ الْأَعْمَالِ بِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا
تَخْتَصُّ بِالْتَرْفِ وَالْغِنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمَصْرَ إِذَا فَضَّلَ بِعَمْرَانٍ وَاحِدَ فَضْلِهِ
بِزِيَادَةِ كَسْبٍ وَرَفْعٍ وَبِعَوَائِدٍ مِنَ التَّرْفِ لَا تَوْجِدُ فِي الْأَخْرِفَةِ كَانَ عَمْرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرًا وَأَوْفَرَ كَانَ
حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرْفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ الْمَصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالْمُنَاجِرِ
مَعَ التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوقِ مَعَ السُّوقِ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ الشَّرْطِيِّ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي
الْمَغْرِبِ مِثْلًا بِحَالِ قَاسٍ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ أَمْصَارِهِ الْأُخْرَى مِثْلَ بَحَايَةِ تِلْكَ سَانَ وَسَبْتَةٍ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى
الْجَمَلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ بِقَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتِلْكَ سَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صَنْفٍ مَعَ
صَنْفٍ أَهْلِهِ وَكَذَا بِضَاحَالِ تِلْكَ سَانَ مَعَ وَهْرَانٍ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالِ وَهْرَانٍ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ
إِلَى الْمَدَاشِرِ الَّذِينَ اعْتَمَدُوا لَهُمْ فِي ضُرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطُّ وَيَقْصُرُونَ عَنْهَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَتَفَاوُتِ الْأَعْمَالِ فِيهَا
فَكَتَبَهَا كُلُّهَا أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالْمُخْرَجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى نِسْبَتِهِ فَالْقَاضِيِ بِقَاسٍ دَخَلَهُ كَفَاءُ خَرَجِهِ وَكَذَا الْقَاضِيِ
بِتِلْكَ سَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالْمُخْرَجُ أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِقَاسٍ أَكْثَرُ لِنَقَاقِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا
يُدْعُو إِلَيْهِ التَّرْفِ فَلَا أَحْوَالَ أَضْعَفُ ثُمَّ كَذَلِكَ حَالُ وَهْرَانٍ وَقُسْطَيْنَةِ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى
الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تَوْفَى أَعْمَالُهَا بِضُرُورَاتِهَا وَلَا تَعْدُ فِي الْأَمْصَارِ إِذْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُرَى وَالْمَدَاشِرِ فَلِذَلِكَ تَجِدُ
أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضَعْفَاءَ الْأَحْوَالِ مُتَقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِمَا أَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَنفِي بِضُرُورَاتِهِمْ
وَلَا يَفْضُلُ مَا يَتِمُّ ثَلَاثُونَ كَسْبًا فَلَا تَنْفَعُهُمْ كَسْبُهُمْ وَلَهُمْ لَذَلِكَ مَسَاكِينُ مَحَاوِجِ الْأَفْقِ الْبَاقِلِ النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ
حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السَّائِلَ بِقَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السَّائِلِ بِتِلْكَ سَانَ أَوْ وَهْرَانٍ وَاقْدِرْ شَاهِدَتْ
بِقَاسِ السُّؤَالِ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضَاحِيِّ اثْنَانِ ضَحَايَاهُمْ وَرَأْيَتُهُمْ يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرْفِ وَاقْتِرَاحِ
الْمَسَاكِلِ مِثْلُ سُؤَالِ اللَّحْمِ وَالسَّمَنِ وَعِلَاجِ الطَّبِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَسَاعُونَ كَالْغُرْبَالِ وَالْأَنْبِيَةِ وَلَوْ سَأَلَ سَائِلٌ
مِثْلَ هَذَا بِتِلْكَ سَانَ أَوْ وَهْرَانٍ لَا سَتَتَكْرَهُ وَنَجْرُو يَلْغَنُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ وَمَصْرِ مِنَ التَّرْفِ
وَالْغِنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يَقْضِي مِنْهُ الْعَجَبُ حَتَّى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ بِالْمَغْرِبِ يَنْزِعُونَ مِنَ النِّقَةِ إِلَى مَصْرِ
لِذَلِكَ وَلِمَا يَلْغَنُهُمْ مِنْ أَنْ شَأْنَ الرِّفْقِ بِمَصْرِ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِمَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ إِثَارِ
فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَخْرِفَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالِ مَخْزَنَةٍ لَدَيْهِمْ وَأَنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ
وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مَا تَعْرِفُهُ مِنْ أَنَّ عَمْرَانَ مَصْرَ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرُ مِنْ عَمْرَانَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ
فَعَظُمَتْ لِذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ * وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْمُخْرَجِ فَتَسْكَفُ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ
الْمُخْرَجُ وَبِالْعَكْسِ وَمَتَى عَظُمَ الدَّخْلُ وَالْمُخْرَجُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ السَّائِكِينَ وَوَسَّعَ الْمَصْرُ كُلُّ شَيْءٍ يَلْغَنُكَ مِنْ
مِثْلِ هَذَا فَلَا تَسْكَرُهُ وَاعْتَبِرْ بِهِ بِكَثْرَةِ الْعَمْرَانِ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَسْكِينَةِ الَّتِي يَسْهَلُ بِسَبَبِهَا الْبَذْلُ
وَالْإِثَارَةُ عَلَى مَجْتَبِعِهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعِجْمِ مَعَ بَيُوتِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ وَكَيْفَ يَخْتَلِفُ أَحْوَالُهَا فِي
هَجْرَانِهَا وَغَشْيَانِهَا فَإِنَّ بَيُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالثَّرْوَةِ وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيصَةِ مِنْهَا تَكْثُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَقْنِيَّتُهَا بِثَرِّ الْحَبُوبِ
وَسَوَاقِطِ الْقَتَاتِ فَيَزْدَحْمُ عَلَيْهَا غَوَاشِيُ النَّهْلِ وَالْمُخَشَّاشِ وَيَحْفَاقُ فَوْقَهَا عَصَائِبُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بِطَانَا
وَتَعْتَلِي شُجَرًا وَبَعَاوِرَ بَاوِيِ بَيُوتِ أَهْلِ الْخِصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءِ الْكَاسِدَةِ أَرْزَاقَهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَبِيبٌ وَلَا يَحْفَاقُ
بِحَوْهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَايَا بَيُوتِهِمْ قَارَةٌ وَلَا هَرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

تَسْقُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ وَتَغْشَى مَنَازِلَ السُّكْرَاءِ

فَتَأْمَلُ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَاعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْإِنْسَانِيَةِ الْعِجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَقَتَاتِ الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ

نَسَى الضَّمِيرُ بَانَهَا فِي طِيهِ * وَفِي مَعْنَاهُ * وَمُسْتَوْدَعِي سِرِّكَ تَمَكَّنَهُ * عَنْ الْحَسَنِ خَوْفَانِ يَنْبَغِي بِهِ الْحَسَنُ

وَوَخَّفَتْ عَلَيْهِ مِنْ هَوَى النِّفْسِ شَهْرَةً * فَالْوَدْعَةُ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُ النِّفْسُ قَالَ الْعَبَّاسِيُّ أَسْرَ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عِثْمَانَ بْنِ عَنَسَةَ

حديثا قلت لاني ان امير المؤمنين اسرالى حديثا فاحدثك به قال لا من كتم حديثا كان الخبارة ومن اظهره كان الخبارة عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا قلت (٢١٦) يا ابي عبد الله هذا بين الرجل وابيه قال لا يا بني ولكن اكره ان تذلل لسانك بافشاء

الرزق والترفع وسهولتها على من يملكها لاستغنائهم عنها في الاكثر لوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم في العمر ان تايح لكثرة والله سبحانه وتعالى اعلم وهو غني عن العالمين

١٢ * (فصل في اسعار المدن)

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات من الخنطة وما في معناها كالانقلا والبصل والثوم واشباهها ومنها المحاجي والسكالي مثل الادم والقواكه والملابس والمساكن والمرابك وسائر المصانع والمباني فاذا استبحر المصرو كثيرا كنه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناها وغلت اسعار السكالي من الادم والقواكه وما يشبهها واذا قل ساكن المصرو وضعف عمرانه كان الامر بالعكس والسبب في ذلك ان المحبوب من ضرورات القوت فتوفر الدواهي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله لشبهه اوسنته فيعم اتخاذها اهل المصرو اجمع اولا كثيرا منهم في ذلك المصرو وفيما قرب منه لا يد من ذلك وكل متخذ لقوته فتفضل عنه وعن اهل بيته فضله كبيرة تسد خلة كثير من من اهل ذلك المصرو فتفضل الاقوات عن اهل المصرو من غير شك فتخصص اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الاوقات السعوية ولولا احتسار الناس لها لما توقع من تلك الاوقات ان تزداد دون ثمن ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران واما سائر المرافق من الادم والقواكه وما اليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصرو اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصرو اذا كان مستبحرا موفورا العمران كثير حاجات الترف توفرت حيثما الدواهي على طلب تلك المرافق والاسنة تكثرت منها كل بحسب حاله فيقصر الموجد منها على الحاجات قصورا بالغوا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الاغراض ويبدل اهل الرفق والترفع ثمنها باسراف في الغلاء لم حاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كثيرا * واما المصانع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة العمران فسدب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة اليها كان الترف في المصرو بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز اهل الاعمال بحديثهم وامتنان أنفسهم بسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة حاجتهم الى امتنان غيرهم والى اسعمال المصانع في مهنتهم فيبدلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم فراحمة ومنافسة في الاستئثار بها فيعتر العمل والصناعة واهل الحرف وتغلوا اعمالهم وتكثر نفقات اهل المصرو في ذلك واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقله العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصروهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في ايديهم ويحتكرونه فيزوجهم لديهم ويغلون منه على مستامه واما مرافقهم فلا تكثر والى ايضا حاجه بقله الساكن وضعف الاحوال فلا تنفق لديهم شيئا من ماله فيخص بالرخص في سعره وقد يدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الاسواق وابواب الحفر والحياة في منافع وصولها عن البيوعات لما يمسهم وبذلك كانت الاسعار في الامصار اعلى من الاسعار في البادية اذ المكوس والمغارم والقراض قليلة لديهم او معدومة وكثرتها في الامصار لا سيما في آخر الدولة وقد تدخل ايضا في قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلج ويحافظ على ذلك في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم لما اهتم النصارى الى سيف البحر وبلاده المتوعدة الحبيبة الزراعة النكدية النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها وقلعها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من الزيل وغيره لها مؤنة وصارت في فلحهم نفقاتها خطر فاعتبر وما في سعرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اصبط طرهم

السر قال فحدثت به معاوية فقال اعتقك اخي من رقب الخطا وقيل لبعض الملوك ما اضعيب الاشياء على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم سره وقال قيس بن الخطيم اجود بمكنون البلاء دواني سرى عن سألني لصنين اذا جاؤا لاثنتين سر فانه يبيت وتكثر الوشاة فين وان ضيع الاقوام سرا فاني كتموم لاسرار العشير امين يكون له عندي اذا ما ضيعته مكان سويدها القوادمكين قال شيبخنا قلت الناس يقولون اراد بالاثنتين المودع والمودع ولا يبعدان يريد به الشفتين وكان يقال اصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبعده لصديقه فيوشك ان يصير عدوا وقد روى في الحديث عن النبي عليه السلام انه قال اذا حدث الرجل الرجل ثم التفت فهي امانة قلت واذا كانت امانة حرمت فيها الخيانة كالأمانة في الاموال وقال الامير بن حزم انما يتجالس المتحاشان بامانة الله فلا يحل لاحدهما ان يقشي على صاحبه ما يكره وقال

هشام بن عروة ما من رجل يتنقص من امانته الا نقض الله امانته وقال جعفر بن عثمان يا ذا الذي اودعني سره * النصارى لا ترجع ان سمعته مني لم اجره قط على فكري * كانه لم يجر في اني وكان عمرو بن العاص يقول ما افشيت سري الى رجل فافشاء

على فليته اذا كان صدرى اضيق به وقال الاخنف بن قيس يضيق صدر اخذه - ثم يستره حتى يحدث به ثم يقول اكنمه على وفي منشور الحكم انقر بسرك ولا توده حازما فيزل ولا جاحلا فيخون وانشدوا
(٢١٧) اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه *

فصدر الذي يستودع السر

اضيق

وفي منشور الحكم من افشى

سره كثر عليه المتأمرون

وقال الشاعر

وسرك ما كان عند امرئ

وسر الثلاثة غير الخفي

(وقال آخر)

ولا تنطق بسرك كل سر

اذا ما جاوزا لثنتين فاشي

(وقال آخر)

تبوح بسرك ضيقه

وتبغى لسرك من يكتم

وكنمانك السر فيمتخاف

وفيما تحاذره آخز

اذا ذاع سرك من مخبر

فانت اذا لمته ألوم

(وقال آخر)

اذا ما ضاق صدرك من

حديث

وأفسته الرجال فن تلوم

وان عاتبت من أفشى

حديثي

وسرى عنده فانا الموم

وقال الحكم ما كنتمه من

عدوك فلا تطعن عليه

صديقك فان لم يكن لك بد

من اذاعته اقرينة تقتضيه

من صديق مساهم او

استشارة ناصح مسالم فن

صفات أمين الاسرار ان

يكون ذاعقل ودين ونصح

ومروءة فان هذه امور تدفع

من الاذاعة وتوجب حفظ

الامانة ومن كانت فيه

النصارى الى هذا المعنى بالاسلام مع سواها الاجل ذلك ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسرار في قطرهم انها القلة الاقوات والحبوب في ارضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل المعمور والحافيا علمناه واقومهم عليه وقل ان يخجلونهم سلطان أسوقة عن فدان أو مزرعة او فح الاقليل من اهل الصناعات والمهن او الطراء على الوطن من الغزاة المجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة وهي اقواتهم وعلوقاتهم من الزرع وانما السبب في غلاء اسرارهم الجيوب عندهم ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاه منابتهم وطيب ارضهم ارتفعت عنهم المئون جملة في الفلح مع كثرة وعمومه فصار ذلك سببا لرخص الاقوات ببلادهم والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

١٣ * (فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران) *

والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من اجل الترف وتعد اذ تلك الحاجات ما يدعوا اليه افتتاج ضرورات وتصريف الاعمال كلها مع ذلك عزيز والمرافق غاية بازديادها الاغراض عليهم من اجل الترف وبالمعالم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنه كثرة بالغة هل نسبة عمرانه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤتمتهم والبدوى لم يكن دخله كثيرا اذا كان ساكنا كان كاسب الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا ولا مالا فتمتد يداه من اجل ذلك سكنى المصر الكبير لغلاء مراحقه وعزلة حاجاته وهو في بدو يسد خلته باقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤتمته فلا يضطر الى المال وكل من يتشوق الى المصر وسكنائه من اهل البادية فسر يعاما يظهر عجزه ويقتضخ في استبطانه الامن يقدم منهم تأمل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فيتمتد يده الى مصر وينتظم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترفعهم وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شيء محيط

١٤ * (فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرقة والفقر مثل الامصار) *

(اعلم) ان ما توفى عمرانه من الاقطار تعددت اهم في جهاته وكثرتا كنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم وعمالهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سبقت ذكره من انها سبب الثروة بما يفضل عنها بعد الوفا بالضروريات في حاجات الساكن من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرت فيعود على الناس كسبا يتأثرون به حسبا نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب فيتمتد يداه لذلك وتتسع احوال ويحصى الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بنفاق الاسواق فيكثر ما لها ويشجع سلطانها وتفتن في التحايل المعاقل والحضون واختطاط المدن وتشديد الامصار واعتبرت بذلك باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق الحزم والهند والصين وناحية الشمال كلها واقطارها واوراء البحر الرومي لما كثر عمراتها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وتعددت مدتهم وحواسرهم وعظمت متاجرهم واهوالهم قالذي شاهدته في هذه المدن احوال تجار الامم النصرانية الواردين على المسيلين بالغرب في رفاههم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يبايعونهم احوالهم وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق الحزم والهند والصين فانه يبايعونهم في باب الغنى والرفعة غرائب تسير الركب ان يجد شهاورا يتلقى بالانكار في غالب الامر

(٢٨ - ابن خلدون) فهو عتقهم مغرب ولا تودع سرك عندهم يستدعونه فان طالب الودية خاشع قال صالح بن عبد القدوس لا تدع سرك الى طالبه منك والطالب للسرك مضيع وفي الجملة اذا زال سرك عن عذبة لسانك فالاذاعة مستوية عليه وان اودعته قلب ناصح محب

فاحتمال مراة الكتمان على قلبك أسهل عليك من التملل بتمليك سرك غيرك واعلم ان افشاء سر غيرك أتيح من اظهار سر نفسك
لانه يروح باحدى وجهتين اما الخيانة (٢١٨) ان كان مؤتمنا او النسيمة ان كان مستخبرا وقال بعض الحكماء لانه يابني كن جوادا

بالمسال في مواضع الحق
ضئنا بالاسرار عن جميع
الخافي فان اجد جود المرء
الاتفاق في وجه البر والجل
بكتوم السر وكان يقال
صدور الاحرار قبور الاسرار
وقال الشاعر

لم تر ان وشاة الرجا
لا يتركون اديما صيحجا
فلا تنفس سرك الا اليك
فان لكل نصيح نصيجا
(وقال غيره)
ما كل مكتوم يباح به
احذر اسائك من جواله
ليس الهـ وى ما كنت
تعرفه

أيام تلعب في جوانبه
هذا هو لو قد فحمت به
ضحك الحسام الى مضاربه
*(الباب الرابع والثلاثون)
في بيان الخصلة التي هي
رهن بسائر الخصال وزعيم
بالمزيد من النعماء والآلاء
من ذي الجلال)*

وهي الشكر قال الله تعالى
بحكايه عن سليمان عليه
السلام وقد آتاه الله ممالك
الدينيا والجن والانس
والطيور والوحش والرياح
تجربى بامر كيف اراد
فلما استمكن ملكه قال
صلى الله عليه وسلم هذا من
فضل ربى ليلنوفى أشكر
أم أ كفر فاعدها نعمة

ويحسب من سمعها من العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية أكثر بارضهم
اولان ذهب الاقدمين من الامم استأثروا به دون غيرهم وليس كذلك فعند الذهب الذي نعرفه في هذه
الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب اقرب وجميع ما في أرضهم من البضاعة فاعلم انما يجلبونه
الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيـ دام وفور لديهم لما جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها
الاموال ولا يستغنوا عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل ذلك واستغروا ما في
المشرق من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فقالوا بان عطايا السكواكب والسهام في مواليد اهل
المشرق أكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب النجومى وبقى عليهم ان يعطوا السبب الارضى
وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تقيد كثرة الكسب
بكثرة الاعمال التي هي سببه فلذلك اختص المشرق بالرقة من بين الاقلاق لان ذلك لجزر الاثر النجومى
فقد فهمت مما اشيرنا لك اولانه لا يستعمل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعته امر لا بد
منه واعتبر حال هذا الرقة من العمران في قطراف يرقية وبرقة لما خف سكنها وتناقص عمرانها كيف
تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى القفر والخصاصة وضعفت جباياتها ففقدت اموال دولها بعد ان كانت
دول الشيعة وصنهاجة بها على ما يبلغ من الرقة وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطياتهم
حتى لقد كانت الاموال ترفع من القبروان الى صاحب مصر لحاجاته ومهماته وكانت اموال الدولة بحيث
جمل جوهر الكاتب في سـ قره الى فتح مصر الفـ حمل من المال يستعديها لارزاق الجنود واعطياتهم
ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون افر يرقية فلم يكن بالتدليل في ذلك وكانت احواله
في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهذا العهد قد أقصر عن ذلك لقصور العمران فيه وتناقصه
فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثر ونقص عن معهوده نقصا ظاهرا محسوسا وكذا ان يلحق في احواله
بمثل احوال افر يرقية بعد ان كان عمرانها متصلا من البحر الرومى الى بلاد السودان في طول ما بين السوس
الاقصى وبرقة وهي اليوم كلها اواكثرها قفار وخلاء وصحارى الاما هو منها بسـ يف البحر او ما يقارب من
التلول والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

١٥ * (فصل في تأمل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها وفسادها وفسادها)

(اعلم) ان تأمل العقار والضياع الكثرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا في عصر واحد
اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها على الحد ولو بلغت احوالهم في
الرقة ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم وتائلهم لتدريجها ما بالوراثة من آباءه وذوى رجه حتى تتأدى
املاك الكثيرين منهم الى الواحد أو ان يكون بحواله الاسواق فان العقار في آخر الدولة
وأول الاخرى عند فناء الحماية وخرق السياج وتداعى المصر الى الخراب تقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها
بتلاشي الاحوال فترخص قيمها وتبطل بالاثمان اليسيرة وتخطى بالميراث الى ملك آخر وقد استجد المصر
شبابه باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له احوال راتقة حسنة تحصل معها الغبطة في العقار والضياع
لكثرة منافعه احيثئذ فترفع قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهو هذا معنى الحواله فيها ويصبح
مالكها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته تخرج عن مثل ذلك واما فوائدها العقار
والضياع فهي غير كافية لما لكها في حاجات معاشه اذ هي لا تفي بعوائدها الترف وأسبابه وانما هي في

كما عدها ملوك الارض ولا حسبها كرامة من الله تعالى عليه كما ظن ملوك الارض بل خاف ان تكون
استدراجا لمن حيث لا يعلم كما قال تعالى في امة ارادها لاكم منبتد زجهن من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدي متين جاء في التفسير اصيب

عليهم النعم وأنسبهم الاستغفار وإنما القرح بما أوتي من الدنيا والغبطة بزهرتها والاعتذار بزخرفها من شدة ما زال كفاها لا ترى إلى قول
قارون اللعين إنما أوتيته على علم عندي وكان جوابه ما قال الله تعالى فخسفناه (٢١٩) وبداره الأرض وما خاف سليمان عليه

السلام أن يكون استدراجا
كان جوابه ما قال الله تعالى
هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك
بغير حساب واعلم أرشدك
الله أن الشكر ليس هو
حافظ النعم فقط بل هو مع
حفظه لها زعيم بزيادة
النعم وأمان من حلول النقم
والشكر على ثلاث مراتب
شكر بالقلب وشكر
باللسان وشكر بالجوارح
فأما الشكر الواجب على
جميع الخلق فشكر القلب
وهو أن يعلم أن النعمة من
الله وحده ولا نعمة على
الخلق من أهل السموات
والأرض إلا وبدأيتها من
الله تعالى حتى يكون
الشكر لله تعالى عن نفسك

الغالب لسد الخلة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان أن القصد باقتناء المالك من العقار
والضياع إنما هو الخشية على من يترك خلفه من الذرية الضعفاء ليكون مرباهم به ورزقهم فيه ونشؤهم
بمائدته ماداموا عاجزين عن الاكتساب فإذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيما ينقسمهم ورعا
يكون من الولد من يعجز عن التكسب الضعيف في بدنه أو آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار قواما
لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائهم وأما التول منه وأجراء أحوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك عنه القليل
أو النادر بحواله الاسواق وحصول الكثرة بالباقعة منه والعالي في جنسه وقيمته في المصرا إلا أن ذلك إذا
حصل ربما امتدت إليه عين الأمراء والولاة واغتصبوه في الغالب أو أرادوه على بيعه منهم ونالت أصحابه
منه مضار ومعاطب والله غالب على أمره وهو رب العرش العظيم

١٦ * (فصل في حاجات المتولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة)

وذلك أن الحضري إذا عظم قوله وكثر له عقار والضياع تأثله وأصبح اغنى أهل المصرو ومقتبه العيون بذلك
وانقسمت أحواله في الترف والغرور إذ زاحم عليهم الأمراء والملوك وغصوبه ولما في طباع البشر من
العدوان تمعد أعينهم إلى طلب ما بيده وينافسون فيه ويتحيلون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في ربة
حكم ساطاني وسبب من المؤاخذة ظاهرة بترغبه ماله واكثر الأحكام السلطانية حائرة في الغالب
إذا عدل الخضر إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة البث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدى
ثلاثون سنة ثم تعود ما كعضوضا فلا بد حينئذ لأصحاب المال والثر والشهيرة في العمران من حامية
تدود عنه وجاء يستعجب عليه من ذي قرابة للمال أو خالصة له أو عصبية يتحاماها السلطان فيستظل بظلالها
ويترتع في أمهاتهم طوارق التعدي وإن لم يكن له ذلك أصبح نهبا بوجوه التحيلات وأسباب الحكام والله
يحكم لا معقب له حكمه

١٧ * (فصل في أن الحضارة في الأمصار من قبل الدول وإنها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها)

والسبب في ذلك أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضرورى من أحوال العمران زيادة تتفاوت
بتفاوت الرفه وتتفاوت الأمم في القلة والكثرة تتفاوتا غير منحصر وتقع فيها عند كثرة النفق في أنواعها
واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها إلى القومة عليه والمهارة فيه وبقدر ما يتزيد من
اصنافها يتزيد أهل صناعاتها ويتلون ذلك الجبل بها وسمى اتصلت الأيام وتعاقبت تلك الصناعات
حذق أولئك الصنائع في صناعاتهم ومهر وأقى معرفتها والعصار بطولها وانفساح أمدها وتكرر
أمثالها تردها استتم كما ورسوخا وكثرت ما يقع ذلك في الأمصار لاستتجار العمران وكثرة الرفه في
أهلها وذلك كله إنما يجي من قبل الدولة لأن الدولة تجمع أموال الرعية وتنقحها في بطانتها ورجالها
وتتسع أحوالهم بالجاه أكثر من اتساعها بالمال فيكون تلك الأموال من الرعايا وخرجها في أهل
الدولة ثم فيمن تعاقبهم من أهل المصروهم إلا كثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم وتزيد عوائدهم
الترف ومذايبهم وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة ولهذا تجد الأمصار التي في
القاصية ولو كانت موفورة العمران تغلب عليها أحوال البداوة وتبعه عن الحضارة في جميع مذاهبها
بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذاك إلا لجواردة السلطان لهم وفيض
أموالهم فيهم كلما يخضر ما قرب منه فاقرب من الأرض إلى أن ينتهي إلى الجوف على البعد وقد قدمنا
أن السلطان والدولة سوق للعالم فالصنائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا بعدت عن السوق

وعن غيرك معرفة نعم الله
تعالى عليك وعلى غيرك
وهذا النوع هو الذي يقال
فيه يجب على العبد أن
يشكر الله على نعمة أسديت
إليه غيره والدليل على أن
الشكر محله القلب وهو
المعرفة قوله تعالى وما بكم
من نعمة فمن الله أي أيقنوا
أنهم من الله وإلى هذه
الكلمة انتهى جميع
مقالات الخلق في الشكر
والدليل عليه أيضا قوله
تعالى ولقد نصركم الله بعدد
وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم

تشكرون أي اتقوني فإنه شكر نعمتي وخلق الله تعالى الحياة نعمة على العبد قال الله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
والعبارة عنه أن يقال الشكر اعتراف القلب بأنعام الله تعالى على وجه الخضوع ويقال فيه الشكر اعتراف بكاف على بساط الشهود بإدانة

حفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر معززة العجز عن الشكر وزوي ان داود عليه السلام قال الهى كيف أشكره وشكرى لك نعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الا ن (٢٢٠) قد شكرتني وقال وهب بن منبه قال داود عليه السلام الهى ابن آدم ليس منه شعرة

الا وتحت نعمة وفوقها منك نعمة فمن أين يكافئها فأوحى الله تعالى اليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما لك من نعمة ففى هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر وذلك بان ترى شكره بتوفيقه ويكون ذلك التوفيق من أجل النعمة فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى وهذا الشكر ايضا واجب ولحمود الوراق اذا كان شكرى نعمة الله نعمة

على له في مثلها يحب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضل

وان طال الایام واتصل العمر

اذا مس بالسر اعلم سرورها وان من بالضرراء عبقها الاجر

فما منهم الا له فيه نعمة تطيق بها الا وهام والسر والجهر

ومن أقر بنعم الله واحسانه فقد أقر بقدر ما كاف لان أحد الا يمكنه ان يوازي

شكر نعم الله تعالى وفي مناجاة موسى عليه السلام الهى جعلت آدم بيدك وبعثت

افئدت البضائع جملة ثم انه اذا اتصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المصروا حدها بعد واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشام نحو ما من ألف وأربعمائة سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في أحوال المعاش وعوائده والتفنن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر احوال المنزل حتى انها لن تؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت الحضارة ايضا وعوائدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة وكذلك ايضا القبط دام ملكهم في الخلافة ثلاثة آلاف من السنين فرسخت عوائد الحضارة في بلادهم مصر وابعقهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسم للكل فلم تزل عوائد الحضارة بهامته وكذلك ايضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بهامته عهد العماليق والتبابعة آلافا من السنين وابعقهم بها ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة التبط والفرس بهامن لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم آلافا من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا ايضا رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما ابعقهم بها من ملك بني أمية آلافا من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت وأما افریقیة والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع الافرنجة الى افریقیة البحر وملكوا الساحل وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة وأوفاز وأهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افریقیة والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلا أول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن استقر منهم بافریقیة والمغرب لم يجد بهامان الحضارة ما يقار فيه من سلفه اذ كانوا بربر متغصنين في البداوة ثم انتقص برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهد وعلى يد ميسرة المطقري أيام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا أحرار العرب بعد واسبتقلوا بامر أنفسهم وان بايعوا الادريس فلا تعدد دولته فيهم عريضة لان البربر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدو بقيت افریقیة لا غالبية ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة بعض الشيء حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القبروان وورث ذلك عنهم كامه ثم صارت الحاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعمائة سنة وانصرفت دولتهم واستحالت صنعة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخر بوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يؤمن فيمن سلف له بالقلعة أو القبروان أو المهدية سلف فتجد له من الحضارة في شؤون منزله وعوائده احواله آثارا متبسة بغير ما يميزها الحضري البصري بها وكذا في أكثر أمصار افریقیة وليس ذلك في المغرب وأمصاره لرسوخ الدولة بافریقیة أكثر امدامند هذه الاغالبية والشيعة وصناعاتها وأما المغرب فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من أهلها اليهم طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكمتها ومعظمها من أهل الاندلس ثم انتقل أهل شرق الاندلس عند جالبية الصاري الى افریقیة فأبقوا فيها وبها صارت من الحضارة آثارا ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافر ون من عوائدها فكان بذلك للمغرب واقر یقیم حظ صالح من الحضارة عني عليه الخلاء ورجع على أعقابهم وعاد البربر بالمغرب الى أديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فآثار الحضارة بافریقیة أكثر منها بالمغرب وأمصاره لما تداول فيها من الدول السالفة أكثر من المغرب ولقرب

وقعت فكيف شكره فقال ان يعلم ان ذلك منى فيكون معرفته بذلك تشكره الى (فصل) وما شكر اللسان فقال الله تعالى فيه واما نعمة ربك فحدث قيل يعني النبوة وقيل يعني القرآن وحكم الآية عام في جميع النعم عوائدهم

وروى النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث
بالنعم شكر وقال تعالى حكاية عن اهل الجنة انهم قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده (٢٢١) قال عامل عمر بن عبد العزيز رحمه

الله لما حفر نهر البصرة
الذي يقال له نهر عمراني
حفرته لاهل البصرة نهر
عذب لهم مشربا وجادت
عنه ولم ار لهم على ذلك شكرا
فان اذنت لي قسعت عليهم
ما اتفقت عليه فكتب
اليه عمر بن عبد العزيز
اني لا احسب اهل البصرة
خلوا من رجل قال الحمد
لله حين حفر لك هذا النهر
وان الله قد رضيها شكرا
من جنته فارض بها شكرا
من نهرك والسلام وحقية
الشكر في هذا القوم
الثناء على الحسن بذكر
احسانه وعلى هذا القول
يوصف الرب تعالى بانه
شكور وحقية فشكر
العبد لله ثناؤه عليه بذكر
احسانه وشكر الله للعبد
ثناؤه عليه باحسانه
واحسان الرب للعبد انعامه
عليه وهذه اللفظة مأخوذة
من قولهم دابة شكورا اذا
أظهرت من العن فوق
ما تعطي من العلف
ويقال وجهه شكورا اذا
كان عتلى الحسن ظاهرا
وفي الحديث يقول الله
تعالى انا والجن والانس
في نياطين اخلق ويعبد
غيري وازرق ويشكر
غيري وقال بعضهم انما

عوائدهم من عوائد اهل مصر بكثرة المتردين بينهم فتعطن له ذا السرفانه خفي عن الناس واعلم انها
أمر متناسبة وهي حال الدولة في القوة والضعف وكثرة الامه والجيال وعظم المدينة او المصرو وكثرة
النعمة واليسار وذلك أن الدولة والمالك صورة الخليفة والعمران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار
وسائر الاحوال وأموال الجباية عائدة عليهم. ويسارهم في الغالب من أسواقهم ومتاجرهم وإذا أفاض
السلطان عطاؤه وأمواله في أهلها انبثت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه فهي ذابحة عنهم في الجباية والخراج
عائدة عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال
الدولة وأصله كله العمران وكثرته فاعتبره وتأمله في الدول تجده والله يحكم لامعقب الحكمة

١٨ * (فصل في ان الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وانها مؤذنة بفساده) *

قد بينا لك في سالف أن المالك والدولة غاية للعبادة وان العمران كله من
بد اوة وحضارة ومالك وسوقه له عمر محسوس كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكنونات عمر محسوسا
وتبين في المعقول والمنقول أن الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه اذا بلغ سن الاربعين وقفت
الطبيعة عن ثرائشها والنمو وبره ثم تأخذ بعد ذلك في الانحطاط فاته لم أن الحضارة في العمران أيضا
كذلك لانه غاية لا يزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة اذا حصلا لاهل العمران دعاهم بطبعه الى
مذاهب الحضارة والتخاق بعوائد الحضارة كما علمت هي الترف واستجادة احواله والكاف
بالصنائع التي تؤتي من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطامح أو الملابس أو المباحي أو القرش
أو الأبنية ولها أثر احوال المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداءة وعدم
التأني فيها واذا بلغ التأني في هذه الاحوال المتزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك
العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها فاستحكام صبغة العوائد التي يعمس
نزعها أو أماد دنياها فالكثرة الحاجات والمؤنات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وبيان
ان المصير بالثلاثين في الحضارة تعظم نفقات اهل الحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فحي كان العمران أكثر
كانت الحضارة أكثر وقد كنا قدمنا ان المصير الكثير العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته
ثم تزيد المالكوس غلاء لان الحضارة انما تكون عند انتهاء الدولة في استقحالها وهو زمن وضع
المالكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والمالكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوق والتجار
كلهم يحسبون على سلعهم وبضائعهم جميع ما يفتقونه حتى في مؤنة أنفسهم فيكون المالكوس لذلك داخلا
في قيم المبيعات وأثمانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجربون وليجة عن
ذلك لتسامحهم من أثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتابعون في الاملاق
والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبايع فتكسد الاسواق ويقسد حال المدينة وداعية
ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران وأما فساد
أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشرقي
تخصيلها وما يود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم القسق
والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في
ذلك والغوص عليه واستجماع الخيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلاية والسرقة
والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم ابصر بطرق القسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه

اني الناس لانهم في موضع صبرهم يحسبون انهم في موضع شكر * (فصل واما الشكر الذي على الجوارح فقال الله تعالى اعملوا آل داود
شكرا اوقليل من عبادي الشكور بفعل العمل شيكرا وقال عطاء دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمر فبقي فقال لها عبيد يا أم

المؤمنين حد ثنا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قبكت وقالت أى شأته لم يكن عجباً انه أثنى في ليلة فدخل بهي في فراشي حتى مسح جأدى جلده (٢٢٢) ثم قال يا ابنه أبى بكر ذرني أتعبد لربى قالت انى أحب قربك فأذنت له

وأطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الأقارب وذوى المحارم الذين تقتضى البذوة الحياء منهم في الاقتداع بذلك وتجدهم أيضاً أبصر بالملك والخدمة يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لاكثرهم إلا من عصمه الله ويموج بحجر المدينة بالسفلة من أهل الاخلاق الذميمة ويحاربهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم عن أهل عن التأديب وغلب عليه خلق الجواروان كانوا أهل أنساب وبيوتات وذلك أن الناس بشر متماثلون وإنما تفاضلوا وتميزوا بالخلق والكتساب القضايل واجتناب الرذائل فن استحكمت فيه صبغة الرذائل باى وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه ذلك نسبته ولا طيب منيته ولهذا تجد كثيراً من أعقاب البيوت وذوى الاحساب والاصالة وأهل الدول منطرحين في العمار متحللين للحرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والفسفة وإذا كثرت في ذلك في المدينة والامة تأذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا متر فيها ففسدها فواقعها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ووجهه حينئذ ان مكاسبهم حينئذ لا تنفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم وإذا فسدت احوال الأشخاص واحد واحد اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الخواص ان المدينة اذا كثرت فيها غرس النار فخرت تأذنت بالخراب حتى ان كثيراً من العامة يتحاشى غرس النار فخر بالدور وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة في النار فخر وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ثم ان النار فخر والليم والسرور وامنال ذلك لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية الحضارة اذ لا يقصد بهما في البساتين الاشكال فقط ولا تغرس الا بعد التفتن في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى منه هلاك المصير وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بهما الا تلون البساتين بنورها ما بين حجر وأبيض وهو من مذاهب الترف * ومن مقاصد الحضارة لانهم مال في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات البطن في الماس كل والملاذ ويتبع ذلك التفتن في شهوات الفرج با أنواع المنالك من الزنا واللواط فيبقى ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزنا فيجمل كل واحد منه اذ هو غير رشدة لان المياه مختلطة في الارحام فتتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدى ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو يؤدى الى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها بالصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان إنما هو انسان باقتداره على جلب منفعته ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعى في ذلك والحضرة لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجز الماس حصل له من الدعة أو ترفع الماس حصل له من المربى في النعيم والترف وكلا الأمرين ذميم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعى في ذلك والحضرة لا يقدر على خلق الانسان بالترف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضا غالباً بما فسدت منه العوائد وطاعتها وما تلونت به النفس من مكائنها كما قررناه الا في الاقل النادر وإذا فسد الانسان في قدرته على اخلاقه ودينه فقد فسدت انسانيته وصار منسجماً على الحقيقة وبهذا الاعتبار كان الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودين في كل دولة فمدتين ان الحضارة هي سن الوقوف لعمر

فقام الى قبر ربه من ماء فتوضأوا كثر صب الماء ثم قام يصلى فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركم فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء باللال قال ذنبه بالضلالة فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً فلم لا أفعل وقد أنزل على ان في خالق السموات والارض فجعل النبي عليه الصلاة والسلام الشكر بالعمل وبين به مراد الكتاب قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكوراً أى كل واحد منهم ما يخلف الاخر فنقائه العمل في أحدهما عمله في الاخر فعمل الاوراد والاعمال بالجوارح شكراً وروى ان النبي عليه السلام قام حتى انتهت قدماه فقبل يارسول الله تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً وقال أبو هريرة دخلت على ابي حازم فقلت له رجلك الله ما شكر العيينين

قال اذا رأيت بهما خيراً أذعته وان رأيت بهما شرّاً استرته قات له فاشكر الاذنين فقال اذا سمعت بهما خيراً العالم حفظه واذا سمعت بهما شرّاً استرته قات فاشكر اليدين قال ان لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حق الله تعالى فيهما قات فاشكر

البطن قال ان يكون أسفله صيرا وأعلامه علمًا قلت فاشكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فان أنت فعلت فانت الشاكر حقاً وفي حكمة (٢٢٣) ادريس عليه السلام ان يستطيع

أحد ان يشكر الله تعالى على نعمة مثل الانعام على خلقه ليكون صانعاً على الخلق مثل ما صنع به الخالق تعالى واذا ثبت ان فعل الطاعات شكر فان فيها ما هو أشد لازمة من غيره فالطاعة في مواساة الفقراء أشبه بكل بالشكر على الغنى من غيرها لانها من جنس النعمة فاذا أردت ان تحرس دوام نعم الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء والطاعة في رفع ذوى الضيقة والنجول والمسكنة بغير مصيبة أشبه بالشكر على رفع قدرك والتتوي به باسمك والطاعة في عزيض الفقراء وتطيق أغذيتهم أشبه بالشكر على العافية من سائر الطاعات والطاعة في الشفاعات عند السلطان وقضاء حوائج الغرياء والاخوان أشبه بذوى الجاه من سائر الطاعات وعلى هذا المثال ينبغي ان يقال سائر نعم الله تعالى على العبد ومن العبارات الجامعة للشكر ان يقال معرفة بالحنان وذكر بالالسان وعمل بالجوارح (فصل) في الكلام على الزيادة قال الله تعالى لئن شكرتم

الاعمال في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم في شأن لا يشغله شأن عن شأن

١٩ (فصل في أن الامصار التي تكون كراسي للملك تخرب بخراب الدولة وانتقاضها) *

قد استقرينا في العمران ان الدولة اذا اختلفت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسى السلطانها ينتقض عمرانه وورما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه أمور (الاول) ان الدولة لا بد في أولها من البدوة المقتضية للتجافي عن أموال الناس والبعيد عن التخذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الحجابة والمغارم التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسى الملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقضت أحوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت أيديها من أهل المصير لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خالق الدولة اما طوعاً او مكرهاً ما يدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير (الامر الثاني) ان الدولة انما يحصل لها المال والاستيلاء بالغلب وانما يكون به العداء والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر احداهما على الاخرى في العوائد والاحول وغلب احدهما المتنافيين يذهب بالمال في الآخر فتكون احوال الدولة السابقة منكورة عند أهل الدولة الجديدة ومستبشرة وقبيحة وخصوصاً احوال الترف فتفقد في عرفهم بتكبر الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتحديد عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير (الامر الثالث) ان كل امة لا بد لهم من وطن هو منشؤهم ومنه أولية ملكهم واذا ملكوا ملكاً آخر صار تبعاً للاول وامصاره تابعة لامصار الاول واتسع نطاق المال عليهم ولا بد من توسط الكرسى تحوم المال التي للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسى الاول وتهوى افئدة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسى الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتنقص حضارته وتعدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسلجوقية في عدولهم بكرسيمهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن مراکش الى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسى في مصر ينحل بعمران الكرسى الاول (الامر الرابع) ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبع اهل الدولة السابقة واشباعها بنحو يلهم الى قضا آخر يؤمن فيه غاياتهم على الدولة واكثر اهل المصير الكرسى اشباع الدولة امام الحامية الذين نزلوا به اول الدولة او اعيان المصير لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شبيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصية فهم باليد والحبسة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة فينتقلهم من مصر الكرسى الى وطنها المتكبر في ملكتها فبعضهم على نوع التغريب والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطيف بحيث لا يؤدى الى النفرة حتى لا يبقى في مصر الكرسى الا الباعة والهمل من أهل الملح والعيارة وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتهم واشباعها من يشتد به المصير واذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم نقص سبل كنه وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد من أن يستتجد عمران آخر في ظل الدولة الجديدة ويحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بخبايا من له بيت على اوصاف مخصوصة فأظهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يختاره ويقترحه

لا يزيدكم فقال قوم انما خاطب الله تعالى بهذا وبقوله ادعوني استجب لكم قومادون قوم والدليل عليه ان ترى من يشكر على الغنى ثم يستل بالفقر ومن يشكر على العافية ثم يستل بالمرض والله تعالى لا يخلف وعده وقال قوم معناه لا يزيدكم نعمة الا خوة فان قيل انما تكون

الزيادة من جنس المزيد عليه فاجابوا ان النعم الدنيوية والاخرية وان تفاضلت واختلفت فنكاهما متجانسة من حيث انها نعمة وقال قوم معناه لازيدنكم خيرا والخير (٢٢٤) والصالح قد يكون في كثير من الاوقات بالذم والسقم ونحوهما فان من سأل الله تعالى

في عطيته ما لا اويصم جسمه وهو يعلم انه ان وهبه المال انفقته في المعاصي او وهبه الصحة صرف صحته الى المشي في الاثم فامنع ههنا موهبة من الله تعالى خيرية وعن هذا قال العلماء منع الله تعالى عطاءه وقال قوم يمكن تقدير الاستثناء فيه اي لئن شكرتم لازيدنكم الا ان تعصوا وافاعاقبكم بالحرمان فاجعل ذلك كفارة لكم وهو واضح من ان اعاقبكم في الآخرة والناس لا يسمون من الذنوب ولو تهيأ ان يسموا من الذنوب لدبت الزيادات قال الله تعالى ولوانهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويزيدكم باموال وبنين وقال قوم الآية خاصة لا محالة اذ لو كانت على عمومها لوجب ان لا يموت من شكر على الحياة قال الشيخ قلت ان الله تعالى وعد الزيادة وقوله الحق وقد جعل الله العبادة علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا اذنا الغنى يشكر الله تعالى باسائه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي اخذ عليه امان

فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي الملوك وشاهدناه وعلماؤه والله يقدر الليل والنهار والسبب الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والملك للامير ان بمثابة الصورة للعادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمه انه لا يمكن ان ينفك كلاك احدهما عن الاخر فالدولة دون الامير لا تنصور والامير دون الدولة والمالك متعذر في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فتتبع السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفك كان فاختلال احدهما مؤثر في اختلال الاخر كما ان عدمه مؤثر في عدمه والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني امية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها متعاقبة على الاميران حافظه لوجوده وبقائه وقرينة الشبه ببعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقبة الفاعلة في مادة الامير انما هي العصبة والشوكة وهي مستمرة على اشخاص الدولة فاذا ذهبت تلك العصبة ودفعتم اعصية اخرى مؤثرة في الامير ان ذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

٢٠ (فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض)

وذلك انه من البين ان اعمال اهل مصر يستدعي بعضها بعضا في طبيعة الامور ان من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل مصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيه ورزقهم منه لعموم البلوى به في مصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في مصر يكون غفلا اذ لا فائدة له من تحله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك اضرة ورة المعاش فيوجد في كل مصر كالحياطة والحداد والنجار واما ما يستدعي له عوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستبحرة في العمارة الاخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانع والدهان والطباخ والصفار والقراس والدبايح واما ما لا ينفك هذه هي متفاوتة وبقدر ما تزيد عوائد الحضارة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك مصر دون غيرها ومن هذا الباب الحمامات لانها لا توجد في الامصار المستحضرة المستبحرة الاميران لما يدعوا اليه الترف والغنى من التمتع ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والرؤساء اليها فيحتطها ويحجرونها احوالها لانها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعانما تهجر وتخرب وتقرعها القومة اذ لا فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبدط

٢١ (فصل في وجود العصبة في الامصار وتغلب بعضهم على بعض)

من البين ان الالتحام والاتصال موجد ود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قد علمناه اضعف مما يكون في النسب وانه يخصل به العصبة بعضها بعضا يخصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالاصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا الجماعات او قرابة وتجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله في فقر قون شيعة او عصابات فاذا نزل المهرم بالدولة وتقلص ظيل الدولة عن القاصية احتاج اهل الامصارها الى القيام على امرهم والتظرف في حماية بلدتهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنقوس بطباعها متطاولا الى الغلب والرياسة فتطمع المشيخة والاعاجم من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينساز كل صاحب به ويستوصون بالاتباع من الموالى والشيعة والاحلاف ويبذلون ما في ايديهم للاوغاد والاشباب

فاذا اذنا الغنى يشكر الله تعالى باسائه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر الذي اخذ عليه امان

لا يتركه او يتركه لغير اهله او يؤخره عن وقته او يمنع حقوا اوجبا عليه فيه من كسوة عريان او اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي

صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانهم يترك ادب أو اخلاق بحق أو
المبهم بذنب كما قال بعضهم أدنى الشكر أن لا تعصى الله بنعمه فان جوارحك كلها (٢٢٥) من نعم الله تعالى عليك فلا تعصها

ويحتمل أن يكون معنى
الآية ثلث شكرتم لا زيدنكم
ان شاء الله الا ترى انه قال
ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤنه منها وكثير من الخلق
يريدون حرث الدنيا ولا
يؤتونه فيكون التقدير
نؤنه منها لمن شاء بدليل
قوله في الآية الاخرى
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
وهكذا قوله تعالى ادعوني
استجب لكم ثم ان كثيرا
من الناس يدعون فلا
يستجب لهم ولكن معنى
الآية استجب لكم ان
شئت ومن شئت بدليل
قوله تعالى فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء وهذا
من باب حل المطلق على
المقيد قال الجنيدي كنت بين
يدي السرى وأنا بن سبيع
سنتين وبين يديه جماعة
يتكلمون في الشكر فقال
لي يا غلام ما الشكر فقلت
أن لا يعصى الله تعالى بنعمه
قال يوشك ان يكون حظك
من الله لسانك فلا ازال أبكي
على هذه الكلمة فان قيل
ما معنى قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وما تحصل من الافعال في
الوجود يمكن احصاؤه قلنا
نعم الله تعالى على وجهين دفع
ومنع فالدفع يمكن احصاؤه
ودفع البلاء بانعم لا يمكن

فيعصو صب كل صاحب به ويتعين الغالب لبعضهم فيعصف على كفايته ليقص من اعنتهم ويتبعهم
بالقتل أو التغير يبتغي يخذلهم الشوكات النافذة ويقل الاظفار الحادشة ويستبد بمصره اجمع ويرى
انه قد استحدث ملكا يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الا صغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض
الخدمة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعظم اصحاب القبائل والعشائر والعصديات
والزخوف والخروب والاقطار والممالك فينتحلون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الالة واعداد
المواكب للسير في اقطار البلاد والتختم والحسبة والخطاب بالتويل ما يستخرج منه من يشاهد احوالهم لما
انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا بها بل انما دفعهم الى ذلك تقاص الدولة والتحام بعض القربان
حتى صارت عصبة وقد يتزعم بعضهم عن ذلك ويجري على مذهب السذاجة فرار من التعريض بنفسه
للتخريب والعبث وقد وقع هذا في اقية هذا العهد في آخر الدولة الخفصية لاهل بلاد البحر يريدون
طرايا من وقاس وتوزرون نقطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقاص ظل الدولة
عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم واستبدوا بها على الدولة في الاحكام والجبابة
واعطوا طاعة معروفة وصفقة محرصة واقطعوا حاجبا من الملاية والملاطمة والانقياد وهم بمنزل عنه
واورثوا ذلك اعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لاعقاب الملوك وخلفهم
ونظام وانفسهم في اعداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة حتى محاذلك مولانا امير المؤمنين ابو
العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة
الفرجانية واستقل بامصار البحر يداهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين
وملكهم عبد المؤمن بن علي ونقلهم كاهم من امارتهم بها الى المغرب ومحمد بن تارك البلاد اثارهم كما نذكر
في اخباره وكذا وقع بسنة لا آخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات
والبيوتات المرشحة للمشيجة والرياسة في المصرو وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدماء
واذا حصلت له العصبة والالتحام بالاولاد لا سباب يحرمه اله المدة دار في تغلب على المشيجة والعلية اذا
كانوا قادين للعصبة والله سبحانه وتعالى غالب على امره

٢٢ * (فصل في لغات اهل الامصار) *

(اعلم) ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجمل الغالبين عليها او المختطين لها ولذلك
كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربي المضرى
قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من التغلب على الامم والدين والملة
صورة للوجود وللكل وكلاهما مواده والصورة مدممة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي
بلسان العرب لسان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان في
جميع عماله كما هو معتبر ذلك في نهج عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها حبلى من كروخديعة
فلبسها الدين اللغات الاجممية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع
عماله لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصارت استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة
العرب وهجر الامم لغاتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ
ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة ثم فسدت اللسان العربي
بجملتهم في بعض احكامه وتغير او اخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمى لسانا حضرى في جميع

(٢٩ - ابن خلدون) احصاؤها وما يدفع الله عنهم مما في مقدوره من ذلك وما يدفع تعالى عن العبد لا يحصى (فصل) ثم عدنا الى
اقوال العلماء والحكماء في الشكر فقال بعض الحكماء موضح الشكر من النعمة وصنع القري من الضيق ان وجدته لم يرم وان عدمه

لم يقيموا جمع حكام العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد الموجد ووصيد المنة وذوقوا مصيبة وجب
أجرها خير من نعمة لا يؤدي شكرها (٢٢٦) وقال بعض الحكماء من أعطى أربعمائة منع أربعمائة أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن

أعطى التوبة لم يمنع القبول
ومن أعطى الاستخارة لم يمنع
الخبرة ومن أعطى المشورة
لم يمنع الصواب وكان يقال
أذاعت النعم بالشكر
فهي أطواق وأذاعت
بالكفر فهي أغلال (قال
حبيب)
نعم أذاعت بشكر لم تنزل
نعمان لم ترفع فهي
مصائب

(وبعث) الحجاج إلى الحسن
بمئتين ألف درهم فقال
الحمد لله الذي ذكرني
(وقال) علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لا تكن
من يعجز عن شكر ما أوتي
ويستغنى الزيادة فيما بقي
ينهي ولا ينتهي ويأمر
الناس بما لا يأتي تحب
الصالحين ولا تعمل بأعمالهم
وتبغض المستبين وأنت
منهم تذكر الموت لكثرة
ذنوبك ولا تدعها في طول
حياتك وقال المغيرة بن
شعبة أشكر من أنعم عليك
وأنعم على من شكرك فإنه
لا يبقا للنعمة إذا كفر
ولا زال لها إذا شكرت
وان الشكر زيادة من النعم
وأمان من النقم (وكان)
الحسن يقول ابن آدم متى
تنفك من شكر النعم وانت
مرت بها كلها شكرت نعمة

أما صار الإسلام وأيضا كثر أهل الأمصار في الملة لهذا العهد من أعقاب العرب المسلمين لها السكين
في ترفها كثر والعجم الذين كانوا يورثوا أرضهم وديارهم واللغات متوارثة فبقيت لغة الأعقاب
على حيال لغة الآباء وان فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئا فشيئا وسقطت لغتهم من حضرة منسوبة إلى
أهل الحواضر والأمصار بخلاف لغة البدو من العرب فاتها كانت أعرق في العروبة ولم تملك العجم
من الديلم والسلاجقة بعدهم بالشرق وزبانية والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع
الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة
الذين بهم أحفظ الدين وصار ذلك ترجيحاً لبقاء اللغة العربية المضربة من الشعر والكلام الأقلية لا
بالأمصار فلما ملك التتر والمغول بالشرق ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة
العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض
الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر
والكلام الأقلية يقع تعليمه صناعات بالقوانين المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسهل الله
تعالى لذلك وربما بقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس والمغرب لبقاء الدين طلباً لها
فانحفظت ببعض الشيء وأما في ممالك العراق وما وراءها فلم يبق له أثر ولا عين حتى أن كتب العلوم صارت
تكتب باللسان العجمي وكذا تدريس في المجالس والله أعلم بالصواب

(الفصل الخامس من السكائب الأول)

(في المعاش ووجوه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مسائل)

(فصل) في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الأعمال البشرية * اعلم ان
الإنسان مفضل بالطبع إلى ما يقوته وسمونه في حالته وأطواره من لدن نشوه إلى أشده إلى كبره والله الغني
وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان وأمن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال وسخر
لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الأنعام وكثير من
شواهد ويد الإنسان ميسورة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخفاف لا يدي البشر منتشرة
فهى مشتركة في ذلك وما حصل عليه بهذا امتنع عن الاستخفاف لا يعرض فالإنسان متى اقتدر على نفسه
وتجاوز ما هو الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضرواته بدفع
الأعواض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالطير المصلح للزراعة
وأمثاله إلا أنها إنما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما يأتي فتكون له تلك المكاسب معاشاً كانت
بمقدار الضرورة والحاجة ورأيا شامخاً ولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل أو المقتضى ان عادت
منفعته على العبد وحصلت له ثمرة من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي ذلك رزقاً قال صلى الله عليه وسلم
إنما لك من مالك ما أكلت فأفريت أو لبست فألبست أو تصدقت فأمضيت وان لم ينتفع به في شيء من
مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى بالنسبة إلى المالك رزقاً والمالك منه حينئذ يسعى العبد وقد ربه يسعى
كسباً وهذا مثل التراث فإنه يسمى بالنسبة إلى المالك كسباً ولا يسمى رزقاً لم يحصل به منتفع وبالنسبة
إلى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقاً وهذا حقيقة مسمى الرزق عند أهل السنة وقد اشترطوا في
تسميته رزقاً ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يملك عندهم لا يسمى رزقاً وأخر جوار النصوص والحرام
كله عن ان يسمى شيء منها رزقاً والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمؤمن والكافر ويختص برحمته

فبعد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها أو قال سقيان لما
جاء البشير إلى يعقوب عليه السلام قال على أي دين تركته قال على دين الإسلام قال الحمد لله إلا أن تمت النعمة (وروي) ان عثمان بن

عقار رضي الله عنه دعي الى قوم لا يأخذهم على رية فافترقوا قبل ان يبلغهم فاعتق عثمان رقية شكر الله تعالى ان لا يكون جرت على يديه فضيحة رجل مسلم (و يروي) ان الحسن بن علي الترمي الركن وقال الهى نعمتى (٢٢٧) فلم تجدى شاكرا وابليتني فلم تجدى

صبرا فلا انت سلبت
النعمة بترك الشكر ولا
انت ادمت النعمة بترك
الصبر الهى ما يكون من
الكريم الا الكرم ولا من
الحافى الا الحفا وقال عون
ابن عبد الله الخير الذى
لا شرفيه الشكر مع العافية
والصبر عند المصيبة
(وروى) ان غلة قالت
اسلمان بن داود عليه
السلام يا نبي الله انا على
قدرى اشكر الله منك وكان
را كبا على فرس ذلول
فخر عنه ساجدا شكر الله
ثم قال لولا انى ابخلك لاسألتك
ان تنزع منى ما اعطيتني
(وقال صدقة بن يسار بينا
داود عليه السلام فى محرابه
اذمرت به دودة فتفكر فى
خالقها وقال ما عبد الله
بخالق هذه فأنطقها الله
تعالى فقالت له يا داود
تجبت نفسك لانا على
قدر ما آتانا الله اذكر الله
واشكر له منك فيما آتاك
(ولمجد الوراق)
الهى لك الحمد الذى انت
أهله
على نعمة ما كنت منك
له أهلا
متى ازددت تقصيرا تزددنى
تفضلا
كانى بالتقصير استوجب
الفضلا

وهذا يته من يشاء ولهم فى ذلك حجج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعى فى
الاقتناء والقصد الى التخصيل فلا بد فى الرزق من سعى وعمل ولو فى تناوله وابتغائه من وجوهه قال
تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعى اليه انما يكون باقدار الله تعالى والمساهمة فالكمل من عند الله فلا بد
من الاعمال الانسانية فى كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملا بنفسه مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتني
من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانسانى كما تراه والالم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله
تعالى خلق الحجر من المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وهما الذخيرة والقنية لاهل العالم فى
الغالب وان اقتنى سواهما فى بعض الاحيان فانما هو لقصد يخص بهما بما يقع فى غيرهما من حوالة
الاسواق التى هماعها بمنزل فلهما أصل المكاسب والقنية والذخيرة واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يقبده
الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من الصنائع فالماقد المقتنى منه قيمة عمله وهو القصد بالقنية اذ
ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع فى بعضها غيرهما مثل التجارة
والحياكة معهما الخشب والغزل الا ان العمل فيهما أكثر فقيمتها أكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد فى
قيمة ذلك المقاد والقنية من دخول قيمة العمل الذى حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيتها وقد تكون
ملاحظة العمل ظاهرة فى الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تنحصر فى ملاحظة
العمل كما فى أعمار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظ فى أعمار الحبوب كما
قدمناه لكنه خفى فى الاقطار التى علاج الفلح فيها وموتته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من اهل الفلح فقد
يبين ان المقادات والمكسبات كلها أو أكثرها انما هى قيم الاعمال الانسانية وتبين معنى الرزق وانه
المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح معهما ما اعلم انه اذا فقدت الاعمال اوقلت بانتفاع
العمر ان تأذن الله برفع الكسب ألا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او
يفقد لقلية الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التى يكون عمراتها أكثر يكون اهلها اوسع احوالا واشد
رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة فى البالد اذا تناقص عمراتها انها قد ذهب رزقها حتى
ان الانهار والعيون ينقطع جريها فى القفر لما ان فور العيون انما يكون بالانبات والامراء الذى هو
بالعمل الانسانى كالحال فى ضروع الانعام فالى كى انبساط ولا امتراء نصبت وغارت بالجملة كما يحف
الضرع اذا ترك امتراؤه وانظره فى البالد التى تعهد فيها العيون لا يام عمراتها ثم يأتى عليها الخراب كيف
تغور مياهها جملة كانها لم تكن والله يقدر الليل والنهار

٢ (فصل فى وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه)

اعلم ان المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى فى تحصيله وهو مقبل من العيش كانه لما كان العيش
الذى هو الحياة لا يحصل الا بهذه جعلت موضعا له على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان
يكون باخذه من يد الغير وابتزازه بالاقتدار عليه على قانون متعارف ويسمى مغرما وجباية واما ان يكون
من الحيوان الوحشى باقتناصه واخذه برمييه من البر أو البحر ويسمى اصطيادا واما ان يكون من الحيوان
الداجن باستخراج فضوله المنصرفة بين الناس فى منافعهم كاللبن من الانعام والحرب من دوده والعسل
من نحله او يكون من النبات فى الزرع والشجر بالقيام عليه واعداه لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله
فلحا واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية اما فى مواد معينة وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة
ونخاطة وحياكة وفروسة وامثال ذلك او فى مواد غير معينة وهى جميع الامتانات والتصرفات واما ان

(وكان) لبعضهم صديق فحبسه السلطان فارس الى به فقال له صاحبه اشكر الله تعالى فى ضرب الرجل فكذب اليه اشكر الله تعالى فى
الحبوسى محبوبون قيد بفعل حلقه فى رجله وحلقه فى رجل الحبوسى يقوم بالليل مرات ويحتاج هذا الى ان يقوم معه ويقف على رأسه

حتى يفرغ فكتب الى صاحبه فقال اشكر الله تعالى فقال الى متى تقول واى بلاء فوق هذا فقال له صاحبه لوضع الزنار الذى فى وسطه
فى وسطك كما وضع القيد الذى (٢٢٨) فى رجله فى رجله ماذا كنت تصنع ولبعضهم ومن الرزية أن شكرى صامت *

عما فعلت وأن برك ناطق
أرى الصنيعة منك
ثم أسرها
انى اذ انشدى الكريم
لسارق

(وقال) رجل لسهل بن
عبد الله ان اللص دخل
دارى واخذ متاعى فقال
اشكر الله تعالى لو دخل
الاص قلبك ومو الشيطان
فاتخذ التوحيد ماذا كنت
تصنع (ولما) بشر ادريس
عليه السلام بالمغفرة قال
المغفرة فقبل له فيه فقال
لا شكره فاني كنت اعمل
قبله للمغفرة فبسط الملك
جناحه فرفعه الى السماء
(ويروى) أن نبيامن
الانبياء عليهم السلام مر
ببحر صخر يخرج منه
الماء الكثير فيحب منه
فانطقه الله تعالى فقال
منذ سمعت الله يقول
وقودها الناس والحجارة
فانا ابكى من خوفه فدعا
النبي عليه السلام ربه
أن يجيره من النار فأوحى
الله تعالى اليه انى أجرته
من النار فخر النبي عليه
السلام ثم عاد فوجد الحجر
يتفجر منه مثل ما كان
فتعجب فانطق الله تعالى
الحجر فقال له لم تبكى فقال
ذلك بكاء الحزن والخوف

يكون الكسب من البضائع واعداها للاعواض اما بالتقلب بها فى البلاد واحتكاكها وارتياب حواله
الاسواق فيها ويسمى هذا التجارة فهذه وجوه المعاش واصنافه وهى معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب
والحكمة كالحرير وغيره فانهم قالوا المعاش اماره ونجارة وفلاحة وصناعة فاما الامارة فليست بمذهب
طبيعى للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من احوال الجبايات السلطانية واهلها فى الفصل
الثانى واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهى وجوه طبيعية للمعاش أما الفلاحة فهى مقدمة عليها كلها
بالذات اذ هى بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تنسب فى الخليفة الى آدم ابى البشر وانه
معلمها والقائم عليها اشارة الى انها قدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة وأما الصنائع فهى ثانیها
ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والانتظار ولهذا لا توجد غالبا الا فى اهل الحضرة الذى
هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثانى للخليفة فانه مستعبطها لمن
بعده من البشر بالوحى من الله تعالى وأما التجارة وان كانت طبيعية فى الكسب فالأكثر من طرقها
ومذاهبها انما هى تحيلات فى الحصول على ما بين القيمتين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك
الفضلة ولذلك اباح الشرع فيه المكاسب لانه من باب المقامرة الا انه ليس أخذ المال الغير مجانا فلهذا
اختص بالمشرعية

٣ (فصل فى ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعى) *

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمه فى سائر ابواب الامارة والمالك الذى هو بسبيله من الجندى
والشرطى والكتاب ويستكفى فى كل باب عن علم غناه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله
مندرج فى الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والمالك الاعظم هو ينبوع جداولهم وأما
مادون ذلك من الخدمة فسيبها ان أكثر المترفين يترفع عن مباشرة حاجاته أو يكون عاجزا عن المسارعة
عليه من خلق التمتع والترفع فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه أجرا من ماله وهذه الحالة غير محجوزة
بحسب الرجولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل أحد عجز ولا نها تزد فى الوظائف والخرج وتبدل على العجز
والخث اللذين ينبغى فى مذهب الرجولية التزعمهما الا ان العوائد تقابل طباع الانسان الى مالوفها
فهو ابن عواده لا ابن نسيبه ومع ذلك فالخدماء الذين يستكفى به ويوثق بغنائه كالمفقود اذا خدم القائم
بذلك لا يعدوا ربيع حالات اما مضطلع بامرهم وموثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فيهما وهو ان يكون
غير مضطلع بامرهم ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالاكس فى احدهما فقط مثل أن يكون مضطعا غير
موثوق أو موثوقا غير مضطلع فأما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن أن يستعمل له بوجه اذ هو
باضطلاعه وثقتة غنى عن أهل الرتب الدنية ومحتقر لمثال الاجر من الخدمة لاقتداره على أكثر من ذلك
فلا يستعمله الا الامراء أهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما الصنف الثانى وهو من ليس
بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغى لعاقل استعماله لانه يحجب عنه دونه فى الامر من معافى ضيع عليه اعدم
الاصطناع تارة وينهب ماله بالخيانة أخرى فهو على كل حال كل على مولاة فهذان الصنفان لا يطمع أحد
فى استعمالهما ولم يبق الاستعمال الصنفين الا خزين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس
فى الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق أرجح لانه يؤمن
من تضيقه ويحاول على التحرر زمن خيانتة جهدا لا استطاعة وأما المضيق ولو كان مأموفا فضرره بالتضيق
أكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قانونا فى الاستكفاء بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك (وانشد بعضهم) ساشكر لا اتي اجازيك منعماً * بشكري ولكن كي يري ذلك الشكر
واذكري اياما لدی اصطفتها * واخر ما يبقى على الشاكر الذكر * (واتشدوا) * (٢٢٩) اوليتي نعماً ابوح بشكرها *

وكفيتني كل الامور باسمها
فلاشكرنك ما حبيت
وان امت
فلتشكرنك اعظمي في قبرها
* (ولبعض الاعراب) *
الهي قد احسنت عودا
وبداة
الى فلم ينهض باحسانك
الشكر
فن كان ذا مذكر ليدك ووجه
فعدري اقرارى بان ليس
لي عذر

(وكان) مطزف يقول
الهي منك تكون النعمة
وعليك تمامها وانت
تعين على شكرها وعليك
ثوابها وهذا باب عظيم من
النعيم على العباد وقد اثني
الله على بعض عباده فقال
انه كان عبداً شكوراً
(وقال) تعالى شاكر الانعمة
اجتباها وكذلك سائر ما اثني
الله تعالى به على عباده ثم
قال فن شكر قائماً يشكر
لنفسه ومن تركي قائماً
يتزكى لنفسه ان احسنتم
احسنتم لانفسكم ليس للرب
تعالى فيها الا قليل ولا كثير
فانه اجل من ان ينال
الحظوظ واجل من ان
يلحقه ثناء من اوشكر
شاكر فاحسب ان العلو
والجلال له دونهم وانه
يتقدس عن الناس يشناه

٤ * (فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكهوف ليس بمعاش طبيعي) *

اعلم ان كثير من ضعفاء العقول في الامصار يحرسون على استخراج الاموال من تحت الارض ويتغنون
الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخزنة كلها تحت الارض مختوم عليها كلها
بطلاسم سحرية لا يفرض ختمها ذلك الامن عثر على علم واستحضر ما يحمله من الخور والدعاء والقربان
فاهل الامصار باقية يرون ان الافرنجة الذين كانوا قبل الاسلام بهادقوا اموالهم كذلك واودعوهافي
الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في اعم القبط
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهت بعض الطالبين لذلك الى حفر
موضع المال عن لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خاليا وممورا بالديدان او يشاهد الاموال والجواهر
موضوعة والحرس دونها منتصبين سيوفهم او يمد به الارض حتى يظنه خسفاً او مثل ذلك من الهدر ونجد
كثيرا من طلبة البربر بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون الى اهل الدنيا بالاوراق
المخزومة الخواشي اما بخطوط عجيبة او بما ترجم برعهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء الامارات
عليها في اما كنها يتغنون بذلك الرزق منهم بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم بانهم انما جعلهم
على الاستعانة بهم طاب الجاه في مثل هذا من منال المحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية يعموه بها على تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع
كثير من ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتقار والتسترفيه بظلمات الليل مخافة الرقباء وعيون اهل
الدول فاذا لم يعثر واعلى شيء ردوا ذلك الى الجهل بالطلسم الذي ختم به على ذلك المال بخادعون به انفسهم
عن اخفاق طامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف العقل انما هو العجز عن طلب
المعاش بالوجوه الطبيعية للكسب من التجارة والفخ والصناعة فيطلبونه بالوجوه المنخرقة وعلى غير المجري
الطبيعي من هذا وامثاله عجزا عن السعي في الكسب وركونا الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب
في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب
وجهد شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لمثال العقوبات وربما يحمل على ذلك في الاكثر
زيادة الترف وعوائده وخر وجهها من حدانها حتى يقصر عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تنفي عنها اليها
فاذا عجز عن الكسب بالمجري الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير
كافة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثروا
تراهم يحرسون على ذلك هم المترفون من اهل الدواة ومن سكان الامصار الكثرة الترف المتسعة
الاحوال مثل مصر وما في معناها فبعد الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن
شواذه كما يحرسون على الكيمياء هكذا بلغني عن اهل مصر في مقاضاة من يلقونه من طلبة المغاربة لعالمهم
يعثرون منه على دفين او كنز يزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه ما يرون ان غالب هذه
الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وانه اعظم ما يستتر دفينا ومخترنا في تلك الافاق ويموه عليهم
اصحاب تلك الدفاتر المفتعلة في الاعتذار عن الوصول اليها بخرية النيل تستر بذلك من الكذب حتى يحصل
على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على تضويب المساء بالاعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه كلها
بشأن السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليه فعلمهم السحرية وآثارها باقية بارضهم في البراري وغيرها
وقصة سحره فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكاه

ممن او كفر كافر قال الله تعالى يدعونكم ليغفركم فواجبا اعطى ثم اثني وقال علي رضي الله عنه كفر النعمة مداعبة المقت ومن جازاك
بالشكر فقد اعطاك اكثر مما اخذ منك وحقيق من اسديت اليه نعمة او قضيت له حاجة ان يكافئ فان لم يقدر فليشكر فان شكرها فقد

أدى حقها (قال الشافعي) فلو كان يستغنى عن الشكر ما جد * لرفعة حال أو علمه مكان * لما أمر الرحمن بالشكر خلقه * فقال اشكروني أيها الثقلان * (وقال البستي) * (٢٣٠) * لن تجزى عن شكر برك قوتي * وأقوى الوري عن شكر برك عاجز

فان ثناني واعتقادي
وطاعتي
لا فلاك ما أوليته مراكز
وقال اسحق بن ابراهيم
الموصلي وقفت علينا امرأة
فقلت يا قوم تغير علمنا
الدهر اذ قل منا الشكر
وفارقنا الغنى وحالفنا
الفقر فرحم الله امرأهم
بمثل واعطى من فضل
وواسى من كفاف واعان
على عقاف (واشدوا)
فلو كان للشكر شخص يبين
اذا ما تأمله الناظر
لمثله لحتى تراه

فتم علم في امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير
يحركه الكلام السائر
(وقيل) لكسرى ما الشكر
فقال المـ كافاة على قدر
الطاعة قيل فما الكفر
قال ترك الجزاء ولو بالثناء
فمثل وهل يكون أحد
أثقل من ينحل بالثناء قال
نعم من عادى على الصنعة
(الباب الخامس والثلاثون)
في بيان السيرة التي يصلح
عليها الامير والمأمور
ويستريح اليها الرئيس
والمرؤس مستخرجة من
القرآن العظيم *

قال الله تعالى وما من
دابة في الارض ولا طائر
يطير يحيا حيه الا امم أمثالكم

المشرق تعطى فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سميرية حسب ما تراه فيها وهي هذه
يا طالب السرفى التغوير * اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم * من قول بهتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي * ان كنت ممن لا يرى بالزور
فاذا أردت تغويرا لثرائي * حارت لما الاوهام في التدبير
صور كصور تلك التي أوقفها * والراس رأس الشبل في التغوير
ويدها ما سكان الجبل الذي * في الدلو ينشل من قرار البير
ويصدده هاء كما عاينتها * عدد الطلاق احذر من التكرير
ويطأ على الطأت غير ملامس * مشي اللبيب الكيس التحير
ويكون حول الكل خطاثر * تربية أولى من التكوير
واذبح عليه الطير والطخه به * واقصده عقب الذبح بالتخير
بالسندروس وباللبان ومبعة * والقسط والبسه بثوب حرير
من حجر أو اصفر لا ازرق * لا أخضر فيه ولا تكدير
ويشده خيطان صوف أبيض * او احمر من خالص التخمير
والطالع الاسد الذي قد بينوا * ويكون بدء الشهر غير منير
والبدن متصل بسعد عطارد * في يوم سبت ساعة التدبير

يعني ان تكون الطأت بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندى ان هذه القصيدة من تمويهاات المتخرفين فاهم
في ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتسمى التخرقة والكذب بهم الى أن يسكنوا المنازل المشهورة
والدور المعروفة مثل هذه ويحفررون الحفروا يصنعون المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف
كذبهم ثم يقصدون ضعاء العقول بامثال هذه الصحائف ويبعثون على اكثر ذلك المنزل وسكناء
ويوهمون أن به دفينان المال لا يعبر عن كثرته ويطالبون بالمسال لا شتراء العقاقير والبخورات محل
الطالسم ويعدونه بظهور الشواهد التي قد أعدوها هنالك بانفسهم ومن فعلهم فينبعث لمسايراهم من ذلك
وهو قد خدع وابس عليه من حيث لا يشعر وبينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم يلبسون به عليهم ليتخفى
عند محاورتهم فيما يتلونونه من حفر وخبور وذبح حيوان وامثال ذلك وأما الكلام في ذلك على الحقيقة فلا
اصل له في علم ولا خبر واعلم أن الكنوز وان كانت توجد لك في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه
القصد اليها وليس ذلك بما رتب به البلوى حتى يدخر الناس أموالهم تحت الارض ويختمون عليهم بالاطالسم
لا في القديم ولا في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضة الفقهاء وهو دفين الجاهلية انما يوجد
بالعنور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضا فمن اخترن ماله وختم عليه بالاعمال المخبرية فقد بالغ في
اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يتبعه ويكتب ذلك في الصحائف حتى يطلع على ذخيره
اهل الاعصار والافتاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضا فافعال العقلاء لا بد وأن تكون اعرض مقصود
في الاتفاقات ومن اخترن المال فانه يختزنه لولد أو قريبه أو من يؤثره واما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل
أحد وانما هو لطلب الاغواء والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية عن سيأتي من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء
بوجه * وأما قولهم اين ام وال الامم من قبلنا وما علم فيها من السكثرة والوفور فاعلم أن الاموال من الذهب

فأثبت الله تعالى الامثلة بيننا وبين سائر البهائم ومعلوم انهم لا يعلموننا في خلقنا واشكالنا وسائر ما تدركه
العين منهم ومنافيتي الامثلة في الاخلاق فلا أحد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلق مختلفة فاذا

رأيت من الانسان خلقا خارجا عن الاعتدال فابصر ما يماثل ذلك الخلق من خالق سائر الحيوان فالحمقه به وعامله كما كنت تعامله فحينئذ
تستريح من منازعتهم ويستريحون منك وتدوم الحجة فاذا رأيت الرجل الجاهل في خلأته (٢٣١) الغليظ في طباعه القوي في بدنه

لا يؤمن طغيانه وافراده
فالحمقه بعالم الغرور والعرب
تقول اجهل من غروانت
اذا رأيت النمر بعدت
عنه ولم تخاضه ولا تسابه
فاسلك بالرجل كذلك
واذا رأيت الرجل الغالب
على أخلاقه السرقة خفية
والنقب ليل على وجه
الاستسار قلنا هذا يماثل
عالم البحر فذدع ملاحاته
ومخاضته كما تدع سباب
البحر اذا أفسد رحلته ثم
أخى رحله بما يصالح له
واذا رأيت هجاءا على
اعراض الناس وثلبهم
فقد ماثل عالم الكلاب
فان دأب الكلب ان
يحفو من لا يحفو فويبتدئ
بالاذية من لا يؤذيه فعامله
بما كنت تعامل به الكلب

اذا نبحك ألسنت تذهب
في شأنك ولا تخاضه ولا
تسبه فافعل بمن يهتضم
عرضك مثل ذلك واذا
رأيت انسانا قد جبل على
الخلاف ان قلت لا قال نعم
وان قلت نعم قال لا فالحمقه
بعالم الخير فان دأب الخير
ان أدنيه بعدوان أبعده
قرب وانت تستمتع بالخير
ولا تسبه ولا تفارقه فاستمتع
أيضا بهذا الانسان ولا تسبه
ولا تفارقه واذا رأيت رجلا

والفضة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات
والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بأيدي الناس فهو
متناقل متوارث وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي
يستدعي له فان نقص المال في المغرب واقر بقمية فلم ينقص به لاد الصلابة والا فربح وان نقص في مصر
والشام فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوقرها او ينقصها مع أن
المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر أعظم مما يسرع الى غيره
وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالهم من البلاء والقضاء ما يذهب باعبانها
لا قرب وقت وأما ما وقع في مصر من أمر المطالب والكنوز فسببه ان مصر في ملكة القبط منذ آلاف
او يزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجوهر واللا كئي على مذهب
من تقدم من أهل الدول فلما انتقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نقر واعلى ذلك في قبورهم
وكشفوا عنه فأخذوا من قبورهم ما لا يوصف كالأهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون
من بهدمهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويكثر على الدفن فيها في كثير من الاوقات اما
ما يدفونه من أموالهم او ما يكرهون به موتاهم في الدفن من أوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة
لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها ولذلك غنى أهل مصر بالبحث عن
المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم حين ضربت المكوس على الاصناف آخر الدولة ضربت
على أهل المطالب وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحنفي والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون
من أهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والدرع باستخراجه وما حصلوا الا على الخيبة في جميع
مساعيهم نعوذ بالله من الخسران فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به ان يتعوذ بالله من العجز
والكسل في طلب معاشه كما نعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من ذلك وينصرف عن طرق الشيطان
ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من المحاكيات والله يرزق من يشاء بغير حساب

هـ (فصل في أن الجاهل مفيد لئال)

وذلك اننا نجد صاحب المال والخزوة في جميع اصناف المعاش أكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب
في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالتاس
معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري وحاجي او كمالى فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من
كسبه وجب عليه ان تبذل فيه الا عواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر قيم
تلك الاعمال عليه فهو بين قيم الاعمال يكتبها وقيم اخرى تدعو الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه
والاعمال اصحاب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت
الامارة احدا سباب المعاش كما قدمنا و فاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره الا بقدر
ماله وعلى نسبة سعيه وهو لا هم أكثر التجار ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون اسر بكثير وعما يشهد
لذلك اننا نجد كثير من الفقهاء وأهل الدين والعبادة اذا شتمت حسن الظن بهم واعتقد الجاهور معاملته الله
في ارفادهم فأخلص الناس في اعانتهم على احوال دنياهم والاعمال في مصالحهم أسرعت اليهم ثم الثروة
واصبحوا مياسير من غير مال مقتني الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم
راية ان ذلك اعدادا في الامصار والمدن وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجروكل قاعد بمنزلة لا يبرح

يطالب غترات الناس وسقطاتهم فله في الاكتمين كمثل الذباب في عالم الطير فان الذباب يشع على الجسد فيتحامى صحيحه ويطلب المواضع
المنحلة منه وذوات المادة والدم والتجاسة واذا بلت سلطان ينجح على الاموال والارواح فالحمقه بعالم الاسود وخذ حذرک منه كما تأخذ حذرک

من الاسد وليس الا الهرب منه كما قال النابغة * ولا قرار على زار من الاسد * واذا بليت بانسان خبيث كثيرا الروغان والمفاخرة فالحق به
بعالم الثعالب واذا بليت بمن يشي (٢٣٢) بالناسم ويقرق بين الاحبة فالحق به بعالم الظربان وهي دابة صغيرة تقول العرب عند

تفرق الجماعة فسا بينهم
ظربان فتقرقوا وخاصة
هذه الدوية اذا حصلت
وسط جماعة ان يتفرقوا
وكما ان الجماعة اذا قبلت
فحوم هذه الدابة طردوها
ومنعوها الدخول بينهم
كذلك ينبغي اخراج النمام
من بين الجماعة فان لم
يقبلوا يوشك ان يفرق
ما بينهم ويقسد قلوب
بعضهم على بعض واذا
رايت انسانا لا يسمع العلم
والحكمة وينقر من مجاس
العلماء والحكام يالف
سماع اخبار اهل الدنيا
وسائر الخرافات وما يجري
في مجالس العوام فالحق به
بعالم المتخافس فانه يجبه
اكل العذرات ويالف
روائح النجاسات ولا تراه
الا ملايسا للاخيلة
والمراحيض وينقر من
روائح المسك والورد واذا
طرح عليه المسك والورد
مات واذا رايت انسانا انما
دأبه حفظ الدنيا لا يستحي
في الوثوب عليها فالحق به
بعالم الاحدية بان تنحي
رجلك عنه واذا بليت
بالرجل تظهر عليه الديانة
والسكينة وقد نصب
اشراكه لاقتناص الدنيا
واكل اموال الودائع

٦ * (فصل في أن السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع

والتلق وان هذا الخلق من أسباب السعادة) *

قد سألنا فيما سبق ان الكسب الذي يستقيده البشر انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل
جملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته
وعلى نسبة ذلك فهو كسبه او نقصانه وقد بينا آتفا ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس
اليه باعمالهم واموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل او مال عوضا عما
يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح او طالح وتسير تلك الاعمال في كسبه وقيامها باموال
وثروته فيستقيده الغني واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة
ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفل الى من لا يملك ضرا ولا نفعا بين ابناء جنسه
وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان
النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وانه وان ندر في ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاؤه ثم ان
هذا التعاون لا يحصل الا بالا كراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان
افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد يمنع من المعاونة فيتعين جملة عليها فلا بد من حامل يكره
ابناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورجة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان الجاه هو القدرة
الحاملة للبشر على التصرف فيمن تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة
ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى
ذلك وليكن الاول مقصودا في العناية بالبانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور والداخلية في
القضاء الالهية لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يقوت الخير بذلك
بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم ثم ان كل طبقة من
طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى
يستمد بذى الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفا فيمن تحت يده على قدر ما يستقيده منه
والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع ابواب المعاش ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور والذي فيه
صاحبه فان كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا قلما لا فائده وفاقدا لجاه وان
كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله او ماله ونسبة سعيه ذاهبا وائتافي تنميته كما كثر التجار واهل
الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه واقتصر واعلى فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى
الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة وانما يرمقون العيش ترميقا ويدافعون ضرورة الفقر
مدافعة واذا تقر ذلك وان الجاه متفرع وان السعادة عادة والخير مقترنان بحصوله علمت ان بذله وافادته من
اعظم النعم واجلها وان ياذله من اجل المنعمين وانما يسد له من تحت يديه فيكون بذله بيد عالية وعزة
فيحتاج طالبه وميتعه الى خضوع وتلقا كما يسأل اهل العز والملوك والاقية مذكر حصوله فلذلك قلنا ان
الخضوع والتلق من أسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر اهل الثروة والسعادة

والامانات والارامل واليتامى فالحق به بعالم الذئاب وهو كما قال فيه القائل ذئب تراه مصليا * فاذا مرت به ركع
يدعو وجل دعائه * مالا فريسة لا تقع عمل بها اذا علا * ان الفؤاد قد انصدع اجتر منه كما تجتر من الذئب واذا بليت بحجة

بهذا

انسان كذاب فاعلم ان الانسان الكذاب كالميت في الحكم لانه لا يقبل له خبر كما لا خبر للميت وكما لا تعجب الموتى لا تعجب الكذاب (وقيل)
في المثل كل شئ شئ وصحبة الكذاب لا شئ ويجوز ان يلحق بعالم النعام فانه يدفن جميع بيضه (٢٣٣) تحت الرمل ثم يترك واحدة على

وجه الرمل وأخرى تحت
طاقة من الرمل وسائر
بيضه في قعر الحفرة فاذا
رأه الغري يأخذ تلك البيضة
وينصرف أو يكشف عن
وجه الرمل فيجد الأخرى
فيظن انه ليس ثم شئ آخر
والخبر بحالة النعام اذا
رأى البيضة لا يزال يحفر
حتى يصل الى حاجته
ولا يغتر بتلك البيضة
كذلك الكذاب اذا سمع
منه خبرا لا تصدقه حتى تبلغ
الغاية في الكشف عنه
واذا رايت الرجل انما
دأبه أن يصنع نفسه كما يصنع
العروس لبعائها يبيض
ثيابه ويعدل عمامته
ويبقى ان يمسه شئ غيره
وينظر في عطقه وي طرح
القذى عن ثوبه ليس له
همة بين الجلساء الا نظره
الى نفسه واصلاح ما انتهى
من ثيابه فالحق به عالم
الطواويس الذي هذه
صفته فانه يتجتر في مشيته
وينظر الى نفسه ويقرش
ذنبه فيتحذره الملوك استحيانا
له واذا بليت بانسان حقوق
لا ينسى الهفوات ويجازي
بعد المدة على السعطات
فالحق به عالم الجبال والعرب
تقول فلان أحقد من جل
وتجيب قرب الجمل الحقود

بهذا التملق وهذا الجحد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشتم لا يحصل لهم غرض الجاه فيقتصرون في التكسب
على اعمالهم ويصبرون الى الفقر والخصاصة * واعلم ان هذا الكبر والترفع من الاخلاق المذمومة
انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه او
الكاتب الجيد في كتابته او الشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس يحتاجون
لباينده فيحدث له ترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم أهل الانساب من كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل
في طود يعبرون بما رآوه او سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرباتهم
اليهم ووراثةهم عنهم فهم مستعدون في الحاضر بالامر المعلوم وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب
بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجدد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين
لا يخضعون لصاحب الجاه ولا يتماقون بان هو اعلی منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل
على الناس فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان للاب ويعد مذلة وهو اناؤسه فها هو يحاسب الناس
في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شئ مما يتوهمه من ذلك وربما يدخل
على نفسه الهوم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستمر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه واباية الناس
له من ذلك ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في
الكمال والترفع عليه الا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا
فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقوده كما تبين للمقتة الناس به هذا الترفع ولم يحصل له حظ من
احسانهم وفقد الجاه لذلك من أهل الطبقة التي هي اعلی منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود
عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل وأما الثروة فلا
تحصل له أصلا ومن هذا اشتبه بين الناس ان الكمال في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما
رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق بشئ يسره والله المقدر لا رب سواه ولقد يقع
في الدول اهتزاز في المراتب من أهل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب
ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت نهايتها من التغلب والاستيلاء انقرض منها منبت الملك على كبرهم وسلطانهم
ويشس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له
فاذا استمرت الدولة وشجع الملك تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرب
اليه بنصيحة واصطانه السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجد كثير من السوقة يسعى في التقرب من
السلطان بحمد ونصح ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له
ولحاشيته وأهل نسبه حتى يزج قدمه معهم وينظمه السلطان في جلته فيحصل له بذلك حظ عظيم من
السعادة وينتظم في عدد أهل الدولة وناشئة الدولة حينئذ من أبناء قومه الذين ذلوا واضعاعهم ومهدوا
اكنافهم مغترون بما كان لا بائهم في ذلك من الاثار لم تسمع به نقوسهم على السلطان ويعتدون
بآثاره ويجسرون في مضمار الدولة بسببه فيقتسم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هؤلاء
المصطنعين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما ذابهم الخضوع له والتملق والاعتمال
في غرضه متى ذهب اليه فتسحق جاههم وتعلم منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم
من قبل السلطان والملكة عنده يبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم
ذلك الا بعد امان السلطان ومقتاوا يثار هؤلاء المصطنعين عليهم الى أن تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي

فاجتنب صحبة الرجل الحقود واذا بليت بانسان منافق يظن خلاف ما يظهر فالحق به
عالم البر بوع فان البر بوع وهو فار يكون في البرية يتخذ جراج تحت الارض يقال له النافق اعوله فوهتان يدخل من احدهما ويخرج

من الاخرى ومنه اشتق اسم المناق فاذا هم احدياخذ منه دخل حجره وخرج من الباب الاخر فيحفر الصبيادخله فلا يظهر بشئ كذلك حال المناق لا يصح منه شئ (٢٣٤) وعلى هذا النمط كن في صحبة الناس تستريح منهم وتريحهم منك فاعمر الله ما استقامت لي

في الدولة ومنه جاء شأن المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٧ (فصل في أن القاتنين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة

والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب) *

والسبب لذلك ان الكسب كما قد مناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها شديدة وأهل هذه البضائع الدينية لا تضطر اليهم عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص من أقبل على دينه وان احتيج الى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الاكثر وانما يهتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بحاله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يسأوهم بأهل الشوك ولا بأهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل ولهم أيضا لشرف بضائعهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تغرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشرعية المشتملة على أعمال الفكر والبدن بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لأهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم يعزل عن ذلك فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب ولقد دباحثت بعض الفضلاء فنذكر ذلك على وقوع يدي اوراق مخروقة من حسابات الدواوين بدار المأمون تشتمل على كثير من الدخل والخرج وكان فيما طالعته فيه أرزاق القضاء والائمة والمؤذنين فوقته عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا الحبس من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لأرب سواه

٨ (فصل في أن الفلاح من معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو) *

وذلك لانه أضعف في الطبيعة ويسقط في منجاة ولذلك لا تجده ينتحله احد من أهل الحضرة في الغالب ولا من المترفين ويختص منتحله بالمدلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الادخله الذل ووجهها البخاري على الاستسكان منه وترجم عليه باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بأكل الزرع او تجاوز الحد الذي أمر به والسبب فيه والله أعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلا بائسا متناولا أيدي القهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تعود انزكاة مغرما إشارة الى الملك العضوض القاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في المتمولات واعتبار الحقوق كلها مغرما للسلوك والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ (فصل في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها) *

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء أياما كانت الساعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحا فالحاوله لذلك الربح اما ان يخترن الساعة ويتحين بها حواله الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان يتقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك الساعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار اطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلم انك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة إشارة الى ذلك

صحبة الناس وسكنت نفسي واستراحت من مكابدة اخلاقهم الامن حيث سرت معهم بهذه السيرة (وقال) الرياح يابى رياح لا تحقر واصغرا تأخذون عنه فاني اخذت من الثعلب روغانه ومن يقره بكايده ومن السنور مارعه ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره وقد تعلمت من القمر مشى والليل ومن الشمس الظهور في الخمين بعد الخمين (الباب السادس والثلاثون في بيان الخصلة التي فيها غاية كمال السلطان وشقاء الصدور وراحة القلوب وطيبة النفوس) *

اعلم أيها الملك انه متى كانت فيك الخصال المجودة والاخلاق المشكورة والسيرة المستقيمة وملكت نفسك وقهرت هواك ووضعت الاشياء مواضعها ثم ان الرعية اهتضمت حقك وجهات قدرك ولم توفك حظك فباعتك منهم ما يسوءك ورأيت منهم ما لا يجيبك فاعلم انك لست باله فلا تطمع ان يصفوك منهم ما لا يصفو منهم لاله وفصل الخطاب في هذا الباب ان تعلم ان الله

تعالى خالق الخلائق اجمعين وانعم عليهم بأنواع النعم فكل حواسهم وخلق فيهم الشهوات ثم افاض عليهم نعمه وكلماتهم الذات وبعد هذا فاقدر الله حق قدره ولا عظموه حتى عظمته بل قالوا فيه ما لا يليق به ووصفوه

بما يستحيل عليه وأضاقوا إليه ما يتقدس عنه وسلبوه ما يجب له من الأسماء الحسنى والصفات العلى فمنهم من قال هو ثالث ثلاثة ومنهم من قال له زوجة ومنهم من قال له ابن ومنهم من قال له البنات ومنهم من يحسمه ومنهم (٢٣٥) من يشبهه ومنهم من أنكره رأسا وقال

ما الخلق صانع كما حكاه

الخالق عنه فقال غوث

ونحيا وما يهاكنا إلا الدهر

وهو مع ذلك يحيمهم ويقيمهم

ويصنع أجسامهم وحواسهم

ويرزقهم وينعشهم ويقضى

ما رزقهم وأوطارهم ويمتعهم

متاعا حسنا ويبلغهم آمالهم

في معظم ما يحتاجون إليه

فعاصلهم إليه صاعدا

وبركاته عليهم نازلة كل

يعمل على شاكلته وينفق

عما عنده وكل ذي حال

أولى بها (وفي مناجاة) موسى

عليه السلام أنه قال الهى

أسألك أن لا يقال فى ماليس

فى فواحى الله تعالى اليه

ذلك شئ ما فعلته لنفسي

فكيف أفعله بك وفى هذه

السيرة عبرة لمن اعتبر

وذكرى لمن ادكر مع انك

ان التمس رضا جميع

الناس التمس ما لا يدرك

وكيف يدرك رضا الخلقين

فيا أيها الملك الذى قد كتب

الله عليه القناء والعمر

القصير والزمان اليسير

والايام المعدودة والانفاس

المحصورة كيف أردت ان

يصفو لك من الرعية مالم

يصف منهم الخالقهم ورازقهم

ومحيمهم ومحييهم هيئات

هيئات بعباد ما أمات

ومستحيل ما طلبت فلك فى

الى المعنى الذى قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم به التوفيق لارب سواه

١٠ (فصل فى أى اصناف الناس يحترف بالتجارة وأيهم ينبغى له اجتناب حرفها) *

قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باعلى من ثمن الشراء ما ياتى بتظار حواله الاسواق او نقلها الى بلد هى فيه تنفق واغلى او بيعها بالغلاء على الاكثال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسير الا ان المال اذا كان كثيرا اعظم الربح لان القليل فى الكثير كثير ثم لابد فى محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدى الباعة فى شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم فى تقاضى اثمانها واهل النصفه قليل فلا بد من الغش والتطفيف المحجف بالبضائع ومن المثل فى الاثمان المحجف بالربح كتعطيل المحاولة فى تلك المدة وبها ثمنه ومن الجود والانتكار المستحسنت لرأس المال ان لم يتقيد بالكتاب والشهادة وغناه المحكم فى ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فبعض التاجر من ذلك احوال الصعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظم العناء والمشقة ولا يحصل او يتلاشى رأس ماله فان كان جريئا على الخصومة بصير بالحبس ان شدد المماحكة مقدما على المحكام كان ذلك اقرب له الى النصفه بجرأته منهم ومما حكتهم والا فلا بد له من جاء يدور به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل المحكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفه فى ماله طوعا فى الاول وكرها فى الثانى وأما من كان فاقدا للجرأة والاقدام من نفسه فاقدا لتمام المحكام فينبغى له ان يحتسب الاحتراف بالتجارة لانه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير ما كانه للباعة ولا يكاد يتصف منهم لان الغالب فى الناس وخصوصا الرعاع والباعة شرهون الى ما فى ايدى الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت أموال الناس نهبا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

١١ (فصل فى ان خلق التجارة نازلة عن خلق الاشراف والملوك) *

وذلك ان التجار فى غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من الحكاية ضر ورفق ان اقتصر عليهم اقتصر به على خلقه وهى اعنى خلق المسكينة بعمدة عن المرواة التى تتخلق بها الملوك والاشراف وأما ان استرذل خلقه بما يبيع ذلك فى اهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلافة وتعامد الايمان الكاذبة على الاثمان رد او قبول فاجدر بذلك الخلق ان يكون فى غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجد اهل الرياسة يتحامون الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتخاماه لشرف نفسه وكرم جلاله الا انه فى النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء به فضله وكرمه وهو رب الاولين والاخرين

١٢ (فصل فى نقل التاجر للسلع) *

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الاما تهم الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ فى ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاق سلعته حينئذ باعوا واشترأ من ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسده وسوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فاما ينقل الوسط من صنعها فان العالى من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة فى الحاجة الى الوسط من كل صنف فليحذر ذلك جهده فقيه نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او فى شدة الخطر فى الطرقات يكون اكثر فائدة

الله اسوة حسنة ان ترضى منهم بما رضى منهم خالقهم وتسير فيهم بسيرة ربيهم فيهم التمر كيف احسن اليك فرضي منك باليسير من العمل واكثر لك من النعم من الاموال والنحو فانظر كيف يسترزل تلك ويتعمد سبها تلك ولا يفضحك فى خلواتك فى هذا ما يهدى النفوس

ويؤدب ذوى العقول ويهتدي الى الصواب ويوضح طرق الرشاد والله دوزخ بن الخطاب رضى الله عنه لقد كان واعيا لما تلوته عليك فانه روى عنه انه كتب الى عمرو بن العاص (٢٣٦) كن لرعيك ما تحب ان يكون لك أميرك * (الباب السابع والثلاثون في بيان

للتجار وأعظم أرباحا وكفل بحواله الاسواق لان الساعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت أثمانها واما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلا بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم أموالا لبعدها طريقهم ومشقة واعتراض المقازاة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في أماكن معلومة يهتدي اليها الدلاء الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق ويعدده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لديها فتنافس بالاعلاء وكذلك سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعدها الشقة أيضا واما المترددون في أفق واحد ما بين امصاره وبلدانه ففانهم قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

١٣ * (فصل في الاحتكار)

وعما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحسين اوقات الغلة مشؤم وانه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبدلون فيه من المال اضطرارا فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعاقب النفوس بما لها سر كبير في وبالها على من يأخذها مجانا واعلم الذي اعتبره الشارع في اخذ أموال الناس بالباطل ومذاوان لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لا عطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالدماء كرم ما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها وانما يبيعونها عليها التفتن في الشهوات فببذلون أموالهم فيها الاختيار وحرص ولا يبقى لهم تعاقب بما أعطوه فلماذا يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعتها لما يأخذ من أموالهم فيفسد ربحه والله تعالى اعلم * وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا أبو عبد الله الابلي قال حضرت عند القاضي بقاس لعهد السلطان أبي سعيد وهو الفقيه أبو الحسن الميلي وقد عرض عليه أن يختار بعض الالقاب الخيرية لجرأته قال فاطرق مليا ثم قال لهم من مكس الخرفا ستصيح الحاضر ون من أصحابه وعجبوا وسألوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراما فاختار منها ما لا يتابعه نفس معطيه والخرفا قل أن يبذل فيها أحد ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور

١٤ * (فصل في ان رخص الاسعار مضر بالمحترفين بالرخيص)

وذلك ان الكسب والمعاش كما قد دمناه انما هو بالصنائع أو التجارة والتجارة هي شراء البضائع والبيع وادخالها لتحسين بها حواله الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في ساعة او عرض من مأ كول أو ملابس او متول على الجملة ولم يحصل لتاجر حواله الاسواق فسد الربح والنماء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفست رؤوس أموالهم واعتبر ذلك أولا بالزرع فانه اذا استديم رخصه يفسده حال المحترفين بسائر أطوارهم من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه وندارته او فقهه في فقدون النماء في أموالهم او يجدونه على قلة ويعودون بالاتفاق على رؤوس أموالهم وفسد أحوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين ايضا بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته مأ كولا وكذا يفسد حال الجنود اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الفلح زرعا فانها تنقل جبايتهم من

الخصلة التي فيها ملأ الملوك عند الشدة عند ومعتل السلاطين عند اضطراب الامور وتغير الوجوه والاحوال *
أيها الملك اذا اعتلجت الامور في صدرك واضطربت عليك القواعد ومرتجت في قلبك وجوه الرأي وتنكرت عليك المعارف وأكفهرالك وجه الزمان فلا يغلبك خصلتان ترك للناس دينهم ودنياهم ولك الامان من طواغيت المحدثان وما يأتي به الملوان وقد روى أن المأمون قال في آخر موافقة مع أخيه الأمين وقد نفدت بيوت الاموال والحت الاجناد في طلب أرزاق المأمون بقيت لآخي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين قيل له وما هي فقال والله اني لا ضن بها على نفسي فكيف على غيري فلما خلص له الامر سئل عن تلك الخصلة فقال لو ان الأمين نادى في جميع بلاده انه قد حط الخراجات والوظائف السلطانية وسائر الجبايات عشرين سنين لملك الامر على ولكن الله غالب على أمره وما خشى المأمون انتقاص بيعته مع اهل خراسان في أمر فنته مع أخيه الأمين استشار الفضل بن سهل وكان وزيره فقال له الفضل قد قرأت القرآن وحديث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واخياء السيرة وبسط العدل والقعود على

ذلك

وحدث الرسول عليه السلام والذي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم الى الحق والعمل به واخياء السيرة وبسط العدل والقعود على

اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والمملوك وابناء المملوك وتعهد بالمواعيد الكريمة والمراتب السنوية والولايات المشاكلة ففعل ذلك وخط عن أهل خراسان ربع الخراج فالت وجوه الخلائق اليه وكانوا يقولون (٢٣٧) ابن اختنا وابن عم نبينا عليه السلام

وانقاد اليه رافع بن الليث وكان من عظماء المملوك بخراسان ويدخل تحت هذه الترجمة أمر اتفق عليه حكماء العرب والروم والفرس والهند وهو أن تصطنع وجوه كل قبيلة والمتقدمين من كل عشيرة وتحسن إلى جملة القرآن والعلم وحفاظ الشريعة وتدني مجالسهم وتقريب الصالحين والمترهدين وكل متمسك بعروة الدين وكذلك فليفعل بالأشراف من كل قبيلة والرؤساء المتبوعين من كل غط فهو لأمهم أئمة الخلق ومهمهم على من سواهم فن كمال السياسة والرياسة أن تبقى على كل ذي رياسة رياسته وعلى كل ذي عز عزته وعلى كل ذي منزل منزلته فينبذ يكون الرؤساء الكاعوانا ومن دانت له الفضلاء من كل قبيلة فاخلق به أن يدوم ساطانه والعامه والاتباع دون مقدميهم وساداتهم واتباعهم أحساد بالارؤس واشباح بالأرواح ولما قامت العامة على السلطان بقرطبة ولبسوا السلاح كان شيخ جالس على كبره يعالج صغته فقال ما بال الناس قالوا

ذلك ويجزون عن اقامة الجندية التي هم بسببها ومطالبون لها فتفسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص في السكر او العسل فسد جميع ما يتعلق به وقعدا لمختر فون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحذف عماش المخترفين بذلك الصنف الرخص وكذا الغلاء المفرط أيضا وانما عماش الناس وكسبهم في المتوسط من ذلك وسرعة حواله الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتقررة بين اهل العمران وانما يحمد الرخص في الزرع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرقي بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

١٥ (فصل في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الرؤساء وبعدة من المروءة) *

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب القوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمماحكة والتعدي والعمارة المحصونات والمباح وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمروءة ونجرح فيها لان الافعال لا بد من عود آثارها على النفس فافعال الخير تعود بأثر الخير والذكاو وافعال الشر والفسقة تعود بضد ذلك فتتمكن وترسخان سبقت وتكررت وتنقص خلال الخير ان تأخرت عنها بما ينطبع من آثارها المذمومة في النفس شأن المالكات الناشئة عن الافعال وتنقوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار في احوالهم فمن كان منهم سافل الطور مخالفا لشرار الباعة اهل العس والخلافة والفجور في الاثمان اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنه أشد وغلبت عليه الفسقة وبعد عن المروءة واكتسابها بالجملة والافلا بد له من تأثير المكايسة والمماحكة في مروءته وفقدان ذلك منهم في الجملة وجود الصنف الثاني منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدربون بالجماء ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر وأقل من النادر وذلك أن يكون المال قد يوجد عنده دفعة بنوع غريب او ورثه عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من وكلائه وحشيه ويسهل له الحكم النصفة في حقوقهم بما يؤسونه من بره واتخافه فيبيعه بدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الافعال المتضيق لها كما مرفق يكون مرأتهم أرسخ وأبعد عن تلك الحاجة الا ما يمرى من آثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال أولئك الوكلاء ووافقهم او تخلافهم فيما يأتون او يذرون من ذلك الا انه قليل ولا يكاد يظهر أثره والله خلقكم وماتكم ملون

١٦ (فصل في ان الصنائع لا بد لها من العلم) *

(اعلم) ان الصناعة هي ملكة في امر على فكري ويكونه عملها وجسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالباشرة أو عبر لها أو كمال لان الباشرة في الاحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعانيات أو عبر وأتم من نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه كمال وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم لم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي يتكون للكليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا ولانه يختص

قامت العامة على السلطان قال ولهم رأس قالوا لا قال شق الكبرياصي فذهبت مثلا (الباب الثامن والثلاثون في بيان الخصال الموجبة لذم الرعية للسلطان) قال حكيم القرس ذم الرعية للملك على ثلاثة أوجه اما كرم قصر به عن قدره فاورثه ذلك ضعفا واما لثيم

بلغ به فوق قدره فأورثه ذلك بظروا وأما رجل منع حظه من الانصاف وفي الامثال احسانك الى الحمريه عنه على المكافأة واحسانك الى اللثيم الحسيني عنه على معاودة المسئلة (٢٣٨) (وقيل) للاسكندر ان فلانا يمتصك ويسىء الثناء عليك فقال انا اعلم انه ليس

بشرير فينبغي ان نعلم هل ناله من ناحيتنا امر دعاه الى ذلك فيبحث عن حاله فوجد مهارته فأمر له بصلاته سنوية فبلغه بعد ذلك انه بسط لسانه بالثناء عليه فقال أمترون ان الامر لنا ان يقال فينا خير أو شر فينبغي للسلطان ان لا يتخذ الرعية مالا وقسبة فيكونوا عليه بلا عوفية ولا يكن يتخذهم أهلا وأخوانا فيكونون له جندا وأعداءنا وقد سبق في المثل اصلاح الرعية خيرا من كثرة الجنود (الباب التاسع والثلاثون في مثل السلطان العادل والنجار) مثل السلطان العادل مثل الياقوتة النفيسة الرفيعة في وسط العقد ومثل الرعية مثل سائر الشجر فلا تلحظ العيون الا الواسطة واول ما يبصر المقلوبون وينقد الناقدون الواسطة وانما يثنى المثنون على الواسطة وكلما حسنت الواسطة عمرت سائر الشجر فلا يكاد يذكر كما قال ابن سعد لقبت بالمحجاريين مكة والمدينة سكنية بنت الحسين رضي الله عنهما فسفرت لي عن وجه ابنتها واذا وجهه كأنه قطعة قمر وقد انقلبتا بالحوار والبواقيت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما علقته عليها الا لفضحه وكما ان جمال السللك أن يلى الواسطة الا فضل فالأفضل من الشذروان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب

١٧ * (فصل في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته) *

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري وتمتد المدينة انما هم مهم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تمت المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الزائد حثيثا الى الكمالات من المعاش ثم ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكره الذي يتميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حيث تستجد واستجد ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثرة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو خزار واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا نجر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملة التأنيق في الصنائع واستجدتها فكمالت بجميع ممتاتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو اليه عوائد الترف وأحواله من جزر ودباغ وخزاز وصانغ وامثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان يوجد منها كثير من الكمالات والتأنيق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر منتحها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما يدعوا اليه الترف في المدينة مثل الذهبان والصفار والحجاسي والطباخ والسفاح والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعوا اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والحجر الانسية وتخييل أشياء من العجائب بايهاهم قلب الاعيان وتعلم الحدا والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصار لم يبلغ عمران مصر والقاهرة ادام الله عمراتها بالمسلمين

١٨ * (فصل في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امدها) *

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد لا عمران والوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا نجد في الامصار

بالحوار والبواقيت وأنواع الدرر فالتفت الى وقالت والله ما علقته عليها الا لفضحه وكما ان جمال السللك أن يلى الواسطة الا فضل فالأفضل من الشذروان كان على خلاف ذلك كان سيئ النظم كذلك السلطان ينبغي أن يكون الاقرب

فلا قرب اليه أهل العلم والعقل والادب والرأى والاصالة والشرف والمصافة وذوى الكمال من كل قبيلة وان كان على خلاف ذلك كان نقصا في التدبير وكان جمال العقدين بواسطته كذلك جمال الرعية بكمال (٢٣٩) سلطانهم وفضله وبراعته وعدله ومثل

السلطان الجائر مثل الشوكة في الرجل فصاحبها تحت الموقلق ويتداعى لها سائر الجسد ولا يزال صاحبها يروم قلعها ويستعين بمسافر من الالة والمناقيش والابر على اخراجها لانها في غير موضعهما الطبيعي ويوشك ان تعلق بالاجرة فان غرزا الباقوت من شوك القتاد

(الباب الموفى اربعين فيما يجب على الرعية اذا جاز السلطان)

اعلم ارشدك الله ان الزمان وعاء لاهله ورأس الوعاء اطيب من اسفله كما ان رأس الحمرة ارق وأصفى من أسفلها فليكن قات ان الملوك اليوم ليسوا بكن مضي من الملوك فالرعية ايضا ليسوا بكن مضي من الرعية وليست بان تدم أميرك اذا نظرت آثار من مضي منهم باولي من يدمك أميرك اذا نظرت آثار من مضي من الرعية فاذا جاز عليك السلطان فعليك الصبر وعليه الوزير (روى) البخاري عن عبادة بن الصامت قال يا بعنا النبي عليه السلام فكان فيما أخذ علينا ان يايعنا على

التي كانت استجرت في الحضارة لتراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستحدثة العمران ولو بلغت مبالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذا لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قاتمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع مائدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبغ واصناف الغناء واللهو من الالة واللات والوتار والرقص وتنصيب القرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الالة من المعادن والخزف وجمع المواعين واقامة الولائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعوا اليها الترف وعوائد فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصص موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم بروخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعددها من دولة الطوائف الى هلم جرافلت الحضارة فيها مبالغت في قطر الاما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضا لطول آما الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكما جميع اصنافها على الاستجادة والتمنيق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى ان يتنقض بالسكينة حال الصبغ اذا رشح في الثوب وكذا ايضا حال تونس فيما حصل فيها بالحضارة من الدول الصنهاجية والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينهم ما وتردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وربما سكن أهلها هناك عصورا فينقلون من عوائد ترفهم ومجتمعاتهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما أنا كثرنا كنهان من شرق الاندلس حين الخلافة العبد المائة السابعة ورشح فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس بمناسب لذلك لهذا العهد الا ان الصبغة استحكمت فقليل ما تحول الانزوال محلها وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلاعة ابن جنادثا باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا وفي حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد من هذه الصنائع آثارا تدله على ما كان بها كثر الخط المعجوف في السكاب والله الخلاق العليم

١٩ * (فصل في ان الصنائع انما تستجاد وتكثر اذا كثر طلبها) *

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمع به انه ان يقع مجانا لانه كسبه وممنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرفه الا في ما له قيمة في مصره ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها اتفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجب للبيع فتجهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة لكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا توجه قصد الى تعلمها فاختصت بالترك وفقدت للاهمال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرئ ما يحسن بمعنى ان صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضا فها نسراخر وهو ان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها ومالم تطلبها الدولة وانما يطلبها غيرها من أهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها اتفاق كل شيء والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فانفق منها كان اكثر باضرورة والسوق وان طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سوقهم بنافعة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا واثرته علينا وان لا تنازع الا ان تروا كفرا بواجبكم فيمنه من الله برهان ومنه قال ابن عباس من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فانه من خرج من السلطان شرا من مائة جاهلية ومنه قال ابن مسعود قال لنا

النبي عليه السلام انكم سترون بعدى أثره وأمرنا يا رسول الله قال أدوا لهم حقوقهم واسألوا الله بحقكم (وروى)
أبو داود في سننه ان النبي عليه السلام (٢٤٠) قال سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فإذا سألوكم فاعطوهم

٢٠ * (فصل في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع) *

وذلك لما بينا ان الصنائع انما تستجد اذا احتيج اليها وكثر طالباها واذا ضعفت احوال المصرواخذ في الهرم
بانتقاض عمرانه وقلة ساكنيه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقل
الصنائع التي كانت من توابيع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بهامعاشه فيفر الى غيرها او يموت ولا
يكون خلف منه فيه ذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون والصواغ والكتاب والنساخ
وامثالهم من الصنائع لمحات الترف ولا تزال الصنائع في التناقص ما زال المصير في التناقص الى ان
تضمحل والله الخلاق العليم سبحانه وتعالى

٢١ * (فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع) *

والسبب في ذلك انهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها
والجهم من أهل المشرق وأم النصرانية عدوة البحر الرومي أقوم الناس عليها لانهم أعرق في العمران
الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه حتى ان الابل التي أعانت العرب على التوحش في القفر والاعراق في
البدو ومفودة لديهم بالجملة ومفودة مراعيها والرمال المهية لتناجها ولهذا نجد اوطان العرب وممالكهم
في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر آخر وانظر بلاد الجهم من الصين والهند وارض
الترك وأم النصرانية كيف استكثر فيهم الصنائع واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر
مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ أحقاب من السنين ويشهد لذلك قلة الامصار بقطرهم كما
قدمناه فالصنائع بالمغرب قليلة وغير مستحكمة الا ما كان من صناعة الصوف من نسجه والخد في
خرزود بعه فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبلغ الموم البلوى بها او كونه من اهل السبع في قطرهم
لما هم عليه من حال البداوة وأما المشرق فقد درست الصنائع فيه منذ ممالك الامم الاقدمين من الفرس
والنبط والقبط وبنو اسرائيل ويونان والاروم أحقابا متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جعلها
الصنائع كما قدمناه فلم يجمع رسوخها وأما اليمن والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكه العرب الا أنهم تداولوا
ملكه آلافا من السنين في أمم كثيرين منهم واختطوا امصارهم ومدنهم وبلغوا الغاية من الحضارة والترف
مثل عاد وعمود والعمالة وجرير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال أمد الملك والحضارة واستحكمت
صنعتهم وتوفرت الصنائع ورسخت فلم يبل يبل الدولة كما قدمناه فبقيت مستجيبة حتى الآن واختصت
بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصا وما يستجد من حول الثياب والحرير فيها والله وارث الارض
ومن عليها وهو خير الوارثين

٢٢ * (فصل فيمن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيدها ملكة في اخرى) *

ومثال ذلك الخياط اذا أجاد ملكة الخياطة وأحكمها ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدهها ملكة التجارة
أو البناء الا ان يكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس
والوان فلا تزحم دفعة ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لخصوصها
فاذا تلونت النفس بالملكة الاخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه
الملكة فكان قبولها لملكة الاخرى اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب صناعة يحكمها
ثم يحكم من بعدهها اخرى ويكون فيها ما على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان أهل العلم الذين ملكتهم
فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الغاية فقل ان يجيدها ملكة

ولا تسبوهم وتدعوا لهم
وهذا حديث عظيم الموضع
في هذا الباب فتدفع اليهم
ما طلبوا من الظلم ولا
تنازعهم فيه وتكف الاستنا
عن سبهم يا عبد الله لا تجعل
سلاحك على من ظلمك
الدعاء عليه ولكن الثقة
بالله فلا محنة فوق محنة
أبراهيم عليه السلام لما
جعلوه في كفة المنجنيق
ليقتلوه في النار قال اللهم
انك تعلم اني فيك وعداوة
قومي فيك فانصرني عليهم
واكفني كيدهم (وقال)
مالك بن دينار وجدت
في بعض الكتب يقول الله
تعالى اني انا الله ملاك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن
اطاعني جعلتهم عليه رجة
ومن عصاني جعلتهم عليه
نقمة فلا تشغلوا انفسكم
بسبب الملوك ولكن توبوا
الى الله اعطهم عليكم وفي
بعض الكتب ابن آدم
تدعو على من ظلمك ويدعو
ملك من ظلمته فان شئت
أجبتك وأجبتنا عليك
وان شئت آخرت الامر الى
يوم القيامة فيسمعكم العفو
(وقال) سليمان بن داود
عليه السلام لا تجعل
ملكك في الاعداء المسكافة
ولكن الثقة بالله وروى

أبو داود في السنن قال سرق ملحقة لعائشة رضي الله عنها فجعلت تدعو على من أخذها فسمعها النبي عليه
السلام فقال لا تسبني عنه يعني لا تحق في عنه فقامها عن الدعاء على الظالم كما ترى فاذا قال المظالم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه

وعلى سائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موقفا ما ظلمك فان استجب دعاؤك فيه زاد ظلمه لك ومن الالفاظ المروية عن سلف
هذه الامة فوهم لو كانت عند نادوة مستجابة ما جعلنا هال الا في السلطان (وقال) (٢٤١) الفضيل لو ظفرت بينت المال لاخذت من

حلاله وصنعت منه أطيب
الطعام ثم دعوت الصالحين
وأهل الفضل من الاخيار
والابرار فاذا فرغوا قلت
لهم تعالوا ندعور بنا ان يوفق
ملوكنا وسائر من يلي علينا
وجعل اليه أحرنا ولما قدم
معاوية المدينة دخل دار
عثمان فقالت عائشة ابنة
عثمان وأبناؤه فقال معاوية
يا بنت أخي ان الناس
أعطونا طاعة وأعطيناهم
أمانا وأظهرنا لهم حماة تحت
غضبنا وأظهرنا طاعة
تحتها قدوم كل انسان
سيفه وهو يرى مكان
انصاره فان تكلمنا بهم
نكثوا بنا ولا ندرى اعابنا
تكون ام لنا ولا نكفون ابنة
عم امير المؤمنين خير من ان
تكوني امرأة من عرض
المسلمين (وروي) ان
رجلا من العقلاء غصبه
بعض الولاة فضايعه له
فاستعدى عليه الى المنصور
فقال له اصلحك الله اذ كر
حاجتي ام اضرب لك قبلها
مثلا فقال بل اضرب لي
قبلها مثلا قال اصلحك الله
ان الطفل الصغير اذا نابه
امر يكرهه فانه يقر الى امه
اذ لا يعرف غيرها وظنانه
انه لا ناصر فوقفها فاذا
ترعرع واشتد فأوذى كان
فراره وشكواه الى ابيه لعله

علم آخر على نسبته بل يكون مقصرا فيه ان طلبه الا في الاقل النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه
من الاستعداد وتوليئه بلون الملاكمة الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق لأرب سواه

٢٣ * (فصل في الاشارة الى امهات الصنائع) *

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشد عن
المحصر ولا يأخذها العدا الا أن منها ما هو ضروري في العمران او شر يف بالموضوع فتخصها بالذكور وترك
ما سواها فاما الضروري فالقلاحة والنساج والخياطة والتجارة والحياكة وأما الشريفة بالموضوع
فكال توليد والكاتب والوراق والغناء والطب فاما التوليد فانه ضروري في العمران وعامة البسوى
اذ بها يحصل حياة المولد ويتم غالب موضوعها مع ذلك المولدون وامهاتهم وأما الطب فهو حفظ الصحة
للانسان ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان وأما الكتابة
وما يتبعها من الوراقه فهي حافظة على الانسان حاجته ومقدمة له من النسيان ومبلغه ضمائر النفس
الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلم في الصحف ورافعة رتب الوجود للماني وأما الغناء فهو
نسب الأصوات ومظهر جمال الاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة تداع الى مخالطة الملوك الاعظم في
خباياهم ومجالس أنسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومتممة في الغالب
وقد يختلف ذلك باختلاف الأغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

٢٤ * (فصل في صناعة الفلاحة) *

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اثاره الارض لها وزراعتها وعلاج نباتها وتعهدها
بالسقي والتنمية الى بلوغ غايتها ثم حصادها وتبليغها الى استخراج حبوبها من غلافه واحكام الاعمال لذلك
وتحصيل أسبابه ودواعيه وهي أقدم الصنائع لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالبا اذ يمكن
وجوده من دون جميع الاشياء الا من دون القوت ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدء واذا قدمنا انه أقدم من
الحضر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لان احوالهم كلها
ثانية على البداءة فصنائعهم ثمانية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العباد في ما أراد

٢٥ * (فصل في صناعة البناء) *

هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن
والمأوى للابدان في المدن وذلك أن الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد أن يفكر
في ما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر
يختلف في هذه الجملة الفكرية ففهم المعتدلون فيها يتخذون ذلك باعتدال أهالي الثاني والثالث والرابع
والخامس والسادس وأما أهل البدو فبعضهم دون عن اتخاذ ذلك اقصورا فكارهم من ادراك الصنائع
البشرية فيمادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للأوى قديسكاثرون
في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون طرق بعضهم بعضا فيحتاجون الى حفظ
مجتمعهم بإدارة ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جميعا مدينة واحدة ومصر واحد ويحيطهم الحكام من داخل
يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصاف ويتخذون المعادل والمحصون لهم ولان تحت أيديهم
مثل الملوك ومن في معنائهم من الامراء وكبار القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه
ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة ففهم من يتخذ

(٣١ - ابن خلدون) بان اياه اقوى من امه على نصرته فاذا بلغ وصار رجلا وخر به امرشكا الى الوالى لعله بانه اقوى من ابيه فاذا
زاد قله واشتدت شكته شككا الى السلطان لعله بانه اقوى من سواه فان لم ينصفه السلطان شككا الى الله عز وجل وقد نزلت بي نازلة

وليس فوقك احد اقوى منك فان انصقتي والارفعت امرها الى الله في الموسم فاني متوجه الى بيته وحرمة اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال بل ننصقك وامر بان (٢٤٢) يكتب الى واليه برضى عنته اليه * (الباب الحادي والاربعون في كتابك تونوا يولي عليكم) *

لم ازل اسمع الناس يقولون
أعمالكم عمالكم كما تكونوا
يولي عليكم الى ان ظفرت
بهذا المعنى في القرآن قال
الله تعالى وكذلك تولى
بعض الظالمين بعضا وكان
يقال ما انكرت من زمانك
فانما افسده عليك عمالك
وقال عبد الملك بن مروان
انصفونا يا معشر الرعية
تريدون مناسرة الى بكر
وعمر ولا تسير وافينا ولا في
انفسكم بسيرتهم انسال الله
ان يعين كلاءي على كل
(وقال) قتادة قالت بنو
اسرائيل لنسألك في
السماء ونحن في الارض
فكيف نعرف رضاك من
سخطك فادحى الله تعالى
الى بعض انبيائهم اذا
استعمات عليكم خباركم
فقد رضيت عنكم واذا
استعمات عليكم شراركم
فقد سخطت عليكم وقال
عبيدة السلماني اعلى رضى
الله عنه يا امير المؤمنين ما
بال ابي بكر وعمر انطاع
الناس لهما والدينا عليهما
اضيق من شرفا تسعت
عليهما ما ووليت انت
وعثمان الخلافة ولم ينطاعوا
لكما قد اتسعت فصارت
عليكما اضيق من شبر
فقال لان رعية ابي بكر

القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشمه
وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالسكس ويعالى عليها بالاصبغة والجص ويبالغ
في ذلك بالتجديد والتنميق اظهار اللبسطة بالعناية في شأن المأوى ويهيئ مع ذلك الاسراب والمطامير
للأختزان لا قوائمه والاصطبلات لربط مقرباته اذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية كالامراء
ومن في معنائهم ومنهم من يبنى الدور والبيوت لنفسه وسكنه وولده لا يمتنى ما وراء ذلك لقصور حاله عنه
واقصاره على السكن الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة ايضا عند
تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة ويبالغون في اتقان الاوضاع وعملوا الاجرام
مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواهي لذلك واكثر ما تكون هذه
الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حواله اذ الاقاليم المنحرفة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت
حظائر من القصب والطين وانما يوجد في الاقاليم المعتدلة وأهل هذه الصناعة القاعون عليهم امتقاوتون
فهم البصير الماهر ومنهم القاصر ثم هي تتنوع انواعا كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران
ملصقا بعضها الى بعض بالطين والسكس الذي يعقد معها ويلحم كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب
خاصة يتخذها لوجان من الخشب مقدار طول او عرضا باختلاف العادات في التقدير واوسطه أربعة
أذرع في ذراعين فينصبان على أساس وقد يوصد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الأساس
ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالجمال والجدران يسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء
بينهما بلوحين آخر من صغيرين ثم يوضع فيه التراب مغلطا بالسكس ويركز بالمرأكة المعدة حتى ينعم ركزه
ويختلط أجزاؤه ثم يزد التراب ثانيا وثالثا الى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين وقد تداخلت أجزاء السكس
والتراب وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين على الصورة ويركز كذلك الى أن يتم وينظم اللواح
كلها سطر من فوق سطر الى أن ينتظم الحائط كله ملتصقا كأنه قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه
الطواب ومن صنائع البناء أيضا أن تجل المحيطان بالسكس بعد أن يحل بالماء ويخمر رأسبوعا وأسبوعين
على قدر ما يعتدل خراجه عن افراط النارية المفسدة لللحم فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من فوق
الحائط وذلك الى أن يلحم ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على
حائط البيب ومن فوقها اللواح كذلك موصولة بالدساتر ويصب عليها التراب والسكس ويسط
بالمرأكة حتى تتداخل أجزاؤها وتلتحم ويعالى عليها السكس كما يعالى على الحائط ومن صناعة البناء
ما يرجع الى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق المحيطان الاشكال المجدبة من الجص يخمر بالماء ثم
يرجع جسدا وفيه بقية البلال فيشكل على التناسب تخريما ثاقبا الحديد الى أن يبقى له رونق ورواء
وربما عولى على المحيطان أيضا بقطع الرخام والابجرو الخرز أو بالصدف أو السبج يفصل أجزاء متجانسة
أو مختلفة وتوضع في السكس على نسب واوضاع مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كأنه قطع الرخام
المنجمة الى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج لسقح المسابعد أن تعد في البيوت قصاع الرخام القوراء
المحكمات الخراط بالفوهات في وسطها النبع المساء الجاري الى الصهر يججج باليد من خارج في القنوات
المفضية الى البيوت وأمثال ذلك من أنواع البناء وتختلف الصناعات في جميع ذلك باختلاف الخلق والبصر
ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ويزداد يرجع الحكم الى نظره هؤلاء فيما هم أبصر به من أحوال
البناء وذلك أن الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاهدون حتى في الفضاء والهواء للاعلى والاسفل

وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي أنا اليوم مثلك وشبهك (وكتب) اخ محمد بن يوسف يشكو اليه جور
العمال فكتب اليه محمد بن يوسف بالغني كتابك تذكر ما أنتم فيه وليس ينبغي ان يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الامن

شؤم الذنوب والسلام (الباب الثاني والاربعون في بيان الخصلة التي تصلح بها الرعية) * اعلم ان ادنى خصال السلطان الى اصلاح الرعية واقواها اثر في تمسكهم باديانهم وحفظهم لحدودهم اصلاح السلطان (٢٤٣) نفسه وتنزهه عن سفاسف الاخلاق

وبعد عن مواضع الزيب وترقيعه نفسه من استحباب البطالة والجون واللعب واللهو والاعلان بالفسوق وقد كانت صحبة محمد الامين لذلك الرجل الخليع والمساكن الرقيق ابي نواس الشاعر وصمة عظيمة عليه او هن بها ساطانه ووضع عند الخاص والعام قدره وأطلق السنة الخلق بالشم والثناء القبيح على نفسه فخلعه بذلك أخوه المأمون عن الولاية ووجه طاهر بن الحسين لخاربه بغداد وطار به حتى قتله وانتذر رأسه الى المأمون وكان يعمل كتباً تقرأ على المنابر من خراسان ويقف الرجل فيذم اهل العراق فيقول اهل فسوق ونجور وما خوزو يعيب الامين بذلك فيقول استحب ابا نواس شاعرا ماجنا كافرا استخلصه معه اشرب الخور واركنك الماشي ونيل المحارم وهو القائل الافاسقتي نجر او قل لي هي النجر ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر وحب باسم من تهوى ودعني من الكبي

ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الحاربه والفضلات المرسبة في القنوات ويرى ايدي بعضهم حق في حائطه او علوه او قناته لتضايق الجوار أو يدعي بعضهم على جاره اختلال حائطه خشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه أو يحتاج الى قسمة دار أو عرصه بين شرين بحيث لا يقع معها افساد في الدار ولا اهمال لمنفعتها أو أمثال ذلك ويخفى جميع ذلك الاعلى اهل البصر العارفين بالبناء وأحواله المستدين عليها بالمعاقد والقسط وحر كز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات بحلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بمساكنهم من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهذه كلها البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في الاجمال باعتبار الدول وقوتها فان قدمنا ان الصنائع وتكاليفها وبكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فذلك عند ما تكون الدولة بدوية في اول امرها تنقصر في امر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين أجمع على بناء منجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالقسط طنينية في القلعة الماهرة في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة مثل تسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتراف وامثال ذلك فيحتاج الى البصر بشي من مسائله وكذلك في جاراتها بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يجر قدر القلعة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحمل لذلك بمضاعفة قوة التحمل بادخاله في المعانيق من اثقاب مقطرة على نسب هندسية تصير الثقبيل عند معاناة الرفع خفيفا فيتم المراد من ذلك بغير كلالة وهذا يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين البشر وبمثلها كان بناء الهياكل المسائلة لهذا العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظام الجسمية في وليس كذلك وانما تم لهم ذلك بالتحيل الهندسية كما ذكرناه فتفهم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

٢٦ * (فصل في صناعة النجارة) *

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادنى في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر عما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشبا اذا ليست واول منافعها ان يكون وقودا للخير ان في معاشهم وعصا للالتكاه والذود وغيرهم من ضرورياتهم ودعائم ما يخشى ميله من انقائهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون منها العمود والوتاد لخبائهم والحدوج لطعامهم والرماح والقسي والسهام لاسلحتهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاعلاق لابيوتهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه الخشب مادة لا تفسد ولا تتغير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها في التجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولا اما بالخشب اصغر منه او الواح ثم تركيب تلك القصاصات بحسب الصور والمطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعتة اعداد تلك القصاصات بالانتظام الى ان تصير اعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو التجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ما عاون حدث التأنق في صناعة ذلك

فلا خير في اللذات من دونها ستر حتى تغيرت عليه نفوس الخلق وتكررت له وجوه الوري فلما بلغ الامين حبه ثم أطلقه بعد ان اخذ عليه ان لا يشرب نجر او لا يقول فيه شعرا فتي اراد السلطان اصلاح رعيته وهو متماد على سبب اخلاقه كان كمن اراد بقاء الجسد مع فقد

رأسه أو أراد استقامة الجسم مع عدم حياته وكن أراد تقويم الضاع مع اغوتاج الشخص وكيف يحيا النون مع فساد الماء ولقد اصاب الخليل في قوله اصلح نفسك لنفسك (٢٤٤) تكون الناس تبعالك وقديما قيل من اصلح نفسه ارغم انفس اعدائه ومن اعجل

جذبه بلغ كنه امانيه (وسئل)

بعض الحكماء بم ينتقم الانسان من عدوه فقال باصلاح نفسه ولا يبالى القبح الدسنى

اذا غدا ملك بالله ومشتغلا فاحكم على ملكه بالويل والحرب

ما ترى الشمس في الميزان هابطة

ما غدا وهو برج الله والطرب

وصحبة الاشجار تورث الشر

كالريح اذا مرت على النتن

جاءت نمتنا واذا مرت على

الطيب جاءت طيبا فحال

استصلاح وعيتك وانت

فاسد وارشادهم وانت غاو

وهذايتهم وانت ضال وقد

سبق المثل ومن العجائب

اعجش كحال وتقول العرب

يا طبيب طب نفسك وكيف

يقدر الا عى على ان يهدى

والفقير على ان يغنى والذليل

على ان يعزف بعدك عن

تطهير غيرك من العيوب

قبل تطهير نفسك كبعد

الطبيب عن ابراع غيره من

ذاهبه مثله (وقال) بعض

حكماء المندلن يبلغ ألف

رجل في اصلاح رجل

واحد بحسن القول دون

محسن الفعل كما يبلغ رجل

واحد في اصلاح ألف

واستجادته بغرائب من الصناعة كالمية ليست من الضرورى فى شئ مثل التخطيط فى الابواب والكراسى ومثل تهذيب القطن من الخشب بصناعة الخروط يحكم برها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقبلة ودرة وتخدم بالدرساتر فتبدل لرى العين من الخشمة وقد أخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا فى كل شئ يتخذ من الخشب فيجىء آتى ما يكون وكذلك فى جميع ما يحتاج اليه من الاشكال المتخذة من الخشب من اى نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة فى انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدرى وهى اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبجه فى المسابقة وادامه وكما كان ليكون ذلك الشكل اعون لها فى مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوية التى للسهم كتحريك الرياح وورعا اصبحت بحركة المقاذيف كما فى الاساطيل وهذه الصناعة من اصلاها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة فى جميع اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب فى المقادير اعموما وخصوصا وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندس ولهذا كان ائمة الهندسة اليونانيون كلهم ائمة فى هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول فى الهندسة نجارا وبها كان يعرف وكذلك ابلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة فى الخليفة هو نوح عليه السلام وبها انشأ سفينة النجاة التى كانت بها مخرجته عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا عسى كونه نجارا الا ان كونه اول من علمها وتعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الا ماد وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم التجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام بفعل كانه اول من تعلمها فنفهم اسرار الصنائع فى الخليفة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٧ (فصل فى صناعة الحياكة والخياطة)

هاتان الصناعتان ضروريتان فى العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سدا فى الطول والحماما فى العرض لذلك النهج بالالتحام الشديد فتم منها قطع مقبلة ودرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولها بمقراض قطعها مناسبة للاعضاء البدنية ثم تعلم تلك القطع بالخياطة المحككة وصلا او تنبيذة او تفصحا على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضرى لما ان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحماما بالخياطة للباس من مذهب الحضارة وفنونها وتعلمهم هذا فى سر تحرير الخط فى الحج لما ان مشروعية الحج مشتملة على نذرا للعلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشئ من عوائد ترفه لا طيبا ولا نساء ولا غيظا ولا خفا ولا تعرض لضيد ولا شئ من عوائده التى تلونت بها نفسه وخلقه مع انه يقدرها بالموت ضرورة وانما يجىء كانه واردا الى المحشر ضارعا بقلبه فخاص الرب وكان جزاؤه ان تم له اخلاصه فى ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه ما رفقك بعينك وارحمتهم فى طلب هدايتهم اليك وهاتان الصنعتان قديمتان فى الخليفة لما ان الدف ضرورى للبشر فى العمران المعتدل واما المنحرف الى الحر فلا يحتاج اهله الى دف ولهذا يملغنا عن اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراة فى الغالب ولقد قدم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبياء ورعا ينسبونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

رجل يحسن الفعل دون القول وفيه قال القائل يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم فصل
تصف الدواء من السقام لدى الضى * كما يصح به وانت سقيم ما زلت تلعج بالرشاد عقولنا * عظة وانت من الرشاد عديم

ابداً بنفسك فانهم اعان غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم * فهناك يقبل ما تقول ويقتدى * بالراى منك وينفع التعليم
لانه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * ولكن أقوى الاسباب (٢٤٥) في صلاحهم عند فوت صلاحه استعماله

عليهم الخاصة منهم وذوى
الاحلام والمرآت القائمة
والاذبال الطاهرة ففى رأس
العامّة سراتهم فهو الطريق
الى حفظ اديانهم ومروآتهم
وتماسكهم عن الانهماك
فى المحظورات وملازمة
المحرمات وقال الشاعر
لا تصلح الناس فوضى
لا سراً لهم
ولا سراً اذا جها لهم سادوا
(وقال) مردك القارسى
خلفتان فى السلطان اقرب
الى صلاح الرعية مما
سواهما ثقة الراى وشدة
الرجة وما حق السلطان
ان يسلك بالرعية كل سبيل
يصلون عليه ويسودون
معه فحينئذ يكون رئيس
الرؤساء وأمير اعلى السادة
والفضلاء وان أهملهم
وركوب شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهبت اديانهم
وسقطت مروآتهم وبقوا
كجاء المثل فى الجماعة
المذمومة تقول العرب فى
القوم لارؤساء فيهم ولا
سروات بينهم هم سواسية
كاسنان الجمار وتقول
سواسية كاسنان المشط
وفيه يقول الشاعر
سواس كاسنان الجمار
فلا ترى
لذى شبة منهم على ناشئ
فضلاً

٢٨ * (فصل فى صناعة التوليد)

وهى صناعة يعرف بها العمل فى استخراج المولود الا ترى من بطن أمه من الرفق فى اخراجه من رحمها
وتهيئة اسباب ذلك ثم ما يصلح به بعد الخروج على ما نذكر وهو مختصة بالنساء فى غالب الامر لما اتتهن
الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسعى القائدة على ذلك منهن القابلة استتير فيهم معنى الاعطاء
والقبول كأن النساء تعطين الجنين وكانها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه فى الرحم واطواره
وبلغ الى غايته والمدة التى قدر الله لمكته وهى تسعة اشهر فى الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله فى
المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المتغذي مسروراً بما فرق بعض جوانب الفرج بالضغظ وربما
انقطع بعض ما كان فى الاغشية من الالتصاق والاتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشتد لها الوجه وهو
معنى الطلق فتكون القابلة معينة فى ذلك بعض الشيء بغز الظهر والوركين وما يحاذى الرحم من الاسافل
تساوق بذلك فعل الدافعة فى اخراج الجنين وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى معرفة رقة
عسره ثم اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرة معاه وتلك
الوصلة عضو فضلى لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضلة ولا تضر معاه
ولا بريحه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالسكى او بما تراه من وجوه الاندمال ثم ان الجنين عند نزوحه
فى ذلك المتغذي والضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والاندناء فربما تتغير اشكال أعضائه وأوضاعها
اقرب التكوّن ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمر والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله
الطبيعى ووضع المقدرة ويرتد خلقه سوياً ثم بعد ذلك تراجع النساء ونحاذيها بالغمر والملاينة لخروج
اغشية الجنين لانها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً ويخشى عند ذلك ان تراجع المسكة حالها الطبيعية
قبل استكمال خروج الاغشية وهى فضلات فتعقن ويسرى عقنها الى الرحم فيقع الملاك فتجاذر القابلة
هذا وتجاول فى اعانة الدفع الى ان يخرج تلك الاغشية ان كانت قد تأخرت ثم ترجع الى المولود فترخ
أعضائه بالادهان والذرورات القابضة لتشدّه وتجفف رطوبات الرحم وتحمكه لرفع لماته وتسعته
لاستقراغ بطون دماغه وتغرغره بالعوق لدفع السدد من معاه وتجويقها عن الالتصاق ثم تدأوى النساء
بعد ذلك من الوهن الذى اصابها بالطلق وما لحق رجهما من الم الانفصال اذا المولود ان لم يكن عضو طبيعياً
مخالفة التكوّن فى الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل فلذلك كان فى انفصاله الم يقرب من الم القطع
وتدأوى مع ذلك ما يلحق الفرج من الم من جراحة التزييق عند الضغط فى الخروج وهذه كلها أدواء نجد
هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء فى بدنه الى حين انفصال
نجد من أبصر بهامن الطبيب الماهر وما ذاك الا لان بدن الانسان فى تلك الحالة انما هو بدن انسانى
بالقوة فقط فاذا جاو زالفصال صار بدن انسانياً بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب أشدّ فلهذه
الصناعة كما تراها ضرورية فى العمران للنوع الانسانى لا يتم كون اشخاصه فى الغالب دونها وقد يعرض
لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلاف الله ذلك لهم معجزة وخرقاً للعادة كما فى حق
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اوبالمسلم وهداية ياهم لم المولود ويقطر عليها فيتم وجودهم من دون
هذه الصناعة فاما شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيراً ومنه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد
مسروراً محتوناً واضعاً يديه على الارض شاخصاً بصره الى السماء وكذلك شأن عيسى فى المهد وغير ذلك
واما شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب من الالهامات كالنحل وغيرها فما

ولان يكون أمير اعلى الفضلاء والرؤساء خير من أن يكون أمير اعلى الاخساء والرمادية والغوغاة والادنياء (وقد قال) عبد المالك بن مروان
وما وقد استقام له الاخر من يعذرنى من عبد الله بن عمر فانه أبى ان يدخل فى سلطانى فقال بعض جلسائه يستعصمه وتضرب عنقه وتسير

منه فقال عبد الملك و يلا اذ اقلت ابن عمر فلي من اكون امير او لما صار داود الى الحجاز في الدولة العباسية ليقتل من هناك من بني أمية قال له عبد الله بن الحسن يا ابن عم (٢٤٦) اذا سرعت في قتل ا كفائك فن تباهي بسطائك اعف يعف الله عنك فوعفا (وقال)

فذلك بالانسان المفضل عليهم وخصوصا بمن اختص بكرامة الله ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على
التي اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من أن يحاط به ومن هنا يتفهم
بطلان رأى الفارابي وحكام الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات
وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لوانقطعت اشخاصه لاستحالة وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه
الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفاتها الى حين الفصل لم يتم
بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر ممتنع لانها ثمرة وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي
لخصا لفته اياه وذهب به الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانيا لاقتضايات فلكية
وأوضاع غريبة تنذر في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمرآجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا
ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الهام لترتيبه والخنوع عليه الى ان يتم وجوده وفصاله وأطنب في بيان ذلك في
الرسالة التي سماها رسالة حي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع
لكن من غير ما استدله فان دليله مبني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل
المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والعلة القديمة ولا حاجة الى هذا
التكلف * ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لترتيبه في
الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من
خلقه للمولود نفسه كما قررناه أولا وخلق الالهام في شخص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكل
المذهبيين شاهدان على انفسهم ما بالبطلان في مناجيهم الى الله تعالى اعلم

٢٩) * (فصل في صناعة الطب وانما يحتاج اليها في المواضع والامصار دون البادية) *

هذه الصناعة ضرورية في المـ بدن والامصار لما عرف من فائدتها فان ثـمـ رتـها حفظ الصحة للاصحاء ودفع
المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم ان اصل الامراض كلها انما هو
من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطيب وهو قوله المـعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء وأصل كل داء البردة فاما قوله المـعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الدواء
فالحمية الجوع وهو الاحتماء من الطعام والمـعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الادوية
وأما قوله اصل كل داء البردة فعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المـعدة قبل أن يتم هضم الاول
وشرح هـذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينقل فيه القوى
المسماة والغاذية الى أن يصير دما ملائما لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذ هذه النامية فينقلب
لحمًا وعظاما ومعنى الهضم طبع الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً وابعاداً ورحتى يصير جرباً بالفعل من البدن
وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في القوم ولا كته الاشفاق أثرت فيه حرارة القوم طبعها سيرا وقلبت مزاجه بعض
الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاماً ثم أجزتها مضغاً فترى مزاجها غـير مزاج الطعام ثم يحصل في المـعدة
فتطبخه حرارة المـعدة الى ان يصير كيموساً وهو وصفه وذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما راسب منه
في المعانة فلاينة قد الى الخارجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دما عبيطاً وتطرق عليه
رطوبة من الطبع هي الصفراء وترسب منه أجزاء يابسة هي السوداء وبقية الحار الغريزي بعض الشيء عن
طبع العليظ منه فهو الباطن ثم ترسلها الى الكبد كلها في العروق والجـداول ويأخذها طبع الحار الغريزي
هنالك فيكون عن الدم الخالص بخار طار ويطبخ في الروح الحيواني وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون

اوسطا ما ليس للاسكندر
 استصالح الرعية وأذهب
 شرهم تكون رئيسا لاختيار
 محمودين ولا تكون رئيسا
 لاشرا مدمومين فتكون
 كراعي البقر
 (الباب الثالث والاربعون
 في ما يطلب السلطان من
 الرعية)*

كتب أرسطاطاليس الى
الاسكندر امالك الرعية
بالاحسان تظفر منهم بالحجة
فان طلب ذلك منهم
بالاحسان هو أودوم بقاء
منهم بالاعتساف واعلم انك
انما تملك الابدان فتخطاها
الى القلوب بالاعتراف
(واعلم) انه اذا عدل
السلطان ملك قلوب الرعية
واذا جار لم يملك منهم الا الرياء
والتصنع وفي سير المتقدمين
قلوب الرعية خزان ملوكها
فما أودعوها من شيء
فليعلموا انه فيها (واعلم) ان
الرعية اذا قدرت على ان
تقول قدرت على ان تفعل
فاجتهد أن لا تقول تسلم
من ان تفعل وليس هذا
خلاف ما روى عن معاوية
ان رجلا غلظ له فلم عليه
ف قيل له أتحلم على مثل هذا
فقال اني لا أحول بين
الناس وأستتهم ما لم يحولوا
بيننا وبين سلطاننا وذلك

ان تفسير قوله فاجتهد ان لا تقول يعني اذا عذبت لم يتكلموا بشئ وهذه السيرة احسن من سيرة ايرشير
لما رفع اليه ان جماعة من بطانته قد فسدت نياتهم فوقع نحن معاشر الملوك انما علمت الاجساد لا النيات ونحكم بالعدل لا بالرضا ونفحص

عن الاعمال لاعن السرائر (قلت) وانما تحسن هذه السيرة لمن يحجز عن الاولى لان ملك الاجساد قد يكون بالعدل والظلم وملك القلوب لا يكون الا بالعدل واين هذا من قوله وقد رفع اليه انك ركبت امس في عدة قليلة وتلك (٢٤٧) حالة لا يؤمن اغتيال الاعداء فيها

فوقع من عم احسانه امن
اعداءه وما احسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا اهل
الشام انما انا لكم كالظالم
الرائع على فراخه ينقي
عنهم القذرو وياعد عنهم
الحجرو يكنهم من المطر
ويحميهم من الضباب
ويحرسهم من الذئاب
يا اهل الشام انتم الحبة
والرداء وانتم العدة والجداء
وقالت العجم اسوس الملوك
من قادر عيته الى طاعته
بقلو بها ولا ينبغي للوالي
ان يرغب في الكرامة
التي ينالها من العامة
كرها ولا يكن في التي يستحقها
بحسن الاثر وصواب
الندير وقال عمر بن عبد
العزيز اني لاجع ان
أخرج للمسلمين امرا من
العدل فاخاف ان لا تحمله
قلوبهم فاخرج معه طمعا
من طمع الدنيا فان تغرت
القلوب من هذا سكنت
الى هذا وقال معاوية
لن يادمن اسوس الناس
انا وانت فقال يا امير
المؤمنين ما جعل الله رجلا
حفظ الناس بسيفه كن
اسمع الناس واطاعوا له
بالاين ويروى ان سليما
مولي زياد بن زياد
عند معاوية فقال معاوية

لجنا ثم غلبه عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب
والخاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لجنا ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي
الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يضجف عن تمام التضيغ في طبخه في كل ما ورم من هذه فيبقى ذلك
الغذاء دون تضج وسببه غالبا كثرة الغذاء في المدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام
الى المعدة قبل ان تستوفي طبخ الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليهم ما
فيقصر عن تمام الطبخ والتضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه
وربما يبق في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما
هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللعاب ان اقتدر على
ذلك وربما يحجز عن الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة وتترايد مع الايام وكل ذي رطوبة
من المتزجات اذا لم يأخذ الطبخ والتضج يعفن فيه من ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخاط وكل
منعفن فيه حرارة غريبة وتلك هي المسمومة في بدن الانسان بالحماي واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن
وفي الزيل اذا تعفن ايضا كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ ما أخذها فهاهنا معنى الحميات في الابدان وهي
راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها بقطع الغذاء عن المريض اسابيع
معلومة ثم يناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في التحفظ من هذا المرض واصله
كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيستولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث
جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوي
الموجودة له هذه كلها اجماع الامراض واصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب
ووقوع هذه الامراض في اهل الحضرة والامصارا كثر لخطب عيشهم وكثرة ما كاهم وقلة اقتصارهم على
نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيرا ما يخطون بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه
رطبا وياسا في سبيل العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع او انواع فر بما عددنا في اليوم الواحد
من ألوان الطبخ اربعين نوعا من النبات والحيوان فيصير للغة غذاء مزاج غريب وربما يكون غريبا عن
ملاءمة البدن وأجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تنفسد بمخالطة البحرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية
منشطة للارواح ومقوية بنشاطها الاثر الحار الغريزي في المضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم
في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئا ولا تؤثر فيهم اثر افكان وقوع الامراض كثير في
المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة واما اهل البدو فكلهم قليل في
الغالب والمجموع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يظن انها جيلة لاستمرارها ثم الادم
قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه انما يدعو اليه ترف الحضرة الذين هم
بعزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويقرّب مزاجها من ملاءمة البدن واما اهويتهم
فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا اهلين ولاختلاف الاهوية ان كانوا اطوا عن ثم ان
الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات الهنة انفسهم في حاجاتهم
فيحسن بذلك كله المضم ويجودو ببقاء ادخال الطعام على الطعام فتكون اخرجتهم اصيلح وادمن
الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجهه وما ذاك الا للاستغناء عنه
اذ لو احتج اليه لوجد لانه يكون له بدل في البدو معاش يدعو الى سكناه سنة الله التي قد خات في

اسكت فسا أدرك صاحبك بسيفه أدركت أكثر منه بلساني (الباب الرابع والاربعون في التحذير من صحبة السلطان) * اتفقت
حكماء العرب والعجم ووصاياهم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلم عليهم الا القليل صحبة السلطان

وانتهان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطر أصحبه السلطان وقال
مردك احق الامور بالتثبت فيها (٢٤٨) أمر السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس شعار الغرور وفي حكم الهند أيضا

عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

٣٠ * (فصل في ان الخط والكاتبه من عداد الصنائع الانسانية) *

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة
اللغوية وهو صناعة شريفة اذا الكاتبة من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع
على ما في الضمائر وتنادي بها الاغراض الى البلد البعيد مدقة قضى الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها
ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه
الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفاعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع
والعمران والتأخر في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع
وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اذ كثرت البدو اميين لا يكتبون ولا يقرؤن ومن قرأ
منهم او كتب فيكون خطه قاصرا وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عن ارضها عن الحد
ابلع واحسن واسهل طريقا لا يستحكام الصنعة فيها كما يحكي لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين
منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم
وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على اتم الوجوه وانما أتى هذا من كمال
الصنائع وفورها بكثرة العمران واتساع الاعمال وقد كان الخط العربي بالغامبالغة من الاحكام
والاتقان والمجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط الحجيري وانتقل منها
الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نسباء التبابعة في العصبية والحج ددين الملك العربي بأرض العراق
ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحضارة وتوابعها
من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لقنه اهل الطائف وقرش فعماد كرى يقال ان الذي تعلم
الكاتبة من الحيرة وسفيان بن أمية ويقال حرب بن أمية وأخذها من أسلم بن سدره وهو قول ممكن واقرب
من ذهب الى أنهم تعلموها من اباد اهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابادا وان نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شأنهم من البدو والخط من الصنائع
الحضرية وانما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب اقربهم من ساحة
الامصار وضواحيها فالقول بأن اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة وجدير
هو الا ليق من الاقوال وكان محير كتابة تسمى المسند حروفها منقصة وكانوا ينعون من تعلمها الا باذنهم
ومن حير تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا يجيدون لها شأن الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا
تكون محكمة المذهب ولا ماثلة الى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها
في الاكثر وكانت كتابة العرب بدوية مثل او قريش ما من كتابتهم لهذا العهد داو نقول ان كتابتهم لهذا العهد
احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى الحضارة ومخاطبة الامصار والدول واما مضر فكانوا عرق في البدو
وابعد عن الحضرة من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير
بالغ الى العناية من الاحكام والاتقان والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البدو والوحش
وبعدهم عن الصنائع وانظر ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت
غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند اهلها ثم اختلف

صحة السلطان على ما فيها
من العز والثرة عظيمة
الخطر وانما تشبه بالجبل
الوعر فيها الثمار الطيبة
والسباع العادية والثعابين
المهلكة فالارتقاء اليه
شديد والمقام فيه أشد وليس
يتكافأ خبر السلطان
وشره لان خبر السلطان
لا يعدو غير احوال وشهر
السلطان قدير بل احوال
ويتلاف النفس التي لها
طلب المزيد ولا خير في
الشيء الذي في سلامة مال
وجاه وفي نكته الجائحة
والتلغ ولهذا ما قيل
للعنابي لم لا تعجب السلطان
على ما فيه لك من الادب
قال اني رأيت يعطى عشرة
آلاف في غير شيء ويردى
من الصور في غير شيء
ولا أدري أي الرجلين
أكون (وأخبرني أبو
العباس المحبازي وكان
من دوح أرض الهند
والصين وانتهى الى
صين الصين الى جبل
الياقوت بالهند وان فيه
ثعابين ليس في معمر
الارض أعظم منها فان
الواحد منها يبلغ الثور
صحيحا فلا يصل أحد الى
ذلك الجبل ولا يقربه
فاذا كثرت الامطار احدثت

السيول منه الحصى وسائر ما فيه من المنافع الى مستقر المياه على مسير أيام من الجبل فيبحث الناس ذلك الحصى
فيوجد فيه الواحدة بعد الواحدة من أحجار الياقوت وقال معاوية لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي

ويرضى رضا الصبي ويبتش بطش الاسباب وقال المأمون لو كنت رجلاً من العامة ما صحبت السلطان وقال الاخنف بن قيس ثلاثة
لا أقولهن الا ليعتبر بهن لا اخلف جليسي الابعاء حضره به ولا أدخل في أمر لا أدخل فيه (٢٤٩) ولا آتى السلطان الا أن يرسل الي

وقال ابن المقفع لا بد ان
وجدت من السلطان
وصيته غني فاعن عن
نفسك واعتزله جهلك
فانه من يأخذه السلطان
بحقه يحل بينه وبين لذة
الدنيا ومن لا يأخذه بحقه
يكسبه الفضيحة في الدنيا
والوزير في الاخرة وقال
ميمون بن مهران قال لي
عمر بن عبد العزيز يا ميمون
احفظ عني أربعاً لا تصيب
سلطاناً وان أمرته بالمعروف
ونهيته عن المنكر ولا تخلون
بأمراته وان قرأتها القرآن
ولا تصل من قطع وجهه
فانه لك أقطع ولا تسبهم
بكلام اليوم تعتذر منه غداً
(وفي منشور الحكم) كثرة
الاشغال مذهلة عن وجود
الذات بكنهها وكم قدرنا
وبلغنا من صعب السلطان
من أهل الفضل والعقل
والعلم والدين ليصلحه ففسد
هو به فكان كما قال الاول
عدوى البليد الى الجليد
سريته

والبحر يوضع في الرماد
فيحمد

ومثل من يصحب السلطان
ليصلحه مثل من ذهب
ليقيم حائطاً ما ثلثا فاعتمد
عليه ليعبده فخر الحائط عليه
فأهلكه وفي كتاب كليله

التابعون من السلف رسمهم فيما تبركوا رسمه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده
المتلقون لوجهه من كتاب الله وكلامه كما يقتضي لهذا العهد خطولي او عالم تبركوا ويتبع رسمه خطأ أو صواباً وأين
نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسمها ونبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن
في ذلك الى ما يزعجه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم
لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكها وجهه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا إذ يحسنه انه تنبيه على ان
الذبح لم يقع وفي زيادة الباء في يأيدانه تنبيه على كمال القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا أصل له الا التحكم
المحض وما جله - م على ذلك الاعتقادهم ان في ذلك تنزيه الصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط
وحسبوا ان الخط كمال فنزهوه عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادة ومطلبوا لتغليل ما خاف الاجادة من
رسمه وذلك ليس بصحيح * واعلم ان الخط ليس بكمال في حقهم اذا الخط من جملة الصنائع المدنية المماشية
كمرايته فيما مر والكمال في الصنائع اضافي وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في
الحلال وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس
وقد كان صلى الله عليه وسلم لم اميا وكان ذلك كما لا في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع
العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كما هو وليست الامية كما لا في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه
ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصلية طلاحية فان الكمال في حقه هو
تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك وتولوا البصرة والكوفة
واحتاجت الدولة الى الكتابة استعملوا الخط وطلبوا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه
واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط السكوفي معروف
الرسم لهذا العهد ثم انتشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحوا افرقيقة والاندلس واختط بنو العباس
بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استبحرت في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية
وكان الخط البغدادي معروف الرسم وتبعه الافريقى المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقر من اوضاع
الخط المشرقى وتميز ملك الاندلس بالامويين وتميز واباحوا لهم من الحضارة والصنائع والخطوط فتميز
صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف الرسم لهذا العهد وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية
في كل قطر وعظم الملك وثقت اسواق العلوم وانتسخت الكتب واجيد كتبها وتجليدها ومثلت بها
القصور والخزائن الملوكة بما لا كفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه ثم لما انحل نظام
الدولة الاسلامية وتناقصت تناقص ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة فانتقل شأنها من
الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم تزل اسواقها نافذة لهذا العهد دوله بها معلوم برسمون
لتعليم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لفتها احسننا وحذق فيها درية وكتابا واخذها قوانين علمية فتجنى احسن ما يكون
وأما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم
اجم النصرانية فانشر وفي عدوة المغرب وافرقيقة من لدن الدولة المملوكية الى هذا العهد وشاركوا اهل
العمران بما لديهم من الصنائع وتعلقوا بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقى وعنى عليه ونسب
خط القبروان والمهلبية بنسب ما نواذبها وصنائعها وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم
الاندلسي بتونس وما الى التوفر اهل الاندلس بها عند الجمالية من شرق الاندلس وبقى منه رسم ببلاد

(٣٢ - ابن خلدون) ودمنه لا يسعد من ابتلى بحببة الملوك فانه لا عهد لهم ولا وقاع ولا قرييب ولا جيم ولا يكرم عليهم احد
الا ان يطعموا فيمساغده فيقر بوجهه عند ذلك فاذا قضا حاجتهم تركوه ولا ود ولا انا ولا ابلاء يجزى والذنب لا يغفر له وقال بزرجه لا تصلح

صحة السلطان الا بالطاعة والبذل ولا مؤاخاة الاخوان الا باللين والمواساة (وقال) بعض حكماء القرس المال والسلطان مفسدان لكل
أحد الا رجل له عقل كامل وقالت (٢٥٠) الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس وهو لمركبه أخوف وقالوا من لم

باب السلطان بصبر جميل
وكظم الغيظ واطراح
الاذى وصل الى حاجته
كالكرم لا يتعلق باكرم
الشجر لكن بادناها وكانت
العرب تقول ان لم تكن
من قرياء الملك فكن من
بعدائه (وفي) حكم الهند
انما مثل السلطان في قلة
وفاته مع اصحابه وسخاء
نفسه عن فقده منهم كمثل
الصبي والمكتب كلما ذهب
واحد جاء آخر والعرب
تقول السلطان ذو غدوات
و ذو بدوات و ذو تدرا
وتريد انه سريع الانصراف
كثير البدوات هجام على
الامور وأصله من الدرو
وهو الدفع

(الباب الخامس والاربعون
في صحة السلطان)
قال ابن عباس قال لي أبي
يا بني اني أرى أمير المؤمنين
يستخيلك ويستشـيرك
ويقدمك على الكابر من
اصحاب محمد عليه السلام
واني اوصيك بخلال ثلاث
لا تفشين له سرا ولا يجربن
عليك كذبا ولا تغتابن
عنده أحدا (قال) الشعبي
قلت لابن عباس كل واحدة
منهن خير من ألف قال
اي والله ومن عشرة آلاف
وقالوا صحة السلطان

المريد الذين لم يخاطبوا كتاب الاندلس ولا تدرسوا بحوارهم انما كان يغدون على دار المال بتونس فصار
خط أهل افر يقية من احسن خطوط أهل الاندلس حتى اذا تناقص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء
وتراجع امر الحضارة والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الاندلسي تشهد بها كان لهم من ذلك لما
قدمناه من ان الصنائع اذا رُسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب
الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج منهم الى قاس قريبا واسـتعمالهم اياهم
سائر الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة المال وداره كانه لم يعرف فصارت الخطوط بافر يقية
والمغرب بين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل بمصنفها منها
الا العناية والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتخفيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تسكاد
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

٣١ (فصل في صناعة الوراقة)

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان
سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص
العـمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بجزاخر العراق والاندلس اذهو كله من توابع العـمران
واتساع نطاق الدولة ونفاق اسواق ذلك لديهم ما كثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس
على تناقلها ما في الآفاق والاعصار فان تسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ
والتصحیح والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العـمران وكانت
السجلات أولا وانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة
بالصناعة من الجلال لكثرة الرفه وقلة التآليف صدر الملة كما نذكره وقلة الرسائل السلطانية والصكوك
مع ذلك فاقصر واعلى الكتاب في الرق تشرى بالكتوبات وميل إليها الى الصحة والاتقان ثم طمأ بحر
التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة
الكاغذ وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذها الناس من بعده صقفا مكتوبا باتهم السلطانية
والعلمية وبلغت الاجادة في صناعة ماشاءت ثم وقفت عناية أهل العلوم وهمم أهل الدول على ضبط
الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية المستندة الى مؤلفيها واضعها لانه الشأن الاهم من التصحيح والضبط
فبذلك تسند الاقوال الى قائمها والفتيا الى المحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن
باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قولهم ولا فتيا وهكذا كان شأن أهل العلم لموجلة في العصور
والاجيال والآفاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الخديشة في الرواية على هذه فقط اذ تشرتها الكبرى
من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها وحرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت
ومحضت زبدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقبول عند الامة وصار القصد الى ذلك لغوامن العمل ولم يبق
ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من
الدواوين والتآليف العلمية واتصال مسندها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه
الرسوم بالشرق والاندلس معجدة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المنتسجة لذلك العهد في
أقطارهم على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها هذا العهد بأيدي الناس في العالم اصول عتيقة

تشهد

بالحذر والصدق بالتواضع والعدو بالجهور والعامه بالبشر ولا تحكم لاحد بحسن رأى المال

الابحس أثره (قال) بعض الحكماء لا تستطاع السلطان ما كتمك ولا تنفس ما أطلعك عليه من أدل على السلطان استئقله ومن امتن

عليه عاده ومن أظهر أنه يستشير به بآدمه (وقال) بعض الحكماء إذا زادك السلطان تأنيسا فزده اجلا ولا إذا جعلك السلطان أخافا جعله أبوان زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده وان ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس (٢٥١) فأخذوا في الثناء عليه فعملت

بالدعاء له وان نزلت منه منزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق ولا تكثري الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبهه بالوحشة والغربة الا ان تكلمه على رؤس الناس فلا تألوا بما عظمته وذكرته وقال ابن المقفع لئلا تكن حاجتك في سلطانك ثلاث خلال رضائك ورضا سلطانك ورضا من يلي عليه ولا عليك ان تلهو عن المال

والذخر فسيأتيك منهما ما يفي ويطيّب (وقال) مسلم بن عمرو ان خدم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تتغبر اذا أقصاك وروى أن بعض الملوك استعجب حكيما فقال له أصيبتك على ثلاث خلال قال وما هن قال لا تهتك لي ستر ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل حتى تستشير في قال هذا لك فالي عندهك قال لا أقشي لك سرا ولا أدخل عنك نصيحة ولا أوثر عليك أحدا قال نعم

الصاحب المستعجب أنت وقيل لعبد الله بن جعفر ما الخرق قال الدالة على السلطان والوثبة قبل الامكان وقال ابن المقفع أولى الناس بالملك

تسهيلا لوغ الغاية لهم في ذلك وأهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالغرب وأهل الانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداءة أهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستعجة برداءة الخط وكثرة الفساد والتخفيف فتستغلق على متصفحتها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وأيضا فقد دخل الخال من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن أئمة المذهب وانما تنلق من تلاب الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك أيضا ما يتصدى اليه بعض أئمتهم من التأليف لقله بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالامحاء وهي على الاضمحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكيفية من الغرب والله غالب على أمره ويدلنا هذا العهد ان صناعة الرواية قائمة بالشرق وتكسح الدواوين من يرومه بذلك سهل على مبتغيه لتفاق اسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الانتساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم وأما النسخ بمصر فمفسد كما فسد بالغرب واشد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٣٢ * (فصل في صناعة الغناء) *

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموسيقية بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة يوقع على كل صوت منها توقيعا عند قطعه فيكون نغمة ثم تواف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها الاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع آخر وخمس آخر وسدس من آخر واختلاف هذه النسب عند ادائها الى السمع يخرجها من البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذ عند السماع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد بساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات أخرى من الجادات اما بالقرع او بالنفخ في الآلات فلهذا فترى المألوفة عند السماع فيها هذا العهد اصناف منها ما يسمى به الشبابة وهي قصبة جوفاء بانخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها قصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الانخاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الانخاش وضعا متعارفا حتى يحدث النسب بين الاصوات فيه وتصل كذلك متناسبة فيامتداد السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يسمى الزلامي وهو شكل القصبة منحوتة الجانين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اختلافها من قطعتين منفردتين كذلك بانخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطة اليها وتصدر صوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانخاش بالاصابع مثل ما يجري في الشبابة ومن احسن آلات الزمر هذا العهد البوق وهو بوق من نحاس أجوف في مقعدار الذراع يتسع الى ان يكون انقراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل برى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تؤدي الريح من القم اليه فيخرج الصوت نغمة دواوية وفيه انخاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذ او منها آلات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من السكره مثل البريطا والباب او على شكل مربع كالقانون توضع الاوتار على يساطها مشدودة في رأسها الى دساتر جائلة ليتأتى شد الاوتار ورخوها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار اما بعود آخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره

القاحشة المقدم على السلطان بالدالة وقال يحيى بن خالد الدالة تفسد الحرمة القديمة وتضر بالحجة المتأكدة وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعمه في معصية خالفك فان احسانه اليك فوق احسان الملوك وابقاعه بك أغلاظ من ايقاعه أصحب الملوك بالهينة لهم

والوقار لانهم انما اجتمعوا عن الناس لقيام الهيئة فلا تترك الهيئة وان طال انسلت بهم فهو حسبهم منك لا تعط السلطان مجهودك في اول صحبتك له فلا تجدد بعد لئلا يدمو مضعها (٢٥٢) ولكن دع لئلا يدمو مضعها السلطان وكانك تتعلم منه واشهر عليه وكانك تستشيرها اذا احدث السلطان من نفسه بحيث

او نقله من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملاذوذة وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في الامواد ببعضها بعض على توقع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولينين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقرر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للدرك وملائمة كانت ملاذوذة واذا كانت منافية له منافرة كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما تناسبت كقيته خاصة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات وفي الروائح ما تناسب مزاج الروح القلبي البخاري لانه المدرك واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار العظريات احسن رائحة واشد ملائمة للروح لغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي واما المرثيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في اشكالها وكيفياتها فهو انسب عند النفس واشد ملائمة لها فاذا كان المرثى متناسبا في اشكاله وتخطيطه التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ متناسبا بالنفس المدركة فتدركه بادراك ملائمتها ولهذا تجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر تفهمه ان كنت من اهلها وهو اتحاد المبدأ وان كل ماسواك اذا نظرت وتاملته رايت بينك وبينه اتحاد في البداية يشهد لك به اتحاد كما في الكون ومعناه من وجه آخر ان الوجود يشترك بين الموجودات كما نقوله الحكماء فتود ان تخرج عما شاهدت فيه السكالك لتتحد به بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المبدأ او الكون ولما كان انسب الاشياء الى الانسان واقربها الى ان يدرك السكالك في تناسب موضوعها وشكله الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن في تخطيطه واصواته من المدارك التي هي اقرب الى فطرته فيلجج كل انسان بالحسن من المرثى او المسموع بجملة تضي الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لامتنافرة وذلك ان الاصوات لها كمييات من الهمس والجهر والرخاوة والشدة والقلقلة والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فالاولا ان لا يخرج من الصوت الى مده دفعة بل يتدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المغاير بين الصوتين وتامل هذا من افتتاح اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة او المتقاربة الخارج فانه من بابه وثانيا تناسبها في الاجزاء كما مر اول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كذا منه على حسب ما يكون التنقل مناسب على ما حصره اهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكمييات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملاذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطا ويكون المركبا كثير من الناس مطبوعا عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة كما تجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقع الرقص وامثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء هذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون في تلاحين اصواتهم كأنها المزمار فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به عالم الموسيقى كما نشره بعد عن ذكر العلوم وقد انكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين واجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعات فانه لا ينبغي ان يختلف في حظره اذ صناعة الغناء مباحة للقرآن بكل وجهه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعيين اداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند

السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويتقربك قايالك والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تدري متى يتغير لك فيكون عون عليك اياك ان تعادي من اذا شاء يطر حثابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعلم وفي الامثال القديمة احذر رماة الخدعة وفيه قيل ليس الشفيح الذي ياتيك مؤثرا مثل الشفيح الذي ياتيك عريانا وفي الامثال لا تدل فقل ولا توجف فتجف وقال الرشيد لا يعمل بن صبيح اياك والدالة فانها تقصد الحرمة وقال سليمان بن داود عليه السلام لا تغش السلطان ولا تقعد عنه وقال الحكماء شدة الانقباض عن السلطان قورت التهمة وشدة الانبساط تنفع باب الملالة واعلم ان من طلب العز بلاذل كانت ثمرة سعيه الدل احرز منزلتك عند السلطان بمثل ما اكتسبتهم من الجود والمناسحة واحذر ان يحبطك التهاون بعمارتك اليه التحفظ ان اشقى الناس بالسلطان صاحبه كما ان اقرب الاشياء الى النار اسرعها احتراقا من

لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ وامراج الاذي وصل الى حاجته (وقال الاحنف بن قيس) من لا تنقبضوا عن السلطان ولا تهاكوا عليه فانه من اشرف على السلطان ارداه ومن تضرع له تحطاه وقال ابن عباس رضي الله عنه

ثلاثة من عادات عزته ذلة السلطان والولد والغريم واعلم انه انما يستطيع ضجة السلطان احدث حنين اما فاجر مصانع ينال حاجته
بجوره ويسلم بصانعه وامامه غفل مهين لا يحسده احد فاما من اراد ان يحجب السلطان (٢٥٣) بالصدق والنصيحة والاعفاف

فقلنا تسطيع له صوته
لانه يجتمع عليه
عدو السلطان وصديقه
بالعداوة والحسد اما
الصديق فينافسه في
منزله فيطعن عليه لنصيحته
له فاذا اجتمع عليه هذان
الصنفان كان قد تعرض
للهلك وقال بعض الحكماء
من شارك السلطان في
عز الدنيا شاركه في ذل
الاخرة لا يوحشك من
السلطان اكرام الاشرافان
ذلك للضرورة اليهم كما
يضطر الملك الى الحجام
فيشرط قفاه ويخرج دمه
(وفي الامثال) لا حليم ان
لا سفيه له وكان ابن عمر
اذا سافر الى مكة استحب
معه رجلا فيه ما فيه يستدفع
به شر السقهاء واهل الوغاة
والدغارة وقال المعتصم ان
للسلطان لسكرات فيها
الرضا عن استوجب السخط
والسخط على من استوجب
الرضا ومنه قول الحكماء
خاطر من لم يجع في البحر
واعظم منه خطر من صحب
السلطان وقال ابن المقفع
لا يئس من شتم السلطان
شتما ولا اغلاظه اغلاظا
فان ربح العزة تبسطه في
غير بأس ولا سخط (وقال
سأيد) احد حكماء الفرس

من يطلقه او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب
الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبار احدى ما قد يخل بالاخر اذا تعارضوا وتقديم الرواية متعين من تغيير
الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعترف في القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين
اليسيط الذي يهتدي اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه في رد اصواته ترديدا على نسب يدركها العالم
بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا ومحل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كما
ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذات اذ بادراك
الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كما في اخبارهم واما قوله صلى الله عليه
وسلم لقد اوتي فرار من فرار آل داود فليس المراد به التردد والتلحين انما معناه حسن الصوت واداء
القراءة والابانة في مخارج الحروف والنطق بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العمران اذا توفر
وتجاوز حد الضرورى الى الحماجي ثم الى الكمال وتفتنوا فحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من
فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطالبها الا الغارغون عن سائر
احوالهم فتنشأ في مذاهب المذوذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاجر في امصارهم ومذنبهم
وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويواعون به حتى لقد كان ملوك الفرس اهتماما بهل هذه الصناعة واهم
مكان في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل اقل
من آفاقهم وعملهم من محالهم واما العرب فكان لهم اولافن الشعر يؤلفون فيه الكلام اجزاء متساوية
على تناسب بعضها في عدة حروفها المتحركة والسكونية ويصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلا يكون كل
جزء منها مستقلا بالافادة لا ينقطع على الاخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالجزئة او لا ثم يتناسب
الاجزاء في المقاطع والامدادى ثم بتأدية المعنى المقصود وتطبيق الكلام عليها فله جوابه فامتاز من بين كلامهم
يحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديوانا لاخبارهم وحكمهم وشرعهم
ومحكا لقرائنهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمر واعلى ذلك وهذا التناسب الذي من اجل
الاجزاء والمتحرك والسكون من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب
الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم يشعروا علموا ولا عرفوا صناعة وكانت البداة اغلب
نحلهم ثم تغنى الحداثة منهم في حداثا بلهم والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الى اصوات وترغوا وكانوا يسمون
الترنم اذا كان بالشعر غناء واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغنيا بالعين المجعة والباء الموحدة وعلاها ابو
اسحق الزجاج بانها تذكروا بالغابر وهو الباقي اى باحوال الاخرة وزعمنا سبوا في غنائهم بين التغمات
مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق آخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون
منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والزاما في طرب ويستخف الخووم وكانوا يسمون هذا
الفرج وهذا البسيط كلمة من التلاحين هو من اوائها ولا يبعد ان تنفطن له الطباع من غير تعليم شأن
السايط كما هي من الصنائع ولم يزل هذا شأن العرب في بدواتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واسستهم وتولوا على
عبدالل بن ابي حازم واساطان العجم وغلبهم عليه وكانوا من البداة والغضاضة على الحال التي عرفت
لهم مع غضايرة الدين وشدة في ترك احوال الفراغ ومالبس ينافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئا ما
ولم يكن المذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف
وغلب عليهم الرقة بما حصل لهم من غنائهم لام صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية واستعداء الفراغ

اربعة اشياء ينبغي ان تغنى للفهم كما تغنى للبليد ولا يتكلم فيها على زكاه احد تأويل الدين واخلاط الادوية وصفة الطريق والخوف
والراي في السلطان واعلم ان السلطان اذا انقطع منك في الاخرة نسي الاول فارحامهم مقطوعة وجبا لهم مصرومة الامن رضوانه في

وكتهم وساعتهم واذا رايته من الوالى خلا لا تتبعى فلا تكلمه على ردها فانه يا صفة صعبة لكن احسن مساعدته على احسن رايه فاذا استحكمت منه ناحية من الصواب (٢٥٤) كان ذلك الصواب هو الذى يصبره الخطايا اللطيفة اكثر من تبصيرك واجعل العدل من

حكمته فان العدل يدعو بعضه الى بعض فاذا تمكن اقتلع الخطأ ولا تطلب ما قبل الوالى بالمسئلة ولا تستبطئه وان ابطأ ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق والاستثناء فانك اذا استحقته أتاك من غير طلب واذا لم تستبطئه كان أجعل له وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فداره مداراة المرأة العاقلة القبيحة للزوج الا حتى المبعوض وقال يحيى بن خالد لبعض اخوانه تذكر لى هرون الرشيد فقال له ارض بقلبه من كثيره واياك ان تسخط فيكون أسخط منك

٣٣ * (فصل فى ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا الكتابة والحساب) *

قد ذكرنا فى الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اولاً ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكا بالفعل وعقلا محضاً فتكون ذاتا روحانية ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يقيد هاعلا فريد او الصنائع ابد يحصل عنها وعن ملكها قانون علمى مستقادم من تلك الملكة فلهذا كانت الحنكة فى التجربة تفيد عقلا والملكات الصناعية تفيد عقلا والخضرة الكاملة تفيد عقلا لانها مجتمعة من صنائع فى شأن تدبير المنزل ومعايشة ابناء الجنس وتحصيل الاكساب فى مخالطتهم ثم القيام بامور الدين واعتبار اديانها وشرايطها وهذه كلها قوانين تنظم علومها فيحصل منها زيادة عقل والكتابة من بين الصنائع اكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وبيانها ان فى الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية فى الخيال ومن الكلمات اللفظية فى الخيال الى المعانى التى فى النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلى الذى يكسب العلوم الجهرولة فيكسب بذلك ملكة من العقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس فى الامور ما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى فى كتابه لما رآهم يتلك الفطنة والكمس فقال ديوانه اى شياطين وجنون قالوا ذلك اصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان فى صناعة الحساب نوع تصرف فى العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

(الباب السادس والاربعون فى سيرة السلطان مع الجند) اعلم ان الجند مدد الملك وحضونه ومعاقله واولاده وهم حمة البضة والذابون عن الحرمه والدافعون عن العورة وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث وامداد المسلمين والمجد الذى يلقى العدو والسهم الذى يرمى به والاسلح المدفوع فى فخره فبهم يذب عن الحرم وتؤمن السبل وتسد الثغور وهم عز الارض وحمة

الثغور والذادة عن الحرم والشوك على العدو وعلى الجند الجند عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة فليغنوا فى الطلب وان تكن عليهم فليكسر والاعنة وليجملوا الاسنة وليذكروا اخبار غزو وينبغى للملك ان يتفقد

جندة كنفقد صاحب البستان يستأنه فيقلع العشب الذي لا ينفعه من العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع فهو بالقلم اجدر ولا يستصلح الجند الا باذرار ازرارهم وسد حاجاتهم والمكافأة لهم على قدر عنايتهم وبلائهم (٢٥٥) وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الائمة

ونحوسها وقال ابرويز
لابنه شرويه لا توسع على
جندك فيستغنوا عنك
ولا تضيق عليهم فيضجوا
منك واعطهم عطاء قصدا
وامنعهم منع اجلا ووسع
عليهم في الرخاء ولا توسع
عليهم في العطاء ولما
أفضى الامر الى ابي جعفر
المنصور انفذ جيشا وقال
لقواده سيروا بمثل هذه
السيرة ثم قال صدق
الاعرابي اجمع كلبك
يتبعك فقام ابو العباس
الطوسي فقال يا امير
المؤمنين اخشى أن يلوح
له غيرك برغيف فيتبعه
و يدعك (ويروي) ان
كسرى صنع طعاما في
سماط فلما فرغوا ورفعت
الاسلات وقعت عينه
على رجل من اصحابه قد
أخذ جاماله قيمة كثيرة
فسكت عنه وجعل الخدم
يرفعون الاسلات فلم
يجدوا الجام فسمعهم كسرى
يتكلمون فقال مالكم
فقالوا فقدنا جاما من
الجامات فقال لا عليكم
أخذه من لا يردده ورآه من
لا يقضحه فلما كان بعد
أيام دخل الرجل على
كسرى وعليه حلة جديدة
وحال مستجدة فقال له

(الفصل السادس من الكتاب الاول)
في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك
كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

١ *(فصل في ان العلم والتعليم طبعي في العمران البشري)*

وذلك ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في حوائته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه ببناء جنسه والاجتماع المهية لذلك
التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح اخواه فهو مفكر في ذلك كله
دائما لا يقتصر عن الفكر فيه طرفه عين بل اختلاج الفكر اسرع من لمع البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم
وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما تستدعيه
الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم أو زاد عليه
بمعرفة أو ادراك أو أخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلواه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على
أخذه وعلمه ثم ان فكره ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد آخر
ويتعمق على ذلك حتى يصير الحقائق العوارض بتلك الحقيقة ملزمة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك
الحقيقة علما مخصوصا وتشوف نفوس أهل الجبل الناشئ الى تحصيل ذلك فيفزعون الى أهل معرفته
ويجيئ التعليم من هذا فقد تبين بذلك ان العلم والتعليم طبعي في البشر

٢ *(فصل في أن التعليم للعلم من جملة الصنائع)*

وذلك ان المحقق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بآدائه وقواعده
والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله ومالم تحصل هذه الملكة لم يكن المحقق في ذلك الفن
المتناول حاصل هذه الملكة هي في غير الفهم والوعي لان نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعيا
مشتتركا بين من شد في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاقل الذي لم يحصل علما وبين العالم
الخبير والملك انما هي للعالم أو الشاوي في الفنون دون من سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم
والوعي والملكات كلها اجتماعية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات
كلها محسوسة فتقتصر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم اوصافا الى مشاهير المعلمين فيها
معتبرا عند كل أهل أفق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل
امام من الائمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس
من العلم والا لكان واحدا عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجد الاصطلاحات في تعليمه
متخالفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك فاعلم ان سندات تعليم العلم لهذا
العهد قد كاد أن يقطع عن أهل المغرب باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص
الصنائع وفقدانها كما مر وذلك ان القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر عمرانهما
وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة ومخف في ما التعليم لا متداد مصورها وما كان
فيهما من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمرا كش مستفادا
منها ولم ترسخ الحضارة بمرا كش لبدء الدولة الموحدية في أولها وقرب عهد انقراضها بمجدتها فلم تتصل

كسرى هذا من ذلك قال نعم ولم يقل له شيئا (وسئل عمرو بن معاذ) وكان على الصوائف بم قدرت على جيوش الصائفة وكان يغزو في
كل سنة ويمجر الجيوش الى بلاد الروم فقال بسمانة الظهور والقديد وكثرة السبعك (وروي) أن بعض امراء العرب كان ظالما لرعيته

شديد الاذى لهم في أموالهم فموتوا في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فربما كل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه (٢٥٦) * (الباب السابع والاربعون في سيرة السلطان في استجلاء الخراج) * أيها الملك من طال عدوانه

زال سلطانه واعلم ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقائه الامن وتناجه العدل وهو حصن السلطان ومادة المال والمال أقوى العدو على العدو وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصلحتها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فيايبها الملك احرص كل الحرص على عمارة الارضين والسلام أيها الملك مرجاة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلاقة تنال من الدم بغير اذى ولا سماع صوت فالاتنا له البعوضة بلسنتها وهول صوتها (ولما عزل عثمان) عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن أبي السرح فحمل من المال أكثر مما كان يحمله فمرو فقال عثمان يا عمرو أشعرت ان اللقاح دنت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتهم اولادها وقال زياردا حسنو والى المزارعين فانكم لم تزلوا سعيانما سعيوا وفي مشور

احوال الحضارة فيها الاقل وبعد انقراض الدولة بما كش ارتحل الى المشرق من افر يقية القاضي أبو القاسم بن زيتون لعهد أواسط المائة السابعة فأدرك تلميذا الامام ابن الخطيب فأخذ عنهم واثقن تعليمهم وحدث في العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فأخذ عن مشيخته مصر ورجع الى تونس واستقر بها وكان تعليمه مقيدا فأخذ عنهما أهل تونس واتصل بسند تعليمهما في تلاميذهما جيل بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخته واحدة وفي مجالس باعياها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان لهذا العهد الا أنهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشدالي وأدرك تلميذاني عمرو بن الحاجب وأخذ عنهم واثقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة وحدث في العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مقيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه في طلبتها ورجع بانتقل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه وأوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر اقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل بسند التعليم فيهم ففسر عليهم حصول الملكية والحد في العلوم وأيسر طرق هذه الملكية فتق اللسان بالمخاطرة والمنظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتالا ينطقون ولا يناقشون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل فجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر أو علم وما أتاهم القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والاحتفاظ بهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به ووطنهم انه المقصود من الملكية العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها الطالب العلم حصول مستغاه من الملكية العلمية واللباس من تحصيلها اطفال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة لا بما سوى ذلك وأما أهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلم لوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصر واعليه واحتفظ سند تعليمه بينهم فاحتفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خلوا وأثر بعد عين وأما العقليات فلا أثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلا بسيف البحر شغلهم بعائشهم أكثر من شغلهم بعابدها والله غالب على امره وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل اسواقه منافقة وبحوزة زاخرة لا اتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد أدا له منها ما صار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلة لا وسند التعليم بها قائما فاهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليطن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشدهم بهمة واعظم كياسة بطرتهم الاولى وان

الحكمة من جاوز في الحلب حليب الدم (وفي الامثال) اذا استقصى العجل في مص أمه رفسه وقال جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزى بمنزل العدل ولا استغزى بمنزل الظلم وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك نفوسهم

الرعية والسكر الخراج بالجور والتجامل ومثل السلطان اذا جل على اهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الارضين مثل من يقطع لمحبه
ويا كله من الجوع فهو وان قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية وما أدخل على نفسه (rov) من الوجع والضعف أعظم مما

دفع عن نفسه من ألم الجوع
ومثل من كاف الرعية
من الخراج فوق طاقتها
كالذي يطحن سطحه بتراب
أساس بيته ومن يدمر
خزائنه مود يشك ان
يضعف فتقع الخيمة واذا
ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارضين
فبتركونها تغرب الارض
ويهرب الزراع فتضعف
العمارة فيضعف الخراج
ويستج ذلك ضعف الاجناد
واذا ضعف الجند طمع
الاعداء في السلطان أيها
الملك كن بما يبقى في يد
رعيته أفرح منك بما
تأخذ منها لا يقل مع
الصلاح شي ولا يبقى مع
الفساد شي وصيانة القليل
اولى من تربية الجليل
فلا مال لا خرق ولا غيلة
لمصلح (وروي) ان المأمون
ارق ليلة فاستدعى سميرا
فحدثه بمحدث فقال يا امير
المؤمنين كان بالموصل
يومه قوت بالبصرة يومه
فقطبت يومه الموصل
الي يومه البصرة بنتها لابنها
فقلت يومه البصرة
لا انكحك ابنتي الا ان
تجعل في صدقها مائة
ضعة خراب فقلت يومه
الموصل لا اقدر عليها الا ان

نفوسهم الناطقة كل بطريقتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة
الانسانية ويشيرون لذلك ويواعون به لسا يرون من كبسهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس
بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا اقاليم المنحرفة
مثل الاول والسابع فان المزجة فيها منحرفة والنفس على نسبتها كما هو وانما الذي فضل به اهل المشرق
اهل المغرب هو ما يخصه ل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم في الصنائع وتزيد به الا ان
تحقيقا وذلك ان الحضرة لهم آداب في احوالهم في المعاش والمساكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا سائر
اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم يبق في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه
ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانها حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول
منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا تسببه له لقبول صناعة
اخرى ويتربا بها العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك
مثل انهم يعلمون الحرف الانسانية والحيوانات العجيبة من الماشي والطائر مفردات من الكلام والافعال
يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال
العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله واصنافه في فكره بكثرة الملكات الحاصلة بالنفس اذ قد منان النفس
انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كسما لما يرجع الى النفس من
الآثار العلمية فيظنه العاقل تفاوت في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا ترى الى اهل الحضرة مع اهل البدو
كيف تجد الحضرة مقلدا بالذكاوة ثمان السكس حتى ان البدوي ليظنه انه قد فاته في حقيقة انسانيته
وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجل ان ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضرية
ما لا يعرفه البدوي فلما امتلأ الحضري من الصنائع وملكها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك
الملكات انها الكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها وجبلتها عن فطرتها وليس كذلك فانما
يخدم من اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته انما الذي ظهر على اهل
الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لما آثار ترجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق
لما كانوا في التعليم والصنائع ارفع رتبة وعالى قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه في
الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادى الراى انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصاصا به عن اهل المغرب
وليس ذلك بحجج فتفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو اله السموات والارض

٣ (فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة)

والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قد منان الصنائع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه امر
زائد على المعاش فتى فضلت أعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفوا الى ما وراء المعاش من التصرف
في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته الى العلم عن نشأ في القرى والامصار غير
المقدمة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعى لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحلة في
طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كما هو واعتبر ما قررناه بمجال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة
والكوفة لما كثر عمرانها صلاها لسلام واسستوت فيها الحضارة كيف زحرت فيها البحار العلم وتغنوا في
اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واشتراط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وقاتوا المتأخرين

(٣٣ - ابن خلدون) ولكن ان دام والينا ساء الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك قال فاستيقظ المأمون وجلس
للخالم وانصف الناس بعضهم من بعض وتقدير الولاية (وسمعت) بعض شيوخ الاندلس من الاجناد وغيرهم يقولون ما زال اهل

الاسلام ظاهرين على عدوهم وامر العدو في ضعف وانتقاض لما كانت الارض مقطعة في ايدي الاجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يرى (٢٥٨) التاجر تجارته وكانت الارض عامرة والاموال وافرة والاجناد متوافرين والكرراع والسلاح

ولما تناقص عمرانها وابذع سكانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحرة وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن جملة ما تعلم العلم واكد ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما ثنتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلاطنتهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق والولاء وما يخشى من معاطب الملك ونكباته فاستكثر وامن بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شر كالولد لهم ينظر عليها او نصيب منها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخيبر والتمساج الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرائتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها اسواق العلوم وزحرت بحارها والله يخلق ما يشاء

٤ (فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد)

(اعلم) ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلها وتعليمها هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره وصنف ثقلي يأخذه عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومساائلها وانحاء مراميها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره (١) ويحتمل على الصواب من الخطا فيهما من حيث هو وانسان ذو فكر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق القروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الامحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بشبوت الحكم في الاصل وهو ثقلي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه واصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهوؤها للافادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه واولا وهذا هو علم التفسير ثم ياتى سنده وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم ياتى سنده السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يقيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصيل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقده مما لا يعتقده وهذه هي العقائد الالمانية في الذات والصفات وامور المحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم الالمانية لانه متوقف عليها وهي اصناف منها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الادب حسب ما تتكلم عليها كلها وهذه العلوم

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعديا فتقول وقفته على كذا اي اطاعته عليه قاله نصر اه

فوق ما يحتاج اليه الى ان كان الامر في آخر ايام ابن ابي عامر فردد عطايا الجند مشاهرة بقبض الاموال على النطع وقدم على الارض جباية يجبرونها فاكلوا الرعايا واجتاحوا اموالهم واسستضعفهم فتهاد بت الرعايا وضعضفوا من العمارة فقات الجبايات المرتفعة الى السلطان وضعت الاجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى اخذ الكثير منها ولم ينزل امر المسلمين في نقص وامر العدو في ظهو رالي ان دخلها المثلثون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم ولا ادري ما يكون وراء ذلك

(الباب الثامن والاربعون في سيرة السلطان في بيت المال)

هذا باب ساكت فيه سلوك الطوائف والهند والصين والسند وبعض ملوك الروم خلاف سيرة الانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين فكانت الملوك تدخر الاموال وتحتجبها دون الرعية وتعددها اليوم كريمة على ما بينا في الباب قبله وكانت الرسل والخلفاء بعدهم تبذل الاموال ولا

تدخرها او تصطنع الرعية وتوسع عليها فكانت الرعية هم الاجناد والحجاة وهذه سيرة نبينا محمد صلى الله عليه والنقلية وسلم وقد علمتم ان جوعه كان اكثر من شبعه وان مات ودرعه مرهونة في صاع شعير عنده يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده ابو بكر

وعمر وعثمان وعلى وابنه الحسن وعمر بن عبد العزيز والنبي عليه السلام لما فتح الله عليه اليمن كان يجبي له الاموال فيقرقها اليومها وقد توضع في المسجد وتقرش الانطاع و يقرقها من الغدولم يكن له بيت مال (وروي) (٢٥٩) ابوداود في السنن ان النبي

عليه السلام صلى العشاء الاخرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وفي يديه خريقة فيها ذهب فقصه ثم قال ما ظن آل محمد لو أدركه الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي عليه السلام بيت مال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي جبيت من حلها بين المسلمين ووربما يفضل منها فضلات فيجعل في بيت فمن حضر من غائب او احتاج من حاضر قسم له حظه ثم يفرق حتى لا يبقى في البيت منه درهم كما روي ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشرف على بيت المال وفيه مال فقال يا بيضاء و يا حمراء ابيضى واحجى و غري غري ثم افرقهم جميع ما فيه على المسلمين وامر قنبر ان يكنسه ويرشه ثم دخل فصلى فيه ثم كثير من المملوك ساروا في الاموال على نحو هذه السيرة من مملوك الاسلام ومملوك الروم ومعظم ما اهلك بلاد الاندلس وسلط عليها الروم ان الروم التي كانت تجاوز النال تكن لهم بيوت اموال وكانوا ياخذون

النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فبانية بجميع المال لانها نسخة لها وكل ما قبلها من علوم المال فهو جورة والنظر فيها مخطور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل اليك وانزل اليكم والها والهاكم واحذروا راي النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بضاعا نقيية والله لو كان موتى حيا ما وسعه الا اتباعي ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت اسواقها في هذه الملة بما لا يزيد علمه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات ورتبت القنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنسيق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بمساو مشهور منها حسب بما نذكره الا ان عندنا هذه القنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سبل العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به اتفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكالية اكثر عمرا نه والحضارة ووجود الاعانة لمطالب العلم بالحرابة من الاوقاف التي اتسمت بها ارزاقهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ويبيده التوفيق والاعانة

• (علوم القرآن من التفسير والقراآت) •

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكميات الحروف في أدائها وتوقف ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواتر نقاها ايضا بأدائها واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من اجم الغفير فصارت هذه القراآت السبع اصولا للقراءة ووربما يزيد بعد ذلك قراآت آخر لحقت بالسبع الا انها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراآت السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كميات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن واباه الاكثر وقالوا بتواترها وقال آخرون بتواتر غير الاداء منها كما هو التسهيل لعدم الوقوف على كقيته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراآت وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكتبت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلم منقردا وتناقله الناس بالشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى ان ملك بشرق الاندلس مجاهد من موالى العارفين وكان معتمدا بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذه به مولاه المنصور بن ابي عامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته فكان سهمه في ذلك وافرا واختص مجاهد بعد ذلك بأمانة دانية والجزائر الشرقية فنفت بها سوق القراءة لما كان هو من أئمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراآت خصوصا فظهر بعده ابو عمرو والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايته أسانيدها وتعددت تاليفه فيها وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها واعتمدوا من يقنها كتاب التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يله من العصور والاجيال ابو القاسم ابن فيره من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب مادونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها أسماء القراء بحروف ا ب ج د ترتيبا أحكمه

الجزيرة من سلاطين الاندلس ثم يدخلون الكنيسة فيقصدونها سلطانهم على رجاله بالطاس وياخذون ما ياخذون وقد لا ياخذ شيئا منها وانما كانوا يهبطون بها الى رجال وكانت سلاطيننا تحتجب الاموال وتضع الرجال فكان للروم بيوت رجال والمسلمين بيوت

أموالهم - هذه الخلة قهرونا وظهورنا وإعلائنا وكان من يذهب هذا المذهب ولا يدخر الأموال تضرب فيه الأمثال ويقال عدو المال بيت المال وصديقه جنده فاذا ضعف (٢٦٠) أحدهما أقوى الآخر واذا ضعف بيت المال يبذله للحمالة أقوى الناصر واشتد

باس الجند وقوى المال
واذا قوى بيت المال
وامتلا بالمال والقل الناصر
وضعت الحمالة فضعف الملك
فوثبت عليه الأعداء وقد
شاهدنا ذلك في بلاد
الاندلس مشاهدة وإذا
كان الدفاع في الرجال
لا في الأموال وانما يدفع
بالأموال بواسطة الرجال
فلا شك أن بيت رجال
خير من بيت مال وقد قال
بعض الملوك لابنه يا بني
لا تجمع الأموال لتتقوى
بها على الأعداء فإن في
جمعها تقوية الأعداء
يعني إذا جمعت الأموال
أضعفت الرجال فيطمع
فيك الصديق ويثب
عليك العدو وانما مثل
الملك في ملكته مثل رجل
له بستان فيها عين معينة
فإن هو قام على البستان
فاحسن تدبيرها فهندس
أرضها وغرس أشجارها
وحظير على جوائنها ثم
أرسل عليها الماء فحضر
عودها فقويت أشجارها
وأينعت ثمارها وزكت
بركاتها فكانوا جميعا في
أمان من الضيعة ولا
يخافون فقرا ولا شتاتا وإن
هو رغب في غلتها وجناها
ولم يتفق فيها ما يملكها ولا

ليتمر عليه ما قصد من الاختصار وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا
وعنى الناس بحفظها وتلقيها الأولاد المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والاندلس وورعا
أضيف إلى فن القراءة فن الرسم أيضا وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لأن فيه
حروفا كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الباء في بأيديوز زيادة الألف في لا ذبحنه
ولا أوضعوها والواو في جزأ الظالمين وحذف الألفات في مواضع دون أخرى وما رسم فيه من التآت عدودا
والأصل فيه جربوط على شكل الماء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما
جاءت هذه المخالفة لأوضاع الخط وقانونه احتيج إلى حصرها فكتب الناس فيها أيضا عند كتبهم في العلوم
وانتهت بالمغرب إلى أبي عمر الداني المذكور فكتب فيها كتابا من أشهرها كتاب المقنع وأخذ به الناس وهو أول
عليه ونظمه أبو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روى الراعي والناظر الناس بحفظها ثم كثرت الخلاف
في الرسم في كلمات وحروف أخرى ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتابه وهو من
تلاميذ أبي عمر والداني والمشتهر بحمل علومه ورواية كتبته ثم نقل به عدة خلاف آخر فتنظم الخراز من
المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لناقله واشتهرت بالمغرب واقصر
الناس على حفظها وهجر روايتها كنب أبي داود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم (وأما التفسير) فاعلم
أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مقرراته
وتراكمه وكان ينزل جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والقروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو
في العقائد الإيمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ومنها ما يندرج تحتها من ما يتأخر ويكون ناسخا له وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يبين الجملة ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب
نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه كما علم من قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح أنها نزلت
صلى الله عليه وسلم وأمثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وتداول ذلك
التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف
علومًا ودونت الكتب فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى
ذلك إلى الطبري والواقدي والتهالبي وأمثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه ومن
الآثار ثم صارت علوم اللسان صناعات من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الأعراب والبلاغة في
التراكيب فوضعت الدواوين في ذلك بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب
فتتوسى ذلك وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن لأنه بلسان العرب
وعلى مناجح بلاغتهم وصار لنفسه يرعى صنفين تفسيرين نقل من قبله إلى الآثار الواردة عن السلف وهي
معرفة الناسخ والمنسوخ وأساس باب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة
والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشمل على الغث والسمين
والمقبول والمردود والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنما غلبت عليهم البداهة
والأمية وإذا شوقوا إلى معرفة شيء مما شوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكنونات وبدء الخليقة
وأسرار الوجود فأنما يسألون عنه أهل السكاب قبلهم ويستفيدون منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن
تبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه
العامية من أهل السكاب ومعظمهم من حير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم

ساق إليها من الماء ما روي بهار غبة في الغلة وضعت بالماء ضعفت عمارتها ودقت أشجارها وقلت ثمارها
وهذه بيت غلتها وحقق الدهر ما جنى من غلتها فافتقر القوم وهلكوا وتشتتوا ومثال المال في جمع المال ليتقوى به على عدوه مثل طائر ينتف

د يشه ويص اصولها ويا كل مانع منها فاذله طيبها واعجبه بخصب جنته على ذلك وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى خف ريشه
فسقط الى الارض فاكلته الموام والحشرات (ورأيت) في أخبار بعض الملوك ان وزيره (٢٦١) أشار عليه بجميع الاموال واقتناه

الكنوز وقال ان الرجال
وان تفرقوا عنك اليوم
ففي احنتهم عرضت
عليهم الاموال فهاقتوا
عليك فقال له الملك هل
لهذا من شاهد قال نعم هل
يحضر لنا الساعة ذباب قال
لا قال فامر باحضار حفنة
فيماعسل فحضرت فتساقط
عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان بعض اصحابه في
ذلك فنهاه عن ذلك وقال
لا تغير قلوب الرجال فليس
في كل وقت اردتهم حضروا
فسأل هل لذلك من دليل
قال نعم اذا امسينا سأخبرك
فلما أظلم الليل قال للملك
هات الحفنة فحضرت ولم
تحضر ذبابة واحدة (وقد
روينا) عن سيرة بعض
السلطانين في أرض مصر
وكان قد ملكها وكان اسمه
يلدق وورانه كان يجمع
الاموال ولا يحقل بالرجال
فقال له اصحابه ان امير
الجيش وش بالشام وهو
يتواجد وكان قد قدم
عليك فاستعد الرجال
واتفق فيهم الاموال فامروا
الى صناديق موضوعة
عنده وقال الرجال في
الصناديق قفرا امير
الجيش ذلك الملك في مصر
وقته وتسلم الصناديق

علا تعلقه بالاحكام الشرعية التي يحتملون لها مثل اخبار بده الخليفة وما يرجع الى المحدثان
والملاحم وامثال ذلك وهو لا مثل كتب الاخبار وروهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتلات
التفاسير من المنقولات عند دم في امثال هذه الاغراض اخبار وقوة عليهم وليست مما يرجع الى
الاحكام فيحترى في العجة التي يجب بها العمل ويساهل المفسرون في مثل ذلك وماؤا كتب التفاسير
بهذه المنقولات واصلاها كما قلنا عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا يتحقق عندهم معرفة ما يقولونه
من ذلك الا أنهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم كما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقبت بالقبول
من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتحصيل وجاء ابو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص
تلك التفاسير كلها وتحري ما هو اقرب الى العجة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس
حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق والصف
الاخر من التفاسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب
المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان ينقد عن الاول اذا الاول هو المقصود بالذات وانما جاء
هذا بعد ان صار للسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالبا ومن احسن ما شتم عليه هذا
القن من التفاسير كتاب الكشف للزنجشيري من اهل خوارزم العراق الا أن مؤلفه من اهل الاعتزال في
العقائد فبأني بالحاج على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة فصار بذلك
للمحققين من اهل السنة انحراف عنه وتحذير الجمهور من مكانه مع اقرارهم برسوخ قدمه فبما يتعلق
باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقف على المذاهب السنية بحسبنا للحجاج عنها فلا جرم أنه
ما مؤن من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان ولقد وصل اليها في هذه العصور تأليف لبعض
العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من اهل تويريز من عراق الهم شرح فيه كتاب الزنجشيري هذا وتبع
الفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلة تنزيها او يبين أن البلاغة انما تقع في الآية على ما رواه اهل
السنة لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاهد مع امتاعه في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

٦ * (علوم الحديث)

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لان منها ما يتطرق في ناسخه ومنسوخه وذلك مما ثبت في شريعة
من جواز النسخ ووقوعه لطف من الله بعباده وتخفيفا عنهم باختيار مصالحهم التي تكفل لهم بها قال تعالى
ما ننسخ من آية او ننسها فانما نخرج منها اوهنا او نلغها فاذا تعارض الخبران بالنسخ والاثبات وتعذر الجمع بينهما
بعض التأويل وعلم تقدم احدهما تعين ان المتأخر ناسخ ومعرفة النسخ والمنسوخ من اهم علوم الحديث
واصعبها قال الزهري اعيان الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة ومن علوم الاحاديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما
يجب العمل به من الاحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل انما واجب بما يغلب
على الظن صدقه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهد في الطريق التي يحصل ذلك الظن وهو
بمعرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط وانما يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلهم وبراعتهم من
الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليل على القبول او الترك وكذلك مراتب هؤلاء المتعلمة من الصحابة
والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتغيرهم فيه واحد او احدا وكذلك الاسانيد تتفاوت باضافتها وانقطاعها بان
يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلال الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين

والمالك فكان رايه راي فاسد لان رجالا يقيمهم لوقته ويصطنعهم لحاجته انما يكونون اجنادا محججين وشركة ملائقين ليس فيهم علماء
ولا عندهم دفاع ولا ممارسة للعروب (ومن السير) المروية في هذا الباب انه لما فتحت العراق جي بالمال الى غير فقال صاحب بيت المال

أدخله بيت المال فقال لا ورب الكعبة لا يؤوى تحت سقف بيت حتى تقسمه فغطي في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار فلما أصبح نظر الى الذهب (٢٦٢) والفضة والياقوت والزبرجد والدرى تلالاً فبكى فقال له العباس اوعبد الرحمن

ابن عوف يا امير المؤمنين والله ما هذا يوم يكافؤ ولكنه يوم شكروا سرور فقال انى والله ما ذهبت حيث ذهبت ولكنه والله ما كثر هذا في قوم الا وقع باسمهم بينهم ثم أقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم انى أعوذ بك ان اكون مستدر جافى اسمك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم قال أين سراقه بن جهم فأتى به أشعر الذراعين دقيقه ما فاعطاه سوارى كسرى وقال البسم ما فعل فقال قل الله أكبر قال الله أكبر قال قل الحمد لله الذى ساهما كسرى والبسم ما سراقه بن جهم اعرايا من بنى مدج ثم قبلهما وقال ان الذى أدى هذا الامين فقال له رجل انا اخبرك انت أمين الله تعالى وهم يؤدون اليك ما أدبت لله تعالى فاذا رمت رتموا قال صدقت وانما البسم ما سراقه لان النبى صلى الله عليه وسلم قال اسراقه ونظر الى ذراعيه كانى بك قد ابست سوارى كسرى ولم يجعل له الا السوارين (ولما ولي أبو بكر الصديق) رضى الله عنه

فحكم بقبول الاعلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشأن ولهم في ذلك الفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من القاب المندولة بينهم ويؤبوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان او الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الروايات بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او مناوله او اجازة وتقوات رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب او مشكل او تصحيف او متفرق منها أو مختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه وكانت احوال نقلة الحديث في عصر السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلده فتم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر والنجيع معروفون مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى من سواهم وامتن في الصحة لاستمدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط وتجاوهم عن قبول المجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضى الله تعالى عنه ثم اصحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعى والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مبداه ذال الامر نقلا صريحا من السلف وتحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطا ودعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدھا المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضا في ابواب متعددة باختلاف المعاني التى اشتمل عليها وجاء محمد بن اسمعيل البخارى امام الحديثين في عصره فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التى للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكررا لاجاديت يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذى تضمنه الحديث فتكررت لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل (١) على تسعة آلاف حديث ومائتين منها ثلاثة آلاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى قالف مسنده الصحيح حذافيه حذو البخارى في نقل الجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد وبوبه على ابواب الفقه وترأجه ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله وقد استدرك الناس عليهم ما في ذلك ثم كتب ابو داود السجستاني وابوعيسى الترمذى وابوعبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اماما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما هو معروف وامان الذى دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل وهذه هي المسانيد المشهورة في الملة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما يفرد عنها التامخ والمنسوخ فيجعل قنابرا سه وكذا الغريب وللناس فيه تاليف مشهور ثم المؤلف والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثر واومن فحول علماءه وانتمهم ابو عبد الله الحاكم وتاليفه فيه مشهورة وهو الذى هذبه واظهر محاسنه واشهر كتابه للتأخرين فيه كتاب ابى عمرو بن الصلاح كان لهذه أوائل المائة السابعة وتلاه محي الدين النووى بمثل ذلك والفن شريف في معزاه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة وقد انقطع لهذا العهد تخرىج شئ من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين اذا العادة تشهد بان هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم

(١) قوله تسعة الذى في النووى على مسلم انها سبعة بتقديم السين فخره اه

جامع مال من المال فصب في المسجد و امر قنادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر قال ابو ايوب الانصارى فجهته فقلت يا خليفة رسول الله ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال أعطيتك هكذا وهكذا وأشار

بكتفه فسكت أبو بكر فانصرفت ثم عاودته فسكت عني ثم انصرفت وعاودته فقلت اما ان تعطيني واما ان تبخل فاني فقال ما أبخل عندك
اذهب فخذ ففنت حقة قال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسة مائة دينار وأبو أيوب (٢٦٣) من أغنياء الانصار وهو تزيل

النبي صلى الله عليه وسلم
ذل الحديث على أن بيت
المال للفقير والغني والفقر ودل
أيضا أنه لا يجب أن يساوى
فيه جميع المسلمين بل ذلك
مؤكد إلى اجتihad الإمام
(فصل) قال الحسن
ابن علي الأسدي أخبرني أبي
قال وجدت في كتاب قبطني
باللغة الصمدية مما نقل
بالعربية مما كان
يستخرج لقرعون يوسف
من أموال مصر بحرق
الخراج مما يؤخذ من
وجوه الجبايات سنة
واحدة على العدل
والانصاف والرسوم
الجارية من غير اضطهاد
ولا مناقشة وبعد وضع
ما يجب وضعه لمواد
الزمان نظرا للإمامين
وتقوية الخلق من الدين
أربعة وعشرون ألف ألف
وأربعة مائة ألف دينار
من ذلك ما ينصرف في
عمارة البلاد لمقر الخلع
والانفاق على الجسور
وسد الترع واصلاح
المناشآت ثم تقوية من
يحتاج إلى تقويته من غير
رجوع عليه بها إقامة
العوامل والثروة في البزار
وغير ذلك من الآلات
وأجرة من يستعان به لمحل

وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا يغفلوا شيئا من السنة أو يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعد عنهم وإنما
تنصرف العناية لهذا العهد إلى تصحيح الامهات المكتوبة وضبطها بالرواية عن مصنفها والنظر في اسانيد
إلى مؤلفها وعرض ذلك على ما تقر في علم الحديث من الشروط والاحكام لتصل الاسانيد محكمة إلى
منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية بما كثر من هذه الامهات الخمسة الا في القليل * فاما البخاري وهو
أعلاما رتبة فاستصعب الناس شرحه واستعلقوا من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة
ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج إلى
امعان النظر في الثقة في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيه الحديث بسند أو طريق ثم يترجم أخرى
ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة إلى أن
يتكرر الحديث في ابواب كثيرة بحسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم يستوفه - هذا فيه فلم يوفى حق
الشرح كابن بطل وابن المهلب وابن النين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رجعهم الله يقولون شرح
كتاب البخاري دين على الأمة يعنون ان أحدا من علماء الأمة لم يوفى ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار
* وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به وأكبروا عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من
غير الصحيح مما لم يكن على شرطه وأكثر ما وقع له في التراجم وأما الإمام المازري من فقهاء المالكية عليه
شرحا وسماه المعلم بقوائمه سلم اشتمل على عبون من علم الحديث وفنون من الفقه - ثم أكمله القاضي
عياض من بعده وجمعه وسماه كمال المعلم وتلاه ما يحيى الدين النووي بشرح استوفى ما في السكاكين
وزاد عليهم ما فجاء شرحا وافية * وأما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء فكثر شرحها في كتب
الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واساتدوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث
وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعول بها من السنة * واعلم ان الاحاديث قد تميزت
مراتبها لهذا العهد بين صحيح وضعيف ومعلول وغيرهاتنزلها أئمة الحديث وجهابذته وعرفوها ولم يبق
طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها
بحيث لو روى حديث بعينه بسنده وطريقه - يفتنونه الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحمد بن عثمان امتحانه فسأله عن احاديث قلبوا
اسانيدها فقال لا أعرف هذه وليكن حديثي فلان ثم اتى بجميع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل
منه الى سنده واقرؤا له بالامامة * واعلم ايضا ان الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الاكتفاء من هذه الصناعة
والاقلال فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا ونحوها وما لك رجه الله
انما صح عنده ما في كتاب الموطا وغايتها ثلثمائة حديث ونحوها وواحد بن حنبل رجه الله تعالى في مسنده
خمسون الف حديث ولكل ما اداه اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المبعضين المتعسفين الى ان منهم
من كان قليل البضاعة في الحديث فلهذا قلنا روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الأئمة لان الشريعة
انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل البضاعة من الحديث فينبغي عليه طلبه وروايته والجد
والتشهير في ذلك ليأخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قلنا منهم من
قوله الذي في شرح الزرقاني على الموطا حكاية أقوال خمسة في عدة احاديثه أولها خمسة مائة ثانيا خمسة مائة
ثالثها ألف وثيف رابعها ألف وستة مائة وخمسون خامسها ست مائة وستون وليس فيه قول بما
في هذه النسخة قاله نصر الموريني اه

البزار وسائر نفقات تطبيق الارضين ثمانمائة ألف دينار وما ينصرف في ارزاق الاولياء الموسومين بالسلاح ومن في جملتهم من الشاذية
والغلمان واشياعهم وعدة جميعهم مع ألف كاتب موسومين بالدواوين سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم مائة ألف

واحدى عشر ألف دينار وثمانية ألف درهم وما ينصرف للارامل والياتام يرضون به من بيت المال وان كانوا غير محتاجين حتى لا يخلوا ما لهم من برفرة (٢٦٤) اربعمائة الف دينار وما ينصرف في كفاية اربعمائة الف دينار وما

ينصرف في الصدقات مما يصب صباو يشادى برئت الذمة من رجل كشف وجهه لفاقة ولم يحضر فيحضر لذلك من يحضر ولا يرد احد والامناء خلوس فاذا راوا انسانا لم يجبروا عليه بان يأخذ افرده بعد قبضه ما قبضه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطائفة عدد دخل امناه فرعون اليه ومنه بفرقة المال ودعه واله بطول البقاء ودوام العز والسلامة وانهم سئ اليه حال تلك الطائفة فيأمر بتغيير شعنها بالجمام واللباس ثم يد البسماط فيأكلون بين يديه ويشربون ويستعلم من كل واحد سب فاقته فان كان ذلك من آفة الزمان رد عليه مثل ما كان له وان كان سوء رأى وتدير غير مستقيم ضمه الى من يشرف عليه ويأخذه بالاذب والمعرفة التي لا يصلح الابهام اثنا الف دينار وما ينصرف من نفقات فرعون الراتبه لسنه اثنا الف دينار تكون النفقات على ما تقدم تفصيلها تسعة آلاف الف وثمانمائة الف دينار ويحصل بعد ذلك ما

٧ * (علم الفقه وما يتبعه من الفرائض) *

الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والمحظور والنهي والكره والاباحة وهي متعلقة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة ما من الادلة فاذا استقر جت الاحكام من تلك الادلة قبل لمناقته وكان السلف يستخرجون ما من تلك الادلة على اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي بلغة العرب وفي اقتضا آت الفاظها الكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف واذا فالتسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتحتاج الى الترجيح وهو مختلف ايضا فالادلة من غير النصوص مختلف فيها وايضا فالرقائع المتجددة لا توفى بها النصوص وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيعمل على منصوص مشابهة بينهما وهذه كلها اشارة الى ضرورة وقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالحنابلة للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم او ممن سمع منهم من علمتهم وكانوا يسمون لذلك القراء الذين يقرؤون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم اغرابته يومئذ وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكل الفقه واصبح صناعة وعلم فبذلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانعم الفقه فيهم الى طريقين طريق اهل الرأي والقياس وهم اهل العراق وطريق اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلا في اهل العراق لما قدمناه فاستكثر وامن القياس ومهزوا فيه فلذلك قيل اهل الرأي ومقدم جاعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك بن انس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء وابطلوا العمل به وهم الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعلية المنصوصة

يؤسسه يوسف الصديق عليه السلام ويحصله لفرعون في بيت المال لنواب الزمان اربعة عشر ألف الى ألف وثمانمائة الف دينار (وقال ابو رهم) كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافئدتها فيجسوه كيف

آخرها وذلك قوله تعالى
 كم تركوا من جنات وعيون
 وزروع ومقام كريم
 ونعمة كانوا فيها فاكهين
 والمقام الكريم الذي المنيبر وكان
 بها القامع منبر (وقال عبد
 الله بن عمرو) استعمل
 فرعون هامان على حفر
 خليج سر دوس فأخذ في
 حفره وتدبيره فجعل أهل
 القرى يسألونه أن يجري
 الخليج تحت قريتهم
 ويعطوهم مالا وكان يذهب به
 من قرية إلى قرية من الشرق
 إلى الغرب ومن الشمال
 إلى القبلة ويسوقه كيف
 أراد فلبس في مصر خليج
 أكثر غطوفاً منه فاجتمع
 له من ذلك أموال عظيمة
 فجعلها إلى فرعون وأخبره
 بالخبر فقال له فرعون أنه
 ينبغي للسيد أن يعطف
 على عبده ويقبض عليهم
 من خزائنه وذخائره ولا
 يرغب فيما بأيديهم رد
 على أهل القرى ما أخذت
 منهم فرد عليهم أموالهم
 فهذه سيرة من لا يعرف
 الله ولا يرجو لقاءه ولا
 يخاف عذابه ولا يؤمن
 بيوم الحساب فكيف
 يجب أن تكون سيرة

(٣٤ - ابن خلدون) من يقول لا اله الا الله ويوقن بالحساب والثواب والعقاب (وقال ابن عباس) رضى الله عنهم افي قوله تعالى اجعاني على خرائن الارض افي حقيقه لايم قال هي خرائن مصر وكانت اربعين فرسخا في مثلها ولم يطع يوسف فرعون ومخالفه ويتوب عنه الا بعد ان دعاه الى الاسلام فاسلم فحينئذ قال اجعني على خرائن الارض (ولما استوثق) امر يوسف الصديق

عليه السلام وكل وصارت الاشياء اليه واراد ربك ان يعرضه على صبره لم يركب محاربه وحلت ستموا الغلاء والجوع مات العزيز
 وذهبت الذخائر واقفرت زليخا وعى بصرها وجعلت تشكف الناس فقيل لها لو تعرضت للملك لعله يرجلك ويغنيك فطالما حقت عليه
 واكرمه ثم قيل لها لا تفعل (٢٦٦) لانه ربما يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والمحس فيسى عليك ويكافئك فيما سبق

منك اليه فقالت انا اعلم
 بحكمه وكرمه وجاست له
 على رابية في طريقه يوم
 خروجه وكان يركب في
 زهاء مائة ألف من عظماء
 قومه وأهل مملكته فلما
 أحست به قامت وقالت
 سبحان من جعل الملوك
 عبيداً لمصيرهم وجعل
 العبيد ملوكاً بطاعتهم فقال
 يوسف ومن أنت قالت
 أنا التي كنت أخدمك على
 صدور قديمي وأرجل جنك
 يدي وأكرم مسواك
 بجهدي وكان منى ما كان
 وذقت وبال أمري وذهبت
 قوتي وتلف مالي وعي
 بصري وصرت أسأل الناس
 ففهم من يرجني ومنهم
 من لا يرجني بعدما كنت
 مغبوظة أهل مصر كلها
 صرت مرحومة بهم بل
 محرومة منهم هذا جزاء المفسدين
 فبكى يوسف عليه السلام
 بكاء شديداً وقال لها هل
 بقي في قلبك من حبك
 أياي شيء فقالت والذي
 اتخذ إبراهيم خليلاً انظرة
 إليك أحب الي من ملء
 الأرض ذهباً وفضة فضى
 يوسف وأرسل اليها ان
 كنت ايماناً تزوجناك وان

عند هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون من سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثرت شعوب
 الاصطلاحات في العلوم والمعارف عن الوصول الى رتبة الاجتهاد والاشي من اسناد ذلك الى غير اهله
 ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه فصرحوا بالعجز والاعواز وردوا الناس الى تقليد هؤلاء كل من اختص به من
 المقلدين وحظروا ان يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذهبهم وعمل كل مقلد
 بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول واتصال سندها بالرواية لا محصول اليوم للفقهاء غير هذا ومدعى
 الاجتهاد لمذاهب العهود مردود على عقبه معجور تقليده وقد صار أهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الاربعة
 الاربعة فاما الجدين حنبل فقلده قليل لبعده مذهب عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية وللأخبار
 بعضها يعضها وكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث
 وأما أبو حنيفة فقلده اليوم أهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء النهر وبلاد العجم كلها ما كان
 مذهبهم اخص بالعراق ودار الاسلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني العباس فكثرت تلاميذهم
 ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا منها بعلم مستظرف وانظار غريبة وهى
 بين أيدي الناس وبالمغرب منها شئ قليل نقله اليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في رحلتهم وأما
 الشافعي فقلده بمصر أكثر مما سواها وقد كان انشهر مذهبهم بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا
 الحقبة في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشجنت كتب
 الخلافات بأنواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدر وس المشرق واقطاره وكان الامام محمد بن ادریس
 الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن
 المواز وغيرهم ثم المحدث بن مسكين وبنوه ثم انقرض فقه اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة
 وتداولهم فقه اهل البيت وتلاشى من سواهم الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح
 الدين يوسف بن أيوب ورجع اليهم فقه الشافعي واصحابه من أهل العراق والشام فعاد الى احسن ما كان
 ونفق سوقه واشتهر منهم محي الدين النووي من الحلبه التي ربيت في ظل الدولة الايوبية بالشام وعز الدين
 ابن عبد السلام أيضاً ثم ابن الرفعة بمصر وتقى الدين بن دقيق العيد ثم تقى الدين السبكي بعدهما الى ان
 انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني فهو اليوم أكبر الشافعية بمصر كبير
 العلماء بل أكبر العلماء من أهل العصر وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبهم أهل المغرب
 والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا أنهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز
 وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقنعوا
 على الاخذ عن علماء المدينة وشيخهم يومئذ وامامهم مالك وشيوخهم من قبله وتلميذه من بعده فرجع اليه
 أهل المغرب والاندلس وقلده دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وايضا فالمدونة كانت غالبية على أهل
 المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى أهل الحجاز اميل لمناسبة
 البدوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصا عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من
 المذاهب ولما صار مذهب كل امام عالما فحصوصا عند أهل مذهبهم ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد
 والقياس فاحتاجوا الى تنظيم المسائل في الاحاق وتقريرها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول

المقرة كنت ذات بعل أغنيئك فقالت للرسول الملك أعرف بالله من أن يستهزئ بي هو لم يردني
 في أيام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وأنا عجوز عياء فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام فجهزت فتر وجهها وأدخلت عليه فصاف قدميه
 وجعل يصلي ودعا الله بأمه الاعظم فرد الله تعالى عليها شياها ووجهها وبصرها كهشتم ايوم راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له

افرايم بن يوسف وميشا بن يوسف وطاب في الاسلام عيشهما حتى فرق الدهر بينهما فوجب للقوي أن لا ينسى الضعيف ولا الغني أن لا ينسى الفقير فرب مطلوب يصير طالبا ومغلوب يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما (فهذا يوسف) الصديق عليه السلام انظر الى ضعفه في يداخوته يوم الحب ثم ضعفهم بين يديه يوم الصاع (وهذه زليخا) (٢٦٧) ملكة مصر وسيدة أهلها عادت

تتكفئ الناس في الطرقات
قال الله تعالى وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون
مشارك الأرض ومغارها
التي باركنا فيها فساكن
يوسف عليه السلام بعد
هذا يجوع ويأكل خبز
الشعير ولا يشبع فقيل له
أجوع وبيدك خزان
الأرض قال أخاف أن
أشبع فأنسى الجماعين
(وقد رايت) أن الحق
عنقبة في مثلها يتنافس
العقلاء ويرغب فيها
الملوك والوزراء وذلك أني
لما كنت بالعراق وكان
الوزير نظام الملك والغالب
على ألقابه خواجه برك
رحمه الله تعالى قدوزر لابي
الفتح ملك الترك ابن الب
ارسلان وكان قدوزر لابي
من قبله فقام بدولتهما
أحسن قيام فشد أركانها
وشيد بنائها واستمال
الأعداء ووالي الأولياء
واستعمل الكفاة وعم
أحسنه العدو والصديق
والغنيض والمحبي والبعيد
والقريب حتى ألقى الملك
بحرانه وذل الخلق لسلطانه
وكان الذي مهد له ذلك
بإذن الله تعالى وتوفيقه

المقر من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك النوع من التنظير
والتمفرقة واتباع مذهب امامهم فيهم اماما استطاعوا هذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد وأهل المغرب
جميعا مقلدون لما لك رحمه الله وقد كان تلميذه اقترقوا بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسمعيل
وطبقته مثل ابن خويزمنداد وابن البيان والقاضي أبو بكر البهري والقاضي أبو الحسين بن الفصار
والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم وأشباهه وابن عبد الحليم والحارث بن مسكين
وطبقتهم ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك في
الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية ورحل من افر يقية اسدين
القرات فكاتب عن أصحاب أبي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك وكاتب على ابن القاسم في سائر
أبواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه وسمى الاسدية نسبة الى اسدين القررات فقرأها سيجنون على اسد
ثم ارتحل الى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكاتب
سجنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه وكاتب لاسد أن يأخذ بكتاب سجنون فأنف من ذلك فترك
الناس كتابه واتبعوا مدونة سجنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى
المدونة والمختلطة وعكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الاندلس على الواضحة والعتبية ثم اختصر
ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالمختصر ومخصره ايضا أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان
في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده المشيخة من أهل افر يقية وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل
الاندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواه ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات
بالشرح والايضاح والجمع فكاتب أهل افر يقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس واللخمي
وابن محرز التونسي وابن بشير وامثالهم وكاتب أهل الاندلس على العتبية ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد
وأمثاله وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الامهات من المسائل والخلاف والاقوال في كتاب النوادر فاشتمل
على جميع اقوال المذهب وفرع الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس معظمه في كتابه على
المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الافقيين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تسلك بها ما
أهل المغرب بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابى عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب
وتعديدا لقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن
الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن اللميت وابن رشيق وابن شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف
وبني سند وابن عطاء الله ولم أدر عن أخذها ابو عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين
وزهاب فقه أهل البيت وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب آخر المائة
السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصا أهل بجاية لما كان كبير مشيختهم ابو علي ناصر
الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب فانه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك فجاءه وانتشر
بقطر بجاية في تلمذه ومنهم من انتقل الى سائر الامصار المغربية وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته
ويتدارسونها لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد
السلام وابن رشد وابن هرون وكاهم من مشيخة أهل تونس وسابق حلبيتهم في الاجادة في ذلك ابن عبد

أنه أقبل بكتابه على مراعاة جمال الدين فبنى دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباطات للعباد والزهاد وأهل الصلاح
والفقراء ثم أجرى لهم الجرايات والكساوي والنفقات وأجرى الخير والرزق لمن كان من أهل الطلب للعلم مضافا الى أرزاقهم وعم بذلك
سائر أقطار ملكه فلم يكن من أوائل الشام وهي بيت المقدس الى سائر الشام الاعلى وديار بكر والعراقين وخراسان بأقطارها الى سمرقند

من وراءهم جيحون مسيرة زهاء مائة يوم حامل علم أو طالبه أو متعبداً وزاهداً في زاوية أو كرامته شاملة له وسابغة عليه وكان الذي يخرج من بيوت أمواله في هذه الأبواب ستمائة ألف دينار في كل سنة فوشى به الوشاء إلى أبي الفتح المالك وأوغر وأصدره عليه وقالوا إن هذا المال يخرج من بيوت الأموال (٢٦٨) يقيم به جيشاير كزرايته في سور قسطنطينية فخار ذلك قلب أبي الفتح المالك فلما دخل

السلام وهم مع ذلك يتعاهدون كتاب التذيب في دروسهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

٨ * (علم الفرائض) *

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة مما تصح باعتبار فروضها الأصول أو مناسختها أو ذلك إذا هلك أحد الورثة وإن كسرت سهامه على فروض ورثته فإنه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل القروض جميعاً في الفريضة تين إلى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسخت أكثر من واحد أو اثنين وتعد لذلك بعدداً كثيراً بقدر ما تعدد يحتاج إلى الحساب وإن وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين مثل أن يقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصحح على الوجهين حينئذ وينظر مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة وكل ذلك يحتاج إلى الحساب وإن كان غالباً فيه وجعله فنامقردا وللناس فيه تأليف كثيرة أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم المجعدي ومن متأخري أفرقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم فيه تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدهم باتساع الباع في الفقه والحساب وخصوصاً بالمعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف يجمع بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج الجوهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فيماؤها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يقيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل الملكية في المتداول على أكل الوجوه وقد يحتاج إلا أكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وإنها أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرج به أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا الحمل بعدد وان المراد بالفرائض أمساها الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وهذا المعنى يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كلها بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن جعل لفظ الفرائض على هذا الفن الخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا الأهل عمومته مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع القروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل الأعلى ما كان يحمل في عصرهم فهو أليق برادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٩ * (أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات) *

(اعلم) أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت الأحكام تتلقى منه بما يوحى إليه من

عليه قال يا أبا بخت يا غنى أنك تخرج من بيوت الأموال كل سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ولا يغني عنا فبكي نظام المالك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي علي فممن يز يدلم أحفظ نجسة دنائير وأنت غلام تركي لو نودي عليك فسالك تحفظ ثلاثين ديناراً وأنت مشتغل بلذاتك منهمك في شهواتك وأكثر ما يصعد إلى الله تعالى معاصيك دون طاعاتك وحيوشك الذين تعدهم للزواجب إذا احتشدوا كالخواعنك بسيف طوله ذراعان وقوس لا ينتهي مدى برماه ثلثمائة ذراع وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخجور والملاهي والمزمار والطبور وأنا أقت لك جيشاً يسمى جيش الليل إذا نامت جيوشك لي لا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين يدي ربههم فارساً وادموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا إلى الله أكتفهم بالدعاء لك وحيوشك فانت وحيوشك في خفارتهم تعيشون وبعائهم يمتيتون ويبركانهم

تطرون وترزقون تخرق سهامهم إلى السماء السابعة بالدعاء والتضرع فبكي أبو الفتح المالك بكاء شديداً ثم قال شاباش القرآن يا أبا بخت شاباش أكثر لي من هذا الجيش (ومن مناقب) هذا الرجل وفصائله أن رجلاً قصده يقال له أبو سعيد الصوفي فقال له يا خواجه أنا أبن لك مدرسة في بغداد مدينة السلام لا يكون في معمر ولا أرض مثلاً يخلد بها ذكرك إلى أن تقوم الساعة قال أفعل وكتب إلى وكلائه

ببغداد أن يكون من الأموال فابتاع بقة على شاطئ دجلة وخط المدرسة النظامية وبنائها أحسن بنيان وكتب عليها اسم نظام الملك وبنى حولها أسواقا تكون محبسة عليها وابتاع ضياعا وخانات وجامعات وأوقفت عليها فكمات لنظام الملك بذلك رياسته وسودود كرجيل طبق الأرض خبره وعم المشارق والمغرب أثره وكان ذلك في سنة عشر الخمين وأربعمائة (٢٦٩) من الهجرة ثم رفع حساب النفقات

إلى نظام الملك فبلغ ما يقارب ستين ألف دينار ثم غنى الخبر إلى نظام الملك من الكتب وأهل الحساب أن جميع ما أنفق فيها فهو من تسعة عشر ألف دينار وأن سائر الأموال احتج بها لنفسه وخانك فيها فدعا نظام الملك إلى أصحاب الحساب فلما أحسن أبو سعيد بذلك أرسل إلى الخليفة أبي العباس يقول هل لك في أن أطبق الأرض بذكرك وأنشر لك فخر الاتمجه والأيام قال وما هو قال فمخواتهم نظام الملك عن هذه المدرسة وكتب عليهم اسمك وترن له ستين ألف دينار فأرسل إليه الخليفة يقول له أنفذ من يقبض المال فلما استوثق منه مضى إلى أصحابه فقال له نظام الملك أنك قد رفعت الينا نحو من ستين ألف دينار نفقة وأحب أخرج الحساب فقال له أبو سعيد لا تطل الخطاب إن رضيت والامحوت اسمك المكتوب عليها وكتبت عليها اسم غيرك وأرسل معي من يقبض المال فلما أحسن نظام الملك بذلك قال يا شيخ

القرآن وبينه بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلى المنامها قولاً أو فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقه وتعين دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلة ما لاجماع الصحابة على الذكر على مخالفهم ولا يكون ذلك إلا عن مستند لا نملهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الأدلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيدون الاشباه بالاشباه منهم ما ويناطرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كثير من الوقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة ففاسدوها بما ثبت والمحقوق بما نص عليه بشرط في ذلك الاتحاق بصحح تلك المساواة بين الشبهين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهم ما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الأدلة واتفق جمهور العلماء على أن هذه هي أصول الأدلة وأن خالف بعضهم في الاجماع والقياس لأنه شذوذ وانحى بعضهم بهذه الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها فكان أول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه أدلة فأما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متته والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتيال وأما السنة وماتقل المنامها فالاجماع على وجوب العمل بما يصلح منها كما قلناه مع تضادها كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من انقاذ الكتب والرسائل إلى النواحي بالاحكام والشرائع أمرها ونهايا وأما الاجماع فلا نقاهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للأمة وأما القياس فباجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه أصول الأدلة ثم ان المنقول من السنة يحتاج إلى تصحيح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصنة لا لظن صدقه الذي هو مناط وجوب العمل وهذه أيضاً من قواعد الفن ويلحق بذلك عند التعارض بين الخبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله أيضاً وأوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والنصرف والبيان وحين كان الكلام ملكة لاهله لم تكن هذه علومها ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذ يحتاج إليها لأنها جيلة وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علومها يحتاج إليها الفقهاء في معرفة احكام الله تعالى ثم ان هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية بين المعاني من أدلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة وبها تستفاد الاحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك وجعلوا قوانين لهذه الاستفادة مثل أن اللغة لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معنياه معا والاول لا تقتضي الترتيب والعام اذا خرجت افراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والامر لا وجوب والندب واللفور والتراحي والنهي يقتضي الفساد والحق والمطلق

قدس وغنائك جميع ذلك كله ولا تمنح اسمنا ثم ان اباسه يدني بتلك الاموال الرباطات للصوفية واشتري الضياع والخانات والبساتين والدور ووقف جميع ذلك على الصوفية فالصوفية الى يومنا هذا في رباط أبي سعيد الصوفي وواقفه يتقبلون ببغداد في هذه المناسبات فليتنافس المتنافسون ويأكل هذا فيعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصب وخلق دجيل الذكر فاعلم تجد شيئاً

يبقى على الدهر الا الذي ذكر حسنا كان اوقبها وقال الشاعر ولا شيء يدوم فكن حديثا * جميل الذكرا فالدنيا حديث فانتهر فرصة العمر ومساءلة الدنيا وذا الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات كما ذكر واودع لنفسك في الآخرة كما ادخروا واعلم ان المأكل كولد للبطن والموتوب للمعاد (٢٧٠) والمتروك للعدو فاختراى الثلاث شئت والسلام (وكان) ابن ابي داود الوزير واسع النفس

مبسوط الدين يعطى الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا ويبتدى بالنوال فقال له الواثق امير المؤمنين يوما قد بلغني بسط يدك بالاعطاء وهذا يتلف بيوت الاموال فامرق ساعة ثم رفع رأسه فقال يا امير المؤمنين ذخائر آخرها اصل اليك ومقاييس شكرها موصولة بك وانما لي من ذلك تعشقي في اصال الثناء اليك فقال الواثق لله انت جدي بالاعطاء واكثر بالشكر والثناء

(الباب التاسع والاربعون في سيرة السلطان في الانفاق من بيت المال وسيرة العمال)

اعلم ان يوسف الصديق عليه السلام لما مال الخزان الأرض كان يجوع ويأكل الشعير فقيل له اتجوع وبيدك خزان الأرض فقال اخاف ان اشبع فانهي الجائعين (وروى) البيهقي باسناده قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن ثريد قال السوق قال قد

هل يحمل على المقيد والنص على القلة كاف في التعدد ام لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولا يكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس ويماثل من الاحكام وينفخ الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من تميز اوصاف ذلك المحل او وجود ذلك الوصف والفرع من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل اخرى من توابع ذلك كلها قواعد هذا الفن (واعلم) ان هذا الفن من القنون المستحدثة في الملة وكان السلف في غنية عنه بما ان استفادة المعاني من الالفاظ لا يحتاج فيها الى ازيد مما عندهم من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً منهم اخذ معظمها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها القرب العصر وعمارة النقلة وخبرتهم بهم فلما انقرض السلف وذهب الصدر الاول واتقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فافادها برأسه وهو اصول الفقه وكان اول من كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه املى فيه رسالته المشهورة تكام فيها في الاوامر والنواهي والبيان والمخير والنسج وحكم الملة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه مودة قواعد تلك القواعد وأوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضا كذلك الا ان كتابة الفقهاء فيها امس بالفقه واليق بالفروع لكثرة الامثلة منها والشواهد وبناء المسائل فيها على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون الى الاستدلال العقلي ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء ابو زيد الدبوسي من أئمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وشم الابحاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكتبت صناعة اصول الفقه بكماله وتهذبت مسائله وتمهدت قواعد وعنى الناس بطريق المتكلمين فيه وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستصفي الغزالي وهما من الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد دلاي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكانت الاربعة قواعد هذا الفن واركانه ثم لخص هذه الكتب الاربعة في كتاب المتكلمين المتأخرين وهو ما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب المحصول وسيف الدين الازدي في كتاب الاحكام واختلقت طرائقهم في الفن بين التحقيق والحجاج فان الخطيب أميل الى الاستنباط من الادلة والاحتجاج والا امدى مواج بتحقيق المذاهب وتقرير المسائل واما كتاب المحصول فاخصره تليذا لامام سراج الدين الازدي في كتاب التحصيل وتاج الدين الازدي في كتاب المحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منه ما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التفتيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المبتدئون بهذين السكابين وشرحهما كثير من الناس واما كتاب الاحكام للازدي وهو اكثر تحقيقات المسائل فلخصه ابو عمر وابن الحاجب في كتابه المعبر وفي المختصر الكبير ثم اختصره في كتاب آخر تداوله طلبة العلم وعنى اهل المشرق والمغرب به وبمطالعة وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات واما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيرا وكان من احسن كتابة في المتقدمين تأليف ابو زيد الدبوسي واحسن كتابة المتأخرين فيها تأليف سيف الاسلام

اليزدي

جاءك ما يشغلك من السوق قال سبحان الله يشغلني عن مياي قال نقرض لك بالمعروف قال فانفق

في سنتين وبعض اخرى ثمانية آلاف درهم ووصي ان ترد من ماله في بيت المال (وروى) هذه القصة الحسن البصري قال لما حضرت ابا بكر الوفاة قال انظر واكرم انفق من مال الله فوجدوا قد انفق في سنتين ونصف ثمانية آلاف درهم قال اقضوها عني فقضوها عني

ثم قال يا معشر المسلمين انه قد حضر من قضاء الله ما ترون ولا يدرككم من رجل يلى امركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم فان شئتم اجتمعتم واثنتم ثركم وان شئتم اجتهدت لكم فوالذي لا اله الا هو ما آلوكم ونفسي خير افيكونوا قالوا انت خيرنا واعلمنا فاخترنا فقال قد اجبت لكم امر (وروى) مالك هذه القصة على غير هذا الوجه قال بلغني ان ابا بكر لما سأل لم ينطق من (٢٧١) مال الله شيئا وغدا يومان من بني عمرو بن

عوف وكانت له هناك امرأة من الانصار في جباله يريد ان يبيعها فلقبها بعض المسلمين فقال ما تصنع هذا شغلك عن الناس وعن النظر في امرهم قال فكيف اصنع قالوا انتفرغ للنظر في امورهم وتستفتي من هذا المال فباع تلك الابل وغيرها من ماله الا الارض ثم طرحه في بيت المال فكان ينطق من المال على نفسه وعلى عياله ثم كان عمر على مثل ذلك ثم وابيه عمر بن عبد العزيز فلم ينطق منه فقيل له قد صنع ابو بكر وعمر ما قد علمت قال اجل وليكني اخذت من هذا المال فان يكن لي فيه حق فقد اسدتوقيت وزدت ولولا ذلك لغمت (قال) ابن القاسم قلت لمالك فان قولهم عن عمر انه رد ثمانين الفا قال كذبوا انما يقول هذا اعداء الله هو لم يجز لولده سلف ابي موسى اياه حين اخذ منه نصيبه فكيف ياخذ من مال الله ثمانين الفا فاما توفى ابو بكر استرجع على رضى الله عنه وجاءه سرا عابا كما

اليزدوى من ائمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتى من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب اليزدوى في الطريقة بين وسمى كتابه بالبدائع فجاء من احسن الاوضاع وابدها وائتت العلماء له هذا العهد يتداولونه قراءة وبخنا واولع كثير من علماء النجوم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعيين بدائيات ليل المشهورة لهذا العهد فيه والله ينفعنا بالعلم ويحيي لنا من اهل بيته وكرمه انه على كل شئ قدير * (واما الخلافات) * فاعلم ان هذه الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه واتسع ذلك في الملة انما اعظمها وكان للقلدين ان يقلدوا من شاؤوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعه من علماء الامصار وكانوا يمكن من حسن الظن بهم اقتصر الناس على تقليد هم ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبة وتشتت العلوم التي هي موادها اتصال الزمان وافتقار من يقوم على سوى هذه المذاهب الاربعه فاقامت هذه المذاهب الاربعه اصول الملة وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها والأتخذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرت بينهم المناظرات في تجميع كل منهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة ومبادئ قوية يحتاج بها كل على مذهب الذي قلده وتسلط به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وابو حنيفة يوافق احدهما وتارة بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق احدهما وتارة بين الشافعي وابي حنيفة ومالك يوافق احدهما وكان في هذه المناظرات بيان ما خذ هؤلاء الائمة ومشاراة اختلافهم ومواقع اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات ولا بد لصاحبها من معرفة القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها للاستنباط وصاحب الخلافات يحتاج اليها للحفاظ تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها المخالف بادلته وهو امر يرى علم جليل الفائدة في معرفة ما خذ الائمة وادلتهم وحران المطالعين له على الاستدلال في مسائل ومون الاستدلال عليه وتاليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من تاليف المالكية لان القياس عند الحنفية اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فلهذا اهل النظر والبحث واما المالكية فالأثر اكثر معتمدهم وليسوا باهل نظر وايضا اكثرهم اهل المغرب وهم يادية عقل من الصنائع الا في الاقل وللعزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المأخذ ولا ي زيد الدبوسي كتاب التعليق ولا بن القصار من شيوخ المالكية عيون الادلة وقد جمع ابن الساعاتى في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلفي في مدرجات في كل مسألة ما ينبنى عليها من الخلافات * (واما الجدل) * وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متساويا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ فاجتاج الائمة الى ان يضعوا آدابا واحكاما يفتق المناظران عند حدودها في الرد والقبول وكيف يكون حال المستدل والجيب وجبت بسوغ له ان يكون مستدلا وكيف يكون مخصوصا منقطعا ومحال اعتراضه او معارضته وأن يجب عليه السكوت والخصم بالكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل

وقال رجل الله ابا بكر لقد كنت والله اول القوم اسلاما واكثرهم ايمانا واشدهم يقينا واخوفهم لله تعالى واحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واشبههم به هديا وخلقا وفضلا واكرمهم عليه وارفعهم عنده فجزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فساء لك الله في كتابه صدقنا فقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون وآتيتهم حين تخافوا وقت معه حين

قعدوا وصحبته في الشدة حين تفرقوا أكرم العجبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار ورفيقه في الهجرة والمنزل عليه السكنة وخلقته في أمته أحسن الخلافة فقويت حين ضعف أصحابك وبرزت حين استكانوا وقت بالامر حين فشلوا ومضت بقوة اذ وقفوا كنت أطولهم صمتا وأبلغهم قولا وأشجعهم قلبا وأشد هم يقينا (٢٧٢) وأحسنهم عملا كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا في بدنك قويا في أمر دينك

متواضعا في نفسك عظيما محبوبا إلى أهل السموات والأرض فجزاك الله عنا وعن الإسلام خيرا (وقال) عمر رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده نعبا شديدا (وروى) البيهقي عن عمر رضي الله عنه أنه قال اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة ولي المقيم ان استغنيت استعفت وان افتقرت أكلت بالمعروف (وفي رواية أخرى) ان احتجت أخذت منه فاذا أيسرت رددته (وفي رواية أخرى) أخبركم بما استحل من مال الله تعالى وما قال يحل لي استحل منه حلتين حلة لاشتهاء وحلة للقطا وما خج عليه واعتز وقوتي وقوت عيالي كقوت رجل من قریش لا من اغنيائهم ولا من فقرائهم ثم اناب بعد ذلك رجل من المسلمين يصيني ما اصابهم (وقال) انس بن مالك غلا الطعام على عهد عمر رضي الله عنه قال كل خبز الشعيبر وكان قبل ذلك لا يأكله فاستكره بطنه فصوت فضربه بيده وقال هو والله ماترى حتى يوسع الله على المسلمين

بها إلى حفظ رأي وهدمه كان ذلك الرأي من الفقه او غيره وهى طريقان طريقة البزدوى وهى خاصة بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدى وهى عامة في كل دليل يستدل به من أى علم كان واكثر استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطى والسوفسطائى الا ان صور الادلة والاقيسة فيه محفوظة مراعاة تحري في أطرق الاستدلال كما ينبغي وهذا العميدى هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصرا وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاؤا على اثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التاليف وهى لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعاجيل في الامصار الاسلامية وهى مع ذلك كمالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

١٠ * (علم الكلام) *

هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد اليمانية بالادلة العقلية والرد على المبتدعة المخرفين في الاعتقادات من مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد اليمانية هو التوحيد بدلالة قدمها لطيفة في برهان عقلى يكشف لنا عن التوحيد في أقرب الطرق والمباخذ ثم نرجع إلى تحقيق علمه وفيما ينظر ويشير إلى حدوثه في الملة ومادعا إلى وضعه فنقول ان الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال البشرية او الحيوانية فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها باهتاق في مسة العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من هذه الاسباب حادث ايضا فلا بد له من اسباب أخرى ولا تزال تلك الاسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الاسباب وموجد ما وخالقه سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب في ارتقاءها تتفمع وتنضاعف طولاً وعرضاً ويحار العقل في ادراكها وتعدى ما فاذا لا يحصرها الا العلم المحيط سيمى الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد القصور والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بإرادته والقصد اليه والقصور والارادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضا وتلك التصورات هى اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات تصورات أخرى وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع أحد على مبادئ الامور والنفسانية ولا على ترتيبها انما هى أشياء يعيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها وانما يحيط علمها في الغالب بالاسباب التى هى طبيعة ظاهرة ويقع في مداركها على نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها اوسع من النفس لانها العقل الذى هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الاحاطة وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر إلى الاسباب والوقوف معها فانه وادبهم فيه الفكر ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين المالكين نعوذ بالله من الخمران والخسران الممين ولا تحسبن ان هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك بل هو لون يحصل للنفس وصيغة تستحكم من الخوض في الاسباب على نسبة لانعلمها اذ لو علمنا ما القهر زمانها فلنحترق من ذلك يقطع النظر عنها جملة وايضا فوجه تأخير هذه الاسباب في الكثير من مسداتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة لا قتران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة وما أوتيت من العلم الا

قلابا

(وقال) ابو عثمان النهدي رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف

فيها اثنا عشرة رقعة احداها ايدم حجر (وقال) عطاء بن السائب استعمل عمر بن الخطاب السائب بن الاقرع على المدائن فدخل ايوانا من ايوان كسرى فاذا صم يشير باصبعه إلى الارض قد عقد أربعين فقال والله ما يشير هذا إلى الارض الا وشم شئ فاحترق وافاستخرجوا

منه سقط فيه جوهر فسكتب الى عمر بن الخطاب أما بعد فاني دخلت ابوانا من ابوان كسرى فرأيت كذا وكذا فاحتقرت فاخرجت اسقطا فيه جوهر فلم أجد أحق به منك يا أمير المؤمنين لم يكن من في المسلمين فاقسه بينهم انما أصدنا شيئا تحت الارض فلما قدم السقط على عمر وعليه خاتم السائب فرأى عمر فيما يرى النائم كان ناراً اججت وهو يراد يلقي فيها (٢٧٣) فسكتب الى السائب أن اقدم على قال

فقدمت عليه وهو يطوف في ابل الصدقة فطقت معه الى نصف النهار ثم دعاني فاعطيت ودعاني بما فاعطيت ثم ذهب الى منزله فألقى بليم غليظ وخبز متحمش فقال انظر من على الباب فاذا سودان من الصوفية فاذن لهم فدخلوا كل واحد منهم فاذا لم غليظ لا يستطيع أن أسبغه وقد كنت تعودت درمك أصهبان اذا وضعت في فني دخل بطي ثم دعا بالسقط وقال أتعرف خاتمك قلت نعم فقال كتبت ترفق لي تزعم اني احق به من ابن اصبته فاخبرته قال اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى اقسمه بينهم (وقال) قتادة قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشام فصنع له طعام لم يرقبه مثله فقال هذا النافق الفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير قال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرو رقت عناء عمر وقال لئن كان حظنا في هذا الطعام وذهبوا بالجنة لقد بانيونا بونا بعيدا (وقال) عبد الله ابن عمر العمري ان عمر بن

قليل الا فلذلك امرنا بقطع النظر عنها والغائب حاجة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفعالها وموجدتها لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد أن لا اله الا الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان سجد في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحد بعد واحد فاننا الضامن له ان لا يعود الا بالجنبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولا تشق بما يزعم لك الله من انه مقدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفاهة رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادئ رايه منحصر في مداركه لا يعدوها والامر في نفسه بخلاف ذلك والحق من ورائه لا ترى الا صم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف السموات وكذلك الاعى ايضا يسقط عنده صنف المراتب ولولا ما يردهم الى ذلك تقليد الا باموال المشيخة من أهل عصرهم والكافة لما أقروا به لكنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولولا مثل الحيوان الاعجم ونطق لوجدناه منكر المعقولات وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضربان من الادراك غير مدركات الان ادراكا متماخوفا محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والمصر مجهول والوجود اوسع نطاقا من ذلك والله من ورائه محيط قاتم ادراكا ومدركاتك في المحصر واتبع ما حرك الشارع به من اعتقادك وعلمك فهو احرص على سعادتك واعلم بما يتبعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لا تطمع ان ترز به أمور التوحيد والآخر حقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء ما ورده فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع ان يزن به الجبال وهو لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته فانه ذرة من ذرات الوجود والحاصل منه وتفتن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا وقصور فهمه واضمحلال رايه ففقدت بين لك الحق من ذلك واذ اتيت ذلك فاعلم الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكنا ووجدنا خرجت عن أن تكون مدركة فيفضل العقل في بدهاء الاوهام ويحارون ينقطع فاذ التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكميات تأثيرها وتنفوذ ذلك الى خالقها المحيط بها اذ لا فاعل غيره وكما ترقى اليه وترجع الى قدرته وعلمنا به انما هو من حيث صدورنا عنه وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقيين العجز عن الادراك ادراك ثم ان المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكمي فان ذلك من حديث النفس وانما الكمال فيه حصول صفة منه تنكف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضا حصول ملكة الطاعة والالتقياد وتقريب القلب عن شواغل ماسوى المعبود حتى ينقلب المرء الى السالك ربانيا والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف وشرحه ان كثير من الناس يعلم ان رحمة الله على المسكين وقربة الى الله تعالى مندوب اليه او يقول بذلك ويعترف به ويذكر ما اخذه من البشر بعبادة وهو لو رأى يتيم او مسكينا من أبناء

(٣٥ - ابن خلدون) الخطاب رضى الله عنه حين قدم الشام قال لاني عبيدة اذهب بنا الى منزل قال ماتر يدالي أن تقصر عينك على قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر ابن متاعك لا اذى الا لبداء وشنا وصحفة وانت امير أعبدك طعام فقام أبو عبيدة الى جونه فاجرج منها كسرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك انك تقصر عينك على يا أمير المؤمنين بكفك من الدنيا ما بلغت المقيل فقال عمر غرنا

الذي يبعثك يا ابا عبد الله (وقال) النخعي بعث عمر بن الخطاب مصدق فابطوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقات فقام فيها
مترزا بعبادة تختلف في اولها وآخرها يقول هذه لا فلان وهذه لا فلان حتى انتصف النهار وجاع ودخل بيته حتى اذا لم يكن
أكله كله ثم قال من أدخله (٢٧٤) بطنه ابعده الله (وقال) طاوس اجذب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فأكل سمنا ولا سمنا حتى
أكل الناس (وقال) سعيد
ابن جبير ان عليا رضي الله
عنه قدم الكوفة وهو
خليفة وعليه ازاران
قطران قد دقع ازاره
بخرقة ليست بقطرية من
وراءه فجاءه اعرابي فنظر
الى تلك الخرقه فقال
يا امير المؤمنين كل من هذا
الطعام والدس واركب
فانك ميت أو مقتول قال
ان هذا خبري في صلاتي
واصلح قلبي واشبه بشبه
الصالحين قبلي واحذر ان
يقتبدي من اني من
بعدي (وقال) الحسن ان
عمر بن الخطاب بيناهو
يعس في المدينة بالليل
أتى على امرأة من الانصار
تحمّل قرية فسالها
فذكرت ان لها عيال وان
ليس لها خادم وانها
تخرج في الليل فتسقيهم
الماء وتسكّر ان تخرج
بالنهار فحمل عمر عنها
القرية حتى بلغ منزلها
وقال اغدي على عمر غدوة
تخدمك خادما قالت لا
اصل اليه قال انك ستجديه
ان شاء الله تعالى فعدت
عليه فاذا هي به فعرفت انه
الذي حمل قرية فاذهبت

المستضعفين لفرعته واستدكف ان يباشره فضلا عن التمسح عليه للرجة وما به ذلك من مقامات
الطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رجة اليتم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف
ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رجة المسكين قربته الى الله تعالى مقام آخر اعلى من
الاول وهو الاتصاف بالرجة وحصول ما يكتفي رأي شيئا او مسكينا بادرا اليه ومصحح عليه والتمس
الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يصبر عن ذلك ولودفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا
علمك بالتوحيد مع اتصافك به والعلم الحاصل عن الاتصاف ضرورة هو اوثق مبنى من العلم الحاصل قبل
الاتصاف وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة بقرينة الملائكة
ويحصل الاتصاف والتحقيق ويحيى العلم الثاني النافع في الآخرة فان العلم الاول المجرد عن الاتصاف
قليل الجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب انما هو العلم الحالى الناشئ عن العادة وهو اعلم ان
الكمال عند الشارح في كل ما كلف به انما هو في هذا فاطلب اعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني
الحاصل عن الاتصاف ومطالب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقيق بها ثم ان
الاقبال على العبادات والمواظبة عليها والحصول لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في رأس
العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها منتهى لذته وقرعة عينه وابن
هذا من صلاة الناس ومن لم يهاو بل المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقد تبين لك من جميع ما قررناه
ان المطلوب في التكليف كمال حصول الملائكة راسخة في النفس يحصل عناء لم اضطر ادى للنفس
هو التوحيد والعقيدة الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية
والبدنية ويتفهم منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب
اولها التصديق القلبي الموافق للسان وأعمالها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه
من العمل مستولية على القلب فيستتبع الجوارح وتدرج في طاعتها جميع التصرفات حتى تخرط
الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو الايمان الكامل
الذي لا يقارن المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملائكة ورسوخها مانع من الانحراف من مناهجه
طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وفي حديث هرقل لما سأل
ابا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم واحواله فقال في أصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال
لا قال وكذلك الايمان حين تحاط بشأسته القلوب ومعناه ان ملائكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس
مخافتهم شأن الملائكة اذا استقرت فانها تحصل بمناجاة الجلالة والقطرة وهذه هي المرتبة العالية من الايمان
وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوب سابقا وهذه حاصلة للمؤمنين حصولا
تابعالا عملهم وتصديقهم وبهذه الملائكة ورسوخها يقع التفاوت في الايمان كالذي يتلى عليه لك من
اقاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل
ويزيد وينقص وان الصلاة والصيام من الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحياء من الايمان
والمراد بهذا كله الايمان الكامل الذي أشرنا اليه والى ملائكته وهو فعلي واما التصديق الذي هو اول

تولي فارسل في اثرها وامر لها بخادم ونفقة ولما حج عمر رضي الله عنه قال كم بلغت نفقتي يا يرفأ قال ثمانية

عشر دينار يا امير المؤمنين قال ويحك اجمعنا بيت مال المسلمين (وقال) شهر بن حوشب لما قدم عمر الشام طاف بكورها حتى نزل حص
فقال اكتبوا لي فقراءهم فرفعوا اليه الرقعة واذا فيها سعيد بن عامر فقال من سعيد بن عامر قالوا اميرنا فحبب عمر وقال كيف يكون اميركم

فقيرا فقالوا انه لا يسلك شيئا فبكي عمرو بعث اليه بالف دينار يستعين به في حاجته فجعل يسترجع فقالت له امراته مالك اصابك امير المؤمنين بشي قال اعظم من ذلك اتيت الدنيا دخلت على الدنيا واني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم اباربعين عاما فوالله ما يسرني اني حديث عن الرعيل الاول وان لي به ما طلعت عليه

(٢٧٥)

الشمس قالت فاصنع فيه ماشئت قال هل عندك معونة قالت نعم فانتبه بخمارها فصر الدنانير فيها صرا ثم جعلها في محلاة و بات يصلي ويبكي حتى اصبح فاعرض جثمانه لجيوش المسلمين فامضاه كاهن فقالت مرآة رجل الله لو حدثت منها شيئا لاستعين به فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لو اطاعت امرأة من نساء اهل الجنة الى الارض لملاّت الارض من ريح المسك واني والله ما اختارك علي بن فسكت (وروي) ان عمر رضي الله عنه استعمل على حص رجلا يقال له عمير بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه ان يقدم عليه فلم يشعر به عمير الا ان قدم ماشيا حافيا معه عكازته وادوته وفروده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر قال يا عمير اخمنا ام البلاد بلاد سوء فقال يا امير المؤمنين اما نهال الله ان تجهر بالسوء وعن سوء الظن وماتري من سوء الحال وقد جئت بك بالدينيا اجمعها بقرابها فقال

مراتبه فلا تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة المسلمين ومن اعتبروا اخر الاسماء وحمله على هذه الملة التي هي الايمان الكامل ظهر له التفاوت وليس ذلك بقادح في اتحاد حقيقة الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو الخالص من هذه الكفر والفصل بين الكافر والمسلم فلا يحزى اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تفاوت وانما التفاوت في الحال الحاصلة من الاعمال كما قلناه فانهم واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين امور مخصوصة كالقنا التصديق بها بقلوبنا واعادة نادها في انفسنا مع الاقرار بالسنة والهي العقائد التي تقررت في الدين قال صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد الالهية المقررة في علم الكلام ولشرها بما يحل لتبين للحقيقة هذا الفن وكيفية حدوثه فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا الخالق الذي رد الافعال كلها اليه واقرده به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان نجاة عند الموت اذا حضرنا لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق المعبود اذ ذلك متعذر على ادراكنا ومن فوق طورنا فكيفنا اولا اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والالها صحت انه خالق لهم لعدم الفارق على هذا التقدير ثم تنزيهه عن صفات النقص والاشابه المخلوقين ثم توحيد به بالاتحاد والالهيته الخلق للتمانع ثم اعتقاد انه عالم قادر فبذلك تتم الافعال شاهد قضيته اكمال الاتحاد والخلق ومريد والالم يخصص شي من المخلوقات ومقدرا لكل كائن والا فالارادة حادثة وانه بعيدنا بعد الموت تكملا لعنايته بالايجاد ولو كان لامر فان كان عباده ولبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء هذا المعدل لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتتمام لطفه بنا في الالهيته والبيان الطريقين وان الجنة للنعم و جهنم للعذاب هذه امهات العقائد الالهية معاملة بادلها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثيرة وعن تلك الادلة اخذها السلف وارشد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلافا في تفاصيل هذه العقائد اكثر من ان نذكرها من الاسي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاسس تدلال بالعقل زيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولتبيين لك تفصيل هذا الجمل وذلك ان القرآن ورد فيه وصف المعبود بالتزويه المطلق الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة وهي سلوب كلها وصريحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين نفسه يرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي اخرى قليلة توهم التشبيه مرة في الذات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرة اوضح دلالاتها وعلوا اسس تحالة التشبيه وقضوا بان الآيات من كلام الله فاما منوا بها ولم يتعرضوا لمعناها بحيث ولا تأويل وهو انما معني قول الكثير منهم اقرؤوها كما جاءت اى آمنوا بانها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها الجواز ان تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له وشذ بعضهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق اشبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بطواهر وردت بذلك فتوغلوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد اوضح دلالة لان معقولية الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي اكثر موارد اوضح دلالة اولي من

ومامعك من الدنيا قال عكازة اتو كاهن او ادفع بها عدوا ان لقيته وفرودي اجل فيه طعمني وادواتي هذه اجل فيها ما لشر بي وصلا تي وقصعتي هذه اتوضا فيها واغسل فيها راسي وآكل فيها طعمني فوالله يا امير المؤمنين ما الدنيا بعد الالهيته ما معني قال فقام عمر من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبكي ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير مقتضج ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه ثم قال

فما صنعت في عمل يا عمير قال أخذت الرقة من أهل الرقة والابل من أهل الابل وأخذت الجزية من أهل الزمة عن يدهم ضاغرون ثم
 قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي منها شيء عندي أتيتك به فقال عمر عدالي عمير أشدك
 الله ان لا تردني الى علي فاني لم أسلم منه حتى قلت لذي الخزالك الله ولقد خشيت ان يخصني له محمد صلى الله عليه وسلم (٢٧٦)

ولقد سمعته يقول أنا حجيت
 المظالم يوم فلان حاجته
 حجته ولكن انذني لي
 الى أهلي فاذن له فاني أهله
 فبعث عمر رجلا يقال
 له خبيب بمائة دينار
 فقال اثبت عمير فانزل عليه
 ثلاثان يك خائنا لم يخف
 عليك في عيشه وحال أهل
 بيته وان لم يك خائنا لم
 يخف عليك فادفع اليه
 المائة فاتاه خبيب فنزل به
 ثلاثا فلم ير له عيشا الا شعير
 والزيت فلما مضت ثلاث
 قال يا خبيب ان رأيت ان
 تحول الى جيراننا فاعل
 ان يكونوا اوسع عيشا منا
 اما نحن فوالله لو كان عندنا
 غير هذا لا نتركك به (قال)
 فادفع اليه المائة وقال
 بعث بها اليك أمير المؤمنين
 فدعا بقر وخاق لامرأته
 فصرها الخمسة والسنة
 والسبعة فقصها فقدم
 خبيب على عمر فقال يا أمير
 المؤمنين جئت من عند
 أزهد الناس وما عندهم من
 الدنيا لا قليل ولا كثير
 فبعث اليه عمر وقال
 فما صنعت في المائة يا عمير
 قال لا تساني عنها قال لتخبرني
 (قال) قسمتها بيني وبين

العلماني بطواهر هذه التي لنا غنية وجمع بين الدليلين بناو يلهم ثم يفر من شناعة ذلك بقولهم جسم
 لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول متناقض وجمع بين نفي وإثبات ان كان بالمعقولية واحدة من
 الجسم وان خالفوا بينهما ونفوا المعقولية المتعارفة فقد وافقونا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لفظ الجسم اسما
 من أسمائه ويتوقف مثله على الاذن ويريح منهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاثبات الجهة والاستواء
 والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك وآل قوله م الى التجسيم فنزعوامثل الاولين الى قوله م صوت
 لا كالأصوات جهة لا كالجهاز نزول لا كالتزول يعنون من الأجسام واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم
 يبق في هـ هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذهبهم والايان بها كما هي لا يكر النفي على معانيها
 بنقيها مع انها صحيحة ثابتة من القرآن وله ذات نظر ماتراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر
 له وفي كتاب الحافظين عبد البر وغيرهم فانهم يحومون على هـ هذا المعنى ولا تغمض عينك عن القرائن
 الدالة على ذلك في غضون كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصفات نافع وولع الناس بالتدوين والبحث في
 سائر الانحاء وألف المتكلمون في التنزيه حديث بدعة المعترلة في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب
 فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة زائدة على أحكامها مما يلزم على ذلك من تعدد
 القديم برغمهم وهو مردود بيان الصفات ليست عين الذات ولا غيرها وقضوا بنفي السمع والبصر لكونهما
 من عوارض الأجسام وهو مردود لعدم اشتراط البنية في مدلول هـ اللفظ وانما هو ادراك المسموع أو
 البصر وقضوا بنفي الكلام لشبهه ما في السمع والبصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس فقضوا بأن
 القرآن مخلوق بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة واتفقوا بغض الخلقاء عن أئمتهم فعمل
 الناس عليها وخالفهم أئمة السلف فاستحل الخلافهم ايسار كثير منهم ودماءهم وكان ذلك سببا لانتهاض
 أهل السنة بالاهلّة العقلية على هـ هذه العقائد فدفعوا في صدورهم هذه البدع وقام بذلك الشيخ أبو الحسن
 الأشعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق ونفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على
 ما قصره عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فثبتت الصفات الاربع المعنوية والسمع
 والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل ورد على البدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيها
 مهددة لهذه البدع من القول بالصلاح والاصح والتحسين والتبجيل وكل العقائد في البدعة واحوال الجنة
 والنار والثواب والعقاب وألحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية من قولهم انها
 من عقائد الايمان وانه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له وكذلك على الامة
 وقصارى أحرار الامامة انها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك ألحقوها بمسائل هـ هذا الفن
 وسماه مجموع علم الكلام اما لما فيه من المناظرة على البدع وهي كلام صرف وليست برابعة الى عمل
 واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في اثبات الكلام النفسي وكثر اتباع الشيخ أبي الحسن
 الأشعري واقتنى طريقتهم من بعده تلميذه كابر مجاهد وغيره وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصدر
 للامة في طريقهم وهذا هو وضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والانظار وذلك مثل اثبات
 الجوهر الفرد والخلاء وان العرض لا يقوم بالعرض وأنه لا يبقى زمانين وأمثال ذلك مما تتوقف عليه
 أدلتهم وجعل هذه القواعد تبعا للعقائد الايمانية في وجوب اعتقادها والتوقف تلك الأدلة عليها وأن بطلان

الدليل

اخواني المهاجرين والانصار قال فاعلمه بوسقي طعام وتوبين قال يا أمير المؤمنين أما الثوبان فأقبل

وأما الوسقيان فلا حاجة لي بهما عند أهلي صاع من بر هو كافيهما حتى أرجع اليهم (وروي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرار بعامة
 دينار وقال للعلام اذهب بها الى عبيدة بن الجراح ثم تلك ساعة في البيت حتى ترى ما يصنع فذهب بها للعلام اليه وقال يقول لك أمير

المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصلى الله ورحمه (ثم قال) تعالى يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان
حتى اتقدها وارجع الغلام الى عمر فاخبره (ووجهه) قد اعد مثلها المعاذين جبل فقال له اذهب بهذه الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت
ساعة حتى تنظر ما يصنع فيها اذهب بها اليه وقال ان امير المؤمنين يقول انك اجعل هذه (٢٧٧) في بعض حاجتك فقال رحمه الله

واوصله (ثم قال) يا جارية
اذهي الى فلان بكذا والى
فلان بكذا فقالت امرأة
معاذ ونحن والله مساكين
فأعطانا ولم يبق في الخزقة
الا ديناران فرمى بهما اليها
فرجع الغلام فاخبر بذلك
عمر فقال عمر انهم اخوة
بعضهم من بعض

(الباب الموفى نجسين
في سيرة السلطان في تدوين
الدواوين وفرض الارزاق
وسيرة العمال)

(اعلم) ارشدك الله تعالى
ان اول من اتخذ الدواوين
وأجرى الاعطية علي
ماروي عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وكان يفضل
اهل السابقة ثم الذين
يلونهم حتى أجرى على
العامه شأ واحدًا ثلثمائة
واربعمائة وفرض للعيال
مائة درهم في كل سنة
(وكان) ابو بكر رضي الله
عنه يساوي بين الناس
في العطاء ولا يفضل اهل
السابقة ويقول انما
عملوا الله فاجورهم على الله
وانما هذا المال عرض
حاضر يأكله البر والفاجر
وليس ثمنًا لعمالهم (وكان)
عمر يقول لا اجعل من

الدليل يؤذن بطلان المدلول ووجبات هذه الطريقة وجاءت من أحسن القنون النظرية والعلوم الدينية
الان صور الادلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن حينئذ ظاهرة في الملة ولظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به
المتكلمون للاستعمال العلوم الفلسفية المبينة للعقائد الشرعية بالجملة فكانت معجورة عندهم لذلك ثم
جاء بعد القاضي ابي بكر الباقلاني امام الحرمين ابو المعالي فامل في الطريقة كتاب الشامل واوسع القول فيه
ثم خصه في كتاب الارشاد واتخذ الناس اماما لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه
الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعياري للدلالة فقط يسير به الادلة منها كما يسير من
سواها ثم نظر وافي تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام لا قدمين نخالفوا الكثير منها بالبراهين التي
أدلت الى ذلك ورعى ان كثيرا منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلا يسر وهما المعيار
المنطوق ردهم الى ذلك فيما لم يعتدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه
الطريقة من مصطلحهم مبينة للطريقة الاولى وتسمى طريقة المتأخرين ورعى ادخالوا فيه الرد على
الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية ووجه علومهم من خصوص العقائد لتناسب الكثير من مذاهب
الابتدعة ومذاهبهم -م- واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله وتبعه الامام ابن
الخطيب وجاعة تفوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في مخالطة كتب الفلاسفة
والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيها واحدا من اشياء المسائل فيما هو واعلم ان المتكلمين
لما كانوا يستدلون في أكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا
والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها يخالف
لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل
وكذا نظر الفيلسوف وفي في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود
من حيث انه يدل على الموجودات المجردة فموضوع علم الكلام عندها له انما هو العقائد الايمانية بعد
فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فترقع البدع وتزول الشكوك
والشبهة عن تلك العقائد واذا تأملت حال الفن في حدونه وكيف تدرج كلام الناس فيه صدر اربعة صدر
وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وانه
لا يعدوه ولقد اختلفت الطرق يقنان عنده هؤلاء المتأخرين والنسبت مسائل الكلام بمسائل الفلاسفة بحيث
لا يتميز احدا القنين من الآخر ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء
بعده من علماء العجم في جميع تاليفهم الا ان هذه الطريقة قديمتي بها بعض طلبة العلم للاطلاع على
المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لو فورد ذلك فيها وأما محاذات الطريقة الساف بعقائدهم العلم الكلام فانما
هو للطريقة القديمة للمتكلمين وأصلها كتاب الارشاد وما حذا حذوه ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة
في عقائدهم فعليه بكتب الغزالي والامام ابن الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصطلاح القديم فليس
فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة
فينبغي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذا المحدث
والابتدعة قد انقرضوا والائمة من اهل السنة كفرونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والادلة العقلية انما احتاجوا

قاتل رسول الله كن قاتل معه ولم يقدر عمر الارزاق الا في ولاية عمار فاجرى على عمار ستمائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه ومؤذنيه ومن
كان يلي معه في كل شهر مائة درهم وبعث معه عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق وأجرى عليه في كل يوم نصف شاة ورأسها وجلدها
وأكارها ونصف جرب كل يوم وأجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم كل يوم مع عطائه (وكان) عطاء وخمسة آلاف

درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة
أجربة (وأنما) فضل عمار عليهم لأنه كان على الصلاة (قال) مالك وكان عمر لا يفرض أصغر رضيع فإذا فطم فرض له فمن الليل
وصي بيكي يبغي الرضاع وأمه لا ترضعه (٢٧٨) فقال لها عمر أرضعيه قالت إذا لا يفرض له عمر قال بلى هو يفرض له ثم فرض عمر بعد

اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن كثير إيهاماته وإطلاقه ولقد
سئل الجنيب رحمه الله عن قوم مريبهم من المتكلمين بفيضون فيه فقال ما هؤلاء فقيل قوم ينزهون الله
بالادلة عن صفات المحدثات وسمات النقص فقال نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكن فائدة
في آحاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة إذا لا يحسن بحامل السنة الجاهل بالحجج النظرية على عقائدها
والله ولي المؤمنين

١١ * (علم التصوف) *

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها
من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والمداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى
الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ومن لذة ومال وجاه والانفراد
عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن
الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال
القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهر أنه لقب ومن قال
اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي قال وكذلك من الصوف لانهم لم يختصوا
بلبسه * قلت والظاهر أن قبل بالاشتقاق أنه من الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه كما كانوا
عليه من مخالفة الناس في لبس فأخر الثياب إلى لبس الصوف فلما اختص هؤلاء بمذهب الزهد والانفراد
عن الخلق والاقبال على العبادة اختصوا بمسماً خذمه ذكره لهم وذلك أن الإنسان بما هو إنسان إنما يتميز
عن سائر الحيوان بالأدراك وإدراكه نوعان إدراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم
وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر وأمثال
ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ من إدراكات وأحوال وهي التي يميز بها الإنسان
وبعضها ينشأ من بعض كإنشأ العلم من الأدلة والفرح والحزن عن إدراك المثل أو المثلذذبه والنشاط عن
الحام والكسل عن الأعياء وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته لا بد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة
تلك المجاهدة وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة فتمسخ وتصبح مقاماً للرب وإما أن لا تكون عبادة وإنما
تكون صفة حاصلة للنفس من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات ولا يزال المريد يترقى
من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه
وسلم من مات يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الأحوال وأصلها كلها
الطاعة والاخلاص ويتقدمها الإيمان ونصاحبها وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج ومخرجات ثم تنشأ
عنها أخرى وأخرى إلى مقام التوحيد والعرفان وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه إنما آتى من
قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية فلهذا يحتاج المريد إلى محاسبة
نفسه في سائر أعماله وينظر في حقائقها لأن حصول النتائج عن الأعمال ضروري وقصورها من الخلل فيها
كذلك والمريد يجد ذلك بذوقه ومحاسن نفسه على أسبابه ولا يشاركهم في ذلك إلا القليل من الناس لأن
العقل عن هذا كأنها شاملة وغاية أهل العبادات إذا لم ينتهوا إلى هذا النوع أنهم يأتون بالطاعات مختصة

ذلك للولود مائة درهم في
كل سنة (قال ابن) جبلة
وفرض عمر للعبادات لكل
عيل من ذكروا ثلثي حريمين
من بر في كل شهر وقسطين
من زيت وقسطا من خل
ومائة درهم في كل سنة
(قال) والجريب قفيز
بالقرطبي والقسط قدوثن
ربيع الزيت بالقرطبي
(قال) الحسن وكان عطاء
سلمات خمسة آلاف وكان
على زهاء ثمانين ألف
من الناس (وكان) يخطب
الناس في عبادة يلبس
نصفها ويقتريش نصفها
فإذا خرج عطاؤه أمضاه
وكان يسف الخوص ويأكل
من سقيف يده (وقال)
الحسن قدم على عمر بن
الخطاب و قدم من البصرة
مع أبي موسى الأشعري
قال فكان تدخل عليه وله
كل يوم خبز ثلاث (فرما)
وافقناها ما أدومة بسم
واجيانا بزيت واحيانا
بالبن ورعنا وافقنا القديد
الباس قدوق ثم أغلى
عليه عاء ورعنا وافقنا
اللحم الغريض وهو قليل
فقال لهم يوما اني أرى والله
تقديركم وكرهتكم لطعامي

فاني لو شئت لكنت أطعمكم طعاماً وأرقكم عيشاً ما والله ما أجهل كراكر واسنة وأعرف صلاة
وصناباً وصلاقي (قال) والصلاة الشواء والصناب الخبز الرقاق ولكني سمعت الله تعالى غير أقوام بأمر فعلوه فقال
إنه بتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها فكلنا أبو موسى فقال لو كلمت أمير المؤمنين لفرض لكم من بيت المال طعاماً فكلتموه

فكلمناه فقال يا معشر الامراء هل ترصون لانفسكم ما ارضاه لنفسى فقلنا يا امير المؤمنين ان المدينة ارض العيش بها شديد ولا ترى طعامك
يعنيننا ولا يؤكل طعامك وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يعنيننا وان طعامه يؤكل قال فنظر ساعة ثم رفع رأسه فقال قد فرحت بكم من
بيت المال شاتين وجر يمين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى الجريمين (٢٧٩) وكل أنت واصحابك ثم ادع بشراب

ثم اسق الذي عن يمينك
ثم اسق الذي عن شمالك
ثم قم لمحاكتك واذا كان
العشاء فضع الشاة الغارة
على الجريمين الاخر
فكل أنت واصحابك الا
واوسعوا الناس في بيوتهم
وأطعموا عيالهم والله
ما اظن رستاقي يؤخذ منه
كل يوم شاتان وحر يمان
الا يسرعان في خرابه
(وكان عمر) قد اطعم
جر يمين بالحل والزيت
لثلاثين رجلا فكفاهم
فاجراه على كل رجل في كل
شهر من كان في الديوان
مـ كان ما كانت فارس
تجربيه على خيولهم
واساورهم (وقال) سعيد
ابن المسيب وابوسلمة كان
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه ابا العيال يسلم على
ابوابهن ويقول ألكن
حاجة وايتكن تريدان
تشتري شيا فيرسلن معه
بحواجنهن ومن ليس
عندها شئ اشترى لها
من عنده واذا قدم الرسول
من بعض الثغور يتبعهن
بنفسه في منازلهن يكتب
ازواجهن ويقول ازواجكن
في سبيل الله وانتي في بلاد

من نظر الفقه في الاجزاء والامثال وهؤلاء يبحثون من نتائجها بالاذواق والمواجد ليطلعوا على انها خالصة
من التقصير اولا فظهر ان اصل طريقهم كلها محاسبة النفس على الافعال والتروك والكلام في هذه
الاذواق والمواجد التي تحصل من المجاهدات ثم تستقر لمر يد مقامها ويترقى منها الى غير هاتهما ثم مع ذلك
آداب مخصوصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم اذا لوضع اللغوية انما هي للمعاني المتعارفة فاذا
عرض من المعاني ما هو غـير متعارف اصطلاحنا من التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا اختص هؤلاء
بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على صنفين
صنف مخصوص بالفقهاء واهل القضاة والاحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف
مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدات ومحاسبة النفس عليها والكلام في الاذواق والمواجد المعارضة
في طريقها وكيفية الترقى منها من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت
العلوم ودونت وانف الفقهاء في الفقه واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه
الطريقة في طريقهم ففهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخذ والتروك كما فعله
القشيري في كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغزالي رحمه الله بين
الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم
في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علما مدونا بعد ان كانت الطريقة عبادة فقط وكانت احكامها انما
تتأق من صدور الرجال كالموقع في سائر العلوم التي دوت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه
والاصول وغير ذلك ثم ان هذه المجاهدة والخلو والذكر يتبعها غالبا كشف حجاب المحس والاطلاع
على عوالم من امر الله ليس لصاحب المحس ادراك شئ منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف
ان الروح اذا رجع عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت احوال الروح وغلب
سلطانه وتجدد نشوه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في غم وتزويد الى ان يصير
شهوا بعد ان كان علما ويكشف حجاب المحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك
فيتم عرض حينئذ للواهب الربانية والعلوم اللدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحقق حقيقة هاتين الاقن
الاعلى افاق الملائكة وهذا الكشف كثيرا ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود ما لا
يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيرا من الواطن قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم وقوى نفوسهم في
الموجودات السلبية وتصير طوع ارادتهم فالعظماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون
عن حقيقة شئ لم يؤمروا بالتكلم فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعذرون منه اذا هاجهم وقد
كان الصحابة رضى الله عنهم على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه النكرات او فر الحظوظ لكنهم
لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك اهل
الطريقة ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبسع طريقهم من بعدهم ثم ان قوما من
المتأخرين انصرفت عنايتهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك
بانخلاف تعليمهم في امانة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي
لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها فاذا حصل ذلك زعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم

رسول الله ان كان عندك من يقرأ او لا فاقر بن من الابواب حتى اقر لكن ثم يقول الرسول يخرج يوم كذا وكذا فاكتب حتى تبعث
بكتبك ثم يدور عليهم بالقراطيس والدواة يقول هذه دواة وقرطاس فاذن من الابواب حتى اكتب لكن ويمر الى المغيبات فيأخذ
كتبه فيبعث بها الى ازواجهن (وقال) الربيع بن زياد الجارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن

الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعمله وأن يستخلفوا جعنا لما قدمت المدينة أتيت يزفنا فقلت يا رب فاستترشدوا بن سبيل أي الهيات أحب
إلى أمير المؤمنين أن يرى فيها عمله فأومأ إلى الخشونة فاتخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولبست عمامتي على رأسي فدخلنا
على عمر فصفقنا بين يديه فصعد فينا (٢٨٠) وصوب فلم تأخذ عني غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع بن زياد الحارثي (قال)

كشفوا ذات الوجود وتصوروا حقيقة أكلاهما من العرش إلى الطش هكذا قال الغزالي رحمه الله في
كتاب الاحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة ثم أن هذا الكشف لا يكون صحيحا كاملا عندهم الا اذا
كان ناشئا عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلوة وان لم يكن هناك استقامة
كالهجرة والنصاري وغيرهم من المرتاضين وليس مرادنا الا الكشف الناشئ عن الاستقامة
ومثاله ان المرأة الصقيمة اذا كانت محدبة او مقعرة وحوذي بها جهة المرنى فانه يتشكل فيه معوجا
على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها المرنى صحيحا فالاستقامة للنفس كالانسياط للمرأة
فيما ينطبع فيها من الاحوال ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكاموا في حقائق
الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك
من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم وواجدهم في ذلك وأهل الفتيان من كرامهم ومسلم لهم
وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ردا وقبولا اذ هي من قبيل الوجدانيات وربما قصد بعض
المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاني بالانغمض فالاغمض بالنسبة إلى أهل النظر
والاصطلاحات والعلوم كما فعل القرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها في صدد ذلك
الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن القائل وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي
مظهر الاحدية وهما ماصادرا عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لا غير ويسمون هذا الصدور
بالنجلى وأول مراتب التجليات عندهم تجلى الذات على نفسه وهو يتضمن السكمال بافاضة اليجاد والظهور
لقوله في الحديث الذي يتناقض لونه كنت كثر انخفا فاجبت ان اسرف فخلقت الخلق ليعرفوني وهو هذا
السكمال في اليجاد المنزل في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية والحقيقة
المجدية وفيها حقائق الصفات والروح والقيم وحقائق الانبياء والرسل اجمعين والكمال من أهل الملة المجدية
وهذا كله تفصيل الحقيقة المجدية ويصدر عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهبائية وهي مرتبة
المثال ثم عنها العرش ثم الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هـ ذاني عالم الرتب فاذا تجليات
فهو في عالم الفتق ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات وهو كلام لا يقتدر أهل
النظر على تفصيل مقتضاه لغموضه وانغلاقه وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة والوجدان وصاحب
الدليل وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة وهو
رأي أغرب من الأول في تعقله وتفاريعه يزعمون فيه ان الوجود له قوى في تقاضيه يلهمها كانت حقائق
الموجودات وصورها ووادها والعناصر انما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها الهبائية في نفسها قوة
بها كان وجودها ثم ان المركبات في تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية
فيها قوى العناصر يهيولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في
نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم تلك تتضمن القوة الانسانية وزيادة وكذا الذات الروحانية
والقوة الجامعة لكل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي انبثت في جميع الموجودات كلية وجزئية وجمعتها
وأحاطت بها من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة
فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعتبار هو المفصل لها كالانسانية مع

وما تتولى من أعمالنا قلت
البحر بن قال وكم ترفق
قلت القائل كثير فاصنع
بها قلت اتقوت منها شيئا
وأعود على أقارب لي فإني
فضل لي منهم فعلى فقراء
المسلمين قال فلا بأس ارجع
إلى موضعك فارجع
إلى موضعي من الصف
فصعد فينا وصوب فلم تقع
عنه الا على فدعاني فقال
كم سنك قلت خمس
وأربعون سنة قال الآن
حين استكمات (ثم دعا)
بالطعام وأصحابي حديثو
هـ دبلين العيش وقد
تجوعت له فأتى بخبز وأعضاء
بغير فعل أصحابي يعافون
ذلك وجعات آكل وجعات
أنظر إليه يلحظني من
بينهم ثم سبقت مني كلمة
تمت اني سمعت في
الأرض ولم أقلها فقلت
يا أمير المؤمنين ان الناس
يحتاجون إلى سلامتك
فلو عدت إلى طعام ابن
من هـ ذافر جرتي ثم قال
كيف قلت فقلت قلت
يا أمير المؤمنين لو تنظر إلى
قوتك من الطعام ان
يخبرك قبل ارادتك آياه
يوم يطبخ لك اللحم

كذا فتوتني بالخبرين ابوا بالحكم غريضا فسدن غيظه ثم قال ههنا رعت قلت نعم (قال) يا ربيع اننا لو شئنا
لما ناهذه الرحاب من صلاتك وسنالك يعني خبرنا الحواري ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واسمعتهم بها ثم أمر ابا موسى باقرارى على علي وان يستبدل بأصحابي (وقال) قبضة بن ذؤيب دعا عمر بن الخطاب عليه السلام فقال

سعد وكان على أهل حص فقال سلام يحبك أهل الشام قال اني احبهم فاجبوني قال مالك قلت عبيدي وفرنسي وبعلي وخادمي (قال)
فإذا تلبس في الشتاء قلت عصابة أشبه راسي وجبة وكساء قال فالتبس في الضيف قلت قيصاور يطة فاعطاني عمر ألف دينار
(وقال) خذها واستنق منها واعط منها قلت لا ارب لي فيها واستجد من هو أحوج اليها مني (٢٨١) قال خذها فان النبي عليه السلام

دفع الى مالا وهو دون
الذي أعطيتك فقلت
له كما قلت لي فقال يا عمر
ما آتاك الله من هذا
المال عطاء من غير ان
تعرض له أو تشرف له
نفسك فاقبله فأخذه
فانطلق به الى امرأته فقال
أترين رجلا له هذا من
فقراء المهاجرين هو أم من
الاغنياء فقالت بل من
الاغنياء فقام معها حتى
بقيت منها صرة اظن فيها
ثلاثين أو نحو ذلك فقالت
له امرأته اليس لي انا حق
فاعطاها اياه (وقال) زياد
ابن حيو بنينا نحن بخناصرة
اذا امرأة تسأل عن دار
عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه فارشدها الى
الدار فرأت دارا متشعة
فقالت لحياط هناك استأذن
لي على فاطمة امرأة عمر بن
عبد العزيز قال فادخلي
وصوتي بها فانها تأذن لك
فدخلت فلما أبصرت
ما هناك قالت جئت أرم
فقري من بيت الفقراء
واذا رجل يعمل في الطين
فسألتها عن أمير المؤمنين
فقالت هو ذلك يعمل
في الطين فقالت له يا أمير

الحيو انية لا ترى انها مندوحة فيها وكأنته يكونها قارة يملونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه
وتارة بالكل مع الجزء على طريقة المثال وهم في هذا كله يفرقون من التركيب والكثرة بوجه من الوجوه
وانما أوجبه عنددهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام ابن دهقان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة
ما يقولونه في الوحدة شبيهة بما تقولونه الحكماء في الالوان من ان وجودها مشروط بالضوء فاذا عدم الضوء
لم تكن الالوان موجودة بوجه وكذا عنددهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك
المحسوس بل والموجودات المعنوية والمتوهمات ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود المفصل كله
مشروط بوجود المدرك البشري فلو فرضنا عدم المدرك البشري لجملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو
بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والنار والسماء والكواكب انما وجدت
لوجود الحواس المدركة لها انما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في
المدرك فقط فاذا فقدت المدارك المفصلة فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو انما لا غير ويعتبرون ذلك
بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس اظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما يفصله له الخيال قالوا
فكذلك انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بنوع مدركه البشري ولو قدر فقد مدركه فقد
التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذي هو من جملة المدارك البشرية وهذا المخلص رأيهم على
ما يفهم من كلام ابن دهقان وهو في غاية السقوط لانا قطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه
يقينا مع قيمته عن أعيينا وبوجود السماء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء الغائبة عنا والانساقطع
بذلك ولا يكابر أحد نفسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المراد عند الكشف
ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عنددهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموجودات
ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للريد عندهم من عقبة الجمع وهي عقبة صعبة
لانه يخشى على المرئيد من وقوفه عند هافتخسر صفقته فقد تبذرت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هؤلاء
المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى
الحلول والوحدة كما اشرنا اليه وماؤا الحنف منه مثل المروفي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي
وابن سبعين وتبعهم ابن العقيب وابن الفارض والتجيم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم محالطين
للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين ايضا بالحلول والهيبة الاثمة مذهبهم يعرف لاوهم فاشرب
كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة
القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون انه لا يمكن ان يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه
الله ثم يورث مقامه لا آخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول
التصوف منها فقال جل جناب الحق ان يكون شرعة لكل وارد او يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا
كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقولونه الرافضة
ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء حتى اتهموا استدوا
لباس خرقة التصوف ليملأوه أصلا لاطريقتهم وتخليهم دفعوا الى على رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضا
والافعل رضي الله عنه لم يختص من بين الصحابة بتخلية ولا طريفة في لباس ولا حال بل كان أبو بكر وعمر

(٣٦ - ابن خلدون) المؤمنين مات زوجي وترك ثمان بنات فبكي عمر بكاء شديدا ثم قال فاماتن يدين قالت تفرض لمن قال نفرض
للكبرى ما اسمها قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله قال ما اسم الثانية قالت فلانة فكتبها فقالت الحمد لله حتى كتب السابعة فقالت
جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين فطرح القلم من يده وقال لها امالك لو وليت الحمد لاهله لآتمننا من لك مري السبع فليواسين هذه الثمانية

(الباب الحادي والخمسون في أحكام أهل الذمة) (روى) عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصاري أهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصاري مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا وأموالنا (٢٨٢) وأهل ملتنا وشرطنا لكم على أنفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا في مساكننا ولا في بلادنا ولا كنيسة

ولا قنينة ولا صومعة واهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطاً منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان توسع أبوابها للمارة وابن السبيل وان تنزل من مر بنا من المسلمين ثلاث ليل نطعمهم ولا نقوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعو إليه أحد ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الاسلام ان أرادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا علبين ولا فرق شعر ولا تتكلم بكلامهم ولا تتكلم بكلامهم ولا نركب بالسروج ولا نقتلد بالسيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نخجله معنوا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخجور وان نجوز مقام رؤسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنا نير على اوساطنا ولا نظهر صلبنا ولا نكتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم

رضي الله عنه ما أزهـد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثروا عبادته ولم يختص أحدهم منهم في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والجاهـدة يشهد ذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في امر القاطمي وما شحـنوا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام ينفي او يثبت وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيراً من الفقهاء وأهل القبا انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وامثالها وشملوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال التحصيل تلك الاذواق التي تصير مقاماً و يترقى منه الى غيره كما قلناه وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحى والنبوة والروح وحقائق كل موجود وغائب أو شاهد وتربكيب الآكوان في صدورهم من موجداتها وتكونها كما رويناها التصرفات في العوالم والآكوان بانواع الكرامات ورابعها ألقاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من أئمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات تستشكل ظواهرها فتنكر ومحسن ومتأول فاما الكلام في المجاهدات والمقامات وما يحصل من الاذواق والمواجد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فامر لا مدفع فيه لاحد واذواقهم فيه صحيحة والتحقيق بها هو عين السعادة وأما الكلام في كرامات القوم واختبارهم بالغيبات وتصرفهم في الكائنات فامر صحيح غير منكر وان مال بعض العلماء الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني من أئمة الاشعرية على انكارها لا لبتباسها بالمعجزة فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدى وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا ثم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صدقة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكاذب اتبعت صدقة نفسها وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للصحابة وكبار السلف كثير من ذلك وهو موهـم مشهور وأما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه لما أنه وجد في عندهم وفاقـد الوجه ان عندهم يـنزل عن اذواقهم فيه واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه لانهم لم توضع الا للعارف واكثرهم من المحسوسات فينبغي أن لا تعرض لكلامهم في ذلك وتتركه فيما تتركه من التشابه ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرمهم بالسعادة وأما الالفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع فاعلم ان الانصاف في شأن القوم انهم أهل غيبة عن المحسوسات والواردات مما لا يمكن حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور مـذو رفق علم منهم فضله واقتداؤه جل على القصـد الجميل من هذا وان العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها كما وقع لابي يزيد وامثاله ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فؤاخذ بما صدر عنه من ذلك اذا لم يبين لنا ما يحتملنا على تأويل كلامه وأما من تكلم بمثلها وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال فؤاخذ ايضاً ولهذا أفتى الفقهاء وكبار المتصوفة بقتل المخلاج لانه تكلم في حضوره ومالك لم يحاله والله أعلم وسلف المتصوفة من أهل الرسالة اعلام الملة الذين

ولا تضرب نواقيسنا في كنائسنا الاضرب باخفيها ولا ترفع أصواتنا بالقرافة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين أشربنا ولا تخرج شعائنا ولا باعوثنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سـهام المسلمين ولا نتطلع على منازلهم (فلما آتيت) عمر رضي الله عنه بالسكاك زاد فيه ولا تضرب أحداً

من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فان نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم وضمنناه على أنفسنا فلازمة لنا وقد حل منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان أمض ما سألوه والحق فيه حرفين اشتهرت بهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم ان لا يشتر واشيا من سببا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا (٢٨٣) فقد خلع عهده (وروى) نافع عن سالم

مولى عمر بن الخطاب ان عمر كتب الى أهل الشام في النصارى ان يقطع ركبهم وان يركبوا على الكف وان يركبوا في شق وان يلبسوا خلاف زي المسلمين ليعرفوا (وروى) ان بني تغلب دخلوا على عمر بن عبد العزيز فقالوا يا أمير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى حجاما ففعلوا فجزوا صيهم وشق من أرديتهم خرميا يحترمونها وأمرهم ان لا يركبوا السروج ويركبوا الكف من شق واحد (وروى) ان أمير المؤمنين المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأقصاهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وجعل على أبوابهم مثلا للشياطين لانهم أهل ذلك وقرب منه أهل الحق وباعد عنه أهل الباطل والاهواء فاحيا الله به الحق وأمات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا

أشرفنا اليهم من قبل لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ولا هذا النوع من الادراك انما همهم الاتباع والافتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يحفل به بل يقرون منه ويرون انه من العوائق والحق وان ادراك من ادراكات النفس بخلق حادث وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخاقها كبر وشريعته بالهداية املل فلا ينطقون بشيء مما يدركون بل حطروا الخوض في ذلك ومنه وان يكشف له الحجاب من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والافتداء ويا مروان أصحابهم بالترامها وهكذا ينبغي ان يكون حال المريد والله الموفق للصواب

١٢ * (علم تعبير الرؤيا) *

هذا العلم من العلوم الشرعية ومحدث في الملة عندما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها وأما الرؤيا والتعبير لم يزل قد كان موجودا في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والأمم من قبل الا أنه لم يصل الى النال كتناف في به بكلام المعبرين من أهل الاسلام والافاروقيا بوجوده في صنف البشر على الاطلاق ولا بد من تعبير ما افلقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يعبر الرؤيا كما وقع في القرآن وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر رضي الله عنه والرؤيا مدرك من مدارك الغيب وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة تراه الرجل الصالح او ترى له واول ما بدى به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انتقل من صلاة الغداة يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم آية من آيات ربي صلى الله عليه وسلم فتشبهوا بآيات من ذلك مما فيه ظهور الدين واعزازها وما السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب فهو ان الروح القلبي وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا أدركه الملل بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشي سطح البدن ما يغشاها من برد الاله لاختناس الروح من سائر أقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجيب بذلك لعاودة فعله فتعطى الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر بذاته اذ حقيقة ذاته عين الادراك وانما يمنع من تعقله للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاشغال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقةه وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خفت شواغله فلا يدله من ادراك لحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خفت شواغله الحس الظاهر كلها وهي الشاغل الاعظم فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللاحقة من عالمه واذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه اذ هو مادام في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه ينتزع من الصور الحسوسة صوراً خيالية ثم يدفعها الى الحافظة تحفظها الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من الحسوس الى

في دينهم ولا تحل في دين الله الرشا ولما استقدم عمر بن الخطاب أبا موسى الاشعري من البصرة وكان عاملا على الحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستأذن لكتابة وكان نصرا فاقال له عمر فانك الله وضرب بيده على فخذه ولبت ذميا على المسلمين أما سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منكم فاقال يا أمير

المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذا ما نهم الله ولا اعزهم اذا اذلهم الله ولا اذنبهم اذا قصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب ان العدد قد كثروا ان الجزية قد كثرت فذستين بالا عاجم فكتب اليه عمر انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلهم حيث ارادهم الله ولا تزدوا اليهم شيئا وقال عمران بن اسد (٢٨٤) انا انا كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنصور ما بعد فانه بلغني ان في عمال

رجلا يقال له حسان بن برزى على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا اتاك تكلى هـ اذا فادع حسان الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه وان اى فلا تستعن به ولا تأخذ من غير اهل الاسلام على شئ من اعمال المسلمين فقرا الكتاب عليه فاسلم (ولما) خرج النبي عليه السلام الى بدر تبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال انى اريد ان اتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي عليه السلام وكانت له قوة وجلد فقال جئت لا تبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه على ظهر البعده فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعماهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تقولوا على اعمالنا الا اهل القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا قبيحهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

المعقول والخيال واسطة بينهما وذلك اذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراه النائم كأنه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلى الى الحسى والخيال ايضا واسطة هذه حقيقة الرؤيا ومن هذا التقرير يظهر الفرق بين الرؤيا والصاحمة واضغات الاحلام الكاذبة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم لكن ان كانت تلك الصور من نزلة من الروح العقلى المدرك فهو رؤيا وان كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال اودعها اياما منذ اليقظة فهي اضغات احلام وأما معنى التعبير فاعلم ان الروح العقلى اذا أدرك مدركه والقاء الى الخيال فصوره فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشئ كما يدرك معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من أمره الا أنه رأى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وأن المدرك وراءها وهو يهتدى بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لان البحر خالق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب ان تشبه به بالعدو لعظم ضررها وكذا الاوانى تشبه بالنساء لانهن اوعية وأمثال ذلك ومن المرقى ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير لثباتها ووضوحها واو اقرب الشبه فيما بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرؤيا ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر الى تأويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغات واعلم ايضا ان الخيال اذا لقي اليه الروح مدركه فانما يصوره في القوالب المعتادة للحس مالم يكن الحس ادركه قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولداعى أن يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاوانى لانه لم يدرك شيئاً من هذه وانما يصوره الخيال أمثال هذه في شبيهها ومناسبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشعومات وليتحفظ المعبر من مثل هذا فر بما اختلط به التعبير وفسد قانونه ثم ان علم التعبير علم بقوانين كاية يبنى عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وتأويله كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع آخر يقولون البحر يدل على الهم والامر الفادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع آخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع آخر يقولون تدل على الحياة وأمثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوانين السكينة ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو الباقي بالرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما ينقدح في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه وكل ميسر لما خالق له ولم يزل هذا العلم متناقلاً بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوانين وتناقلها الناس لهذا العهد والى الكرماني فيه من بعده ثم ألف المتكلمون المتأخرون واكثروا والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيروانى من علماء القيروان مثل الممتع وغيره وكتاب الاشارة للسامى وهو علم مضمون النبوة للناسبة بينهما كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

١٣ * (العلوم العقلية واصنافها) *

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية لا لانسان من حيث انه ذوق كرهى غير مختصة بعلة بل يوجد النظر فيها لاهل المال كاهم ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الانسانى منذ كان همران

الخلقة

بالله ورسوله قال نعم فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي

النبي عليه السلام ويراق دمه فكيف استعماهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله ان لا تقولوا على اعمالنا الا اهل

القرآن فكتبوا اليه انا وجدنا قبيحهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن خير فاجدر ان لا يكون في غيرهم خير

(فصل) وثى نقض الذي العهد بخلقه لشي من الشروط المأخوذة عليه لم يرد الى مأموره والامام فيه بالخيار بين القتل والاسترقاق وقال اصحاب الشافعي ويلزمه - ثم ان يميز واعن المسلمين في اللباس وان لبسوا قلائس ميزوها عن قلائس المسلمين بالخرق ويشدون الزناير في اوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص او نحاس او جرس يدخل (٢٨٥) معهم الحمام وليس لهم ان يلبسوا العمام

والطبايان وأما المرأة فتشد الزناير تحت الازار وقيل فوق الازار وهو الاولى ويكون في عنقها خاتم يدخل معها الحمام ويكون احدها خفيها اسود والاخر ابيض ولا يركبون الخيل ويركبون البغال والحمير بالاكف عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدون بالسلام ويلجئون الى أضيق الطريق ويمنعون ان يعلا على المسلمين في البناء وتجوز المساواة وقيل لا تجوز بل يمنعون وان تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالخنزير والخنزير والناقوس والجهر بالنزوة والانجيل ويمنعون من المقام في الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة ويجعل الامام على كل طائفة منهم رجلا يكتب اسماءهم وحملهم ويستوفي جميع ما يؤخذون به من جميع الشروط وان امتنعوا من اداء الجزية والتزام احكام الملة انتقض عهدهم وان رضى احدهم بمسألة او اصابها

الحقيقة وتسمى هذه العلوم العلوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالبات الجوهرة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطا من الصواب فيما يلتزمه الناظر في الموجودات وعوارضها اليقظ على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره ثم النظر به - ذلك عندهم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنهما من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويشتمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم اولها علم الهندسة وهو الناظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو بعد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الى بعض وثانيها علم الارتمطاتيقي وهو معرفة ما يعرض للكم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعدد أشكال كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها فهذه اصول العلوم الفلسفية وهي سبعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتمطاتيقي اولها ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه فن فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الاثنا عشر هي قوانين لمسابات حركات الكواكب وتعديلها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحن نتكلم عليهم اولا واحدا بعد واحد الى آخرها واعلم ان اكثر من عني بها في الاجيال الذين عرفنا اخبارهم الامنان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافعة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفورا فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصرهم لم يكن لهذه العلوم محور زاخرة في آفاقهم وامصارهم وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عنانية بالسحر والنجامة وما يتبعها من الطالسم وأخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاخص بها القبط وطمى بحر ما فيهم كما وقع في المتعلمين من خبر هاروت وماروت وشأن السحرة وما نقله اهل العلم من شأن البرابي بصعد مصر ثم تتابع المال بحظر ذلك وتحريمه فدرست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها من قبل هذه الصنائع والله اعلم بحكمتهم ان سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اختباؤها وأما القرس فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيما ونطاقها متسع لما كانت عليه دواتهم من الضخامة واتصال الملل والتدبير قال ان هذه العلوم اتت واصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر دارا وغلب على مملكة الكينية فاستوى على كتبهم وعلومهم ما لا يأخذ الحصر ولما فتحت ارض فارس ووجدوا فيها كتب كثيرة كتب سبعة عديدين ابي وقاص الى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتقبيلها للمسلمين فكتب اليه عمر ان اطرحوها في الماء

بنكاح او آوى عبدا لكفار او دل على عورة للمسلمين او فتن مسلما عن دينه او قتله او قطع عليه الطريق او ذكر الله ورسوله بما لا يجوز وقيل ينتقض وان فعل ما يمنع منه بما لا ضرر فيه كترك الغيار واظهار الخروما اشبه ما عزر عليه ومتى فعل ما يوجب نقض العهد رد الى مأموره في أحد القولين وقتل في الحين في القول الآخر *(فصل)* في تقدير الجزية باختلاف بين العلماء فقيل انهم مقدرة الاقل والاكثر

على ما كتب به عمر الى عثمان بن حنيف بالكوفة فوقع على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى من دونه اربعة وعشرون درهما وعلى من دونه اثناعشر درهما وهذا مذهب ابي حنيفة وابن حنبل واحد قولي الشافعي وجعلوه كانه حكم امام فلاينة قض وقيل انها مردودة الى الامام في الزيادة والنقصان (٢٨٦) وهو الاقيس وقيل انها مقدرة الاقل دون الاكثر فيجوز للامام ان يزيد على ما قدره عمر

ولا يجوز ان ينقص عنه
وقال بعضه هم يجوز ان
يساوي بينهم من كل واحد
دينار وقال مالك يؤخذ
من المورسار بعون درهما
ومن الفقير دينار وعشرة
دراهم ويتخرج على
مذهب مالك في وجوب
تقدير طرفيها قولان بناء
على العشر المأخوذ منه
هل هو تقدير شرعي لا يجوز
فيه الزيادة والنقصان
وعن مالك فيه روايتان ولا
تخريجه على النساء والمالك
والصبيان والمجانين وكتب
عمر بن عبد العزيز الى
عبد المجيد بن عبد الرحمن
سلام عليك اما بعد فان
اهل الكوفة قد اصابهم
بلاء وشدة وجور من العمال
وسنن سيئة سنها عليهم
عمال السوء فاحرز عليهم
ارضهم ولا تحمل خرابا على
عامر ولا عامرا على خراب
ولا تأخذ من الخراب الا
ما يطيقون ولا من العامر
الا وظيفة الخراج الا وزن
سبعة ايس لماس ولا
اجورا اضرابين ولا اداة
الفضة ولا هدية النير وز
والمهر جان ولا ثمن المصحف
ولا اجورا البيوت ولا دراهم

فان يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله باهدى منه وان يكن ضلالا فقد كفانا الله فطر حوها في الماء او في النار
وزهدت علوم الفرس فيها عن أن تصل اليها وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان اولوا وكان لهذه العلوم
بينهم مجال رحب وجاهلها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم واختص فيها المشاؤون منهم
اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كانوا يقرؤون في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل
فيها سنده تعليمهم على ما زعمون من لدن لقمان الحكيم في تلميذه بقراط الدين ثم الى تلميذه أفلاطون ثم الى
تلميذه ارسطو ثم الى تلميذه الاسكندر الاكبر ودسي وتامس طيون وغيرهم وكان ارسطو معلم الاسكندر
ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانزع الملك من ايديهم وكان ارسطو في هذاه العلوم قدما
وأبعدهم فيها صيتا وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر * ولما انقرض أمر اليونان وصار الامر
للقياصرة واخذوا يدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيها الممال والشرائع فيها وبقيت في صحفها
ودواوينها مخددة باقية في خزائنهم ثم ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان
لاهل الظهور الذي لا كفاه له وايتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للامم وابتداء امرهم بالسذاجة والغفلة عن
الصنائع حتى اذا تبجح الساطان والدولة واخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا
في الصنائع والعلوم تشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الاساقفة والاقسة
المباهدين بعض ذكرونها وسموا اليه افكارا لانسان فيها فبعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان
يبعث اليه بكتب التعاليم مترجمة فبعث اليه بكتاب اوقليدس وبعض كتب الطب والبيات فقرأها المسلمون
واطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصا على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما
كان يتحمله فانبعثت هذه العلوم حرصا وافرسل الى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها
بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وحذقوا
في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالقوا كثير من آراء المعلم الاول واختصوه بالرد والقبول
لوقوف الشهرة عنده ودوتوا في ذلك الدواوين واربعوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من اكابرهم
في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي ابن سينا بالشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ
بالاندلس الى آخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واختص هؤلاء بالشهرة والذكروا قصير كثير على انتحال
العلم وما يضاف اليها من علوم النجامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المنتحل على مسلمة
ابن احمد الجرجيني من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم وأهلها داخله واستهوت
الكثير من الناس بما جنىوا اليها وقلدوا آراءها والذنب في ذلك ان ارتكبه ولولاه الله ما فعله ثم ان
المغرب والاندلس لما ركبت ريح العمران بهما وتناقصت العلوم بتناقضها ضاع ذلك منها ما لا قبل
من رسمه تجدها في تغاريق من الناس وتحت رقبته من علماء السنة ويبلغنا عن اهل المشرق ان بضائع
هذه العلوم لم تزل عندهم موفورة وخصوصا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر وانهم على شبح من
العلوم العقلية لتوفر عمراتهم واستحكام الحضارة فيهم ولقد وقفت بمصر على تاليف متعددة لرجل من
عظماء هراة من بلاد خراسان يشهره بسعد الدين التفتازاني منها في علم الكلام وأصول الفقه والبيان
تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي آثانها ما يدل له على أن له اطلاعا على العلوم الحكيمة

النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الارض والواجب ان يؤخذ ما ضرب به عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وهو من كل جريب عشرة دراهم ومن كل جريب نخيل ثمانية دراهم ومن كل جريب حنطة اربعة دراهم ومن كل جريب شعير
دريمان * (فصل) * واما الكنائس فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تهدم كل كنيسة لم تكن قبل الاسلام ومنع ان تحدث

كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجه من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروته بن محمد يدهما
بصنعاه وهاذا مذهب علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة بحال قديمة
ولا حديثة وهكذا قال الحسن البصري قال من السنة ان تهدم الكنائس التي (٢٨٧) في الامصار القديمة والحديثة ويمنع أهل

الذمة من بناء ما حرم قال
الاصم طخري ان طينوا
ظاهر الحائط منعوا وان
طينوا داخله الذي يليهم لم
يمنعوا ويمنعون ان يعالوا
على المسلمين في البناء وتجوز
المساواة وقيل لا تجوز
*(الباب الثاني والخمسون
في بيان الصفات المعتبرة
في الولاية)*

اعلم أرشدك الله تعالى ان
منزلة العمال من الوالي
منزلة السلاح من المقاتل
فاجتهد جهدا في ابتغاء
صالح العمال واذا فقد الوالي
عمال الصديق كان كفقد
المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال
كما يحتاج الحارب الى
اصناف العدة فمنها الدرق
للاستحسان والسيف
للمناجزة والرمح للطاعنة
والسهم للبعادة والدرع
للتحصن ولكل منها موضع
ليس للاخر والرجال للملك
كالاداة للصانع لا يسد بعضها
مسد بعض كذلك طبقات
الرجال للملك منهم للرأي
والمشورة ومنهم لادارة
الحرب ومنهم لمباشرة
الحرب ومنهم لجمع
الاموال ومنهم لحفظها

وقد ما عالبه في سائر الفنون العقلية والله يؤيد بنصره من يشاء كذلك بلغنا هذا العهد ان هذه العلوم
الفلسفية بيلاذلا فرجحة من ارض رومة وما اليها من العدو الشمالية نافقة الاسواق وأن رسومها هناك
متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكررة والله اعلم بما هناك وهو
يخفى ما يشاء ويختار

(العلوم العددية)

وأولها الارتماطيقي وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التأليف اما على التوالي او بالتضعيف مثل
ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساو لجمع كل عددين بعدهما من
الطرفين بعده واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فردا مثل الأفراد على تواليها
والازواج على تواليها ومثل ان الاعداد اذا توالفت على نسبة واحدة يكون أولها نصف ثانيها وثانيها نصف
ثالثها الخ او يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين أحدهما في الآخر كضرب
كل عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد أحدهما في الآخر ومثل مربع الواسطة ان كانت العدة فردا
ذلك مثل اعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة فثمانية فستة عشر ومثل ما يحدث من الخواص
العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان
يجمع من الواحد الى العدد الاخير فتكون مثلثة وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد
على كل مثلث ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربع وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون
مخمسة وهم جراوتتوالى الاشكال على التوالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض في عرضه
الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم الخمسات الخ وفي طوله كل عدد واسكاله بالغا
ما باع وتحدث في جمعها وقسمة بعضها على بعض طول وعرضا خواص غريبة استقرت منها وتقررت
في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث للزوج والفرد وزوج الفرد وزوج الزوج والفرد
فان لكل منها خواص مخصوصة به تضعها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول اجزاء التعاليم واثبتنا
ويدخل في براهين الحساب والحكمة المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف واكثرهم يدرجونه في التعاليم
ولا يقررونه بالتأليف فعمل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين وأما المتأخرون
فهو عندهم مهجور اذ هو غير متداول ومنفعة في البراهين لافي الحساب فهو مهجور ولذلك بعد ان استخلصوا
زبدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب والله سبحانه وتعالى اعلم
(ومن فروع علم العدد صناعة الحساب) وهي صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق
فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو الجمع والتضعيف تضاعف عددا با حاد عدد آخر وهذا هو
الضرب والتفريق ايضا يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او
تفصيل عدد باجزاء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح
من العدد أو الكسر ومعنى الكسر نسبة عدد الى عدد وتلك النسبة تسمى كسرا وكذلك يكون بالضم
والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي يضرب في مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور ايضا
يدخلها الضم والتفريق وهذا الصناعة حادثة احتيج اليها الحساب في المعاملات وألف الناس فيها كثيرا

ومنهم للحماية ومنهم للكتابة ومنهم للجمال والفخر ومنهم للباهة والذكور ومنهم للدعوى والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ أساس
الملة فلا يكمل الملك ما لم يجمع هذه الطبقات وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لمسامات كسرى بلغ موته رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال من استخلفوا قالوا ابنته يوران قال ان يفلح قوم اسندوا أمرهم الى امرأة وقال ابن عباس لما كانت فتنة الحرة قيل من استعمل

القوم قالوا عبد الله بن مطيع على قر يش وعبد الله بن حنظلة الراهب على الانصار قال أمير ان هلك والله القوم وليس يشترط الا في الامامة العظمى دون سائر الولايات (ولما) استخضر هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وكان من الخطباء قال له هشام بلغني انك تخطب الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة (٢٨٨) قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم بن أمة واسحق بن حرة ومحمد عليه السلام من

ولد اسمعيل ثم اتهمه في أمر فقال له زيد أنا أحلف لك قال هشام ومن يصدقك قال زيد انه ليس أحد فوق ان يأمر بتقوى الله ولا أحد دون ان يؤثر بتقوى الله وقال بعض الخلفاء دلوني على رجل استعمله على امر قد أهمني قالوا وكيف تريد قال اذا كان في القوم وليس أميرهم كان كانه أميرهم واذا كان في القوم وهو أميرهم كان كانه رجل منهم قالوا ما تعلمه الا الربيع بن زياد الحارثي قال صدقتم هؤلاء ويروي ان عمر بن عبد العزيز استشار في قوم يستعملهم فقال له بعض اصحابه عليك يا اهل العدل قال ومن هم قال الذين ان عدلوا فهو مارجوت وان قصر و اقال الناس اجتهد عمر (ولما قدم البريد من بشر بن مروان على عبد الملك بن مروان سأله عن بشر قال يا امير المؤمنين هو الشديد في غير عنف اللين في غير ضعف فقال عبد الملك ذلك الاعسر الاجود الذي كان يامن عنده البري ويخاف لديه السقيم ويعاقب على قدر

وتداولوها في الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عندهم الايتام ادعياهم الاتهام عارف متفحصة وبراheim منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضى ودرب على الصواب وقد يقال من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقا ويتعود الصدق ولازمه مذهبها ومن احسن التأليف الميسرة في هذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولا بن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني وهو كتاب جليل القدر ادر كمال المشيخة تعظمه وهو كتاب جذر بذل وانما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم لان مسائلها واعمالها واضحة كلها واذا قصد شرحها فاعلم ان اعطاء العمال في تلك الاعمال وفي ذلك من العسر على الفهم مالا يوجد في اعمال المسائل فتأمل له والله يهدي بنوره من يشاء وهو القوي المتين * (ومن فروعه الجبر والمقابلة) * وهي صناعة يستخرج بها العدد المجهول من قبل المعلوم المقروض اذا كان بينهما نسبة تقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان جعلوا للمجهول مراتب من طريق التضعيف بالضرب او لها العدد لان به يتعين المطلوب المجهول باستخراجه من نسبة المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من جهة ايهامه شيء وهو ايضا جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو امر مبهم وما يغلب ذلك فعلى نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المقروض في المسئلة فتخرج الى معادلة بين مختلفين او أكثر من هذه الاجناس فيقابلون بعضها ببعض ويحجرون ما فيهم من الكسر حتى يصير صحيحا ويحطون بالمراتب الى اقل الاسوس ان أمكن حتى يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة بين واحد واحدتين فالمال والجذر يزول ايهامه بمعادلة العدد ويتعين والمال وان عادل الجذور يتعين بعدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين أخرجه العمل الهندسي من طريق تفصيل الضرب في الاثنين وهي مهمة فيعينها ذلك الضرب المفصل ولا يمكن المعادلة بين اثنين واثنين وأكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة بين عدد وجذر ومال مقدرة او مركبة تجب ستة واؤل من كتب في هذا الفن أبو عبد الله الخوارزمي وبعده أبو كامل شجاع بن اسلم و جاء الناس على اثره فيه وكتبه في مسائله الست من احسن الكتب الموضوعة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض أئمة التعاليم من اهل المشرق انه في المعاملات الى أكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها اعمالا واتبعه براهين هندسية والله يزيد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى * (ومن فروعه ايضا المعاملات) * وهو تصرف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات والركوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صناعة الحساب في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من كثير المسائل المفروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل حتى ترسخ المالك في صناعة الحساب ولاهل الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيهما متعددة من اشهرها معاملات الزهراوي وابن السمع وأبي مسلم بن خالدون من تلميذ مسلمة الجريطي وامثالهم * (ومن فروعه ايضا القرائض) * وهي صناعة حسابية في صحيح السهام لذوى القروض في الوراثات اذا تددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت

الذنب ويعرف موضع العقو الشديدي في غير ضعف اللين في غير ضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال سهامه

الحكيم اعتبر الرجال بافعالهم لا بعظم اجسامهم فان التسميع عظمه لا يأكل الا ميتا وطير المساء مع ضعفه يتحامي ميت السمك ويأكل الحي منها (وفي) حكم الهند السلطان الحازم زيدا احب الرجل فاقصاه وامر حه مخافة ضربه كالمسوح يقطع اصبعه لئلا ينتشر السم في جسمه

وربما أبغض الرجل فأكرم نفسه على توليته وتقر به اغناء يحميه عنده كسكاره المرء على الدواعي البشع لنقعه الا ان الاسلام شر وطافلا
تستقيم هذه الشيرة عليها الا ترى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما افضت الخلافة اليه كان معاوية والياعلى الشام من قبل عمر ثم
عثمان فاستشار في أمره فقال له بعضهم اقره على امرته وأرسل اليه بهذه فاذا دخل (٢٨٩) في بيعتك فاعزله فقال له رجلك

الله اأمرني أن اطالب العدل
بالمجور ثم عزله فكان
سبب عصيانهم وهكذا
أشاروا عليه فقالوا يا أمير
المؤمنين لو فضلت هؤلاء
الاشراف ومن تتخوف
منهم واتمنا الناس أصحاب
دنيا حتى اذا استوثق الامر
عدت الى التسوية فقال
أنا مروني ان اطالب العدل
بالمجور فممن وليت عليه
والله لو كان مالي لسويت
بينهم ولم افضل بعضهم
على بعض فكيف والمال
لهم واعطاء المال في غير
حقه تبذير وسرف وهو
يرفع ذكر صاحبه في الدنيا
ويضعه عند الله في الآخرة
وان يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير أهله الا حرمه
الله تعالى شكرهم ويصير
لغيره ودهم فان بقي معه
منهم من يظهر له الود والشكر
فذلك ملق وخدعة
لينال منه فان زلت به
النعيل يوما فاحتاج الى
معونته ومكافاته ما سلف
من مبرته فشر خيل
والأثم خدين وإياك أيها
الوالي وحب المدح فان
من أحب المدح عدوك
مدح نفسه واذا علم ذلك

سهاه على ورثته وزادت القروض عند اجتماعها وتزاحها على المال كله او كان في القرضية اقرار
وانكار من بعض الورثة فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام القرضية من كم تصح ومهام الورثة
من كل بطن معجدا حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من جملة سهام القرضية
فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وحذره ومعه لومه ومجهره وترتيب على ترتيب
أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتمت هذه الصناعة على جزء من الفقه وهو أحكام الورثة من
القروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو
تصحيح السهمان باعتبار الحكم الفقهى وهى من أجل العلوم وقد يورد أهلها احاديث نبوية تشهد بفضلها
مثل الفرائض ثلث العلم وانها أول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندى ان ظواهر تلك الاحاديث كلها
انما هى في الفرائض العينية كما تقدم لا فرائض الوراثات فانها اقل من ان تكون في كيتها ثلث العلم وأما
الفرائض العينية فكثيرة وقد ألف الناس في هذا الفن قديما وحديثا وأوعبوا ومن احسن الناس ليل في
على مذهب مالك رحمه الله كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنور والجمهدى
والصردى وغيرهم لكن الفضل للحوفي فكاتبه مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله
سليمان الشطى كبير مشيخة فاس قاوضح وأوعب ولامام الحرميين فينا تاليف على مذهب الشافعى
تشهد باساع باعه في العلوم ورسومه وكذا الحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله
يهدي من يشاء بمنه وكرمه لا رب سواه

(العلوم الهندسية)

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالأعداد وفيما يعرض
لها من العوارض الذاتية مثل أن كل مثلث قرواياه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان
في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان
ومثل ان الاربعة مقادير المتناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك
والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان
وهو أبسط ما وضع فيها للعلمين وأول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة أيام ابي جعفر المنصور ونسخه
مختلفة باختلاف المترجمين فمنهم الحنين بن ابي عمير وثابت بن قرة وليوسف بن الجحاج ويشتمل على خمس
عشرة مقالة اربعة في السطوح وأحدة في الاقدار المتناسبة وأخرى في نسب السطوح بعضها الى بعض
وثلاث في العدد والعاشرة في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناها الجذور وخمس في الجسميات وقد
اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينا في تهاليم الشفاء أفرد له جزأ منها اختصاصه به وكذلك ابن
الصيات في كتاب الاقتصاد وغيرهم وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باملاق
واعلم ان الهندسة تفيد صاحبها الصناعة في عقله واستقامة في فكره لان براهينها كلها بينة لا انتظام جلية
الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيسها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر عما رستتم عن الخطا وينشأ
لصاحبها عقل على ذلك المهيى وقد زعموا انه كان مكتوبا على باب افلاطون من لم يكن مهندسا فلا يدخل
منزلنا وكان شيوخنا رحمه الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للشوب الذي يغسل منه

(٣٧ - ابن خلدون)

منك جعله الناس سلبا لقضاء حوائجهم منك فينبذ يكون قضاء الحوائج لنفسك لا لهم
وقال النبي عليه السلام أختبوا في وجوه المداحين التراب وسمع المقداد رجلا يمدح عثمان بن عفان فأخذ كفا من تراب فالتقه في وجهه
وسمع النبي عليه السلام رجلا يمدح رجلا فقال قطع ظهرا خيلك لوسمها ما أفلح بها وما ووصف امرأى أميراً فقال كان اذاولى لم

يطابق بين حقونه وأرسل العيون على عيونه فهو غائب عنهم شاهدتهم فالحسن راج والمسي خائف وقال عبد الله بن الزبير يوما لا يبعدن ابن هندان كانت فيه لخارج ما تجد ما في أحدهم أهدأ وألطف الله أن كنا نعرفه وما الليث الحرب على برائته باجر آمنه فميت قارق لنا وان كنا لنجدعه وما ابن ليلة من الأرض (٢٩٠) بأدهى منه والله لوددت أنما متعنا به مادام في هذا جرو وأشار إلى أبي قبيس لا يتخون له

عقل ولا ينقص له قوة
وقال الصنابحي كتب
عمر بن الخطاب إلى أبي
صبيدة كتابا في مثل أذن
الفارة أنما بعد قاته لا يقيم
أمر الله في الناس إلا حسب
القعدة بعيد العرة لا يطالع
الناس منه على عورة ولا
يخفى في الحق على الجرة
ولا يخاف في الله لومة لائم
(وقال) مالك جاء رجل إلى
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وسأله أن يكتب له
كتابا في أمر فقال اذهب إلى
منزلنا فانتبى يدواة وقرطاس
فذهب فلم يجد فقال اطلب
عندهم شيئا فذهب فلم
يجدهم الا اذن خردود
فكتب له في تلك الاذن
(ولما) ولي المأمون يحيى
ابن أكتف قضاء البصرة
بعد أن استمع من عقله وعلمه
وامتنحه بمسائل فوجده
فوق ما يريد فلقاه وجوه
البصرة فزأوا شيا صديا
مادة لم يمت به فتعجبوا
وتنظر بعضهم إلى بعض
يقولون الا كف ويغمزون
الحواجب فقال له بعضهم
كم سن القاضي أصلحه الله
قال مثل سن عتاب بن
أسيد لما ولاه النبي عليه

الاقذار وبقية من الاوضار والادوان وانما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه * (ومن فروع هذا
الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) * أما الاشكال الكرية ففهي كتابان من كتب
اليونانيين لثاودوس- يوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوس- يوس مقدم في التعليم على
كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا بد منه- ما لم يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها
متوقعة عليهم ما فالسكلام في الهيئة كله كلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر
باسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة احكام الاشكال الكرية سطوحها وقطوعها وأما
المخروطات فهو من فروع الهندسة أيضا وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطية من الاشكال
والقطوع ويرهن على ما يعرض لذلك من العوارض براهين هندسية متوقعة على التعليم الاول وفائدتها
تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغريبة والهيكل
النادرة وكيف يتحمل على جراته ونقل الهيكل بالهندام والميخال وامثال ذلك وقد افرده بعض المؤلفين
في هذا الفن كتابا في التحيل العملية يتضمن من الصناعات الغريبة والتحيل المستظرفة كل عجيب وريعا
استعان على الفهم لصعوبة براهينه الهندسية وهو موجود بآيدي الناس ينسبونه الى بني شاكر والله
تعالى اعلم * (ومن فروع الهندسة المساحة) * وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعرفة استخراج مقدار
الارض المعلومه بنسبة شبرا وذراع او غيرهما ونسبة ارض من ارض اذا قويت يستعمل ذلك ويحتاج الى
ذلك في توظيف الخراج على المزارع والقدن وبساتين الغراس وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركاء
او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه * (المنظرات
من فروع الهندسة) * وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري معرفة كيفية وقوعها بناء على
ان ادراك البصر يكون بمخروط شعاعي رأسه يقطعه الباصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيرا في رؤية
القريب كبير او البعيد صغير او كذا رؤية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة
ورؤية النقطة النازلة من المطر خطا مستقيما والساعة دائرية وامثال ذلك فتبين في هذا العلم اسباب ذلك
وكيفياتة بالبراهين الهندسية ويبين به أيضا اختلاف المنظر في القمر باختلاف العروض الذي ينبغي
عليه معرفة رؤية الاهلة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد ألف في هذا الفن كثير من اليونانيين
وأشهر من ألف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم وغيره فيه ايضا تأليف وهو من هذه الرياضة وتعاريفها

(علم الهيئة)

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتجيرة ويستدل بكيفيات تلك الحركات على
اشكال وأوضاع الافلاك لزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على أن مركز
الأرض مابين مركز فلان الشمس بوجود حركة الاقبال والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة
للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها متحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الافلاك
الثامن بحركة الكواكب الثابتة وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكواكب الواحدة بعدد الميول له وامثال
ذلك وادراك الوجود من الحركات وكيفياتها واجناسها التماهي وبالرصد فانما علمنا حركة الاقبال
والادبار وكذا مركز الكواكب في افلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك وكان اليونانيون

السلام مكة فها بوه محدة جوابه وعرفوا فضله وكان لعتاب بن أسيد اجدي وعشرون سنة لما ولي مكة وكان
عمر يقول لا يصلح ان يلى أمور الناس الا حصيف العقل واقر العلم قليل العرة بعيدا لهمة شديدا في غير عتف ابن في غير ضعف جواد في غير
مصرف لا يخاف في الله لومة لائم وقال ايضا ينبغي ان يكون في الوالي من الشدة ما يكون ضرب الرقاب عنده في الحق كقتل عصفور ويكون

فيه من الرقة والخنوق والرافة والرحمة ما يجزى عن قتل غصنة وزغير خق (ويروى) ان الرشيد احدث رجلا لوليه القضاء فقال له اني
لا احسن القضاء ولا انا فقهه فقال له الرشيد فبك ثلاث خلال لك شرف والشرف يمنع صاحبه من الدناءة ولك حلم يمنعك من العجلة ومن لم
يجعل قل خطوه وانت رجل تشاور في امرك ومن شاور اكثر صوابه وأما الفقه فنظم (٢٩١) البك من تفقه به فولى فما وجد وافية

مطعنا وقال اياس بن معاوية

استحضرني عمر بن هبيرة
فحضرت فساكنتي فسكنت
فلما اطالت قال ايه قلت
سل عما بدا لك قال اتقرا
القرآن قلت نعم قال فهل
تقرض الفرائض قلت نعم
قال فهل تعرف من أيام
العرب شيئا قلت انا بها أعلم
قال فهل تعرف من أيام
الحج شيئا قلت انا بها أعلم
قال اني أريد أن استعين
بك قلت ان في ثلاثا لا أصلح
معهن للعمل قال ما هن
قلت انادميم كما ترى وأنا
حديدي وأنا عي قال أما
الدمامة فاني لا أريد ان
أحسن بك وأما العي فاني
أراك تعرب عن نفسك
وأما سوء الخلق فبقومك
السوط فولا في وأعطاني
ألف درهم فهو أول ما تمولته
وقال سليمان بن داود
عليهما السلام ما ملاقات
ليوة سلبت أشي بها لها
باصعب من لقاء جاهل
راض عن نفسه

*(الباب الثالث والخمسون

في بيان الشروط والعهود

التي تؤخذ على العمال)*

اعلم أرشدك الله انه يجب

أن يولي على الأعمال أهل

الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لا للهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا يولي الأعمال طالب لها ولا راغب

فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحب يارسول

الله استعملني فقال عليه السلام انا لا استعمل على عملنا من اراده فقلت يارسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسي (وقد روى)

يعتنون بالرصد كثير او يتخذون له آلات التي توضع ليرصد بها حركة الكواكب المعين وكانت تسمى
عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس
وأما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل وكان في أيام المأمون شي منه وصنع الآلة المعروفة بالرصد
المسمية ذات الحلق وشرع في ذلك فلم يتم ولم يات اتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة
القديمه وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة في الرصد بحركة
الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك بالتقريب
وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور انما تعطي صورة السموات وترتيب الافلاك
والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والمساكن للافلاك لزمت عن هذه الحركات وانت
تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على
وجود المزموم ولا يعطى الحقيقة بوجهه على انه علم جليل وهو احدى اركان التعاليم ومن احسن التأليف فيه
كتاب المحسوطى منسوب لبطليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس على ما حقه
شرح الكتاب وقد اختصره الاثمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء وخصه ابن
رشد بإضامن حكماء الاندلس وابن السمع وابن الصلت في كتاب الاقتصار ولابن الفرغانى هيئة مخصصة
قريبها وحذف براهين الهندسية والله علم الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هو رب العالمين * (ومن فروعه
علم الازياج) وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما
أدى اليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب
في أفلاكها الاى وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب الهيئة وهذه
الصناعة قوانين كالمقدمات والاصول لها في معرفة الشهور والايام والتواريخ الماضية وأصول متقدمة
من معرفة الأوج والمضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول
مرتبة تسهلا على المتعلمين وتسمى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المقروض لهذه
الصناعة تعديلا وتقويما وللناس فيها تأليف كثيرة للقدمين والمتأخرين مثل البتاني (١) وابن السكك
وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج منسوب لابن امحق من منجمى تونس في أول المائة
السابعة ويؤمنون أن ابن اسحق غول فيه على الرصد وأن يهوديا كان بصقلية ماهرا في الهيئة والتعاليم
وكان قد غنى بالرصد وكان يبعث اليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب
لذلك عنوا به لوثاقه مبناه على ما يزعمون وخصه ابن البتاني آخر سمعاه المنهاج فوألح به الناس لما سهل من
الأعمال فيه وانما يحتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتبني عليها الاحكام النجومية وهو معرفة
الآثار التي تحدث عنها باوضاعها في عالم الانسان من الملك والدول والموايد البشرية كما بينه بعد توضيح
فيه ادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق بما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

(علم المنطق)

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود والمعرفة للمسايات والحجج المقيدة للتصديقات وذلك ان

(١) قوله البتاني يقع الموحدة وتشديد المثناة كما ضبطه ابن خلدون في ترجمته قبيل آخر الحمد لله

الحزم والكفاية والصدق والامانة وتكون التولية للغناء لا للهوى وملاك الولايات وأساسها ان لا يولي الأعمال طالب لها ولا راغب

فيها روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجل فلما سلمنا عليه قال صاحب يارسول

الله استعملني فقال عليه السلام انا لا استعمل على عملنا من اراده فقلت يارسول الله والذي بعثك بالحق ما عرفت الذي في نفسي (وقد روى)

عن نرجس وقديس له ما بال ملك آل ساسان صار امره الى ما صار اليه قال لانهم قلدوا كبار الاعمال صغار الرجال والله درجهم وبن
الاعاضى حيث قال موت الف من العيلة اقل ضرر رامن ارتقاع واحد من السقلة وقال العلامة بن ايوب غضب المأمون على بعض اصحابه
غضبا شديدا ثم قال له لا ماتك الله (٢٩٢) او يبلغك دولة السفلى وقال رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجل قد آذاه

أدركت امرأة الصبيان
وقال المستوفى الاكبر وكان
قد عرف في الجاهلية ثلثمائة
سنة

وماسقطت يوما من الدهر
أمة

الى الذل الان يسود
ذميمة

اذا ساد فبنا بعد ذل لثمننا
تصدى لنا ذل وقد أديها
وما قادها للخير الا جرب
علم باقبال الامور كرمها
وما كل ذى لب يعاش
بفضله

ولكن لتدبير الامور
حكيمها

واعلموا ان معظم ما يدخل
على الدول من الفساد من
تقليد الاعمال اهل
المحرص عليهم لانه لا يخطبها
الا في ثوب ناسك
وذئب في مسلاخ عابد
جريس على جميع الدنيا
نايل دينة ومروعة دليل
على الخيانة يتخذون عباد
الله حولا واموالهم دولا واذا
اهتضمت حقوق المسلمين
واكثرت اهلهم فسدت
ديارهم وقلت طاعتهم
فانتقضت الامور ودب
الفساد الى الممالك وقد
ذكرنا في اول الكتاب

الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من
الناطق وغيره وانما يتميز الانسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في
الجمال من الاشخاص المتفقة صورة منطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي السكلى ثم ينظر
الذهن بين تلك الاشخاص المتفقة واشخاص أخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطبق ايضا عليها
باعتبار ما اتفق فيه ولا يزال يرتقى في التجريد الى الكل الذي لا يجد كليا آخر معه يوافق فيكون لاجل ذلك
بسيطاً وهذا مثل ما يجرد من اشخاص الانسان صورة النوع المنطبقة عليها ثم ينظر بينه وبين الحيوان
ويجرد صورة الجنس المنطبقة عليها ثم بينهما وبين النبات الى ان ينتهي الى الجنس العالى وهو الجوهر
فلا يجد كليا يوافق في شئ فيقف العقل هنالك عن التجريد ثم ان الانسان لما خلق الله له الفكر الذي
به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصورا للماهيات ويعنى به ادراك ساذج من غير حكم معناه واما
تصديقاى حكما بثبوت امر لا مرفصا رضى الفكر في تحصيل المطالبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها
الى بعض على جهة التاليف فتحصل صورة في الذهن كلية منطبقة على افراد في الخارج فتكون تلك
الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك
تصديقا وغايته في الحقيقة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء
التي هي مقتضى العلم وهذا السعى من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقضى
ذلك يتميز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية لتمييزها الصحيح من الفاسد فكان ذلك
قانون المنطق وتسلك فيه المتقدمون اول ما تسلكه واهجلا ومفترقا ولم تهذب طرقه ولم تجمع مسائله
حتى ظهر في يونان ارسطو فذهب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحكيمة وافتحتها
ولذلك يسمى بالعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يشتمل على ثمانية كتب اربعة
منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على انحاء فنها ما يكون المطلوب فيه
اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فيتنظر في القياس من حيث المطلوب الذي
يقينه وما ينبغي ان تكون مقدماته بذلك الاعتبار ومن أى جنس يكون من العلم او من الظن وقد ينظر
في القياس لابعبار مطلوب مخصوص بل من جهة انتاجه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة
وعنى به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثانى انه من حيث الصورة وانتاج
القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاجناس العلية التي ينتهى اليها
تجريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جنس ويسمى كتاب المقولات والثاني في القضايا التصديقية
واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث في القياس وصورة انتاجه على الاطلاق ويسمى كتاب القياس
وهذا آخر النظر من حيث الصورة ثم الراجع كتاب البرهان وهو النظر في القياس المنتج لليقين وكيف
يجب ان تكون مقدماته يقينية ويختص بشروط أخرى لافادة اليقين مذ كورة فيه مثل كونها ذاتية
واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في المعارف والحدود اذا لمطلوب فيها انما هو اليقين لوجوب
المطابقة بين الحد والمحد ولا تختمل غير هاذل الاختصاص عند المتقدمين بهذا الكتاب والخامس كتاب
المجدل وهو القياس المفيد قطع المشاغب والحكام الخصم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويختص

ايضا

الانبار في كراهية الولايات (وقال المأمون) ما فتى في ملكي الا وجدت سببه جورا لعمال

(فان قيل) فامعنى قول يوسف عليه السلام للملك اجعلني على خزان الارض انى حفيظا علم (قلنا) يوسف كان نبيا من انبياء الله تعالى واثقا
من نفسه بالكفاية والامانة بين يدي من لا يتحقق بواطن أسراره ولا يعلم خصائصه وفضائله ويرى الامور والاعمال والولايات في

أيدي من ليسوا أهلا لها ويجوز مثل هذا اليوم أن حصل بين أيدي جبار لا يعلم منزله ولا ما عنده من الخصال والقضائل أن يذ كر بعض ما يعلم من نفسه ليعلم قدره فيسلم بذلك من شره وعن هذا قال بعض أصحاب الشافعي إذا كان القضاء في يد من لا يصلح له وجب أن يخطبه من يصلح له وكان ذلك فرضا عليه وفقهاء الامصار على خلاف هذا الرأي (٢٩٣) ويحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قد أوحى إليه بما يصير

أمره إليه من الملك والعدل وتشر كمة الاسلام فلهذا نبه على نفسه ومن عجيب ما يروى في هذا الباب أن لقمان الحكيم كان عبدا أسود حبسا غليظا الشفتين مصفح القدمين لامرأة من بني الحنظليين وكان جليسا لداود عليه السلام فأتاه جبريل عليه السلام بالنبوة من عند الله الذي يصطفى أنبوت من يشاء فقال لقمان يا جبريل أن أرى في ربي فسمع وطاعة وإن خير في اخترت الحكمة فرضى الله تعالى قوله فأعطاه الحكمة وصرف عنه الرسالة إلى داود عليه السلام فكان داود يقول طوبى لك يا لقمان أوتيت الحكمة وأوتي داود البلية وروى أنه جالس داود عليه السلام وداود يعمل الدروع فأقام حولا يصير صنعة الدرع ولا يعلم ما يصلح له ولا يسأل عن ذلك فلما تم حول لبس داود الدرع وقال درع حصينة ليوم حرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله وكان عمر بن الخطاب

أيضا من جهة افادته لهذا الغرض بشروط أخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذ كورة هناك وفي هذا الكتاب يذ كر المواضع التي يستنبط منها صاحب القياس قياسه وفيه عكوس القضايا والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يقيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا انما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه * والسابع كتاب الخطابة وهو القياس المقيد بترغيب الجمهور وجهلهم على المراد منهم وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات * والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يقيد التمثيل والتشبيه خاصة للاقبال على الشيء أو النقرة عنه وما يجب أن يستعمل فيه من القضايا التخيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم إن حكماء اليونانيين بعد أن تهذبت الصناعة ورتبت رأوا أنه لا بد من الكلام في الكلمات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيما عايناهم من صناعتهم مقدمة بين أيدي الفن فصارت تسع وترجمت كلها في اللغة الاسلامية وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي وابن سينا ثم ابن رشد من فلاسفة الاندلس ولا بن سينا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون بغير الاصطلاح المنطقي والمخاطبة والخطابة في الكلمات الخمس ثمرة وهي الكلام في الحدود والرسوم فقلوها من كتاب البرهان وحدقوا كتاب المقولات لأن نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات والمخاطبة في كتاب العبارة الكلام في العكس لأنه من توابع الكلام في القضايا ببعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث انتاجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدقوا النظر فيه بحسب المسادة وهي الكتب الخمسة البرهان والمجمل والخطابة والشعر والسفسطة وورعوا لم بعضهم باليسير منها الماسما وأغفلوها كان لم تكن وهي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا في ما وضعه من ذلك كلاما مستبحرا ونظروا فيه من حيث أنه فن برأسه لا من حيث أنه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع وأول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين الخونجى وعلى كتبه معتمد المشارقة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كشف الاسرار وهو طويل واختصر فيها مختصر الموضح وهو حسن في التعليم ثم مختصر المجمل في قدر أربعة اوراق اخذ بها مع الفن وأصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي ثمرة من ثمرات المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

١٨ * (الطبيعيات) *

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون واللازل وفي الجيوم من السحاب والبحار والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مبدأ الحركة للاجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجوده بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة أيام المأمون وألف الناس على حذوها وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء جمع فيه العلوم السبعة للفلاسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجاء وفي كتاب الاشارات وكأنه يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها وأما ابن رشد فلخص كتب ارسطو وشرحها متبعاله غير مخالف وألف الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة ولاهل المشرق عناية

رضى الله عنه اذا بحث عاملا اشترط عليه أن لا يركب البراذين ولا يلبس الرقيق ولا يأكل النقي ولا يتخذ حاجبا ولا يعلق بابا عن حوائج الناس وما يصلحهم ويقول له اني لا استعملك على إشارتهم ولا أعراضهم ولا أعمالهم وانما استعملك لتصلى بهم وتقضى بينهم بالعدل (وروى) عباية بن رفاعه قال بلغ عمر بن الخطاب أن سعد بن أبي وقاص اتخذ قصرا وجعل عليه بابا وقال انقطع الصويت فأرسل عمر محمد بن

مسألة وكان عمر إذا أحب أن يؤتى بالامر كما هو عليه بعثه فقال له أثبت سعدا فاحرق عليه بيانه فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زنديق
واسنودى ناراً ثم أحرق الباب فأتى سعدا الخبر ووصف له بصفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال له محمد انه قد بلغ أمير المؤمنين انك قلت
انقطع الصوت فخاف سعد بالله (٢٩٤) ما قال ذلك فقال له محمد تفعل الذي أمرنا له ونؤدى عنك ما تقول ثم ركب راحلته

فلما كان بين يدي البرية
أصابه من الحمى والجوع
ما الله به أعلم فأبصر غمما
فأرسل غلامه بعمامة
فقال اذهب فابتع منهم شاة
فجاء الغلام بالشاة وهو
يصلى فاراد ذبحها فإشار
إليه أن كف فلما قضى
صلاته قال انظر فان كانت
مملوكة فمسميتها فأرددا الشاة
وخذ العمامة وان كانت
حرة فاذبح الشاة فذهب
فأذا هي مملوكة فردا الشاة
وأخذ العمامة فآخذ بخنك
ناقه فجعل لا يمر به قلة
الاخطة فاحتج آواه الليل
الى قوم فأتوه بخبز وابن
وقالوا لو كان عندنا شيء
غير هذا اتيناك به فقال
بسم الله كل حلال أذهب
السغب خير من ما كل
السوء حتى قدم المدينة
فقبل بأهله فابتعد من الماء
ثم راح فلما أبصره عمر رضى
الله عنه قال له لو لاحسن
الظن بك ما رأينا أنك
أديت وذكر وأنه أسرع
السفر فقال قد فعلت وهو
يعتذرو ويخلف بالله ما قال
فقال عمر هل أمر لك بشئ قال
ما رأيت مكانا أن تأمر لي
فقال عمران أرض العراق

بكتاب الاشارات لابن سينا والامام ابن الخطيب عليه شرح حسن وكذا الامدى وشرحه ايضا نصير
الدين الطوسي المعروف بخواجه من أهل المشرق ومحدث مع الامام في كثير من مسائله فأوفى على انتظاره
وبحوثه وفوق كل ذي علم عليم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

١٩ * (علم الطب) *

ومن فروع الطبيعيات صناعة الطب وهي صناعة تنظر في بدن الانسان من حيث يعرض ويصح فيحاول
صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء
البدن وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الأدوية مستدلين على ذلك بأفرجة الأدوية
وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في السحبة والفضلات والنبض محاذين
لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتها الصحة والمرض وانما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء بحسب
ما تقتضيه طبيعة المادة والفصل والسن ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب وربما افردوا بعض
الأعضاء بالكلام وجعلوا علما خاصا كالعين وعلمها وأعمالها وكذلك الحمة وبالغن من منافع الأعضاء
ومعناها المنفعة التي لاجلها خلق كل عضو من أعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم
الطبيب الا أنهم جعلوا من لواحقه وتوابعه وامام هذه الصناعة التي ترجعت كتبهم فيها من الاقدمين
جالينوس يقال انه كان معاصرا لعيسى عليه السلام ويقال انه مات بصعوبة في سبيل تغلب ومطاطعة
اغتراب وتآليفه فيها هي الامهات التي اقتدى بها جميع اطباء بعده وكان في الاسلام في هذه الصناعة
ائمة جاؤا من وراء الغاية مثل الرازي والمجوسي وابن سينا ومن أهل الاندلس ايضا كثير وأشهرهم ابن
زهروى وهذا العهد في المدن الاسلامية كانها نقصت لوقوف العمران وتناقصه وهي من الصنائع التي
لا تستدعي الا الحضارة والترقى كما نبينه بعد

(فصل) وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص
متوارثا من مشايخهم وبجائزهم وربما يصح منه البعض الا انه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة
المزاج وكان عند العرب من هذا الطب كثير وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كاذة وغيره والطب
المنقول في الشرعيات من هذا القبيل وليس من الوحي في شيء وانما هو أمر كان عاديا للعرب ووقع في ذكر
أحوال النبي صلى الله عليه وسلم لم من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجيلة لا من جهة ان ذلك مشروع
على ذلك النحو من العمل فانه صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلمنا الشرائع ولم يبعث لتعريف الطب ولا
غيره من العاديات وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع فقال أنتم أعلم بما وردنيكم فإلا ينبغي أن يحمل
شي من الطب الذي وقع في الأحاديث الصحيحة المنقولة على أنه مشروع فليس هناك ما يدل عليه اللهم
الا اذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الايماني فيكون له أثر عظيم في النفع وليس ذلك في الطب
المزاجي وانما هو من آثار الكلمة الايمانية كما وقع في مداواة المبطون بالعسل والله الهادي الى
الصواب لا ريب سواه

٢٠ * (الفلاحة) *

هذه الصناعة من فروع الطبيعيات وهي النظر في النبات من حيث تنميته وتشتؤه بالسقي والعلاج

أرض رقيقة وان أهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت أن أمر لك بشئ يكون لك بارده ولي الحار
وروي زيد بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى مينا على الحمى فقال يا مينا اضمم جناحك عن المسلمين واتق
دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة وأدخل رب الصرخة والغنيمه واياك ونعم ابن عوف ونعم ابن عفان فأتهم ما ان تهلك ماشيتهم

يرجعان الى زرع ونخل وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلب ماشيتها يا بني بينه فيقول يا امير المؤمنين افتادكم انال ابا لك فالما
والكلالة يسر على من الذهب والورق وايم الله انهم ليرون اني قد ظلمتهم انها التلاذهم قاتلوا عليهم في الجاهلية واسلموا عليهم في الاسلام
والذي نفسي بيده لولا المال الذي اجل عليه في سبيل الله ما حبت عليهم من بلادهم شيئا (٢٩٥) (ومر) يوما بيننا وبينى بحجارة وحض

فقال لمن هذا فذكر واه
انه لعامل من عماله على
البحرين فقال ايت الدراهم
ان لا تخرج أعناقها وقاسمه
ماله (وكان) يقول لي على
كل خائن أمينان المساء
والطين وكان أنوشروان
يكتب على عهد العمال
سبب خيار الناس بالحجة
وامرج للعامة الرغبة

بالرغبة وسبب سقالة الناس
بالاخافة (وقال) سليمان
ابن داود عليهم السلام كما
يصلح المهر للفرس والرسن
للمحمار كذلك يصلح القضب
لظهور الجهال وفي الامثال
من لم يصلح بالدين أصلي
بالثلاثين وقال هلال
ابن سيار استعمل النبي
صلى الله عليه وسلم المقداد
على سرية فلما رجع قال
له النبي صلى الله عليه وسلم
كيف رأيت الامارة ابا
مغيرة قال خرجت يا رسول
الله وما أدري أن لي فضلا
على أحد من القوم فإني
رجعت الا وكانهم عبيدي
قال وكذلك الامارة ابا مغيرة
الامن وقاه الله شرها قال
والذي بعثك بالحق لا اعمل
على عمل أبدا (وقيل)
لعمر بن الخطاب رضي

وتعهد به مثل ذلك وكان للتقدمين بها عناية كثيرة وكان النظر فيها عندهم عاما في النبات من جهة غرسه
وتنميته ومن جهة خواصه وروحانيته ومشاكلته الروحانيات الدواكب والمياكل المستعمل ذلك كله
في باب السحر فظمت عنايتهم به لاجل ذلك وترجم من كتب اليونانيين كتاب الفلاحة النبطية
منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير وما نظراهل الملة فتمت اشتراكه عليه هذا الكتاب
وكان باب السحر سدودا والنظر فيه محظورا فاقصر وامنه على الكلام في النبات من جهة غرسه وعلاجه
وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية
على هذا المنهج وبقي الفن الاخر منه مغفلا نقل منه مسلمة في كتبه المحررية امهات من مسائله كما نذكره
عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في
الغراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة

٢١ * (علم الالهيات)

وهو علم ينظر في الوجود المطلق فأولا في الامور العامة للجسمانيات والروحانيات من الماهيات والوحدانية
والثبوت والوجوب والامكان وغير ذلك ثم ينظر في مبادئ الموجودات وانهار وحيات ثم في كيفية صدور
الموجودات منها ومراتبها ثم في احوال النفس بعد مفارقة الاجسام وعودها الى المبدأ وهو عنددهم علم
شريف يزعمون انه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في زعمهم وسيأتي الرد
عليهم وهو قال للطبيعيات في ترتيبهم ولذلك يسمى علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول فيه موجوده بين
أيدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاء وكذلك لخصها ابن رشد من حكماء الاندلس ولما
وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها وورد عليهم الغزالي ما ردهم منها ثم خلط المتأخرون من التسكيمات
مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لعروضها في مباحثهم وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات
ومسائله بمسائلها فصارت كأنها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعيات والالهيات وخلطوها
فنا واحدا قدموا الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها الى آخر
العلم كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده من علماء الكلام وصار علم الكلام
مختلطا بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض من موضوعها ومسائلها واحدا والتبس ذلك على
الناس وهو غير صواب لان مسائل علم الكلام انما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما تلقاها السلف من غير
رجوع فيها الى العقل ولا تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معزول عن الشرع وانظروا وما
تحدث فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس يحسن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن معلوما هو
شأن الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعضد عقائد الايمان ومذاهب السلف فيها وتدفع شبه اهل
البدع عنها الذين زعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان تفرص صحيحة بالادلة النقلية كما تلقاها السلف
واعتقدوها وكثير ما بين المقامين وذلك ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لا تساع نطاقها عن مدارك
الانظار العقلية فهي فوقها ومحيط بها الاستعدادها من الانوار الالهية فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف
والمدارك المحاط بها فاذا هـدانا الشارع الى مدرك فينبغي أن تقدمه على مداركنا وتثق به دونها ولا تنظر في
تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتمد ما امرنا به اعتقادا وعلمنا ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه

الله عنه ما يمنعك أن تفشي العمل في الافاضل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقال هم اجل من أن أدنسهم بالعمل وقال ابراهيم
التخعي كان عمرا اذا قدم عليه الوفد سألهم عن حالهم وأسعارهم وعن يعرف من اهل البلاد وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف وهل يعود
المريض فان قالوا نعم حمد الله تعالى وان قالوا لا كتب اليه أن أقبل ومثل السلطان اذ اولي العمال الظالمين مثل من يستريح غنمه الذئب

ومثل من يربط الكلب العقور بيبابه وان العامة تشتم الحجاج بن يوسف والخاصة تلوم عبد الملك بن مروان لانه استرعاه الرعية وقد قيل
ومن يربط الكلب العقور بيبابه * فمقر جميع الناس من رباط الكلب وكان العلامة بن أيوب لما ولي فارس من قبل المأمون
يكتب عهد العمال فيقرؤه (٢٩٦) على من يحضره من أهل ذلك العمل ويقول أئتم عيوني عليه فاستوفوه منه ومن تظلم الى منه

فعلى انصافه ونقته جاثيا
وراجعوا يا امر العمال ان
يقرؤا عهد على اهل
عمله في كل جمعة ويقول
لهم هل استوفيت
(الباب الرابع والخمسون)
في هدايا العمال والرشا
على الشفاعات *
روى ابو داود في السنن
ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من شفيع لانيه
شفاعة فاهدي له هدية
عليها فقبلها فقد اتي بابا
عظيما من ابواب الربا والسر
فيه انك اذا قدرت على
قضاء حاجة من عند
السلطان الظالم او السيد
القاهر صا ذلك واجبا
عليك وروى البخاري
في صحيحه ان النبي صلى الله
عليه وسلم استعمل رجلا
يقال له ابن الاتمية فلما
جاء قال يا رسول الله هذا
لكم وهذا الى قال فغضب
النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ما بال الرجل يستعمله
على عمل من اعمالنا فيقول
هذا لكم وهذا الى افلا
يعتد في بيت ابيه وامه
فيظهر هل يهدي له * قال
مالك وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يشاطر

الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون انما دعاهم الى ذلك كلام اهل الاتحاد في معارضات العقائد
السلفية بالبدع النظرية فاحتاجوا الى الرد عليهم من جنس معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية
ومحاذاة العقائد السلفية بها واما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطالان فليس من
موضوع علم الكلام ولا من جنس انظار المتكلمين فاعلم ذلك لتمييزه بين الفئتين فانهم ما يختلطان عند
المتأخرين في الوضع والتأليف والتحقيق مغيرة كل منهما صاحبه بالاموضوع والمسائل وانما جاء الالتباس
من اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتياج اهل الكلام كانه انشاء لطلب الاعتداد بالدليل وليس
كذلك بل انما هو رد على المخدلين والمطلوب مقرر وض الصدق معلوم وكذا جاء المتأخرون من غلاة
المتصوفة المتكلمين بالمواجد ايضا فخلطوا مسائل الفئتين بينهم وجعلوا الكلام واحدا فيها كلها مثل
كلامهم في النبوات والاتحاد والحوال والوحدة وغير ذلك والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متغايرة مختلفة
وايضا من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان ويقرون عن الدليل
والوجدان بعيد عن المدارك العلمية وابحاثها وتوابعها كميانه ونبيته والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم والله اعلم بالصواب

٢٢ * (علوم السحر والطسمات)

هو علم بكيفية استعدادات تقدر الالهة وس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر ما بغير معين او معين
من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطسمات ولما كانت هذه العلوم مهيورة عند
الشرايع لما فيها من الضرر وما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها
كالقوديين الناس الاما وجد في كتب الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط
والكلدانيين فان جميع من تقدمه من الانبياء لم يشرعوا الشرائع ولا جاؤا بالاحكام انما كانت كتبهم
مواعظ وتوحيد الله وتذكير بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين
وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل
مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعوا به ذلك
الاضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى في صور الدرج والكواكب وغيرهم
ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة فتصقع كتب القوم واستخرج الصناعات وخص
على زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرهما من التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السمما لانها من
توابعها لان احالة الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو
من قبيل السحر كما نذكره في موضعه * ثم جاء مسلمة بن احمد الجرجاني امام اهل الاندلس في التعاليم
والسحر يات فلخص جميع تلك الكتب وهدبها ووجع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ولم يكتب
احد في هذا العلم بعده * ولتقدم هنا مقدمة يبين بها حقيقة السحر وذلك ان النفوس البشرية وان كانت
واحدة بالنوع فهي مختلفة بالخواص وهي اصناف كل صنف محتص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد في
الصنف الاخر وصارت تلك الخواص فطرة وجملة اصنعها فنفس الانبياء عليهم الصلاة والسلام لها
خاصية تستعملها لمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما وما يتبع

ذلك

العمال فياخذ نصف أموالهم وشاطر ابا هريرة وقال له من أين لك هذا المال فقال أبو

هريرة دواب تنانحت وتجارات تداوت فقال ادا الشطر وانما شاطرهم حين ظهرت لهم أموال بعد الولاية لم تسكن تعرف لهم * وروى
مالك عن ابن عمر انه اشترى وهو عبيد الله أخوه بالاف بعتاها الى الحبي فرعت فقال عمر ربيعة في الحبي فشا طرهما وشاطر سعد بن أبي

وقاص خين قدم من الكوفة كانه رأى ان ما أصاب العامل من غير رشوة وان كان خلا فلا يستحق ذلك لان له بالامرة قوة على ان ينال من الحلال ما لا يناله غيره فجهله كالمضارب للمسلمين ولما دفع أبو موسى الاشعري ما لامن يدت المال لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب بالبصرة اشترى يامنه بضاعة فربحت بالمدينة فاراد عمران يأخذ جميع الربح فراجعهم (٢٩٧) عبيد الله فكم بينهم بنصف الربح

فاخذ جميعا نصف الربح واخذ عمر النصف لبيت المال (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عماله انما بعد فائسا هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم الباطل حتى يقتلهم بالدين بقوى والدين بالمال يبقى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأمر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا نهرا ولا يدخلوا البلاكي لا يحتجبوا شيئا من الاموال وقال عتاب بن اسيد والله ما اصبحت في عملي الذي ولا في النبي صلى الله عليه وسلم الا ثوبين مع قدس كسوتهم ما ولاي كيسان وروى ان عليا رضى الله عنه استعمل ابا مسعود الانصاري على السواد فرجع الى داره وقد امثلاث فقال ما هؤلاء قالوا كذا يصنعون بالرجل اذا استعمل قال كل هؤلاء يريدون ان يأكلوا في امانتي ويروى في امارتي فرجع الى علي وقال لا حاجة لي في العمل وقد ذكرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة ليستعمله فقال يا رسول الله

ذلك من التأثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية او شيطانية فاما تأثير الانبياء فلهي وخاصة زبانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا كل صنف يختص بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة ياتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آله ولا معين وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر والثاني معين من مزاج الافلاك او العناصر او خواص الاعداد ويسمونه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تأثير في القوى المتخيلة يعمد صاحب هذا التأثير الى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلي فيها انواعا من الخيالات والمخاكات وصورا مما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى الحس من الرائي بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراون كانه في الخارج وليس هناك شيء من ذلك كما يحكي عن بعضهم انه يرى الدساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى هذا الفلاسفة السحر العود او السحر العبد هذا تفصيل مراتبه ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وانما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها انما تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بانواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهته الى غير الله ومجوده والوجهة الى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا والكفر من مواده واسبابه كما رأيت ولهذا اختلف الفقهاء في قتل الساحر هل هو كفره السابق على فعله او لتصرفه بالافساد وما ينشأ عنه من الفساد في الاكوان والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر حقيقة في الخارج والمرتبة الاخيرة الثالثة لاحقيقة لها اختلاف العلماء في السحر هل هو حقيقة او انما هو تخيل فالقائلون بان له حقيقة ينظروا الى المرتبتين الاوليين والقائلون بان لاحقيقة له ينظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس بينهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل اشتباه هذه المراتب والله اعلم بما يعلم ان وجود السحر لا مزية فيه بين العقلاء من اجل التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولان نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل اليه انه يفعل الشيء ولا يفعله وجعل سحره في مشط ومشاقة وجف طلمعة ودفن في بئر ذروا فانزل الله عز وجل عليه في المعوذتين ومن شر النفثات في العقد قالت عائشة رضى الله عنها فكان لا يقرأ على غدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انجالت واما وجود السحر في اهل بابل وهم الكلدانيون من النبط والبرانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان للسحر في بابل ومصر ازمان بعثة موسى عليه السلام اسواق نافعة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك وراينا بالعبان من صور صورة الشخص المسحور بخواص اشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور وامثال تلك المعاني من اسماء وصفات في التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عينا او معنى ثم يتقرب من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتسكير يخرج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى في سبب اعده لذلك تفاولا بالعقد والالزام واتخذ العهد

(٣٨ - ابن خلدون) اختلى قال اقدم في بيتك وفي الامثال ان الهدية تسمى وتسمى وقال بعض الحكماء الرشوة رشاء الحاجة واشد بعضهم اذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الامانة من كواها (وليعضهم) ان الهدية حلوة كالسحر تجلب القلوب تدني البعيد من المولى حتى يصير قريبا وترد مضطجع العداوة بعد جفوتة حبيا (وعما قلته في الرشوة) وأكرم من يدق الباب شخص

ثُمَّ لِيُجْلَ مَشْغُولُ الْيَدَيْنِ يَتَوَعَّذُ أَشْيَ نَقَسًا وَنَقْصًا * وَيَنْطَحُ بِأَيْدِيهِ بِالرَّكْبَتَيْنِ وَأَكْرَمُ شَافِعٍ يَمْشِي عَلَيْهَا * أَبُو الْمُنَقَّوشِ فَوْقَ الصَّقْعَتَيْنِ (وَقَالَتْ أَيْضًا) إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسَلًا * وَأَنْتَ بِأَنْجَازِهِ مُعْتَرِمٌ فَارْسَلْ بِأَكْمِهِ خَلَابَةً * بِهِ صَعْمٌ أَغْطِشُ أَبْكَمَ وَدَعَّ عَنْكَ كُلَّ رَسُولٍ سَوَى (٢٩٨) رَسُولٍ يُقَالُ لَهُ الدَّرْهَمُ (وَكُتِبَ) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ إِلَى قَاضِيهِ الْحَرْثِ بْنِ عَامِرٍ وَقَدْ

أَرْتَشَى بِكَرْمِهِ

إِذَا رَشَوَهُ مِنْ بَابِ بَيْتٍ تَقَعَّتْ

لِتَسْكُنَ فِيهِ وَالْأَمَانَةُ فِيهِ سَعَتْ هَرَامُهُ وَوَلَّتْ كَانَهَا

حَلِيمٌ تَوَلَّى مِنْ جَوَابِ سَفِيهِه * (الباب الخامس والخمسون في معرفة حسن الخلق) *

اعلموا أرشدكم الله تعالى إن هذا الباب مما غلط الخلق فيه وقلوب القوس ركوة فعمدوا إلى أخلاق العامة وخلائق الفوغاء والادنياء وما يجري بينهم إذا تلاقوا وتعاشروا من الإفراط في مدح بعضهم بعضاً وتواطيم الكذب والتصنع والمقاولات والمراآة والمعارضة من الأمور المكنونة التي يسوء أظهارها والانخراط في سلك المزاج والمهاترة فهذا وما أشبهه عندهم من حسن الخلق وهو عندنا نقبض ما نص الله عليه ورسوله من حسن الخلق فأول ذلك أن تعلم أنه لم تحتوا الأرض على بشر أحسن خلقاً من محمد صلى الله عليه وسلم فكل من تخلف باخلاق رسول الله صلى الله عليه

على من أشرك به من الجن في نقشه في فعله ذلك استشعاراً للعزيمة بالمزم ولتلك البنية والأسماء السيئة روح خبيثة تخرج منه مع النفع متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتزل عنها أرواح خبيثة ويقع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا أيضاً من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويحكم عليه في سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبيع فاذا المأواها ساقطه من بطونها إلى الأرض ويجمعنا أن بارض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان في تحت قلبه ويقع ميتاً ويتقرب عن قلبه فلا يوجد في حشاه ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبو بهاشي وكذلك سمعنا أن بارض السودان وأرض الترك من يسحر أصحاب فيمطر الأرض المخصوصة وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الأعداد المتكعبة وهي رك دفد أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وعشرون ومعنى المتكعبة أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وثلاث وربع وسدس وخمس وأمثالها إذا جمع كان مساوياً للعدد الآخر صاحبها فتسمى لأجل ذلك المتكعبة وتقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثراً في الآفة بين المتحابين واجتماعهم إذا وضع لهم مائتان أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها وشرفها نافذة إلى القمر نظره مودة وقبول ويحمل طالع الثاني سابع الأول ويضع على أحد التمانين أحد العددين والآخر على الآخر ويقصد بالآخر الذي يراد أن لا ينفك عنه المحبوب ما أدى إلا كثر كية أو لا كثر أجزاء فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحابين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكذا طالع الأسد يسمى أيضاً طالع الحصى وهو أن يرسم في قالب هنداصبع صورة أسد شائلاً ذنبه عاضاً على حصة قد قسمها بين صنفين وبين يديه صورة حية منسابة من رجليه إلى قبالة وجهه فاعرة فاهاً إلى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويتحين برسمه حلول الشمس بالوجه الأول والثالث من الأسد بشرط صلاح النيران وسلامتهم من الخس فاذا وجد ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار الميثقال فادونه من الذهب وخمس بعد في الزعفران محلولاً بماء الورد ورفع في خرقة حريرة فراء فانهم يزعمون أن لمسكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك السلاطين فيه من القوة والمعر على من تحت أيديهم ذلك أيضاً أهل هذا الشأن في الغاية وغيرها وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس المختص بالشمس ذكره وأنه يوضع عند حلول الشمس في شرفها وسلامتها من الخس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتد بر فيه نظر صاحب العاشر صاحب الطالع نظره مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليده الملوك من الأدلة الشريفة ويرفع في خرقة حريرة فراء بعد أن يغمس في الطيب فزعموا أن له أثراً في صحابة الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وأمثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن أحمد الجعفي هو مدونة هذه الصناعة وفيه أسئلة وأجوبة وأمثالها وذكر لنا أن الإمام الفخر بن الخطيب وضع كتاباً في ذلك وسماه بالسر المكتوم وأنه بالمشرق يتداوله أهله ونحن لم نقف عليه ولا امام لم يكن من أئمة هذا الشأن فيما نظن وأعل الأمر بخلاف ذلك وبالعرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون بالبعاجين وهم الذين ذكرت أولاً أنهم يشيرون إلى الكساء والجلد فيتمخرق ويشيرون إلى بطون الغنم بالبيع فتبيع ويسمى أحدهم بهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ما ينتحل من السحر بيع الأنعام يهرب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متسترين بذلك في

الغاية

وسلم أوقارها أو بعضها كان أحسن الناس خلقاً وكل خاق ليس يعد من أخلاقه صلى الله عليه وسلم

فليس من حسن الخلق وهذا فصل الخطاب في هذا الباب لمن عقل وانما أوتي الناس في هذا الباب لأنهم استحسنوا الأخلاق العامة واستحسنوا الأخلاق النبوية لمجهلهم باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا أنا نلوه عليكم من أخلاق الأنبياء والمرسلين والاولياء

والاصفياء والعلماء والصلحاء من اهل الجنة ما يرجوان ينفعنا الله وانك به قال الله تعالى لنبيه وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك اعلی خلق عظيم
فخص الله نبيه من كريم الطبائع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد بما لم يؤته غيره ثم ما آتى الله تعالى عليه بشئ
من فضائله بمثل ما آتى عليه بحسن الخلق فقال وانك اعلی خلق عظيم وعن هذا قال الشيوخ (٢٩٩) ان الله سبحانه دعا الخلق الى حسن

الخلق ودعا نبيه عليه السلام
من حسن الخلق (قال عبيد
الله بن عمير) قالت لعائشة
أم المؤمنين صفی لی خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لی أما تقرأ القرآن
كان خلقه القرآن وحسبك
بهذا القول منقبة للرسول
صلى الله عليه وسلم وتعرف
لك بحسن الخلق فاذا كان
خلق النبي صلى الله عليه
وسلم القرآن فالقرآن يجمع
كل فضيلة ويبحث عليها
وينهى عن كل نقيصة
ورذيلة ويوضحها ويبينها
ولذلك لما أنزل الله تعالى
خذ العفو وأمر بالعرف
وأعرض عن الجاهلین
قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا جبریل قال ان الله
تعالى يأمرک ان تصل من
قطعک وتعطى من حرمک
وتعفو عن ظلمک فهذا من
حسن الخلق كما ترى فانظر
ان اخلاق العامة من هذا
النمط وان احدهم يقطع من
وصله ويحرم من اطاعه
ويظلم من سالمه ويغضب
على من اتهمه واتما اقتصر
على هذه الكلمات لانها
أصول الفضائل وينبوع
المناقب لان فی أخذ العفو

الغاية خوفا على انفسهم من الحكم لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك وأخبروني ان
لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كفرية واشراك الروحانيات الجن والكواكب سيطرت فيها حقيقة
عندهم تسمى الخزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم وان
التأثير الذي لهم انما هو فيما سوى الانسان المحرم من المنافع والحيوان والرقيق ويعبرون عن ذلك بقولهم
انما نفعل فيما تشي فيه الدراهم اي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر المملكات هذا ما زعموه وسألت
بعضهم فاجبرني به واما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعایتها من غير ريب في ذلك هذا
شان السحر والطلسمات وآثارها في العالم فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان أثبتوا انهما
جميعا أثر للنفس الانسانية واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لهما آثارا في بدنهما على غير المجري
الطبيعي واسبابه الجسمانية بل آثار عارضة من كفيات الارواح تارة كالسحونة الحادثة عن الفرح
والسرور ومن جهة التصورات النفسانية أخرى كالذي يقع من قبل التوهم فان الماشي على حرف حائط
او على جبل منتصب اذا قوى عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا تجد كثير من الناس يعودون
أنفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون
السقوط فثبت ان ذلك من آثار النفس الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك
اثر للنفس في بدنهما من غير الاسباب الجسمانية الطبيعية فحائرا ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير
بدنهما اذ نسبتها الى الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا متطبعة فيه
فثبت انها مؤثرة في سائر الاجسام واما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر لا يحتاج
الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار الاعداد وخواص
الموجودات وأرضاع القلب المؤثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون ويقولون السحر اتحاد روح
بروح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع العلووية السماوية بالطبائع السفلية
والطبائع العلووية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين صاحبها في غالب الامر بالنجامة والساحر
عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مقلد وعندهم على تلك الجهة له المختصة بذلك النوع من التأثير
والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان المعجزة قوة الهية تبعث في النفس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح
الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية وبامداد الشياطين في بعض
الاحوال فبينما الفرق في المعجزة والحقبة والذات في نفس الامر وانما نستدل نحن على التفرقة
بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير وفي مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة للخير
والتحدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر في أفعال الشر في الغالب من التفريق
بين الزوجين وضرر الاعداء وامثال ذلك وللنفوس المتمحضة للشر هذا هو الفرق بينهما ما عند الحكماء
الالهيين وقد يوجب ذلك بعض المتصوفة واصحاب الكرامات تأثيرا في احوال العالم وليس معدودا من
جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وقوا بها وهم في المدد
الالهي حظ على قدر حالهم وایمانهم وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال الشر فلا يأتيها لانه
معتق فيمانياته ويذره للامر الالهي فلا يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن اتاه منهم فقد عدل عن

صلة القاطع والصفح عن الظالم واعطاء المانع وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الرحم وضوء اللسان وغض الطرف عن المحرمات وفي
تقوى الله يدخل جميع آداب الشرع فرضها ونقلها وفي الابرار عن الجاهلین الصفح والحلم وقوة النفس عن ممارسة السفه ومجاراته
الايوح فهذه الاصول الثلاث تتضمن محاسن الشرع ونصا وتنبيها وضما واعتبارا (وروي) انس قبل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال

أجسمهم خلقا (وروى) أبو داود في السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال بعثت لأتكم مكارم الأخلاق اقتضى الحديث أن كل نبي مبعوث إلى أمة إنما بعث ليعلم الخلق حسن الخلق وأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث ليقيم مكارم الأخلاق فأذن حسن الخلق أمثال الشرائع بأسرها (وروى) البخاري (٣٠٠) عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا قال وإن من أحبكم إلى

أحسنكم أخلاقا وكان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وعليه رداء فخراني غليظ الحاشية فعبذه أعراحي جبدة شديدة حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه وقال يا محمد مر لي من قال الله الذي آتاك فلست تأمر لي بما لك ولا بما لآبائك قالت يا الله النبي صلى الله عليه وسلم وقال مرواه ولم يكلمه بشيء (وروى) معاذ ابن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم لم قال له حسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل وعلموا أن الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقهم مشهور بخلقهم ألا ترى أن الله تعالى خص نبيه صلى الله عليه وسلم بخاصة به من الفضائل ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله بمثل ما أثنى عليه بخلقهم وقال بعض المفسرين في قوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قال لا تخاصم ولا تخاصم من شدة معرفتك بالله تعالى وقيل لم يوثقك جقاء الخلق لعدم معرفتك بالحق وقال المحاسبي كظم الغيظ

طريق الحق وربما سلب حاله وما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الإلهية فلا ذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شأن معجزة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك لما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم في المعوذتين ومن شر الفئات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان لا يقرؤها على عقدة من العقد أتي سحر فيها إلا انحلت فالحسنة لا يثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون أن زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفاق المثني العددي منسوجا بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوفاق ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الأرض بعد أن هزم أهل فارس وشه ماتهم وهو وفيمما تزعم أهل الطلسمات والأوقاف مخصوص بالغلب في الحروب وإن الراية التي يكون فيها أومعها لا تنهزم أصلا إلا أن هذه عارضة المدد الإلهي من أيمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بكلمة الله فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعملون وأما الشريرة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله بابا واحدا محظورا لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهتدي في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا وفي معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهتدي في شيء منها ما فإن كان فيه ضرر أو نوع ضرر كالسحر الخاص لضرره بالوقوع ويحق به الطلسمات لأن أثرها واحد وكالنجامة التي فيها نوع ضرر بآفة التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية ببرد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نفسه بته في الضرر وإن لم يكن مهما علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من أن تركه قربية إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريرة بابا السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيه من الضرر وخصته بالخطأ والتحريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادعاه قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على وفق دعوى المكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع المعجزة مع الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانهما على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوى العزيز لا رب سواه

(فصل) ومن قبيل هذه التأثيرات النفسانية الإصابت بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدركا من الذوات أو الأحوال ويفرط في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يروم معه سلب ذلك الشيء عن اتصف به فيؤثر فسادا وهو جبهة فطرية أعني هذه الإصابت بالعين والفرق بينهما وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتب ان صدورهما راجع إلى اختيار فاعلهما والفطري منها قوة صدورهما لا نفس صدورهما ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل بالعين لا يقتل وما ذلك إلا لأنه ليس بما يريد ويقتضيه أو يتركه وإنما هو مجبور في صدور عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

٢٢ * (علم أسرار الحروف) *

وهو المسمى لهذا العهد بالاسميات نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة

واظهار الطلاقة والبشر لا يبتدع أو فاجرا إلا أن يكون فاجرا إذا انبسطت استحياء والعقود عن الزاين الأبادب أو فاستعمل إقامة حدود كلف الأذى من كل مسلم ومعاهد لا لتغيير منكر أو أخذ مظلة لمظلوم فهذا حسن الخلق وقيل حسن الخلق أن لا تتغير عن يقف في الصف بجنبك (وقيل) لا يحنف عن تعلمت حسن الخلق قال من قيس بن عاصم المنقري قال بينهما هود ذات يوم جالس في داره إذ جاءته

خادم له بسفوفه عليه شواء فسقط من يده ما وقع على ابن له فحات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر إذا رأى واحدا من عبده يحسن الصلاة يعتقد أنه قد فارق ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراعاة له فكان يعتقدهم فقل له في ذلك فقال من خدعنا في الله اتخذنا له وقال الفضيل لو أن أحسن الاحسان كان (٣٠١) وكانت له دجاجة وأساء اليها لم

يكن من المحسنين (وكان المحاسبي) يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الأمانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقال الحسن بن علي رضوان الله عليه عنوان الشرف حسن الخلق وكان عبد الله بن محمد الرازي يقول حسن الخلق استغفار ما منك واستعظام ما اليك (وقال سهل) حسن الخلق ان لا تطمع فيما ليس لك وليس بهذه الصفة أحدا لا الله تعالى وقيل حسن الخلق تحمل أثقال الخلق وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المئون وقيل حسن الخلق ان تكون من الناس قريبا وفيما بينهم غريبا وقيل حسن الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق بلا ضجر ولا قلق وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه بحسن الإدارة (وقالت امرأة) لما لك بن دينار يا مرأتى فقال يا هذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان تسعوا

فلا تعمل استعمال العام فى الخاص وحديثه هذا العلم فى الملة بعد صدره نها وعند ظهور الغلالة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات فى عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات وخراجهم فى تنزل الوجود عن الواحد وترتيبهم وزعموا أن الكمال الاسمائى مظاهره اواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف وأسرارها سارية فى الاسماء فهى سارية فى الاكوان على هذا النظام والاكوان من لدن الابداع الاول تنتقل فى اطوارها وتغرب عن أسرارها فحدث لذلك علم أسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيمياء لا يوقف على موضوعه ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تاليف اليونانى وابن العربى وغيرهما من أتباع آثارهما وخصص له عندهم ومثرت تصرف النفوس الربانية فى عالم الطبيعة بالاسماء المحسنة والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطية بالاسرار السارية فى الاكوان ثم اختلفوا فى سر التصرف الذى فى الحروف بما هو خفى من جعله للمزاج الذى فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى أربعة أصناف كمال العناصر واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف فى طبيعتها فيه لا وانفع لا بدلال الصنف فتوالت الحروف بقانون صناعتى يسمونه التفسير الى ناريه وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للنار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم ترجع كذلك على التوالى من الحروف والعناصر الى أن تنفذ فتعين لعنصر النار حروف سبعة الالف والماء والطاء والميم والقاف والسين والذال وتعين لعنصر الماء سبعة أيضا الواو والياء والنون والضاد والتاء والظاء وتعين لعنصر الجيم والزاى والكاف والصاد والقفاف والثاء والغين وتعين لعنصر التراب أيضا سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والشين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة والمضاعفة قوة الحرارة حيث تطاب مضاعفتها محاسنا أو حكما كما فى تضاعف قوى المريح فى الحروب والقتل والقتل والمائية أيضا لدفع الامراض الحارة من جيات وغيرها وتضعف القوى الباردة حيث تطاب مضاعفتها محاسنا أو حكما كضعف قوى القمر وأمثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذى فى الحروف للنسبة العددية فان حروف أبجد دالة على اعدادها المتعارفة ووضعا وطبعا فينبغي ان أجل تناسب الاعداد تناسب فى نفسها أيضا كباين الباء والكاف والراء دلالتها كلها على الاثنين فى مرتبة فالباء على اثنين فى مرتبة الا حاد والكاف على اثنين فى مرتبة العشرات والراء على اثنين فى مرتبة المئين وكالذى بينهما وبين الدال والميم والتاء دلالتها على الاربعة وبين الاربعة والاثنين نسبة الضعف وخرج للاسماء أوافق كمال الاعداد يختص كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذى يناسبه من حيث عدد الشكل أو عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحزفى والسر العدى لأجل التناسب الذى بينهما ما قاما سر التناسب الذى بين هذه الحروف وأخرجه الطبائع أو بين الحروف والاعداد فأمر على القوم اذ ليس من قبيل العلم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف قال اليونانى ولا تظن أن سر الحروف بما يتوصل اليه بالقياس العقلى وانما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الالهى وأما التصرف فى عالم قوله ترتيب طبائع الحروف عند المغاربة غير ترتيب المشارقة ومنهم الغزالي كما ان الجمل عندهم يخالف فى ستة أحرف فان الصاد عندهم يسمين والضاد بتسعين والسين المهمة بثلاثمائة والظاء بثلاثمائة والغين بتسعمائة والشين بالثلاثمائة

الناس باموالكم ولكن سعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق (وروى) ان ابا عثمان اجتمع بسكة وقت المساجرة فالتقى عليه من فوق سطوح طست رماد فتغير اصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى فقال ابو عثمان لا تقولوا شيئا من استحق ان يصب عليه النار فصوصح على الرماد لم يجز ان يغضب وقيل لابراهيم بن ادهم هل فرحت فى الدنيا قط قال نعم مرتين اجدا هما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فيال على والثانية

كنت جالساً فاجاء انسان فصفاهني (وكان أو يسى القرنى) اذا رآه الصبيان زهواً بالحجارة وكان يقول ان كان لابد فارموني بالحجارة الصغار كي لاتدموا على ساقى فتعزوني الصلاة (وروى) ان علياً رضي الله عنه دعا غلاماً له فلم يجبه فدعا ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم (٣٠٢) قال فما لك على ترك جوابى قال أمنت عقوبتك فتكاسلت قال امض فانت حلوجه

الله وهذا كما ترى قوة الهية
يقرعها الله على المصطفين
من عباده وأهل الصفوة
من أوليائه ألا ترى الى قوله
تعالى فبما رحمة من الله
لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ
القلب لانقضوا من حولك
فعرده من حقائق البشرية
وألبيه من نعوت الربوبية
حتى قواه على صحتهم
وصبره على تبليغ الرسالة
اليهم مع الذى كان يقاسيه
من أخلاقهم مع كونه
مستغرقاً باستيلاء الحق
تعالى عليه يختص برحمته
من يشاء وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لم يؤمن
ألف مألوف ولا خير فيمن
لا يألوف ولا يؤلف وإنما
سمى بالآدمى لانه تألف
من الجواهر والألوان
(وقال عليه السلام)
لرجلين متباعضين آدم
الله بينهما أى ألف بينهما
ومنه سمي الادمى كقول
لانه يؤلف الطعام ويحسنه
ومنه قول النبي صلى الله
عليه وسلم لرجل أراد ان
يتزوج امرأة انظر اليها فانه
أجرى ان يؤدم بينهما كما
يؤلف بينكم كما روى ان
معمرفا الكرخى نزل الدجلة

الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها وتأثراً لا كوان عن ذلك فأمر لا ينكر اثبوتها عن كثير منهم
تواتر او قد يظن أن تصرف هؤلاء وتصرف أصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم
وتأثيره على ما حققه اهله أنه قوى روحانية من جوهر القهر تفعل فيما له ركب فعل غلبة وقهر بأسرار
فلكية وتسبب عديدة وبخورات جالبات ارواحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة فاندت هاربط الطلسمات
العلوية بالطبائع السفلية وهو عندهم كالمخيرة المركبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية حاصلة في جملتها
تجمل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها وتقبلها الى صورتها وكذلك الأكسير للأجسام المعدنية كالمخيرة
تقلب المعدن الذى تسرى فيه الى نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد فى جسد لان
الأكسير أجزاء كاهما جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح فى جسد لان ربط الطلسمات بالعلوية بالطبائع
السفلية والطبائع السفلية جسد والطبائع العلوية روحانية وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات
وأهل الاسماء بعد أن تعلم أن التصرف فى عالم الطبيعة كاهتمامها بالنفس الانسانية والمهم البشرية ان
النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات الا أن تصرف أهل الطلسمات انما هو فى استئصال
روحانية الافلاك وربطها بالصورة والنسب العددية حتى يحصل من ذلك نوع فراج يفعل الاحالة
والقلب بطبعته فعل المخيرة فيما حصلت فيه وتصرف أصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة
والكشف من النور الالهى والامداد الربانى فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصية ولا يحتاج الى مدد
من القوى الفلكية ولا غيرها لان مددها على منها ويحتاج أهل الطلسمات الى قليل من الرياضة بتقيد
النفس قوة على استئصال روحانية الافلاك وأهون بها وجهة ورياضة بخلاف أهل الاسماء فان رياضتهم
هى الرياضة الكبرى وليست لقصد التصرف فى الاكوان اذ هو حجاب وانما التصرف حاصل لهم بالعرض
كرامة من كرامات الله لهم فان خلاصاً صاحب الاسماء عن معرفة أسرار الله وحقائق الملكوت الذى هو نتيجة
المشاهدة والكشف واقصر على مناسبات الاسماء وطبائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه
المحيشة وهؤلاء هم أهل السيمياء فى المشهور وكان اذا لفرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب
الطلسمات أوثق منه لانه يرجع الى أصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة وأما صاحب اسرار الاسماء اذا
فاته الكشف الذى يطالع به على حقائق الكلمات وآثار المناسبات بفوات الخلوص فى الوجهة وليس له
فى العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه يكون حاله أضعف رتبة وقديم رجع صاحب الاسماء قوى
الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيه بين لذكر الاسماء المحسنى أو ما يرسم من أوقافها بل ولما أثر
الاسماء اوقافاً تكون من حظوظ الكواكب الذى يناسب ذلك الاسم كما فعله البونى فى كتابه الذى
سماه الانعام وهذه المناسبات عنددهم هى من لدن الحضرة العمانية وهى برزخية الكمال الاسمائى
وانما تنزل تفصيلها فى الحقائق على ما هى عليه من المناسبة واثبات هذه المناسبة به عندهم انما هو
بحكم المشاهدة فاذا خلاصاً صاحب الاسماء عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة به تقليداً كان عمله بمثابة
عمل صاحب الطلسم بل هو أوثق منه كما قلناه وكذلك قديم رجع أيضاً صاحب الطلسمات عمله وقوى
كواكبه بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا أن
مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هى عند أصحاب الاسماء من الاطلاع فى حال المشاهدة وانما

يتوضأ ووضع صحفه ومحفته فجاءت امرأة فاحذمتها فبها معروف وقال يا اختى انا معروف
لا بأس عليك أليس ابن يقرأ قالت لا قال فزوج قالت لا قال فهاهى المحفف ونحذى الثوب (وروى) ان أبان كان على حوض يسقى اباه
فأتى بعض الناس اليه فأتى بكسر الحوض فأس ثم اضطجع فقبل له فى ذلك فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل

ان يجلس فان ذهب عنه والا فلا يضطجع (وقال علي بن ابي طالب) رضي الله عنه اننا انصافا كفار نرى قطعها وقال ابو ذر اننا انكسر في وجوه قوم وان قلوبنا لتلهمهم وقال الحرث بن قيس يعجبني من القراء كل طليق مفعك فاما الذي تلقاه بدشرو يلقاك بعنوس يمن عليك بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله وقال عروة بن الزبير مكتوب في الحكمة (٣٠٣) بني امكن كل تلك طيبة وليكن

وجهك طلقا وتكن
أحب الى الناس من
يعطيهم العطاء ومن يحب
صاحب السوء لا يسلم ومن
يحب صاحب الصالح لا يغم
(وروي) ان ابراهيم بن
أدهم خرج الى بعض
البراري فاستقبله جندي
فقال له ابن العمران فأشار
الى المقبرة فضرب رأسه
فاوضحه فلما جاوزه قيل له
هذا ابراهيم بن أدهم زاهد
خراساني فانه يعتذر اليه
فقال انك لما ضربتني
سألت الله لك الجنة فقال
لم فقال قد علمت اني اؤخر
على ذلك فلم ارد ان يكون
نصيبك منك الخير ونصيبك
مني الشر (وحكي) أن
أبا عثمان الخيري دعا
انسان الى ضيافة فلما وافى
باب الدار قال يا أستاذ ليس
لي وجه في دخولك وقد
ندمت فانصرف رجلا
الله فرجع أبو عثمان فلما
وافى منزله عاد اليه الرجل
وقال يا أستاذ ندمت وأخذ
يعتذر وقال احضر الساعة
فقام أبو عثمان ومضى
معه فلما وافى دراه قال
مثل ما قال في الاولى وأخذ
يعتذر ثم كذلك في الثالثة

يرجع الى ما اقتضته اصول ما يقتهم المخرقة من اقتسام الكواكب بجميع ما في عالم المكنونات من
جواهر واعراض وذوات ومهاني والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من الكواكب
قسم منها يخصه وينون على ذلك مبانى غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو
كما في له مسئلة المخرطة في الغاية والظاهر من حال البوني في انما طه انه اعتبر طريقة ثم فان تلك
الانما اذا تصفعتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة
ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب
يسمونها قيامات الكواكب اى الدعوة التي يقام له بها شبه ذلك امامانه من مادتها اوبان
التناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله وما اوتيت من العلم الا قليلا
وليس كل ما حرمه الشارع من المعلوم غير كمال الثبوت فقد ثبت ان المخرق مع حظه لا يمكن حسبه من العلم
ما علمنا (ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) بارتباطات بين الكلمات
حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعايير
والمسائل السبالة ولهم في ذلك كلام كثير من ادعية وأعجبه زيارحة العالم السبتي وقد تقدم ذكرها ونسب
عنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك الزيارحة بدورها وجدولها المكتوب حولها ثم تكشف عن الحق فيها وانها
ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسئلة وجوابها في الافادة فقط وقد أشرنا الى ذلك من قبل وليس
هنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا انها تحريها اصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بانه

وهي هذه
يقول سيدي ويحمد ربه * مصل على هادي الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا * ونرضى من الصحب ومن لهم نلا
الاهذه زيارحة العالم الذي * تراه بحيككم وبالعقل قد خلا
من احكم الوضع فيحكم جسمه * ويدرك احكاما تدبرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة * ويدرك للتقوى وللشكل حصلا
ومن احكم التصريف فيحكم سره * ويعقل نفسه وصح له الولا
وفي عالم الامر تراه محققا * وهذا مقام من بالاذكار كخلا
فهذي سر اثر عليكم بكنها * اقها دوائر والسماء دلا
فطاء لها عرش وفيه نقوشنا * بنظم ونثر قد تراه محجولا
ونسب دوائر كنسبة فلها * وارسم كواكب لا دراجها العلا
واخرج لاوتار وارسم حروفها * وكور بمثله على حدم خلا
اقم شكل فيهم وسو بيوتهم * وحقق بهاهم ونورهم جلا
وحصل ملوما للطباع مهندسا * وعلم الموسيقى والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم * وعلم بالآلات فيحق وحصلا
وسو دوائر ونسب حروفها * وعلمه المطلق والاقليم جدولا
اميرنا فهو نهاية دولة * زناية آيت وحكمه خلا

والرابعة وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا أستاذ انما اردت اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويعدده فقال أبو
عثمان لا تعدني على خاق تجد مثله مع الكلاب فالتكلم اذ ادعى حضر واذ اخرج ان ربح (وروي) ان بعض الفقهاء نزل على جعفر بن
خطبه وكان جعفر يخدمه والفقير يقول نعم الرجل أنت لو لم تكن يهوديا فقال له جعفر عقيدي لا تقدر فيم اتحتاج اليه من الخدمة

فصل في تفسير الشفاء في الهداية (وروي) ان ابا جعفر القمي وذي المتعبد لقيه بعض الاجناد و معه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب
وقد خلقني فاني فضر به رأسه بالسوط حتى اوجعه فقال له بعض المبارين ويحك هذا ابو جعفر القمي وذي المتعبد لقيه بعض الاجناد و معه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب
يقبل يديه و يعتذر اليه فقال انت (٣٠٤) في حل قال ابراهيم بن الحسن سمعت ابراهيم القمي وذي المتعبد لقيه بعض الاجناد و معه كلب للصيد فقال له خذ هذا الكلب

جوف الليل يدعو ويقول
اللهم اغفر لصاحب الكلب
وارحه (وقيل) مكتوب
في الانجيل عيسى اذ كرمي
حين تغضب اذكر كرمي
اغضب وقال بعض
المفسرين في قوله تعالى
وقولوا للناس حسنا أي كل
من لقيه فقل له حسنا
من القول وقال اتمان
لابنه ثلاثة لا يعرفون الا في
ثلاثة الحظ عند الغضب
والشجاعة في الحرب والاخ
عند الحاجة اليه وروي ان
عبد الله الخياط كان له
بحوسي يخيط عنده
الثياب ويدفع له دراهم
زيوفا وكان عبد الله يأخذها
فيء الجوسني يوما بالدرهم
فلم يجده فاعطاها التلميذه
فلم يقبلها فدفع له صحاحا
فلما رجع عبد الله قال
تلميذه وهذه دراهم الجوسني
وذكر قصته فقال عبد الله
بشء افعلت انه معاملي
بهذه المعاملة منذ اعوام
وانا اصبر عليها والقيها في
البئر لئلا يغربها غيري
(وروي) ان معاوية
نظر الى ابنه يزيد يضرب
امه له فقال انضرب من
لا يتمتع منك لقد حالت

وقطر لاندلس قايين لودهم * وجاء بنو نصر و طفرهم * تلا
ملوك و فرسان و اهل الحكمة * فان شئت نصهم و طفرهم * تلا
ومهدي توحيد بنو نصر حكمهم * ملوك و بالشرق بالافاق نزلوا
واقسم على القطر و كن متقدا * فان شئت للروم في البحر شكلا
فقتل و برشون الراء حرقهم * واقترنهم دال و بالطاء ككلا
ملوك ككناوة و دلوا قافهم * واعراب قومنا بترقيق اعمالا
فهذا حباشي و سنده قهرهم * و فرس ططاري و ما بعدهم طالا
فقيصرهم حاهو يزدجردهم * لكاف و قبطهم بلامه طولا
و عباس كاهم شريف معظم * ولا كن تركي بذال الفعل عطلا
فان شئت تدقيق الملوك و كاهم * فحتم بيوتهم نسب و جدولا
على حكم قانون البحر و علمها * و علم طبائعها و صكها مثلا
فن علم العلوم لم علمنا * و يعلم اسرار الوجودوا ككلا
فبرسخ علمه و يعرف ربه * و علم ملاحيم بحاميم فصلا
و حيث اتى اسم و العروض يشقه * فحكم الحكيم فيه قطعا ليعقلا
و تأتلك احرف فس و اضربها * و احرف سبويه تأتلك فصلا
فكن بتكبر و قابل و عوضن * بتريكم العالي للاخاء خلخلا
وفي العقد و المجزور يعرف غالبا * و زدلمح و ضيقه في العقل فعلا
واحد تاملع و سوي رتبة * و اعكس مجذريه و بالدور عدلا
و يدركها المرء فيبلغ قصده * و تعطى حروفها و في نظامها انجلا
اذا كان سعد و الكواكب اسعدت * فحسبك في الملك و نيل اسمه العلا
و ايقاع دالمهم عزم و زمة * فنسب دنادينا تجد فيه منزلا
و اوتار زيرهم فالحسابهم * و مثاهم المثلث بجمة قد جلا
و ادخل بافلاك و عدل بجداول * و ارسم ابا جاد و باقيه جلا
و جوز شذوذا النجوم تجري و مثله * اتى في عروض الشعر عن جملة ملا
فاصل لدينا و اصل لفقهنا * و علم لنحونا فاحفظ و حصلا
فادخل لقسطاط على الوق جدره * و سجع باسمه و كبروه ملا
فتخرج ابياتنا و في كل مطلب * بنظم طبعي و سر من العلا
و تقى بحصرها كذا حكم عددهم * فعلم القوا ينج تري فيه منزلا
فتخرج ابياتنا و عشرون ضعفت * من الالف طبعها فيا صاح جدولا
تريك صنائعا من الضرب اكلمات * فصح لك التي و صحت لك العلا
و سجع بزيرهم و اثني بنقرة * اقها دوائر الزير و حصلا

اقها

القدرة بيني وبين اولي التراب وقال بعضهم اصل سوء الخلق ضيق القلب و ضيقه على قسمين

أدناه و أهونه ان لا يتسع لمراد الخلق و أقصاه و شره ان لا يتسع لمراد الخلق وقال الخجاسي اصل سوء الخلق الا عجاب و هل يسوء خلق الرجل
الامن بحبه و تكبره و انه لا يرى فوقه احدا ولا يعرف قدر نفسه فتدأخله العزة و قال الحسن في قوله تعالى و ثيابك فطهر اى و خلقت نفسك

وكان لبعض النساء شاة فرأها على ثلاث قوائم فقال من فعل هـ ذابها فقال غلامه أنا فعلته قال ولم قال لا تخفك بها فقال لا تخن من أمرك بهذا ذهب فانت حر (وروى البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له أتسرق فقال كلا والذي لا اله الا هو فقال عيسى عليه السلام آمنت بالله وكذبت عيني (٣٠٥) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه

فساد الاخلاق معاشره

السفهاء (وقبل الخلق

السيئ يضيق قلب صاحبه

لانه لا يسع فيه غير مراده

كلا كان الضيق لا يسع

فيه غير صاحبه ويقال

من سوء خلقك ان يقع

بصرك على سوء خلق غيرك

(وسئل النبي صلى الله

عليه وسلم عن الشؤم فقال

سوء الخلق وروى ابو

هريرة أن النبي صلى الله

عليه وسلم قيل له ادع الله

على المشركين فقال انما

بعثت رحمة ولم أبعث عذابا

ولما وصي يعقوب عليه

السلام اولاده قال احفظوا

عني خصلتين ما انتصفت

من ظالم قط قولا وفعل

وما رأيت حسنة الا وافيتها

وما رأيت سيئة الا وسترتها

كذلك فافعلوا وقال ابن

عمر اذا سمعتموني أقول

لملوك اخزاء الله فاشهدوا

انه حرو ويقال السيئ الخفاق

هو الذي لا يملك نفسه عند

الغضب وقيل أصل سوء

الخلق مطالبة غيرك ان

يوافقك دون أن تطالب

نفسك بموافقة غيرك

وعلامه حسن الخلق ان

تحتمل معاملة سيئ الخلق

اقها باوفاق واصل لعدوها * من اسمر احر فهم فعذبه سالا

٤٣ ك ك و ك ح واه عم له ر ل اس ك ط ال م ن ح ع ف و ل منافرة

*) الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة الدرجة المتغيرة

بالنسبة الى موضع المعاق من امتزاج طبائع وعلم طب او صناعة الكيمياء *)

اياما للطب مع علم جابر * وعالم مقدار المقادير بالولا

اذا شئت علم الطب لا بد من نسبة * لاحكام ميزان تصادف منها

فيشفي عليككم والا كسر محكم * واخراج وضعكم بتصحيح انجلا

*) (الطب الروحاني) *

وشئت ايلوش ٥٦٥ ودهنه بجلا * لهرام برجيس وسبعة اكلا

لتحليل اوجاع البوارد صحوا * كذلك والتركيب حيث تنقلا

كد منع مهم ٣٥٥ وهم ٦ صغ لهاي واه ١١٢ وهم ٥١ سكره لال ح مهم ٣٣٣

ع ع مي رح ٢٢٤ ٢٢٤ ل ك عا ع

*) (مطاريح الشعاعات في مواليد الملوك وبنهم) *

وعلم مطاريح الشعاعات مشكل * وضلع قسما بمطرفة جلا

ولكن في حج مقام امامنا * ويبدو اذا عرض الكواكب عدلا

بدال مرا كز بين طول وعرضها * فن أدرك المعنى علام فوضلا

مواقع تربيع وسه مسقط * لتسد يسهم ثلث بيت الذي تلا

يزا لتر يسع وهذا قياسه * يقينا وحذره وبالعين اعملا

ومن نسبة الربيعين ركب شعاعك * بصاد وضعفه وتربيعه انجلا

اختص ص ص هـ ٨ ص وى هذا العمل هـ الملوك والقانون مطرد عمله ولم ير اعجب منه

مقامات الملوك المقام الاول هـ المقام الثاني ص مهم ٣٣٣ ص ع المقام الثالث

ع ع والمقام الرابع لل مقام الخامس لاي المقام السادس ع غير المقام السابع عه

خط الاتصال والانفصال ع ٥١ ط ن هـ ص ح

خط الاتصال ٨١ > ٨١ هـ ح

خط الانفصال ح ١ د هـ ع و هـ

الوتر للجميع وتابع الجذر التام ٣٣٣٣ و - و ح ١١ د د هـ ح

الاتصال والانفصال ع ح

الواجب التام في الاتصالات ع < ٥ هـ

اقامة الانوار هـ ع هـ

٣٩ - ابن خلدون)

لست ربه سوء الخلق وقيل العارف يعاتب نفسه ولا يعاتب خلقه وعلامه من بينه وبين

نفسه عتاب ان لا يكون بينه وبين خلقه عتاب (وروى) ان عبد الله بن عمر كان في حجره يتيم سيئ الخلق فبات فخرن عليه فقيل له انك

تجد غيره قال فن لي بسوء خلقه وكان ليجي بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم نفسك هذا الغلام قال لا تعلم عليه الحلم وقيل في قوله تعالى

واسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الظاهرة تسوية الخلق والباطنة حسن الخلق وقال القليل لان يحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يحبني عابدي الخلق (فان قيل) اليس قد روي ان عيسى ويحيى بن زكريا عليهم السلام التقيا فقال يحيى لعيسى تلقاني ضاحكا كانك آمن فقال عيسى (٣٠٦) وانت تلقاني عابسا كانك آيسر فأوحى الله اليهما ان احبكما الي ابشكما بصاحبه قلنا كذلك

يستحب ان يكون المؤمن
وليس اطلاق الوجه
والتبسم في وجه اخيك
منها عنه وانما المكره
ما ذكرناه في اول الباب من
التلق والتصنع وفصل
الخطاب في هذا الباب
ما روي هناد بن ابي هالة في
صفة مجلس النبي صلى
الله عليه وسلم فقال كان
اصحابه كأنهم على رؤسهم
الطير ومعلوم ان من كان
على رأسه طائر لا يبرح
فانه لا يتحرك ولا يتكلم
ولا يظرف بعينه حذرا ان
يتفر الطائر وقال ابن المقفع
كان لي صديق من أعظم
الناس في عيني وكان رأس
ماعتظه في عيني صغير الدنيا
في عينه كان خارجا من
سلطان فرجه فلا يدعوا اليه
مؤنة ولا يستخف له رأيا
ولا بدنا وكان خارجا من
سلطان الجاهالة فلا يقدم
أبدا الا على ثقة بمنفعة كان
أكثر دهره صامتا فاذا قال
بد القائلين وكان متضاغفا
مستضعفا فاذا جاء الجدهو
الليث عاديا كان لا يدخل
في دعوى ولا يشرك في مراء
ولا يدلي بحجة حتى يرى
قاضيا عدلا وشهودا عدولا

الجزر المحبب في العمل
اقامة السؤال عن الملوك
صح ١ ه ه ع
ع-ح-
٥١ لا خ ل ١١

مقام الاول انور ع-و مقام بها ه ج لا

(الاتصال الروحاني والانتقاد الرائي)

اي طالب الامر تهليل ربه * لدى اسمائه الحسن تصادف منها
تطعمك اختيار الانام بقلبهم * كذلك ريسهم وفي الشمس أعمالا
تري عامة الناس اليك تقيدوا * وما قلته حق في الغير أراه
طريقك هذا السبل والسبل الذي * أقوله غيركم ونصركم واجتلي
اذا شئت تخافي الوجود مع التقى * ودينا متينا او تكن متوصلا
كذي النون والجنيذ مع سر صنة * وفي سر بسطام اراك مسر بلا
وفي العالم العلوي تكون محدثا * كذا قالت الهندوصوفية الملا
طريق رسول الله بالحق ساطع * وما حكم صنع مثل جبريل أنزلا
فبطشك تهليل وقوسك مطلع * ويوم الخنفس البدء والاحداثجلى
وفي جملة أيضا بالاسماء من له * وفي اثنين للحسنى تكون مكمل
وفي طائفة سر وفي هائه اذا * اراك بها مع نسبة الكل أعظلا
وساعة سعد شرطه في نقوشها * وعود ومصطكي بخور تحصلا
وتتلمع عليها آخر الحشر دعوة * والاخلاص والسبع المائتي مرتلا

*(اتصال انوار الكواكب) * بيا في لاهي لا ظغ ش لد سم ق ص ه ف و ي

وفي نيك ألمني حديد وخاتم * وكل برأسك وفي دعوة فلا
وآية حشر فاجعل القلب وجهها * واتلو اذ انام الانام ورتلا
هي السر في الاكوان لاشي غير هاهي * الآية العظمى فحق وحصلا
تكون بها قطبا اذا جدت خدمة * وتذكر أسرار من العالم العلا
سرى بها ناجي ومعرف قبلة * وباح بها الخلاج جهر فاعقلا
وكان بها السبل يدا ب دائما * الى ان رقي فوق المردين واعتلى
فصف من الادناس قلبك جاها * ولازم لاذ كاروصم وتنقلا
فما نال سر القوم الا محقق * عليم بأسرار العلوم محصلا

ع ص ه و سلم ع و ك ك مع الم ع س ح ا ح د ف ك ص ر ح د ر م

*(مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب وتمشق

وفناء القناء وتوجه ومراقبة وخلة دائمة)*

الاتصال الطبيعي

وكان لا يلوم أحدا على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره كان لا يشكو وجعا الا الى من
يرجو عنده البر ولا صاحب الامان يرجو عنده النصيحة لهما جميعا وكان لا يتبرم ولا يتخط ولا يشتكي ولا ينتقم من الولي على العدو ولا
يقفل عن الولي ولا يخص نفسه دون اخوانه بشي من اهتمامه وحيالته وقوته فاوقف هذه الاخلاق فان لم تطق فخذ القليل خير من ترك

لبر جيس

الجميع وروى ان حكيم سماع رجلا يذم الزمان واهله وانه قد فسد الناس ولم يبق احد يصيب فقال له يا هذا انت طابت صاحباً تؤذيه فلا ينتهر وتسال منه فلا ينتصف وتأكل رحله ولا يرزؤك شي وتجف عليه فيعلم فلم تنصف في الطلب فلم تجد حاجتك وليكن ان اردت صاحباً يؤذيك فلا تنتصر ويجفوك فلا تستقم ويأكل رحلك فلا تسال منه شي وجدت اصحاباً (٣٠٧) واخوانا واولادنا واول من يصيبك

(فصل في الفرق بين المداينة والمداينة)

من داري سلم ومن داهن اثم وهذا باب اختلاط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون اثمهم يدارون فالمداهنة منهي عنها والمداينة مأور بها قال الله تعالى في المداينة ودوا لو تدهن فدهنون وقال النبي صلى الله عليه وسلم في المداينة راس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس وامرت بمداينة الناس كما امرت باداء الغرائض (واعلم) انه اذا سقمت المداينات صارت مداينة فالمداهنة ان تداري الناس على وجه يذهب فيه دينك والمداينة مخالفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك ان هذه الامة تزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوقد قالت له قريش يا محمد اعبك آلهتنا سنة ونؤمن بك فاني قالوا فشره افاي قالوا فيوما فاني قالوا ساعة فاني قالوا فاستلمها بيدك ونؤمن بك فوقف النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا فانزل الله تعالى ودوا لو تدهن

لبرجيس في الحجة الوفق صرفوا بقزير او نحاس الخياط كـ لا وقيل بفضة صحبحار آيته * فجعل طالعها خطوطه ماعلا توج به زيادة النور لـ مر * وجعل القبول شمسه اصلا ويومه والنجور عودهم * ووقت لساعة ودعوتها الا ودعوتها بغاية فهي اعلمت * وعن طسمان دعوة ولما جلا وقيل بدعوة حروف لوضعها * بحر هوا او مطالب اهـ لا فتتقش احرفا بدال ولا مها * وذلك وفق للربيع حصلا اذ لم يكن يهوى هواك دلالها * فدل ليمدوا ووزينب معطلا فحسن لبائنه وبائنه م اذا * هواك وباقيهم قليلة جـ لا وتتش مشا كل بشرط لوضعهم * وما زدت انسيبه لعمالك عدلا ومفتاح مريم ففعلها ماسوا * فبورى وبسطا في سورتها اتلا وجعلك بالقصد وكن متفقددا * ادلة وحشي لقبضة مـ لا فاعكس بيوتها بالف ونيف * فباطنها سر وفي سرها النجـ لا

(فصل في المقامات للنهاية)

للغيب صورة من العالم العلا * وتوجد هادارا ومليسه هـ الخلا ويوسف في الحسن وهذا شبهه * بنثر وترتيل حقيقة انزلا وفي يده طول وفي الغيب ناطق * فيحكي الى عود يجاوب بلـ لا وقد جن به لول يعشق جمالها * وعند تجاوب البس طام اخذلا ومات اجانه واشرب حبها * جنيد وبصري والحسن اهـ لا فتطلب في التهليل غايته ومن * باسمائه الحسنى بلانسة خلا ومن صاحب الحسنى له الفوز بالني * ويسهم بالزاني لدى جيرة العلا وتخبر بالغيب اذا جدت خدمة * تريك عجائبا بمن كان موثلا فهـ ذا هو الفوز وحسن تناله * ومنه زيارات لتفسيرها اتلا

(الوصية والتختم والايمان والاسلام والتحرير والابلية)

فهذا قصيدنا وتسعون عده * وما زاد خطبة وختمنا وجدولا عجبت لايات وتسعون عدما * تولد ابيانا وما حصرها النجـ لا فن فهم السر فيهم نفسه * وفيهم نفس يراشابه اشـ كلا حرام وشري لاظهار سرنا * لناس وان خضوا وكان التأملـ لا فان شئت اهلـ لا فغلظ عيـ نهم * وتفهـ م برحـ له ودين تطولا لعل ان تنجو وسامع سرهم * من القطع والافشا فترأس بالـ لا فنجل لـ عباس لـ سره كاتم * فقال سـ عادات وتابعه عـ لا

فدهنون وقيل له ولولا ان ثبتك لعدك تترك الهم شي قليلا اذا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ومثاله ان تقول للظالم ابقاك الله ومن دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله سبحانه وهذا باب ينبغي لذوى الدين حقه وقد رأى بعض الفقهاء الجرح من هذه العهدة بالتعريض وكان الفقيه بن الحضار بقرطبة له جار نصراني يقضي حوائجه وينفعه وكان الفقيه يكثر ان يقول ابقاك الله وتولاه

فلا تظالموا بعبادي كلكم ضال الامن هديته فاستهدوني امدكم يا عبادي كلكم جائع الامن اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي
كلكم عار الامن كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفراكم
يا عبادي انكم ان تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نقي فتنفقوني يا عبادي (٣٠٩) لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا

على اتقى قلب رجل واحد
منكم ما زاد ذلك في ملكي
شأيا يا عبادي لو ان اولكم
وآخركم وانسكم وجنكم
كانوا على اخصر قلب رجل
واحد منكم ما نقص ذلك
من ملكي شيئاً يا عبادي
لو ان اولكم وآخركم وانسكم
وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسألوني فاعطيت
كل انسان مسئلة ما نقص
ذلك مما عندي الا كما ينقص
الخيط اذا دخل في البحر
يا عبادي انما هي اعمالكم
احصيا لكم ثم اوفيكما ياها
فن وجد خير اذ احمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا
يلومن الا نفسه يرويه ابو
ادريس الخولاني عن
ابي ذر ومسندا الى النبي
صلى الله عليه وسلم وكان
ابو ادريس اذا حدثه
جني على ركبته وروى
عبد الله بن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انظروا
ظلمات يوم القيامة وروى
ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اتقوا
دعوة المظلوم فانه ليس
بينها وبين الله حجاب
وروى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم

راس الجوزاء وثلاثة وتراس الدلو الى حد المركز واضعنا اليه حروف السؤال ونظرناعدتها واول ما تكون
ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وفي جملة الدور الصحيح فكانت في سؤالنا ثلاثة وتسعين
ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الالهي عشرية ويحفظ ما خرج منها وما
بقي فكانت في سؤالنا سبعة ادوار الباقى تسعة اثنتي عشرة الطالع اثنى عشرة درجة فان بلغها
لم تثبت لمساعدة ولا دور ثم اثبت اعدادها ايضا ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث ثم تثبت
الطالع وهو واحد وساطان الطالع وهو اربعة والدور الا كبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور وهو
اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منه ما في ساطان البرج يبلغ ثمانية واضف الساطان للطالع فيكون
خمس فلهذه سبعة اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الا كبر في ساطان القوس مما لم يبلغ اثنى عشر
فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعد او ان زاد على اثنى عشر طرح ادوارا وتدخل بالباقي
في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من الساطان والطالع يكون الطالع في ضلع
السطح المبسوط الاعلى من الجدول وتعد متواليات ادوارا وتحفظها الى ان يقف العدد على حرف من
اربعة وهي ألف أو باء أو جيم أو زاي فوق العدد في عمدا على حرف الالف وخلف ثلاثة ادوار فضر بنا
ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فاثبتته واجمع ما بين الضلعين القائم والمبسوط يكن في
بيت ثمانية في مقابلة البيوت العارضة بالعدد من الجدول وان وقف في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على
احدها فلا يعتبر وتسم على ادوارك وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي
البيت الذي اجتمع فيه وهي ثمانية مارا الى جهة اليسار فوق على حرف لام ألف ولا يخرج منها ابدا حرف
مركب وانما هو اذن حرف باء اربعة مائة برسم الزمام فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد واجمع عدد الدور
للساطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد
ومن هذا القانون تدريكم تدور الحروف في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة
لساطان البرج وهو اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعفها بمثلها تكون ستة وعشرين اسقط منها درج الطالع وهو
واحد في هذا السؤال الباقى خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم ثلاثة وعشرون مرتين
ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي للواحد من آخر البيت المظوم ولا تقف على
اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد ولا ثم ضع الدور الثاني واضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة
من ضرب الطالع والدور في الساطان تكن سبعة عشر الباقى خمسة فاضع في ضلع ثمانية بخمسة من حيث
انتهيت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر ثم بخمسة ولا تعد الخالي والدور عشرين
فوجدنا حرف ثمانية مائة وانما هو نون لان دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسة مائة بخمسين لان دورها
سبعة عشر فلم تكن سبعة عشر كانت مئيتا فاثبت نونا ثم ادخل بخمسة ايضا من اوله وانظر ما حاذى
ذلك من السطح تجد واحدا فقهقر العدد واحدا يقع على خمسة اضف لها واحدا السطح تكن ستة اثبت
واو او علم عليها من بيت القصيد اربعة واضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في الساطان
تبلغ اثنى عشر اضف لها الباقى من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا
بسبعة عشر في حروف الاوتار فوق العدد على واحد اثبت الالف وعلم عليها من بيت القصيد واسقط من

من كانت لانيه عنده مظلمة من مرض او شيء فليخاله منه قبل ان لا يكون درهم ولا دينار ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان
لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فعمل عليه وروى سعيد بن زبير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم من الارض
شبرا طوقه من سبع ارضين قال ابو جعفر الطحاوي معناه انه يقاب شعاعا اقرب قبطا وانه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكاة

يحيى ناله يوم القيامة شجاعا اقرع يتبعه ويقول انما مالنا كثر فكأن هذا دخلا في قوله تعالى سيطر قون ما بخلافه يوم القيامة
 وروى ابوهريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مطل الغنى ظم وروى ابو موسى الاشعري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يمل
 للظالم حتى اذا اخذته لم يفله وقرا (٣١٠) وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذهم شديدا وروى انس ان النبي صلى

حروف الاوتار ثلاثة حروف ع- دة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن
 ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وادخل في بيت القصيد بثلاثة عشر وخذ ما وقع
 عليه العدد وهو ق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من
 بيت القصيد ثم ادخل على يلى السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلى حرف سين
 من الاوتار فكان ب اثبتا وعلم عليها من بيت القصيد وهذا يقال له الدور المعطوف وميزانه صحيح وهو ان
 تضعف ثلاثة عشر بمثلها وتضعف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج
 من الاوتار من بيت القصيد وادخل في صدر الجدول بثلاثة عشر وانظر ما قابله من السطح واضعه بمثله
 وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فاثبتناه
 وعلمنا عليه من بيت القصيد وميزانه ان تضعف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن
 خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا آخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع معوله من العدد
 تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور آخر العمل في البيت
 الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واضع بثمانية وادخل بتسعة من دور
 الحرف الذي اخذته آخر من بيت القصيد فالناسع حرف راء فاثبتناه وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بتسعة
 وانظر ما قابله من السطح يكون ج قهقر العدد واحد يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد
 فاثبتناه وعلم عليه وهو عدد على الثاني تسعة يكون ألف ايضا فاثبتناه وعلم عليه وادخل في حروف الاوتار
 واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثبتناه وعلم عليها من بيت
 القصيد ثمانية واربعين وادخل بثمانية عشر في حروف الاوتار تقف على س اثبتناه وعلم عليها اثنين واضف
 اثنين الى تسعة تكون احد عشر ادخل في صدر الجدول باحد عشر تقابلها من السطح الف اثبتناه وعلم عليها
 ستة وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة اضع بثمانية وادخل في حروف الاوتار
 حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون ادخل
 بها في حروف الاوتار تقف على ب اثبتناه وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس
 اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق اثبتناه وعلم عليها ستة وعشرين
 وادخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار وذلك حرف ب اثبتناه وعلم عليه اربعة
 وخمسين وادخل في حروف الاوتار وضع الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فثبت بين
 اذ ذلك ان دور النظم من خمسة وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد
 فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد
 ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قد مضى لانه دور ثان من نشأة تركيبة ثمانية بل اضفنا
 الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة تضعف
 خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها في صدر الجدول وخذ ما قابله من السطح وهو
 ألف اثبتناه وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر وادخل في حروف الاوتار ومن هذا الجدول تنظر
 احرف السؤل فما خرج منها زد مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤل ليكون داخلا في

الله عليه وسلم قال انصر
 اخاك ظالما او مظلوما قالوا
 يا رسول الله كيف هذا
 انصره مظلوما فكيف
 انصره ظالما قال تأخذ فوق
 يده وروى ابوهريرة ان
 النبي صلى الله عليه وسلم
 قال صنقان من اهل النار
 لم ارهم اناس معهم سياط
 كأذناب البقر يضربون
 بها الناس ونساء كاسيات
 عاريات ما ثلاث عجلات
 على رؤسهن مثل اسنة
 البخت لا يرين الجنة
 ولا يجدن ريحها وقال الله
 تعالى واذا اردنا ان نهلك
 قرية امرنا مترف فيها ففسقوا
 فيها فحق علينا القول
 قد مرناها تدميرا وفي الآية
 تاويلان احدهما امرناهم
 بالطاعة ففسقوا اى خرجوا
 عن الطاعة والثاني على
 قراءة المسدنى اى كثرت
 عددهم واسبغنا النعم عليهم
 ففسقوا وتباعدوا ومنه قول
 النبي صلى الله عليه وسلم
 خير المال سكة مأبورة
 ومهرة مأبورة اى كثيرة
 النتاج (واعلموا) ان حشرات
 الارض وهوامها تلعن
 العصاة وقال مجاهد اذا
 اشعثت الارض تقول

البيهاثم هذا من اجل عصاة بني آدم فذلك قوله تعالى اولئك يعلمهم الله ويعلمهم اللاعنون وفي الحديث
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحسل لتعوت بذيئ ابن آدم يعني ان يذئوب الخاق بممتنع القطر فلا تنبت الارض فتتلك الدواب
 والحشرات ويضع ابوهريرة رجل يقول ان الظالم لا يضرا لنفسه فقال بلى والله ان الجبارى لتعوت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال ابن

مسعود خطيئة بني آدم قتلت الحسل (وروي) مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال الرجل وان كان شياً يسيراً يا رسول الله قال وان كان قضيباً من اراك وقال ابن عباس ما ظهر الغلول في قوم قط الا فشا فيهم الموت ولا تنقص قوم المكيال ولا ميزان الا انتقص عنهم الرزق (٣١١) ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا خفر قوم بالعهد الا ساط

عليهم العدو وقال بعض الحكماء اذكروا عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك لا يحببتك رحب الذراعين بسفك الدماء فان له قاتلاً لا يموت (وروي) ان بعض الملوكة رقم على بساطه لا تظلم اذا ما كنت مقتدرا فالظلم مصدره ينضي الى الندم تمام عينيك والمظالم ممتص يدعوك عليك وعين الله لم تنم انشدنا قاضي القضاة ابو عبد الله الدامغانى رحمه الله بهجداً اذا ما هممت بظلم العباد فكُن ذاكر اهل يوم المعاد فان المظالم يوم القصاص لمن قد تزودها شر زاد وقال سحنون بن سعيد كان يز يدى بن حاتم الحكيم يقول ما هبت شياً قط هبتي رجلاً ظلمته وأنا اعلم ان لا ناصر له الا الله فيقول لي حسبك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن سعيد اتقوا الله فمَنْ لا ناصر له الا الله وقال أبو سليمان الداراني

العدد في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال فما خرج منها زده الى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ثم اُضف الى ثمانية عشر ما علمته على حرف الالف من الا حاد ف كان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راء اثنته وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء مختبر ثان ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة تضغف لها واحدات تكون عشرة للنشأة الثانية وهذا الواحد تزيده بعد الى اثني عشر دورا اذا كان من هذه النسبة أو تنقصه من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاضد في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمسة مائة وانما هي نجسون ثون مضاعفة بمثلها وتلك في اثنتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين واسقط من اثنين وخمسين اثنين واسقط تسعة التي للدور الباقي واحد واربعون فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثنته وكذلك ادخل بها في بيت القصيد تجد واحدات في ان هذه النشأة الثانية ف علم عليه من بيت القصيد علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني واخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين سبعين اثنتها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخمسة مائة من السطح وذلك واحد اثنته وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحد من ثمانية واربعين للاس الثاني واضف اليها خمسة الدور الجملة اثنان ونجسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف ب غبارية وهي مرتبة مئينية لترديد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وعشرين فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابتداء وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسقط واحدات تكون الجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثبت ٣ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اضد في ضلع ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية ولانه اول الثالث الثالث من مربعات البروج و آخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة الجملة اثنان ونجسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبة الا حادوا عشرات فاثنته مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين واضف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الاوتار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثنته وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واضد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلافاً فاضد بتسعة ثمانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في اربعة لصعودنا بتسعين وانما كانت تضرب في اثنين وادخل في الجدول ستة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشرة فاخذها بالحادية لقله الادوار فاثبت حرف دال وان اُضف الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولودخلت بالتسعة لا غير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولودخلت في صدر الجدول بشمانية

لما دخل اخوة يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه وكان على وجهه برقع فخفى لا يكبرهم وكان ابن خالته فقال له بم اوصاك ابوك قال يا رب سمع قال وما هن قال يا بني لا تتبع هواك فتفارق ايمانك فان الايمان يدعو الى الجنة والهوى يدعو الى النار ولا تكثر من طاعتك بما لا يعينك فتسقط من غيبه ولا تسبى بربك الظن فلا يستجيب لك ولا تكن ظالماً فان الجنة لم تخلق للظالمين (وبكى) على بن الفضل يوم

فَقِيلَ لَهُ مَا يَكِيدُ قَالَ ابْكِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي إِذَا وَقَفَ غَدَايْنِ يَدِي اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حِجَّةٌ وَلَمْ جُودُ الْوَرَقِ إِنِّي وَهَيْتُ لَهَا ظِلْمِي ظَلَمِي *
وَتَرَكْتُ ذَاكَ عَلَى عَلِيٍّ وَرَأَيْتُهُ أَسَدِي إِلَى يَدَا * لَمَّا ابَانَ بِجَهْلِهِ حُلِي رَجَعَتْ أَسَاءَتُهُ عَلَيْهِ وَاحِد * سَأَلَنِي فَاتَّبَعَ مَضَاعِفَ الْجُرْمِ
وَعُدُّوتِ ذَا الْجُرُومِ مُحَمَّدٌ * (٣١٢) وَعَدَا بِي كَسْبُ الذِّمِّ وَالْإِثْمِ مَا زَالَ يَظْلِمُنِي وَأَرْجُو * حَتَّى رَتَيْتُ لَهُ مِنَ الظَّالِمِ

عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشر فاطرح منه اثنين تكرار التسعة الباقى
 ثمانية نصفها المطلوب ولودخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لوقعت على عشرة
 زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد واثبت ما خرج وهو ألف ثم اضرب تسعة في ثلاثة
 التي هي مركب تسعة الماضية واسقط واحدا وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين واثبت ما خرج وهو
 مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيد تسعة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور
 الحادى عشر وله سبعة عشر الباقى خمسة اضعف في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشي في الدور
 الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على حال فخذ ما قابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في
 بيت القصيد تكن سين اثبتة وعلم عليه اربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا ثبتنا الواحد
 ثلاثة واضعف سبعة عشر بمثلها واسقط واحدا واضعف بمثلها وزدها اربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها
 في الاوتار تقف على ستة اثبتها وعلم عليها واضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت تقف على لام اثبتها وعلم
 عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر الباقى واحد اضعف في
 ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور آخر الادوار واخر المثلثات اربع المثلثات الاربعة والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية وانما هي احدى ثمانية وليس معناها من الادوار
 الواحد فلوزاد عن اربعة من مائة اثنى عشر او ثلاثة من مائة اثنى عشر كانت ح وانما هي
 د فاثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اربعة وسبعين ثم انظر ما تناسبها من السطح تكن خمسة اضعف بمثلها
 لاس تبلغ عشرة اثبت ي وعلم عليها وانظر في أى المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا بسبعة في
 حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت ف اثبتها واضف الى سبعة واحد الدور
 الجملة ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثبتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على
 عشرة الدور فانها آخر مائة الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت القصيد وعلم على
 ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية واضرب على
 حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب ابد الباقى من حروف الاوتار بعد
 طرحها ادوار وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الاوتار واضف
 لها واحدا الباقى من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ ألف اثبتة
 وعلم عليه ستة وتسعين وان ضرب تسعة التي هي ادوار الحروف التسعين في اربعة وهي الثلاثة الزائدة
 على تسعين والواحد الباقى من الدور الثاني عشر كان كذلك واضعف في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في
 الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية واضرب تسعة فيما تناسب من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة
 عددا الاوتار الحرفية واطرح واحدا الباقى من دور اثنى عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ
 خمسة فاثبتها واضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول ثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل
 به في حروف الاوتار تبلغ م اثبتة وعلم عليه واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها
 سبعة عشر الباقى خمسة فاضعف في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة
 عشر اضف لها واحدا الباقى من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل ستة عشر في بيت القصيد تبلغ ت

جسرجه نملقيه المظالم وعرف ما ظلمه به فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا واحتى يتزعروا ما يديهم
من الحسنات فان لم يجدوا حسنات حمل عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموا احتى يردوا الدرك الاسفل من النار ومن صحیح مسلم ان هشام بن
حكيم مر بالشام على أناس وقد أقبلوا في الشمس وصيب على رؤسهم الزيت قال ما هذا قال يعذبون في الخراج قال اما انى سمعت النبی

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا واخبرني رجل عن كان يقرأ العلم بالاسكندرية قال كان ههنا شيخ
يكون عينه كاسين يدور حولهم فرأيتهم في النوم بعد وفاته فقلت له من أين تجي فقال لي لا تسأل فاعدت عليه فقال لا تسأل فساأله
فقال من الحكيم فقلت له فالي أين تذهب قال الى مثل الدار التي خرجت منها قلت فكيف (٣١٣) لقيت قال وماذا لقيت كان ليحيى

قد جعل في هاون ودق حتى
صار مثل المخ (واخبرني)
رجل من أهل العلم والدين
قال رأيت فلانا لبياع في
النوم بعد وفاته فقلت
ما فعل الله بك قال أنا
محبوس عن الجنة قلت
فبماذا قال كنت أبيع
في الدكان فيزدحم الناس
علي فأخذوا زرافهم
فأضجعها في في وكما
تفرغت وزنتها وأعطيت
كل انسان حقه فأختلطت
في في الفضلات فجاء
اثنان فدفعوا لاسدهما
بفضة الا تخرو كانت
أقصر من فضة نخبة
ثم حوسبت فبقي على خبة
فقلت فادفع له الخبة
وتخلص فجعل يقلب
كفيه ويقول من أين
أدفع له من أين أدفع له
فكرها جرات (ويروي)
ان يونس عليه السلام
لما نذبا لعراء وأبنت الله
عليه شجرة من يقطين
كان يأوي الى ظله فيمست
فبكي عليها فأوحى الله
تعالى اليه تبكي على شجرة
فقدتها ولا تبكي على مائة
الف أو يزيدون أردت
ان أهلكهم وقيل لابن

اثبته وعلم عليه اربعة وستين وأضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزدوا احد الباقي من الدور
الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين زمامية وانظر ما في السطح تجد واحد اثبته
وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع ايضا من البيت وادخل بتسعة في صدر الجدول تقف على ثلاثة
وهي عشرات فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فائق في ضلع
ثمانية بواحد وأضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ
سبعة عشر وواحد النتيجة تكون ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لا ما اثبتنا فهذا آخر العمل
والله في هذا السؤال السابق اردنا ان نعلم ان هذه الزايرة علم محدث أو قديم بطالع اول درجة من
القوس اثبتنا حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها
سبعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الا كبر واحد درج الطالع مع الدور اثنان
ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد

سؤال عظيم الخاق خرت فصن اذن * غرائب شئ ضبطه الجدمثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه س ا ن ل م ن ص
ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ط غ
ش ط ي ع ح ص ر و ح د و ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه
و ز ح ط ي

*(حروف السؤال) * ا ل ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م
الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩
الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧
الباقي ٥ الدور التاسع ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الباقي ١ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥
الدور الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة
١٣ الباقي ١

(٤٠ - ابن خلدون) السعالي الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال بين مظلوم لا يتصف وظالم لا ينتهي وقال بعض
الحكماء أفقر الناس أكثرهم كسبا من حرام لانه استدان بالظلم ما لا بد له من رده وقال رجل كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فذكر الحاج
فسميته ووقف فيه فقال عمران الرجل ليظلم بالظلم ولا يزال المظلوم يشتم الظالم ويسببه حتى يستوفي حقه فيكون للظالم حق عليه وقال

عمر بن يثاري روى رجل في بني اسرائيل من رأى فلا يظلم أحد اذا رجع قد ذهب ذراع من عضده وهو يبكي ويقول من رأى فلا يظلم أحد اذا رجع قال بينهما أنا أسير على شاطئ البحر في بعض سواحل الشام اذ مررت بنبطى قد اصطاد تسعة أنوان فأخذت منه نونا وهو كاره بعد ان ضربت (٣١٤) رأسه فعض النون ابهامى عضه يسيرة ثم اكلناه فوقعت الاكلة في ابهامى فاتفقت الاطباء

على قطعه فقطعته فوقعته في كفى ثم ساعدى ثم عضدى فن رأى فلا يظلم أحد اذا نخرجت أسج في البلاد واريد قطع عضدى اذ رفعت الى شجرة فأويت الى ظلالها فنعست فقبل لي في المنام لاى شئ تقطع اعضاءك رد الحق الى أهله فعثت الصادقات يا عبد الله انا نملوك فاعنتنى فقال ما أعرفك فاحبرته فبكي وتضرع وقال أنت في حل فلما قالها تناثر الدود من عضدى وسكن الوجع فقالت له عباد دعوت على قال لما ضربت رأسى وأخذت السمكة نظرت الى السماء وبكيت فقالت يا رب أشهد أنك عدل تحب العدل وهما ذامنك عدل وانك الحق تحب الحق وخلقتنى وخلقتهم وجعلتهم قويا وجعلتنى ضعيفا فاسألك يا من خلقتنى وتخلقتهم أن تجعلهم عبدة لخلقك (وقال معاوية) ان أولى الناس بالعفو أقدرهم على الانتقام وان أنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال بعض الحكماء الظلم على ثلاثة أوجه ظلم لا يغفره الله

ع ح و ٦٦ فى اى ٦

٢٣	غ	١	س
٢٤	ر	٢	و
٢٥	ا	٣	ا
٢٦	ى	٤	ل
٢٧	ب	٥	ع
٢٨	ش	٦	ط
٢٩	ك	٧	ى
٣٠	ض	٨	م
٣١	ب	٩	ا
٣٢	ط	١٠	ل
٣٣	٠	١١	خ
٣٤	ا	١٢	ل
٣٥	ل	١٣	ق
٣٦	ج	١٤	ح
٣٧	د	١٥	ز
٣٨	م	١٦	ت
٣٩	ث	١٧	ف
٤٠	ل	١٨	ص
٤١	ا	١٩	ن
		٢٠	ا
		٢١	ذ
		٢٢	ن

ف وزاوس ردا اس ا ب ا ر ق ا ع ا ر ص ح ر ج ل د ا ر س
ال دى وس ر ا د م ن ال ل

دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين الى أن تنتهى الى الواحد من آخر البيت وتنقل الحروف جميعا والله أعلم ن ف روح روح ال و د س ا درر س ر ه ال د رى س و ان س د ر و اب لا ام رب و ال ع ل ل هذا آخر الكلام فى استخراج الاجوبة من زاييرجة العالم منظومة ولله طرائق اخرى من غير الزاييرجة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السرفى استخراج الجواب منظوما من الزاييرجة اذا

وظلم لا يتركه الله وظلم لا يعذب الله به شيئا فاما الظلم الذى لا يغفره الله فهو الشرك بالله واما الظلم الذى لا يتركه الله فظلم العباد بعضهم بعضا واما الظلم الذى لا يعذب الله به فظلم العبد ما بينه وبين الله تعالى وقال ميمون بن مهران من ظلم رجلا مظلمة فقاته ان يخرج منها فامتنع الله برك كل صلاة رجوت ان يخرج من مظلمة (وقال يوسف بن اسباط) توفي رجل من الحواريين فوجدوا عليه وجدا شديدا وشكوا

ذلك الى المسيح صلى الله عليه وسلم فوقف على قبره ودعا فاحياه الله تعالى وفي رجله نعلان من نار فسأل غيبي عن ذلك فقال والله ما عصيت قط الا اني مرت بمظالم فلم أنصره فتمتعت هاتين النعلين وأما أنا فاصبر عليك اذا فعلت باحدكم وما فادع الله تعالى له واستغفر له كما فعل موسى عليه السلام لما آذى هرون وأخذ بلحيته ورأسه ثم تبين له براءته وان بنى اسرائيل (٢١٥) غلبوه عليه وعلى عبادة العجل

فقال رب اغفر لي ولا تخي وأدخلني رحمتك وأنت أرحم الراحمين (وروي) ان قوم لوط كانت فيهم عشرة خصال فاهلكهم الله بها كانوا يتغوطون في الطرقات وتحت الاشجار المثرة وفي المياه الحارثة وفي شطوط الأنهار وكانوا يخذفون الناس بالحصى فيدمونهم واذا اجتمعوا في المجالس أظهر والمسكر باخراج الریح منهم والطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهي اللواط قال الله تعالى أثمكم لتأتون الرجال وتقطعون السبل وتأتون في ناديكم المنكر والنادي المجلس ويلعبون بالجمام ويرمون بالجمام وضرب الدف وشرب الخمر وقص اللحية وتطويل الشارب والتصفيق ولبس الحجرة وتزيين عليهم هذه الامة باتيان النساء بعضهم بعضا واتماحلهم على اتيان الرجال انهم كانت لهم ثمار كثيرة في منازلهم وحوادثهم فاصابهم قحط وقلة من الثمار فقالوا

هو خرجهم بيت مالک بن وهيب وهو سؤال عظيم الخلق البيت ولذلك يخرج الجواب على رويته وأما الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم

(فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية)

اعلم ارشدنا الله واباك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قضية وانما تستنتج الاجوبة على تجزئته بالكلية وهي ثلاثة واربعون حرفا كما ترى والله علام الغيوب اول اعطى سأل مخ ي دل ز ق ت ا ر ذ ص فن غ ش الك ل ك ي ب م ص ب ح ط ل ج ه د ن ل ث ا وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشددا من حرفين وسماه القطب فقال سؤال عظيم الخلق حرت فصن اذن * غرائب شئت ضبطه الحمد مثلا فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكر من حروفها واثبت ما فضل منه ثم احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يماثله واثبت ما فضل منه ثم اخرج الفضلين في سطر واحد تبدأ بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا الى أن يتم الفضلان أو يتفدا أحدهما قبل الآخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج موافقا بعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح فينبغي ان تضيف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية واربعين حرفا ثم بها جدول لا ير بها ايكون آخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وتقل البقية على طامها وهكذا الى أن تتم عبارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف بقية مرتبة على أعظم جزء يوجب دله وتضع الوتر مقابلا لحرفه ثم تستخرج النسب الغنصرية للحروف الحدودية وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائرها النفسانية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

ا	القوى	الموازين	الغرائز	الاسوس	و	الاسماء
ب	٢٨ هـ	٤ هـ لا	٤	ص ح	٤	الموازين
ج	٣٢ ز	٤ ز لا	٣٠ لا	ر ج	٣٠	الموازين
د	٤٤ ح	٤ ح	٣٠ لا	ر ٣٦	٣٦	الموازين
هـ	٨٨ ح	٤ لا	٣٠ لا	ع سع	٣٠	الموازين
و			٣٠ ح	٨ هـ	٨	الموازين
ز			٣٠ ك	٤ هـ	٤	الموازين

٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠ ٢٢ ٢٤ ٢٦ ٢٨ ٣٠ ٣٢ ٣٤ ٣٦ ٣٨ ٤٠ ٤٢ ٤٤ ٤٦ ٤٨ ٥٠ ٥٢ ٥٤ ٥٦ ٥٨ ٦٠ ٦٢ ٦٤ ٦٦ ٦٨ ٧٠ ٧٢ ٧٤ ٧٦ ٧٨ ٨٠ ٨٢ ٨٤ ٨٦ ٨٨ ٩٠ ٩٢ ٩٤ ٩٦ ٩٨ ١٠٠

باي شئ تمنع ثمارنا حتى لا يطررها احد من الناس فاصطلموا على ان من وجدوه فيها نكحوه وغرموه أربعة دراهم ففعلوا وما سبقتهم بها احد من العالمين قال ابن عباس فكان يده الفاحشة فيهم انهم هموا بذلك فجاءهم ابليس في هيئة صبي أجمل شئ رآه الناس فنكحوه وتجرؤا على ذلك وقال ابو العتاهية اما والله ان الظالم اثم ولكن المسمى هو الظالم الى ديان يوم الدين غصبي وعنده الله تجميع المصنوع

سل الأيام عن أم تقيت * فتخبرك المعالم والرسوم (وروى) أن أنوشروان كان له معلم حسن التأديب فعلمه حتى فاق في العلوم
فضر به المعلم يومان غير ذنب فلو جده فقد أنوشروان عليه فلما سأل الملك قال له ما جعلك على ما صنعت من ضربي يوم كذا وكذا ظلمنا
قال لما رأيتك ترعب في العلم (٣١٦) رجوت لك الملك بعد أنيك فاجبت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه

(الباب السابع والخمسون)
في تحريم السعاية والنميمة
وقبحهما وما يؤل إليه
أمرهما من الأفعال الرديئة
والعواقب الذميمة *
قال الله تعالى ولا تطع كل
حلاف مهين هما زمناه
بغيرهم منع الخبير معتدائهم
عتل بعد ذلك زعيم فذكر
الله تعالى في القرآن أصناف
أهل الكفر والامداد
والثلاث وأهل الدهر
والظلم والفسوق وأشباههم
ولم يسب الله سبحانه أحدا
منهم إلا انما في هذه
الآية وحسبك بها خمسة
ورذيلة وسقوطا وضعة
وهذه الآية تزلزل في الوليد
ابن المغيرة في أصح الأقوال
والهنا ذل المغتاب الذي يأكل
محرم الناس الطاعن فيهم
وقال الحسن البصري هو
الذي يغمر باخيه في المجلس
وهو الهمة المزة والعتل في
اللغة الغليظ وأصله من
العتل وهو الدفع بالقوة
والعنف وقال علي رضي
الله عنه والحسن البصري
العتل القاحش السيئ
المخلق وقال ابن عباس
العتل القاتل الشديد
المنافق وقال عبيد بن عمير

ثم تأخذ وتركل حرف بعد حرف به في أسوس أو نادا الملك الأربعة واحد ما يلي الأوتاد وكذلك السواقط
لأن نسبتهما مضطربة وهـ هذا الخارج هو أول رتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتخط منها أسوس
المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عروضة للعدد الكونية فتجعل عليه بعض الجردات عن المواد وهي
عناصر الامداد يخرج أفق النفس الاوسط وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط
وهذا مخصوص بعوالم الا كوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الاوسط يخرج
الأفق الاعلى فتجعل عليه أول رتب السريان ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الاصل يبقى ثالث
رتبة السريان فانضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبدا في رابع مرتبة السريان يخرج أول عالم التفصيل
والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في
الرابع يخرج رابع عالم التفصيل فتجمع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم
على الأفق الاعلى يخرج الجزء الاول ويقسم المنكسر على الأفق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر
فهو الثالث ويتعين الرابع هذا في الرابع وان شئت أكثر من الرابع فتستكثر من عوالم التفصيل
ومن رتب السريان ومن الأوقاف بعد الحروف والله يرشدنا وإياك وكذلك اذا قسم عالم التجريد على أول
رتب السريان يخرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك الى نهاية الرتبة الاخيرة من عالم الكون فافهم
وتدبر والله المرشد المعين * ومن طريقهم ايضا في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدينا
الله وإياك بروح منه ان علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين
العالم وللعلم به شرائط تلزم وقد يستخرج العالم اسرار الخلق وسر اثر الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجة
الفلسفة اعني السيميا واختها ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب وقد شهدت
جماعة بارض المغرب عن اتصال بذلك فأنظر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأيد الله
واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملاكمة مع الصبر مفتاح كل خير كما أن الخرق والعجالة رأس
الحرمان فاقول اذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفبا يطوس اعني أجد الى آخره وهذا أول
مدخل من علم الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الأعداد فلذلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته
في الجسمانيات ثم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره وهذا في الحروف المنقوطة
لا يتم بل يتم تغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعاني يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل
من اشكال الحروف شكلا في العالم العلوي اعني الكرسي ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسفلي كما
هو مرقوم في اماكنهم من الجدول الموضوع في الزيارج واعلم ان قوى الحروف ثلاثة أقسام الاول
وهو اقلها قوة تظهر بعد كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم بقي يخرج
ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همة كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في الهيئة
السكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات العلويات وقوة شكلية
في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجب مع الباطن اعني القوة النفسانية على تكونه فتكون قبل النطق
به صورة في النفس بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق واما طابعها فهي الطبعيات
المنسوبة للمولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة

العتل الاكول الشروب القوى الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة وقال عيان هو الجاني القاسي اللثيم والرطوبة

العتل وقال مقاتل العتل الضخم وقال السكابي الشديد في كفره عند العرب عتل وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزيم هو
الذي لا يعرف من ابوه قال حسان بن ثابت وانت زعيم نبط في آل هاشم * كما يخط خلف الراكب القديح الفرد (وقال غيره)

زئيم ليس يعرف من أبوه * بنى الام ذو حسب لثيم وقال كثر النقلة هذا رجل انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وعن هذا قال القدماء لا يكون غامدا الا فى نسبة شئ وسعى رجل الى بلال بن ابي بردة برجل وكان امير البصرة فقال له انصرف حتى اكشف عنك فكشف عنه فاذا هو لغير رشدة يعنى ولد زنا وقال ابو موسى الاشعري لا ينبغي على الناس (٣١٧) الاولد بنى وقيل الزئيم الذى

له زئمة فى عنقه يعرف بها كما تعرف الشاة قال ابن عباس لما وصفه الله تعالى بثلث الحال المذمومة لم يعرف حتى قيل زئيم فعرف لانه كانت له زئمة يعرف بها كما تعرف الشاة بزئمتها (ومن ذلك) قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة تزلت فى الوليد بن عتبة بن ابي معيط بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى المصطلق بعد الواقعة وكان بينه وبينهم عداوة فى الجاهلية فخرجوا بملقونه تعظيما لامر النبي صلى الله عليه وسلم ففرع ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال منعوني صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ثم كشف أعرهم فوجدوا قالة كذبا فزلت هذه الآية وسماه الله تعالى فاسقا (ومن ذلك) قول الله سبحانه سمعوا ولا كذبوا كالون للسحت فشرى الله تعالى بين السامع والقائل فى القبح وسأوى بينهم فى الذم فكان فيه تنبيه على ان السامع غام فى الحكم

والرطوبة فهذا سر العدد اليماني والحجارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ج ز لك س ق ث ظ والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة للنار والارض ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل اجزاء بعضها فى بعض وتداخل اجزاء العالم فى اعاليها وسفليها باسباب الامهات الاول اعنى الطبائع الاربع المنفردة حتى اردت استخراج مجهول من مسألة ما فحق مطالب السائل او طالع مسئلته واستنطق بحروف او تادها الاربع الاولى والرابع والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج اعداد القوى والاولاد كما سنبين واجل وانسب واستخرج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك فى كل مسألة تقع لك بيانه اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع اعدادها بالاجل الكبير فكان الطالع الجمل رابعه السرطان سابعه الميزان عاشره الجدى وهو اقوى هذه الاوتاد فأسقط من كل برج حرفي التعريف وانظر ما يخص كل برج من الاعداد المنطقة الموضوعة فى دائرتها واحذف اجزاء الكسرى فى النسب الاستنطاقية كلها وانبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعد احروف العناصر الاربع وما يخصها كالاول وارسم ذلك كله احرفا ورتب الاولاد والقوى والقرائن سه ط راهم متر جا وكسروا ضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستخرج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه مثاله افرض ان الطالع الجمل كما تقدم ترسم ح م ل فللعالم من العدد ثمانية لها النصف والرابع والثلث د ب ا الميم لها من العدد اربعون لها النصف والرابع والثلث والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ل ك ي ه د اللام لها من العدد ثلاثون لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسادس والعشر ك ي و ه ج وهكذا تفعل بسائر حروف المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك واما استخراج الاوتاد فهو ان تقسم مربع كل حرف على اعظم جزء يوجد له مثاله حرف دله من الاعداد اربعة مرتبة هاسته عشر اقسما على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابل الحرف ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم فى شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرد فى استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذى يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح والله اعلم

فصل فى الاستدلال على ما فى الضمائر الحقيقية بالقوانين الحرفية *

وذلك لو سأل سائل عن علم لم يعرف مرضه ما علمته وما الموافق ليرثه منه فخر السائل ان يسمى ماشاء من الاشياء على اسم العلم له الجهرولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق فى المسئلة والاقتصر على الاسم الذى سماه السائل وفعلت به كما تبين فاقول مثلا سمى السائل فرسا فثبت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقة بيانه ان للقادم العددين ثمانين ولها م ك ي ح ب ثم الراء لها من العددين ثمان ق ن ك ي ثم السنين لها من العددين ستون ولها م ل ك قالوا وعددتا له د ج ب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرا ين مساويين فاحكم لاكثرهما حروفا بالغلبة على الاخر ثم اجعل قوله لعل هذه عبارة بعض المشارقة لان هذا ترتيب المشارقة لترتيب المغاربة الذى قدمه ا ه

(واما ما روى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم) فروى مسلم فى الصحيح قال همام كناع حذيفة فقبل له ان رجلا يرفع الحديث الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال حذيفة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة قتات وفى لفظ آخر غمام وروى ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم بشرا اركم قالوا بلى يا رسول الله قال من شر اركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذوالوجه - ين ملعون ذواللسان ملعون كل سارق ملعون كل قتال ملعون كل منان فالسارق المحرس بين الناس يأتي بينهم العداوة والقتال النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به وروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال (٣١٨) انهما لي عذبان وما عذابان في كثير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر

فكان يمشي بالتميمة فاخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين فغرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم فعلت هذا قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وذلك لبركة يده صلى الله عليه وسلم (وأما السعاية) إلى السلطان وإلى كل ذي قدرة ومكنة فهي المهلكة والمهلكة يجمع إلى الخصال المذمومة الغيبة والوهم النميمة والتغريب بالنفوس والأموال والقدر في المنازل والأحوال وتسلب العز يزعمه ويخط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكأن من دم أراقه حتى ساعوكم حريم استبيح بنميمة باع وكم من صفيين تقاطعا ومن متواصلين تباعدوا ومن محبين نباغضا ومن القين تناجرا ومن زوجين افترقا فليستق الله ربه رجل ساعدته الأيام وتراخت عنه الأقدار ان يصيح لساع أو يسمع لنمام وروى ابن قتيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخنة لا يدخلها ديوت والأقلاع فالديوت الذي يجمع بين النساء والرجال يسمى بذلك لأنه يذث بينهم

عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة وصفة قوى استخراج العناصر

بياض بالاصل

فتكون الغلبة هنا للتراب وطبعه البرودة واليبوسة طبع السواد فتحكم على المريض بالسوداء فاذا ألقت من حروف الاستنطاق كلاما على نسبة تقر يذبح مخرج موضع الوجع في الحلق ويوافق من الادوية حقيقة ومن الاشربة شراب الليمون هذا ماخرج من قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقر يبي مختصر وأما استخراج قوى العناصر من الاسماء العلمية فهو أن تسمى مثلا محمدا فتقسم احرفه مقطعة ثم تضع اسماء العناصر الاربعة على ترتيب الفلك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

ناري	ترابي	هوائي	مائي
ا ا ا	ب ب ب	ج ج ج ج ج	د د د د د
ه ه ه	و و و	ز ز ز ز ز	ح ح ح ح ح
ط ط ط	ي ي ي	ك ك ك ك ك	ل ل ل ل ل
م م م	ن ن ن	ص ص ص ص ص	ع ع ع ع ع
ف ف ف	ض ض ض	ق ق ق ق ق	ر ر ر ر ر
س س س	ت ت ت	ث ث ث ث ث	خ خ خ خ خ
ذ ذ ذ	ظ ظ ظ	غ غ غ غ غ	ش ش ش ش ش

فتجد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذکور عنصر الماء لان عدد حروفه عشرة وحرفاته ثمانية الغلبة على بقية عناصر الاسم المذکور وهكذا يفعل بجميع الاسماء حينئذ تضاف الى او تارفعها والوتر المنسوب للطالع في الزايرة اول وتر البيت المنسوب الى الكون وهيبت الذي جعله قاعدة لمرج الاستئله وهو هذا سؤال عظيم الخلق خرجت فطن اذن غرائب شك ضبطه الجدم مثلا وهو وتر مشهور لاستخراج الجهولات وعابيه كان يعتمد ابن الرقام واصحابه وهو عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذکور ان ترسمه مقطعة بمترجبا لقاط السؤال على قانون صنعة التكسير وعدة حروف هذا الوتر اضي البيت ثلاثة واربعون حرفا لان كل حرف مشدد من حرفين ثم تحذف ما تكرر وعند المخرج من الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفا يسا له وتثبت الفضلين سطران مترجبا بعضه ببعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السؤال حتى يتم الفضلان جميعا فتكون ثلاثة واربعين فتضيف اليها خمس فونات ليكون ثمانية واربعين ثم تدل بها الموازين الموسيقية ثم تضع الفضلة على ترتيبها فان كان عددا الحروف الخارجية بعد المخرج يوافق العدد الاصل قبل

الحذف

والقلاع الساعي الذي يقع في الناس عند الاحراء لانه يقصد الرجل المتمكن عند السلطان فلا يزال يقع فيه حتى يلقاه (وقال) كعب اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى صلى الله عليه وسلم فخرج موسى يستسقي بني اسرائيل فلم يستقوا ثم خرج ثانية فلم يستقوا ثم خرج الثالثة فادعى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيكم غما فقال يا رب من هو

حتى يخرج منه من بيننا فاحي الله تعالى اليه يا موسى أنها كم عن النعمة وآتيها فتابوا فاسل الله سبحانه عليهم الغيث * وما لقي أسقف
نجران عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة قال ومن قاتل الثلاثة قال الرجل يأتي الامام بالحديث
الكذب فيقبله الامام فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وامامه فقال عمر ما أراك (٣١٩) أبعدت ووجدنا في حكم القدماء أبغض

الناس الى الله الملائكة قال
الاصمعي هو الرجل يسعى
بالنميمة باخيه الى الامام
فيهلك نفسه وأخاه وامامه
(وذكرت السعاية) عند
المامون فقال لو لم يكن من
هم الا أنهم أصدق ما
يكونون أبغض ما يكون
عند الله تعالى * وقال حكيم
الفرس الصدق زين كل
أحد الا السعاية فان الساعي
أذم وأثم ما يكون اذا
صدق (وروي) ان رجلا
سعى بحار له عند الوليد بن
عبد الملك فقال له الوليد أما
انت فتخبرنا انك جارسوه
ان شئت ارسلنا معك فان
كنت صادقا أبغضناك وان
كنت كاذبا عاقبتك وان
شئت تاركنا قال تاركني
يا أمير المؤمنين قال قد
تاركنا * والله در الاسكندر
حين وشى اليه واش برجل
فقال له الاسكندر ان شئت
قبلك على صاحبك بشرط
ان تقبله عليك وان شئت
أقنناك قال أقنني قال قد
أقنناك كف عن الشر يكف
عنك الشر (ومن العجب)
الذي لا عجب بعده ان
الرجل يشهد عندك في
باقه بقل فلا تقبله حتى

المخلف فالعمل صحيح ثم عمر بما خرجت جذولا مريعا يكون آخر ما في السطر الاول اول ما في السطر الثاني
وعلى هذا التسق حتى يعود السطر الاول بعينه وتنو الى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم يخرج وتر كل
حرف كما تقدم وتضاهيه مقابل الحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية لتعرف قوتها
الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية وأسسها الاصلية من الجدول الموضوع لذلك وصفة
استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول ما طبيعته وطبيعته البت الذي حل
فيه فان اتفقت فحسن والا فاستخرج بين الحرفين نسبة ويتبع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية
وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوائمه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه
في أسوس او تاد الفلك الاربعة كما تقدم واحذر ما يلي الا وتاد وكذلك السواقط لان نسبتها مضطربة وهذا
الذي يخرج اليك هو اول مراتب السريان ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات ينقي اس
عالم الخلق بعد عروضة لادد الكونية فتحمل عليه بعض المجردات من المواد وهي عناصر الامداد يخرج
أفق النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص
بعوالم الاكوان البسيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى
فتمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلية يبقى ثالث رتبة السريان
ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الاربعة ابد في رابع رتب السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في
الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى
العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى يخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات
في كتب ابن وحشية واليوناني وغيرهما وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن
وغيره من فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزيارج الحرفية والصناعة الالهية والذرات الفلسفية
والله الملهم به المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

٢٤ * (علم الكيمياء) *

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك
فيتصفون المكونات كلها بعد معرفة انزجتها وقواها العلم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من
الفضة لان الحيوانية كالاعظام والريش والبيض والعذرات فضة لا عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي
تخرج بها تلك المادة من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام الى أجزاءها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجد
الذائب منها بالكليس واماء الصلب بالغمر والصلابة وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات
كلها جسم طبيعي يسعونه الا كسير وانه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب او الفضة
بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحمي بالنار فيعود ذهب البريزا
ويكنون عن ذلك الا كسير اذا الغزوا اصطلاحاتهم بالروح ومن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح
هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقابل هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب
والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديما وحديثا ويرى الكلام فيها الى من ليس
من أهله وامام المدونين فيها جابر بن حبان حتى انهم يخصونها به فيسعونها علم جابر وله فيها سبع وعشرون رسالة

تسأل الناس عنه هل هو من أهل الثقة والعدالة والامانة واصيانه ثم يتم عندك بحديث فيه الهلاك وفساد الاحوال فتقبله * وقال يحيى
ابن زيد قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما ما سبقي السم اخبرني من سبقك فدمعت عيناه وقال أنا في آخر قدم من الدنيا وأول قدم من
الآخرة تأمرني ان أغفر * قال رجل للهدى عندي نصيحة يا أمير المؤمنين قال لمن نصيحتك هذه النائم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك

يا امير المؤمنين قال المهدي ليس الساعي باعظم عورة ولا اقبح حالا من قبل سعيته ولا تخلو من ان تكون حاسدة نعمة فلا نشفي التغيظا
 او عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس وقال ايها الناس لا ينضح لنا ناصح الا بما الله فيه رضا والمسلمين فيه صلاح (وروى)
 ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن (٣٢٠) سهل فوقع على ظهر كتابه نحن نرى قبول السعاية اشرف من السعاية لان السعاية دلالة

والقبول اجازة وليس من
 دل على شيء مكن قبل واجاز
 لان من فعل اشرف من قال
 (ويروى) ان رجلا رفع
 الى المنصور نصيحة فوقع على
 ظهرها هذه نصيحة لم يرد بها
 وجه الله تعالى ولا جواب
 عندنا من آثرنا على الله تعالى
 (وروى) ان رجلا قال
 للمؤمن يا امير المؤمنين الله
 الله في اصحاب الاخبار فانهم
 قوم ان اعطوا كذبوا وان
 حرموا كذبوا فان اعطوا
 حرموا وهم كاذبون وان
 حرموا ذموا وهم كاذبون
 فقال المؤمن لله درهم من كلمة
 ما اقصدها واين فضلها وامر
 ان تثبت في امور اصحاب
 الاخبار (وقال مروان بن
 زنباع) العيسى يابى
 عيسى احفظوا عني ثلاثا
 من نقل اليكم نقل عنكم
 واياكم والترويج في البيوتات
 السوء واستكثروا من
 الصديق ما استعظمتم
 واستقلوا من العدو ما
 استعظمتم فان استكثراه
 يمكن وقال بعض الحكماء
 احذروا اعداء العقول
 واصوص الموداة وهم
 السعاة والنمامون اذا سرق
 اللصوص المتاع سرقوا

كلها شبيهة بالالغاز وزعموا انه لا يفتح عقلها الا من احاط علما بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق
 المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسائل المجري طي من
 حكماء الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكمين وجعله قرينا للسكينة الاخرى في السحر والطائعات الذي
 سماه غاية الحكيم وزعم ان هاتين الصناعتين هما تنبئتان للحكمة وثمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما
 فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة اجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تأليفهم هي الغاية بتعذر
 فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز والالغاز ولا ين
 المغير في من أئمة هذا الشأن كلمات شريفة على حروف المعجم من ابدع ما يجي في الشعر ملحوظة كلها
 لغز الاحاجي والمعاينة فلا تسكاد تفهم وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التاكليف فيها وليس بصحيح لان
 الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف من خطا ما يذهبون اليه حتى ينتحلوه وربما نسبوا بعض المذاهب
 والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن العلوم البين ان خالد ابن الجبل
 العربي والبدواة اليه اقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية
 على معرفة طبائع المركبات وافرحتا وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم
 اللهم الا ان يكون خالد بن يزيد اخ من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فيمكن * وانا انقل لك هنا
 رسالة ابي بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلامهما من تليد مسلمة فيستدل من كلامه فيها على
 ما ذهب اليه في شأنها اذا عظيتم حقه من التأمل قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض
 والمقدمات التي لهذه الصناعة الذكرمة قد ذكرها الاولون واقتصر جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين
 المعادن وتخليق الاجار والجواهر وطباع البقاع والاما كن فنحننا اشتهاها من ذكرها وان كان ابي بن الت من
 هذه الصنعة ما يحتاج اليه فينبغي ان يعرفه فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم ان يعلموا اول ثلاث خصال اولها
 هل تكون والثانية من أي تكون والثالثة من أي كيف تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد
 ظفر بطوبه وبلغ نهايته من هذا العلم فأما البحث عن وجودها والاستدلال عن تسكونها فقد كفينا كه
 بما بعثنا به اليك من الاكسير واما من أي شيء تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه
 العمل وان كان العمل موجودا من كل شيء بالقوة لانها من الطبائع الاربع منها اثر كبت ابتداء واليها
 ترجع انتهاء وليكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل وذلك ان منها ما يمكن تفصيلها ومنها
 ما لا يمكن تفصيلها فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدبر وهي التي تخرج من القوة الى الفعل والتي يمكن
 تفصيلها لا تعالج ولا تدبر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن تفصيلها الا باستغراق بعض طبائعها في بعض
 وفضل قوة الكبير منها على الصغير فينبغي للوفيق الله ان تعرف اوفق الاجار المنفصلة التي لا يمكن فيها
 العمل وجنسه وقوته وعمله وما يدبر من الحيل والعقد والتقية والتكليس والتشفيف والتقليب فان من لم
 يعرف هذه الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينفع ولم يظفر بخير ابد او ينبغي لك ان تعلم هل يمكن ان
 يستعان عليه بغيره او يكتفى به وحده وهل هو واحد في الابداء او شاركه غيره فصار في التدبير واحدا
 فسمى حجرا وينبغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وازمانه وكيف تر كيب الروح فيه وادخال
 النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعدتر كيها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب لذلك

المودات وقال حكيم العرب اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عدلك فيقرقون
 بين قولك وفعلك (وفي المثل السائر) من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد يقطع الحجر فينبغي ويقطع اللحم بالسيف فيندمل والاسنان
 لا يندمل حرحه واحق الناس برعاية ما رحمته من هذه الخلال ونقلته من هذه الحكيمة واستودعته من هذه السير من آية الله سلطانا

وممكن له في الارض قدما فذو القدرة اذا اطاع الواشي هلك العالم (وكان) بعض الحكماء يقول من اراد ان يسلم من الاثم وينقي له الاخوان
فيجعل نفسه بينهم وبينهم قاضيا عدلا ويحكم بالعدل ولا يقبل احدا في احد ولا في نفسه الا بشهود وتعديل فان اقاد احبنا يقول اقوام
وابننا يقول آخرون فاصبحنا ناديين ومن لطيف حكمة الله تعالى في النسيمة (٣٢١) من شؤمها واستطارة شرورها

وعوم مضرتها في الوري
حكم يفسق النمام حتى لا
يقبل له قول فيستريح
الخافي من شره (وقال) ابن
عمر وقد الله الحاج ووفد
الشيطان قوم يرساهم
السلطان الى الناس
ويسألهم عن حالهم فيخبرونه
ان الناس راضون وليسوا
براضين واعلموا ان الله
تعالى خاف الانسان على
انحاء شتى لسانا ذكرها
الا ان اكثرها وطول
تبعها فخاف الله الحواس
الشريفة والاعضاء
النافعة النفيسة فمن
افضل ما ركب فيه اللسان
الذي هو آلة النطق
والبيان وبه فصل بينه
وبين البهايم ثم فضله على
سائر الحيوان وامتن عليه
في اول سورة الرحمن فقال
تعالى الرحمن علم القرآن
خاف الانسان علمه البيان
وخلق فيه أعضاء تدل
وتستبان وجعلها مجرى
للفصول الطعام والشراب
فمن يتبع سقطات الكلام
ويروي عشرات الانام التي
هي كالعو رات الواجب
سهرها ودفنها كان قد
استعمل اشرف الالات

فان هذا هو المطلوب فافهم واعلم ان الفلاسفة كما مدحت النفس وزعمت انها المدبرة للجسد والحاملة
له والدافعة عنه والفاعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وانما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات شبيهة بجسد
الانسان الذي تركب عليه على الغداء والعشاء وقوامه وتماها بالنفس الحية النورية التي بها يفعل العظام
والاشياء المتعاقبة التي لا يقدر عليها غير هاتين القوتين الحيتين التي فيها وانما انفع الانسان لاختلاف تركيب
طبائعه ولولا انطبقت طبائعه لسلمت من الاعراض والتضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولو كان
خالدا باقيا فسبحان مدبر الاشياء تعالى واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في
الابتداء فضية محتاجة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الجسد ان تستحيل الى ما منه تركبت
كما قلناه آتيا في الانسان لان طبائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بعضا وصارت شيئا واحدا شبيها بالنفس
في قوتها وفعلها وبالجملة في تركيبه ومجسده به بعد ان كانت طبائع مفردة باعياتها فبا عجايب
افاعيل الطبائع ان القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء وتركيبتها وتماها فلذلك قلت
قوى وضعيف وانما وقع التغير والقضاء في التركيب الاول للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق
وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام
دقيق المعنى لان الحكيم اراد بقوله حياة وبقاء خروجه من العدم الى الوجود لانه مادام على تركيبه الاول
فهو فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم القضاء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد التفصيل
والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة
لانه قد صار في الجسد منزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه لا وزن له فيه وسري ذلك ان شاء الله تعالى
وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وانما اريد بذلك
التشاكل في الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل باشياءها وكرت لك ذلك لتعلم ان العمل اوفق
وايسر من الطبائع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمانية وقد يتصور في العقل ان الاجزاء اقوى
واضبر على النار من الارواح كترى الذهب والحديد والنحاس اضبر على النار من الكبريت والزئبق
وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كانت ارواحا في بدنها فلما اصابها حر السكين قلبها اجسادا
لزجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها الا فراط غلظها وتلذذها فاذا افترطت النار عليها صيرتها ارواحا كما
كانت اول خلقها وان تلك الارواح اللطيفة اذا اصابتها النار ابلقت ولم تقدر على البقاء عليها فيذبحي لك ان
تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه اقول انما ابلقت تلك
الارواح لاشتعالها ولطافتها وانما اشتعلت لكثرة رطوبتها ولان النار اذا احست بالرطوبة تعلقت بها
لانها هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى ان تنفد وكذلك الاجساد اذا احست بوصول النار اليها
لقلتها تلذذها وغلظها وانما صارت تلك الاجساد لا تشتعل لانها مركبة من ارض وماء صابر على النار
فلطيفه متحد بكثيفه لطول الطبع اللين المارح للاشياء وذلك ان كل من لا شئ انما يتلذذ بالاشياء بالنار لفارقة
لطيفه من كثيفه ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والمواظفة فصارت تلك الانضمام والتداخل
مجاورة لا تمازجة فسهل بذلك افتراقهما كالماء والدين وما اشبههما وانما وصفت ذلك لتستدل به

(٤١ - ابن خلدون)

في اخص المستعملات فصارت كمن لمس بلسانه سواة اخيه وجعل
اكرم جوارحه لاجس اجناس المستعرضين ورضي ان يقع من الناس موقع الذباب من الطير يتبع ثقل الجسد ويتحامي صيحة وقد
كان له في نشر المحاسن شغل ولكن اهل كل ذي حال اولي بها وفي هذا سبق المثل ان لم تكن ملحا تصلح فلا تكن ذبا يا تقصد ومن لم يقدر

على جميع الفضائل فليكن هيبته ترك الرذائل واذا تباع الامام عورات الناس افسدهم (وروى) ان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالخروج يوما فسمع قوما من اصحابه يخمكون فامتنع من الخروج اليهم حذرا ان لا يفسد قلبه عليهم ولوعلم الذي يسمع اخبار الناس ما جنى على نفسه اعلم ان اكصم كان اهنأ (٣٢٢) لحيته وانتم لباله من سماع الاخبار يا واحد ما اذا عمل نقلة الاخبار جلا اليك الصدق

او الكذب فتكون في سماع الكذب عن قال الله تعالى فيه سماعون للكذب اكالون للسحت وتكون في سماع الصدق حسالا لهم خرج الصدق على الخلق معاديا لهم متبعا لغيره الخلق وخزانة لسلطانهم قد وعيت منهم ما يجب ستره وحفظت ما يجب سيانه ثم لا تستطيع النصفة من قائل لاني ان كنت ذا قدرة اهلك الرعية ثم لا تستطيع ان تهلك جميع الرعية وان كنت سوقة لم يشف غيظك ثم افسدت اخوانك وابغضت من يجب ان تحبه واحببت من يجب ان تبغضه ثم لا تزال تتحمل الحسائف وتريد الاحقاد والضغائن وترصد لكل قائل يوما يشفي صدرك فيه فساغني العاقل عن هذه البلية والله درع وبن العاص روى انه لا طاهر رجل يوما فقال له الرجل اما والله ان غشت لا تغرغ لك فقال له عمر وبن العاص الان وقعت في الشغل يا ابن أخي (الباب الثامن والخمسون في القصاص وحكمته)

على تركيب الطبائع وتقابلها فاذا علمت ذلك علمت شافيا فقد اخذت حظك منها وينبغي ان تعلم ان الانحلال التي هي طبائع هذه الصناعة موافقة بعضها لبعض مفصلة من جوهر واحد يجمعها انقام واحد بتدبير واحد لا يدخل عليه غريب في الجزء منه ولا في الكل كما قال الفيلسوف انك اذا حكمت تدبير الطبائع وتأليفها ولم تدخل عليها غريبا فقد راغ منها ووقع في الخطا * واعلم ان هذه الطبيعة واحدة لا غريب فيها فمن ادخل عليها غريبا فقد راغ منها ووقع في الخطا * واعلم ان هذه الطبيعة اذا دخل لها جسد من قرائنها على ما ينبغي في الحمل حتى يشا كلها في الرقة واللطافة انبسطت فيه وجرت معه حيثما جرى لان الاجساد مادامت غليظة حافية لا تنبسط ولا تتراوج وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فافهم هذا الله هذا القول واعلم هذا الله ان هذا الحمل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض وهو الذي يقليب الطبائع ويمسكها ويظهر لها الوانها وازهارها عجيبة وليس كل جسد يحل خلاف هذا وهو الحمل التام لانه يخالف للحياة وانما حله بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار حتى يزول عن الغلظ وتنقلب الطبائع عن حالها الى ما لها من انقلاب من اللطافة والغلظ فاذا بلغت الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنقد وكل عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خير فيه واعلم ان البارد من الطبائع هو يبس الاشياء ويعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها ويعقد يبسها وانما افردت الحروا البرد لانها قاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى انفعال كل واحد منهما الصاحبه تحدث الاجسام وتتمسكون وان كان الحرا كثر فعلا في ذلك من البرد لان البرد ليس له نقل الاشياء ولا تحركها والحار هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهو الحرارة لم يتم منها شيء ابدا كما انه اذا فرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم يبرد احرقتة واهلكته من اجل هذه العلة احتيج الى البارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار ولم يحذر الفلاسفة كثر شيء الا من النيران المحرقة وامرت بتطهير الطبائع والانقاس واخراج دنسها ورطوبتها ونقي آفاتھا واولساخها عنها على ذلك استقام رأيهم وتدبيرهم فانما عملهم انما هو مع النار اولا واليه يصير آخره فلذلك قالوا يا كم والنيران المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الاثام التي معها فتجمع على الجسد اذ فتن فتكون اسرع لهلا كذا وكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طبائعه واختلافه فيتمسك بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الا قوة واهلكته واعلم ان الحكمة كلها كذا كرت تردا الارواح على الاجساد مرارا ليكون الزم اليها واغوى على قتال النار اذا هي باشرتها عند اللفة اعني بذلك النار العنصرية فاعلمه ولتقل الان على الحجر الذي يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم انه في الحيوان ومنهم من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعدن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه الدعاوى ليست بناحجة الى استقصائهم ومناظرة اهلها عليهم لان الكلام يطول جدا وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطبائع موجودة في كل شيء فكذلك فتر يدان تعلم من أي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقص الى ما قاله الحراني ان الصبغ كله احدث صبغين اما صبغ جسد كالزعفران في الثوب الابيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منة نقض التركيب والصبغ الثاني تقليب الجوهر من جوهر نفسه الى جوهر غيره ولونه كتقليب الشجر بل التراب الى نفسه وتقلب الحيوان والنبات الى نفسه حتى يصير التراب نباتا والنبات

قال الله تعالى ولستم في القصاص حياة يا اولي الاباب يعني اذ علم القاتل والقاطع انه يقتص منه اجسم حيوانا ولم يقدم على الفعل فيكون في ذلك حياته وخياة النبي هم به (روى) ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يقضى بين الناس في الدماء روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده لحيته فليبتلها منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل

أن يؤخذ لا خيه من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سبائت أخيه فطرح عليه وهذا حديث صحيح زواده البخاري فان قيل يعارضه قوله تعالى ولا تزروا زرة وزر أخرى فكيف يؤخذ الظالم بدين ربه المظلوم قلنا معنى الآية لا يعاقب أحد بدين أحد ابتداء واما في مسئلة انظمة بقيت عنده وليس له وفاء بها فهو الذي اكتسب هذا الوزر (٣٢٣) وهو المعنى بقوله تعالى ولا يحمان أثقالهم

وأثقالهم وروى

أبو سعيد الخدري أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال

يخاض المؤمنون من النار

فيحسبون على قنطرة بين

الجنة والنار ليقتص لبعضهم

من بعض مظالم كانت بينهم

في الدنيا حتى اذا هذبوا

ونقوا أذن لهم في دخول

الجنة فوالذي نفسي بيده

لا أحدهم اهدي منزله في

الجنة منه بمنزله في الدنيا

وروى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال قبل موته

من كانت له عندى مظنة

فليات حتى أقصيه من

نفسى فقام سوار بن غزية

فقال يا رسول الله انك

ضربتني على بطني ليلة

العقبة فاجععتني فقال

النبي صلى الله عليه وسلم

دونك فاقصص فقال

يا رسول الله انك ضربتني

وأنا مكشوف البطن فكشف

النبي صلى الله عليه وسلم

بطنه فاذا هو كالعياطي

يعنى ثياب مصر فاكب

عليه يقبله فقال يا سوار

ما جئت على هذا فقال

يا رسول الله ذاك لقاء هؤلاء

المشركين ولا تدري فأردت

أن يكون آخر العهد بك

حيوانا ولا يكون الا بالروح المحي والكيان القاعل الذي له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لا بد ان يكون اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انه ما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وتمامهما فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكة فيه واما الحيوان فهو آخر الاسـتـحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدن يستحيل نباتا والنبات يستحيل حيوانا والحيوان لا يستحيل الى شئ هو الالف منه الا ان يعكس راجعا الى الغلظ وانه ايضا لا يوجد في العالم شئ يتعلق به الروح الحية غير الروح الالف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان الا بعشا كآله اياها فاما الروح التي في النبات فانها ليست برة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدور على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة الالف من الروح الكامنة كثيرا وذلك ان المتحركة لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا قبست بالروح الحية الا كالارض عند المساء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلا ولا يترك ما ينجش فيه عسرا واعلم ان الحيوان عند الحكماء ينقسم اقساما من الامهات التي هي الطبائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فاذلك قسمت الحكماء العناصر والمواليد اقساما مادية واقساما مية فجعلوا كل متحرك فاعلا حيا وكل ساكن مقعولا ميتا وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الدائمة وفي العقاقير المعدنية فسموا كل شئ يذوب في النار ويطير ويشتل حيوانا كان على خلاف ذلك سموه ميتا فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربعة احياء ومالم يتفصل سموه ميتا ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا الوفاق هذه الصناعة مما ينقص فصولا اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فيجنوا عن جنسه حتى عرفوه واخذوه ودبروه فكيف لهم منه الذي ارادوا وقد يتكف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخطها ثم تفصل بعد ذلك فاما النبات فسموه مائة فصل ببعض هذه الفصول مثل الاشـنـان واما المعادن ففيها اجساد واوراح وانقاس اذا خرجت ودبرت كان منها ماله تأثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتديره اسهل وايسر فينبغي لك ان تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان الحيوان ارفع المواليد وكذا ما تتركب منه فهو الالف منه كالنبات من الارض وانما كان النبات الالف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب له بذلك اللطافة والرقوة وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالحجة فانه ليس في الحيوان شئ ينقص طبائعه اربعة غير فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الا على جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعلمت جنسه وانا بين لك وجوه تدابير حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه (التدبير على بركة الله) خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانيق وفصل طبائعه الاربعة التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصبيغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في اناءه على حدة وخذ لها بطاسفل الاناء وهو التفل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وجفافه ويبضه تبيضا نوحكا وطير عنه فضول الرطوبات المستحقة فيه فانه يصير عند ذلك ماء ابيض لا غلظة فيه ولا وسخ

أن أقبل بطنك فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لعلمه أن الله تعالى

لا يدع القصاص في المظالم بين العباد لان الله تعالى أعذل من أن يدع مظلمة لا حيد عندني ولا غيره وفي الحديث يقول الله تعالى يوم

القيامة أنا ظالم ان فاني ظالم ظالم ويروي أن داود عليه السلام قدمه خضبه الى الله يوم القيامة فيقضيه عليه فيدفعه الى اوريا سلميا

ثم يستوفيه الله تعالى من أوزيا ثم يعرض أوزيا على ذلك الجنة وقال جيب دخل عثمان بن عفان رضي الله عنه فوجد غلامه يعاف ناقة له واذن علفها شي فأخذ بذاته فمركها ثم ندم فقال لعلها قد قصص مني فإني ألام فلم يزل به حتى قام فأخذ بذاته ثم قال يعرك وهو يقول شد شد حتى عرف عثمان (٣٢٤) انه قد بلغ منه ثم قال واهل القصاص الدنيا قبل قصاص الاخرة (روى) عون بن عبد

الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا خادما له فلم يجبه أو كان نائما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم لولا القصاص لأوجعتك ضربا وروى ابن وهب في موطنه عن ابن شهاب قال وقد أقاد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفان من أنفسهم ليس من بهم ولم يتعمدوا حية أو كانوا سلاطين ومن صحيح مسلم روى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار قال مالك وبلغني ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ولي الخ لافة ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولم هذا الأردن ثم اعلمهم

ولا تضاد ثم اعمد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها أيضا من السواد والتضاد وكر عليها الغسل والتصعيد حتى تطف وتترق وتصقو فاذافعات ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعقيد فاما التزويج فهو واختلاط اللطيف بالغليظ وأما التعقيد فهو التمشية والسحق حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئا واحدا لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امسك اللطيف وتقوى الروح على مقابلة النار وتصير عليها وتقوى النفس على الغوص في الاجساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع أجزائه ودخل في بعضها في بعض لتساكها فصار شيئا واحدا ووجب من ذلك أن يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والنبوت ما يعرض للجسد ووضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت بهما ودخلت فيهما بخدمة التدبير اختلطت أجزاؤه بجميع أجزائه الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئا واحدا لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلت طبائعه واتفقت أجزاؤه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول وألح عليه النار وأظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بهما منه هاهنا الاتحاد بالنفس غمازجة الماء طافان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصا وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا ألحمت عليه النار وأرادت تطهيره حبسه الجسد اليابس الممازج له في جوفه فنعته من الطيران فكان الجسد علة لامسك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصبغ والصبغ علة لظهور الدهن وأظهر الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه النصفية التي سألت عنها وهي التي سميت الحية كما بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج واعلم ان الحية كما لم تسعها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها اوله قد سألت مسئلة عن ذلك يوما وليس عنده غيري فقلت له أيها الحكميم الفاضل اخبرني لاي شيء سميت الحية كما مركب الحيوان بيضة اختيارا منهم لذلك أم لمعنى دجهاهم اليه فقال بل لمعنى غامض فقلت أيها الحكميم وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها وقرابتهما من المركب ففكر فيه فانه سيظهر لك معناه فبعثت بين يديه مقرا لا اقدر على الوصول الى معناه فلما رأى ما بي من الفكر وان نفسي قد مضت فيها اخذ بيضتي وهزني هزة خفيفة وقال لي يا أبا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كية الانوان عند امتزاج الطبائع وتأليفها فلما قال ذلك انجلت عني الظلمة واضاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه فتمضت شاكر الله عليه الى منزلي وأقمت على ذلك شبرا كلالا هندسا بما يبرهن به على صحة ما قاله مسئلة وأنا واضعه لك في هذا الكتاب مثال ذلك ان المركب اذا تم وكل كان نسبة ما فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطيفتان الاخرتان الارض والماء فأقول ان كل شيئين متناسبين على هذه الصفة فهما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل سطح البيضة هزوح فاذا أردنا ذلك فأننا أخذنا قل طبائع المركب وهي طبيعة الينوسة ونضيف اليها مثلهما من طبيعة الرطوبة ونديرهما حتى تنشف طبيعة الينوسة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في هذا الكلام رجزا وله كنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليه ما جيعا مثليهما من الروح وهو الماء فيكون الحية مع ستة

امثال

فسمعت عائشة فارتأت الى عمر فجاهد عمر فقال له اني قد ضربت رجلا وقد كنت معاني من هذا

ان اضرب فقال عمر كذلك الامام فقال فبنا المخرج قال ان تأتي الرجل فتسأله ان يجعلك في حل فاتباه فاستحلوا ذلك الا نار على ان الامير والمأمور في القصاص سواء اذ اجني أحدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زال تأمره عليه في ذلك المعنى وكان الامير في

ذلك المعنى كـ بعض المؤثر عليهم حتى يثبوا إلى السلطان الأعظم وكان عمر يقول إنما بعثت أمراي ليعلموا الناس دينهم ويقيموا دينهم فيهم ويعملوا فيهم ولم أبعثهم ليضر بواشئهم ويحقوا أشئهم فلهذا أمرهم فلا مرة عليه دوني حتى آخذ ذلك بحقه قال عمرو بن العاص لله يا أمير المؤمنين إن أدب رجل رجلا من رعيته أنك انتقصه منه فقال عمر (٣٢٥) كيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي

صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه (فأما القصاص بين البهائم) فاختلاف الناس في حشرها وفي جريان القصاص بينها فكان ابن عباس يقول حشرها موتها قال وحشر كل شئ الموت إلا الجن والانس فانها ما يوافقان يوم القيامة وقال معظم المفسرين إنها تحشر ويقص منها قال ابن جبيب تحشر البهائم وقال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب وقال أبو الحسن الأشعري لا تقطع بأعادة البهائم والجنان ومن لم تبلغه الدعوة ويجوز أن يعادوا ويدخلوا الجنة ويجوز أن لا يعادوا والدليل على ثبوت الأعادة في الجملة قوله تعالى وإذا الوحوش حشرت وقال تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أمم أمثالكم إلى إن قال ثم إلى ربهم يحشرون (وروي) مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء وقال أبو ذر انتطحت شاتان عند النبي

أمثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير من الامن طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك ثلاثة أجزاء فيكون الجميع تسعة أمثال اليوسفة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطية بسطح المركب طبيعتين فتجعل أولا الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء وهما ضلعا ح د و سطح ا ب ج د وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة الاذان هما الماء والهواء ضلعا ه ز و ف أقول إن سطح ا ب ج د يشبه سطح ه ز و ح طبيعة الهواء التي تسمى نفسا وكذلك يحس من سطح المركب والحكمة كما لم تسم شيئا باسم شئ إلا لشبهه به والكلمات التي سألت عن شرحها الأرض المقدسة وهي المنعقدة من الطبائع العلوية والسفلية والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار هباء ثم جرب بالزاج حتى صار نحاسيا والمغنيسيا جزم الذي تحمده فيه الأرواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تستجيب فيها الأرواح لتقابل عليها النار والقرقرة لون أحمر فإن يحثه الكيان والرصاص جمر له ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشابهة ومتجانسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة غير أنها أغلظ من الأولى ومركزها دون مركز الأولى والثالثة قوة أرضية حادة قابضة منعكسة إلى مركز الأرض لثقلها وهي المسكة الروحانية والنفسانية جميعا والمحيطية بهما وأما سائر الباقيات فبمتدعة ومختلعة الباسا على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها فهذا جميع ما سألتني عنه وقد بعثت به إليك مفسرا ويرجو بتوفيق الله أن تبلغ أمالك والسلام انتهى كلام ابن بشرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة الجرجي بطي شيخ الأندلس في علوم الكيمياء والسيمياء والسحر في القرن الثالث وما بعده وأنت ترى كيف صرف ألقاظهم كلها في الصناعة إلى الرز والافراز التي لا تسكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على أنها ليست بصناعة طبيعية * والذي يجب أن يعتد في أمر الكيمياء وهو الحق الذي يعصده الواقع أنها من جنس آثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة أما من نوع الكرامة أن كانت النفوس خيرة أو من نوع السحر أن كانت النفوس شريرة فاجرة فاما الكرامة فظاهرة وأما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تحقيقه يقلب الأعيان المادية بقوة السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كخلق بعض الحيوانات من مادة التراب والشجر والنبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الجبال والعصى وكما نقل عن سحرة السودان والمنود في قاصصة الجنوب والترك في قاصصة الشمال أنهم يسحرون الجوالا ومطار وغير ذلك * ولما كانت هذه تخليقا لاذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن كان قبلاهم من حكماء الأمم انما سخو هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغارحاذرا عليهم من انبكار الشرائع على السحر واتواعه لأن ذلك يرجع إلى الضئيلة بها كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتابه في هارثة الحكيم وسمى كتابه في السحر والطبائعات غاية الحكيم إشارة إلى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لأن الغاية أعلى من الرتبة فكان مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في القنين يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد دغلاط من يزعم أن مدارك هذا الأمر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

٢٥ * (فصل في ابطال الفلسفة وفساد من عملها) *

صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون فيما انتطحتا قلب لا أدري قال لكن الله يدري وسيفضي بينهما قال أبو ذر أقدر كذا النبي صلى الله عليه وسلم وما يقلب طائر جناحه في السماء إلا ذكرنا منه علما وقال أبو ذر إن الحجر ليس مثل عن نكبه أصبح الرجل وفي الحديث الصحيح في مسلم والبخاري وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتني أحدكم على رقبته بعيره رغاء على رقبته بقرة لها خوار على رقبته شاة تعمر

ثم بسطها بقاع قرقر فطوؤها باطلاقها وتنطعها بقرونها كالمات عليه أولا ما عادت آخرها والحديث وارد في مانع الزكاة وقال أبو الحسن
لا تجوز المقاصة بين البهائم لأنها غير مكافئة ولا يجري عليها القلم قال وما ورد في ذلك من الاخبار نحو قوله صلى الله عليه وسلم يقتص للجماء
من القرناء ويسئل العود لم خدش (٣٢٦) العود فعلى سبيل المثل والاختبار عن شدة التقص في الحساب وأنه لا بد أن يقتص للظالم

من الظالم وأبى ذلك الأستاذ
أبو اسحق الأسدي قرأني
قال في الجامع الجلي يجري
القصاص بينهما قال ويحتمل
أنها كانت تعقل هذا
التدريج في دار الدنيا فلماذا
أجرى فيه القصاص وكلام
الأستاذ له وجه في الصحة
لأن البهيمة تعرف النفع
والضرر فتقر من العصا
وتقبل إلى العلف وينزجر
النكاب إذا زجر ويستأسد
إذا أشلى والطير والوحش
يقرب من الجوارح استدفاعا
لشرها ثم إن لم يجزها
القتل في الدنيا فأنما رفع
القتل عنها في الأحكام
فإن قبل القصاص انتقام
وهو خرافة على جنابة وقعت
من مخالفة الأمر واليهائم
ليست بمكافئة ولا لها عقول
ولا جاءها رسول والعقول
عندكم لا يجب بها شيء على
العقلاء فضلا عن البهائم
وفي هذا انفصال عن قول
الأستاذ أنها كانت تعقل
هذا القدر إذا لا يجب بالعقل
شيء ويشهد له قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فالحجواب أنها ليست
مكافئة لأن من ضرورة
التكليف أن يعلم الرسول

هذا الفصل وما بعده مهم لأن هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب
أن يصمدع بشأنها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك أن قومًا من عقلاء النوع الانساني زعموا أن
الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك ذواته واحواله بأسبابها وعلاها بالانظار الفكرية والافيسة
العقلية وأن تصحیح العقائد الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل
وهو لا يسمعون فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فيبحثوا عن ذلك وشمر واليه
وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانونا بهتدى به العقل في نظره الى التمييز بين الحق والباطل
وسموه بالمنطق ومحصل ذلك أن النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل انما هو للذهن في المعاني المنتزعة
من الموجودات الشخصية فيجرد منها اول صورها منطبعة على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع
النقوش التي ترسمها في طين او شمع وهذه المجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك
المعاني الكمية اذا كانت مشتركة مع معاني اخرى وقد عرفت عنها في الذهن فتجرد منها معاني اخرى وهي
التي اشتركت بها ثم تجرد ثانيا ان شاركها غير وثالثها الى ان ينتهي التجريد الى المعاني البسيطة الكمية
المنطبعة على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس العالية وهذه
المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى
المعقولات الثواني فاذا انظر الفكر في هذه المعقولات المجردة وطالب تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من
اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصورا صحيحا
مطابقا اذا كان ذلك بقانون صحيح كما روضه تصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم
على صنف التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية
الطلب الادراك وانما التصديق وسيلة له وما سمعته في كتب المنطقيين من تقدم التصور وتوقف
التصديق عليه فبمعنى الشهور لا يعنى العلم التام وهذا مذهب كبيرهم ارسطو ثم يزعمون ان السعادة
في ادراك الموجودات كلها ما في الحس وما وراء الحس بهذا النظر وتلك البراهين وحاصل مداركهم في
الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي فرعوا عليه قضايا انظارهم انهم عثروا أولا على الجسم السفلي
بحكم الشهود والحس ثم ترقى ادراكهم قليلا فاشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والحس في الحيوانات
ثم أحسوا من قوى النفس سلطان العقل ووقف ادراكهم فقضوا على الجسم العالي السماوي بتخوم من
القضاء على أمر الذات الانسانية ووجب عندهم أن يكون للفكر نفس وعقل كما للانسان ثم انهم اذ ذلك
نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها اجل وواحد اول مفرد وهو العاشر ويزعمون أن السعادة
في ادراك الوجود على هذا النحو من القضاء مع تهذيب النفس وتخليتها بالقضايا وان ذلك ممكن للانسان
ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال يقتضي عقله ونظيره وميله الى الحمود ومنها واجتنابه
للذموم بقطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجملة بذلك هو الشقاء
السرمدى وهذا عنددهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة الى خبطهم في تفاصيل ذلك معروف من
كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها وادون علمها وسط رجحانها فيما بالاعتناء في هذه الاحقاب
هو ارسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه

والمرسل وذلك من خصائص العقلاء وهم الثقلان واذا لم تكن مكافئة كانت في المشيئة يفعل الله بها
ما اراد كما سطر عليهم في الدنيا الاستسغار والذبح فلا اعتراض عليه والله تعالى ان يفعل في ملكه ما اراد من تنعيم وتعذيب واذا جاز ان يؤلم
البهيمة ابتداء جاز ان يؤلمها بعد حياتها والا ينفذ على من يعلم الرسول والمرسل ثم ان لم يجز عليهم القلم في الدنيا فأنما رفع القلم عنها في

الاحكام وليكن فيما بينها تواخذا وقد روى البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم عليه السلام
فهذه نعمة الله عليه وقبيل على سوء صنيع جنسها وفيه دليل على ان الله تعالى ان يعذب عبدا لا بالاصبة وقد ضرب موسى عليه السلام الحجر
الذي مر بثوبه وبنوا اسرائيل ينظرون عورته ورواه البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣٢٧) قال فضر به بعصاه والحجر يفر

وموسى يقول ثوبى حجر
ثوبى حجر قال ابو هريرة
قوالذى نقى بسده انه
لنذب بالحجر ستة اوسمة
وروى في تفسير قوله
تعالى وقودها الناس
والحجارة انها الحجارة التى
تكسر الناس فى الدنيا
وروى ان المسيح عليه
السلام مر بجبل فسمع
انينه فسأله عن ذلك فقال
سمعت الله يقول وقودها
الناس والحجارة فلا أدري
أكون من تلك الحجارة
أم لا وقد تناول بعضهم قول
ابن عباس حشرها موتها
تحشر لضرب من القصاص
بينها ثم تصير ترابا قلت
وتأويل ابن عباس بعيد
لان الحشر الجمع وليس
فى موتها جمعها بل فيه
تفرقة وتفرقة اجزائها ثم
قد قال والى ربهم يحشرون
وانما يكون الحشر الى
الرب تعالى باعادة الحياة
اليها وجمعها الى ربها
*(الباب التاسع والخمسون
فى الفرج بعد الشدة)*
قال الله تعالى وهو الذى
ينزل الغيث من بعد
ما قنطوا وقال سبحانه أمن
يحيب المضطر اذا دعاه

المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قبله مهذبة وهو اول من رتب قانونها
واسستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن فى ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم فى الالهييات ثم
كان من بعده فى الاسلام من اخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رايه حذوا والنعل بالنعل الا فى القليل وذلك ان
كتب أولئك المتقدمين لما ترجعوا الخلفاء من بني العباس من اللسان اليونانى الى اللسان العربى تصفحها
كثير من أهل الملة وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من متخلى العلوم وجادلوا عنها واختلقوا فى مسائل من
تقاريعها وكان من أشهرهم ابو نصر الفارابى فى المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابو على بن سينا فى
المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصـ بهان وغيرهما * واعلم ان هذا الرأى الذى ذهبوا اليه
باطل بجميع وجوهه فاما سـ نادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفوا به فى الترقى الى
الواجب فهو قصور وعما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقا من ذلك ويخلق ما لا تعلمون
وكانهم فى اقتصارهم على اثبات العقل فقط والعقلية عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات
الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم فى حكمة الله شئ وأما البراهين
التي يزعمونها على مدعياتهم فى الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية
بالعرض اما ما كان منها فى الموجودات الجسمانية ويعمونه العلم الطبيعى فوجه قصوره ان المطابقة بين
تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقبسة كما فى زعمهم وبين ما فى الخارج غير يقينى لان تلك
احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجية متشخصة بموادها ولعل فى المواد ما يمنع من مطابقة
الذهنى السكلى للخارجى الشخصى اللهم الا ما يشهد له الحس من ذلك فدل عليه شهوده لا تلك البراهين فأن
اليقين الذى يحـ دونه فيها ودرعا يكون تصرف الذهن ايضا فى المعقولات الاول المطابقة للشخصيات
بالصور الخيالية لا فى المعقولات الثوابى التي تجر يدنا فى الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينيا بمثابة
المحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فانسـ لم حينئذ دعوا بهم
فى ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسـ لم لـ لا يعنيه فان مسائل الطبيعيات
لا تهمنا فى ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها * واما ما كان منها فى الموجودات التي وراء الحس وهي
الروحانيات ويعمونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة راسا ولا يمكن التوصل اليها ولا
البرهان عليها لان تجر يد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا
ونحن لا ندرك الذوات الروحانية حتى نجرد منها ما هيئات اخرى بحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتأتى لنا
برهان عليها ولا مدرك لنا فى اثبات وجودها على الجـ لـ الا ما نجـ له بين جنيننا من أمر النفس الانسانية
واحوال مداركها وخصوصا فى الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء ذلك من حقيقة ما وصفها فامر
غامض لا سـ بيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوهم حيث ذهبوا الى أن ما لا مادة له لا يمكن
البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات
لا يوصل فيها الى يقين وانما يقال فيها بالاحق والاولى يعنى الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب
على الظن فقط فيكفينا الظن الذى كان اولا فأي فائدة لهـ ذه العلوم والاشـ تغال بها ونحن انما عنايتنا
بتحصـ يل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان

ويشكف السوء وقال تعالى ان مع العسر يسرا وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر
ان يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود الذى بنفسه يده لو كان العسر فى حجر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين ومعنى هذا انه عرف
العسر ونكر اليسر ومن عادة العرب اذا ذكرت اسماء بعرفا ثم أعادته كذلك فهو وفاد انكرته ثم كررته كذلك فهم الاثنان وقال بعضهم

ان يكن نال الزمان يلاوى * عظمت عندهما الخطوب وجلت
فاصطبروا وانتظر بلوغ مداها * فالرزايا اذا توالبت تولت
وقال ابن عباس اول ما اتخذ النساء (٣٢٨) النطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطلقا لتعني اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وابنها

السعادة في ادراك الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول خريف مردود وتفسر به ان الانسان
مركب من جزأين احدهما جسماني والاخر روحاني متميز به ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة
به والمدرك فيهما واحد وهو الجزء الروحاني يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان
المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ
والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتبه به بحال الصبي في اول مداركه الجسمانية التي هي
بواسطة كيف يتمتع بما يبصره من الضوء وما يسمع من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي
لله نفس من ذاته بغير واسطة يكون اشدوا لذنا لنفس الروحانية اذا شغرت بادراكها الذي لها من ذاتها
بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف
حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة والمتصوفة كثير ما يعنون بحصول هذا الادراك للنفس
بحصول هذه البهجة فيحاولون بالرخصة امانة القوى الجسمانية ومداركها حتى الغمر من الدماغ ليحصل
لله نفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند ذوال الشواغب والموانع الجسمانية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر
عنها وهذا الذي زعموه بتقدير صحتها لم لهم وهو مع ذلك غير وافي بمقصودهم فاما قولهم ان البراهين
والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رأيت اذ البراهين والادلة من جملة
المدارك الجسمانية لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكريات اول شيء تعني به في تحصيل
هذا الادراك امانة هذه القوى الدماغية كلها لانها منازعة له قاذرة فيه وتجدد الماهية منهم عا كفاعلى
كتاب الشفاء والاشارات والتجاء وتلاخيص ابن رشد للفص من تأليف ارسطو وغيره يثبت اوراقها
ويتوثق من براهينها ويلتمس هذا القسم من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من الموانع عنها
ومستندهم في ذلك ما ينسبونه عن ارسطو والفارابي وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعّال
واتصل به في حياته فقد حصل حظه من هذه السعادة والعقل الفعّال عندهم عبارة عن اول رتبة ينكشف
عنها الحس من رتب الروحانيات ويحاولون الاتصال بالعقل الفعّال على الادراك العلي وقد رأيت فساد
وانما يعني ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة
وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس واما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة
الموعود بها فباطل ايضا لاننا نثبت لننا بما قرره ان وراء الحس مدركا آخر للنفس من غير واسطة وانها
تتمتع بادراكها ذلك ابتهاج شديد وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الاخرى ولا بدبل هي من جملة
الملاذات التي لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبنى
على ما كنا قد مناه في اصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في ان الوجود عند كل مدرك منحصري مداركه
وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من ان يحاط به او يستوفي ادراكه بحملته روحانيا وجسمانيا والذي
يحصل من جميع ما قررناه من مذاهيم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمانية ادراكها كذا تاليه
مختصا بنصف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس بعلم الادراك في الموجودات كلها اذ لم
تتصور وانها يتمتع بذلك التحرك من الادراك ابتهاج شديد كما يتمتع الصبي بمداركه الحسية في اول نشوئه
ومن انما بعد ذلك يادراك جميع الموجودات وبحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيئات

اسمعيل وهي ترضعه حتى
وضعها عند البيت عند
دوحة فوق زمزم في اعلى
المسجد وليس بمكة يومئذ
أحد وليس بها ماء فوضه
هنا لك ووضع عند هاجرا
فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم
قفا ابراهيم منطلقا فنبهته
أم اسمعيل فقالت يا ابراهيم
أين تذهب وتركنا بهذا
الوادي ليس فيه أنيس
ولا شيء فقالت ذلك حرارا
وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له آله أمرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضعنا
ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونها استقبل
البيت بوجهه ثم دعا بهؤلاء
الدعوات ورفع يديه فقال
رب اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم حتى يبلغ
يشكرون وجعلت أم
اسمعيل ترضع اسمعيل
وتشرب من ذلك الماء حتى
اذا تقدم في السقاء طشت
وعطش ابنها وجعلت
تنظر اليه يتلوى فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا أقرب
جبل في الارض يليها

فقامت عليه ثم استعجبت الوادي هل ترى أحد فلم تر أحد ثم سعت سعي الانسان المحمود حتى جاوزت الوادي
ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لم فلاذالك
سعى الناس بينهم فليسا اشرفت على المروة سمعت صوتا فقلت صوته تر يدنقها فسمعت ايضا فقالت قد سمعت ان كان عندك غوات

فاذا هي بالماء عنده موضع زفر فبحث بعقبه او قال يجنح حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقاتها وهو يغور بعدما تعرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زفرم أو قال لو لم تعرف لك انت عينا ما عينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله تعالى بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضع أهله (ومنها قصة الثلاثة الذين خلفوا) وذلك ان كعب بن مالك ومرتاة بن الربيع وهلال بن أمية تخلفوا عن غزوة تبوك ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلام الثلاثة قال كعب فاجتمعنا للناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لنا الأرض بما رحبت فها هي التي أعرف وكنيت أطوف في الأسواق وأشهد الصلاة مع المسلمين ولا يكافني أحدوا في رسول الله (٣٢٩) صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وأقول

في نفسي هل حرك شفتيه
بردا السلام أم لا حتى اذا
طال ذلك على من جفوة
الناس تسورت جدار حائط
أني قتادة وهو ابن غمي
وأحب الناس إلى فسلمت
عليه فوالله ما رد على السلام
فلما كنت نجسونا ليلة من
يوم نهي رسول الله عن
كلامنا صليت صلاة الفجر
وأنا على ظهر بيت من
بيوتنا فبينما أنا جالس
على الحلة التي ذكرها
الله تعالى قد ضاقت على
نفسي وضافت على الأرض
بما رحبت وما كان من
شيء أهم على من أن أموت
فلا يصلي على النبي أو
يموت النبي صلى الله عليه
وسلم فأكون من الناس
في تلك المنزلة لا يكافني
أحد ولا يصلي على فأترى
الله تو بتناقض صوت
صارخ من أعلى الجبل
يا كعب بن مالك ابشر
تفررت ساجدا لله تعالى

هيئات ما توعدون وأما قوله -م ان الانسان مسنقل بتأنيب نفسه وإصلاحها بما لبسته المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فامر بني على ان ابتهاج النفس بأدراكها الذي لها من ذاتها ومعين السعادة الموعود بها لان الرذائل عاقبة للنفس من تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملسكات الجسمانية والوانها وقد بينا ان اثر السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التأنيب الذي توصلوا الى معرفته إنما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقاييس وقوانين وأما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امتثال ما امر به من الاعمال والاحلاق فامر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبى لذلك زعيمهم -م أبو علي بن سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما هنا ان المعاد الروحاني واحواله هو ما يتوصل اليه بالبراهين العقلية والمقاييس لانه على نسبة طبيعية محفوظة وتيرة واحدة فلنا في البراهين عليه سعة وأما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على نسبة واحدة وقد بسطته لنا الشريعة المحمدية فليكن نظرها وثر جوع في احواله اليها فهذا العلم كما رأيت غير واف بمقاصدهم التي حووموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس له فيما علمنا الاثرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة والحجاج لتحصيل ما كفة الجوده والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثيرا ما يستعملونها في علومهم الحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشر وطها على ما كفة الاتقان والصواب في الحجاج والاستدلالات لانها وان كانت غير وافية بمقاصدهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الانظار هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب اهل العلم وآرائهم وضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا جدهم من معاطبها وليكن نظر من ينظر فيها بعد الاطلاع على الشرعيات والاطلاع على التفسير والفقه ولا يكمن أحد عليها وهو خدعهم علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها والله الموفق للصواب والحق والمهادى اليه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

٢٦ (فصل في ابطال صناعة التجوم وضعف مداركها وفساد غايتها)

هذه الصناعة يزعم أصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجموعة فتكون لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة هو امر تقصر الاعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله اذا التجرب بة انما

(٤٢ - ابن خلدون)

وعرفت ان قد جاء الفرج فجعلت ثوبي على الصارخ بشراه ووالله ما أمالك غيره ما شئت النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وهو يبرق وجهه من السرور فقال أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك فقلت يا رسول الله ان من توبتي ان أنزع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك (وروي) ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم لما شب ودرج في وضع ربي فيه فلما جن عليه الليل رأى كوكبا يقال انه رأى الزهرة فقال هذا ربي فلما اقل قال لا احب الا فلما رأى القمر بازعا قال هذا ربي فلما اقل بعد طلوع الفجر قال اني لم يردني ربي لا كون من القوم الضالين فلما أصبح ورأى الشمس بازغة قال هذا ربي

هَذَا كَيْفَ فَلَمَّا أَفَاتَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَشِيعًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَحَاجَّةٌ قَوْمَهُ قَالَ إِنِّي خَاجِدٌ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ يَنْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَافَرَنِي شَيْءٌ أَوْ سَعَرَنِي كُلُّ شَيْءٍ عَمَلِيَ أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ قَالُوا يَا إِبْرَاهِيمُ أَمَا تُخَافُ مِنْ آلِهِمْ نَآئِلَانِ تَصِيبُكَ بِسُوءِهِمْ أَنْتَ سَابِقَتُهُمْ قَالُوا كَيْفَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ وَلَئِنْ خِيفُونَ أَنَا كَمَا تُشْرِكُونَ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَإِنَّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَكَانَ آذَرَ يَصْنَعُ أَصْنَامُهُمْ يَعْبُدُهَا قَوْمُهُ ثُمَّ يُعْطِيهَا إِبْرَاهِيمَ يَدِيهَا
فِي كُسْرَاهَا وَيَذْهَبُ بِهَا إِلَى نَهْرٍ لَهُمْ فَيُصْبِحُ بِهَا فِيهِ عَلَى رُؤُسِهِمْ وَيَقُولُ لَهَا أَشْرِي بِهَا وَأُظَاهِرُ الْقَوْمَ فِي فَسَادِ مَا هُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ شَافَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْلُغَ ذَلِكَ نَهْرُهُمْ وَقَالَ (٣٣٠) مَا بَدَأَ قَوْمَهُ أَنْ تَنْظُرَ نَظْرَةً فِي التَّجْوِمِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ يَعْنِي مِنَ الْغَيْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَصْنَامِهِمْ

فَقَضُوا أَنَّهُ مَطْعُونٌ وَكَانُوا
يَقْرُونَ مِنَ الطَّاعُونَ إِذَا
سَمِعُوا بِهِ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ
مَدِيرُ بَيْنِ فِرَاعٍ إِلَى آلِهِمْ
فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ قَدُوسُهُمْ
لَهُمَا طَعَامٌ وَشَرِبَانٌ فَقَالَ
تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَبْطِقُونَ
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ
وَكَسَرَهَا وَقَطَعَ أَيْدِيَهَا
وَأَرْجُلَهَا حَتَّى جَعَلَهَا جُذْأً
وَأَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا
وَعَدَّ إِلَى الْقَاسِ فَعَلَقَهُ بِدِ
الْهَمِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا
وَتَرَ كَهْفًا فَمَارَ بِهِ قَوْمُهُ
مَنْ هَيْدَهُمْ فَدَخَلُوا بَيْتَ
أَصْنَامِهِمْ فَلَمَّارُوا مَا صَنَعَ
بِهَارِعِهِمْ ذَلِكَ وَأَعْظَمُوه
وَقَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِنَا
أَنَّهُ لَمَنْ الظَّالِمِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ
سَمِعْنَا قَتْلَ يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ
إِبْرَاهِيمَ سَمِعْنَا هَيْدَهُمْ
وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَقَالَ تَمْرُودُ
فَأَتَوْا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ
لَعَنَهُمْ يَشْهَدُونَ قَتْلَنَا قَتْلَ
بِإِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم والظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن
فيحتاج تكرر الى امداد واحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم وديما ذهب ضعا من
الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحى وهو رأى فاضل وقد كفونا وثبته باطله ومن اوضح
الدلة فيه أن تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابعده الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار
عن الغيب الا أن يكون عن الله فكيف يدعون استنباطه بالصناعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق
وأما بطليموس ومن تبعه من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج
يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل النيران واثرها في العنصر يات ظاهرا لا يسع احدا
بحده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وانزجتها ونضج الثمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات
والماء وانضاج المواد المنعقنة وفواكه القنأ وسائر افعاله ثم قال ولنا فيه ما بهداهما من الكواكب
طريقان الاول التقليد لمن قبل ذلك عنه من أئمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية المدس
والتجربة بقياس كل واحد منها الى النيران الاعظم الذي عرفنا طبيعته واثره معرفة ظاهرة فنظروا هل يزيد
ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في الطبيعة او ينقص عنها فتعرف
مضادته ثم اذا عرفنا قواها مقردة عرفنا حركتها وذلك عند تناظرها باشكل التمثيل والترتيب وغيرهما
ومعرفة ذلك من قبل طبائع البروج بالقياس ايضا الى النيران الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي
مؤثرة في الله واهو ذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل من الله واهو يحصل من المولدات وتتخاق به
النطف والبرز فتصير حال البدن المتكون عنها والنفس المتعلقة به الفاضلة عايمه المكسبة له من
ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كفيات البزرة والنطفة كفيات الما يتولد عنه ما وينشأ
منه ما قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضا من القضاء الالهى يعنى القدر انما هو من
جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقضاء الالهى سابق على كل شيء هذا يحصل كلام بطليموس واصحابه وهو
منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن والظن
به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة والغاية على ما تبين في موضعه والقوى
النجومية على ما قررناه انما هي فاعلة فقط والجزء العنصرى هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي
الفاعل بجملة بل هناك قوى اخرى فاعلة معها في الجزء المادى مثل قوة التوليد والاب والنوع التى في
النطفة وقوى الخاصة التى تميز بها صنف صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كمالها
وحصل العلم لم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انه يشترط مع العلم بقوى

يا لهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا
 انكم انتم الظالمون قالوا اننا قد ظلمناهم بما نسبنا اليهم ثم قالوا وقد عرفوا انهم لا تضر ولا تنفع لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال افة تعبدون من
 دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولاة تعبدون من دون الله افلا تعقلون فقال له غرود حين سمع ذلك منه صف لنا الهك الذي
 تعبدون تدعو الى عبادته قال ابراهيم ان ربي الذي يصحي ويميت قال غرود انا احبي واميت قال كيف ذلك قال آخذ ربنا حين قد استوجبا
 القتل في حكمي فاقتل احدهما فاكون قد امته واهفوعن الآخر فاكون قد احبته فقال ابراهيم ان كنت صادقا فاحي الذي قتلت
 برزعتك واخرج روحا من جسده من غير ان تقبله ان كنت صادقا وان الله يأتي بالشعب من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك

ثم ردوا الى ابراهيم شيئا وامر به الى السجن فلبث فيه سبع سنين وجعل يذبح واهل السجن الى الله تعالى والى الاسلام حتى ظهر امره
وفشاواتبعه قوم كثير على دينه فله ارادوا ان يحرقوا ابراهيم واجتمع امرهم على ذلك بنوحيراطول جداره ستون ذرافا ووضعوه الى
سفع جبل منيف لا يرام ولا يرقا وباطوا الجدار فلا يمشي فيه احد الا رلق عنه واذن مؤذن غمر وذابها الناس احتطبوا النار ابراهيم ولم
يتخلفن عنها ذكرا ولا أنثى ولا حرو ولا عبيد ولا شريف ولا وضيع ومن تخلف عن ذلك الا في تلك النار فها هو في ذلك أربعين ليلة حتى
ان المرأة منهم تذكر ذلك على نفسها البث رجح غائبا ووافق عليها حتى اذا كمل ذلك قد فوافيه النار حتى انه كان يسمع وهج النار على
المسافة البعيدة فلما بلغ ذلك وضع ابراهيم في كفة المتجنيق قال وهب بن منبه فبلغني (٣٣١) ان السماء والارض والبحار وما

فيها اضجوا الى الله تعالى
ضجة واحدة قالوا يا ربنا
ليس في ارضك احد يعبدك
غيره فاذن لنا في نصرته
فاوحى الله تعالى اليهم ان
استغاث بشئ منكم
فانصروه واغثوه وان
دعاني فانا وليه وناصره فلما
وضعوه في كفة المتجنيق
وقد فوه قال حسبي الله ونعم
الوكيل اللهم انك تعلم
ايماني بك وعداوة قومي
فيلك فانصرني عليهم ونجني
من النار فاوحى الله تعالى
الى النار ان كوني بردا
وسلاما على ابراهيم
فاطاعت النار ربها ولم
يقبل سلاسلها من
شدة البرد وليت ابراهيم في
النار سبعة أيام وظن قومه
انه قد احترق ثم قال ثم ردوا
انظروا ماذا فعل ابراهيم
فاني رأيت الليلة في نومي ان
جدار هذا الحيز قد تهدم
وخرج ابراهيم يمشي قال
وذاب النحاس الذي سديه

النجوم وتأثيراتها فريد حدس وتخمين وحيتمة يحصل عنده الظن بوقوع الكائن والمحدس والتخمين
قوى للنظر في فكره وليس من علل الكائن ولا من أصول الصناعة فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت
ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل العلم بالقوى النجومية على سداده ولم تعترضه آفة ومذا معوز
لمساقية من معرفة حسابات الكواكب في سيرها لتعرف به أوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب
بقوة لا دليل عليه ومدرك بطليموس في اثبات القوى للكواكب الخمسة بقياسها الى الشمس مدرك
ضعيف لان قوة الشمس غالبية لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل أن يشعر بالزيادة فيها
او النقصان منها عند المقارنة كما قال وهذه كلها فادحة في تعريف الكائنات الواقعة في عالم العناصر بهذه
الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق
استدلال كبرائته واحتج له اهل علم الكلام بما هو غني عن البيان من ان اسناد الاسباب الى المسببات
مجهول السببية والعقل منهم على ما يقضي به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير فاعل استنادها على غير
صورة التأثير المتعارف والقدرة الالهية رابطة بينهما كاربطة جميع الكائنات علوا وسفلا سماءا واطرا
بردا لحوادث كلها الى قدرة الله تعالى ويرأى ما سوى ذلك والنبوات ايضا منكرة لشان النجوم وتأثيراتها
واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يخسفان لموت احد ولا يحياتهما وفي قوله
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب
وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب الحديث الصحيح فقد دبان لك بطلان هذه
الصناعة من طريق الشرع وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المضار في العمران
الانساني بما تبعث في عقائد العوام من الفساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحيان اتفاقا لا
يرجع الى تعليل ولا تحقيق فبلغ بذلك من لامعرفة له ويظن اطارا الصدق في سائر احكامها وليس
كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالقها ثم ما ينشأ عنها كثيرا في الدول من توقع القواطع وما يبعث عليه
ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمتر بصرين بالدولة الى القتل والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيرا فينبغي
ان تحظر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المضار في الدين والدول ولا يقدح في ذلك
كون وجودها طبيعيا للبشرية مقتضى مداركهم وعلومهم فالخير والشر طبعيتان وجودتان في العالم لا يمكن
تزويدهما وانما يتعلق التكليف بالاسباب خصوصها فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب
الشر والمضار هذا هو الواجب على من عرف مفسد هذا العلم ومضاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة
في نفسها فلا يمكن احدا من اهل الملة تحصيل علمها ولا ما كتم ابل ان نظرها فانظر وظن الا حاطة بها فهو في

باب الحيز واحترق الجدار فصار رمادا فاطلعوا الى ابراهيم فرأوه صحيحا سليما وخرج الى الناس ينظرون اليه على تلك الحال فلما رأوه
خرج يمشي حتى قعد الى أمه وهي في الجمع وأقبلت سارة وكانت اول من آمن به حتى جلست اليه فقالت يا ابراهيم اني آمن بك بالذي جعل
النار بردا وسلاما قالت لها أم ابراهيم احذري القتل على نفسك فقالت اليك غني فاني لا أخاف شيئا وقد آمنتم بالله ابراهيم وحول ابراهيم
جميع من الناس لا يحصى عددهم يأثمرون ليعبدوا له عذابا فامرسل الله تعالى رجلا عاصفا فسقت رمادا تلك النار في وجوههم وعيونهم
ففرروا عنه وقام ابراهيم داعيا الى الله تعالى ومذكرا به وقال مجاهد وقتادة وغيرهما ان نبي الله سليمان بن داود عليه السلام انطلق الى
الحمام ومعه جني يقال له صخر ولم يكن سليمان عليه السلام يدخل الحمام فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فالتقاء في الحمام

فالتقمة سمكة وترغ ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان فخاف فجلس على كرسيه وسلط على جميع ملك سليمان غير نسائه
فجعل يقضي بين الناس والناس يشكرون قضايه حتى قالوا لقد فتى نبي الله سليمان وهكث على ذلك أربعين يوماً ثم أقبل في حالته تلك
وهو جائع نائح حتى انتهى إلى صيادين في البحر فاستطعم أحدهم من صيده وقال له أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضر به بعضاً فشح وجهه
فجعل يغسل دمه على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم على ضر به آياه ثم أعطوا سليمان سمكتين مما قد تغير عندهم وتين ولم يشغله
ما كان فيه من الضرب عن أن يقوم إلى شاطئ البحر فشق بطونهم وأغسلهم فوجد خاتمه في بطن أحدهما فاحذذه فلبسه فرد الله عليه
بهاءه ومداكه وجاءت الطير (٣٣٢) فخامت عليه فعرف القوم أنه سليمان فجاءوا يعترفون إليه (وروى) وهب بن منبه

أن الله تعالى وهب لأبراهيم
اسحق فلما كان ابن سبع
سنين أوحى الله تعالى إلى
أبراهيم أن يذبحه وأن
يجعله قرباناً فآثرت أبراهيم
ذلك عن اسحق وأمه
وجميع الناس وأسره إلى
خليل له يقال له العازر
وكان أول من آمن به من
قومه يوم أحرق فقال له
أن الله سبحانه رفع اسمك في
الملا الأعلى على جميع
أهل البلاء حتى كنت
أرفعهم بيلة ليرفعك الله
بقدر ذلك في المنازل
والفضائل وقد علمت أن
الله تعالى لم يبتلك بذلك
لهفتتك ولا لفضلك فلا
يسوأن بالله ظنك وأعوذ
بالله أن يكون ذلك حتماً
منى على الله تعالى أو سخطاً
بحكمه الذي حكم على عباده
ولكن هذا حسن الظن بالله
فإن همز ربك على ذلك
فكن عند حسن علمه بك
ولا حول ولا قوة إلا بالله

غاية القصور في نفس الامرفان الشريعة لما حظرت النظر فيما قد الاجتماع من اهل الله - مران لقرانتها
والتخليق لتعليمها وصار المولع بها من الناس وهم الاقل وأقل من الاقل انما يطالع كتبها ومقالاتها في
كسر بيته مستتر من الناس وتحت ربة الجهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعه واعتباطها على الفهم
فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي هم نفعه ديناً وديناً وسهات ما خذ من الكتاب
والسنة وعكف الجهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتجميع وطول المداينة وكثرة المجالس
وتعدد ما انما يحذف فيه الواحد بعد الواحد في الاغصار والاجيال فكيف يعلم مهجور الشريعة مضروب
دونه سد الحظر والتحرير من كموم عن الجهور وصعب المأخذ محتاج بعد الممارسة والتحصيل لا صولة
وفروعه إلى مزيد حدس وتخمين يكتنفان به من الناظرين التحصيل والمحقق فيه مع هذه كلها ومدعى
ذلك من الناس مردود على عقبه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة جلته فاعتبر ذلك
يثبت لك صحة ما ذهبنا اليه والله أعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احداً * وما وقع في هذا المعنى لبعض
اصحابنا من اهل العصر عند ما غلب العرب مساكر الساطان أبي الحسن وحاصروه بالقيروان وكثر
ارجاف الفريقين الاولياء والاعداء وقال في ذلك أبو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس
استغفر الله كل حين * قد ذهب العيش والهناء * أصبح في تونس وأمسى * والصبح لله والمساء
الخوف والجوع والمنايا * يحدثها المرح والوباء * والناس في مريه وحرب * وما عسى ينفع المرء
فاجدي ترى عليا * حل به الهلك والتواء * وآخر قال سوف يأتي * به اليكم صبار خاء
والله من فوق ذا وهذا * يقضى لعبديه ما يشاء * ياراصد الختس الجوارى * ما فعلت هذه السماء
مطلعوننا وقد زعمتم * أنكم اليوم أملياء * من خميس على خميس * وجاءت وأرباء
ونصف شهر وعشر ثمان * وثالث ضمها القضاء * ولا ترى غير زور قول * أذاك جهل أم ازدراء
انا إلى الله قد علمنا * ان ليس يستدفع القضاء * رضيت بالله إلى الها * حسبكم البدر أود كاه
ما هذه الانجم السواري * الامجاد يد أواماء * يقضى عليهم وليس تقضى * وما لها في الوري اقتضاء
ضلت عقول ترى قديما * ما شأنه الجرم والقناء * وحكمت في الوجود مطبعا * يحدثه الماء والهواء
لم تر حـ... لوا ازاء مر * تغذوه وترتبه وماء * الله ربى ولست أدري * ما الجهور الفردوا الخلاء
ولا الهول التي تنادى * مالي عن صورة عراء * ولا وجود ولا انعدام * ولا ثبوت ولا انتفاء
ولست أدري ما الكسب الا * ما جلب البيع والشراء * وانما مذهبي وديني * ما كان والناس اولياء
اذلا فصول ولا اصول * ولا جدال ولا ارتباء * ما تباع الصدور واقفيننا * يا حبذا كان الاقفاء

العلي العظيم فتعزى ابراهيم عليه السلام بقوله واسند له رأيه وبصيرته وانطلق باسمحق فلما صعد الجبل
ومعه السكين والجبل وأداة القربان فقال له اسحق يا أبت أرى معك أداة القربان ولا أرى قرباناً قال ابراهيم يا بني القربان بعين ربك
ينظر اليه وان شاء رحم أباك فلم يقطن اسحق فلما وافى رأس الجبل قال ابراهيم يا بني ان الله تعالى أمرني أن أذبحك وأجعلك قرباناً يرفعك
اليه ويتقبلك فانظر ماذا ترى فتهلل اسحق واستبشر فقال له والده لقد فجعك يا بني بأمر ما فجع به والدوله واني لا أرى من سرورك بذلك
وشكرك لربك ابراهيم ارجو به العافية والفرج فقال يا أبت لم يكن شيء من الدنيا أحب الي من البريك وبامى وقد حرمني ربي فاذا أردت
ذبحني فاشدد وثاقي فاني أخاف حين يفارقني عقلي وأجد ألم الحديد ان يتحرك مني عضو فيؤذيك وأنا أكره ان أختتم بذلك عملي فاذا

فرغت من امرى فاقري اى السلام وقل لمسا لا تجزى فقد اكرم الله لك ابنك في جناته فلما فرغ من وصيته عمدا ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه فقصبه بعمامة ما بين منكبيه الى الكعبين ثم كبه لوجهه وكره ان يستقبل وجهه كي لا تدركه له رحمة اذ هو تسخط فادخل يده من تحت حلقه فلما اراد ان يحز انقلب السكين فاوجس ابراهيم في نفسه ثم عاد الثانية فلما اراد ان يحز انقلب السكين ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا هو البلاء المبين وقد يناله بذيح عظيم هذا فداء ابنك قد فداه الله لك به فنظر ابراهيم خلفه فاذا بكبش قد لوى قرنه الايمن على ساق شجرة فوجه ابراهيم الى القبلة وقبلته يومئذ مكة فذبحه ابراهيم وقصبه اسحق فلما فرغ منه وضعه اقربا فرفعه الله اليه وقبله (قال أبوهريرة) ولما صار (٣٣٣) يوسف عليه السلام الى مصر واسترق

بعد الحيرة خرج خزا شديدا وجعل يبكي الليل والنهار على أبيه واخوته ووطنه وما ابتلى به من الرق فاحباله من اللبالي يدعو به تعالى وكان من دعائه ان قال يا رب اخرجني من أحب البلاد الى وفرقت بيني وبين اخوتي وأبوي ووطني فاجعل لي في ذلك خيرا وفرجا وخرج من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وجب الى البلاد التي أنا فيها وحيبها الى كل من يدخلها وحبني الى أهلها وحبهم الى ولائتي حتى تجمع بيني وبين أبوي واخوتي في سر منك ونعمة وسرور تجمع لنا به خير الدنيا والاخرة انك سميع الدعاء فاني يوسف في نومتي فقبل له ان الله تعالى قد استجاب لك دعائك وأعطاك منك وورثك هذه البلاد وسلطانها وجمع اليك

كانوا كالمعلمون منهم * ولم يكن ذلك الهذاه * يا أشعري الزمان اني * أشعري الصيف والشتاء
أنا أجزى بالشر شرا * والخير عن مثله جزاء * واتى ان أكن مطيعا * فرب أعصى ولي رجاء
واتي تحت حكم بار * أطاعه العرش والثرى * ليس باستطارك ولا كن * اتاحه الحكم والقضاء
لو حدث الاشعري عن * له الى رايه انتماء * فقال اخبرهم باني * مما يهـ ولونه براء
٢٧ * (فصل في انكار عمرة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفاسد عن اتحالهها) *

اعلم ان كثير من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على اتحال هذه الصنائع ويرون انها احدى مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها يسر واسهل على مبتغيه فيرتكبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحـ كما وخسارة الاموال في التفققات وزيادة على النبل من غرضه والاعطاب آخرها اذا ظهر على خبيثة وهـ يحسبون انهم يحسنون صـ نعاوانا اطعمهم في ذلك رؤية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها الى بعض للسادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صـ يروون الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة ويحسبون انها من مكنات عالم الطبيعة ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لا اختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالحجر المسكوك هل هي العذرة والدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مساوى ذلك وجهه التدبير عندهم بعد تعين المادة ان تمهي بالقهر على حجر صلد امس وتسقى اثناء ما بها بالمال بعد ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن المطلوب ثم تجفف بالشمس من بعد السقي او تطبخ بالنار او تصعد او تسكس لاستخراج ماؤها او ترابها فاذا رضى بذلك كله من عـ لاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعتته حصل من ذلك كله تراب او مائع يسمونه الا كسير ويزعمون انه اذا اتى على الفضة الحماة بالنار عادت ذهباً او النحاس المحمي بالنار عادت فضة على حسب ما قصد به في عمله ويزعم المحققون منهم ان ذلك الا كسير مادة مركبة من العناصر الاربعة حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير فخرج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها وخراجها وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالخبرة للخبر تقلب الحين الى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانقشاش والمشااشة ليحسن هضمه في المعدة ويستعمل سريعا الى الغذاء وكذا كسير الذهب والفضة فيحصل فيه من المعادن يصرفه اليه ما يقلبه الى صورتها هذا يحصل زعمهم على الجملة فتعدهم عا كفن على هذا العلاج يتبعون الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامهم وقواعدهم من كتب لائمة الصناعات من قبلهم يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي في الاكثر شبه المعنى كما ليف جابر بن حبان في رسائله السبعين ومسلما

أبو بك وانك وأهل بيتك فطبت نفسا واعلم ان الله تعالى ان يخلف وعده وبدعاء يوسف ضارت مصر محبوبة يجمعها من دخلها فلا يكاد يخرج منها قال قتادة ما سكنها نبي قبله ولما جمع الله شمله وتسكملت النعمة عليه اشتاق الى لقائه به فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطرا السموات والارض أنت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين * ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد الى العراق ليطأ أهل السجود ويقسم الاموال ضيق على يزيد بن أبي مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم افریقیة فاستحق محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبي مسلم فاني به في شهر رمضان عند المغرب وفي يدي بن أبي مسلم فينقود عذب فقال له يزيد بن دنا منه محمد قال نعم قال اما والله لما سألت الله تعالى ان يمكثني منك بغير عهد ولا عقد

فقال محمد وأنا والله فطالما سألت الله أن يجيزني منك ويعدني فقال يز يد فوالله ما أجارك ولا أعاذك وإن سابتني ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته والله لا كانت هذه الحبة حتى أقتل فقام المؤذن الصلاة فوضع يز يد العنة ودوت قدم ليصلي وكان أهل أفر يقية قد اجتمعوا على قتله فلما دكم ضر به رجل على رأسه بعمود فقتله وقيل لمحمد بن يز يد أذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وأجبا الأسير سنة الله التي قد خلت في عباده طالع الحياة من شقار الموت وحضور الموت من معدن الحياة (ويروي) أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم فإرسل إلى قائد البحر وقال انقذ الآن مركبا إلى أفر يقية يأتوني بأخبارها فعمر القائد المركب وأرسله لمحينة فلما أصبحوا إذا بالمركب في موضعه (٣٣٤) لم يبرح فقال له الملك ليس قد فعلت ما أمرتك به قال نعم قد امتثلت أمرك وأنفذت

المركب فرجع بعد ساعة وسجدت مقدمة المركب فجاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرتك قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والبحارون يهذفون إذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماء نادى به مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين ونحن تحييه يا بليك يا بليك وقد فطنا المركب نحو الصوت فالتفتا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة فأخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفر يقية فغرقت سفينةنا منذ أيام ومازلت أسمع حتى وجدت الموت فلم أشعر إلا بالغيوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرق جبارا في قصره لغريقي في البحر حتى

المركب فرجع بعد ساعة وسجدت مقدمة المركب فجاء ومعه رجل فقال الملك ما منعك أن تذهب حيث أمرتك قال ذهبت بالمركب فبينما أنا في جوف الليل والبحارون يهذفون إذا أنا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته في اسماء نادى به مرارا يا بليك يا بليك وهو ينادي يا الله يا غياث المستغيثين ونحن تحييه يا بليك يا بليك وقد فطنا المركب نحو الصوت فالتفتا هذا الرجل غريبا في آخر رمق من الحياة فأخذناه من البحر وسألناه عن حاله فقال كنا مقلعين من أفر يقية فغرقت سفينةنا منذ أيام ومازلت أسمع حتى وجدت الموت فلم أشعر إلا بالغيوث من ناحيتكم فسبحان من أسهر سلطانا وأرق جبارا في قصره لغريقي في البحر حتى

استخرجهم من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لاله الا انت سبحانك وأخبرني رجل كان أمام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فزحف البنا في البحر سفن تقارب ثمانمائة سفينة وأرست في الساحل فرأينا أحرارهم ولا وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلجأ الناس اليه واستجمعوا حوله يتبركون به وينتظرون الفرج على يديه قال فنظر إلى السماء حينئذ وسجد وفرخديه بالأرض يقام ما يميننا وشمالنا قال فوالله ما ذهبت حتى هبت ريح مرقها كل ممزق فلم يجتمع منها اثنان (وأخبرني) أبو القاسم بن فاتك رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فطش الناس في مفازة تبوك ففقد المساء ولم يوجد الا عند صاحب لي جمال ففعل يبعه بالدنانير باربع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصالح عليه قطعة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتشفع

استخرجهم من تلك الظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لاله الا انت سبحانك وأخبرني رجل

كان أمام المسجد الجامع بالاسكندرية قال كنت بصقلية أيام فتن العدو فزحف البنا في البحر سفن تقارب ثمانمائة سفينة وأرست في

الساحل فرأينا أحرارهم ولا وفينا الشيخ الصالح العابد ابن المستطاري فلجأ الناس اليه واستجمعوا حوله يتبركون به وينتظرون الفرج على

يديه قال فنظر إلى السماء حينئذ وسجد وفرخديه بالأرض يقام ما يميننا وشمالنا قال فوالله ما ذهبت حتى هبت ريح مرقها كل ممزق فلم يجتمع

منها اثنان (وأخبرني) أبو القاسم بن فاتك رحمه الله قال كنت في طريق الحجاز فطش الناس في مفازة تبوك ففقد المساء ولم يوجد الا عند

صاحب لي جمال ففعل يبعه بالدنانير باربع الاثمان فجاء رجل كان موسوما بالصالح عليه قطعة يحمل ركوة ومعه شيء من دقيق فتشفع

في الى الجبال ليبيعه الماء بذلك الدقيق فكلمته فاني على ثم عاودته فاني قال فبسط الرجل النطع في الارض ونثر عليه الدقيق ثم رمى
 اسماء وقال الهى انا عبدك وهذا دقيقتك ولا امل غيرك وقد ابي ان يقبله ثم ضرب بيده في النطع وقال وعزتك لا برحت حتى اشرب فوالله
 ما تفرقنا حتى نشأ الصحاب فامطر للحين فشرب الماء ولم يرح فـ كان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعب اغبرذى طمر بن لا يؤبه
 له لو اقسم على الله لا يره (واخبرني) شيخ مسن عن كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له حريز قال اخبرني عبد الكافي الديباجي قال رايت
 بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي له وقد اسكت فلا يتكلم فدخل به الى الفقيه أبي بكر بن عبد الرحمن وقال له ان ابني هذا
 قد اسكت منذ ايام فلا يتكلم فادع الله ان يخرج ما نزل به قال فدعا الشيخ ساعة (٣٣٥) ثم مسح وجهه الصبي فاستفاق الصبي

فقال له قل لا اله الا الله فقال
 الصبي أشهد أن لا اله الا الله
 وأشهد أن محمدا رسول الله
 ثم التفت الى الرجل وقال
 اكتمها على الى الموت ثم
 التفت الى جاريته فقال
 اكتمى على هذا الى الموت
 وأنت حرة فلما كان يوم
 توفي الشيخ أبو بكر واجتمع
 الناس لمنازته وتكاثر
 الامم قام الرجل فاستنصت
 الناس فسكتوا فقال يا اهل
 القبر وان اسمعوا قصتي
 مع هذا الشيخ وذكر الحديث
 كما سقناه (وحدثني) هذا
 الشيخ قال نزل عندنا
 بالقيروان قصة لم يسمع في
 السالفين مثلها وذلك ان
 بعض التجار بن اصبج
 كبشاليذبحه فتخط بين
 يديه فافلت منه وذهب
 فقام التجار يطلبه وجعل
 يمشي الى أن دخل خربة
 فاذا فيها رجل مذبح يتخطط
 في دمه ففزع وخرج
 هاربا واذا صاحب الشرطة

والمتأخرين فلننقل مزاياهم في ذلك ثم نتلو بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الامر في نفسه منقول
 ان مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال الماد من السبعة المنطوقة وهي الذهب والفضة
 والرماض والقزدير والتحاس والحديد والخارصين هل هي مختلفات بالفصول وكلها انواع قائمة بانفسها
 او انها مختلفة بخواص من الكيفيات وهي كلها اصناف لنوع واحد فالذي ذهب اليه ابو نصر الفارابي
 وتابعه عليه حكماء الاندلس انها نوع واحد وان اختلافها انما هو بالكيفيات من الرطوبة واليبوسة
 واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع الواحد والذي
 ذهب اليه ابن سينا وتابعه عليه حكماء المشرق انها مختلفة بالفصول وانها انواع متباينة بكل واحد منها قائم
 بنفسه ومحقق بحقيقته له فصل وجنس شأن ساثر الانواع وبنى ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها
 بالنوع امكان انقلاب بعضها الى بعض لا يمكن تبدل الاعراض حينئذ وعلاجها بالصناعة فن هذا الوجه
 كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة ههنا لما أخذ وبنى ابو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع
 انكار هذه الصناعة واستحالة وجودها بناء على ان الفصل لا سبيل بالصناعة اليه وانما يخلفه خالق الاشياء
 ومقدرها هو والله عز وجل والفصول مجهولة الحقائق رأسا بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصناعة وعملها
 الطعرائي من اكابر اهل هذه الصناعة في هذا القول ورد عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل
 وابداعه وانما هو في اعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما
 يفيض النور على الاجسام بالصل والامهال ولا حاجة بنا في ذلك الى تصويره ومعرفة قال واذا كنا قد عثرنا
 على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل ليقص ولها مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة
 من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكوّن النحل اذا فقدت من عجاجيل البقر وتكوّن القصب
 من قرون ذوات الطائف وتصير هسكرا بحشوا القرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذا
 من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فتتخذ مادة تصنع فيها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول
 لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاول بالالعلاج الى ان يتم فيها الاسـ استعداد لقبول فصلها انتهى كلام
 الطعرائي بمعنى ما وهذا الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة مأخذ آخر
 يبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطعرائي ولا ابن سينا وذلك ان حاصل علاجهم
 انهم يعدون الوقوف على المادة المستعدة بالاسـ استعدادا لاول يجعلونها وضوعا ويحاذون في تدبيرها وعلاجها
 تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى احالته ذهبا وفضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمفعلة ليم في زمان
 أقصر لانه تبين في موضعه ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين أن الذهب انما يتم كونه

والرجال عندهم خبر القتل وجعلوا يطعمون خبر القتلى والمقتول فأصابوا بيده السكين وهو ملوث بالدم والرجل مقتول بالخربة
 فقبضوه وجعلوه الى السلطان فقال له أنت قتلت الرجل قال نعم قال فما زالوا يسـ تنطقونه وهو يعترف اعترافا لا اشكال فيه فأمر به
 السلطان لمقتل فاخرج للقتل واجتمع الامم ايصر واقتله فلما هو وابقتله اندفع رجل من الحلقة المجتمة عـين فقال لهم لا تقتلوه انا قاتل
 القتل فقبض وجل الى السلطان فاعترف وقال انا قتلت فقال له السلطان قد كنت معافي من هذا اجمالك على الاعتراف قال رايت هذا
 الرجل يقتل ظلمافكرت ان اتى الله تعالى بدم رجائين فأمر به السلطان فقتل ثم قالوا للرجل يا ايها الرجل ما دعاك الى الاعتراف بالقتل
 وانت بري فقال الرجل فسا حيايتي رجل مقتول بالخربة وأخذوني وأنا خارج من الخربة قويا بيدي السكين ملطخة بالدم فان أنكرت من

يقبلي وان اعتذرت من يعتذري فلي سبيله وانصرف مكرما (ولما وزع المالك) نظام الدين لسنجار المالك وكان القنصل المالك ابن عم يقال له شهاب المالك وكان يخاف منه على منزلته فقال للملك سنجان لا حياة لي معك الا ان تقتل ابن عمي شهاب المالك فاني سنجان فزال يراجعني الى ان امر به فحبس في بلدي يقال لها بيق وكان والي ذلك البلد يكرمه بجلالته وجلالة اهل بيته واخلى له دارا في القلعة مشرفة ثم جعل لفر المالك يفسد قلب سنجان ويحمله على قتل شهاب المالك الى ان ارسل سنجان الى واليه بقتل شهاب المالك فاستعظم الوالي قتله واخره اياما ثم لم يجد يدان قتله فعزم على قتله في يوم جمعة فبينما شهاب المالك يطلع من طاقات الدار اذا بقارس يركض فاجس في نفسه خيفة منه وقال هذا يريد ان يقتلي فوصل الفارس (٣٣٦) وقال مات نخر المالك فلي سبيل شهاب المالك ثم وزر سنجان فبحان الفاعل لما يريد

(أخبرني) أبو الفضل المبر بمصر قال كان بمصر ملوك بني جدان وكان الرئيس ناصر الدولة وكان يشكو وجع القولنج فأعيا الأطباء ولم يوجد له شفاء ثم ان السلطان دس على قتله فارصده رجل معه خنجر فلما جاء في بعض دهايز القصر وثب عليه الرجل وضرب به بالخنجر فخافت الضربة في أسفل خصره فأصاب طرف الخنجر المعى الذي هو القولنج فخرج ما فيه الخياط ثم عافاه الله تعالى فضع وبرئ كاحسن ما كان (ولما كنت بالاسكندرية) نزلت سفن العدو بساحل مدينة برق فأخذوا قوما من المسلمين وقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم فأخذ رجل منهم وشكاه من خلفه فلبسها هو السفينة عبد الله بعض الاملاج فرفسه وألقاه في البحر ثم طعمه برمح كان معه فلم يخطئ

في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتعرون به لاجهم ذلك حصول صورة مزاجية لتلك المادة تصيرها كالتجيرة فتعمل في الجسم المعالج الا فاعيل المطلوبة في حالته وذلك هو الاكسیر على ما تقدم واعلم ان كل متكون من المولدات العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربع على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متساوية في النسبة لمات امتزاجها فلا بد من الجزاء الغالب على الكل ولا بد في كل عتج من المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه المحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التدوين من طور الى طور حتى ينتهي الى غاية - وانظر شأن الانسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم التصوير ثم الجنين ثم المولود ثم الرضيع ثم ثم الى نهايته ونسب الاجزاء في كل طور مختلف في مقاديرها وكيفياتها والاول كان الطور بعينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مختلفة في الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ ألف سنة وثمانين وما يتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن ويحاذيه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة ابدان تصورها بقصد اليه بالصناعة في الامثال السائرة للحكام اول العمل آخر الفكرة وآخر الفكرة اول العمل فلا بد من تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف الحار والغريزي عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى المضاعفة ويقوم مقامه حتى يحاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن أو تعدل بعض المواد بصورة مزاجية تكون كصورة التجيرة للخنزير وتعمل في هذه المادة بالنسبة لقواها ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم البشرية قاصرة عن ذلك وانما حال من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصناعة بمثابة من يدعي بالصناعة تخليق انسان من المني ونحن اذا سلمنا له الاحاطة بأجزائه ونسبته واطواره وكيفية تخليقه في رجه وعلم ذلك علما محصلا بتقاصده حتى لا يشك منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان وأنى له ذلك ولتقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء وما يدعونه بهذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها الى ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وافعال وصورة مزاجية تعمل في الجسم فعلا طبيعيا فتصير به وتقلبه الى صورتها والفعل الصناعي مساوق بتصورات احوال الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها ومحاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصورا مقصدا لا واحدة بعد أخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم البشري عاجز عن الاحاطة بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا يحصل هذا البرهان

نصل الرمح جبل السكاف فقطعه وانحلت يد الرجل فسبح حتى لم يبق بالشاطئ سليما ووصل الى الاسكندرية في عافية (وحدثني) بعض الشاميين ان رجلا خبازا بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش قال فاشترى منه وجعل يأكل بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشيا عليه فنظروا فاذا هو ميت فحملوا بتر بصون به ويحملون له الاطباء فيلمسون دلائله وموضع الحياة منه فقطعوا بانه ميت فغسل وكفن وجعل الى الجبانة فبينما هم خارجون به من باب المدينة استقبلهم رجل طبيب يقال له البير وودي وكان طبيبا ماهرا اذا قابا للطب فسمع الناس يلهمجون بقصته فقال لهم خطوه حتى اراه قال فخطوه وجعل يقلبه وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ثم فتحه وسقاه شيا أو قال حقنه فاندفع ما هنالك يسيل واذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى

وهو

دكانه (وكان رجل) يمشي بين يديهما هو في الطريق اذا بدا رقد وقعت عليه فخرت كالجبل العظيم واذا في الحائط طاقة فإخطأت رأسه فصارت الدار كوما وخرج الرجل من الطاقة سلميا (وحدثني) أبو القاسم الحضرمي قال كنت باليمن في أرض الصليحي فوشى بي إلى السلطان فأمر بقتلي فأخرجت وقدمت للقتل وتركني السيف ثم قال لي مدر قبلك فرددت عنقي لقضاء الله تعالى ثم قال لي السيف اشتد فقلت دونك يا هذا فبينما نحن كذلك اذا بصالح من داخل القصر لا تقتلوه لا تقتلوه فخلوا سبيلي (وخرجت بقرطبة قصة غريبة) في أيام المنصور بن أبي عامر وذلك ان رجلا يعرف بقاسم بن محمد السنبسي شهد عليه بالزندقة فحبسه المنصور مدة مع جماعة من الاديان من وجوه قرطبة فمروا قون بالانهمالك والزندقة وكان ينادي عليهم في كل جمعة (٣٣٧) يوقفون اثر صلاة الجمعة بسباب الجامع

الاعظم من كانت عنده شهادة فيهم فليؤدها فثبت على قاسم عند القاضي سجل شهادات الشهود بأنواع منسكرة تتضمن الزندقة والكفر فطلعوا إلى القصر وعقدوا مجلسا عظيما واستشير الفقهاء فيه فأوجبوا قتله فاستحضر قاسم فحضر وحضر أبوه وحضر ابنان صغيران لقاسم وابسوا ثياب الحداد وجل أبوه معه نعتا وجالين وجعل أبوه والصبيان يبكون على باب القصر واحضر لضرب عنقه سيف يعرف بابن الجندى ودفعته إليه أسياف من القصر فجعل يروزها ويلبس شقارها وأبوه وابناه ينظران وحضر الفقيه أبو عمر والمكودي الاشبيلي على كره منه وكان يأتي الحضور فاستفتوه فقال باهؤلاء ان الدماء لا تسفل إلا بالحق الواضح دون الشبه

وهو أوثق ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رأيت ولا من الطبيعة انما هو من تعذر الاطاعة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا عزل عن ذلك وله وجه آخر في الاستحالة من جهة غايته وذلك أن حكمة الله في الحجر بن وندور هما أنهما ما قيم لمكاسب الناس ومثولاتهم فلو حصل عليهم ما بالصفة لبطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودهما حتى لا يحصل احدهما من اقتنائهما على شيء وله وجه آخر من الاستحالة أيضا وهو أن الطبيعة لا تترك أقرب الطرق في أفعالها وترتكب الأعوص والابعد فلو كان هذا الطريق الصناعي الذي يزعمون أنه صحيح وأنه أقرب من طريق الطبيعة في معدنها واقل زمانا لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته في كون الفضة والذهب وتخليقهما وأما تشبيه الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لا مثاله في الطبيعة كالعقرب والنحل والحية وتخليقها فأمر صحيح في هذه أدى إليه العثور كما زعم وأما الكيمياء فلم ينقل عن احدهما من أهل العلم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال متحلبوها يخطبون فيها خطب عشواء إلى هلم جرا ولا يظفرون إلا بالكلمات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه وتنوّل في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن ينتشروا يبلغ الينا وإلى غيرنا وأما قولهم ان الاكسير بمثابة الخمرة وأنه مركب يحيل ما يحصل فيه ويقلبه إلى ذلك فاعلم ان الخمرة انما تغلب العجين وتعدله لضم وهو فساد والفساد في المواد سهل يقع بيسر شيء من الأفعال والطبائع والمطلوب بالا كسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى فهو تكوين وصالح والتكوين أصعب من الفساد فلا يقاس الا كسير بالخمرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان وضع وجودها كما تزعم الكيماء المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن أحمد الجعفي وأمثالهم فليست من باب الصنائع الطبيعية ولا تتم بالرصد صناعي وليس كلامهم فيها من منحنى الطبيعيات انما هو من منحنى كلامهم في الامور السخرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلاج وغيره وقد ذكر مسئلة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الكيمياء من هذا المنحنى وهذا كلام جابر في رسالته ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه وبالجملة فأمر ما عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدبر ما منه الخشب والحيوان في يوم اوشه هر خشب اوجيو انا في ما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدبر ذهب من مادة الذهب في يوم ولا شهرو ولا يتغير طريق عاداته الا برفادع وراء عالم الطبائع وعمل الصنائع فكذلك من طلب الكيمياء ما لم يصنع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير المقيم لان نبلها ان كان صحيحا فهو واقع وراء الطبائع والصنائع فهو كالشيء على المساماة نطاء الهواء والنقود في كتائف الاجساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة للمادة او مثل

(٤٣ - ابن خلدون) احسبوا ان السنبسي فروجا بما اذا تبحر عنه فقال القاضي ابن الشرف في ما ثبت عندي وأمعنت النظر فيه قال الفقيه أوقفني عليه فاحذ السجل وتظرفيه فقال أخبرني بمن قتلته من هؤلاء المشهود قال بهذا وهذا حتى عد خمسة قال الفقيه فيهم خمسة ثم قتلته قال نعم قال فلوشهد منهم اثنان خاصة كنت تقتله قال لا انا قويت بعضهم بعضا وزكي أكثرهم عندي فالتفت الفقيه إلى الفقهاء المشاورين فقالوا يا هؤلاء بالدعائم يقتل المسلمون عندهم ويسفل دماؤهم فاستأري قتله ولا أشير به فرجع الفقهاء إلى قوله ولم يروا عليه شيئا بعدما افتروا بقتله منذ سنة أشهر فاتفق الجمع وشيم السيف وطار البشير إلى ابن أبي عامر فأخبره بالمجلس فقال ابن أبي عامر مضيتم تقتلون ابن السنبسي فدفعتم القاضي قد اجتهدنا للدين ولا قاتل ما وجل فحبس أياما ثم أطلق فكان ابن ذكوان الفقيه يقول للقاضي في مثل هذا قال

القائل اذا سئل بم عرفت الله قال بتقصه عزائي ومعنى الدعاء على لسان الفقيه هم الشهود الذين لو انقروا منهم اثنان لم يثبت الحكم ولا قبلا فيه فاذا كثروا قوتى بعضهم بضاف لا يثبت الحكم بهم (وفي تقييد هذا ما حدثنى القاضي) ابومروان الداني بطرطوشة وقد ولي قضاءها فتذاكرنا يوما فقال نزلت قافلة بقرية خربة من أعمال دانية فأروا الى دار خراب هناك ليستكنوا من الرياح والامطار واسـتوقدوا نارهم وسووا معيشتهم وقرب تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع فقال رجل منهم لاهل القافلة يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا تدخلوا هذه البقعة فابوا الادخول لها وبات الرجل منتبذا خارجا عنهم لم يقرب ذلك المكان ثم أصبحوا في عافية وجعلوا دوابهم في بيوتهم فبينما هم كذلك اذ دخل الرجل الخربة (٣٣٨) ليستوقد ببقية النار فخر عليه الحائط فمات مكانه (و بلغني) عن بعض الفقهاء ان جيشا

من الحموش كان بصقلية ناهضا من مكان الى مكان فمعدوا ساعة لبعض شأنهم فاذا عقر ب يدي فضر به بعض الاجناد مقرعة كانت معه ثم رفع المقرعة الى نحو عنقه فاذا باله عقر ب قد تشبث باهداب المقرعة وهو لا يشعر فادغته في عنقه فقتل مكنه (واخبرني القاضي) ابو الوليد الباجي عن ابي ذر قال كنت اقرا على الشيخ ابي حنيفة عن ابن ابي عمير عن احمد بن شاهين ببغداد جزءا من الحديث في حاثوت رجل يبيع العطر فباع رجل طواف بطبق يحمله في يده وأعطاه عشرة دراهم وقال له ادفع الى أشياء مما ادا من العطر فاخذها في طبقه ومشي فسقط الطبق من يده وتفرق جميع ما كان فيه فبكي الطواف وخرج حتى رجماه فقال ابو حنيفة لصاحب الحاثوت لعلك تحب اننا بعض هذه الاسباب

تخليق الطيور ونحوها من معجزات الانبياء قال تعالى واذ خلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وعلى ذلك فسدل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها فربما أوتيت الصالح ووثقها غيره فتكون عنده معارف وربما أوتيت الصالح ولا يملك ايتاءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحريا فتدسبن انها تتقرب بآثار النفوس وخوارق العادة اما معجزة او كرامة او سحر او لهـ ذا كان كلام الحكماء كلهـم في الغايات لا ينظر بحقيقة الامن خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة وأمر وخرق العادة غير منحصرة ولا يقصد أحد الى تحصيلها والله بما يعملون محيط وأكثر ما يحمل على التماس هذه الصناعة واتخاذها هو كمالنا العجز عن الطرق الطبيعية للمعاش وابتغاؤه من غير وجوه الطبيعة كالزراعة والتجارة والصناعة فبستهـم العجز ابتغاؤه من هذه ويروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه غير طبيعية من الكيمياء وغيرها أو أكثر من يعني بذلك الفقراء من أهل العمران حتى في الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان ملحة الوزراء فكان من أهل الغنى والثروة والقارابي القائل بامكانها كان من أهل الفقر الذين يعوزهم أدنى بلغة من المعاش واسبابه وهذه ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها واتخاذها والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

٢٨ * (فصل في ان كثرة التالىف في العلوم عاتقة عن التحصيل) *

(اعلم) انه مما اضرب بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التالىف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها أو أكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد له ما يقع القصور ولا بددون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا وما كتب عليه من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس والاشعري وابن بشير والتبتيات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة القبروائية من القرطبية والبغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتاوى كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعجز ينقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلوم بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وما أخذه قريبا ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحوِيلها ويمثل ايضا علم العربية من كتاب سيمويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين

والبغداديين

قال نعم فترى وجع ما تجمع منها وجبر له ما نقص وأقبل الشيخ على الطواف يصبره ويقول له

لا تجزع فامر الدنيا أيسر من ذلك فقال الطواف أظن أيها الشيخ ان جري لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى متى كنت في القافلة الغلانية فضاء الى هميان فيه أربعة دنانير أو أربعة آلاف دينار الشك من أبي ذر ومعه افصوص قيمتها مثل ذلك فاجزعت لضياعها ولكن ولدي في هذه الليلة مولود فاحتجت في البيت الى ما تحتاج اليه النساء ولم يكن عندي غير هذه العشرة دراهم فاشفقت ان اشترى بها حوائج النساء فابقى بغير رأس مال ولا أقدر على التكسب فقلت اشترى بها شيئا وأطوف صدر نهاري فعمسى استفضل شيئا أسد به رمقي ويبقى رأس المال اتصرف فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت فقلت لا عندي مال أرجع به اليهم ولا ما اكتسب به وعلمت أنه لم يبق لي الا

القراره ثم وترتهم على هذه الحال يهلكون بعدى فهذا الذى أوجب جزى قال الشيخ أبوذر وكان رجل من الجند جالس على باب داره يستوعب الحديث فقال للشيخ أبى حفص أنا أريد أن تدخل معى وقام فظننا أنه يريد أن يعطيه شيئاً قال فدخلنا عليه فأذن لنا فقال الجندى للطواف عجبت من جرعك فأعاد عليه القصة فقال الجندى وكنت فى تلك العاقلة قال نعم وكان به من عظام الناس فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وماء علامة الهيمان وفى أى موضع سقط منك فوصف المكان والعلامة فقال له الجندى لو رأيتك كنت تعرفه قال نعم فخرج الجندى هيمان ووضع بين يديه فقال هذا هيمانى وعلامة صحته قولى إن فيه من الأحجار ما صفته كذا وكذا ففتح الهيمان فوجد الأحجار على ما ذكر فقال الجندى خذ مالك (٣٣٩) بارك الله فيه فقال الطواف هذه

الأحجار قيمتها مثل الدنانير
أولاً كثر فخذت الدنانير
فنفسي طيبة بذلك فقال
الجندى لا آخذ على أمانتى
شيئاً فدخل الطواف وهو
من الفقراء وخرج وهو من
الغنياء فبكى الجندى بكاء
شديداً وانتحب فقال له
أبو حفص علام تبكى وقد
أدى الله أمانتك وقد بذل
لك مالا كثيراً وان شئت
عرضنا عليه أن يعيده عليك
فقال ما أبكى لك وإنما
أبكى لأنى أعلم أنه قد حان
أجلى فإنه ما كان بقى أمل
أوله ولا أمانة أمانها الآن
يأتى الله بصاحب هذا
المال فيأخذها فلا قضى
الله تعالى ذلك بقضاه ولم
يبقى لى أمل علمت أنه
قد حان أجلى قال الشيخ أبو
ذر فأتقضى شهر حتى
توفى وصلينا عليه (قال
القاضى) وحدثني أبو القاسم
ابن الحسين بالموصل قال
لقد جرت ههنا فى هذا

والبنغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب فى ذلك وكيف يطالب به المتعلم ولم ينفذ عمره دون ولا يطمع أحد فى الغاية منه إلا فى القليل النادر مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم يحصل إلا لسيده و ابن جنى وأهل طبقتهم العظم ملكته وما احاط به من أصول ذلك الفن وتعارى به وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على أن الفضل ليس منحصراً فى المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا نادرون نوارد الوجود والافاظا هرا ان المتعلم لم ولو قطع عمره فى هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربىة مثلا الذى هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون فى المقصود الذى هو الثمرة ولكن الله يهدى من يشاء

٢٩ (فصل فى ان كثرة الاختصارات المؤلفة فى العلوم مخلة بالتعليم)

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والافتخار فى العلوم يولعون بها ويدقون منها برناجا مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسر على الفهم ورمسهم الى الكتب الأمهات المطولة فى الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقرر بها الحق كما فعله ابن الحاجب فى الفقه وأصول الفقه وابن مالك فى العربية والخوجي فى المنطق وأمثالهم وهو فساد فى التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدى بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتى ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم يتراحم المعاني هاها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لأن ألفاظ المختصرات تحدها لاجل ذلك صعوبة ويصعب فيقطع في فهمها حفظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الخاصة من التعليم فى تلك المختصرات إذا تم على سداده ولم تعقبه آفة فهي ملكة قاصرة عن الملكات التى تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع فى تلك من التكرار والاحالة المفيد من حصول الملكة النامية وإذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فأركبوه صعباً يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة وكنها ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له والله سبحانه وتعالى اعلم

٣٠ (فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إقامته)

(اعلم) ان تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً قليلاً قليلاً يلقى عليه

المسجد وهو هذه الدار والحانوت وأشار إليها قصة عجبية كان يسكن هذه الدار رجل من التجار من يسافر الى الكوفة فى تجارة الخبز فيبنيها هو يحمل الخبز فى خرجه على جماره وهو جميع ماله نزلت العاقلة فأراد أن يراه عن الجمار فقتل عليه فأمر أن يسلط عليه فأنزلته ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل لياً كل معه فأجابته وأكل معه ثم سأله عن أمره فأخبره أنه رجل خرج من الكوفة لأمراً عجزه دون زاد فقال له الرجل تكون معى وتعتنى على سقري ويكون طعامك عندي فقال الرجل انى حريص على خدمتك ومحتاج الى طعامك فصار معه فى طريقه فقدمه على أحسن حال قال فوصلنا كريت فنزلت الرفقة خارج المدينة ودخل الناس لقضاء حوائجهم فقال الرجل للخادم احفظ رحلتنا حتى ادخل واشترى حاجتنا ثم دخل وقضى حوائجها فإبطأ ههنا ثم خرج فلم يجد الرفقة ولا وجد صاحبه فظن أنه لما رحلت الرفقة

رجل معها فلم يزل يسعى حتى وصل الى الرفقة بعد الجهد فسألهم عن صاحبه فقالوا ما جاء معنا ولا رأيناها ولكنه ارتحل الاسباب على الحمار
ودخل على اثره وظنناك امرته بذلك فكر الرجل راجعاً الى تكرير وسأل عنه فلم يجد له اثر ولا سمع له خبراً فيش منه وسار الى الموصل
محبوب المال فوافاهم اراجاعاً عرياناً فقيراً مجهوداً فاستحي أن يدخل نهراً فيشمت العدو ويحزن الصديق فبقي حتى أمسى ثم دخل فدخل
باب الدار فقبل من هذا فقال فلان يعني نفسه فظاهر واسروراً عظيماً واجبة اليه وقالوا الحمد لله الذي جاء بك في هذا الوقت على ما نحن فيه من
الضرورة والحاجة والفاقة جملة جميع مالك وطال سفرك واحتياج أمالك وقد ولدت اليوم ولدًا والله ما وجدنا ما نشترى به شيئاً لنفسنا ولقد
كانت هذه الليلة طاوية على حالها (٣٤٠) فتخيل لنا في دقيق ودمن تسرح به فلا سراج عندنا فزاده ذلك غمًا وكرهًا ان يخبرهم بحاله

فيحزنهم وأخذوا على الزيت
وجرا باللدقيق وخرج الى
هذا الخانوت وكان فيه رجل
يسبع الدقيق والزيت
والعسل ونحوه وقد أغلق
دكانه وأطعمه صباحه ونام
فناداه فأجابه وعرفه وشكر
الله على سلامته فقال التاجر
لصاحب الخانوت اقدح
زناداً أذن لك الدراهم في
دقيق وزيت وعسل
اجتحت اليها الساعة وكره
ان يخبره بتأخير الثمن
فمنع منه فقدح البياض
الزناد واستصبح فقال له
التاجر زني من الدقيق
كذا ومن الزيت كذا ومن
العسل كذا ومن السم كذا
ومن الملح كذا وبينما هو
كذلك اذا كانت منه الفتاة
الى قعر الخانوت فرأى فيه
خرجته الذي هرب به صاحبه
فلم يملك ان وثب عليه
والترمه وألقى يده في أطواق
صاحب الخانوت وجذبه الى
نفسه وقال يا عدو الله ان

أول مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجال ويراعى في
ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك
العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية
فيرفعه في التلقين من تلك الرتبة الى أعلى منها ويستوفى الشرح والبيان ويخرج عن الاجال ويذكر له
ما هنالك من الخلاف وجهه الى أن ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكة ثم يرجع به وقد شد فلا يترك
هو بصا ولا مهمما ولا متعلقا الا وضحه وفحله مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته هذا وجه
التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما
يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدر كنا يحفظون طرق التعليم وافادته
ويحضرون المتعلم في اول تعلمه المسائل المقلدة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك
مرئاً على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه ربحي ذلك وتحصيله ويخطون عليه بما يلقون له من غايات القنون
في مبادئها وقبل أن يستعد لفهمها فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم لم أول
الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجال وبالامثال الحسية ثم لا يزال
الاستعداد ان يندرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب
الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا
القيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعد من الاستعداد له كل ذهنه عنها
وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتصادى في هجرانه وانما أتى
ذلك من سوء التعليم ولا ينبغي للعلم أن يز يد متعلمه على فهم كتابه الذي كتب على التعليم منه بحسب طاقته
وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان او متتهياً ولا يخط مسائل الكتاب بغير ما حتى يعيه من أوله الى آخره
ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان المتعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم
استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات
العلم واذا انحط عليه الامر عجز عن الفهم وأدركه السكال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم
والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي للاب أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد بدتفريق المجالس
وتقطيع ما بينها لانه ذريعة الى التسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض فيفسر حصول الملكة
بتفريقها واذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانية للذسيان كانت الملكة أيسر حصولاً
وأحكم ارتباطاً واقر بصبغة لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تنويسي الفعل تنويسي

مالي فقال له صاحب الخانوت مال يا فلان فوالله ما علمت متعباً ولا علمت جنيبت عليك ولا على سواك فها هذا قال خرجي فرلى الملكة
به خادم خدمتي بجميع مالي وبمحاربي قال مالي علم غير ان رجلاً ورد على بعد العشاء واشترى مني عشاء واستضافني فأضفته وجمعت هذا
الخرج في خانوتي وهذا الحمار في دار جارنا والرجل في المسجد بائث فقال له اجعل معي الخرج وانهمض الى الرجل فرفع الخرج معه وألقاه
على عاتقه ومشى معه الى المسجد فاذا الرجل نائم في المسجد فركضه برجله فقام الرجل مذعوراً فقال له مالك فقال له أين مالي يا خائن قال هو ذا
على منك والله ما تعادرت هذه ذرة قال فأين الحمار قال هو عند هذا الجاني معك فمنض الى داره فوجد متاعه سليماً واستخرج الحمار من الموضع
الذي كان فيه وسع على أهله وأخبرهم بقصته فزاد أهله فرحاً وتبركاً بذلك المولود ولمسا في موسى عليه السلام لصهره شعيب عليه

السلام الاجل الذي اجلاه لرعي غنم شعيب التي رعاها موسى عوضا عن مهر ابنته اخذ موسى عليه السلام زوجته وكر راجعا من مدين فلما وافى الوادي المقدس عند جانب الطور اجنهم الليل بظلمته فامسوا باثنتين فيسماهم كذلك اذ ضرب زوجته الطلق وكانت حاملا وليس عندهم ما يحتاج اليه النفساء من الغذاء والدواء وما يصلح به شأنهم فبقوا في ضيق من الحال وقلة من الحية له فخرج موسى عليه السلام يائسا وينظر يمينا وشمالا عسى فرج لما امسوا فيه من الضر را ذراعى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا على آتيكم منها يقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها اضيق ما يكون ذروا وارجعه قلبا وآيسه عن رفيق نودي من شاطئ الوادي الايمن يا موسى اني انا ربك وهكذا الطائف الحق سبحانه مع من سلم لامره ورجا فضله وتسكلم بالهدى والبشرى (٣٤١) يفتح الله فيه امله ويعطيه فوق

ما سأل هذا موسى عليه السلام خرج يقبس نارا نودي بالنبوة وعن هذا قال علماءنا ليس في خصال الخير وان جلت ولا في انواع الاعمال وان عظمت اعل من حسن الظن بالله تعالى ونظمه بعض الشعراء فقال

ايها العبد كن لما است

ترجو

من نجاح ارجى لما انت راج ان موسى مضى ليقتبس نارا من ضياء رآه والليل داج فأتى اهله وقد كام الله

وناجاه وهو خير مناج

وكذا الكرب كما اشتد بالهم

ددنت منه راحة الانقراج

(وروى) ان العدو نزل

بساحة افر بقة في عدد

كثير من الدرا كب فقني

ماؤهم وعطشوا فنفق

المسلمون لهم في خاق عظيم

من تلك السواحل

والحصون فنعوهم التزول

لاستقاء الماء وأرسلوا

الملكة الناشئة عنه والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخط على المتعلم علمان معا فانه حينئذ قل أن يظفر بواحد منهما - ما لم يقه من تقسيم البال وانصرا فيه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر فيستغلان معا ويستصعبان ويعود منهما - ما بالحيبة واذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه فر بما كان ذلك أجدر بخصه به والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب (فصل) واعلم ايها المتعلم اني اتحدثك بقائده في تعلمك فان تلقيت بالقبول وامر كتابا بيدا الصنعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة وأقدم لك مقدمة تعينك في فهمها وذلك ان الفكر الانساني طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مبدعاته وهو وجد ان حركة للنفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مبدأ للافعال الانسانية على نظام وترتيب وتارة يكون مبدأ العلم ما لم يكن حاصلا بان يتوجه الى المطلوب وقد تصور طريقه ويروم نفيه او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما السرع من لمح البصر ان كان واحدا وينتقل الى تحصيل آخر ان كان متعددا ويصير الى الظفر بمطلوبه هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميز بها البشر من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية تصفه لتعلم سداده من خطئه لانها وان كان الصواب لها ذاتيا الا انه قد يعرض لها الخطأ في الاقل من تصور الطرفين على غير صورتهم ما من اشتباه الهيات في نظم القضايا وتوحيها للنتائج فتع من المنطق للتخلص من ورطة هذا الفساد اذا عرض فللمنطق اذا امرصناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها ولا يكونه امرصناعيا استغنى عنه في الاكثر ولذلك تجد كثيرا من فحول النظائر في الخلية يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرجة الله فان ذلك أعظم معنى ويسد كون بالطبيعة الفكرية على سداد ما يقضي بالطبيع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من النعم لم وهي معرفة الالفاظ ودلائلها على المعاني الذهنية ترددها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها الى الغير كفي مطلوبك فأول دلائل الالكاتب المرسومة على الالفاظ المقولة وهي اخفها ثم دلائل الالفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوايلها المعروفة في صناعة المنطق ثم تلك المعاني مجردة في الغير كاشتراطا يقتضيه بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض لرجة الله ومواهبه وليس كل أحد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالماقشات او عثر في اشتراك الادلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكدي يتخلص من تلك العثرة الا قليلا ممن هداه الله فاذا ابتليت بمثل ذلك

الى المسلمين ان يخلوهم واستقاء الماء فابوا فضاء عظمهم حتى أشرفوا على الهلاك ففتحوا اناجيلهم واخذوا في الدعاء والاستسقاء الى الله تعالى والتضرع اليه فلم يلبث بأوشك من السماء ان القت باورا قها ثم أرخت ماء كثيرا فيسط القوم انطاعهم وجفانهم وآلاتهم فشر بوا وملوا وانهم فضج المسلمون عند ذلك وقالوا هؤلاء كفار واعداء الله ورسوله قد أخلصوا الى ربهم وأبوا اليه وسألوه ماء يحيون به رمة هم فاجابهم فخنن أحق بالدعاء والتضرع الى الله سبحانه وأولى بالاجابة منهم ثم جد المسلمون في الدعاء والصلاة والابتهال الى الله تعالى في أن يرهم آية يقوى بها قلوب الضعفاء ويزايد شكر اهل المعرفة والاولياء فيسماهم كذلك اذا رسل الله عليهم ريحا فيبددتهم وخرقتهم كل عثر وكسرت مراكبهم ولم يجتمع منهم اثنان ومن عجائب صنع الله تعالى في هذا الباب ان رجلا من ديار بكر جاء الى بيت المقدس وزاد

قبر الخليل صلى الله عليه وسلم وأكل من ضيقه فطارته حبة عذس من ذلك الطعام في خيشومة ورام خروجها بكل حيلة فاعجزته حتى تركته مضني ثم رجع الى بلاده فبينما هو جالس اذ عطس فطارته العدسة في الارض فاذا طائر قد التقطها الوقتها وبرئ الرجل فسيحان من جعل أنف هذا الرجل حرا لقوت هذا الطائر على بعد الشقة والمسافة وأما أنا فلما فهمت بالرحيل من بلدي الى المشرق في طلب العلم كنت لا أعرف التجارة ولا الى حرفة ارجع اليها فخرعت من الخروج وكنت أقول ان ذهبت نفقتى ماذا أفعل وكان أقوى الآمال في نفسي ان أحفظ البساتين بالآخرة وأدر من العلم بالليل ثم استخرت الله تعالى فرحلت وكانت معي نفقة وافرة في هميان على وسطى وكنت أسمع المسافرين يقولون من نام بالليل (٣٤٢) في القيا في وله نفقة على وسطه فاجعلها فان اللصوص اذا كبرت الخلق يتدرون أوساطهم

فخرجت من بلاد السويدية الى انطاكية وهي اذذاك حرب للروم فسرنا بالمتنا وأصبحنا على باب انطاكية فاحذتني عيني وحللت الهميان وغمت ولم أستيقظ الا ضحوه النهار فاستيقظت ومددت يدي الى الهميان فلم احده فجلت أنظر الى القافلة والتفت الى الناس وقد أسقط في يدي ولم يبق لي حيلة فاسترجعت ورفعت أمري الى الله سبحانه واذا رجل من أهل القافلة ملقنا الى فوق وجهي في وجهه فاذا هو يضحك لما رأى ما بي فقام مالك أيها الفقيه قلت خير فراجعني فقلت خير فقام الى وقال خذ هميانك عافاك الله فسأله كيف ظفرت به فقال رأست قد جد حرجت ذراعين أو ثلاثة والتفت فرأيت سوادا في الموضع الذي كنت فيه نائما فسررت اليه واخذته

ومعرض لك ادتيك في فهمك وتشتيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك وانتبذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخلص الى قضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرحت نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للغوص على حرامك منه واضعالم صاحب وضعها كابر النظر قبل مستعرضا للفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمة وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرفت عليك أنوار الفتح من الله بالظفر بطوبك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظيره عليه كما قلناه وحينئذ فارجع به الى قوال الادلة وصورها فافرحه فيها ووفقه حق من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وأبرزه الى عالم الخطاب والمشاهدة وثيق العرى صحيح البنيان * وأما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية وتخصيص صوابها من خطئها وهذه أمور صناعية وضعية تستوي جهاتها المتعددة وتشابه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا كانت بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدل الحجب على المطالب وتقعديا لناظر عن تخصصه وهذا شأن الاكثرين من النظار والمتأخرين سيما من سبقت له عجمة في لسانه فربطت عن ذهنه ومن حصل له شعب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الخيرة بين شبه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى درك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المنطق فانه هو واصف لفعل هذا الفكر فمساوقه لذلك في الاكثر فاعته بذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنوارها بالاهتمام الى الصواب والله الهادي الى رحمة وما العلم الا من عند الله

٣١ (فصل في أن العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل) *

(اعلم) ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والطبيعات والالهييات من الفلسفة وعلوم هي آية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة وربما كان آلهة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتأخرين فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسيعها الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والانتظار فان ذلك يزبدطالها كما في ملكته وايضا طالعانيها المقصودة واما العلوم التي هي آلهة لغيرها مثل العربية والمنطق واماها فلا ينبغي أن ينتظر فيها الا من حيث هي آلهة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك يخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي آلهة لا غير فكما خرجت من ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعود به الحصول على

فاذا هو الهميان رحمة الله عليه ورضوانه لديه (الباب الستون في بيان الخصلة التي هي ام الخصال وينبوع ملكتها

الفضائل ومن فقهه الم يكمل فيه خصلة وهي الشجاعة ويعبر عنها بالصبر ويعبر عنها بقوة النفس) * قالت الحكماء اصل الخيرات كلها في ثبات القلب ومنه تستمد جميع الفضائل وهو الثبوت والقوة على ما يوجب العدل والعلم والحب غير يزرعه يجمعها سوء الظن بالله تعالى والشجاعة غير يزرعه يجمعها حسن الظن بالله تعالى سئل الاحنف عن الشجاعة فقال صبر ساعة وسئل ابو جهل عن الشجاعة فقال تصبرون على حر السيوف فوافقناقه وهو ما بين الحياتين واعلم ان القادم للقتال طار يده من طار اثم الموت فاستقبال الموت خير من استدياره وقد قال الاول رب حياة سييها تعرض للوفاة ووفاته سييها طاب الحياة ومن حرص على الموت في المحهاد ووفاته له الحياة وقالوا المزمعة شجرة من شجار الموت والقار

يمكن من نفسه والمقاتل يدفع عن نفسه وقالوا حجة الشجاعة الامن من العدو واعلم ان من قتل في الحرب مدبراً كثر من قتل مقبلاً وقالوا تأخيراً لاجل حصن المحارب وقيل لبعضهم في أي جنة يحب ان تاتي عدوك قال بادبار دولته وانقضاء مدته واعلم ان الشجاعة لمن كانت له الدولة واذا انقضت المدة لم تغن كثرة العدد وقال علي رضي الله عنه اذا انقضت المدة كانت الهلكة في الحيلة واعلم ان كل كريمة ترفع أو مكرمة تكتسب لا تحقق الا بالشجاعة ألا ترى انك اذا همت ان تمنع شيئاً من ممالك خارطية لك ووهن قلبك وعجزت نفسك فشجعت به واذا حققت عزك وقويت نفسك وقهرت ذلك العجز اخرجت المسال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه تكون طيبة النفس باخراجه او كراهية النفس لاخراجه مع اخراجه وعلى هذا النمط جميع الفضائل (٣٤٣) مهمالم يقارنها قوة نفس لم تحقق

وكانت مخدوعة وروى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الشجاعة والمحب غرأثر يضعها الله تعالى فمن يشاء من عباده فالجبان يفر عن أمه وأبيه والشجاع يقاتل عن لا يثوب به الى رحله فبقوة القلب يصاب امتثال الاوامر والانتفاء عن الزواجر وبقوة القلب يصاب اكتساب الفضائل وبقوة القلب ينتهي عن اتباع الهوى والتضخم بالرذائل قال الشاعر جمع الشجاعة والخضوع لربه

ما أحسن المحراب في المحراب وبقوة القلب يصبر المجلس على ايذاء المجلس وجفاء الضاحب وبقوة القلب يكتم الاسرار ويدفع الغار وبقوة القلب يتقحم الامور الضعاب وبقوة القلب يتحمل اثقال المكارة وبقوة القلب يصبر على اخلاق الرجال وبقوة

ملكها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات اطول وسائلها مع ان شأنها اهم والعمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالهية تضيق العمر وشغلا لا يعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحور وصناعة المنطق واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثروا من التفاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها آلة وصبرها من المقاصد ويرى ما يقع فيها انظاراً لاحاجة بها في العلوم المقصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضا مضرة بالمتعلمين على الاطلاق لان المتعلمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها فاذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل بقي يظفرون بالمقاصد فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الالهية ان لا يستجروا في شأنها وينهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فنزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فلم يبرق له ما شاء من المراتق صعبا الوساو ولا وكل ميسر لما خلق له

٣٢ * (فصل في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه) *

(اعلم) ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما سبق فيه الى القلوب من وسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل به من المالكات وسبب ذلك ان تعليم الصغرا شدرسوخا وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للمالكات وعلى حسب الاساس واساليه يكون حال ما ينبغي عليه واختلاف طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من المالكات فاما اهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم اثناء المدارس بتعليم مسائل ومساائل واختلاف جملة القرآن فيه لا يخطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذف فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر اعم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا راجع مدارس القران بعد طائفة من عمره فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم واما اهل الاندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا الذي يراعونه في التعليم الا انه لما كان القرآن اصل ذلك واسسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصل في التعليم فلا يقتصر ون لذلك عليه فقط بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكاتب ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شذا

القلب تنفذ كل عزيمة وروية اوجب الحزم والعدل وبقوة القلب يضحك الرجال في وجوه الرجال وقلوبهم مشحونة بالضغائن والاحقاد كما قال ابو ذر وانا انكشرف في وجوه قوم وان قلوبنا لتاعتهم وقال علي رضي الله عنه انا انصافاً كفأ ترى قطعها وليس الصبر والشجاعة وقوة النفس ان تكون مصر في الحال نحو جافي الباطل ولا ان تكون جلد اعند الضرب صبوراً على التعب مصمماً على التعزير والتهور فان هذه صفة الخبير والخنازير ولكن ان تكون صبوراً على أداء الحقوق عليك صبوراً على سماعها والقائها اليك غالباً هو الكمال لشهواتك ما تترى بالفضائل يجهدك عاملاً في ذلك على الحقيقة التي لا يحيل عنها حياة ولا موت حتى يكون عندك موتك على الخبر الذي اشار به العلم واوجب العدل خيراً من البقاء على ما اوجب رفض العلم والعدل كما قال علي بن الحسين رضوان الله عليهم اياهم وما ياتي ابوك

لو ان الخاف خالفوه اذا كان على الحق وهل الخير كله للمحق الابد الموت ومن هذا قالت حكما الهند اذا لم يكن للملك من نفسه معين كان في جميع اموره ضعيفا خذولا واعلم ان الجبن مقتلة والمحرص محرمة والعجز ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يقر عن امة وابيه وصاحبته وبنيه واعلم ان كل كريمة ما بين الحباتين والشجاع يحصى عن لا يناسبه وبقى مال الجار والرفيق بمحبته والجبان يخاف مالا يحس به والجبان حقة من فرقه واعلم ان الشجاعة عند اللقاء على ثلاثة اوجه رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف الزحقان واكتحلت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكرو ينادى هل من مبارزو الثاني اذا التحم القوم واختلطوا ولم يدرا احدهم أين يأتبه الموت يكون رابط الجاش (٣٤٤) سا كن القلب حاضر اللب لم يخامر الدهش ولا خالطته الحيرة فينقلب بقلب المسالك

لامره القاسم على نفسه
والثالث اذا انهزم أصحابه
يلزم الساقية ويضرب في
وجوه القوم ويحول بينهم
وبين عدوهم ويقوى
قلوب أصحابه ويرجي
ضعفهم ويدهم بالكلام
الجبل ويشجع نفوسهم
فن وقع اقامه ومن وقف
جمله ومن كرس فرسه
كشف عنه حتى يبيش
العدو منهم وهذا أجدهم
شجاعة ومن هذا قالوا
المقاتل وراء الفارين
كاستغفر من وراء الغافلين
ومن أكرم السكرم الدفاع
من الحرم (وقالوا) لكل
واحد يومان لا بد منه ما
أحدهما لا يجعل عليه
والثاني لا يغفل عنه فإ
للجبان والفرار وكان شيوخ
الحنيد يحكون في بلادنا
قالوا دارت حرب بين المسلمين
والكفار ثم افرقوا فوجدوا
في المعترك قطعة من
بيضة الحديد قدر ثلثها

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على الجملة لو كان فيهم اسند لتعليم العلوم لكنهم يقطعون عند ذلك لانقطاع اسند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واستعد اذا وجد العلم وأما أهل افريقية فيخطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قواني العلوم وتلقين بعض مسائلها الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب الى طريقة أهل الاندلس لان اسند طريقهم في ذلك متصل بشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعندهم أخذوا ولدانهم بعد ذلك وأما أهل المشرق فيخطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا ولا أدري بم عنايتهم منها والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخطون بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انقراذه كما تعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الاواح فيخط قاصر عن الاجادة ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يستخرج له بعد ذلك من المهمة في طلبه هو يتبعه من أهل صنعته فأما أهل افريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة الانسان جملة وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما أن البشر مصر وفون عن الاتيان بمثل له فهم مصر وفون لذلك عن الاسستعمال على اساليبهم والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبهم فلا يحصل لصاحب ملكة في اللسان العربي وحظه الجود في العبارات وقلة التصرف في الكلام وربما كان أهل افريقية في ذلك أخف من أهل المغرب لما يخطون في تعليمهم القرآن بعبارات العلوم في قوانينها كما قلناه فمقدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سبأني في قصله وأما أهل الاندلس فأفادهم التقين في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسه العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدرسة القرآن والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك أهل حظ وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه النعاج وأعاد في ذلك وأبداء قدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الاندلس قال لان الشعر مردوان العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب فيقرن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليه بهذه

المقدمة

بسا حوته من الرأس فيقال انه لم يرقط ضربة اقوى منها وكان شيوخ الجند في بلادنا طروشة

يحكون انهم خرجوا في أيام سيف الملة في سرية الى بلاد العدو فبينما هم يسيرون اذ لقيتهم سرية للروم يريدون منامان يريد منهم قال وعرف بعضهم بعضا وكان فينا صناديد القربان وفيهم صناديد الروم فتوافقنا ساعة ثم شدنا وشدوا فالتقينا وتجادلنا ساعة ثم هجنا الله تعالى اكلهم فجلناهم حصيدا كانهم جزعوا على الاوصام وكان هناك بقريهم قرية فيها شيء من الخرف يشربناه وسكرنا ثم اشتبهنا شرائح اللحم فقمنا نقطع من لحمهم ونجعل على النار واكلنا منها ففرغ من كنا أسرناهم منهم وبلغ الحديث الى الروم فقصت النصارى تعجبا منا وقد قذف الرعب في قلوبهم (وروي) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي عمرو بن معديكرب فقال له يا عمر وای السلاح افضل في الحرب فقال عن

أيها نسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال فما تقول في الرمح قال أخوك ورب ما خالك قال فما تقول في السيف قال
 ذلك لا أم لك قال فما تقول في الترس قال هو الدائرة وعليه تدور الدوائر وكان عمره هذا من شجعان العرب وابطالهم انزل يوم القادسية
 على النهر فقال لأصحابه اني عابر على الجسر فان أسر عتم مقدار جزر الجزر وروجدتوني وسيفي بيدي أقاتل به تلقاء وجهي وقدة رني
 القوم وأنا قاتلهم بينهم وان أبطأتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم اتعمص فحمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زيد على ما تدعون صاحبكم
 والله ما أرى ان تدركوه حيا فمواقاتهم واليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها وان الفارس لضرب
 فرسه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخطى فرسه (٣٤٥) فركبه عمر وقال أنا أبو نور كدت والله

تقتدوني قالوا ابن فرسك
 قال رمي بتشابة فعاد وشب
 فصر عني (ويروي) ان عمرا
 حمل يوم القادسية على رستم
 وهو الذي قدمه يزدجرد
 ملك الفرس على قتال
 المسلمين فاستقبل عمرو
 رستم على فيل فقطع عرقوه
 فسقط رستم وسقط الفيل
 عليه مع خرج كان عليه
 فيه أربعون ألف دينار
 فقتل رستم وانهمزمت
 العجم وروى ان قاتل
 رستم زعيم بن فلان وأما
 الضربة التي حكيناها التي
 حازت ثلث البيضة بما
 حوته من الرأس فلم يسمع
 بمثلها في جاهلية ولا اسلام
 فحملتها الروم وعلقتها في
 كنيسة لهم وكانوا اذا عبروا
 بانهمزاهم يقولون اتينا
 اقواما هذا ضربهم في رجل
 أبطال الروم اليها البروها
 وانما كانت العرب تفخر
 في هذا الباب بقول القرين
 ثواب يصف ضربة سيف

المقدمة ثم قال ويا غفلة اهل بلادنا ان يؤخذ الصبي بكباب الله في أول أمره يقرأ أمالايههم وينصب
 في أمر غيره اهم عليه ثم قال ينظر في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلمونه ونهسى مع
 ذلك أن يخط في التعليم علمان الا أن يكون المتعلم قابلا لذلك بحودة الفهم والنشاط هذا ما أشار اليه
 القاضي أبو بكر رحمه الله وهو امرى مذهب حسن الا أن العوائد لا تساعد عليه وهي امال بالاحوال
 ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايثار للتبكير والثواب وخشية ما يعرض للولد في
 جنون الصبي من الآفات والقواطع عن العلم فيفوت القرآن لانه مادام في الحجر منقاد للحكم فاذا تجاوز
 البلوغ وانحل من ربة القهر فرمى بعصفت به رياح الشبهة فالتفت به ساحل البطالة فيغتمون في زمان
 الحرجور بقة الحكم فيل القرآن لئلا يذهب خلوا منه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله
 التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء
 لا معقب لحكمه سبحانه

٣٣ (فصل في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم)

وذلك ان ارهاق الحسد في التعليم مضر بالمتعلم لم سيما في اصغار الولد لانه من سوء الملة ومن كان مرباه
 بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب
 بنشاطها ودعاها الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط
 الايدي بالقهر عليه وعمله المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا فوسدت معاني الانسانية التي
 له من حيث الاجتماع والقرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك بل
 وكسالت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانتقضت عن غايتها ومدى انسانيتها فارتكس
 وعاد في أسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من
 يملك امره عليه ولا تكون الملة الكافلة له رفيقة به وتجذب ذلك فيهم استقراره وانظره في اليهود وما حصل
 بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصفون في كل افق وعصر بالخرج ومعناه في الاصطلاح المشهور
 التخابث والكمد وسببه ما قلناه فينبغي للعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستبدوا عليهم في التأديب
 وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيدي
 ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة أسواط شيأ ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله
 حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلم بان المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملاك له فانه أعلم
 بمصلحته ومن أحسن مذهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال يا أبا حنيفة ان أمير المؤمنين

(٤٤ - ابن خلدون) ابقى الحوادث والايام من غير آثار سيف قد تم اثره بآدي تظل تحفر عنه ان ضربت به *
 بعد الذراعين والقيدين والهادي وينشد قول النابغة في السيف أيضا يقد السلوقي المضاعف منهجه * ويوقد بالصفاح نار الجباحب
 وابن هذامن قد الحديديا حوا من الرأس وابن الثري وابن الحسام من المنجل ولولا كراهة التطويل لذكرنا من أمثال
 هذا ما فيه العجب وقد قالوا السيف ظل الموت السيف لعاب المنية والرمح رشاء المنية والسهام رسل لا تؤامر من أرسلها او الرمح أخوك ورميها
 خالك والدرع مشغلة للراجل ومتعبة للفارس وانها الحصن حصين والترس يحجب وعليه تدور الدوائر * (الباب الحادي والستون
 في ذكر الحر وبوتبيرها وحبها وأحكامها) * من حرم المالك أن لا يحقر عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان خقيرا فكم من

برغوث أسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر فلا تحقرن عدو ارمالك * وان كان في ساعديه قصر فان السيوف تحز الرقاب *
وتجزع سنان البر وفي الامثال لا تحقرن الذليل فربما شرق بالذباب العزيز ومثل العدو مثل النار ان تداركت اولها سهل اطفاؤها
وان تركت حتى استحكمت ضرامها صعب مرامها وتضاعفت بليتها ومثله ايضا مثل الجرح الردي ان تداركته سهل برؤه وان اغفلته حتى تغل
عظمت بليته واغيا لا طباء برؤه (واعلموا) ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتب ورتبوا فيها ترتيبا فلا يسع اهل سائر الاقاليم جملها اذ
لكل امة في الغالب نوع من التدبير وصنف من الحيلة وضرب من المسكينة وجنس من اللقاء والكر والفر وتعبية المواقب وجل بعضهم
على بعض ولكن نصف منه اشياء (٣٤٦) تجري مجرى المعادلات كما تختلف في انهاء ازمة الحروب ويندأ اولها ذكره الله تعالى

في القرآن قال الله تعالى
وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة ومن رباط الخيل
ترهبون به عدو الله وعدوكم
ف قوله تعالى ما استطعتم
مشمول على كل ما في مقدور
البشر من العدة والالة
والحيلة وفسر النبي صلى الله
عليه وسلم القوة فر على اناس
يرمون فقال الان القوة
الرمي الان القوة الرمي الا
ان القوة الرمي وكان بعض
اصحابه اذا اراد الغزو لا
يقص اظفاره ويتركها عدة
ويراها قوة فأول ذلك ان
يقدم بين يدي اللقاء عملا
صالحا من صدقة وصيام
ورد مظلمة وصلة رحم
ودعاء مخلص وأمر معروف
وتغيير منكر وأمثال ذلك
فقد كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يأمر بذلك
ويقول انما تقتاتلون
بأعمالكم وروى ان يريدا
ورد عليه بفتح للمسلمين فقال
له عمر اى وقت لقيم العدو

قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه فصير يدك عليه بسوطة وطاعته لك واجبة فكن له بحيث وضعك
أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الاخبار ورواه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبيده
وأمنعه من الضحك الا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا
حضر واجلسه ولا تمر بك ساعة الا وانت مغتنم فائدة تفيدك ياها من غير ان تحزنه فتمت ذهنه ولا تمن في
مسامحته فيستحل الفراغ ويألفه وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان أباه ما فعل بك بالشدة والغلظة اه

٣٤ * (فصل في أن الرحلة في طاب العلوم ولقاء المشيخة من يد كمال في التعلم) *

والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتج من المذاهب والقضايا تارة
علم أو تعلما والقاء وتارة محكاة وتلقينا بالباشرة الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد
استحكا كما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات أيضا
في تعليم العلوم مخالطة على المتعلم حتى لا يقيد كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك المباشرة
لاختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من
اختلاف طرقهم فيها فيجرب العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل وتنهض قواه الى الرسوخ
والاستحكاك في الملكات ويصح معارفه ويبرزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين
وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا من يسر الله عليه طرق العلم والمداية فالرحلة لا بد منها في
طاب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

٣٥ * (فصل في أن العلماء من بين البشر أبعدهن السياسة ومذاهبها) *

والسبب في ذلك أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجردها في
الذهن أمورا كلية عامة ليحكم عليها بأمر العموم لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا امة ولا صنف
من الناس ويطلبون من بعد ذلك السكلى على الخارجيات وايضا يقيسون الامور على اشباهها وأمثالها
بما اعتادوه من القياس الفقهي فلا تزال احكامهم وانظارهم كلها في الذهن ولا تصير الى المطابقة الا بعد
الفراغ من البحث والنظر ولا تصير بالجملة الى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الذهن من ذلك
كلاحكام الشرعية فانها فروع عما في الحفظ من أدلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها
عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فهم متعودون في سائر انظارهم
الامور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما
يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها خفية واعمال ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشيء أو مثال وينافي

قال غدوة قال ومضى انهزم قال عند الزوال فقال عمر ان الله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة
الى الزوال لقد أحدثتم بعدى حدثا واحدا حدثت بعدكم حدثا والشأن كل الشأن في استجداء القواد وانتخاب الامراء واصحاب الولاية
فقد قالت حكماء العجم اسديت قودا لثعلب خير من ثعلب يقود لثعلب اسد فلا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة
والشجاعة والجرأة ثبت الجنان صارم القاب جريته رباط الجأش صادق البأس عن قد توسط الحروب ومارس الرجال وما رسوه ونازل
الاقران وقارع الابطال عارفا بوضع القرص خبير بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي يجب شحنه بالحجارة والابطال
من ذلك بصير اصنوف العدو ومواقع الغرة منه ومواقع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل من رايه كان جميعهم كانه مثله فان

رأى اقراغ النكائب وجهها والاردود الغم لازر يمة (واعلم) ان الحزب نخذعة غند جميع العقلاء وخرما يجب ركوبه قرع النكائب وجل الجيوش بعضها على بعض فليبدأ بتصرف الحيلة في نيل الظفر (قال) نصر بن سيار كنت أمير خراسان من قبل مروان الحمدي آخر ملوك بني أمية قال وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للقائد العظيم القيادة أن يكون فيه عشرة أخلاق من أخلاق البهايم شجاعة الديك وبحسب الحاجة وقاب الاسد وجملة الخنزير وزوغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب وسمن تغير وهي دويمة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقاء وكان يقال اشده خلق الله تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطغى النار والسحاب تحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان (٣٤٧) يقبى الريح لحاجته والسكر يصرع

الانسان والنوم يذهب السكر والمهم يمنع النوم فاشد خلق ربك اللهم فاول ذلك ان يبت جواسيسه في عسكر عدوه يستعلم اخباره مع الساعات ويستعلم رؤساءهم وقادتهم وذوى الشجاعة منهم ويدس اليهم ويعددهم وعدد اجيال ويوجه اليهم بضروب الخدعة ويقوى اطماعهم في ان ينالوا ما عندهم من الهبات الفاخرة والولايات السنية وان راي وجهها عاجلهم بالهدايا والتحف وسألهم اما العذر بصاحبهم واما اعتزاله وقت اللقاء وينشئ على السنتهم كتباً مدلسة اليه ويبتها في عسكره ويكتب على السهام اخباراً مزورة ويرمى بها في جيوشهم ويضرب بينهم بما في المسور ومن ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والحيل واللقاء تنفق فيه الارواح والرؤس ووجوه الخداع فيه

الكل الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من أحوال العمران على الآخر كما اشتبه في أمر واحد فاعلموا الاختلاف في أمور فتكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع اساس تدلائلهم فيقعون في الغلط كثير ولا يؤمن عليهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكي من اهل العمران لانهم ينزعون بشقوب اذهانهم الى مثل شأن الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لقصوره عن ذلك وعدم اعتياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحول والاشخاص على ما يختص به ولا يعدى الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في أكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالساجح لا يفارق البرصند الموح قال الشاعر

فلا توغان اذا ما سمحت * فان السلامة في الساحل

فبكون مأموماً من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابناء جنسه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره بأستقامة نظره وفوق كل ذي علم علمهم ومن هنا يبين ان صناعة المنطق غير مأمونة الغلط لثمة ما فيها من الانتزاع وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات الدواني ولهـل المواد فيها ما يمنع تلك الاحكام وينافيها عند مراعاة التطبيق اليقيني وأما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجر يد هاربي فليس كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مؤذنة بتصديق انطباقه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

٢٦ * (فصل في أن جملة العلم في الاسلام أكثرهم الجهم) *

من الغريب الواقع ان جملة العلم في الملة الاسلامية أكثرهم الجهم لامن العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في لغته ومرباه ومشيخته مع ان الملة صربية وصاحب شر يعتز بالعربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة تقتضي احوال السذاجة والبداوة وانما احكام الشرع التي هي أوامر الله ونواهيه كان الرجال يتقونها في صدورهم وقد عرفوا ما أخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعتهم اليه حاجة وحري الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمعون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء اي الذين يقرؤون الكتاب وليسوا أميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة كما كانوا يعرفون القرآن يومئذ قراء اشارة الى هذا فهم قراء الكتاب الله والسنة المأثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما

لا تحصى والحاضر فيها البصر من الغائب والله دواء الملبس كتب اليه الحجاج يستعجله في حرب الازارقة رد الجواب فقال ان من البلاء ان يكون الراي عندهم من يملكه لا عندهم من يصبره وقال المختار ليزيد بن أنس حين ولأه الجزيرة وامره بقتال عبد الله بن زياد امضى الى عدوك برأي غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تترك الى الدولة فرما انقلب واستمر من لا يطمع في عمل ولا تسر بقلبك واستخبر الله تعالى قبل اقدامك توفيقاً وأوصت أم الديال العيسية ابنها القتالك وهو من أشد العرب يا بني لا تنشب في حرب ان وثقت شدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا نشبت منها وأجد الشدة ما كانت الحيلة مدبرة لها اذا لم يكن النصر من الله تعالى فابذلها واختلس من الحارب خلسة الذئب وطرمه طير ان الغراب فان الحذر زمام الشجاعة والتهور عدو

الشدة وقال ابو السرايا وكان أحد القتلى لانه يائس كن بجملتك او ثقي منك بشذلك وبحدرك او ثقي منك بشجاعتك فان الحرب حرب المهور وغنيمة المهور واعلم ان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا اذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الافة في الحيلة وقال الحكيم اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة واذا انتقضت مدة الدول أدبرت سنة العقلة عن سنة الحذر ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوى بقاء مدته وقالوا سواد الدول ونحوهم مقيمة بسعود الملك ونحوه وقالوا أبهى زى على كل امرئ دولته فاذا انتقضت بدت عورته وقالوا رب حيلة اهل ملكك المحتمل فن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حجة الرجال وكما لا بطل في القلب فانه مهم انكسر الجناحان (٣٤٨) فالعيون ناظرة الى القلب فاذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا

للجناحين يا وى اليه كل من هزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك الطائر اذا انكسر احد جناحيه يربى عوده ولو بعد حين وان انكسر الرأس ذهب الجناحان ولا يحمي كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع القارون الى القلب ويكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فافلح او تراجع اللهم الا ان يكون مكيدة من صاحب الجيش فيخل القلب قصدا وتعمدوا لا يغادر به كبير ارحم حتى اذا توسطه العدو اشتغل بنهبه واطبقت عليه الجناحان ومن أعظم المكائد في الحرب الكميناه ولا يحمي كثرة كم من عسكر استباحت بيضته وقل عزمه بالكميناه وذلك ان القارون لا يزال على جبهة في الدفاع ونجى الذمار حتى يلفق فيرى وراءه ينداء

كتاب الله وسنتي فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فساد احتيج الى وضع التقاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه ثم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد وما دونه ثم كثرت استخراج احكام الوقائع من الكتب والسنة وفسد مع ذلك اللسان فاحتيج الى وضع القوانين الخوية وصارت العلوم الشرعية كلها مملكت في الاستنباطات والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم أخرى وهي وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذب عن العقائد الايمانية بالدلة لكثرة البدع والابحاد فصارت هذه العلوم كلها علوم ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كنا قد مرنا ان الصنائع من منتهى الحضر وان العرب ابعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حصرية بقومها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم اجمعهم او من في معنائهم من الموالى واهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للجمع في الحضارة واحوالهم من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والجزائري من بعدهما وكلهم عجم في انسابهم وانما روي في اللسان العربي فاكتسبوه بالمرى ومخالطة العرب وصبر وقوانين وفنهم بعدهم وكذا جملة الحديث الذين حفظوه عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا جملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يبق بحفظ العلم وتدوينه الا الاعاجم وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لم يولد في العلم الا كنف السماء لئلا يولد قوم من اهل فارس واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلهم في الرياسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والخارفيه فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولى سياستهم ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابداء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرب اليها ودفعوا ذلك الى من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حق القيام به فانه دينهم وعلومهم ولا يمتنعون جاتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للجمع صارت العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتن جاتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشغولين بما لا يعني ولا يحدى عنهم في الملك والسياسة كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قرناه هو السبب في ان جملة الشرعية او عامتهم من العجم واما العلوم العقلية ايضا فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز جملة العلم وموافقه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الا العربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه اولاً فلم يزل ذلك في الامصار مادامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق

وخراسان

ميشور او يسمع ضرب الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه وتكن همتك وراء ذلك وعليه

مذار الحروب في الصنائع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع ذوى البسالة والاقدام والجراعة ولا عليك أن لا يكثر واو بعيد عليك أن يكثر واو لا تنس بيت الشاعر والناس ألف منهم وكواحد * وواحد كالآلاف ان امرئ بل قد جرب ذلك فوجد الواحد منهم خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما تقضى منه العجب فهم في الجيش وان قتلوا كالانفة في الدين فمن ذلك ما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن رذيل النصراني على مدينة وشقة في تغوز بلاد الاندلس وكان العسكران كلمة كافرين كل واحد منهما يراهق عشرين ألف مقاتل بين خيل ورجل فحدثني رجل من حضر الواقعة من الاجناد قال لسانا للقاء قال الطاغية بن رذيل لمن يثق

بعقله وشارسته للحروب من رجاله استعلم من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين يعرفهم كإبره رذونسا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان حتى عد سبعة رجال قال انظر الا ان من في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدوهم فوجدوهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية ضاحكا مسرورا وهو يقول يا بياضك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصاهرة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تخرج عن مقامه حتى فني اكثر العسكرين ولم يفر واحد منهم فلما كان وقت العصر نظر والبناساعة ثم جلاوا علينا حلة وداخلونا مداحلة ففرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين اصحابنا وصرنا وايضا فكان ذلك سبب وهنتا وضعفنا ولم نقيم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة معهم فاشار مقدموا العسكر على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم ومالك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصرة من جمع تحت يدي على اربعين الف مقاتل ولا يحضره من الشجعان المعدودين الا خمسة عشر رجلا وليعتبر بضمان العلي بالظفر واستبشاره بالغبية لما زاد في ابطاله رجل واحد (وسمعت) استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله يحكي قال بينما المنصور وبن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشر من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلقه وعن يمينه ويساره قدموا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المحضي فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال ابن المحضي أرى جمعا

وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أم العالم واوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هنالك من الحضارة بالدولة التي فيها قلهم بذلك حصه من العلوم والصنائع لا تنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علماءهم في تاليف وصالت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني وأما غيره من العجم فلم نزلهم من بعد الامام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاما يعول على نهايته في الاصابة فاعتبر ذلك وتأمله ترجعيا في أحوال الخليفة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

٣٧ * (فصل في علوم اللسان العربي) *

أركانها أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة اذ ما أخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي لغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة وتفاوت في التأكيديتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فاننا والذي يحصل ان الالهام المقدم منها هو النحو واذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولا الجهل أصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان أكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تتغير بخلاف الالهام الدال على الاسناد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة ولست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

* (علم النحو) *

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانی فلا بد أن تصير ملكة متقدرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الخاصة باللعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها بانه عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجمر ورأى المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالافعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ أخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب وأما غيرهما من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نعدوه بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلام واختصر لي الكلام اختصارا فصار

كثيرا وجيشا واسعا فقال له المنصور لا يعجزنا ان يكون في هذا الجيش ألف مقاتل من أهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المحضي فقال المنصور وما سكتك البس في هذه الجيوش ألف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم انعطف عليه فقال أفهم جسمائة رجل من الابطال المعدودين قال لا فخنق المنصور ثم انعطف عليه فقال أفهم مائة رجل من الابطال قال لا قال أفهم خمسون من الابطال قال لا فسبه المنصور واستخف به وأمر به فاخرج على آقبص صفة فلما توسطوا بالادامشركين اجتمعت الروم وتصاف الجمعان فبرز علي من الروم بين الصنفين شاك في سلاحه يكره يفرو وهو ينادي هل من مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقطعه العلي ففرج المشركون وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلي يخرج بين الصنفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا

ساعة فقتله العالج وجعل يكره يحمل وينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العالج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما هذا غير ابن المصحفي فبعث اليه فحضر فقال له المنصور لا ترى ما يصنع هذا العالج السكاب منذ اليوم قال يعني جميع ما جرى قال فما الجملة فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفي المسلمين شره قال نعم الا ان ثم قصدا الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على فرس قد تشرت اورا كهاهز الا وهو يحمل قرينة ماء بين يديه على الفرس والرجل في نفسه وحليته غير متصنع فقال له ابن المصحفي لا ترى ما يصنع هذا العالج منذ اليوم قال قد رأيته فماذا ترى فيه قال اريد رأسه الا ان قال نعم فحمل القرينة الى رحله وليس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة (٣٥٠) فلم ير الناس الا المسلم خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل رأس

العالج فألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي من هؤلاء الرجال أخبرتك انه ليس في عسكريك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا مشرون ولا عشرة فرد ابن المصحفي الى منزلته وأكرمه (واعلم) ان أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى الحرب شهادا عابسة شوها كالحة خور في جياض الموت شمس في الوطيس تغذى بالنفوس الحرب أولها الكلام وآخرها الحسام الحرب مرة المذاق اذا قلصت عن ساق من صبر فيها عرف ومن ضعف عنها تلف جسم الحرب الشجاعة وقلمها التدبير وعينها الحذر وجناحها الطاعة ولسانها المكيدة وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقالوا الحرب غشوم

للحروف في لغتهم والحركات والهيئات أي الاوضاع اعتبارا في الدلالة على المقصود وغير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها انما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الاخر من الاول كما تأخذ صبيا نانا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الامم والدول وخاطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالقات التي للتعربين والسمع ابو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يغايرها لجنوحها اليه باعتياد السمع وخشي اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينقل القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه السكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والابتداء مرفوع ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير اعرابا لا وأمثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالكاتب وجعلوا صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو وأول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال بإشارة على رضى الله عنه لانه رأى تغير الملكة فاشار عليه بحفظها ففزع الى ضبطها بالقوانين المحاضرة المسماة بقرأة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد القرطبي أيام الرشيد اذ وجع ما كان الناس اليها لذهب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل ابوابها واخذها عنه شيبويه فأكمل تفاريعها واستكثر من ادلتها وشواهدا ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار امام الكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاج كتابا مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذوا الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدثت الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصنفين القديمين للعرب وكثرة الأدلة والحجج بينهم وتباينت الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بذهابهم في الاختصار فاقتصر واكثر من ذلك الطول مع استيعابهم جميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له ورعا نظموا ذلك نظما مثل ابن مالك في الأربعة والربعين والكبرى والصغرى وابن معطى في الأربعة والالفية وبالجملة قالنا لعل في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصناعات يتنافس العمران ووصل اليها بالمغرب هذه العصور وديوان من مصر منسوب الى جمال

سميت بذلك لانها تنطلي الى غير الجاني قال الشاعر لم اكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صالى الدين وقال آخر رأيت الحرب يجنيها الناس ويصلي حرما قوم براء وقال آخر الحرب أول ما تكون قتيبة * تسعي بيزتها الكل جهول حتى اذا اضطربت وشب ضرامها * عادت عجوزا غير ذات خليل شطاء ينفركونها وتغيرت * مكروهة للشتم والتقبيل (وقال بعض الحكماء) قد جح الله تعالى آداب الحرب في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيمت فئمة فائدتوا واذا كروا الله كثير العلكم تلقون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشاوا وتذهب رايكم واصبروا ان الله مع الصابرين واستوصى قومكم بنصيبي في حرب اعداءكم فقال ألقوا الخلاف على اعدائكم واعلموا ان كثرة الصباح فشل ولا جماعة لمن اختلف وتشتتوا فان أجم الفريقين الركين

(وقال) عتبة بن ربيعة يوم بدو أصحابه الاثرون أصحاب محمد جثيا على الركب كأنهم خرس يتماظون تلمظ الحيات (ورأيت) غير واحد من ألف في الحروب يكره رفع الصوت بالتكبير ويقولون يذكر الله في نفسه واعلم أرشدك الله تعالى ان الله تعالى قد اوضح لنا في كتابه علة النصر وعله الهزيمة والفرار فقال يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم يعني ان تنصروا ورسوله ودينه وأما الفرار فعلة المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم اتى الجمعان انما استلزم الشيطان ببعض ما كسبوا أي بشؤم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم رتب الرماة يوم أحد على ثلثة الجبل لئلا ينعوا قريشا أن يخرجوا عليهم كيئاما من ذلك الموضع ثم اتى المسلمون فانهزم الكفار فقال الرماة (٣٥١) لا تفوتنا الغنائم فأقبلوا على الغنائم

وتركو المركز الاول فخرجت

خيل المشركين من هناك وأقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة أحدوليخف قائد الجيش العلامة التي هو مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته واللوان خيله ورأيت ولا يلزم خيمته ليلا ونهارا ولا يبدل زيه ولا يغير خيمته ويعمى مكانه كي لا يلتص عدوه غرته وأذا سكنت الحرب فلا يمش في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه قد اتكبت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش افرريقية عند فتحها وذلك ان الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم العدو ويمشي خارج العسكر يهين عساكر المسلمين فيجاء الخبر الى عبد الله بن أبي السرح وهو قائم في قبته فخرج فيمن وثق به من رجاله وحمل على العدو فقتل الملك وكان الفتح

الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الاعراب محجة ومفصلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصناعة من المتكر رقي أكثر أبوابها وسماه بالمعنى في الاعراب وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائر هافوق غنائمه على علم جم يشهد به لو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكانه ينحوي طريقته منحة أهل الموصل الذين ائتمروا بنجني واتبعوا ما صطلح تعليمه فألقى من ذلك بشي عجيب دال على قوة ملكته واطلاعه والله يز يد في الخلق ما يشاء

* (علم اللغة) *

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحوي بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بلاسة الجهم ومخالطتهم حتى تأدى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمع كثير من أئمة اللسان لذلك وأملوا فيه الدواوين وكان سابق الحجة في ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينتهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتى له حصر ذلك بوجوده عددية حاضرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون واحدا فتكون كلها اعدادا على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين فتجمع كلها بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية يز يد عليها حرفا فتكون ثلاثة فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة وعشرون حرفا بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرون على التوالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقبوبات الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد فيه ترتيب الخارج فبعد البحر وفالحاق ثم ما بعد ذلك من

ولما عبر طارق مولى موسى بن نصير الى بلاد الاندلس ليقتلها وموسى اذذاك بافرريقية خرجوا في الجزيرة الخضراء وتخصموا في الجبل الذي يسمى اليوم جبل طارق وهم في ألف وتسعمائة رجل فطمعت الروم فيهم فاقتلوا ثلاثة أيام وكان على الروم تدمير استخلافه لدريق ملك الروم وكان قد كتب الى لدريق يعلمه ان قوما لا تدري امن الارض ام من السماء قد وصلوا الى بلادنا وقد لقيتهم فانهض الى بنفسك فأتاه لدريق في تسعين ألف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي مولى لاوليد بن عبد الملك فاقتلوا ثلاثة أيام اشد قتال فرأى طارق ما الناس فيه من الشدة فقام فضهم على الصبر ورضيهم في الشهادة وبسط في آمالهم ثم قال أين المقر البحر من ورائكم والعدو أمامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم وانافعل شيئا فاعملوا كفعلي فوالله لا قصدن طاعتهم فاما أن أقتله واما أن أقتل دونه

فاستوثق طارق من خيله وعرف حيلة لدر يق وعلايته وخيمته ثم جل مع أصحابه عليه جملة رجل واحد فقتل الله تعالى لدر يق بعد قتل
ذريع في العدو وحى الله تعالى المسلمين فلم يقتل منهم كثير وانهمز الروم فاقام المسلمون يقتلونهم ثلاثة أيام واحتر طارق رأس لدر يق
وبعث بها الى موسى وبعث بها موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار معيثة الى قرطبة وسار طارق الى طليطلة ولم يكن همه غير المساندة
التي تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان بن داود عليهم السلام فدفع اليه ابن اخت لدر يق المساندة والتاج فقومت المساندة بمائتي
الف مسافيه من الجواهر التي لم يبرئ منها وبهذه الحيلة قهر البارسلان ملك الترك ملك الروم ووقعه وقتل رجاله واباد جمعه وكانت الروم
قد جمعت جيوشا قبل ان يجمع (٣٥٢) لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل كاثب متواصلة وعسا كرمترادفة

حروف الجمل ثم الاضراس ثم الشقة وجعل حروف العلة آخروها الحروف الهوائية وبدأ من حروف
الحلق بالعين لانه الاقصى منها فلذلك سمي كتابه بالعين لان المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم
الى مثل هذا وهو تسميته باول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من المستعمل وكان
المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقله استعمال العرب له لثقله ولحق به الثاني لقله دورانه وكان
الاستعمال في الثلاثي أغلب فكانت اوضاعه أكثر لدورانه وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين
واستوعبه أحسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الزبيدي وكتب لمشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة
فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله وكثيرا من شواهد المستعمل والمخصص للتحفظ
أحسن تلخيص والفرج الجوهري من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف بحروف المعجم فعمل
البداءة منها بالهز وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر الى
اواخر الكلام وحصر اللغة اقتداء بحصر التحليل ثم ألف فيها من الاندلسيين ابن سيده من أهل دانية في دولة
علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض
لاشتقاق الكلام وتصاريفها فجاء من أحسن الدواوين والمخصص محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من
ملوك الدولة الحفصية بتونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار اواخر الكلام وبناء التراجم
عليها فكانت اتم وأجمل وسمي أبو هذه أصول كتب اللغة فيه ما علمناه وهناك مختصرات أخرى مختصة
بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الابواب اولها كلها الا أن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك
جلى من قبل التراكيب كما رأيت ومن الكتب الموضوعة ايضا في اللغة كتاب الرنخشي في المجازين فيه
كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت
العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الامور الخاصة الفاظ أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين
الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الابيض بالوضع العام اكل ما فيه بياض
ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الانسان بالازهر ومن الغنم بالامح حتى صار استعمال
الابيض في هذه كلها مخرجا عن لسان العرب واختص بالتأليف في هذا المنحى النعماني واقرده في
كتاب له سماه فقه اللغة وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس
معرفة الوضع الاول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك
الاديب في فني نظمه ونثره حذر ان يكثر من الخنثى في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهو أشد
من اللحن في الاعراب والفحش وكذلك القبح بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم

وكراديس يتلو بعضها
بعضا لا يدركهم الطرف
ولا يحصى بهم العدد وقد
استعدوا من الكراع
والسلاح والمجانيق
والالآت المعدة لفتح
الحصون في الحرب بما
لا يحصى وكانوا قد قسموا
بلاد المسلمين الشام ومصر
والعراق وخراسان وديار
بكر ولم يشكوا ان الدولة
قد دارت لهم وان تجرم
السعود قد خدعتهم ثم
استقبلوا بلاد المسلمين
فتواترت اخبارهم الى بلاد
المسلمين واضطربت لها
عمائل الاسلام فاحتشد
للقائهم البارسلان التركي
وهو الذي يسمى الملك
العاذل وجع جوعه
بمدينة اصبهان واستعد
بما قدر عليه ثم خرج
يؤمهم فلم يزل العسكران
يتدائمان الى ان عادت
طلائع المسلمين الى المسلمين
وقالوا للبارسلان غدا

يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصى منهم الا الذي خلقهم وما المسلمون
فيهم الا كلقطائع فبقى المسلمون واجين لسادهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظروا بعضهم الى بعض فهاهنا المسلمين ماروا من كثرة
العدو وقوتهم ولا تهم فأمر البارسلان أن يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألف تركي واذاهم منهم كالرقعة في ذراع الجبار فجمع ذوى الراى
من أهل الحرب والتدبير والشقة على المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص صواب الراى فتشاوروا برهة ثم أجمع رأيهم
على اللقاء فتواعد القوم وتحالفوا ونصحو الاسلام وأهلهم ثم تأهبوا أهبة اللقاء وقالوا للبارسلان لان نسمى الله ونحمل على القوم فقال
البارسلان يا معشر أهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت

الشمس وفاعت الافياء وعلما ان المسلمين قد صلووا ودعوا للتواصل بيننا نحن عملنا امرنا فاصبروا الى ان زالت الشمس ثم صلووا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان ير بط على قلوبهم بالصبر وان يوهن عدوهم وان يلقى في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من خيعة ملك الروم وعلامة وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخاف احدكم ان يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم جل جميعهم جملة رجل واحد الى خيعة ملك الروم فقتلوا من كان دونها فقتلوا اليه وقتل من حوله واسر ملك الروم وجهه لوان ينادون بلسان الروم قتل الملك فسمع الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم بين يدي البارسلان بحبل في عنقه فقال له البارسلان ما كنت تصنع (٣٥٣) في لو اخذتني قال فهل تشك اني كنت اقل لك فقال له البارسلان انت اقل في عيني من ان اقل لك اذهبوا به وبيعهوه فمن يزيد فكان يقاد بالحبل في عنقه وينادي عليه من يشترى ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام ومنازل المسلمين وينادي عليه بالدرهم والقلوس فلم يدفع فيه احد شيئا حتى باعوه من انسان بكتاب فاحذ الذي كان تولى ذلك من امره الكتاب والمالك وجعلهم الى البارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيئا الا رجل واحد دفع لي فيه كتابا قال قد انصف لان الكتاب خير منه فاقبض الكتاب وادفع اليه هذا الكتاب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى قسطنطينية فعزله الروم وكلمته بانار فانظر ماذا سألني على الملوك اذا عرفوا في الحروب من

تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تهيلنا حفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لابن السكت والافصح لتعريب وغيرهما وبعضها اقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الالفاظ على الطالب للحفظ والله الخ لاف العالم لا رب سواه

(علم البيان)

هذا العلم حادث في اللغة وهو من العلوم اللسانية لا به متعلق بالالفاظ وما تنفيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصورات مفردات تسند ويسند اليها ويقضى بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تعبير المسندات من المسند اليها والازمنة ويدل عليها بتغيير الحركات وهو الاعراب وانبية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو ويبقى من الامور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة احوال المتخاطبين والقائلين وما يقتضيه به حال الفعل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا حصلت للتكلم فقط دبائع غاية الافادة في كلامه واذالم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام العرب فان كلامهم واسع وكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الاعراب والابانة لا ترى ان قولهم زيد جاءني مغار لقولهم جاءني زيد من قبل ان المتقدم منهما هو الالهم عند المتكلم فم قال جاءني زيد أفاد ان اهتمامه بالجي وقيل الشخص المسند اليه ومن قال زيد جاءني أفاد ان اهتمامه بالشخص قبل الجي والمسند وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول او بهم او معرفة وكذا تأكيده الاسناد على الجملة كقولهم زيد قائم وان زيد قائم وان زيد قائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق الاعراب فان الاول العاري عن التأكيدها يغيب داخل الخالي الذهن والثاني المؤكدها كدبان يهد المتروك والثالث يقيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم تقول مكانه بعينه جاءني رجل اذا قصدت بذلك التذكير تعظيما وانه رجل لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية تكون خبرية وهي التي لها خارج تطابقه اولا وانشائية وهي التي لا خارج لها كالمطلب وانواعه ثم قد يتبع بنترك العاطف بين الجملةين اذا كان للثانية محمل من الاعراب فيشرك بذلك منزلة التابع المفرد نعمتا وتو كيدا وبلا بلا عطف او يتبع العطف اذا لم يكن للثانية محمل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد الالكلام عليهم ما ثم قد يدل باللفظ ولا ير يد منطوقه ويريد لازمه ان كان مقردا كما تقول زيد اسد فلا تريد حقيقة الاسد المنطوق وانما تريد شجاعة اللازمة وتسندها الى زيد وتسمى هذه استعارة وقد تر يد باللفظ المار كـ

(٤٥ - ابن خلدون) الجملة والقصد في المكيدة (واعلم) ان القدماء قالوا الكثرة للرعب والقلة للنصر وقد قال تعالى و يوم جنين اذا عجمتكم كثركم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فالكثر ابداء يحجبها الاعجاب ومع الاعجاب الهلاك وخير الاصحاب اربعة وخير السرايا اربعة وخير الجيوش اربعة آلاف ولن يغلب جيش يبلغ اثني عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمهم فاما صفة اللقاء وهو احسن ترتيب رأيانه في بلادنا وهو ارجح تدبير تفعله في لقاء عدونا ان تقدم الرجال بالدرك السكاملة والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة فيصفقوا صفرهم ويركزوا امرأ كرمهم ورمحهم خلف ظهرهم في الارض وصدورهم شارعة الى عدوهم وهم جاثون في الارض وكل رجل منكم قد ألقم الارض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه وخلفهم الرماة المختارون التي تمزق

سها منهم من الدروع والخيول خلف الرماة فاذا جلبت الروم على المسلمين لم يترشح الرجال عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه
فاذا قرب العدو ورشقتهم الرماة بالنشاب والرجال بالمازاريق وصعدوا الرماح تلقاهم فاخذوا يمينه ويسره فيخرج خيل المسلمين بين الرماة
والرجال فتتال منهم ماشاء الله ولقد حدثني من حضر مثل هذه الواقعة في بلدي طرماوشة قال صافقت الروم على هذا الترتيب فملوا
عائنا فبينما رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عجم من العدو فاصاب غرته فقتله ولما برز المقتدر بالله بن هود ملك
الاندلس من سرقسطة في ثغور بلاد الاندلس للقاء الطاغية ردميل عظيم الروم وكان كل واحد منهم قد احتشد بمسيرة في مسوره فالتقى
المسلمون والكفار ثم تنازلوا للقتال (٢٥٤) وتضافوا ودام القتال بينهم صدرا كبيرا من النهار وكان المسلمون في خسران

الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد وترى يديه ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف لان كثرة
الرماد ناشئة عنهم ما فهمي دالة عليهم وما هذه كلها دلالة زائدة على دلالة الالفاظ المقررة والمركبة وانما هي
هيات واحوال لواقعات جعلت للدلالة ما هي الاحوال وهيات في الالفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه
فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيات والاحوال والمقامات وجعل
على ثلاثة اصناف الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات
الحال ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللزوم اللفظي وملزومه وهي
الاستعارة والحكاية كما قلناه ويسمى علم البيان والحقوا بهما صنفا آخر وهو النظر في ترتيب الكلام وتحسينه
بنوع من التتميق اما سيجب بقصد له او تجنيس يشابه بين الالفاظ او ترصيع يقطع اوزانه او تورية عن
المعنى المقصود بآيها معنى اخفى منه لا اشتراك اللفظيين ما واما مثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع واطلق
على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه
ثم تلاحت مسائل الفن واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة واسماهم املاآت
غير وافية فيها ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئا فشيئا الى ان محض السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب
ابوابه على نحو ما ذكرناه آنفا من الترتيب والالف كتابه المسمى بالمفتاح في النحو والتصريف والبيان فعمل
هذا الفن من بعض اجزائه واخذ المتأخرون من كتابه والمخصوصا منه امهات هي المتداولة لهذا العهد كما فعله
السكاكي في كتاب التبيين وابن مالك في كتاب المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح
والتلخيص وهو اصغر حجم من الايضاح والعناية به لهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليم منه
اكثر من غيره وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كمال في العلوم
اللسانية والصنائع الكمالية توجه في العمران والمشرق او فرعونان من المغرب كما ذكرناه او تقول لعناية
العجم وهو معظم اهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن وهو اوسع له وانما اختص
بأهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوا من جملة علوم الادب الشعرية وفرعوا له القبا
وعددوا ابوابا ونوعوا انواعا وزعموا انهم اخصوها من لسان العرب وانما ساجدهم على ذلك الولوع بتزيين
الالفاظ وان علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم ما أخذوا البلاغة والبيان لدقة انظارهم وانغموض
معانيهم ما اقتضاها واعلم انهم اوفى في البديع من اهل افریقیة ابن رشيق وكتاب العمدة مشهور وجرى
كثير من اهل افریقیة والاندلس على منحاه واعلم ان ثمره هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن لان
اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب الكلام مع

فأفزع المقتدر ذلك وقرى
المسلمون من شر ذلك
اليوم فعدا المقتدر رجلا
من المسلمين لم يكن في
الثغور اعرف بالحرب منه
يسمى سعادته فقال له المقتدر
كيف ترى في هذا اليوم
فقال سعادته هذا يوم
اسودوا لمن قد بقيت لي
حيلة فذهب سعادته زيه
رعى الروم وكلامه كلامهم
لجأوتهم وكثرة مخالطتهم
فانغمس في عسكر الكفار
ثم صعد الى الطاغية ردميل
فانقاه شاكا في السلاح
مكفنا في الحديد لا يظهر
منه الا عيناه فجعل يتخيله
ويتصدد غرته الى ان
امكنته الفرصة فحمل
عليه فطاعنه في عينه ففر
صرى بالبدن والقلم ثم
جعل ينادي بلسان الروم
قتل السلطان يا معشر الروم
فشاع قتله في العسكر
فتخاذوا وولوا منهزمين
وكان الفتح باذن الله تعالى

الكمال

ولما استضعف الروم صقلية وضر بواعلهم الخراج فكانوا يحملون اليهم الخراج

و يحملون الاموال الى العرب بافریقیة ويستجدون بهم على الروم فقال لهم ملك الروم انما مثلي ومثلكم يا اهل صقلية مثل رجل له
زوجتان عجوز وصبية في كان اذ اذابت عند الصبية تعلق الشيب من لحية لتصبية فيرهد في العجوز واذا اذابت عند العجوز انقط الشيب
الاسود من لحية لتصبية فيرهد هذا الصبية فيه فيوشك ان دام هذا ان يصبح اطلس كذلك حالكم معي ومع العرب اذا اديتم المال لي ولهم
يوشك ان تنفد اموالكم فتبقوا فقراء ضعفاء فأتسلكم واتسل البلاد ويروى انه لما هم بحضار صقلية امر ان يبسط بساطا في الارض
ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجه رجاليه من اخذ منكم هذا الدينار ولم يطل البساط علمنا انه يصلح للالك فوقفوا حول له ولم يصل احد اليه

فلما انما هم ذلك ما وانا حية من البساط من عنده وافر كل واحد ان يطوى مما يليه حتى طوى البساط فذوا اليديهم فلهذا والديشار
فحينئذ قال لهم اذا اردتم مدينة صقلية تحذوا ما حولها من الحصون والمدن الصغار والاضلاع والقرى حتى اذا ضغقت اخذتموها وها هو كان
بسر قسطة فارس يقال له ابن فتحون وكان يناسبني فيقع خال والدتي وكان اشجع العرب والعجم وكان المستعين ابو المقتدر يرى له ذلك
ويعظمه وكان يجري عليه في كل عطية خمسمائة دينار وكانت النصرانية باسرها قد عرفت مكانه وهايت لقاءه فيجئ كي ان الرومي اذا
سقى فرسه فلم يشرب يقول له اشرب هل ابن فتحون رايت في الماء ففسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فأوغر وابه صدر
المستعين فذعه اياما ثم ان المستعين انشأ غزوة الى بلاد الروم فتوافقت المسلمون والمشركون (٣٥٥) صفوا ثم برز عجل الى وسط الميدان

ينادي هل من مبارز فخرج
اليه فارس من المسلمين
فتجاو لاساعة فقتله الرومي
وصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل الرومي يكر بين
الصفيين وينادي هل من
اثنين لواحد فخرج اليه
فارس من المسلمين فقتله
الرومي فصاح الكفار سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين
وجعل يحول بين الصفيين
وينادي ويقول ثلاثة
لواحد فلم يستجري احدهم
المسلمين ان يخرج اليه
وبقي الناس في خيرة فقبل
للسلطان ما اياه الا ابو الوليد
ابن فتحون فدعاه وتلطف
به وقال له اما ترى ما يصنع
هذا العلي فقال هو بعيني
قال فما الحيلة فيه فقال
ابو الوليد فماذا تريد فقال
اكف المسلمين شره فقال
الساعة يكون ذلك ان
شاء الله تعالى فلبس قيصر
كتان واستوى على

الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها وجودة رصفها وترتيبها وهذا هو الاعجاز الذي تقصر الافهام
من دركه وانما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته فيه فمدرك
من اعجازه على قدر ذوقه فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقام في ذلك لانهم
فرسان الكلام وجهابذته والذوق عندهم موجودا وافر ما يكون واصح واجوج ما يكون الى هذا الفن
المفسرون واكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا لله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع
آي القرآن باحكام هذا الفن بما يبدى البعض من اعجازه فانقر دبهذا الفضل على جميع التفاسير لولا انه
يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتحاشاه كثير من اهل السنة
مع وفور بضاعته من البلاغة فمن احكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على
الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا تضرب في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا
الكتاب للظفر بشي من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

(علم الادب)

هذا العلم لا موضوع له ينظر في اثبات عوارضه او نفيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي
الاجادة في فن المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجسمون لذلك من كلام العرب ما عساه
تحصل به الكرامة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو وميثوقة اثناء
ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم
به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر الملم من الانساب الشهيرة والخبار العامة والمقصود بذلك كله ان
لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لانه لا يحصل الملكة من
حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا هذا الفن قالوا
الادب هو حفظ اشعار العرب وخبارها والاخذ من كل علم يترقى به يدون من علوم اللسان او العلوم
الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذا لم يدخل لغو يرد ذلك من العلوم في كلام العرب
الما ذهب اليه المتأخرون عند كثرة صنعة البديع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات
العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها وسمي علمنا من
شيء ونحن في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لابن قتيبة
وكتاب السكامل للبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وماسوى
هذه الاربعة فتبعض ما وفروا عنها كتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من اجزاء

سرجه بلاسلاح واخذ بيده سوطا طويل الطرف وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز اليه فحجب منه النصراني ثم حمل كل واحد منهما على
صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون واذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل الى الارض لاشي منه في السرج ثم طفر على
سرجه وجعل عليه وضربه بالسوط في عنقه فالتوى على عنقه فحذبه بيده من السرج فاقتلعه من سرجه وجاء به بحره فالتقاء بين يدي
المستعين فعلم المستعين انه كان قد اخطأ في صنعه معه فأكرمه وورده الى احسن احواله ايها الاجناد اقلوا الخلاف على الامراء فلا تفر مع
اختلاف ولا جماعة لمن اختلف عليه قال الله تعالى ولا تنازعوا فتشوا وتذهب ربحكم وأول الظفر الاجتماع وأول الخذلان الافتراق
وعباد الجماعة السمع والطاعة وانما اتى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يوم صفين من الغضب ان كان قد ظهر اهل العراق على اهل

الشام وتضعفت صفوفها وبقيت فاحس بالشروا انه مغلوب فقال لعمر بن العاص اذهب فخذ لنا الامان من ابن عمك يعني عليا فادار
عمر والحيلة فامرهم ان يرفعوا المصاحف في اطراف الرماح وينادون ندعوك الى كتاب الله تعالى فلما رأى ذلك اصحاب علي كفوا عن
الحرب فقال لهم علي رضي الله عنه أي قوم هذه مكية مدية منهم ولم يبق في القوم دفاع فعصوه وتركو القتال وكان ذلك سبب الحكمين
واعلموا ان من اكرم مكايد الحرب ذكاء العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور وابانة الخذر والاحتراس من العدو وان
لا تخرج هارباً الى قتال ولا تضيق اماناً على مستأمن وقال بعض المصنفين كثرة التكبير عند اللقاء فشل غصوا الاصوات وتجليبوا السكينة
واكملوا الوثام واحتتموا الجبن (٣٥٦) وادرعوا الليل فانه اخفى للويل الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع الليل المدد

هـ ذال فن لما هو تابع للشعر اذا الغناء انما هو تليينه وكان الكتاب والقصة لاعن الخواص في الدولة
العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة
والمرور وقد ألف القاضي أبو الفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابه في الاغانى جمع فيه اخبار العرب وأشعارهم
وانسابهم وايامهم وودودهم وجعل مبناه على الغناء في المسألة صوت التي اختارها المغنون للرشييد
فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب ووافاه ولعمري انه ديوان العرب وجامع اشئنا الخاسن التي سلفت لهم في
كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الاحوال ولا يعدل به كتاب في ذلك فيما نعلم وهو الغاية
التي يسعها الاديب ويقف عندها واني له بها ونحن الان نرجع بالتحقيق على الاجال فيما تكلمنا
عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

٣٨ (فصل في أن اللغة صناعة مملكة صناعية)

(اعلم) ان اللغات كلها مملكة كات شبيهة بالصناعة اذ هي مملكة كات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها
وقصورها بحسب تمام المملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب
فاذا حصلت المملكة النامة في تركيب الالفاظ الموقرة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف
الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المنكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى
البلاغة والمملكة لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولاً وتعود منه للذات صفة ثم يتكرر فتكون
حالا ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزبد التكرار فتكون مملكة اي صفة راسخة فالتكلم من العرب
حين كانت مملكة اللغة العربية موحودة فيهم يسمع كلام اهل جيل له واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية
تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها قبل ان يسمع التراكيب بعدها
فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير
ذلك مملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا تصيرت الاسن واللغات من جيل الى جيل ونعلمها العجم
والاطال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع اي بالمملكة الاولى التي اخذت عنهم
ولم يأخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه المملكة لمضر بمخاطبتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناس
من الجيل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كقبيات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن
مقصوده اكثر الخاطين للعرب من غيرهم وسمع كقبيات العرب ايضا فاختلط عليه الامر واخذ من
هذه وهذه فاستحدثت مملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة
قريش اوضح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتشفهم من

الاعظم الحازم يحذر عدوه
على كل حال الموابية ان
قرب والغارة ان بعد
والنكمين ان انكشف
والاستطارد اذا ولي الجهل
قوة الجراءة من اعتبار بقوته
فقدوه من ليس من القوة
التورط في الهوة لكن اشد
ما كنت حذرا ما كنت
عند نفسك أكثر قوة
وعددا من اس تضعف
عدوه اغتر ومن اغتر ظفر به
عدوه اشهر واولو بكم في
الحرب الجراءة فانها سبب
الظفر واذا كروا الضعائن
فانها تبت على الاقدام
والترمو الطاعة فانها
حصن المحارب اذا وقع
اللقاء برز القضاة اذا لقي
السيف السيف زال الخبار
رب مكية ابلغ من بحدة
رب مكة هزمت عسكرا
الصبر سبب النصر الظفر
مع الصبر اجعل قتال عدوك
أخرجك الى النصر مع التدبير
لا ظفر مع بني ولا تغتر

تقف

بلاقوياء الفضل قوتهم على الضعفاء لا تجبنوا عند اللقاء لا تيملوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور

ولا تجلوا عند الغنائم تزهوا الجهاد عن عرض الدنيا
اعلم وفقك الله تعالى ان مذاهب الخلق في القضاء والقدر وخلق الافعال وارادة الكائنات منتشرة ولا يخرج عن علمه وقضائه وقدره
وحكمه حادث فن خالفنا في القضاء والقدر ووافقنا في العلم وقد تبين الخلق فيه وتشتت مذاهبهم وتقاطعوا فيه وتدابروا وكل حزب بما
لهيم فرحون ولم نضع هذه الترجمة لاستيفاء ما قالوا والاحتياج لكل فريق لان ذلك يستدعي مجادلات واستقار وانما نذكر في هذا الكتاب
احكاما ظاهرة قريية من العقول لتقريب الفائدة على الناظر فيه فاعلم اولاً ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشرو ونفع وضرر

وإيمان وكفر وطاعة ومعصية بقضاء وقدر وكذلك لا يطير ما أثر جناحيه ولا يدب حيوان على بطنه وزجليه ولا تطير به روضة ولا تسقط ورقة
 إلا بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته كما لا يجري شيء من ذلك إلا وقدره سبق علمه به ثم أعلم أن القدر والطلب لا يتنافيان والتوكل والكسب
 لا يتضادان وذلك أن تعلم أن كل ما قضى الله تعالى وقدره فهو كائن لا محالة كما أن ما علم الله تعالى أنه يكون فهو كائن ومن خالفنا في القضاء
 والقدر وافقنا في العلم فرب أمر قدر الله تعالى وصوله إليك بغير ما لب فهو واصل ورب أمر قدر وصوله إليك بعد الطلب فلا يصل إلا بالطلب
 والطلب أيضاً من القدر ولا فرق بين الأمر المطلوب وبين الطلب في أنهم مأمورون أن يفعلوا ما لا يتنافيان وكذلك التوكل مع
 الكسب لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئاً في محلين (٣٥٧) بعدما يتحقق العبد أن المقدور من قبل
 الله تعالى فإن تعسر شيء

تقف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم وأما من بعدهم من ربيعة ونخع وجذام
 وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأم الفرس والروم والحديثة فلم تكن لغتهم تامة الملكة
 بمخاطبة الأعاجم وعلى نسبة بعدهم من قریش كان الاحتجاج بلغاتهم في الحكمة والفساد عند أهل
 الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

٣٩ * (فصل في أن لغة العرب لهذا العهد مستقلة مغايرة للغة مضرو وجير) *

وذلك أننا نجد في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يقدّم منها الأدلة المحركات
 على تعيين الفاعل من المفعول فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدل على خصوصيات المقاصد
 إلا أن البيان والبلاغة في اللسان المضري أكثر وأعرف لأن الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها
 ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى بساط المسال محتاجاً إلى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وأن تكون له
 أحوال تخصه فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود لأنها صفاته وتلك الأحوال في جميع الألسن
 أكثر ما يدل عليها بالألفاظ تخصها بالوضع وأما في اللسان العربي فأنما يدل عليها بأحوال وكميات في
 تراكم الألفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة أو أعراب وقد يدل عليها بالحروف غير
 المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكميات
 كما قد منها فكان الكلام العربي لذلك أو خروا قبل الألفاظ أو عبارة من جميع الألسن وهذا معنى
 قوله صلى الله عليه وسلم لم أوتيت جوامع الحكم واختصر لي الكلام اختصاراً واعتبر بذلك بما يحكي
 عن عيسى بن عمرو وقد قال له بعض النحاة إنني أجد في كلام العرب تكرار في قولهم زيد قائم وإن زيد قائم
 وإن زيد قائم والمعنى واحد فقال له إن معانيها مختلفة فالأول لفظة الخالي ذهن من قيام زيد والثاني
 لمن سمعه فأنكره والثالث لمن عرف بالأصراع على إنكاره فاختلقت الدلالة باختلاف الأحوال وما زالت
 هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفت في ذلك إلى خرفشة النحاة أهل صناعة
 الأعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت وأن اللسان العربي
 فساد اعتباراً بواقع أو آخر الكلام من فساد الأعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة تنسبها للتشيع
 في طابعهم وألفاظها القصور في أفئدتهم والافتقار نجد اليوم الكثير من الألفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها
 الأولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الألفاظ موجودة في كلامهم لهذا العهد وأساليب اللسان
 وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجامعهم والشاعر
 الملقى على أساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك ولم يقدّم من أحوال اللسان المدون

الله تعالى فإن تعسر شيء
 فبتقديره وإن اتفق
 فبتيسيره قال أنس جاء
 رجل على ناقه له فقال
 يا رسول الله أدعها وتوكل
 فقال اعقلها وتوكل
 والتوكل والاعتصام بالقدر
 يستمدان من العقل والطلب
 والكسب يستمدان من
 الأمر فالتوكل على الله تعالى
 هو الثقة بما ضمنه والقطع
 بكون ما حكم به من أمر
 من الأمور ليس الطريق
 في تحصيله أن يغلق باب
 عليه ويفوض أمره إلى
 ربه وينتظر حصول ذلك
 الأمر بل الطريق أن يشترع
 في طلبه على الوجه الذي
 شرعه الله فيه وقد ظاهر
 النبي صلى الله عليه وسلم
 بين درعين واتخذ خندقاً
 حول المدينة يستظهر به
 ويحترس من العدو وأقام
 الرماة يوم أحد ليحفظوه
 من خالد بن الوليد وكان
 يلبس لامة الحرب ويعي

الجيش ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم واسترقي وأمر بالاسترقاء وتداوى وأمر بالمداداة وقال أنزل الداء الذي أنزل الدواء (فان قيل)
 قد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى أو كنزى فقد برئ من التوكل (قلنا) ليس قد قال اعقلها وتوكل وظاهر بين درعين
 وسائر ما ذكرناه آنفاً (فان قيل) هذا الجمع بين ذلك (قلنا) معناه من استرقى أو كنزى متكللاً على الرقية والدي وإن البر من قبلها خاصة
 فهذا يخرج من التوكل وإنما يفعل كافر يضيف الحوادث إلى غير الله تعالى فإما من باشر الأسباب والأدوية وتعالى تدبير الأمور
 بنفسه وأغوانه وماله على ما جرت به سيرة الله تعالى في أرضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل هو واثق القلب أن ما حصل
 فبتقديره وما تعسر فبتقديره معتمد في ذلك على المسبب لا على الأسباب فهذا هو التوكل لكن شرطه أن يمشي في ذلك كله مع الأثر ولا يسأل

طريقه عاقبة معصية فليس يستدرج ما عند الله به صبه وقال فل بن أبي طالب رضي الله عنه من ابتغى أرباح معصية الله كان أبعد ما رجا وأقرب إلى الجحيم ما أتى ومن ظن أن الطالب والآكساب يناقض التوكل فقد في بيته وأغلق باب متكلا على الله تعالى في زعمه كان عن العقل خارجا وفي تبه الجهل والجأو يقال له قبح يا هذا الذجعت وحضر الطعام فهو إلى الطعام أخرج منه إلى المعرفة وينبغي لاهله أن يداووه ألا ترى أن الله تعالى قال لمريم وهزي إليك الجذع النخله فهـ لا أرميها بالسكون ثم حمل الرطب إلى فيها وهكذا القول فيمن له دابة أو بستان يؤمر بسقى البستان وحفره واصلح شأنه ويؤمر بأن يعلف الدابة ويسقيها وأنشدوا ألم تر أن الله قال لمريم * ولو شاء أجنى الجزع تساقط الرطب (٣٥٨)

وهكذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافا وترواح بطاناً فلم يجدهم أرزاقها إليها في أوكارها بل ألمها طابيه بالغدو والرواح وقد كان جهيل ريس القندهارس يرى من تصديق القدر وتكذيب الطالب دون أهل زمانه من الملوكة ما حجزه عن الطالب والتدبير فاتخرجه أخوته من سلطانه وقهره على مملكته فقال له بعض الحكماء ان ترك الطالب يضعف الهمة ويذل النفس وصاحبه سائر إلى اخلاق ذوات الأجر من الحيوان كالضب وسائر الحشرات تنشأ في أجرتها وفيه يكون موتها ثم جمعوا بين القدر والطالب وقالوا أنهم ما كالعبدان على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما أرحح مما حمل في الآخر

والاحركات الاعراب في أواخر الكلام فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيبة معروف وهو الاعراب وهو بعض من احكام اللسان وانما وقعت العناية بالسان مضر لما فسد بمخالطتهم الأعراب حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت أولا فالتعب لغة أخرى وكان القرآن منزلا به والحديث النبوي منقولاً بلغته وهما أصلا الدين والملة فخشي تناسيها وانغلاق الأفهام عنهما بفقدان اللسان الذي تنزله فاحتج إلى تدوين احكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه وصار علما ذا فصول وابواب ومقدمات ومسائل سماه اهل العلم النحو وصناعة العربية فاصبح فنا محققا وعلما مكتوبا وسليما إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيوا لعلمنا واعتمدنا به هذا اللسان العربي لهذا العهد واستقر بنا احكامه نعمناض عن الحركات الاعرابية في دلالاتها ومور أخرى موجودة فيه فتسكون لها قوانين تخصها ولعلمها تكون في أواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات وملاكتها مجانا ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان المجيرى بهذه المثابة وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان المجيرى وتصاريف كلماته تشبه بذلك الانتقال الموجود لدينا ساء لا فالمن يحمله القصور على انهما لغة واحدة ويلتبس اجزاء اللغة المجيرية على مقاييس اللغة المضرية وقوانينها كما يزرعهم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان المجيرى انه من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بصحيح ولغة جبر لغة أخرى مغايرة للغة مضر في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب لهذا العهد مع لغة مضر الا ان العناية بالسان مضر من اجل الشريعة كما قلناه جل ذلك على الاستنباط والاستقراء وليس عندنا لهذا العهد ما يحكم لنا على مثل ذلك ويدعونا اليه ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وما ينطقون بها ايضا من مخرج الكاف وان كان أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي بل يحيثون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الامم والاجيال ومختصا بهم لا يشار إليهم فيها غيرهم حتى ان من يريد التعرّب والانتساب إلى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعندهم انه انما يتميز العربي الصريح من الدخيل في العروبية والمضري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك انها لغة مضر بعينها فان هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا في ولد منصور بن هكمة بن خصبة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد أكثر الامم في المعور وأغلبهم

سقط وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهم سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضر بوافيه مثالا وهم عجبوا فقالوا ان أغنى ومقعدا كانا في قرية بقر وضربا قائد للاعبي ولا حامل للقعد وكان في القرية رجل يطعمهم ما كل يوم احتسابا قوتهم من الطعام والشراب فلم يزلوا في عاقبة إلى أن هلك المحتسب فأقام بعده اياما فاشتد جوعهم ما وبلغ الضر منهم ما جده فاجعوا رايهم ما على ان يحمل الاعبي المقعد فيدله المقعد على الطريق فيبصره ويستقل المقعد يحمل الاعبي فيدورون في القرية يستطعمان أهلها ففعلوا فنجح امرهما ولولم يفعلوا لكاف كذلك القدر سببه الطالب والطالب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه فأخذ جهيل في الطالب فظفر بأعدائه ورجع إلى ملكه فكان جهيل يقول لا تدعن الطالب أبدا كالا على القدر ولا تبهذن نفسك في الطالب معتمدا عليه مستهينا

حقا فقد أساء وان كنت لم تستوجب عليه شيئا فهو يفعل ما يشاء (وقال) ميمون بن مهران لغيلان القدرى سئل فاقوى ماتكوتون اذا سألتم فقال غيلان اشاء الله ان يعصى فقال ميمون أيعصى كارها فانقطع غيلان وروى ان رجلا قال لبرزجره تعالى تتناظر في القدر فقال وما تصنع بالناظرة في القدر رأيت ظاهرا استدلت به على الباطن ورأيت احق مرزوقا وعاقلا محر وما فعلت ان التدبير ليس الى العباد وقال بعضهم يخيب الفتى من حيث يرزق صاحبه * ويعطى المني من حيث يحرم طالبه ولما قدم موسى بن نصير بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك فقال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدى سليمان فقال موسى ان الهدى هندس (٣٦٠) الماس في الارض الفيا في ويصير القريب منه والبعيد على بعده في النجوم ثم ينصب له

في احب الهم والله يخاق ما يشاء ويقدر

٤١ * (فصل في تعليم اللسان المضرى)

اعلم ان ملكة اللسان المضرى لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن وانما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قدمناه الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات ووجه التعليم لمن يتغنى هذه الملكة ويروم تحصيلها ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاءهم واشعارهم وكلمات المولدين ايضا في سائر فنونهم حتى ينزل كثرة حفظه لئلا يكلهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولحق العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف به - وذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وجاه وحفظه من اساليبهم وترتيب الفاظهم فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ويزداد بكثرته ما رسوخا وقوة ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهيم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكييب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم في - ما كما نذكر وعلى قدر الحفظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المصنوع نظاما ونثرا ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغة مضر وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء به فضله وكرمه

٤٢ * (فصل في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم)

والسبب في ذلك ان صناعة العرب لغة هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها علما مثلا ان يقول بصير بالخياطة غير محكم الملكة في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يغرزها في لثقي الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردّها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منقذها الاول بطرح ما بين الثقبين الاولين ثم يتعاضى على ذلك الى آخر العمل ويعطى صورة الحبك والتدبست والتفتيح وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طوالب ان يعمل ذلك بسد لا يحكم منه شيئا وكذا الوشيل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالة تلك المسك بطرفه الاخر وتعاقبانه بينكما واطرافه المضرسة المحددة تقطع ما عرت عليه ذامبة وجائية الى ان ينتهي الى آخر الخشبة وهو لو طوالب بهذا العمل او شئ منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفس - ههنا فان العلم بقوانين الاعراب لغة هو علم بكيفية

الصبي الفخ بالدودة والحبة
فلا يبصره حتى يقع فيه
وفي الاسرائيليات ان
الهداهد كانت رائدة
سليمان بن داود عليهما
السلام الى الماء فتقدم
معسكره ثم تنظر الارض
فتقول الماء ههنا على
الف قامة او اقل او اكثر
فتبادر الجحش تحفره فلا
يلحق سليمان الا وقد
استعد الماء واعلموا ان
المبارب عما هو مقتضى
مقدر كالمقلب في كف
الطالب وانشد بعضهم

واذا خشيت من الامور
مقدرا
وفررت منه ففخوه تتوجه
وليسار
طبع على ما في غير مخبر
هو اى ولو خبرت كنت
المهذبا
أريد فلا عطى واعطى فلم ارد
وقصر عاى ان ينال الغيبا
واصرف عن قصدى وعلى
مقصر

العمل

وامسى وما أعطيت الا التعجبا ولما وقع الطاعون بالكوفة فرابن ابي ليلى

على جاره يطلب النجاة فسمع منشد ايشد لن يسبق الله على حمار * ولا على ذى منعة طيار او يأتى الخنف على مقدار * قد يصيح الله امام السارى فذكر راجعا الى الكوفة وقال اذا كان الله امام السارى فلات حين مهرب وانشد بعضهم اقام على المسير وقد انجحت * مطاياهم وغرد حاديها وقال اخاف عادية اليا الى * على نفسي وان القى رداها ومن كتبت منيتي بارض * فليس يموت في ارض سواها ولما قتل كسرى بزرجره وجدوا في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر جفا فاحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبا عا فالثقة بكل احد نازلا فالطمانينة الى الدنيا حق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد والحسن البصرى

في قوله تعالى وكان تحته كنز ما اتى كان الكنز لو كان ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن
وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف
الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها الا الله محمد رسول الله وقال يحيى بن معاذ عجبت من ثلاث رجل يريد تناول رزقه بتدبيره
وهو يرى تناقض تدبيره ورجل شغلته هم غده وعالم مقتون يعيب على زاهد مغبوط ومن عجيب منازل بالاسكنة تدريه ان رجلا من
خدمة السلطان غاب عن خدمته اياما فقبضه الشرط وجاؤه الى دار السلطان فانساب منهم في بعض الطريق وتراعى في بئر والمدينة
مسيرة تحت الارض باسراب يعيشى الماشى فيها فاقاموا يحدوها ويدورها لان (٣٦١) في دورها آبارا على تلك السروب فما

زال الرجل يعيشى الى ان لاح
له بئر مضيئة فطلع فيها واذا
البشر في دار السلطان فطاع
الرجل في دار السلطان
فادبه السلطان فكان فيه
المثل السائر الفار من القضاء
الغالب كالمغفلت في يد
الطالب وقال ابن مسعود
ان الرجل ليسرف على
الامر من الامارة والتجارة
او غير هاذ كره الله تعالى
فوق سمواته فبقول للمالك
اصرف عن عبدي هذا
الامر فاني ان ايسره له ادخله
به جهنم فيظل يتغيظ على
جيرانه فيقول سبقتني فلان
وحسدني فلان وما صرفه
عنه الا الله تعالى وانشدوا
قالوا تقيم وقد احاط
طبك العدو ولا تقهر
فاجبتهم الشيخ ما
لم ينتفع بالعلم غير
لانك خير اما بقية
ت ولا عداني الدهر شر
ان كنت اعلم ان غي
والله ينفع او يضر

العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثير من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين
علماء بتلك القوانين اذا سئل في كتابة سطر من الى اخيه او ذى مودته او شكوى ظلامة او قصده من قصوده
اخطأ فيها عن الصواب واكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المتصور وعلى اساليب
اللسان العربي وكذا نجد كثير من يحسن هذه الملكة ويحيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن
اعراب القاعل من المفعول ولا المرفوع من المجرور ولا شيئا من قوانين صناعة العربية فمن هذا تعلم ان
تلك الملكة هي غير صناعة العربية وانها مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب
بصير ابحال هذه الملكة وهو قليل واتفاقوا اكثر ما يقع للمخاطبين لا كتاب سيبويه فانه لم يقتصر على
قوانين الاعراب فقط بل ملا كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه جزء صالح
من تعليم هذه الملكة فتجد العا كفا عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في
محفوظه في اما كنه ومفاصل حاجاته وتنبه له شأن الملكة فاسد توفي تعليمها فـ كان ابلغ في الافادة ومن
هو لا المخاطبين لا كتاب سيبويه من يغفل عن التتظن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه
ملكة واما المخاطبون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك الامن القوانين النحوية مجردة عن اشعار العرب
وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بامر هذه الملكة او ينتبهون لشأنها فتجدهم يحسبون انهم قد حصلوا على
رتبة في لسان العرب وهم ابعـد الناس عنه واهل صناعة العربية بالاندلس ومعلموها اقرب الى تحصيل
هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من الترا كيب في
بحال تعليمهم فسبق الى المبتدئ كثير من الملكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها
وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب واقريقية وغيرهم فاجروا صناعة العربية بجرى العلوم بحسبنا
وقطعوا النظر عن التفقه في ترا كيب كلام العرب الا ان اعرابا شاعرا او رجلا مذهبيا من جهة الاقتضاء
الذهني لامن جهة محامل اللسان وترا كيبه فاصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق
العقلية او الجدول وبعدت عن مناحي اللسان وما كنه وما ذلك الاعدولهم عن البحث في شواهد اللسان
وترا كيبهم وتغيبوا عن المران في ذلك للتعليم فهو احسن ما تفيد هذه الملكة في اللسان وتلك
القوانين انما هي وسائل للتعليم لكنهم اجروها على غير ما قصد بها واصاروها علما بحتا وبعدها عن ثمرتها
وتعلم مما قررناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بقدرة الحفظ من كلام العرب حتى
يرتسم في خياله المنوال الذي تسجوا عليه ترا كيبهم فينسخ هو عليه وينزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط
عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المفاصل على نحو كلامهم والله المقدر

(٤٦ - ابن خلدون) استأذن العقل على الجدل فقال اذهب لاحاجة لي بك فقال العقل ولم فقال انك تحتاج الى ولا
احتاج اليك (واوصي) حكيم ابنه فقال يا بني رزقك الله جدا يخدمك به ذوا العقول ولا رزقك عقلا يخدم به ذوى الجودود وكان يقال
افراط العقل مضر بالجودود وروى ان رجلا خيرا في امر فاني ان يختار وقال انا بجدى اوثق منى بعقلي فافرغوا وفي الامثال اسع بجد لا بكد
اسع بجد اودع جددك لا كدك الجدل الجدل الجدل اغنى من الكد واعلم ان زمام الامور التوفيق ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من
التوفيق وهو مقرون بالاجتهاد قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وقد كنت جئت فيه كتابا من جملة كتابي في الاسرار هل
التوفيق مكتسب او موهبة بلا سبب فلا يزيد عليه ومن لطيف ما وقعت عليه في بخارى القضاء والقدر ان الهارب من المقعد دور

كأنه غفلت في يد الطالب فأتزل في مدينة الاسكندرية في قضية الرجل الذي تقدم ذكره * (الباب الثالث والسبعون وهو جامع من اخبار ملوك العجم وحكاياتهم وهو يشتمل على خمسة فصول) * (الاول) يشتمل على اخبار رفعت الينا بعد الفراغ من الكتاب فالخمس (والثاني) يشتمل على حكم الحكيم الفرس خاصة (والثالث) يشتمل على حكم حكيم الهند خاصة (والرابع) يشتمل على حكم حكيم العرب خاصة (والخامس) يشتمل على حكم مجموعة منتخبة رسمنا ذلك لنتنظر في عقول القوم واغراضهم ومنتهى مرامهم من كتاب جاوريدان خرد الفارسي قال ثلاثة لا يصلح فسادهم بشئ من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الا كفاه والركاكة في العقول وثلاثة لا يستفسد صلاحهم بنوع (٣٦٢) من المسكر والحيل العداوة في العلماء والقنوع في المستبصرين والسخاء في ذوي الاخطار

الامور كلها والله اعلم بالغيب

٤٣ * (فصل في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه

وبيان انه لا يحصل غالب الاستعر بين من العجم) *

اعلم ان لفظة الذوق يتداولها المعنون بقنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة للكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للترا كيب في افادة ذلك فالتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يقوى الهمة المفيدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد ينحرف فيه غير منحنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحنى محج ونساعنه سمعه بأدنى فكر بل وبغير فكر الا بما استفادته من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين بمن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام فكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها اجنبية وطبع وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص ترا كيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محالها وقد مر ذلك واذا تقررت ذلك الملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافقة لترا كيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه الملكة حيداعن هذه السبيل المعينة والترا كيب الخاصة لما قدر عليه ولا واقفه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده واذا عرض عليه الكلام طأدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وبما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصنع اهل القوانين التجوية والبيانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفيدة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صديقا من صبيانهم نشأ وربي في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شئ وانما هو يحصل هذه الملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه الملكة لمن يعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم واشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل الملكة ويصير كواحد من نشأ في

وثلاث لا يشبع منهم -
الحياة والعافية والمسال
وقال ابن لقمان لا يسه
يا ابت ما الداء العياء قال
دع - ونة مولودة قال فما
المرج الدوى قال المرأة
السوء قال فما الحمل الثقيل
قال الغضب وما قرأ هذه
الحكاية أبو عباد الكاتب
وكان ظر يفا في اخباره
قال والله الغضب أخف
على من ريشة وكان اسرع
الناس غضبا فاقبل له
انما في لقمان ان احتمال
الغضب ثقيل فقال لا
والله لا يقوى على احتمال
الغضب الا الجمل وغضب
يومنا على بعض اصحابه فرماه
بدواة فشججه فجعل الدم
يسيل فقال أبو عباد صدق
الله العظيم حيث قال
والذين اذا ما غضبوا هم
يعفرون فاستدعاه المأمون
وقال ويحك لا تحسن أن
تقرأ آية من كتاب الله تعالى
قال بلى والله يا امير المؤمنين

اني لا قرأ من سورة واحدة الف آية فضحك المأمون وامر باخراجه وقيل لا توشروا ان ما العقل

جياهم

قال القصد في كل الامور قيل فما المروءة قال ترك الريبة قيل فما السخاء قال ان تنصف من نفسك قيل فما الحق قال الاغراق في الذم
والجد وقيل لبعض الحكماء ما الحزم قال سوء الظن وقال بعضهم في قوله الحزم سوء الظن قال انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره قيل فما
الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال كف بذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض
وقال معاوية لزياد حين ولاء العراق يا زياد ليكن حبك وبغضك قصدا فان الغيرة كائنة واجعل للرجوع والتزوع بقية من قلبك
واحذر صولة الانهمالك فانها تؤدي الى المهالك وهو مثل قول علي بن ابي طالب رضي الله عنه احبب حبيبك هو واما عسي أن يكون بغضك

يوماموا بغض بغضك هو ناما عسى ان يكون حبيبك يوماموا من ذلك قول الاول واحب حبيبك جبار ويدا فليس يغـ ولك ان تضربا
وقال آخر ولا تبأسن الدهر من حب كاشم * ولا تأمنن الدهر صرم حبيب وسئل بزرجمهر عن العقل فقال ترك ما لا يعني قيل
فما الحزم قال انتهز الفرصة قيل فما الحلم قال العقو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل فما الخرق قال حب مغرق و بغض
مفرط وقيل لبعض الملوك وبلغ في المنزلة والقدر ما لم يبلغه أحد من ملوك زمانه ما الذي بلغ بك هذه المنزلة قال عفو عن قدرتي وإني
بعد شدتي وبذلي الانصاف ولومي لنفسي وإيقائي في الحب والبغض ككنا موضع الاستبدال وقال الاسكندر لبعض الحكماء وأراد سقرا
أرشدني لأخرم أخرى قال لا تملك قلبك بحبة الشيء ولا يستولى عليك بغضه (٣٦٣) واجعلها مقصدا فان القلب كاسمه

يتقلب وله خاصية في
القلب تنزع وترجع
واجعل وزيرك الثابت
وسميرك التيقظ ولا تقدم
الابعد المشورة فانها نعم
الدليل واذا فاعت ذلك
ملك قلبك رعيته ملك
استعباد قال الشاعر
وما سمي الانسان الا لانه
ولا القلب الا انه يتقلب
وقيل لبعض الحكماء
الدليل الناصح قال غريزة
العقل مع الطبع قيل فما
القائد المشفق قال حسن
المنطق قيل فما العناية
المعي قال تطبيعك من
لا طبع له وقال الفضل بن
مروان سألت رسول ملك
الروم عن سيرة ملكهم قال
بذل عرفه و جرد سيقه
فاحتمت عليه القلوب
رغبة ورهبة لا ينغص بجنده
ولا يحرج رعيته سهل
النوال خزن النكال الرجاء
والخوف مفقودان في يده
قلت فكيف حكمه قال

جبلهم وورثي بين أجيالهم والقوانين بمنزل عن هذا واستعير لهذه الملكة عند ما ترسخ وتستقر اسم الذوق
الذي اصطلح عليه أهل صناعة البيان وانما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه
الملكة في اللسان من حيث النطق باللام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمها وايضا فهو
وجه داني اللسان كما أن الطعوم محسوسة له فقبل له ذوق واذا تبين لك ذلك علمت منه أن الاعاجم
الداخلة في اللسان العربي الطارئة عليه المضطرين الى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك
بالمشرق وكالبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قررنا أمرها لان
قصاراهم بعد طائفة من العمر وسبق ملكة أخرى الى اللسان وهي لغاتهم ان يعتنوا بما يتداوله أهل
مصر بينهم في المحاوراة من مقرر دور كمال ما يضطرون اليه من ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لأهل
الامصارو بعدوا عنها كما تقدم وانما لهم في ذلك ملكة أخرى وليست هي ملكة اللسان المطالبة ومن
عرف تلك الملكة من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصل الملكة في شيء انما حصل أحكامها
كما عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتقاد والتكرار لكلام العرب فان عرض لك ما سمعته
من أن سيمويه والقارسي والزخشرى وأمثالهم من فرسان الكلام كانوا انما مع حصول هذه الملكة
لهم فاعلم أن أولئك القوم الذين سمع عنهم انما كانوا عجماء في نسبهم فقط وأما المربي والنشأة فكانت بين
أهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك من الكلام على غاية لأورادها وكانهم في أول
نشأتهم من العرب الذين نشأوا في أجيالهم حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها ففهموا وان كانوا عجماء
في النسب فليسوا باعجماء في اللغة والكلام لانهم أدركوا الملة في عنقوائها واللغة في شباهاها ولم تذهب
آثار الملكة ولا من أهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمدايسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته
واليوم الواحد من العجم اذا خالط أهل اللسان العربي بالامصار فأول ما يجد تلك الملكة المقصودة من
اللسان العربي مخفية الا تارو يجد ملكة خاصة بهم ملكة أخرى مخالفة لملكة اللسان العربي
ثم اذا فرضنا انه أقبل على الممارسة لكلام العرب وأشعارهم بالمدايسة والحفظ يستفيد تحصيلها فقل ان
يحصل له ما قدمناه من أن الملكة اذا سبقتهم ملكة أخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان
فرضنا عجماء في النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلمة وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمدايسة
فربما يحصل له ذلك لكنه من الندور بحيث لا يخفى عليك بما تقررون بما يدعي كثير من ينظر في هذه
القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في تلك
القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

يرد الظلم ويردع الظالم يعطى كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغضب قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي
له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائي اليه واقبال عيني عليه وكانت الرسل تنزل عندي فقال لترجانه ما الذي يقول الرومي
قال يصف له ملكهم ويذكر سيرته فكلام الترجان بشي فقال لي الترجان يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وقو حلم عند الغضب وذو
سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسار عيته جميع نعمته وقصرهم تعنيف عقوبته فهم يترعون به ترائي الملal حبالا
ويخافونه مخافة الموت نكالا وقدوتهم مدله وردعتهم سطوته عقله فلا تمنه فرجة ولا تؤيسه غفله اذا عطى اوسع واذا عاقب اوجع
قال تأس اثنان راج وخائف فلا راجي خائب الا مل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون اجفانها ولا

تبعه الا بصار انسانها كان رعيته فقط افرقت عليهم اقصور وادق قال فحدثت المأمون بهذين الحديثين فقال لي كم قيمتهما عندك قلت الفادهم قال يا فضل ان قيمتهما اكثر من الخلافة اما علمت حديث امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قيمة كل امرئ ما يحسن افعرف احدا من الخطباء البلقاء يحسن ان يصف احدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بمثل هذه الصفة قلت لا قال فقد امرت لهما بعشرين الف دينار معجولة لهما واجعل العدة مائة بيني وبينهما على العود فلو لا حقوق الاسلام واهله لرأيت اعطاءهما ما في بيت المال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه وقال الفضل بن سهل كان عندى رسول ملك الروم وكان يحديثني عن أخت للملك يقال لها خاتون قال اصابتنا سنة احترم شواظها علينا (٣٦٤) بحرارة المصائب وصنوف الآفات ففرغ الناس الى الملك فلم يدروا يحجبهم به فقالت

٤٤ * (فصل في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر) *

والسبب في ذلك ما يسبق بقى الى المتعلم من حصول ملكة منافقة للملكة المطالبة بما سبق اليه من اللسان المضري الذي افادته العجمة حتى نزل بها اللسان من ملكته الاولى الى ملكة اخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النجاة ان هذه المسابقة بصناعتهم وليس كذلك وانما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحوا قرب الى مخالطة ذلك وما كان من لغات اهل الامصار عرق في العجمة وابعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها التمكن المناقاة حينئذ واعة بذلك في اهل الامصار فاهل افريقية والمغرب لما كانوا عرق في العجمة وابعد عن اللسان الاول كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق ان بعض كتاب القير وان كتب الى صاحب له يا اخي ومن لا عدمت فقهه اعلمني ابو سعيد كلاما انك كنت ذكرت انك تكون مع الذين تأتي وعاقنا اليوم فلم يتبين لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر الشين فقد كذبوا هذا باطلا ليس من هذا حرفا واحدا وكاني اليك وانما مشتاق اليك ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شديدا ما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطيبة ولم تنزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان بافر يقية من مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعر امر اطارئين عليها ولم تنزل طبقتهم في البلاغة حتى الا ن ماثلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامثالهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا وكان فيهم ابن حيان المؤرخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لهم فيها وابن عبدربه والقسطلي وامثالهم من شعراء ملوك الطوائف لم يبرزت فيها بحار اللسان والادب وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانقراض والجللاء ايام تغلب النصرانية وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فتناقص ذلك شأن الصنائع كلها فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الخسيف وكان من آخرهم صالح بن شريك ومالك بن المرحل من تليها طبقة الاشبيلية بسبب دولة ابن الجحر في اولها وألقت الاندلس اولاد كبدتها من اهل تلك الملكة بالجللاء الى العدو لدولة الاشبيلية الى سبب ومن شرق الاندلس الى افريقية ولم يلبثوا الى ان انقرضوا وانقطع سبب تعليمهم في هذه الصناعة لعدم قبول العدو لها وصعوبتها عليهم يعوج ألسنتهم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي منافية لما قلناه ثم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجم بها ابن بشرين وابن جابر وابن الجياب وطبقتهم ثم ابراهيم

له خاتون ايها الملك ان الحزم عاق لا يخاف جديده ولا يمتن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته وزاجره عن استفسادها وقد فرغت رعيته الملك افضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيد له الاساءة الى خلقه عز ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما احدث اولي بحفظ الوصية من الموصي ولا يركوب الدلالة من الدال ولا يحسن الرعاية من الراعي ولم تنزل في نعمه لم تغيرها نعمة وفي رضام يكذره بخط الى ان جرى القدر بما عصى منه البصر وذهل عنه الخدر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعليه بشكر النعم وعذبه من فطسح النعم حتى تنسه ينسك ولا تجعان الحياء من التذلل للامر المذل شركا بينك وبين رعيته فتستحق مذموم

الساحل

العاقبة وليكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقرار لله بكنه القدرة وتذليل الاسن في الدعاء بمحض

الشكر فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن شيء فعل الى صالح عمل وليبعثه على دؤب شكر يحوز به فضل اجر فامرها الملك ان تقوم فيهم فتعذرهم بهذا الكلام فقالت فرجع القوم عن يابه وقد علم الله تعالى منهم الوعظ في الامر والنهي فقال عليهم الحول وما بينهم مفقود فجهة كان سلبها وتواترت عليهم الزيادات بحميد الصنع فاعترف الملك لها بالفضل فقلدها الملك بعده وجميع الرعية على الطاعة لها في المحبوب والمكر وههنا فعل الله بأعدائهم وضرائهم نعمته لما شكره وأعادهم من نعمه ما كان قد استرجع وزادهم من فضله ما آمنوه فكيف بمن يؤحدونه ويؤمنون به لو صدقت نبأنا وصحت ضمائرنا وقال الواقدي توفي رسول بعض الملوك بدمشق في خلافة هشام فوجدني

جيبه لوح من ذهب مكتوب فيه اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا مات الاعتصام عاش الانتقام واذا ظهرت الخيانات امتحنت البركات وقال
الوضاحي وجه انوشروان رسول له الى ملك قد اجتمع على محاربه وامره ان يعرف سيرته في نفسه ورعيته فرجع اليه فقال وجدت عنده الهزل
اقوى من الحمد والكذب اكثر من الصدق والجور ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر به سر اليه وليكن عملك في محاربه به بما هو
عنده اضعف واقل واوضع فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فقتله واستولى على مملكته وقال بزرجه المزعج آفة الجحد والكذب عدو
الصدق والجور مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيئته واذا استعجب الكذب استخف به واذا بسط الجور فسد سلطانه وكان
نقش خاتم رستم وهو احد ملوك الفرس الهزل مبعضة والكذب منقضة والجور مفسدة وقتل لبعض اصحاب اسفنديار رجل من الترك فاصيب
في عنقه لوح ذهب مكتوب فيه آفة الشدة التهييب وآفة المنطق الحياء وآفة كل شيء الكذب (٣٦٥) وقيل لبعض الحكماء ما قيمة الصدق

قال الخلد في الدنيا قبل في الآخرة
قيمة الكذب قال موت
عاجل قبل في ما قيمة العدل
قال ملك الابد قيل في ما
قيمة الجور قال ذل الحياة
قال وسأل ملك الهند
الاسكندر وقد دخل بلاده
ما علامة الملك ودولته قال
له الحمد في كل الامور قال
فأعلمه بالامانة قال
الهزل فيه قال فاسرور
الدنيا قال الرضاء رزقت
قال فاعلمه قال الحرص
على ما لك لا تناله وقال
بزرجه ثلاث من سرور
الدنيا وثلاث من غمها فاما
السرور فالرضا بالقسم
والرضا بالطاعة في النعم ونفي
الاهتمام بالرزق لغد وأما
الغم فحرص مسرف وسؤال
مخيف ومعنى ما يلهف ومز
بعض الملوك بغلام يسوق
جارا غير منبعت وقد
عنق عليه في السوق فقال
يا غلام ارفق به فقال
الغلام يا ايها الملك في الرفق
به مضرة عليه قال وما

الساحل الطريحي وطبقته وقفاهم ابن الخطيب من بعدهم الملك لهذا العهد شهادته اعدائه
وكان له في اللسان ملكة لا تدرك واتبع اثره تلميذه بعده وبالجملة فشان هذه الملكة بالاندلس اكثر
وتعلمها ايسر واسهل بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معجزة علوم اللسان ومحافظة عليهم وعلى
علوم الادب وسند تعليمها ولان اهل اللسان العجمي الذين تقسموا كتبهم انما هم طائفتون عليهم وليست
عجمتهم اصلا للغة اهل الاندلس والبربر في هذه العدو وهم اهلها ولسانهم لسانها الا في الامصار فقط وهم
فيها منغمسون في بحر عجمتهم ورسائلهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل الملكة اللسانية بالتعليم
بخلاف اهل الاندلس واعتبر ذلك بحال اهل المشرق لعهد الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن
اهل الاندلس في تمام هذه الملكة واجادتها بعد ذلك العهد عن الاعاجم ومخاطبتهم الا في القليل
فكان امر هذه الملكة في ذلك العهد اقوم وكان قول الشعراء والكتاب اوفر لتوفر العرب وابنائهم
بالمشرق وانظر ما اشتمل عليه كتاب الاغانى من نظمهم ونثرهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب وديوانهم
وفيه لغتهم واخبارهم وايامهم وملتهم العربية وسيرتهم وآثار خلفائهم وملوكهم واشعارهم وغنائهم
وسائر مغانيهم له فلا كتاب اوعب منه لاحوال العرب وبقي امر هذه الملكة مستحسنا كما في المشرق في الدولتين
وربما كانت فيهم ابلغ من سواهم عن كان في الجاهلية كما نذكره بعد حتى تلاشي امر العرب ودرست لغتهم
وفسد كلامهم وانقضى امرهم ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملك في ايديهم والتغاب لهم وذلك في دولة
الديلم والسيوقية وخالفوا اهل الامصار والمخاض حتى بعدوا عن اللسان العربي ومملكته وصار متعلمها
منهم مقصر عن تحصيلها وعلى ذلك تجد لسانهم لهذا العهد في في المنظوم والمنثور وان كانوا اكثر من
والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

٤٥ * (فصل في انقسام الكلام الى فنون النظم والنثر)

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنون في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون
اوزانه كلها على روى واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير الموزون وكل واحد من الفنون يشتمل
على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فله المدح والمجاء والرثاء واما النثر فله السجع الذي يتوقى به
قطعوا يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً
ولا يقطع اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تعقيب بقافية ولا غير ما يستعمل في الخطب والدعاء وترغيب
الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين وليس يسمى مرسل مطلقاً ولا
سجعاً بل تفصيل آيات ينتهي الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الآية

مضرتة قال تطول طريقه ويشد جوعه وفي العنف احسان اليه قال يحف حله ويطول كاهه فاعجب الملك بكلامه
وقال له قد امرت لك بانف درهم قال رزق مقدور وواهب ما جور قال وقد امرت بانبات اسمك في حشبي قال كعبت مؤنة ورزقت بها
معونة قال لولا انك حديث السن لاستوزرتك قال ان يعدم الفضل من رزق العقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد
التجربة ولا يعرف الانسان نفسه حتى يلوها قال فاستوزره فوجده ذارأي صليب وفهم رحيب ومشورة تقع مواقع التوفيق قال وكتب
الاسكندر الى ارسطاطاليس وقد نفذ في الشرق والغرب وبلغ منهما ما لم يبلغه احد قبلها كتب الى لقظام وجرا بنفع ويردع فكاتب
اليه اذا استولت بك السلامة فجدد ذكر العطب واذا هنتك العافية فخذت نفسك بالسلام واذا اطمان بك الامن فاستشعر الخوف واذا

بلغت نهاية الامل فاذا كرم الموت فان احببت نفسك فلا تجعل لها في الاساءة اليها نصيبا قال ووعظ بعض الحكماء كذا فقال له ايها الملك ان الدنيا دار عمل والاخرة دار ثواب ومن لا يقدم لا يجد فتهن نفسك خلاوة عيشها بترك الاساءة اليها او اعلم ان زمان العافية بيد البلاء ومن السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستورا بالخوف فلا تكون في حال من هذه الثلاثة غير متوقع لا ضدادها ولا تجعل نفسك عرضا لسهام الملائكة فان الدهر عدو ابن آدم فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد واذا فكرت في نفسك وعدوها استغنيت عن الوعظ (قال) وكتب الاسكندر على باب الاسكندرية اجل قريب في يد غيرك وسوق حثيث من الليل والنهار واذا انتهت المدة حبل بينك وبين العدة فاحتمل قبل المنع (٣٦٦) واكرم اباك بحسن صحبة السائقين واذا آتيتك السلامة فاستوحش بالعطب فانه الغاية

واذا فرحت للعافية فاحزن للبلاء فاليه تكون الرجعة واذا بسطك الامل فاقبض نفسك عنه بذكر الاجل فهو الموعد واليه المورد (وقال) ابن الاعرابي حدثني من رأى بين اصفهان وفارس حجرا مكتوبا عليه العافية مقرونة بالبلاء والسلامة مقرونة بالعطب والامن مقرون بالخوف ولما ضرب أتوسروا عنق بزرجمهر لما رغب من دين الجوسية وانتقل الى دين المسيح عليه السلام وجد في منطقته كتابا فيه ثلاث كلمات اذا كان القدر حقا فاحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فالثقة بكل أحد عجز واذا كان الموت بكل أحد نازلا فاطمأينة الى الدنيا حق ولما تاب الله تعالى على النبي سليمان عليه السلام ورد عليه ملكه كتب على كرسيه اذا صحت العافية

الاخرى بعدها ويقتضي من غير التزام حرف يكون سحبا ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مشاني تقشع رمنه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الآيات ويسمى آخر الآيات منها اقواصل اذ ليست اسجعا ولا التزم فيها ما يلتزم في المجمع ولا هي ايضا قواف واطلق اسم المثنائي على آيات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واختصت بام القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا ولهذا سميت السبع المثنائي وانظر هذا مع مقالة المفسرون في تعليل تسميتها بالمثنائي يشهد لك الحق برجحان ما قلناه واعلم ان لكل واحد من هذه القنون اساليب تختص به عند أهله لا تصح للفن الاخر ولا تسعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والحجود والدعاء المختص بالمخطبات والمثال ذلك وقد استعملت المتأخرون اساليب الشعر ومما اذينه في المنشور من كثرة الاسجاع والتزام التقفية وتقدم النسب بين يدي الاغراض وصار هذا المنشور اذا تأملته من باب الشعر عروفته ولم يفتقر الا في الوزن واستمر المتأخرون من السكاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخطبات السلطانية وقصر والاسعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخالطوا الاساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا اهل المشرق وصارت المخطبات السلطانية لهذا العهد عند السكاب الغفل جارية على هذا الاسلوب الذي أشرنا اليه وهو غير صواب من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخطب والمخاطب وهذا الفن المنشور المقتضى ادخل المتأخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان تنزه المخطبات السلطانية عنه اذ اساليب الشعر تنافى مع اللوذية وخطا الجدل بالهزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقفية ايضا من اللوذية والتزيين وجمال الملك والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويباينه والمحمود في المخطبات السلطانية المرسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا في الاقل النادر وحيث ترسله الملائكة ارسالا من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام أسلوب يخصه من اطناب او ايجاز او حذف او اثبات او تصريح او اشارة وكناية واستعارة واما اجراء المخطبات السلطانية على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم وما جل عليه اهل العصر الاستيلاء العجبة على السنتهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال فاعجزوا عن الكلام المرسل بعد امد في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا المسجع يلقون به ما تنقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويحبرونه بذلك القدر من التزيين بالاسجاع والالقاء البديعة وينقلون عما سوى ذلك واكثر من اخذ بهذا الفن وبالغ فيه في سائر النحاء

نزل البلاء واذا تمت السلامة نجم العطب واذا تم الامن عان الخوف (وحذر) كلامهم حقير بفارس فوجد فيه لوح رخام فيه أربعة اسطر محفورة اولها ايها المعافي اشر بالبلاء والثاني ايها السلام توقع العطب والثالث ايها الامن خذ أهبة الخوف والرابع ايها المومنين بعد عنك العصر ولما نزل أبو مسلم مدينة سمرقند اتاه اسمعندها فقال ايها الملك ان بالقندهار حجر امد فوناقية ثلاثة اسطر وجدت في الكتب ان سليمان بن داود عليه السلام بعث به ودفن في هذا الموضع ووجد انك انت الذي تستخرج منه وتعمل بما فيه فأمر به فخرج فاذا أول سطر منه الحزم انتهت الفرصة ونزل الوفاق يخاف عليه القوت والسطر الثاني الرياسة لا تتم الا بحسن السياسة والسطر الثالث لم يقتل الا باء من ترك الانباء ولم يصب من لم ينجب فم كان أبو مسلم يقول علم جليل به

تتم هذه الدولة ان لم ينزل القدر بما يحول بيننا وبين الخذر فلم ينزل يستعمل هذا الكلام الى ان قدم العراق فاعماه القدر عن الاستعانة بالخذر فقتله ابو جعفر المنصور وما حج ابو مسلم قبل له ان بالحيرة نصر انبا قد اتت عليه مائتا سنة وعنده علم من العلم الاول فوجه اليه فأتى به فلما نظر الشيخ الى أبي مسلم قال قدمت بالاكفاية ولم تأل في العناية وقد بلغت النهاية احرقت نفسك لمن سببت حسرتك وكان قد عانيت رمسك فبكى ابو مسلم فقال لا تبك فانك لم تؤت من خرم وثيق ولا من رأى رقيق ولا تدبير نافع ولا من سيف قاطع ولا كن ما استجمع احد لامله الا اسرع في تقر يب اجله قال قتي تراه يكون قال اذا توأما الخليفة كان على امركان والتقى يد في يد من يبطل معه التدبير وان رجعت الى خراسان سلمت وهيأت فاراد الرجوع فكتب اليه السلطان بالمضي ووجهه (٣٦٧) اليه من يحشه فلولان البصر يعمرى

اذ نزل القدر لكانت هذه دلالة تقع موقع العيان وتبعث على التيقظ في الخذر والاحتياط في الهرب على ان لا يكل نفس غاية والسكل امر نهاية (وقيل) لبحالينوس وهو حاكم الطب وفيلسوفه وقد نهكته العلة الاتعاج فقال اذا كان الداء من السماء بطل الدواء واذا قدر الرب بطل حذر المرء بوب ونعم الدواء الاجل وبش الداء الامل وقال بعض الغزاة فتحنا حصنا من بلاد الروم فرأينا فيه صورة الاسد من حجر مكتوب عليه الحيلة خير من الشدة والتأني افضل من العجلة والجهل في الحرب اخزم من العقل والتفكير في العاقبة مادة الجزع (وقال) اجد بن سهل وجه ملك الروم الى هرون الرشيد بثلاثة اسداف مع هذا ما كثيرة وعلى سيف منها مكتوب ايها المقاتل

كلامهم كتاب المشرق وشعر اوه هذا العهد حتى انهم ليخونون بالاعراب في الكلمات والنصريف اذا دخلت لهم في تجنيس أو مطابقة لا يحتمل ان معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويقتدون بنية الكامة عساها تصاد في التجنيس فتأمل ذلك بما قدمناه لك تنقف على صحة ما ذكرناه والله الموفق للصواب عنه وكرمه والله تعالى أعلم

٤٦ * (فصل في انه لا تنفق الاجادة في فني المنظوم والمثورة مع الالاقل) *

والسبب في ذلك انه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا تسبقت الى محله ملكة اخرى قصرت بالحل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطبايع التي على القطرة الاولى اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة ومما تنفق عن سرعة القبول فوَقَعَت المناقاة وتعدر التمام في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصرا في اللسان العربي ابدأ فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولى على ملكة اللسان العربي ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا البربري والرومي والافرنجي قل ان تجد احدا منهم محكما لملكه اللسان العربي وما ذلك الا لما سبق الى الستهم من ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسن اذا طلبه بين اهل اللسان العربي جاء مقصرا في معارفه عن الغاية والتحصيل وما أتى الا من قبل اللسان وقد تقدم لك من قبل ان الالسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع وما كانت لا تزدهم وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى أو يستولى فيها على الغاية والله خالقكم وما تعملون

٤٧ * (فصل في صناعة الشعر ووجه تسميته) *

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات الا ان الالسن انما تتكلم في الشعر الذي للعرب فان أمكن ان تجد فيه اهل الالسن الاخرى مقصودهم من كلامهم والافكل لسان احكام في البلاغة تخصه وهو في لسان العرب غريب الزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتا ويسمى الحرف الاخير الذي تتفق فيه روي او قافية ويسمى جملة الكلام الى آخره قصيدة وكلية وينفرد كل بيت منه بافادته في تراكميه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا افرد كان تاما في بابه في مدح أو تشييب او رثاء فيحرص الشاعر على اعطاء ذلك البيت ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت

اجل تغنم ولا تفكر في العاقبة فتهزم وعلى الثاني منها مكتوب اذ لم تصل ضرورة سبقت فصلها بالقاء خوفاً وعلى الثالث مكتوب الثاني فيما لا يخاف عليه القوات افضل من العجلة الى ادراك الامل وقال المحسن بن سهل قرأت في كتاب جاو يدان خرد ثلاث تبطل مع ثلاث الشدة مع الحيلة والعجلة مع التأني والاسراف مع القصد (وقال) الخضر بن علي رايت بعدن حجرا عليه مكتوب بالحيرية ايها الشديدا حذر الحيلة ايها العجول احذر التأني ايها المحارب تأس من الفكر في العاقبة ايها الطالب بوجود الاقطع امل من بلوغه (وكتب) قيصرا الى كسرى اخبرني بأربعة أشياء لم اجد من يعرفها واخاطبها عندك اخبرني ما عدو الشدة وصديق الظفر ومدرك الامل ومفتاح الفقر فكتب اليه الحيلة عدو الشدة والصبر صديق الظفر والتأني مدرك الامل والجود مفتاح الفقر (وقال) بعض الملوك ليحكيم واراد سفر او قفني

على أشياء من حكمته أن عمل بها في مقرى فقال اجعل تأنيك زمام عجلتك وحييلتك رسول شدتك وعقولك ملك قدرك وأناضامك لك قلوب رعتك أن لم تخرجهم بالشدة أو تبطريهم بالاحسان اليهم وقال الخضر بن علي قرأت في كتاب جابو يدان خرد وهو أجل كتاب للفرس الجملة أنفع من أقوى الشدة وأقل التأني أجل من أكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم وإذا استبد الإنسان برأيه عجت عليه المرشد وكان التجت كان أبو نزرجه رحا مل القدر وضيع الحال مفهمه المنطق فلما انت لبزرجه خمس عشرة سنة وحضر في مجلس الملك وقد جلست الوزراء على كراسيها والمرارية في مجالسها وقف يحياي الملك ثم قال الحمد لله المأمول نعمته المرهوب تقمه الدال عليه بالرغبة اليه المؤيد الملك بسعوده في الملك (٣٦٨) حتى رفع شأنه وعظم سلطانه وانار به البلاد وأعاش به العباد وقسم له في التقدير وجوه

الأخر كلاما آخر كذلك ويستطرد للخروج من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود بان يوطئ المقصود الاول ومعانيه الى ان تناسب المقصود الثاني ويعد الكلام عن التناظر كما يستطرد من التشبيح الى الملاح ومن وصف البداء والطول الى وصف الر كاب والخيال أو الطيف ومن وصف المدوح الى وصف قومه وعساكره ومن التنبج والعداء في الرثاء الى التأثر وأمثال ذلك ويراعى فيه اتفاق القصيدة كلها في الوزن الواحد حذر من أن يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى وزن يقاربه فقد ينجفي ذلك من أجل المقاربة على كثير من الناس وهذه الموازين شروطا وأحكام تضمنها علم العروض و ليس كل وزن يتفق في الطبع استعماله العرب في هذا الفن وأنما هي أوزان مخصوصة تسمى بأهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة عشر بحرا يعني أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظما وعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شر يقاع عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم وأصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم ونحوهم وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها والملكات اللسانيات كلها انما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ويصلح ان يتقدم دون ما سواه فيحتاج من أجل ذلك الى نوع تلاف في تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوائمه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ويرزقه مستقلا بنفسه ثم يأتي ببيت آخر كذلك ثم يبيت ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالات بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة واضعوبة منحاه وغرابة فنه كان محكا للتراث في استجادة أساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام في قوائمه ولا يكفى فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصه الى تلاف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصتها العرب بها واستعمالها ولنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انما عبارة عندهم عن المنوال الذي يتشجع فيه الثراكيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام باعتبار افادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكييب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعماله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كنية باعتبار انطباقها على تراكييب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكييب وأشخاصها او يصيرها في الخيال كالتراكيب او المنوال ثم ينتقى التراكييب الصحيحة عند

التدبير فرعى رعيته بفضل نعمته وجساها المؤيدات واوردها المعشبات وزادها عن الآكامين والفها بالرفق واللين أنعاما من الله تعالى عليه وتشبها لما في يديه واسأله ان يبارك له فيما آتاه ويخير له فيما استرعاه ويرفع قدره في السماء ويتبرذ كره تحت الماء حتى لا يبقى له بينهما مناوى ولا يجده فيهما مداني واستوهد له حياة لا تنغيص فيها وقدره لا شاذ عنها ومكالا يؤس فيه وعافية تدب له البقاء وتكثر له النما وعزايثومنه من انقلاب رعيه او هجوم عليه فانه مولى الخير ودافع الشر فأمر الملك فحشي به بتمين الجواهر ورفيعه ولم يدفع حداثة سنة مع نديل كلامه ان استوزره وقادته خيره وشبهه فسكان أول داخل وآخر خارج (وقال) عمر بن عبد العزيز بالله

العرب

على العاقل نعمة بعد الاسلام افضل من مباينة هذه السفلة بالفهم والعقل ولولم يكن هذا

ما عرف الله تعالى الا بالجهل الا ترى ان الله تعالى خاطب اولى النعم وذوى الالباب وذوى البصائر ويجب على العلية ان يحمدا والله تعالى على مباينتهم هذه السفلة بالعقول والافهام كما يحمدهم على جميع النعم (وقيل) لمروان بن محمد وهو آخر ملوك بني أمية ما الذي أصارك الى هذا فقال الاستبداد برأي لما كثرت على كتب نصر بن سيار ان أمية بالاموال والرجال قلت في نفسي هذا رجل يريد الاستكثار من الاموال والجمعة يظهر لي من فساد الدولة قبله وهيئات ان ينتفض على خراسان فانتفضت دولته من خراسان وقال الواقدي قال الفضل بن سهل لما دعي للأموال في كور خراسان بالخلافة جاءته أهدايا الملوك سرورا بكانه من الخلافة ووجه ملك

كأنه شحنا يقال له ذوبان وكتب يذكر أنه قد وجه به يدية ليس في الأرض أسنى منها ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر منها فاجتمع المأمون وقال سل الشيخ مامعه فسأله فقال مامع شئ أكثر من على قلت وأى شئ علمك قال رأى يقيم وتدير يقطع ودلالة تجمع قال فسر المأمون بذلك فأمر بانزاله واكرامه وكتما امره فلما اجتمع على التوجه إلى العراق لقتال أخيه قال لذوبان ما ترى في التوجه إلى العراق قال رأى وثيق وخزم مصيب ومالك قريب فالسير ماض فاقض ما انت قاض قال له من توجه قال الفتى الأعور الطاهر الطاهر يسير ولا يهترقوى مرهوب مقاتل غير مغلوب قال فكلم توجه من الجنه فقال أربعة آلاف صوارم الأسياف لا ينهضون العدد ولا يحناجون إلى المدد فسر المأمون بذلك ووجه بطاهر بن الحسين قال وفي أي وقت يخرج قال مع طلوع الفجر يجمع (٣٦٩) لك الأمر ويصير إلى النصر نصر

سريع وقتل ذريع
وتفريق تلك الجوع
والنصر له لا عليه ثم يرجع
الأمر إليك واليه فقطر طاهر
وكان له النصر وقتل على بن
عيسى وزير الأمين واستولى
على عسكره وحاز أمواله فامر
الملك لذوبان بمائة ألف
درهم فلم يقبلها وقال أيها
الملك إن مديني لم يوجهني
إليك لانه صك مال فلا
تجعل ردي لانه منك تسخطا
وسا قبل ما في هذا المال
ويزيد عليه قال المأمون
وما هو قال كتاب يوجد
بالعراق فيه مكارم
الأخلاق وعلوم الآفاق
من كتب عظيم القرس
فيه شفاء النفس من صنوف
الآداب ليس في كتاب
عند عاقل لبيب ولا فطن
أريب يوجد تحت أيوان
بالمداش فيقاس بالذرعان
في وسط الأيوان لازيادة
ولا نقصان فاحفر المدر
واقطع الحجر فاذا وصلت إلى

العرب بأخبار الأعراب والبيان في رصا كما فعله البناء في القالب والنساج في المنوال حتى يتسع
القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ما ذكره اللسان
العربي فيه فان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطول في
الشعر يكون بكتاب الطول كقوله * يا دارمية بالعباء فالسند * ويكون باستدعاء الصهب للوقوف
والسؤال كقوله * ففان سأل الدار التي خف أهلها * أو باستدعاء الصهب على الطلل
كقوله * ففانك من ذكرى حبيب ومنزل * أو بالاستدعاء عن الجواب لمخاطب
غير معين كقوله * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * ومثل تحية الطول بالأمر لمخاطب غير معين بتحيته كقوله
حي الديار بجانب الغزل * أو بالدعاء لها بالسقيا
كقوله * اسقي طلولهم أجش هديم * وغدت عليهم نضرة ونعيم
أو سؤاله السقيا لها من البرق كقوله
يا برق طالع منزلا بالبرق * واحد الصحاب لها دعاء الانيق
أو مثل التمجيع في الجزع باستدعاء البكاء كقوله
كذا فاجعل الخطاب ولي قدع الأمر * وليس أمين لم يقض ماؤها عذر
أو باستعظام الحادث كقوله * أرايت من جلا على الأعوان * أو بالتسجيل على الأكوام بالمصيبة لفقده
كقوله * منابت العشب لاحام ولا راع * مضى الردي بطويل الرمح والباع
أو بالانكار على من لم يتفجع له من الجادات كقول الخارجية
يا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
أو بتهنئة فريقه بالراحة من ثقل وطأته كقوله
التي الرماح ربيعة بن نزار * أودى الردي بقر يركل المغوار
وأمثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتنظم التراكيب فيه بالجمال وغير الجمال انشائية
وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي
في مكان كل كلمة من الأخرى يعرفك فيه ما تستفيد به بالارتياض في أشعار العرب من القالب السكلي المجرد
في الذهن من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مؤلف الكلام هو كالبناء أو
النساج والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي ينسج عليه فان خرج عن القالب
في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا ولا تقول ان معرفة قوائيم البلاغة كافية في ذلك لانه يقول

(٤٧ - ابن خلدون) الساحة فافلحها تجد الحاجة ولا تلزم لغيرها قبل زمك غيب ضرها فاسل المأمون إلى أيوان كسرى
فخروا في وسطه فوجدوا صندوقا صغيرا من زجاج عليه قفل منه فحمل إلى المأمون فقال لذوبان هذا يغتلك قال نعم أيها الملك قال خذها
وانصرف فتكلم بالسانه وتقع في القفل فانه خرج منه خرقة ديباج فنشرها فسقط منها أوراق فعدّها مائة ورقة ولم يكن في الصندوق شئ
غيرها فأخذ الأوراق وانصرف إلى منزله قال الفضل بن سهل فحسنته فسأله فقال هذا كتاب جاويدان خرد تأليف كنجور وزير مال
إيران شهر فطلبت منه شيئا فدفعت إلى ورقات منه وترجها إلى الخضر بن علي ثم أخبرت المأمون فقال أجل إلى الورقات فماتت إلى فقرائها
فقال والله هذا الكلام لا مانع فيه من لي السمتنا * (فضل في نوادر بزرجه رحيم القرس نهني النحاء ووعظي الوعاء شفقة

ونصيحة وتنادي يا فلان يعطني أحداً مثل شيء ولا تعطني مثل فكري ولقد استصنأت بنور الشمس وضوء القمر فلم استضيئ بشيء أضوأ من نور قلبي وكنت عند الأحرار والعبيد فلم يملكني أحد ولا قهرني غيـرهم واهوى وعاداني الأعداء فلم أر أعدى لي من نفسي إذا جهلت واحترزت لنفسي بنفسي من الخلق كلهم حذراً عليهم أوشقة فوجدتها أشرا لأنفس لنفسيها وأرأيت أنه لا يأتيها الفساد إلا من قبلها وزجني المضايق فلم يزجني مثل الخلق السوء ووقعت من أبعد البعد وأطول الطول فلم أقع في شيء أضرب على من لسانى ومشيت على الحجر ووطئت على الرمضاء فلم أر ناراً أحمر من غضبي إذا لم يكن مني وطالبني الطلاب فلم يدركني مدرك مثل انساني ونظرت ما للداء القاتل ومن أين نالني فوجدته من معصية ربى سبحانه والتست الراحة (٣٧٠) لنفسي فلم أجد شيئاً أروح لها من تركها ما لا يعينها وركنت البحار ورأيت الأهل

فلم أره ولا مثل الوقوف على سلطان جائر وتوحشت في البرية والجبال فلم أر مثل القرنين السوء وعالجت السباع والضباع والذئاب وعاشرتهم وعاشرتني وغلبتها فغلبني صاحب الخلق السوء وأكلت الطيب وشربت المسكر وعانقت المحسان فلم أجد شيئاً أذل من العافية والأمن وتوسطت الشياطين والجبال والسباع فلم أجمع الأمن إلا من الإنسان السوء وأكلت الصبر وشربت المر فلم أر شيئاً أمر من الفقر وشهدت الحروب وتعبت الجيوش وباشتريت السيوف وصارعت الأقران فلم أر قرناً غلب من المرأة السوء وعالجت الحديد ونقلت الصخر فلم أرجل أثقل من الدين ونظرت فيما يذل العزيز ويكسر القوى ويضع الشريف فلم أر أذل من

قوانين البلاغة أنما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكييب على هيأتها الخاصة بالقياس وهو قياس على صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الاعرابية وهذه الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء أنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكييب في شعر العرب بحرياتها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام بامطالاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا تفيد تعليماً بوجهه وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعماله وانما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء معروفة يطالع عليها المحفظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كالقوالب كان نظراً في المستعمل من تراكييبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه القوالب في الذهن أنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما تكون في المنظوم تكون في المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا القنين وجاءوا به مفصلاً في النوعين ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيده بغيره بالاسجاع وقد يرسلونه وكل واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبنى مؤلف الكلام عليه تأليفه ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية قالب كلي مطابق يحذو حذوه في التأليف كما يحذو البناء على القالب والنساج على المنوال فلهذا كان من تأليف الكلام منفرداً عن نظائر النحوي والبياني والعروضي نعم ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فإذا تحصلت هذه الصفات كلها في الكلام اختص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يسهونها أساليب ولا يفيد الا حفظ كلام العرب نظاماً ونثراً وإذا تقرر معنى الأسلوب ما هو فلنذكر بعده حداً أو رسماً للشعر به تفهم حقيقة على صعوبة هذا الغرض فانما ننقف عليه لاحد من المتقدمين فيما رأينا من قول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المتقي ليس بحده هذا الشعر الذي نحر بصدده ولا رسم له وصناعتهم انما تنظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الحيشة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والوصاف المفصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستعمل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والوصاف والافصاف فصل عما ينحسرون من هذه فانه في الغالب ليس بشعر وقولنا المفصل باجزاء متفقة الوزن

ذي فاقة وطاجة ورشقة بالنشاب ورجعت بالحجارة فلم أر أنفذ من الكلام السوء ويخرج من فهم مطالب بحق والروى وعمرت المحجن وشددت في الوثاق وضربت بعد الحديد فلم يهدمني مثل ما هدمني الغم والهم والحزن واصطنعت الاخوان وانتخبت الاقوام للعدو والشدة والنائبة فلم أر شيئاً أخير من التكرم عندهم وطلبت الغنى من وجوهه فلم أر أغنى من القنوع وتصدقت بالذخائر فلم أر صدقة أنفع من رد ذي ضلالة الى هدى ورأيت الوحدة والغربة والمذلة فلم أر أذل من مقاساة الجار السوء وشيدت البنيان لا عز به واذكر فلم أر شرفاً أرفع من اصطناع المعروف وليست الكساء الفاخرة فلم ألبس شيئاً مثل الصلاح وطلبت احسن الاشياء عند الناس فلم أجد شيئاً احسن من حسن الخلق وسررت بعطايا الملوك وحببتهم فلم أسر بشيء أكثر من الخلاص منهم (فصل) ومن حكم شهاب السندي

من كتابه الذي سماه مثقل الجواهر للملك بن فايز الهندي يا ايها الملك اتق عثرات الزمان وتخس تساط الايام ولوم غلبة الدهر واعلم ان
 الاعمال جزاء فأتق العواقب ولا يام عثرات فكن على حذر ولا اقدار مغيبات فاستعد لها وللزمان منقلب فاحذر دولته ائيم الكفة تخف
 سطوته سر يبع الغرة فلا تآمن دولته واعلم ان من لم يداون نفسه من سقام الاثم في ايام حياته فما بعده من الشقاء في دار لا دواء له بها
 ومن اذل حواسه واستعبد هواها يقدم من خير لنفسه بان فضله وظهر تلبه ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس
 واذ لم يضبط حواسه مع قوتها وذا تهاصب عليه ضبط الاعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم فكانت عامة الرعية في قواصي البلاد
 وأطراف المملكة أبعد من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدوا حتى (٣٧١) ان يبدأ بالقهر من نفسه ثم يشرع

في قهر حواسه الخمس لان
 قوة الواحدة منهن دون
 صوابها قد تأتي على
 النفس القوية الخدرة
 فكيف اذا اجتمعت خمس
 أنفس على واحدة واعلم
 ان لكل واحدة منهن
 شرة ليست للآخرى فيزها
 تسلم من شرها وانما يهلك
 الحيوان بالشهوات الا ترى
 أن القراش يكره الشمس
 فيسكن من حرها ويعجبه
 ضياء النار فيدثومها
 فتحرقه والظبي على نغار
 قلبه وشدة حرصه ينصب
 للسمع المونق الملهي
 فيمكن القانص من نفسه
 وذباب الورد المتبع لطيب
 الارايح يطلب ما يقطر
 من اذن الفيل لطيب
 رائحته فانه في طيب رائحة
 المسك فيلهيه طيب الرائحة
 عن الاحتراس من تحريك
 القمل اذنه فيتوجج في
 اصل اذنه فتقع عليه
 ضربة الاذن فتقتله

والروى فصل له عن الكلام المنشور الذي ليس بشعر عند الكل وقولنا مسة تقل كل جزء منها في غرضه
 ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة لان الشعر لا تكون أبياته الا كذلك ولم يفصل به شيء وقولنا
 الجاري على الاساليب الخصوصية به فصل له عما يجزم منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا
 يكون شعرا انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون المنشور وكذا اساليب المنشور لا
 تكون للشعر فما كان من الكلام منظوما وليس على تلك الاساليب فلا يكون شعرا وهذا الاعتبار كان
 الكثير من لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في
 شيء لانهم لم يجريا على اساليب العرب من الامم عندهم من يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه
 لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب الخصوصية واذ قد فرغنا من الكلام
 على حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول * اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته شروطا
 اولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ويتخير
 المحفوظ من الحر الذي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل ما يكفي فيه شعرا عن من القول
 الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذو الرمة وجرير وابي نواس وجبيل والبحتري والرضي وابي
 فراس وأكثره شعر كتاب الاغانى لانه جمع شعرا هل الطبقة الاسلامية كله والمختار من شعر الجاهلية ومن
 كان خاليا من المحفوظ فنظمه قاصر ردى ولا يعطيه الرونق والحلاوة الا كثرة المحفوظ فن قل حفظه او
 هـ دم لم يكن له شعر وانما هو نظم ساقط واجتناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من
 الحفظ وشك هذا القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم وبالا كذا ومنه تستحكم ملكته وترسخ وربما
 يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحي رسومه الحرفية الظاهرة اذهى صادة عن استعمالها بعينها
 فاذا نسيها وقد كتبت النفس بها انشأ على الاسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بامثالها من كلمات
 أخرى ضرورة ثم لا يبدله من الخلوة واستعادة المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا السموع لاستنارة
 القريحة باستجماعها وتنشيطها بلا ذا السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن يكون على جسام ونشاط فذلك
 اجمع له وأنشط للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك اوقات البكر
 عند الملبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجاهل وربما قالوا ان من بواعثه العشق
 والانشاء ذكر ذلك ابن رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي اتفرج به هذه الصناعة واعطاء حقه ولم
 يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت آخر ولا يكره
 نفسه عليه وليكن بناء البيت على القافية من اول صوغه ونسجه بعضها ويبني الكلام عليها الى آخره لانه

والسمك في البحر تحمله لذة الطعم ان يتلعه فتحصل الصنارة في جوفه فيكون فيه حنقه (وذكر الحكيم) ان خض الامعروفة قتلت بالافراط
 فيها ملوكا مبروفين فالصيد مات فيه قبيده الملك والافراط في العهارمات منه سبب الملك والافراط في السكرات فيه حاذق الملك وشدة
 الحرص مات منه مهريق الملك والغضب أخر سخي الملك والطمع مع وائل والفرح واطبات والانفة بوليس والتواني زمير بهر واخلق
 بنحصال اهل مكت ملوكا ان يجتنبها الملوك * واعلم ان الرعية تستطى الى الملك العادل استطاء اهل الجب الى الغيث ويتعشون
 بطاعته عليهم كاتتعاش النبات بما يناله من القطر بل الرعية بالمالك العادل اتم نفعها منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا مع لوما وعدل
 الملك على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يشبه تصاريه بطناع شماتية أشياء وهي الغيث والشمس والقمر والرياح

والنار والارض والماء والموت فاما شبه الغيث فتواتره في اربعة اشهر من السنة ومنه من جميع السنة كذلك ينبغي للملك ان يعطى جنده
واعوانه في الاربعة اشهر تقدير التمة السنة فيعمل رفيعهم ووضعهم في الحق الذي يسـ توجهونه بمنزلة كما يسوي المطربين كل اكمة
مشرقة وغائطه مستقل ويغمر كلام من مائه بقدر حبه ثم يستجيى الملك في الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم كما تسخن الشمس
بحرها وشدة فعلها انداوة الغيث والامطار في الاربعة الاشهر واما شبه الريح فان الريح لطيفة المدخل تسرح في جميع المنافذ حتى لا يفوتها
مكان كذلك الملك ينبغي ان يتوج قلوب الناس بجواسـ يسـ وعيونه لا يخفقون عنه بشئ حتى يعرف ما ياترون به في بيوتهم واسواقهم
وكالهم اذا استهل أيامه فأضاء (٣٧٢) واعتدل نوره على الخلق وسر الناس بضوئه ينبغي ان يكون الملك بهيمة وزينته واشراقه

ان غفل عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محالها فربما تجب عنافرة قلقة واذا سمع الخاطر
بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الا ليق به فان كل بيت مستعمل بنفسه ولم يتبق الا
المناسبة فليغير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتقيد والنقد ولا يرض به على الترك اذا لم
يبلغ الاجادة فان الانسان مقتون بشعره اذهونيات فكره واختراع قريحته ولا يستعمل فيه من الكلام
الا الفصح من التراكييب والمخالص من الضرورات اللسانية فليجبرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة
البلاغة وقد حذر أئمة اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذهو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة
المثلى من الملائكة ويحسب ايضا المعتمد من التراكييب جهده وانما يقصد منها ما كانت معانيه تسابق الفاظه
الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على الفهم وانما المختار منه ما كانت
الفاظه مطبقة على معانيه او وفي فان كانت المعاني كثيرة كان خشوا واستعمل الدهن بالغوص عليها ففسح
الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا يكون الشعر سهـ الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى
الذهن ولهذا كان شيوخنا رجعهم الله يعيرون شعرا بنى بكر بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه
وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيرون شعرا لمتبني والمعري بعدم النسيج على الاساليب العربية كما
مرفـ كان شعرهما كلاما منظوما نازلا عن طبقة الشعر والحما كـ بذلك هو الذوق وليحسب الشاعر ايضا
المحوشي من الالفاظ والمقصر وكذلك السوق المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة
البلاغة ايضا فيصير مبتذلا ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا ومقدار ما يقرب من
طبقة عدم الافادة يبعد عن رتبة البلاغة اذهما طرفان ولهذا كان الشعر في الربائيات والنبويات قليل
الاجادة في الغالب ولا يحذف فيه الا الفحول وفي القليل على العشر لان معانيها متداولة بين الوجه ورفق تصير
مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليروضه ويعاوده فان القرينة مثل الضرع يدرب بالامتراء
ويجف بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق وقد ذكرنا
منها ما حضرنا بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك السكاب ففيه البغية من ذلك وهذه نبذة
كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن احسن ما قيل في ذلك
وأظنه لابن رشيق

لعن الله صنعة الشعر ماذا * من صنوف الجهال منه اقمنا * يؤثرون الغريب منه على ما
كان سهلا للسامعين مبينا * ويرون المحال معني صحبا * ونحسب الكلام شيا غمينا
يجهلون الضواب منه ولا يد * روى للجهل انهم يجهلون * فهم عند من سـ وانا يلامو

في مجلسه وابتاسه رعيته
بشره فلا يخص شريفا
دون وضيع بعده
وكالارض في كتمان السر
والاحتمال والصبر والامانة
وكالنار على اهل الذعارة
والفساد وكعاقبة الموت
في الثواب والعقاب يكون
ثوابه لا يقصر عن اقامة
حدولا يتجاوزها وكالماء في
لبنه لمن لا يثمه وهدمه
واتلاعه عظيم الشجر لمن
حاربه واعلم انه قد يكتنف
الساطان من شرار الناس
والاعوان على الحاجة اليهم
من يستمشع ويستكره
كالحبات تكتنف بالصندل
فمقتلها الصندل بطيب
رائحته وبرده ويسه
ويستفيع الصندل بها اذا
لا يقرب منه من يريد ان
يقطعه * ليكن فيك مع
تلاطفت تشديد البلاء فلا
يتجرأ عليك فان القمر
يستار بضوئه ويظهر له
لكن الشمس يستظل من

حرها ويسكن لها وقد قالت العرب في مثل هذا لا تكن حلوا فتستترط ولا مرافق لفظ اجعل لكل
ن
طبقة من أعدائك أشباههم من أعوانك يسوسونهم فانهم كالماء في الاذن لاجلة في اخراجه الا بارق من الماء الذي هو من جنسه
اذا عاديت رجلا فلا تعاد جنسه واستبق من دونه احدا فعسى تستفيع به فان السيف القاتل من جنس الدرع الواقى ولا تطـ معن في
الكذب والمطبوع على الشر ان تعطفهم بالاحسان فانهم ما كالقرد كلما سمى باطعام الحلاوة والسم ازداد وجهه قبحا * قد يرد الواحد
ركب الجميع اذا كان عاقلا كما يرد الظل حرشع الشمس اذا كان واقفا غايه ارمى الناس ان يقتل بسهم واحد اسكن رمية عاقل ذهن
الجميع بامر الملك الشريف العاقل لا يتعد فيه قدح اهل البغي من انقطع اليه ولزمه كان كالجوهر المضي بنوره لا تطفئه

عصوف الرياح من كان قابلا لما يورد عليه في اصغائه الى كل قول يسمعه كان كالسراج يميل به كل ربح لينته ثم لا يلبث ان عصفت
الرياح ان يطاقا * تدبير الملك الحازم في سطاته كتمه اعد صاحب البستان بستانه يخرج ناحل عبدانه وشوك شجره فيحيط به على ثمره
وذره ليقبضه من الشر والفساد كما يتخب الملك اهل الشكوة والشوكة فيجعلهم في اقصاه وحدوده رد للملكة * ولا يكن الملك احذر ما يكون
آمن ما يكون (قالت) وقد صدق الشاعر امنت ريب المنون فتمت * رب خوف مكن في امان قال الاتري ان بهر شان الملك انا مت
المزاة على فراشه رجالا فلما رام فراشه وثب عليه فقتله وباسراج الملك فقتله بمخلال مسموم وذروف الملك فقتله امراته بمدية خبأتها في
عقاصها واعلم ان العدو قد علم منك مواضع الحذر وحالات الامن وانما ترصده لك (٣٧٣) في حالات الامن والمواضع التي تظن

العدو لا يمكن فيها فكن
احذر ما يكون فيها وسائر
حكم هذا الباب قد قدمتها
في تراجم كتابنا

(فصل) * قال غيره
لا ينبغي للملك ان يكون له
ايام مع لومة يظفر فيها
فان في ذلك خصا لا مذمومة
منها انه قد يعوق عن ذلك
اليوم مسك بهم او بعض
كسل اولذة معتمة فيلزمه
الخروج على كره ومنها انه
اذا تخلف عن الظهور في
ذلك اليوم لامر ما تطاوت
الاعتاق من الرعية وكثر
كلامها وقالوا مرض اومات
او اصابته آفة فيكسب
العدو جراحة وسروا ويكسب
الولي حزنا وجبا او منها انه
قد يواعد عدوه ليوم
يلتقيان فيه فلا يتم له ذلك
ولا ينبغي ان يكون الملك
كثير التصرف عند فساد
الزمان وخبط الرعية
وعن هذا قالت الحكماء
اذا كان الحبل كثير القفر

ن وفي الحق عندنا يعذروننا * انما الشعر ما يناسب في النظم * م وان كان في الصفات فنونا
فاتي بعضه يشا كل بعضا * واقامت له الصدور المتونا * كل معني اناك منه على ما
تتمى ولم يكن او يكونا * فتاهى من البيان الى ان * كاد حسنا يبين لنا نظرينا
فيكان الالفاظ منه وجوه * والمعاني ركن فيها عيوننا * ان ما في المرام حسب الاماني
يتحلى بحسنة المنشدونا * فاذا ما مدحت بالشعر حرا * رمت فيه مذاهب المشتبهنا
فجعلت النسيب سهلا قريبا * وجعلت المديح صدقا مبيتا * وتعلبت ما يهجن في السم
مع وان كان لفظه موزونا * واذا ما عرضته بهجاء * عبت فيه مذاهب المرقبينا
فجعلت التصريح منه دواء * وجعلت التعريض داء دينا * واذا ما بكت فيه على العا
دين يوما للبين والظاعنين * حلت دون الاسى وذلت ماكا * ن من الدمع في العيون مصونا
ثم ان كنت ما تباحث بالوع * بدوع يد او بالصعوبة ليننا * فتركت الذي عبت عليه
احذرا آمنا عزيرامينا * واصح القريض ما قارب النظم * م وان كان واضحنا مستينا
فاذا قيل اطعم الناس طرا * واذا ريم اعجز المجزينا

ومن ذلك ايضا قول بعضهم

الشعر ما قوم تربع صدوره * وشددت بالتهذيب أس متونه
ورابت بالاطناب شعب صدوعه * وفطحت بالايجاز عور رعيونه
وجعت بين قريبه وبعيده * وجعت بين محج ومعيه
واذا مدحت به جوادا ما جدا * وقضيت به بالشكر حق ديونه
أصفيته بتقش ورضيته * وخصصته بخطيره وثمينه
فيكون جزلا في مساق صنوفه * ويكون سهلا في اتفاق فنونه
واذا بكت به الديار وأهالها * أجريت للمجزون ماء شؤونه
واذا أردت كناية عن ربيته * باينت بين ظه وره ويطونه
فجعلت سامعه يشوب شكوكه * بثبوتيه وظنونه يمينه

٤٨ * (فصل في ان صناعة النظم والترتيل هي في الالفاظ لا في المعاني)

(اعلم) ان صناعة الكلام نظاما وثرانما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما المعاني تتبع لها وهي اصل
فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والترتيل يحاول في الالفاظ بحفظ أمثالها من كلام

كان نصيب الذئب * (فصل) * من توارى كلام العرب من حكم اكنم بن صيفي وهذا رجل كان له عقل وعلم ومعرفة وتجربة وقد علق
الناس عنه حكما لطيفة والقوافي باتصانيف فن حكمه قال من فسدت بطائته كان كمن غص بالماء أفضل من السؤال ركوب الاهوال
من حسد الناس بدأ بضرته نفسه العديم من احتاج الى لثيم من لم يعتبر فقد خسر ما كل عمرة تقال ولا كل فرصة تنال لا وقاه من ليس له حياء
قد يشهر السلاح في بعض المزاج من وفي بالهدى فاز بالجمد الموت يدنو والمرء يلهو وطول الغضب يورث الوصب رب عتق شر من رقي من
اصطنع قوما يحتاج اليهم يوما ما الكذب بهت والخاف مقت من لم يكف اذا ما لقي ما ساء الحريه تقاضى لسان نفسه واللثيم يستحسن
تسوية وجهه ليس بانسان من ليس له اخوان أنت فر يثقل ان صحبت من هو دونك عليك بالجمالة من لا تدوم له مواصلة له في

الاسفار يبدوا الاختبار افسد كل تحسب من ليس له أدب افضل الاعمال صيانة العرض بالمال ليس من خادث الجهول بذي معقول ليس
للمحقق مثل الرد من جالس الجهال فليست عدل قليل وقال ما جلا عنك النسيان مثل البيان ولا تفي عنك البهتان مثل البرهان لم ينبج من
الموت غنى لماله ولا فقير لا قلة اذا أردت طرد الحرف فسمه الهوان كثرة العمل آية البخل كفر النعمة أثوم وصحبة الاحق شؤم ان من الكرم
لين الشيم اياك والخديعة فانها خلق اثم أحض أخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة قرب سبب قد هاجه العتاب الصدود آفة المقت
سبب الحرمان التواني من سأل فوق قدره استحق الحرمان ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤب ان من الفساد اضاءة الزاد من
حلم سادوم من تفهم ازداد لا ترغب (٣٧٤) فين يزهد فيك رب بعيد أقرب من قريب المزاح يورث الضغائن سل عن الرفيق

قبل الطريق وعن الجار
قبل الدار غنك خير من
ممن غيرك من أجد المسير
أدرك المقييل استعرة
أخيت لما يعلم فيك
لا تكثر من المزاح فتذهب
هيتك ولا من الضحك
فيستخف بك من أكثر
من شيء عرف به كفى بالحلم
ناصر المنة تهدم الصنيعة
تعم الشيء الهدية بين يدي
الحاجة ربحا نصع غير
الناسح ورعنا غش المنصع
الكلام فيما ينفعك
خير من السكوت والسكوت
عما يضرك خير من
الكلام لا يغرنك من
جاهل قرابة ولا جوار ولا
أف فان أقرب ما تكون
من النار قريبا أقرب
ما تكون منها تها بها رفض
أهل الدناءة تلمك المهابة
دع مجالسة أهل الريب
على كل حال فانك ان يسلم
دينك لم تسلم من سوء المقال
الكرم شكر البلاء والاثوم

العرب ليكثر استعماله وجر به على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر ويتخلص من العجة التي ربي
عليها في جيله ويقرض نفسه مثل ولا يد ينشأ في جبل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه
واحد منهم في لسانهم وذلك اننا قدمنا أن للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها
على اللسان حتى تحصل والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ وأما المعاني فهي في الضمائر وأيضا
فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا تحتاج الى صناعة وتأليف
الكلام للعبارة عنها والمحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف
بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف
الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلاغتها في
الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في
نفسها وانما الجاهل بتأليف الكلام واساليبها على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده
ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

٤٩ (فصل في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة الحفظ)

قد قدمنا انه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة الحفظ وطبقته في جنسه
وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الى اصله عنه للمحافظ فمن كان محفوظه شعر جيب أو العتاني أو ابن
المعتر أو ابن هانئ أو الشريف الرضي أو رسائل ابن المقفع أو سهل بن هرون أو ابن الزيات أو البديع أو
الصافي تكون ملكته أجود واعي مقام ورتبة في البلاغة من يحفظ شعر ابن سهل من المتأخرين أو ابن
النبية أو ترسل البيهقي أو العماد الاصبهاني فنزول طبقة هؤلاء أولئك يظهر ذلك للبصير الناقد
صاحب الذوق وعلى مقدار جودة الحفظ أو المجموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم اجادة الملكة
من بعدهما فيارتقاء الحفظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الى اصله لان الطبع انما ينسج على
منوالها وتنمو قوى الملكة بتغذيتها وذلك ان النفس وان كانت في جبلتها واحدة بالنوع فهي تختلف
في البشر بالقوة والضعف في الادراك واختلافها انما هو باختلاف ما ردها من الادراكات
والملكات والانوان التي تكفيها من خارج فبهذه يتم وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها
والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدريج كما قدمناه فالملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة
الكتابة بحفظ الاسجاع والترسيل والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية
بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخرج الفروع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات

كفر النعمة اكرم الصنائع الصدور ان تسلم من الناس حتى يسلموا منك من عدم الايمان والاذا كار
لم تزده الرواية فقها الحزن مفسدة للعقل ومقطعة للحيلة كثرة النوم امانة للقلب شدة الحذر تدل على ضعف اليقين محادثة الحق
والسفهاء تورث سوء الخلق الدليل على الحق اعجاب المرء بعقله من لم يسمع الحديث فافزع عنه مؤنته من حدث من لا يفقه كن قدم
مائة لاهل القبور من قطع عليك الحديث فلا تحذنه فليس بصاحب ادب من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب
لم يقبل صدقه من وصل من يحسنه قوي عدوه وقصر بنفسه اغترزلة صديقك من غضب من غير شيء رضى من لاشي من غضب على
من لا يقدر عليه طال حزنه الرجل عبده واهل الجاهل ما عرف عقل العاقل من خاف ربه كف ظلمه كسل الفقير هلا كه شيخ

الغنى فضيحتة من لم يتورع في كلامه أظهر فجوده كل شيء لا يوافق الا حق فاعلم انه صواب اذا غلبت اراءك فجاهدها فانها عدوك من لم يعرف الخير من الشر فالحقه باليهام من طلب ما عند البخيل مات جوعا جارا الرجل الجواد كجوار البحر لا يخاف العطش وجار البخيل في المفازة هالك اذا لم تنتفع بمصادقة الاحياء فأت أهل القبور من عادي من فوقه ابغضه من تحته الرزق مقسوم والحريص محروم من كثر كلامه على المسألة غش بطنه وابغضه أصحابه العلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة الجاهل يستطعم الشر والعاقل يمنع نفسه من الشر من لم يرتح للثناء فليس له نصيب في المروءة اذا كان لك جار وصدیق لا يستفيع به فصوره مثله في الحائط فانه ازين للحائط واخف للثؤنة العاقل يرغب في الادب والجاهل يهرب منه العاقل اذا فاته الادب لزم الصمت لا تستنطق (٣٧٥) من تكذب العاقل يترهم رأيه في نفسه

والجاهل يقيم على جهله
من لم يملك عقله لم يملك
نفسه من أظهر محاسنه
ودفن مساويه كل عقله
من غلب هواه عقله
افتضح من استشاره عدوه
في صديقه أحرى بقطيعته
مصادقة الكرام غنيمة
ومصادقة اللئام ندامة
لا تدخل على صديقك
الهمة فيرجع لك عن
النصيحة اذا انقطع رجائك
عن صديقك فالحقه
بعدوك من طالب مرضاة
الاخوان بغير شيء فليصادق
أهل القبور العاقل ليس
في مصادقته مخادعة رأس
مال الا حق الخديعة
وفائدتها الغضب والحليم
رأس ماله الصمت وفائدتها
الحلم اذا جهل عليك
الا حق فالبس له سلاح
الرفق والالطف صديق
كل امرئ عقله وعدوك
امرئ حقه من أنزل نفسه
عاقلا أنزل الناس جاهلا

والاذكار وتعتيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسه الباطن وروحه وينقلب رباتيا وكذا ساثرها ولا تنفس في كل واحد منها لون تتكيف به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جوده أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها فلكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقة من الكلام ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما سبق الى محفوظهم ويمتثل به من القوانين العلمية والعبارة الفقهية الخارجية عن أسلوب البلاغة والنزلة عن الطبقة لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقهاء والتجاة والمذاهب والفقهاء وغيرهم ممن لم يمتثل من حفظ النقي الحرام كلام العرب (أخبرني) صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب الامة بالدولة المرسية قال ذا كرت يوما صاحبنا أبا العباس بن شعيب كاتب السلطان أبي الحسن وكان المقدم في البصر باللسان لعده فانشدته مطلع قصيدة ابن النحوي ولم أنسها له وهو هذا

لم ادر حين وقفت بالاطلال * ما الفرق بين جديدها والبالى
فقال لي على البديهة هذا شعر فقيه فقلت له ومن أين لك ذلك قال من قوله ما الفرق اذهى من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب فقلت له لله أبوك انه ابن النحوي وأما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتخيرهم في محفوظهم ومخاطبتهم كلام العرب وأساليتهم في الترسيل وانتقائهم له الجيد من الكلام ذا كرت يوما صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاجر وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة فقلت له أجد انك تصعب على في نظم الشعر متى رمت مع بصرى به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قلب لا وانما أتيت والله اعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القرآن وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول وجمال الخونجي في المنطق وبعض كتاب النسب هيل وكثيرا من قوانين التعليم في المجالس فامته لا محفوظي من ذلك ونحش وجه الملكة التي استعدت لها بالحقوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القرية عن بلوغها فنظر الى ساعة معجباً ثم قال لله أنت وهل يقول هذا الامثالك ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سر آخر وهو اعطاء السبب في أن كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة واذا واثقها من كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فانا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن أبي ربيعة والخطبة

من قنع بكذب الثناء أظهر للناس رقاته السكوت عن الا حق جوابه السكوت يزين الا حق والكلام يشينه من استمال عليك بلبسه وتحلى بفضله فلا كثر الله في الناس مثله الجواد محب والبخيل مبغض اذا جلت البخل مؤنة أبدى لك الحرمان والعداوة البخيل يمنع ما عنده ويبخل على الجواد بجوده من طلب من البخل حاجة فهو وشر منه من بذل لبخل صلاته ورفع عنه مؤنة دامت له مودته ضيف البخل آمن من التهمة من طلب من لئيم حاجة كمن طلب السمك في المفازة عدة الكريم تقدر وعدة اللئيم تسويف الكريم يواسي اخوانه في دولته واللئيم يقطعهم لا تخضع للئيم فانه لا يعطيك انما الصديق الذي يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند البلية ويحفظك عند الغيب ويتفعل عند الرجا اذا صادقت الوزير فلا تخش الامير من لم ينحجك في الصداقة فعاده من غشك في العداوة فلا تله من كان

لا تترك حرمة واقتراف معصية لن تخلوا الذكارة ان تكون لحادث رجة فلا رغبة عما أنعم الله به منها ولا سبحة من اضاعة فلا غنى عن زاجر عن افلاي ذلك كان حاله فاعلمت به المنه ووجبت لله به النعمة (وكان جعفر بن محمد) (٣٧٧) رضي الله عنه اذا وقع في شئ يكرهه يقول اللهم اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان المؤمن في رأس جبل لقبض الله له من يؤذيه يامن ضاق صدره وخرج قلبه وساء خلقه من عدو ألقاه وحاسد حسده طرب نفسه وقرعينا وانعم عيشا بشهادة الرسول لك بالآيمان وعدوك بالنفاق بحجج ان عقبتا أمالك في الانبياء اسوة أمالك في الصالحين قدوة فلولم نلتى الله عز وجل من الحسنات الاعمال اقترفناه اختيارا لا يقينا الله تعالى فقراء من الحسنات تقلاء من السيئات قال الشاعر قد ينعم الله بالملوى وان عظمت ويدلى الله بعض القوم بالانعم قال بعض الحكماء الذي رأينا نأمنه نحب فيما نكره أكثر مما رأينا نأمنه نحب فيما نحب وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما أهنى ذنبا مهلت بعده حتى أصلي ركعتين المسجون قبور الاحياء وشهادة الاعداء وتجزئة الاصدقاء واسعد الناس من كان القضاء له مساعدا

لعمري بن أبي زبيعة كبير قریش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثير ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه محببا به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزیزة وتقرب اليهم العرب بأشعارهم يمدحونهم بها ويحيزهم الخلق بأعظم الجواهر على نسبة الجوده في أشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استمداء أشعارهم يطلعون منها على الآثار والاختيار واللغة وشرف اللسان والعرب يظالبون ولیدهم يحفظها ولم يزل هذا الشأن أيام بني أمية وصدر من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والريوخ فيه والعناية بالتحال والتبصر بحيد الكلام وزديته وكثرة محفظة منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من أجل العجمة وتقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا بأشعارهم أمراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفيهم فقط لا سوى ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحتري والمتنبي وابن هانئ ومن بعدهم الى هلم جزافا غرض الشعر في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه آنفا وانف منه لذلك أهل الهمم وال مراتب من المتأخرين وتعبير الحال وأصبح تعاطيه هجته في الرياسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقاب الليل والنهار

٥١ (فصل في أشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد)

(اعلم) ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب المنطق او ميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حبش ايضا شعراء متقدمون ولما فسد لسان مضر وانتهت التي دونت مقامهم اوقوا نين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب ما خالطها وما ترجمها من العجمة فكانت تحيل العرب بأنفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الحكامات وكذلك المضر اهل الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع والتعاريف وخالفت ايضا لغة الجبل من العرب لهذا العهد واختلقت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الاقفاق فلاحل الشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفت هما ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجودا بالبلغ في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد متحرركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يجر الشاعري بقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا يقولون وفرسان ممدانه حسب مما اشتهر بين اهل الخلق قبل كل جبل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والمضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في اتحاله ووصف بنائه على مهيج كلامهم فاما العرب اهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الاعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعجمون ويأتون منه بالاطولات مشتملة على مذاهب الشعر وانغراضه من النسيب والمدح والثناء والمجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام ورياءهم واعي المقصود لاول كلامهم وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون قائل امصارا لمغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى الاصمعي رواية العرب في أشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوي ورياءهم يسمون فيه الحاناسية لاطول على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون به ويسمون الغناء به باسم الحوران نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وهي من منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد ولهم فن آخر كثير التداول في نظمهم يحيون به مصابا على أربعة اجزاء يخالف

(٤٨ - ابن خلدون) وكان لمساعدته اهل اغاب على الكريم من يدرا اليه الشفاعة لثوم عوام الناس عدة لخواصهم محبي القدر يسبق الخدم من شئ من شئ حاق به من غير بشئ ايتلى به الخلق نهب المصائب ماذا كره الرجال تلقيح لابلها

أقل ما في طلب الحيلة الخروج من الاستكانة جاني العقوبة على نفسه اعظم جرما عليهم من المعاقب له عايبا قرابة بغير منقعة بليّة عظيمة
النعمة منعمة كفاك أذبالنفسك (٣٧٨) ما كرهته من غيرك الحجة شؤ بوب الجهل الانفة قوام السقه قل انف لم يعقب ذلا

آخرها الثلاثة في روية ويلتزمون القافية الرابعة في كل بيت الى آخر القصيدة شبيه بالمربع والخمسة
الذي أحده المتأخرون من المولدين ولؤلؤ العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون
والكثير من المتأخرين لا يلوم لهذا العهد وخصوصا علم الاسان يستنكر هذه القنون التي لهم اذا سمعها ويمج
نظمهم اذا أنشد ويعتقد أن ذوقه انما نبأ عنها الاستهجانها وفقدان الاعراب منها وهذا انما ألقى من فقدان
الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه لا غتها ان كان سليما من الاكفات
في فطرته ونظاره والا فلا عراب لا مدخل له في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام المقصود والمقتضى
الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالا على الفاعل والنصب دالا على المفعول أو بالعكس وانما يدل
على ذلك قرائن الكلام كما هو لغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلىح عليه أهل الملكة فاذا عرف اصطلاح
في ملكة واشتهر صحت الدلالة واذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة
بقوانين النحاة في ذلك وأساليب الشعراء وفتونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر
الكلام فان غالب كلماتهم موقوفة الاخرى ويميز عندهم الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر بقرائن
الكلام لا بحركات الاعراب فن أشعارهم على لسان الشريف بن هاشم يكي البخارية بنت سرحان ويذكر
ظنهم مع قومها الى المغرب

قال الشريف بن هاشم على * ترى كبدى حراشكت من زفيرها
يعزل الاملام أين مارأت خاطرى * يرداء لام البدوي لقي مصيرها
وماذا شكت الروح عا طار لها * عذاب ودائع تلف الله نخبيرها
بحسن قطاع عامرى ضميرها * طوى وهند جاني ذكيرها
وعادت كما خوارة في يد غاسل * على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
تجابدوها اثنيين والترح بينهم * على شول لعه والمعافى جبريرها
وباتت دموع العين ذارقات لسانها * شبيه دوار السواني يديرها
تدارك منها الجرح ذرا ورادها * مروان يحيى مترا كبا من صبيرها
اصب من القيعان من جانب الصفا * عيون ولحسان البرق في غديرها
ها أيقنى منى سنايات غيرة * بغداد ناحت منى حتى فقيرها
ونادى المنادى بالرحيل وشد دوا * وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادهم دياب بن غانم * على يد ماضى وليد مقرب ميرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا * وسوقوا الجوع ان كان تاهو غيرها
ويدلص وسدسها بالتساح * وباليمن لا يجحدوا في صغيرها
غدرنى زمان السقع من عابن الوغى * وما كان يرمى من حير وميرها
غدرنى وهو زعم صديقى وصاحبى * وناليه مامن درى ما يدبرها
ورجع يقول لهم بلاد بن هاشم * تحير البالد المعطشة ما يخيرها
حرام على باب بغداد وارضها * داخل ولا عائد له من يعيرها
فصدق درى من بلاد بن هاشم * على الشمس احوال العظام من هجيرها
وباتت نيران العذارى قوادح * بخروا بجرخان فيبروا أسيرها

الغادر كين لا يؤمن من
ازدحام الكلام مضلة
الصواب عجب لو القزى
قبل سوء الظن والحق
السبة أعجب ما في هذا
الانسان قلبه وله مواد من
الحكمة واضداد من
تخلفها فان سخله الرباه
اذله الطمع وان هاج به
الطمع أهلكه الحرص
وان ملكه اليأس قتله
الاسف وان عرض له
الغضب اشده الغيظ
وان استعد بالرضا نسي
التحفظ وان ناله الخوف
شغله المذروان اتسع له
الامن استلبته الغيرة وان
حدثت له نعمة اخذته
الغيرة وان امتحن بمصيبة
فضحه الجزع وان افاد
مالا أطاعه الغنى وان عصته
فاقة أشغله البلاء وان
أجهدته الجوع قعد به
الضعف وان أفرط في
الشبع كظته البطنة فكل
تقصير به مضروكل افراط
له مقصد افضل القول
بديهة امرئ وردت في مقام
خوف اشد الناس غما
الذى يرى غيره في الموضع
الذى هو فيه او لا ما اخذ
الله طاقة احدا لارفع عنه
طاعته من العجب ان لا
ترضى عن ابغى رضاك

وأعجب من ذلك ان تسخط عليه زئير الاسد يشبه صولته علامة العلم العمل بالامراض عند المتأدبة ومن
لا تعادوا حتى تروا لا تفخروا حتى تفعلوا لا تأنقوا حتى تظلموا وأوجه الشقاء برائة الساحة من لزوم الحجة والاستقامة لزمتها الغبطة والسلامة

قصص الاوابين ومواظب الاخرين البحث يوضح الحق كما يورى النوار القدر ليس مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط غناء (قال جعفر بن محمد الصادق) عجبتم ان بلى باربع كيف ينقل عن اربع (٢٧٩) ان ابلى بالضر كيف يذهب عنه

ان يقول حسني الضرو انت ارحم الراحمين والله تعالى يقول فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبتم ان بلى بالغ كيف يذهب عنه ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى يقول فاستجبنا له ونجيناك من الغم وكذلك تنجي المؤمنين وعجبتم ان خاف شيئا كيف يذهب عنه ان يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول فاتقوا الله فانه من الله وفضل لم يمسسه وهم سوء وعجبتم ان مكر به كيف يذهب عنه ان يقول واقض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبتم ان نعم عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه ان يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله كذا سنة الله سبحانه فمن صدق في النجاة اليه ولم يتوكل في مهماته الا عليه العامين مائة او مائة الذوات او مائة من متلفه او قدوم غائب بعد ان جاءت بالباس منه الركائب واشهر المصادر ظفر على قنوط الطبيعة مخالفة للزوجة قاصبر الحق

ومن قولهم في رثاء امير زناته ابي سعد البقري مقارعههم باقر يقية وارض الزاب ورثاؤهم له على جهة التكميل تقول فتاة الحى سعدى وهاضها ولها في ظعون الباكين عويل اياسائل عن قبر الزناتي خليفه * خذ النعت منى لا تكون هبيل تراه العالى الواردات وفوقه * من الرباط عساوى بناه طويل وله عييل الفور من سائر النقا * به الوادشرقا والبراع دليل اياهم كبدى على الزناتي خليفه * قد كان لآعقاب الجياد سليل قتبيل فتي الهيجاد ياب بن غانم * جراحه كافوا المزدت سليل باجر نامات الزناتي خليفه * لا ترحل الا ان يري درجيل وبالا مس رحلتك ثلاثين مرة * وعشرا وستا في النهار قليل ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتابا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب

تبدي لي ماضى الجياد وقال لي * اياشكر ما احناشي عليك رضاش اياشكره دى مابق وديننا * ورائنا عرب يب عرب بالابسين غماش نحن مدينا فصادقوا ما قضى لنا * كما صادفت طعم الزناد طماش باعدنا يا شاكركه دى لبرسلامه * لتجد من عمر بلاد غاش ان كانت بنت سيدهم بارضهم * هي العرب ماردنا لمن طماش ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى العرب وغابهم زناته عليه

واى جميل ضاع على فى الشريف بن هاشم * واى جميل ضاع قبل جيلها انا كنت انا وياه فى زهو بيتنا * عنانى كجبه ما عنانى دليلها وصدت كافي شارب من مدامة * من الخرقه مة ما قدر من عيها او مثل شطامات مضيون كبدها * غريبا وهى مدوخه عن قبيلها اتاها زمان السوء حتى ادوخت * وهى بين عرب غافلا عن نزيلها كذلك انا عما لى من الوحي * شاكى بكبد باديا من عيها وامرت قومي بالرحيل وبكروا * وقوا وشدادا لحوايا جيلها فعدنا سبعة ايام محبوب من نجعتنا * والبدو ما ترفع عمود يقيها تظل على احداث الثنايا سوارى * يضل الحرف فوق التصاوى نصيها ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزاودة احدث بطون رياح واهل الرياسة فيهم يقولها وهو معتقل بالهدية فى سجن الامير ابي ذكريان ابي حنظل اول ملوك افر يقية من الموحدين

يقول وفي نوح الدجاجة ذهبة * حرام على ابحقان عيني منامها ايام لقي خالف الوجد والاسى * وروحها ما مى طال ما فى سقامها حجازية بدوية عرب يسيه * عداوية ولها عبيد احرامها موامة بالبدو لا تألف القرى * سوا عايل الوعساوى الى خيامها عجمان ومشتها بها كل سرية * محبونة بها ولها صبيح غرامها وارباعها عشب الاراضى من الحيا * لوانى من الحور المحلا يا حسامها

وجيب عليك وان خالف هواك بهاء المجلس الشريف بالرجل القاضل اليقين راحة وروح العمل النافذ بالرجل المدبر كهواء الباقوت والثلوثى تيجان الملوك ما انور الهدى ما اعظم العى ما اكرم النقى ما اخدع الهوى ما اسرع البلاء ما اجلد الصبا الجودان يهضم الروح حظ

الحسد والاسراف ان يهضم الحسد حظ الروح والعدل ان يعطى كل واحد منهم ما حظته والشع ان تكف حظوظهم ما عندهم اعدو يخاف الله
 فيما تذكره خير من صديق لا يخافه (٣٨٠) فيما تحب من العجب ان تطالب في صحة كل علم ما ينفعنا ونكل العلم الى الله تعالى

من غير بحث عن صحته
 لا يرعك الباطل مما ترمى
 به ولكن احذر ان يصدع
 عليك بالحق فيشهد عليك
 هناك ووجهك من بطل
 رشاؤه بطل منحه الراغب
 فقير بقدر رغبته الحق
 يعطى وينع تجاوز عن
 ذنوب الناس لتنج عليهم
 واجتنب الذنوب لتقل
 حجتهم عليك الفراغ الفاضل
 عن الحسام مقسدة الحجة
 احدي العليين الفرق
 ينسج الحجة حابي العلية في
 كلامك وسوي بينهم وبين
 السقلة في احكامك موت
 في مزخير من حياة في ذل
 الاكساء من كل غط
 متباغضون ماضاع امرؤ
 عرف قدر نفسه الدعة
 الهنية تسكون بعد انقضاء
 العمل لن يفارق الخير
 صاحبه حتى يفارقه خير
 الناس من تواضع عن
 روعة وعقاعن قدرة الحاسد
 يظهر روده في كلامه وينفضه
 في افعاله فاسم الصديق
 ومعنى العدوالر ياء يقصد
 العالنية والعجب يقصد
 عمل السريرة اذا كثرت
 القدرة قلت الشهوة من
 عرف قدره كمالك نفسه
 كفي بالظفر شفيها للذنب
 الى الحليم لسان الجاهل

تسوق بسوق العين مما تداركك * عليهم من السحب السواري غمامها
 وماذا بك بالبسا وماذا تبطلط * عيون عذارى المزن عذابا جسمها
 كان هروس البكر لاحت ثيابها * عليها ومن نور الاقاحى خزامها
 فلاة ودهنا واتساع ومنه * ومرعى سوى ما في مراعى نعامها
 ومشر وبها من مخض البان شولها * عليهم ومن لحم الحواري طعامها
 تعاتب على الابواب والموقف الذي * يشيب القتي مما يقاسى زحامها
 سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا * وبلا ويحيى ما بلى من رمامها
 فكافاتها بالود منى وليتى * ظفرت بايام مضت في ركامها
 لى الى اقواس الصبا فى سوادى * اذاقت لا تخطى من ايدى سهامها
 وفرسى عديدا تحت سرجى مسافة * زمان الصبا سرجا وبدي لجامها
 وكمن رداح اسهرتى ولم ارى * من الخلق أبهى من نظام ابتسامها
 وكغيرها من كعب مرجنة * مطرقة الاجفان باهى وشامها
 وصفقت من وجدى عليها طريحة * بكفى ولم ينسى جداها ذمامها
 ونار بخطب الوجه دتوهج في الحشى * وتوجع لا يطفأ من الماضرامها
 ايامن وعدتى الوعدى ذا الى متى * فنى العدم فى دار عملى ظلامها
 ولكن رايت الشمس تكسف ساعة * ويغشى عليها ثم يبرى غمامها
 بنود ورايات من السعدا قبلت * البنا بعون الله يهف وعلامها
 ارى فى القلا بالعين اظمان مزوقى * ورعى على كفى وسبرى امامها
 بجرعاتاق النوق من عود شامس * احب بلاد الله عندي حشامها
 الى منزل بالجمع قرية للذى * مقيم بها مالد عندي مقامها
 وتلقى سرات من هلال بن عامر * يزيل الصدا والغل عنى سلامها
 بهم تضرب الامثال شرقا وغربا * اذا قاتلوا قومنا يبع انهم زمامها
 عليهم ومن هو فى جهنم تحية * من الدهر ما غنى بقية جسمها
 فدع ذاولا تأسف على سالف مضى * ترى الدنيا مادامت لا حد ودوامها

ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حزمة بن عمر شيخ البكموب من اولاد ابي الابل يعاتب اقناهم اولاد
 مهمل و يجيب شاعرهم شبل بن مسكينة بن مهمل عن ابيات فخر عليهم فيها بقومه

يقول وذا قول المصاب الذى نشا * قوارع قيعان يعانى صوابها
 يريح بها حادى المصاب اذا انتقى * فنونا من انشاد القوافى عرابها
 محبرة مختارة من نشادنا * تحدى بها تام الوشا ملتها بها
 مغرلة عن نافذ في غصونها * محكمة القيعان دابى ودابها
 وهيض بتذكارى لها ياذى الندى * قوارع من شبل وهذى جوابها
 اشبل جنبنا من جبال طرائفنا * فراح يريح الموجهين الغنا بها
 فخرت ولم تقصر ولا انت عادى * سوى قلت فى جهورها ما عابها

اقوالك

دليل حنيفة لاختراع مع بنى ولا صحة مع منهم ولا ثناء مع كبر ولا صداقة مع خب من لم يعرف قدره فاكفه

بشرك احدى ما ردمنا خلف شهادة العقل قطع ظهري وافسد الدين رجلا ناسك وعالم فاجره ذابده والناس الى جهله ينسكه

وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه من قوى هواه ضعف حزمه من ظاهر غيظه قل كبره كفى بانظلم طارذ المنفعة وداعيا للنقمة من قبل
صلتك فقد باعك مروءته الهدية تفقأ عين الحكيم عفو الراي خير من استكراه الفكر (٣٨١) من لم يؤمن بالقدر فقد كفر ومن
جد الله فقد نخر ما كتب

بمثل الكبير من استغنى
بالله افتقر الناس اليه
التقصير يخلخل عن
الصواب الا فرما يقبحك
في الخطا ثلاث خصال
ما اجتمعن الا في كريم حسن
المحضر واحتمال الزلة
وقلة المالة وكفى مخبرا عما
بقي ماضى وكفى عبرا
لذوى الالباب ماجربوا
التهاون بالمطـلوب اول
اسباب حرمانه الشبه ظلمة
لن يضيـع امر و صواب
القول حتى يضيـع صواب
العمل خير الامور ما سر
عاجله وحسن تـأقيته
لا شرف مع سوء ادب ولا بر
مع شـخ ولا اجتناب محرم مع
حرص ولا محبة مع زهو
باجالة الفكر يستخرج
الرأى المصيب ويحسن
التأني تدرك المطالب
وبالنصفة يكثر المـواصـلون
الفاحشة عارا لا بدو عقوبة
غدا الشـماتة تعقب الندامة
من سخر ابتلى قال الله تعالى
ان تسخر وامنافانا تسخر
منكم كما تسخرون اذا فقد
المتفضلون هال المتجملون
وبصيانة غرست من
لحظة وحرب جنيت من
لقطة ما شاهد على غائب
بادل من طرف على قلب

لقولك في أم المؤمنين بن خزيمة * وحامى جـاها عـاديا في حرايها
أما تعلم انه قامها بعد مالتى * رصاص بنى يحيى وعلاق دابها
شهابا من اهل الامر ياشبل خارق * وهل رأيت من جالو غنى واصطلى بها
شواهد طفاها اضرمت بعد طفيه * واثنا طفاها حاسرا لا اهابها
واضرمت بعد الطفتين التي صحت * تعاسا الى بيت المنايا فتدى بها
كما كان هو يطلب على داتجنت * رجال بنى كعب الذى يتقى بها
وليد داتعابتوا انا اغنى لائقى * غنيت بعلاق التناو اغتصابها
على وناذفع بها كل مبضع * بالاسيا فتتاش العدا من رقابها
فان كانت الاملاك بغت عرايس * علينا باطراف القنا اختصابها
ولا نقر ما الارهاق ودبل * وزرق السـبايا والمطايار كايها
بى عنسا ما نرضى الذلـة * تسير كالسنة الحناش انسلابها
وهى عالمسا بان المناسيا تقبلها * بلاشك والدياس ريع انقلبها
ومنها فى وصف الظعائن

بطعن قطوع البيد لا تخشى العدا * فتون بحربات مخوف جنابها
تري العين فيراقل لشبل عرائف * وكل مهاة محتظيا ربابها
تري اهلها غص الصباح أن يقلاها * بكل ملوب الجوف ماسد بابها
لها كل يوم فى الارامى قتائل * ورا القاجر الممزوح عفو اصبابها
ومن قولهم فى الامثال الحكمية

وطلبك فى المنوع منك سقامة * وصدك عن صدعتك صواب
اذا ريت ناسا يغلقوا عنك بابهم * ظهـور المطايا يفتح الله باب
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى برجم

فشايب وشباب من اولاد برجم * جميع البرايا تشكى من ضهادها
ومن قوله يعاتب اخوانه فى موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن تافرا كين المستبد بحجابة السلطان بتونس
على سلطانها مكفولة ابنى اسحق ابن السلطان ابنى يحيى وذلك فيما قرب من عصرنا

يقول بلاجهـل فى الجود خالد * مقالة قـوال وقال صواب
مقالة حيران بذهن ولم يكن * هريجا ولا فيما يقول نهاب
تهجست معنائها لا الحاجة * ولا هرج ينقاد منه معاب
وليت بها كبدى وهى نعم صاحبه * خريفة فـكر والحزين يصاب
تقوشت يادى شرحها عن ما رى * جرت من رجال فى القبيل فراب
بنى كعب أدنى الاقربين لدنسا * بنى عم منهم شايب وشباب
جرى عند فتح الوطن منها البعضهم * مصافاة ود واتساع جناب
وبعضهم ملناله عن خصمه * كما يعلموا قولى يقينه صاب
وبعضهم مـرهب من بعض ملنكا * ضربا وفى حراظهير كتاب

شر المال ما لا ينفق منه أفضل المال ما صين به العرض وبالأفضال تشرف الاقدار الذى يكون سببا لفساد نفسه اذل عن يفسده عدوه
او دهره لا تعدن ودية ما لا الشهوة ورق الجريص كليب يعبر على الانسان اللسان وعلى المودة العينان لا شرف اعلى من الاسلام ولا كرم

أعلى من التقوى ولا شفع اعنى من الثوبة أولى الناس بأمر من حافظ عليه الخير موضوع لمن أراد موافق لمن عمل لله الرغبة مفتاح
الطالب ومطية الحسنة المحرص داع (٣٨٢) الى الحرمان التنقل بالحسنة يتقى السيئة المكافاة بالسيئة دخول فيها البغي سابق

الى الخين اصلاح الرعية
أنفع من كثرة الجنود حق
المذموم التأنيب وحق
المرحوم المعبودة من الجهل
والجفاء اظهار القرع عند
الحزون المحزون يحقد
على القرع ويشكر المكتتب
من ظل السلامة تدب افاغى
الاتفات اعظم الناس
قدرا من لم يجعل الدنيا
لنفسه قدرا ما حدث محدث
بدعة الاترك بها سنة
عزائم الامور خيارها
ومحدثاتها شرارها الملك
يكسب من انفاقه والعامه
تنفق من تكسبها من أفى
عمره في جمع المال مخافة
العدم فقد أسلم نفسه
للاعدم (قال الشاعر)
ومن ينفق الساعات في
جمع ماله
مخافة فقر فالذى فعل
الفقر

من لم يقدر على جمع
القضائل فليكن فضائله
ترك الرذائل اذا لم تكن
ملا تصلى ولا تكن ذبا
تقصد اسه صلاح بعض
العدو افضل من اهلاكه
من سعادته المرء ان يطول
عمره ويرى في عدوه ما يسره
خير المكتتب ما اذا عاد
قاربه النظر فيه زاد حسنه
او وقف على تحيره أثقل

وبعضهم وجانا جرحا سمحت * خواطر منى للتريل وهاب
وبعضهم وتظار فينا بسوة * نقهنا حتى ما عتابه ساب
رجع ينتهى عما سقها قبحه * مرارا وفي بعض المرات يهاب
وبعضهم وشاكي من او غاد قادر * غلق عنه في احكام السقايف باب
فصعنا منه واقتضى منه مورد * على كره مولى البالي ودياب
ونحن على دافى المدان طلب العلا * لهم ما حططنا للفقير نقاب
وخزنا حى وطن بترشيش بعد ما * نقهنا عليها سبعا ورقاب
ومهم من الاملاك ما كان خارج * على احكام والى امرها له ناب
بردع قروم من قروم قبيلنا * بنى كعب لا واهل الغريم وطاب
جربنا بهم من كل تأليف فى العدا * وقنا لهم من كل قيد مناب
الى ان عاد من لا كان فيهم مهمه * زيبا ونجيراتا عليه نصاب
وركبوا السبايا الممخات من اهلها * ولبسوا من انواع الحرير ثياب
وساقوا المطايا بالشر الانسواله * جواهر ما يغلو بها بحلاب
وكسبوا من اصناف السعيا بدخائر * ضخام مخزات الزمان تصاب
وعادوا نظير البرمكيين قبل دا * والا هلالا في زمان دياب
وكانوا لنا درعا لكل مهمه * الى ان بان من نار العدو شهاب
خلو الدار في جنح الظلام ولا اتقوا * ملامه ولا دارا كرام عتاب
كسوا الحى جلباب اليم لسيره * وهم لودروا بالسوا قبيح جباب
لذلك منهم حابس ما دار القنا * ذهل حلى ان كان عقله غاب
يظن ظنونا ليس نحن باهلها * تنى يكن له في السماح شعاب
خطاهو ومن واتاه في سوغته * بالاثبات من ظن القبايح عاب
فواعزوني ان الفتي بو محمد * وهوب لاف بغير حساب
وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا * بروحه ما يحيى بروح سحاب
بحروا يطلبوا تحت السحاب شرائع * لقوا كل ما يستأملوه سراب
وهو لو عطى ما كان للراى عارف * ولا كان في قلة عطاء صواب
وان نحن مانس ما ملوا عنه راحة * وانه باسهم التلاف مصاب
وان ما وطا ترشيش بضياق وسعها * عليه ويمشى بالقزوع عزاب
وانه منها عن قريب مفاصل * خنوج عنازها والمها وقباب
وعن فائتات الطرف بيض غوانج * وبواخلف استار وخلف حجاب
يشه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا * بحسن قوائن وصوت رباب
يضلوه من عدم اليقين وربما * يطارح حتى ما كانه شهاب
يهم حازله زمه وطوع او امر * ولذة ما كول وطيب شراب
حرام على ابن تافرا كين مامضى * من الود لا ما يدل بحراب

وان
الاجمال من اتسعت مروته وقامت قدرته استحقى من الله بقدر قر به من عقال وأطعمه بقدر حاجتك اليه وخففه
بقدر قدرته عليك واعصه بقدر ضميرك على النار واعمل الدنيا بقدر يقاوتك فيها واعمل للآخرة بقدر مقامك فيها الملك ينفق ليكتسب

والعامة تكتسب لتتقى الطامة بقدر الفاقة فيحش زوال النعم اذا زال معها التبعيل اولى الامور بك اوجبها عليك الدنيا العافية
والشباب الهمة اذا قبل الامر اسر به واذا اذبر صرح اذا عدل السلطان ملك قلوب (٣٨٣) الرمية واذا جار لم يملك منهم الا الرياء

والصنع الصدقة من سعة
وابداً بمن تعول اذا اضرت
النوافل بالفرائض تركت
النوافل وقدمت الفرائض
قدر الرجل على قدره منه
وصدقته على قدره ومنه
وشجاعته على قدر انفعته
وعفته على قدر غيرته
من اطاع الواشي ضيع
الصديق ومن جعل لنفسه
حظاً من حسن الظن روح
قلبه شر ماله ما لم يثق
مكتسبه وحرمت منفعة
انفاقه رب معبوط بليلة
قامت بوا كيه في آخرها
لا ترج خير من لا يرج وخير
ولا تأمن جانب من لا يأمن
جانبك تارك الطالب
ضجراً ارجى للعودة من
تاركه تحوثرات الشهوات
المخازي المخصوصة تضر
القلب اعم الاشياء نفعاً
فقد الاشرار من استكفى
الكفاة كفى الاعداء خير
مالك ما اغناك وخير
منه ما وفاق صولة الكريم
سلمة ذنب أسد خير من
رأس كلب بحجة العير
يقدي حافر الفرس من
استبد برأيه خفت وطأته
على اعدائه انما لك من
دينك ما اصبحت به
مثواك من امان الزمان
خانه ومن تعزز عليه اهانه

وان كان له عقل رجح وفطنة * يلجج في اليم الغريق غراب
وأما البـدالـبـداهـا من فياعـل * كبر الى أن تبقى الرجال كباب
ويحـمـى بها سوق علينا سـلاعه * ويحمار موصوف القنا وجعاب
ويـمـى غـلام طالب ريج ملكنا * ندوما ولا يمى صحب بناب
أياوا كـابـين الخـبـز تبغوا ادامـه * غلطتوا أدمتوا في السموم لباب
ومن شـعر على بن عمر بن ابراهيم من رؤساء بني عامر هذا العهد أحد بطون زغبة يعاتب بني
الى رياسته محبرة كالدري بدصانع * اذا كان في سلك الحرير نظام
اباحها منها فبه أسباب ماضى * وشاء تبارك والضعفون تسام
فدامنه لام الحى حين وانشطت * عصاها ولا صيدنا عليه حكام
ولكن ضميرى يوم بأن بهم الينا * تبهر على شوك القناديرام
والا كابرص التهامى قـواح * وبين عواج الكافات ضرام
والا لكان القاب في يد قابض * أتاها من غشاق الفـطـيح غشام
ما قلت سـما من شقا البين زارنى * اذا كان ينادى بالـقـراق وخام
ألا ياربوع كان بالامس عامر * يحكي وحله والقطين امام
وغـيـد تدانى للخطا في ملاعب * دجى الليل فيهم ساهرونيام
ونعم يشوف الناظرين القهامها * لنا ما بدمان مهرق وكظام
وعرود باسها البـدعـو لسـر بها * واطلاق من شرب المهاو نعام
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها * ينـوح على اطلالها وخيام
وقفنا بها طوطا ولا نسالها * بعين مخيفها والدموع منجم
ولا صـحـلى منها سوى وحش خاطرى * وسقى من اسباب ان عرفت او هام
ومن بعد ذاتى لم تصور يوملى * سلام ومن بعد السلام سلام
وقـلـوا له يا ابو الوفا كل عـرايـكم * دخلتم بحـوـر غامقات دهام
زواخر ما تنقاس بالـعـود انما * لها سـيـلات على الفضاوا كام
ولا قسـتمـوا قيسا قيسا يدلكم * وليس الجـوـر اطمانيات نعام
وعانوا على هـلـكـاتكم في ورودها * من الناس عدمان العقول ائام
أيا عزوة ركبوا الضـلالـة ولا لهم * قرار ولا دنيا لهم دوام
الاعناهم مو لوترى كيف رأهم * مثل سرور قلاه ماله من تمام
خـلـوا القنا وبـقـوا في مرقب العلا * مواضع ما هبـالهـم مقام
وحى النبي والبيت واركانه الذى * وما زارها في كل دهر وعام
لـبـر الـيـالى فيـه ان طالت الحيا * يذوقون من خط الكساع مدام
ولا برها تبقى البوادي عوا كف * بكل رديني مطرب وحسام
وكل مسافة كـالسـدايا عابر * عليها من اولاد الكرام غلام
وكل كـمـيت يـكـنـصـعـض نابه * يطل بصارع في العنان لجام

كما يجب أن تكون المرأة أضواء من الناظر فيها كذلك يجب أن يكون المؤدب أفضل عن يؤدب من ترك العمل بما ينبغي عوفل بما
لا ينبغي ليس في الشراوة ولا في الخطا قدوة أن تكون لنا حجة حتى تحب عدوك اذا اطاع الله في عداوته وتقلع عما

عاداك عليه وتبغض وليك اذا عصى الله في مواليتك وتترع عما والاك عليه لا تكن على الاساءة اقوى منك على الاحسان الشقي من جمع لغيره وضيق على نفسه (٣٨٤) شر اخلاق الكريم أن يمنع خيره من كانت الاخرة رأس ماله كانت الدنيا ربحه ومن كانت الدنيا رأس ماله كانت

وتحمل بنا الارض العقيمة مدة * وتولدنا من كل ضيق كظام
بالابطال والقود الهجان وبالقنا * لها وقت وجنات البدور زحام
اتجى دنى وانا عبق دنف ودها * وفي سن ربحى للعروب عـلام
ونحن كاضر اس المواقى بنجـكم * حتى يقاضوا من ديون غرام
متى كان يوم القحط يا مـير ابو على * يلقى سـعا يا صاير بن قـدام
كذلك يوجـو الى اليسر ابـعنه * ونحلى الجباد العالمات تسام
وخلى رجالا ليرى الضيم جارهم * ولا يجبه عوا بدهى العـدو زمام
الا يقى موهـا وعقد بؤسـم * وهم عذر عنه دأبـا ودوام
وكم نار طعنـها على البدو سابق * ما بين صحاصيح وما بين حسام
فتى نار قطار الصـوى يومنا على * لنا أرض ترك الطاعنـين زمام
وكم ذا يحيىـوا اثرها من غنيـمة * حليف النبا سماع كل غيام
وان جافا جفوه المـلوك ووسعوا * غدا طبعه يحـدى عليه قيام
عليكم سلام الله من لسن فاهـم * ما غنت الورقا وناح حـمام
ومن شعر عرب غريب نواحي حوران لا امرأة قتل زوجها فبعثت الى اخلافه من قيس تغريهم بطالب تارة تقول
تقول فتاة الحـسى أم سـلامه * بعين أراع الله مـن لارثى لها
تبيت بطول اللـيل ما تالف الكرى * موجهـة كان الشقافى مجالها
على ما جرى فى دارها وبوعيا لها * بلحظة عين البين غـير حالها
فقد تاوى شهاب الدين يا قيس كلبهم * وتغوا عن أخذ النار ما دام حالها
أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرى * ويبرد من نيران قلبى ذبالها
اياحـين تسريح الذوايب واللـهى * ويبض العذارى ما حيت واجالها

(الموشحات والازجال للاندلس)

وأما أهل الاندلس فلما كثرت الشعر فى قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التتميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فنا منه سموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً واغصانا اغصانا يكثر من منها ومن اعارىها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا ويلتزمون عند قوافى تلك الاغصان وأوزانها متتالما فيما بعد الى آخر القطعة واكثر ما تنتهى عندهم الى سبعة أبيات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل فى القصائد وتجاروا فى ذلك الى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القربرى من شعراء الامير عبد الله بن محمد المروانى واخذ ذلك عنه ابو عبد الله أحمد بن عبدربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر له ما مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتهم ما فـكان أول من برع فى هذا الشأن عبادة القرزى الشاعر المعتصم بن صمداح صاحب المرية وقد ذكره العالم البطليوسى انه سمع أبا بكر

ابن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القرزى فيما اتفق له من قوله

بدرتم * شمس ضحا * غصن تقا * مسك شم

ما تم * ما أوضحا * ما أوزقا * ما أنم

لاجرم * من لحا * قد عشقا * قد حرم

الدنيا رأس ماله كانت الاخرة خسارته أفضل العلم وقوف الرجل عند علمه أفضل المال ما قضيت به الحقوق البدع فخاخ مخبوءة قد علقت عليها ألقاظ ظاهرة رجاء العامة أمانة على ضلالة ورجاء الخاصة يقين على ثقة القليل من المال كالكثيرة من غيره عطاء الملوكة زينة وسؤالهم شرف وفى الامثال جاور بحرا أو ما كالأذا كذب السفير بطل التدبير أخبث الأزمنة زمن لا يتميز فيه الصواب لا تعطوا فى الفضول ما خفتهم العجز عن الحقوق الا ذان اقناع تؤدى والقلوب قوابل تبعى من أحب أن يسمى داهيا لم يظهر دماءه لادليل أهدى من التوفيق الجلاء البلاء من عرض نفسه لاتهم فلا يلوم من أساء به الظن الحفظ فيه دالعلم المدارس اذ كالألفهم المقايسة احياء الفطن استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتأليف والنصر بالتواصل لله والرحمة للخلق استقلال الكثير تعرض للتعجير ثلاثة أشباه تدل على عقول أربابها الكتاب يدل

على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والمهنية تدل على عقل مهديه الم يحكم على العقول حاكم وزعموا كالعبر ولم يحكمها محكم كالنجر به من عاب سفاة فقد زفوه ومن عاب سيدا فقد وضع نفسه آحق الناس أن يؤمن على الدنيا أهل الاخرة

صح من صحت سريره وسقم من سقمته ظواهره بالكلام يعرف فضل العقل كماله الرسول يعرف قدر المرسل ملاك أموره الدين
وعصمة كمال التقوى وزينة كمال الادب وحصن أعراضكم المحلم اذا أعطيت ما لا ترضى فارض (٢٨٥) بما أعطيت كلما ازداد الخير

كثرة كان الخارج منه أشد
حسرة وبقدر السعوى
الرفعة تكون وجبة الوقعة
الابقاء على العمل أشد من
العمل من التوقى ترك
الافراط فى التوقى وتوريت
الحكمة والذمام سنة فى
المروءة كما ان وراثته التركة
فريضة فى الديانة لا تمدح
أمرأيا أكثر من قدره
فتكون مهينا لنفسك
كذبا على غيرك لا تفرح
بسقطه عدوك فأنك

لا تدري متى يحدثها الزمان
بك من الجفاء الكلام فى
الأمر الجسيم من غير مشاورة
أكثر الناس مخادعة لنفسه
فى أمر حسده عند الحجة
وفى أمر مروءته عند الشهوة
وفى أمر دينه عند الشهوة
المصائب بغتات العاقل
المدير أرحى من الاحق
المقبل أشرف الصنائع مالم
يكن مكافاة لما مضى ولا
رجاء لباقي أرض النظر ثم
كافئه وآت نفس الملهى ثم
استمع منه لم تكن غواية
ولا هداية الا واليه ماسا فى
وعنه مآنا كص احسانك
الى الحر يحرضه على المكافاة
واحسانك الى الخسيس
يبعثه على معاودة المسئلة
ليس يمتحن الاديب بان
يكون فاعلا لا غير انما يمتحن
بان يكون تاركا لا شر من

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا فى زمن الطوائف وجاء مصليا خلفه منهم ابن
ارفع راس شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة قال لو قد أحسن فى ابتدائه فى موثقة التى طارت له
حيث يقول العود قد نرتم * بابدع تلحين * وسقت المذائب * رياض البساتين
وفى انتهائه حيث يقول

تخطر ولا تسلم * عساك المأمون * مروع الكائب * يحيى بن ذى النون
ثم جاءت الحيلة التى كانت فى دولة المائتين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبتهم الاعشى الطليطلى ثم
يحيى بن بلى والطليطلى من الموشحات المذهبة قوله

كيف السبيل الى * صبرى وفى العالم اشجان
والركب فى وسط القلا * بالحدرد والنواعم قدبان
وذ كر غير واحد من المشايخ ان أهل هذا الشأن بالاندلس يدكرون ان جماعة من الوشاحين اهتموا فى
مجلس بأشبه بة وكان كل واحد منهم مصطنع موشحة وتأنق فيها فتقدم الاعشى الطليطلى للنشاد فلما
افتتح موشحته المشهورة بقوله

صاحك عن جان * سافر عن در * ضاق عنه الزمان * وحواه صدرى
صرف ابن بلى موشحته وتبعه الباقيون وذكر الاعلى البطلوسى انه سمع ابن زهير يقول ما حسدت قط وشاحا
على قول الا ابن بلى حين وقع له

أما ترى أحمد * فى مجده العالى لا يلحق * أطلعه الغرب * فازنانه يامشرق
وكان فى عصرهما على الموشحين المطبوعين أبو بكر الايض وكان فى عصرهما أيضا الحكيم أبو بكر بن
باجة صاحب التلاحين المعروف ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومه ابن تيفلويت
صاحب سرقطة فالتقى على بعض قبائنه موشحته

جر الذيل أيساجر * وصل الشكر منك بالشكر
فطرب المدوح لذلك فلما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر * لا ميرا العلاءى بكر
فلما طرق ذلك التلحين سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت
وحاف بالايمن المغاظة لا يمشى ابن باجة الى داره الا على الذهب فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتمل بان
جعل ذهباً فى نعله ومشى عليه * وذ كر أبو الخطاب بن زهرانه جرى فى مجلس أبى بكر بن زهير ذ كر أبى بكر
الايض الوشاح المتقدم الذ كر فغص منه بعض الحاضر بن فقال كيف تغص عن يقول

مالذلى شرب راح * على رياض الاقحاح * لولا هضم الوشاح * اذا أسى فى الصباح
أوفى الاصيل * أضحى يقول * مالمشبول * لطمت خمدى
وللشمال * هبت فسالى * غصن اعتدال * ضمه بردى
مسا اباد القلوبا * يمشى لناسه تريا * بالحظه ردنوبا * وبالماء الشنبيا
برد غليل * صب عليل * لا يستحيل * فيه عن مهدى
ولا يزال * فى كل حال * يرجو والوصال * وهو فى الصدد

واشتهر بعد هؤلاء فى صدر دولة الموحدين محمد بن أبى الفضل بن شرف قال الحسن بن دويد رأت حاتم

(٤٩ - ابن خلدون) صنع معك خيرا فاضعه له والا فلا تجزان تكون مثله الاشرار يتبعون مساوى الناس ويغفلون
من محاسنهم كما يبيع الذباب المواضع النحلة من الجسد ويدع صحيحه الطرف فطمة ما رجتا عبادة مع حذر وتوقى فاذا خلت الفطنة من

التوفى فصاحبها لا يستمتع به أهل المروعة وإذا خلب القطنة من العبادة وقارنتها فصاحبة فصاحبها غير طيب الظرف الالفاظ التي يرتفع عنها أهل الجلالة من المخلصين (٣٨٦) في باطن الدنيا والمترفين في ظاهرها الحال (وسمعت القاضي) أبا العباس الجرجاني رحمه الله

بالبصرة يقول أول من
نطق بهذه الكلمة عمر بن
الخطاب رضي الله عنه
وذلك أنه أتى بسارق فقال
له أشرقت قل لا فقال الرجل
لا فقال عمر أنك نظريف
بجهد البلاء لا قلال والأعمال
ينبغي للعالم أن يتطامن
للجاهل بقدر ما رقه الله
عليه العقل أفقر إلى
الحكمة والأدب من الجسد
إلى الطعام والأشراب أعظم
الناس غما من زالت نعمته
وبعثت شهوته وضائق
مقدرة قلة الأعمال أحد
اليسارين مع الحكمة الموجود
خير من انتظار المفقود من
عدم الحياء عند القضيحة
والصبر عند النصيحة سهات
عليه المعاصي كلها العالم مثل
السراج من مر به اقتبس
منه من تقدم بحسن
النسبة نصرة التوفيق
أن تكون لله ناصحا حتى
تحب أن يكون عدوك
مطيعا من أذى الناس
بلا سلطان كان مصيره
إلى الهوان ما دخلت
ليس فيك مخاطب لغيرك
فجوابه وثوابه ساقطان
عندك المكر والخديعة
في النار الأحداث تأتي من
على ما منه يؤتى الخذر
المأكول للبدن والموهوب
للمداد والمحموظ للعدومن

ابن سعيد على هذا الافتتاح
وابن بهرودس الذي له
وابن موهل الذي له

شمس قاربت بدرا * راح ونديم
باليلة الوصل والسعود * بالله عودي
ما العبد في حلة وطاق * وشم طيب
وانما العبد في التلاقي * مع الحبيب

وأبو اسحق الرويني قال ابن سعيد سمعت أبا الحسن بن سهل بن مالك يقول أنه دخل على ابن زهير وقد أسن
وعليه زى البادية إذ كان يسكن بحصن أسن فم لم يعرفه فجلس حيث انتهى به المجلس وحدث المحاضرة
فأنشد نفسه موشحة وقع فيها
كل الدجى يحرق * من مقلة الفجر * على الصباح
ومع صم النهر * في حال خضر * من البطاح
فتحرك ابن زهير وقال أنت تقول هذا قال اختر قال ومن تكون فعرفه فقال ارتفع فوالله ما عرفتك قال
ابن سعيد وسابق الحيلة التي أدركت هؤلاء أبو بكر بن زهير وقد شرقت موشحاته وغربت قال وسمعت
أبا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل لك ما أبدع وأرفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت
أقول

مالله وله * من سكره لا يفيق * بالله سكرانا
من غير نحر * مال الكتيب المشوق * يندب الاوطانا
هل تستعاد * أيا منا بالخليج * وليا لينا
أونس تفاد * من النسيم الارجح * مسك دارينا
وادي بكاد * حسن المكان البهيج * أن يحبينا
ونهر ظل * دوح عليه أنيق * مـ ورق فينان
والماء يحرق * وعالم وغريق * من جنى الرمان

واشتهر بعد ابن حيون الذي له من الرجل المشهور وقوله

تفوق بينهم كل حيين * بما سب من يدوعين
علفت ملج علمت رامي * فليس يخل ساع من قتال
ويجمل بذى العينين مناحي * ما يعمل فينا بذى النبال

وينشد في القصيد

واشتهر معه ما يومئذ بغرناطة المهر بن القرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله

لله ما كان من يوم * بهرجص على تلك المروج * ثم انعطفنا على فم الخليج
نقض في حانه مسك الختام * عن عبيد زانه صافي المدام * ورد الاصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلدة مطرف * أخبر ابن سعيد عن والده ان مطرفا هـ ذا
دخل على ابن القرس فقام له وأكرمه فقال لا تفعل فقال ابن القرس كيف لا أقوم لمن يقول
قلوب مصائب * بالمخاط تصيب * فقل كيف يبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن جرمون بمرسية ذكر ابن الراسين ان يحيى الختر جى دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحة
لنفسه فقال له ابن جرمون لا يكون الموشح موشح حتى يكون عاريا عن التكلف قال على مثل ماذا قال على

يا هاجرى هل الى الوصال * منك سبيل
أوهل ترى عن هو السالى * قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة قال ابن سعيد كان والدى يحب بقوله

غضب على من لا يقدر على غمه عذب نفسه واشتد غيظه اطالب ما يغنيك واترك ما لا يعينك فان في ترك ما لا يعينك

ترك ما يغنيك من انك لا تعاديه كل آت قريب الاستغناء عن الشيء خير من الاستغناء به ومن خير خبر ان

سمع بالماطر لا فخر فيما يزول ولا غنى فيما لا يبقى شراله. وبما كان معينا على الغيوب شر الذنوب ما كان علة للذنوب أبلغ الرسل الكتب
حاول الامور بالنصقة وانا زعيم اليك بالظفر من اراد جلا لا تهده الايام فليحجب (٣٨٧) المروعة والصيانة فها ماذروعة الشرف

رب امره ما بعده من سبق
الملك كان له صفوه من
شر وط المروعة التغاين
لأضـ عيف المروعة ترك
الريية يكاد استضاء القوي
على الضعيف أن يكون
ظلمة يكاد استيقاء الغنى
من الضعيف أن يكون
جور القرآن ظاهره أنقى
و باطنه عميق أوله حكم
وأخوه لم المحادثة على
الطعام تزيد في الشهوة
وتذهب الخشعة وتزيل
الانقباض لن تنال ما تحب
حتى تصبر على كثير مما
تكبره ولن تجو ما تكبره
حتى تصبر عن كثير مما تحب
ذهب البصر خير من كثير
من النظر لا تعد العزم
عزما اذا ساق غمام الرأى
الاول الوهم النظرة بعد
النظرة تعقب لما قبلها
وتزيد لما بعدها ليس
مدح الرجل بما فيه تركية
انعم الناس من كفى امر دنياه
ولم يمه دينه الغريب من
فقد اخوانه ونظراهم وان
كان في وطنه الغريب من
لا صدق له الغريب
الفقير الغريب الا حق
الغريب من لا ناصر له
شيان لا يستحق العاقل
منهم المرض وذو القرابة
الفقير من كانت الدنيا

ان سيل الصباح في الشرق * عابجرا في ابح الاثاق * فتداعت نوادب الورق
أتراها خافت من الغرق * فبكت سحرة على الورق
واشتهر يا شذيلة لذلك العهد أبو الحسن بن الفضل قال ابن سعيد عن والده سمعت سمـ ل بن مالك يقول
يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل بقولك

واحسرنا زمان مضى * عشية بان الهوى وانقضى * وأفردت بالرغم لا بالرضى
وبت على جرات الغضى * أعاتق بالفكر تلك الطلول * وألثم بالوهم تلك الرسوم
قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني يشدا لاسنادا بأبا الحسن الزجاج وشحاته غير مارة فما سمعته يقول له الله
درك الا في قوله
قـ ما بالهوى لذي حجر * مالميل مشوق من فجر
نجد الصبح ليس يطرد * مالميل فيما اظن غد * صبح ياليل انك الابد
أو قطعت قـ وادم النسر * فنجوم السماء لا تمرى
ومن موثحات ابن الصابوني قوله

ما حال صب ذي صني واكتاب * مرضه يا ويلته الطبيب
عامـ له محبـ وبه باجتناب * ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب
جفا جفوني النوم لكنتى * لم أبكه الالفقـ والخيال
وذا الوصال اليوم قد غرني * منه كمشاء وساء الوصال
فلسـت باللائم من صدنى * بصـ ورة الحق ولا بالمثال
واشتهر بين أهل العدو ابن خلف الجزايري صاحب الموشحة المشهورة
يدا الصباح قد قدحت * زناد الانوار * في مجامر الزهر
وابن هزرا الجاني وله من موشحة نغرا الزمان موافق * حياك منه بائسام
ومن محاسن الموشحات للتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبقة من بعدها فنها قوله
هل درى ظبي الحمى أن قد حنى * قلب صب حله عن مكنس
فهـ وفي نار وضيق مثل ما * لعبت ربح الصـ بابا القيس
وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب لعصره وقد مر
ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث هما * يا زمان الوصل بالاندلس * لم يكن وصالك الاحلى
في الكرى أو خلاصة المختلس * اذ يقول الدهر أسباب التي * تتقل الخطو على مائتم
زمر بين فرادى وثى * مثل ما يدهو لوفود الموم * والحيا قد جال الروض سنا
فسـنا الازهار فسـه تبسم * وروى النعمان عن ماء السما * كيف يروى مالك عن أنس
فكسام الحسن ثوبامعلا * يزدهى منه بابهى ملبس * في ليال كتبت سر الهوى
بالدجى لولا شعوس القدر * مال نجم الكاس فيها وهوى * مستقيم السير بعد الاثر
وطرما فيه من عيب سوى * انه مر كلعج البصر * حين لدا النوم منى أو كما
هجم الصبح نجوم الحرس * غارت الشهب بنا وورنما * أثرت فينا عيون التبرجس
أى شئ لا مرئى قد خلاصا * فيكون الروض قد كتن فيه * تنهب الازهار فيه القرصا

سبب صلته فانها سبب قطيعته فاحذر ان تجعلها وسطا بينك وبين أحد علامة الاشرار ان من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفوا
شرهم عنه وأما الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالطهم ترك رشدهم البر ثلاثة الصدق في الغضب والجود في العسر والعفو عند القدرة

من عتب على الزمان طالت مغبته مستأق الى كل ما أنت لاق اذا صاحب الارتياح الرشاود وجد المراد ما اعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر بالعزم من احتمال ما في المعصية (٣٨٨) من الذل ولا خرج من الدناءة من صرف جميع عقله الى الدنيا اخو الظلماء مريب

المسئلة آخر المسئلة ما عد
من اهل الحكي من كان
من اهل الهوى ولا كان
من اهل التقى من حاد عن
سبيل الهدى من ذم أدنى
الاحسان لا متناع اقصاه
لم يحمده شأ منه من دواعي
الهلكة اضاعة المعرفة
واجبا لمن يبنى داره وجهه
يهدم وان يبرم أمور الدنيا
وأموره في نفسه تختل (قال
علي رضي الله عنه) من لم
يكن معنسا كان علينا
والساكت اخو الراضي
الساكت لا علم يكن لا علم له
أوهو غيب واثق فيه
بالصواب المرء مخبوء تحت
لسانه قيمة كل امرئ
ما يحسن العلم بما في المصيبة
من الثواب ينسى المصيبة
شمر من المصيبة سوء الخلق
منها الحكمة ربيع القلوب
المقصومة تكشف العورة
وتورث المعرة بلاء المؤمن
من عاقبته كالنار يحرقها
من نورها قد يكون اليأس
إدراكا اذا كان الطمع
هلاكا من لم يرفع نفسه عن
قدرا الجاهل رفع الجاهل
قدره عليه الذلة مع القلة
تجوع الحرة ولا تأكل
بشيء يهاوت عاجل خير
من ضنى آجل الغضب
عند المناظرة منساة للرجة

أمنت من مكره ما تنقيه * فاذا الماء تناحى والخصا * وخلا كل خليل باخيه
تبصر الورد غيورا بدما * يكتسى من غبطة ما يكتسى * وترى الاتس لبيبا فهما
يسرق الدمع بادق فرس * يا أهيل الحى من وادى الغضى * وبقي مسكن أنتم به
ضاق عن وجدى بكم رجب الفضاء * لا أبالى شرقه من غربه * فاعيدوا عهد أنس قدمضى
تنقذوا عائدكم من كربه * واتقوا الله واحبوا مغرما * يتلاشى نفسا في نفس
حبس القلب عليه كم كرما * افترضون خراب الحبس * وبقي فيكم موقة ترب
باحديث المنى وهو بعيد * راطلح منه المغرب * شقوة المغررى به وهو سعيد
قد تساوى محسن أو مذنب * فى هواه بين وعد ووعيد * ساحر المقة له معسول الامى
جال فى النفس بحال النفس * سدد السهم وسمى ورمى * بقوادى نهبة المقترس
ان يكن جار وخاب الامل * وفؤاد الصب بالشوق يذوب * فهو للنفس حبيب أول
ليس فى الحب لمحبوب ذنوب * أمره معتمل معتمل * فى ضلوع قد براها وقلوب
حكم اللطاف بها فاحتكما * لم يراقب فى ضما فى الانفس * ينصف المظلوم عن ظلما
ويجازى البر منها والمسي * ما قلبي كلما هبت صبا * عاده عيده من الشوق جديد
كان فى اللوح له مكتبا * قوله ان عذابي لشديد * جاب الملهم له والوصى
فهو لا شجان فى جهد جهيد * لاعمج فى أضلعي قد أضرمما * فهى نار فى هشم البس
لم تدع من مهجتي الا الذما * كبقاء الصبح بعد الغلس * سلمى يا نفس فى حكم القضا
واعمرى الوقت برجى ومتاب * واتركى ذكرى زمان قدمضى * بين عتي قد تقضت وعتاب
واصر فى القول الى المولى الرضى * ملهم التوفيق فى أم السكاب * الكريم المنتهى والمنتهى
اسد السرح وبدر المجلس * ينزل النصر عليه مثل ما * ينزل الوحي بروح القدس
وأما المشاركة فالتكاف ظاهر على ما عانوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم فى ذلك موشحة ابن سنا
الملك المصرى اشترت شرقا وغربا وأولها

يا حبيبي ارفع حجاب النور * عن العذار
تنظر المسك على الكافور * فى جلتار

كللى يا سحبت تيجان الربى بالحنى * واجعلى سوارها من عطف الجدول
ولما شاع فن التوشيح فى أهل الاندلس واخذ به الجهور والسلاستة وتنمى كلامه وترصيع اجزائه نهجت
العامه من أهل الامصار على منواله ونظموا فى ماريقته بلغتهم الحضريه من غيران يلتزموا فيها العربا
واستخذثوه فناسموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم الى هذا العهد فثاؤا فيه بالغرائب واتسع فيه
للبلغة مجال محسب لغتهم المستحكمة * وأول من ابدع فى هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قرمان وان
كانت قبيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه وكان
لهذه الملمين وهو امام الزجالين على الاطلاق قال ابن سعيد ورايت أرباله مروية بعبدا كثر عماريتها
بحواضر المغرب قال ومعت ابا الحسن بن جحدر الاشبيلي امام الزجالين فى عصرنا يقول ما وقع لاحد من أئمة
هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصنعة وقد خرج الى منزله مع بعض اصحابه فجلسوا تحت عريش
وامامهم تمثال اسد من رخام يصب الماء من فيه على صفايح من الحجر مدرجة فقال

الاختصار أثبت لتسكاهم وأفهم للسامع التكالب فى الحاضرة ينبج الضيف ويدفع الزائر ويرد السائل
وغيره
التكالب فى البادية يعزين الصاحب وينذر بالضيف ويدفع السارق لا تغتر بقول الجاهل ان فى يدك لؤلؤة وانت تعلم انها حبرة

مثل الصلوة مع سائر العبادات مثل السجدة مع جميع من فيها ان سلمت سلم الكل وان اصبحت اصبحت الكل الحب والبغض فتنة
طالب المطمع خرم وطالب المؤيس عجز قد ينظر المنطق من يعنى به اذا فسد الزمان (٣٨٩) كسدت الفضائل وضرت

ونفقت الرذائل ونفقت

وصار خوف المومنين اكثر

من خوف المعسر لقاء اهل

الخبر عمارة القلوب لا يصيد

الكثير من لا يصيد لنفسه

الواحدة بالعلم بل يحسن

المنطق وبالقوة يتم العمل

الفكرة مرة من اعظم الناس

من قل ماله وكثر مجده

الادب مع العقل كالثمرة

المتمرة والعقل بلا ادب

كالرجل العقيم المساءلين

من القول والقلب اقصى من

الحجر وقد نيل المساءل الحجر اذا

كثر انحذاره عليه اشياء

اخفاء الفاقة اولى الناس

بالرجة عالم يجري عليه حكم

جاهل لم يغيب من شمه درايه

ولم يقن من بقي اثره ولم يمت

من خاد علمه وقد سبق

المثل ليس بهالك من ترك

مثل مالك كما انه قبيل اذا

ركبنا الخيل ان تجري بنا

حيث ارادت دون ان

نديرها كذلك قبيل ان

يجرى اليه بدن والنفس

بالعقل حيث ارادت من

الشهوات اشق الامور

معرفة المرء بنفسه عائب

الاجتماع عليه محجوج ليس

شي من البر الاودونه عقبة

من الصبر ضرب الانسان

عاري باق وترمط لوب

الاجتماع عليه محجوج ليس

شي من البر الاودونه عقبة

من الصبر ضرب الانسان

عاري باق وترمط لوب

الاجتماع عليه محجوج ليس

شي من البر الاودونه عقبة

وعريش قد قام على دكان * بحال رواق

واسد قد ابتلع ثعبان * في غاط ساق

وفتح فيه بحال انسان * فيه الفواق

وانطلق يجري على الصفاح * واتي الصباح

وكان ابن قرمان مع انه قرطبي الدار كثر ما يتردد الى اشبيلية ويبعث بنهرها فاتفق ان اجتمع ذات يوم

جماعة من اعلام هذا الشأن وقدر كبوا في النهر للترفة ومعههم غلام جميل الصورة من سروات اهل البلد

وبيوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد فظنوا في وصف الحال وبدا منهم عيسى البليدي فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتني * وقد ضمو عشقوبس همتا تو

تراه قد حصل مسكن جملا تو * فقلنا ولذلك امر عظيم صابا تو

فوحش الجفون الكحل اذا ماتو * وذيك الجفون الكحل ابلاتو

ثم قال ابو عمرو بن الزاهر الاشبيلي

نشب والهوى من لحي فيه ينشب * ترى اش كان دعاه يشقى ويتعذب

مع العشق قام في مالهو يلعب * وخلق كثير من ذا اللعب ماتو

ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار ملج تعجني اوصافو * شراب وملاح من حولي طافو

والعلمين يقولوا بصفاو * والنوري اخرى بة لاتو

ثم قال ابو بكر بن مرتين

الحق يريد حديث تعالى عاد * في الواد الخمر والمنزه والصاد

تنبيه حيتان ذلك الذي يصطاد * قلوب الوري هي في شبيكا تو

ثم قال ابو بكر بن قرمان اذا شمرنا كما ويرميها * ترى النور يرشق لذيك الجيها

وليس مرادوا ان يقع فيها * الا ان يقبل يديدا تو

وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله

قد كنت مشبوب واختشيت الشيب * وردني ذا العشق لامر صعب

يقول فيه حين تنظر الخلد الشريف اليه * تنتهي في الحجرة الى ما تنهي

يا طالب الحكيم في عيني هي * تنظر بها الفضة ترجع ذهب

وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مذغيس وقعت له العجائب في هذه الطريقة فن قوله في زجله المشهور

ورذاذ دق ينزل * وشعاع الشمس يضرب

والنبات يشرب ويسكر * والغصون ترقص وتطرب

وتريد تجي البنا * ثم تسبحي وتهرب

ومن محاسن ازجاله قوله

لاح الضياء والنجوم حيارى * فقم بنا نزع الكسل

احلى هي عندي من المسك * يامن ياتني كما تقلد

يقول بان الذنوب مولد * وانه يفسد العقل

اش ما ساق لك اذا الفضول * مرأيت للبحر والزيارا

ودعني في الشرب منهمل

(قيل للحكيم) هل لا غضب مادة تحسسه قال نعم ان يعلم الانسان انه ليس يجب ان يكون مطاعا ابدا ولا يجب ان يخدم ابدا ولا يجب ان

يحتمل خطوة ابدا ولا يجب ان يصبر عليه ابدا بل قد يطبع ويخدم ويحتمل الخطا ويصبر على الذوايب فاذا عاين ذلك لم يغضب وان

ثُمَّ قِيلَ لِلْأَعْمَى: مَنْ وَعَظَ بِغَيْرِهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعَظَ بِنَفْسِهِ لَا تَقْعُ كَثْرَةُ الْعِلْمِ لِمَنْ لَا يَعْمَلُ كَمَا لَا يَغْنَى ضَوْءُ الشَّمْسِ عَنْ لَيْلٍ يَضُرُّ رُضَى
بِالذَّلِّ مَنْ كَشَفَ ضُرَّهُ بِتَرْكِ التَّوَرُّعِ (٣٩٠) وَأَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنْ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعِ الْبَدْعَ فَخَوَّخَ يَسْتَرْهَازُ خُرْفَةَ الْكَلَامِ وَخَدَعَ الْمَالَ

النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِالْأَخْوَانِ
وَفِي الْآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ صَدِيقُ
الرَّجُلِ عَقْلُهُ وَعَدُوُّ حَقِّهِ
مَنْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النِّعَمَةُ
أَدِيمَتْ لَهُ الرِّغْبَةُ يَحْفَظُ
الْأَجْقَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ الْأَمِنْ
نَفْسُهُ لَا جُودًا لِلْمَالِ وَلَا
صِدَاقَةَ الْأَبْوْفَاءِ وَلَا فِقْهَ الْإِسْلَامِ
يُورِعُ الْعَلِيلَ الَّذِي يَشْتَهِي
أَرْجَى مِنَ الْكَبِيرِ الَّذِي لَا
يَشْتَهِي قُلُوبَ الرِّجَالِ
وَحَشِيَّةُ فَنِّ تَالِفَهَا أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِ أَعْمَلُوا بِسَبْكِكُمْ وَبَيْنَ
الْحَرَامِ سِتْرَةٌ مِنَ الْحَلَالِ لِقَاءُ
الرَّجُلِ إِخْلَافُ مَسَلَّةٍ لَهُمْ
مَنْ لَمْ يَصْلُحْ عَلَى تَدْبِيرِ اللَّهِ لَمْ
يَصْلُحْ عَلَى تَدْبِيرِ نَفْسِهِ
وَالْإِسْلَامُ فَرَحٌ وَهُمْ كَاذِبٌ
وَالْعَامِلُ بِهَا كَالْمُعْتَمِدِ عَلَى
الظِّلِّ الرَّائِلِ الدُّنْيَا دُولٌ خَفَا
رُكَّانُهَا أَلَا تَأْتِي وَمَا كَانَ
عَالِمٌ لَمْ تَقْوَعِ عَلَى دَفْعِهِ
الْعَاقِبَةُ خَيْرٌ مِنَ الْوَاقِعَةِ
الْكَرِيمُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ أَعْطَاهُ
الْقَلِيلَ الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقِيرِ
الْكَرَمُ حَسَنُ الْقَطْنَةِ وَالْإِثْمُ
سُوءُ الْتَوَاقُلِ اخْتِلَافُ كَلَامِ
الْمُرْدِ دَلِيلٌ عَلَى مِيلِ الْهَوَى بِهِ
مَنْ حَقَّ النِّعَمَةُ أَنْ يَرَى
أَثَرَهَا مِنْ كَانَ شَيْعَةً فِي
الطَّعَامِ لَمْ يَزَلْ جَائِعًا وَمَنْ
كَانَ غَنَاهُ فِي الْمَالِ لَمْ يَزَلْ فَقِيرًا
وَمَنْ كَانَ قَصْدُهُ مَحْوَاثِجَهُ
إِلْحَاقُ لَمْ يَزَلْ مَحْرُومًا وَمَنْ

مَنْ لَيْسَ لَوْ قُدْرُهُ وَلَا اسْتَطَاعَا * النِّبَةُ أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ
وَضَاهِرٌ بَعْدَهُ لَا بِشَبِيلَةِ ابْنِ جَدِّهِ الَّذِي فَضَّلَ عَلَى الرِّجَالِ فِي فَتْحِ مَبُورَةٍ بِالزَّجْلِ الَّذِي أَوَّلَهُ هَذَا
مَنْ عَانَدَ التَّوْحِيدَ بِالسِّيفِ يَحْقُ * أَنَابَرِيٌّ عَنْ يَعْنَدَ الْحَقَّ
قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ لَقِيتُهُ وَلَقِيتُ تَلِيذَهُ الْمَعْمَعَ صَاحِبَ الزَّجْلِ الْمَشْهُورِ الَّذِي أَوَّلَهُ
يَا لِبَيْتِي أَنْ رَأَيْتُ جَبِيئِي * أَقْبَلَ إِذْ نَوَى بِالرِّسَالِ لَيْسَ أَخَذَ عَنِّي الْغَزِيلَ * وَأَسْرَقَ فَمِ الْخَيْلِ
ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبُو الْخَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ أَمَامُ الْأَدَبِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ هَذِهِ الْعَصُورُ صَاحِبِنَا الْوَزِيرُ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ أَمَامُ النِّظَمِ وَالنُّثْقَى الْمَلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ غَيْرِ مَدَافِعٍ فَنِّ مَحَاسِنِهِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
أَفْرَجَ الْأَكْوَاسَ وَأَمَّا إِلَى تَجَدُّدِ * مَا خَلَقَ الْمَالَ إِلَّا أَنْ يَبْدُدَ
وَمَنْ قَوْلُهُ عَلَى طَرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ وَيَنْحَوُّ مَنَحَى الشُّعْرَى مِنْهُمْ
بَيْنَ طُلُوعِ وَنُزُولِ * اخْتَلَطَتْ بِالْغَزُولِ * وَمَضَى مِنْ لَيْكُنْ * وَبَقِيَ مِنْ لَمْ يَزُولِ
وَمَنْ مَحَاسِنُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى
أَلْبَعْدَ عَنكَ يَا بَنِي أَعْظَمَ مَصَائِي * وَحِينَ حَصَلَ لِي قَرِيبُكَ نَسِيتُ قَرَايِي
وَكَانَ الْعَصْرُ الْوَزِيرُ ابْنُ الْخَطِيبِ بِالْأَنْدَلُسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ أَهْلِ وَادِي آشَ وَكَانَ أَمَامًا فِي هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَلَهُ مِنْ زَجْلِ يَعْأَرِضُ بِهِ مَدَغِيسٌ فِي قَوْلِهِ * لَاحِ الضِّيَاءِ وَالنَّجْمِ حَيَارَى * بِقَوْلِهِ
حَلِ الْجَمُونَ يَا أَهْلَ الشُّطَارَا * مَذْ حَلَّتْ الشَّمْسُ بِالْجَمَلِ * جَدُّوَا كُلَّ يَوْمٍ خِلَافًا
لَا تَجْعَلُوا أَسْمَاءَ يَمِيلُ * إِلَيْهَا يَتَخَلَّعُوا فِي سَبِيلِ * عَلَى خَصْفٍ ذَاكَ التَّسْبَاتِ
وَصَلَّ بَعْدَ دَوَائِجِ الْبَيْتِ * أَحْسَنَ عِنْدِي فِي ذِيكَ الْجَهَاتِ * وَطَائِفَتُهَا أَصْلَحُ مِنْ أَرْبَعِينَ مِيلَ
أَنْ مَرَّتْ الرِّيحُ عَلَيْهِ وَجَاتِ * لَمْ يَلْتَقِ الْغَيَارُ أَمَارًا * وَلَا عَمَّةٌ دَارِيًا يَكْتَحِلُ
وَكَيْفَ وَلَا فِيهِ مَوْضِعُ رِفَاعَا * الْأَوَّلُ يَسْرَحُ فِيهِ الْفَحْلُ
وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ الزَّجْلِيَّةُ لَهَا الْعَهْدُ فِي الْعَامَةِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنَ الشُّعْرَى وَفِيهَا نَظْمُهُمْ حَتَّى أَنَّهُمْ لَيْسَتْ تَنْظُمُونَ بِهَا
فِي سَائِرِ الْبُحُورِ الْخَمْسَةِ عَشَرَ لَكِنْ بَلَّغَتْهُمْ الْعَامِيَّةُ وَيَسْمُونَهُ الشُّعْرَ الزَّجْلِيَّ مِثْلَ قَوْلِ شَاعِرِهِمْ
لِي دَهْرٌ بِعَشْقٍ جَفُونُكَ وَسَمْنِي * وَأَنْتَ لَا شَقْفَةَ وَلَا قَلْبَ يَلِينِ
حَتَّى تَرَى قَلْبِي مِنْ أَجْلِكَ كَيْفَ رَجَعُ * صَنْعَةُ السَّكَّةِ مَا بَيْنَ الْحَدَّادِينَ
الْأَمْوَعُ تَرْشُرْشُ وَالنَّسَارُ تَنْهَبُ * وَالْمَطَارِقُ مِنْ شَمَالٍ وَمِنْ عَيْنِ
خَلَقَ اللَّهُ النَّصَارَى لِلْغَزْوِ * وَأَنْتَ تَغْزُو فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ
وَكَانَ مِنَ الْمَجْدِيِّينَ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمَسَائِدِ الْأَدِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَلُوسِيُّ وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ فِيهَا
السَّاطَانَ ابْنَ الْأَحْمَرِ
طَلَّ الصَّبَاحُ قَدْ يَأْتِي بِشَرِّهِ * وَنَضْحَكَوْا مِنْ بَعْدِ مَا نَظَرُوا * سَيِّدَةَ الْقَجَرِ أَحَلَّتْ شَقْفًا
فِي مِيقَاتِ اللَّيْلِ وَقَوْمٌ قَلْبُو * تَرَى غَبَارًا خَالِصَ أَيْضَ تَقَى * فَضْةً هُوَ لَكِنْ الشَّقْفُ ذَهَبُ
وَسَكُو سَكْتُوا عِنْدَ الْبَشَرِ * نَوَارُ الْجَمُودِ مِنْ نَوَاهَاتِ كَسْبُو * فَهُوَ النَّهَارُ يَا صَاحِبِي لِلْعَاشِ
عَيْشُ الْقَتَى فِيهِ بِاللَّهِ مَا أَطْبَعُو * وَاللَّيْلُ نَصَا لِلْقَبْلِ وَالْعَنَاقِ * عَلَى سِرِّيرِ الْوَصْلِ يَتَقَلَّبُو
جَادَ الزَّمَانُ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ بِخَيْلِ * وَأَشْ كَقَلْبِهِ مَنْ يَرَى بِهِ عَقْرُ بُو * كَمَا جَرَعَ مَرُّ وَفِيهَا قَدْ مَضَى
يَشْرَبُ سَوَامًا وَيَا كُلَّ طَيْبُو * قَالَ الرَّقِيبُ يَا أَدْبَالَاشَ ذَا * فِي الشَّرْبِ وَالْعَشْقِ تَرَى تَنْجَبُو

أَسْتَعْمَانِ فِي آخِرِهِ بَعِيرُ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ يَحْذُو لَمْ يَزَلْ يَحْذُو لَمْ يَزَلْ يَحْذُو لَمْ يَزَلْ يَحْذُو لَمْ يَزَلْ يَحْذُو
دُونَهُ مَا كَسَنَهُ وَمَا تَعَمَّلَ بِهِ لَعِيرُكَ نَوْرُهُ وَعَلَيْكَ بَوْرُهُ وَاعْجَابُ مَنْ يَخْتَارُ الْمَذَلَّةَ فِي طَلَبِ مَا يَفْنَى عَلَى الْعِزِّ طَلَبِ مَا يَبْقَى مِنْ حَذْرِكَ كَنْ بَشْرِكَ
وَتَعْجَبُوا

الشقيع جناح الطالب اذا اقبلت الدنيا عليك فانفق منها فانها لا تقى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى قال الشاعر
فانفق اذا ايسرت غير مقرر * وانفق على ما خلت حين تعسر فلا الجود يقنى المال والمخاطم قبل * (٣٩١) ولا البخل يبقى المال والمخاطم دبر

وتعجبوا عذالى من ذا الخير * قلت يا قوم مما تتعجبوا * يعشق ما يحل الارقيق الطباع
علاش تكفروا بالله او تكذبوا * ليس يريح الحس الا شاعر اديب * يقض بـ كـر وويدع نيمو
اما لكاس فحرام نعم هو حرام * على الذى ما يدري كيف يشربوا * ويد الذى يحسن حسابه ولم
يقدر يحسن الفاظ ان يجلبوا * واهل العقل والفكر والمجون * يغفرونو بهم لـ ذان اذنبوا
ظلي بهى فيها يطغى البحر * وقاسى في جحر الغضى يلهو * غزال بهى يتقر قلوب الاسود
وما لهم قبل النظر يذهبوا * ثم يحيمهم اذا ابتسم ضحكوا * ويقرحوا من بعد ما يندبوا
فويم كالمخاتم وتغير نقي * خطيب الامة للقبل يخطبو * جوهر ورجان اى عقد يا فلان
قد صدقه النماط ولم يشقو * وشارب اخضر ير يد لاش نريد * من شبهه بالمسك قد عيبوا
يسبل دلال مثل جناح الغراب * لبالى هجرى منه يستغربوا * على بدن ابيض بلون الحليب
ما قد طارعى للغم يحلبو * وزوج هندات ما علمت قبلها * ديك الصلا ياريت ما اصلبو
تحت العكا كن منها خضر ارقى * من رقة ويخفى اذا تطلبو * ارق هو من ديني فيما تقول
جـ د يدعتبك حق ما كذبو * اى دين بقالى معاك واى عقل * من يتبعك من ذا وذا تسلبو
تحمى اوداف ثقال كالقريب * حين ينظر العاشق وحين يرقبو * ان لم ينفس غـ درا وينقش
في طرف ديسا والبشر تطلبو * يصير اليك المكان حين تنجى * وحين تعقب ترجع في عيني تجو
محاسنك مثل خصال الامير * او الرمل من هو الذى يحسبو * عماد الامصار وفضيح العرب
من فـ احـة لفظه يتقربوا * بحمل العلم انقروا العمل * ومع بديع الشعر ما كنبو
ففي الصدور بالرح ما طعمه * وفي الرقاب بالسيف ما ضربو * من السماء يحسد في اربع صفات
فن يعد قـ لـى او يحسبو * الشمس نور والقمـر همـو * والغيت جود و النجوم منصبو
يركب جواد الجود ويطلق عنان * الاغنيا والجنـد حين يركبوا * من خلعتو بلس كل يوم بطيب
منه بنات المعالي تطيبوا * نعمتو تظاهر على كل من يحبه * قاصد ووارد قط ما خيبوا
قد اظهـر الحق وكان في حجاب * لاش بقدر الباطل بعد ما يحجبو * وقد نبي بالمرر كن التقى
من بعد ما كان الزمان خربو * تخاف حين تلقاه كـ ترنجـه * فـحـ سمـ احـة وجهه وما اسـجـو
يلقى الحروب ضاحكا وهي عابسه * غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبو * اذا جبد سيقه ما بين الردود
فليس شئ يغنى من يضربو * وهو سمي المصطفى والاله * للسلطنة اختاروا واستخبو
ترآه خالفة امير المؤمنين * يقود جيوشـ ويزين موكـو * لذي الامارة تخضع الرؤس
نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا * بيته بقي بدور الزمان * يطاعوا في الجـد ولا يغربوا
وفي المعالي والشرف يبعدو * وفي التواضع والحميا يقربو * والله يقيمهم مادار الفلك
واشرق شمسـه ولا حـ كوـبو * وما يغنى ذا القصـد في عروض * يا شمس خدر ما لها مغربو
ثم اسـ تحدث اهل الامصار بالمغرب فـنا آخر من الشـعـر في اعارىض فردوجة كـا وشـعـر نظموا فيه بلغتهم
المخضرة ايضا وسموه عروض البلاد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها
أبكاني بشاطى النـهر نوح الحـمام * على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف البحر يحوم مداد الطـلام * وما لـ لـدى يحـرى بشـعـر الاقـاح

وتعجبوا عذالى من ذا الخير * قلت يا قوم مما تتعجبوا * يعشق ما يحل الارقيق الطباع
علاش تكفروا بالله او تكذبوا * ليس يريح الحس الا شاعر اديب * يقض بـ كـر وويدع نيمو
اما لكاس فحرام نعم هو حرام * على الذى ما يدري كيف يشربوا * ويد الذى يحسن حسابه ولم
يقدر يحسن الفاظ ان يجلبوا * واهل العقل والفكر والمجون * يغفرونو بهم لـ ذان اذنبوا
ظلي بهى فيها يطغى البحر * وقاسى في جحر الغضى يلهو * غزال بهى يتقر قلوب الاسود
وما لهم قبل النظر يذهبوا * ثم يحيمهم اذا ابتسم ضحكوا * ويقرحوا من بعد ما يندبوا
فويم كالمخاتم وتغير نقي * خطيب الامة للقبل يخطبو * جوهر ورجان اى عقد يا فلان
قد صدقه النماط ولم يشقو * وشارب اخضر ير يد لاش نريد * من شبهه بالمسك قد عيبوا
يسبل دلال مثل جناح الغراب * لبالى هجرى منه يستغربوا * على بدن ابيض بلون الحليب
ما قد طارعى للغم يحلبو * وزوج هندات ما علمت قبلها * ديك الصلا ياريت ما اصلبو
تحت العكا كن منها خضر ارقى * من رقة ويخفى اذا تطلبو * ارق هو من ديني فيما تقول
جـ د يدعتبك حق ما كذبو * اى دين بقالى معاك واى عقل * من يتبعك من ذا وذا تسلبو
تحمى اوداف ثقال كالقريب * حين ينظر العاشق وحين يرقبو * ان لم ينفس غـ درا وينقش
في طرف ديسا والبشر تطلبو * يصير اليك المكان حين تنجى * وحين تعقب ترجع في عيني تجو
محاسنك مثل خصال الامير * او الرمل من هو الذى يحسبو * عماد الامصار وفضيح العرب
من فـ احـة لفظه يتقربوا * بحمل العلم انقروا العمل * ومع بديع الشعر ما كنبو
ففي الصدور بالرح ما طعمه * وفي الرقاب بالسيف ما ضربو * من السماء يحسد في اربع صفات
فن يعد قـ لـى او يحسبو * الشمس نور والقمـر همـو * والغيت جود و النجوم منصبو
يركب جواد الجود ويطلق عنان * الاغنيا والجنـد حين يركبوا * من خلعتو بلس كل يوم بطيب
منه بنات المعالي تطيبوا * نعمتو تظاهر على كل من يحبه * قاصد ووارد قط ما خيبوا
قد اظهـر الحق وكان في حجاب * لاش بقدر الباطل بعد ما يحجبو * وقد نبي بالمرر كن التقى
من بعد ما كان الزمان خربو * تخاف حين تلقاه كـ ترنجـه * فـحـ سمـ احـة وجهه وما اسـجـو
يلقى الحروب ضاحكا وهي عابسه * غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبو * اذا جبد سيقه ما بين الردود
فليس شئ يغنى من يضربو * وهو سمي المصطفى والاله * للسلطنة اختاروا واستخبو
ترآه خالفة امير المؤمنين * يقود جيوشـ ويزين موكـو * لذي الامارة تخضع الرؤس
نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا * بيته بقي بدور الزمان * يطاعوا في الجـد ولا يغربوا
وفي المعالي والشرف يبعدو * وفي التواضع والحميا يقربو * والله يقيمهم مادار الفلك
واشرق شمسـه ولا حـ كوـبو * وما يغنى ذا القصـد في عروض * يا شمس خدر ما لها مغربو
ثم اسـ تحدث اهل الامصار بالمغرب فـنا آخر من الشـعـر في اعارىض فردوجة كـا وشـعـر نظموا فيه بلغتهم
المخضرة ايضا وسموه عروض البلاد وكان اول من استحدثه فيهم رجل من اهل الاندلس نزل بفاس يعرف
بابن عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الاعراب مطلعها
أبكاني بشاطى النـهر نوح الحـمام * على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف البحر يحوم مداد الطـلام * وما لـ لـدى يحـرى بشـعـر الاقـاح

احسان الله كفور عنده من اصبح مصر على ذنب مسـور بصير التـحـاق خـلقا بالاجتهاد والاعتقاد الحجر الغصب في البنيان رهن على الخراب
وبما شرق شارب الماء قبل ربه وبأى أنفع من مال وخرم اوقى من رجال من استوعب الحلال تاقت نفسه الى الحرام من ذم الزمان لم

محمد الاخوان بنقلب الاحوال تعلم جواهر الرجال من عرف الزمان لم يحتاج الى ترجان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد رسولك
ترجان عقلك الطاعة غنيمة الاكياس (٢٩٢) عند تقريظ العاجز كلما اشتد الظلام حسن ضوء السراج الثناء بما كثر من الاستحقاق

ملق والتقصير عن
الاستحقاق عي اوحسد
اولى الناس بالرجة من
احتاج اليها فخرها من لم
يدور قدر البلية لم يرحم أهلها
كفالك أديا لنفسك ما كرهته
لغيرها بحالسة الاجق غرر
والقيام عنه ظفر لا تسأل عما لم
يكن فان في الذي كان
شغل البخل جامع لما سوى
العيوب وهو زمام يقاد به الى
كل سوء اذا صح القلب وصح
العمل كان التوفيق احرار
العواقب بالاجتهاد
والاجتهاد اريح بضاعة
التوفيق خير فائد كمال
العمل التوفيق من توفيق في
استتمام الخط من البغية
أدرك وبلغ مقاربة الناس
في اخلاقهم أمن من
غوائلهم لا تنظر الى احد
بالموضع الذي رتب فيه
زمانه ولكن انظر اليه بقيمته
في الحقيقة فانها مكانه
الطبيعي أبعد الناس سفرا
من سافر في طلب أخ صالح
ليست البركة من الكثرة
لكن الكثرة من البركة
(وقال دواد عليه السلام)
ان كان ماترى من الجهل
يغض اذن يكثر الجهل
ويطول غمك (قيل)
ليزجه (ما لكم لا تعاتبون
الجهلة قال لا نمانريد من

باكرت الرياض والطليل فيها افتراق * سراج جواهر في نخبه وراجح وار
ودمع النواير ينهرق انه راق * يحاكي ثعابين حلقبت بالثمار
لو بالانصون خلت الى كل ساق * ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تحرق جيوب السكام * ويحمل نسيم المسك عنهار ياح
وعاج الصبا يطلى بمسك الغمام * وجر النسيم ذيل لواء عليه سافح
رايت الحسام بين الورق في القضيبي * قد ابتلت ارياشه بقطر الندى
تنوح مثل ذاك المسهم الغريب * قد اتف من ثوب الجديدي في ردا
وايكن بما أجرو ساق وخضيب * يتظلم سالك جوهروية قلدا
جاس بين الأغصان جالسة المسهم * جناح طوسد والتوى في جناح
وصار يشكي ما في الفؤاد من غرام * منها ضم منقاره لصدده وصاح
قات يا حسام احرمت عيني المجوع * اراك ما تزال تبكي بدمع صفوح
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع * بلا دمع نبقى طول حياتي تنوح
على فرخ طار لي لم يكن لورجوع * ألقت البكا والحزن من عهـ دنوح
كذاهم الوفاء وكذا هو الزمام * انظر حقون صارت بحال الجراح
وانتم من بيكي منكم اذا تم عام * يقول عناني ذا البكا والنوح
قات يا حسام لو خضت بحر الضنى * كنت تبكي وترثي لي بدمع متون
ولو كان بقلبك ما بقا بي انا * ما كان يصير تحنك فروع العصون
اليوم نقاسي المجر كم من سنا * حتى لا سبيل جعله تراني العيون
وما كسا جسمي التحول والسقام * اخفاني نحولي عن عيون اللواح
لو جئتني المنايا كان يموت في المقام * ومن مات بعد يا قوم لقد اسـ نراح
قال لي لو رقت لاوراق الرياض * من خوفي عليه ودال نفوس للفؤاد
وتخضبت من دمعي وذلك البياض * طوق العهد في عنقي ليوم التناد
اما طرف منقاري حديث واستفاض * باطراف البلاد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه اهل فاس وولعه وابه ونظم واعلى طريقته وتر كوا الاعراب الذي ليس من شأنهم وكثر سماعه
بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافا الى المزدوج والكارى والملمعة والغزل واختلقت اسماءها
باختلاف ازدواجها ولاحظاتهم فيها فن المزدوج ما قاله ابن شجاع من فحولهم وهو من اهل نازا

المال زينة الدنيا وعز النفوس * ينهي وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس * ولوه الكلام والرتبة العالي
يكبر من كثر المال ولو كان صـ غير * ويصغر عزير القوم اذ يفتقر
من ذا ينطبق صدرى ومن ذا يصير * يكاد ينقع لولا الرجوع للقـ در
حتى يلتجى من هو في قوم كـ ير * لمن لا أصل عنه ودو لاوخطر
لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس * ويصيح عليه ثوب فراش صافيا
الى صارت الذناب امام الرؤس * وصار يستفيد الواد من الساقيا

ضعف

العميان أن يعضوا العشي مرض نفس فارغة لاهمة لها اجالة الفكرة واستخراج الفطنة تنبع الاساة

بالدم وتيسع الندم بالاقلع الامن البراءة وكثرة الصديق بالتواضع وأعم الاشياء نفعاً فقد الاشهر ارم من بذرة عداوة حصدة ندامة السمينة

للنساء غفلة ولا رجال غفلة (قال المسيح) عليه السلام ما علم من لم يقض برغبتا الجهل وما قوة من لم يزد الغضب وما عبادة من لم يتواضع للرب
سبحانه عبادة النوكى المحيى فى غير وقت والجلوس فوق القدر اذا وقعت الضرورة ارتفعت المشورة (قيل للحكيم) اخرج الهم من قلبك قال
ليس باذنى دخل من اغتر بحاله قصر فى احتياله اياكم وطلب الامور من غير وجهها فبعينكم (٢٩٣) طلبوا ولا تدركوا حظانها هبة

الزال تورث الحصر (قيل

للحكيم) لاي شئ تزوجت

امرأة دمية وانت وسيم قال

اخترت من الشر اقله (وقيل

لحكيم) ما تقول فى الزواج

قال لذة شهر وروهم دهر فتنة

عالم الى ابليس خير من

غواية الف جاهل تمنى

المعائب ولا تمنى المعاذير

الموالة فى الاسلام بمنزلة

الخفاف فى الجاهلية سب

الجاهل للحكام تشريف

ثم عند اهل الفضل لان

الجاهل منسوب الى

فعله وكان الحكيم يتالم

بحديث الجاهل كذلك

الجاهل يتالم بسمع

الحكمة اغنى الناس عن

الحقد من عظم قدره عن

المخاذاة الكبير المهمة من

الرجال من كان عنف

الناصح عنده اطف موقعا

من ملق الكاشع ان كانت

الحدود هى الخطوط فما

بالحرص وان كانت

الامور ليست بدائمة فبال

السروان كانت الدار

غدارة فبال الطمانينة

(وقال الشعبي) ما رأيت الله

سبحانه وتعالى اعطى عباده

اجل من الحلم (وقال عمر

ابن الخطاب) رضى الله

ضعف الناس على ذلهم فى الزمان * ما يدروا على من يكثر واذا العتاب

الى صار فلان يصبح يا بوفلان * ولو رأيت كيف يرد الجواب

عشنا والسلام حتى رأينا عيان * أنفاس السلاطين فى جلود الكلاب

كبار النفوس جدا ضعف الأسوس * هم ناحيا والنجس * فى ناحيا

بروا أنهم والناس يروهم تيوس * وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مذاهم قول ابن شجاع منهم فى بعض مردوجاته

تعب من تبع قلبوا ملاح ذا الزمان * اعمل يا فلان لا يلعب الحسن فيك

مامنهم ملج عاهد الاوخان * قليل من عليه تجسس ويحبس عليك

يهبوا على العشاق ويمتنعوا * ويستعمدوا قطيع قلوب الرجال

وان واصلوا من حينهم يقطعوا * وان عاهدوا خانوا على كل حال

ملج كان هو يتو وشت قلبى معو * وصيرت من خدى لقدمون عال

ومهدت لوم وسط قلبى مكان * وقلت لقلبي اكرم من حل فيك

وهون عليك ما يترك من هوان * فلا بد من هول الهوى يعتربك

حكمت واءلى وارضيت بوامير * فلو كان يرى حالى اذا يصرو

يرجع مثل در حولي بوجه الغدير * مردية ويتعطس بحال النحر روا

وتعلمت من ساعاب سبق الضمير * ويفهم مرادوقيل ان يذكرو

ويحتل فى مطلق ولو ان كان * عصر فى الريح أوفى الليالى يريك

ويمشى بسوق كان ولو باص بهان * وايش ما يقل يحتاج يقل لو يحبك

حتى أتى على آخرها * وكان منهم على بن المؤذن سلمان * وكان لهذه العصور القرينة من خوفهم يزدرون

من ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف أبدع فى مذاهب هذا الفن ومن أحسن ما ملق له بمحققى

قوله فى رحلة السلطان أبى الحسن وبنى مرين الى افريقية يصف هزيمتهم بالقيروان ويعزيهم عنها

ويوتسهم بما وقع لغيرهم بعد أن عجزهم على غزاتهم الى افريقية فى ملعبة من فنون هذه الطريقة يقول

فى مفتحتها وهو من أبدع مذاهب البلاغة فى الاشعار بالقصص فى مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة

الاستهلال سبحان مالك خواطر الامرا * ونواصيا فى كل حين وزمان

ان طعناه عطفهم لنا قسرا * وان عصينا عاقب بكل هوان

الى أن يقول فى السؤال عن جيوش المغرب بعد التخاص

كن مرعى قل ولا تكن راعى * فالراعى من رعيتيه مسئول

واستفح بالاصالة على الداعى * للاسلام والرضا السنى المكمول

على الخلفاء الراشدين والاتباع * واذكر بعدهم اذا تحب وقول

أجبا جا تحللوا الصغرا * ودواسر ح البلاد مع

عس كرفاس المتسيرة الغرا * وبين سارت بوعزائم السلطان

(٥٠ - ابن خلدون) عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه شئ من أمر الدنيا والاخرة من لم تعرف الوثيقة فى أرومته والدمائة

فى خلقة والكرم فى طبعه والنبل فى نفسه والتعاقر عند ربه (قال عبد الله بن حمدون) كنت مع المتوكل لما خرج الى دمشق فركب يوما

الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورهم اثم خرج فرأى ديرا قديما هناك حسن البناء بين مزارع وأنهار واشجار فدخله فبينما

هو يطوف اذ بصر برقة قد الصقت في صدره فامر بقله افاذا فاه هذه الايات ايامنزلا بالدير أصبح خاليا * تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم يسكنك بفض اوانس * ولم يتختر في فنائك حور
اذ الدسوا اذراعهم فعاوبس * (٣٩٤) وان لبسوا اتيجاتهم فبدور على انهم يوم اللقاء ضراغم * وانهم يوم النوال بحور

ليالي مشام بالرصافة قاطن
وفيك ابنة يادير وهو امير
اذ العيش غص والخلافة
لذته

وانت طريب والزمان غريب
ورضك مرتاد ونورك مزهر
وعيش بني مراون فيك نصير
بلى فسقك الغيث صوب
سحاب

عليك لها بهد الروحاح بكور
تذكرت قومي فيك كما في كتبهم
يشعروا مثلي بالبكاء جدير
فعزيزت نفسي وهي نفس
اذا جرى

لما ذكر قومي انه لغير
لعل زمانا جاري يوما عليهم
لهم بالذي تهوى النفوس
يدور

في فرح محزون وينعم بانس
ويطلق من ضيق الوثاق
اسير

رويدك ان الدهر يتبعه غد
وان صروف للذات تدور
فلا قرأها المات وكل ارتاع
وتطير وقال اعوذ بالله من
شر اقداره ثم دعا صاحب
الدير فسأله عن كتبها فقال
لا علم لي به واما الكتب
وصفاتها فتجل عن الوصف
ولقد احسن ابن الجهم
في قوله

سيرا اذا جالسته كان مسليا

اجاجا بالنبي الذي زرت * وقطعت لوكلا كل البيدا
عن جيش الغرب حين يسألكم * التسلف في افريقيا السودا
ومن كان بالعطايا يزودكم * ويدع برية الحجاز زغدا
قام قل للسد صائف الجزرا * ويججز شوط بعد ما يخفان
ويزف كردوم وتهب في العبرا * اى ما زاد غزالهم سيجان
لو كان ما بين تونس الغربا * وبلاد الغرب سد السكندر
مبني من شرقها الى غربا * مابقا بحديد او ثانيا بصفر
لا بد الطير ان يجيب نيا * اويأتى الريح عنهم بفرد خبير
ما عوصها من امور وماشرا * لوتقرا كل يوم على الديوان
لمحرت بالدم وانصدع حجرا * وموت الخراب وخافت الغزلان
أدركى بعقلك الفخاص * وتفكرلى بخاطر كجعا
ان كان تعلم حمام ولا رقص * عن السلطان شهر وقيله سبعا
تظهر عند المهين الفصاص * وعلامات تنشر على الصفا
الاقوم عاريين فلا ستر * مجهولين لا مكان ولا مكان
ما يدروا كيف يصوروا كسرا * وكيف دخلوا مدينة القيروان
امولاي ابوالحسن خطيبنا الياب * قضية سسيرنا الى تونس
فقنا كناعلى الجريد والزاب * واش لك في اعراب افريقيا القوس
ما بلغك من عرقى الخطاب * الفاروق فاتح القرى المولس
ملك الشام والحجاز وتاج كسرى * وفتح من افريقيا وكان
ردولت لو كره ذكرى * ونقل فيها تفرق الاخوان
هذا الفاروق مردى الاعوان * صرح في افريقيا بهذا التصريح
وبقت حى الى زمن عثمان * وفتحها ابن الزبير عن تهيج
لمن دخلت غنائم الديوان * مات عثمان وانقلب عليه الريح
واقترق الناس على ثلاثة امرا * وبقي ما هو للسكوت عنوان
اذا كان ذاتي مبدع البرا * اس نعم مل فى اواخر الازمان
واصحاب الحضرة مكناساتا * وفي تاريخ كائنا وكيوانا
تذكر فى صحتها ابيانا * شق وسطح وابن مرانا
ان مرين اذاتك براياتا * لجدا وتونس قد سقطت بناينا
قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا * عيسى بن الحسن الرفيع الشأن
قال لي رايت وانا بهذا أدري * لكن اذا جاء القدر عمت الاعيان
ويقول لك مادى المرينيا * من حضرة قاس الى عرب دياب

اراد

فؤادك مما فيه من ألم الوجد يفيدك علما ويزيدك حكمة * وغير خسود أو مصر على الحق

ويحفظ ما استودعته غير غافل * ولا جائن عهدا على قدم العهد زمان ربيع فى الزمان باسره * يبيحك روضا غير ذاو ولا جند
ينور احيانا بورد بدائع * اخص واولى بالنفوس من الورد واتشد بعض الجهم اذا ما خلا الناس فى دورهم * بخمر سلاف وخود كعاب

وانسهم في ظلام الليال * لغير الندامى وره والصحاب
ودرس العلوم شراب العقول * فدوروا على بذالك الشراب
ومن ملج ما ينشد في الكتب اذا ما خلوت من المؤنين * جهات المؤانس لي دفتري (٣٩٥) فلم اخل من شاعر محسن * ومن علم صالح منذر
ومن حكم بين اثنائها

فواند لناظر المفكر
وان ضاق صدرى باسرا
واودعته السر لم يظهر
وان صرح الشعر باسم الحبيب
بلم احتشمه ولم احصر
وان عدت من ضجره بالهجا
وسب الخليفة لم احذر
ونادمت فيه كرم الغيب
لندما نه طيب المخبر
فاستارى مؤنسا ما حبيت
عليه نديما الى الحشر
وانشد ابن خرم لبعض
الادباء
ان صحننا الملوك تاهوا علينا
واسئد بدوا بالراى دون
الجلس
او صحننا التجار عدنا الى الفة
روصنا الى حساب القلوس
فلزنا البيوت تتخذ الحجة
رونلا به وجوه الطروس
لوتر كنا وذاك كنا نطقنا
من امانتنا بعلى نفيس
غير ان الزمان اعنى بنيه
حسدونا على حبات النقوس
وانشد غيره
انست الى التفرط طول عمرى
فالى في البرية من انيس
جعلت محادى ونديم نفسي
وانسى دفتري بدل العروس
قد اسست غنيت عن فرسى
برجلى

اراد المولى بموت ابن يحيى * سلطان تونس وصاحب الابواب
ثم اخذ في ترحيل السلطان وجيوشه الى آخر رحلته ومنتهى امره مع اعراب افر بقة واتى فيها بكل غريبة
من الابداع واما اهل تونس فاستحدثوا في اللعبة ايضا على لغتهم الحضرية الا ان اكثر ردى ولم يعلق
بمخفوطى منه شي لردائه وكان لعمامة بغداد ايضا فن من الشعر يسمونه المواليا وتحتة فنون كثيرة يسمون
منها القوما وكان وكان ومنه مفرد ومنه في بيتين ويسمونه دوبيت على الاختلافات المتغيرة عندهم في كل
واحد منها وغالبا مزدوجة من اربعة اغصان وتبهم في ذلك اهل مصر القاهرة واتوا فيها بالغرائب
وتبحروا فيها في اساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاؤا بالعجائب ومن اعجب ما علق بمخفوطى منه
قول شاعرهم
هذا جراحى طريا * والدماء تضح
وقاتلى يا اخيا * فى الفلا يرح
قالوا وناخذ بنارك * قلت ذا ابيع

ولغيره
طرفت باب الحماقات من الطارق * فقلت مقتون لانايب ولا سارق
تسمت لاحلى من نغرها بارق * رجعت حيران في بحر ادمى غارق

ولغيره
عهدى بها وهى لا تأمن على البين * وان شكوت الهوى قالت فذلك العين
ان تعنى لها غمى يرى غليم زين * ذكرتها العهد قالت لك على دين
ولغيره في وصف الخشيش

دى نجر صرف اتى عهدى بها باقى * تغنى عن الخمر والخمار والساقى
فجبا ومن قبحها تعمل على احراقى * خبيتها فى الخشى طالت من احداق

ولغيره
يامن وصالو لاطفال المحبة يح * كم توجده القلب بالمجبران اوه اح
اودعت قلبى حوحو والنصبر يح * كل الورى كنخ فى عيني ونخصك دح

ولغيره
ناديتها ومشيى قد طواني طى * جودى على بقة الهوى يامى
قالت وقد لى كوت داخل فؤادى كى * ما هكذا القطن يحشى فم من هو حى

ولغيره
راني ابسم سمعت سحيب ادمى برفه * ما ط اللثام تبدي بدر فى شرقه
اسبل دجى الشعر تاه القلب فى طرقة * رجع هدا بنا خط الصبح من فرقه

ولغيره
يا حادى العيس ارجى بالمطاي ارجر * وقف على منزل احبابى قبيل الفجر
وصبح فى حيه ثم يامن يريد الاجر * ينهض يصلى على ميت قبيل المجر

اذا سافرت او نعل كبوس ولى عرس جديد كل يوم بطرح الهم فى امر العروس فبطنى سقرنى والخرج جسمى وهو ميانى فى ابداء كيشى
وبيتى يدركنى مسائى واهلى كل ذى عقل نفيس ولئن كان الناطقون قد وصفوا فجو دوا وقالوا فاباغوا فلة قد قصروا واولج مدوح
من اسنة قصر فى مدحه المنتهى واستنزل فى تغريطه المختل وكيف لا والسكاب نم الانيس فى ساعة الوحدة ونعم المرفقة لاد الغربة

وتنعم القرين والذخيل ونعم الوزير والوزير وعالم ملي علماً وظرف حسي ظرفاً وناهما ملي مزاجاً وخب ذابستان يحمل في ردن وزرودة
تنقلب في حجره لسمعت بشجرة توتى أكلها كل ساعة بالوان مختلفة وطعموم متباينة هل سمعت بشجرة لا تدوى وزهر لا يتوى وتغر
لا يقنى ومن لك يجلس يقيدك الشئ ولا فقه والجنس وضده ينطق عن الموتى وترجم عن الاحياء ان غضبت عليه لم يغضب وان
سخطت عليه لم يجيب أكرم من الارض (٣٩٦) وأنتم من الريح والهوى وأخدع من المني وامتنع من الضحى وانطق من سبحان

واثل وأعي من باقل هل
سمعت بعلم واحد فحلى بحلل
كثيرة وجمع اوصاف غزيرة
عربي فارسي هندي سندي
رومي يوناني ان وعظ أسمع
وان الهى امتع وان أبكى ادمع
وان ضرب اوجع يقيدك
ولا يستفيد منك ويزيدك
ويستزيدك ان جديس
وان فرح فتره قهر الاسرار
وحرز الودائع قيد العلوم
وينبوع الحكم ومعدن
المكارم ومؤنس لا ينام
يقيدك علم الاولين ويخبرك
عن كثير من انباء الاخرين
هل سمعت في الاولين
أو بلغك من أحد من
السابقين جمع هذه الاوصاف
مع قلة مؤننه وخفة عمله
لا يرزأك شيأ من دنياه نعم
الذخر والعدة والمستغل
والحرفة جليس لا يضربك
ورفيق لا يملأ بطبعك
بالليل طاعته بالنهار
ويطبعك في السفر طاعته
في الحضرة أدمت النظر
اليه أطال امتاعك وشجذ
طباعك وبسط لسانك
وجود بنائك وفخم الفاظك
ان ألقتك خلد على الايام

ولغيره
عني التي كنت ارجاكم بها باتت * ترعى التجوم وباتت سهداقتات
واسمهم البين صابتي ولاقات * وسالوني عظم الله أكرم ماتت

ولغيره
هو يت في قنطرة نكم باملاح المحكر * غزال يبل الاسود الضار بابا الفكر
غصن اذا ما انتنى يسي البنات البكر * وان تهال في البدر عند ذكرك

ومن الذي يسمونه دوبيت

قد أقسم من أحبه بالباري * أن يبعث طائفة مع الاسحار

بانار شويقي به فاتقدي * ليلا فحساه يهتدي بالنار

واعلم ان الاذواق في معرفة البلاغة كلها انما تحصل من خالط تلك اللغة وكثرة استعمالها ومخاطبة بين
اجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الانداسي بالبلاغة التي في شعراهل المغرب ولا
المغربي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس والمشرق ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس
والمغرب لان اللسان الحضري وترا كيبه مختلفة فيهم وكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن
الشعر من اهل جلدته وفي خلق السموات والارض واختلاف الستة كم والوانكم آيات وقد كدنا ان
نخرج عن الغرض وعزمن ان نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العمران
وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائل ما حسبناه كفاية واعل من يأتي به دنا من يؤيده الله بذكر صحيح
وعلم مبين يغوص من مسائله على أكثر مما كتبنا فليس على مستنبط ان احصاه مسائله وانما عليه
تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتسكلم فيه والمتأخرون يلحقون المسائل من بعده شيا فشيأ الى ان
يكمل والله يعلم وانتم لا تعلمون

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه أتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتذهيب في مدة
خسة أشهر آخرها منتصف تمام تسعة وسبعين وسبعمائة ثم نقضته بعد ذلك وهذبتة والحقته به تواريخ
الامم كما ذكر في اوله وشرطته وما للعلم الامن عند الله العزيز الحكيم

*(يقول رحمه الله عنه) *

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله قد تم طبع مقدمة العالم الشهير والفاضل الخليل
صاحب التأليف العديدة والاقوال المفيدة من اقرب فصاحته المتقدمون والمتأخرون الاستاذ
الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن خلدون بحلة الوامش بكتاب سراج الملوك للسلامة أبي بكر محمد بن
محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشي نقضنا الله بعلومهم آمين وذلك بالمطبعة الفاتكة ذات الادوات
الباهرة الرائقة الموسومة بالازهرية المصرية ادارة الراحي من الله القرآن حضرة السيد محمد رمضان
في غرة ربيع الثاني سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والتحية

ذكرك وان درسته رفع في الخلق قدرك وان جلته فوه عندهم باسمك يقعد العبيد في مقاعد السادة ويجلس السوق في مجلس الملوك فآكرم به
من صاحب وأعز به من مرافق وقد قال فيه الاول لنا جلساء ما نزل حديثهم الباءة مأمونون غيا ومشهدا يفيدوننا من علمهم علم ماضى *
ورأيا وتاديبا وعقلا مسددا
وان قلت احياء فليست مفندا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة * ولا تنقي منهم لسانا ولا يدا فان قلت اموات فانت كاذب *
فهذا ما اردنا ان نعلمه في هذا الكتاب فاكتبوا ان شئتم انفاه ان كانت الانفاس عما يكتب

Bibliotheca Alexandrina



0405240